نجاح القاري لصحيح البخاري

أكبر موسوعة شارحة لصحيح البخاري حديثيًا وفقهيًا ولغويًا وتفسيريًا

للإمام المحدث المفسر

أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الرومي الحنفي المعروف بـ « يوسف أفندي زاده »

المتوفى سنة 1167 هجرية

اعتنى به مجموعة من المحققين والمراجعين بإشراف

عبد الحفيظ محمد علي بيضون

دراسات إسلامية / كلية الشريعة - جامعة بيروت الإسلامية

اعتمدنا لترقيم الكتب والأبواب والأحاديث ترقيم

محمد فؤاد عبد الباقي

الجزء الثامن عشر

المحتوى :

أحاديث الأنبياء - المناقب

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com

الكتاب: نجاح القاري لصحيح البخاري

Title: NAJĀḤ AL-QĀRĪ LIṢAḤĪḤ AL-BUḪĀRĪ

التصنيف: شروح - حديث

Classification: Explanations - Prophetic Hadith

المؤلف: الإمام يوسف أفندي زاده (ت ١١٦٧ هـ)

Author: Al-Imam Yousuf Afandi Zada (D. 1167 H.)

المحقق: عبدالحفيظ محمد علي بيضون

Editor: Abdulhafiz Mohammed Ali Baydoun

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut

Pages(31Parts/31Vols.)23280(٣١جزءًا/٣١مجلدًا)		عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2021 A.D. - 1443 H.	سنة الطباعة
Printed in Lebanon		بلد الطباعة لبنان
Edition	1st (2 Colors)	الطبعة الأولى (لونان)

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut - Lebanon No Part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system,or to post it on Internet in any form without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, ou téléchargement sur Internet de quelque mamière que se soit faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة **لدار الكتب العلمية** بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو تحميله على صفحات الإنترنت بأي شكل من الأشكال إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-8766-6

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

60 ـ كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

60 ـ كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ

(بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كذا وقع

(1) قال الحافظ: الأنبياء جمع نبي، وقد قرئ بالهمز، فقيل: هو الأصلي وتركه تسهيل، وقيل: الذي بالهمز من النبأ والذي بغير همز من النبوة وهي الرفعة، والنبوة نعمة يمن بها اللّه على من يشاء، ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه ولا يستحقها باستعداد ولايته، ومعناه الحقيقي شرعًا: من حصلت له النبوة، وليست راجعة إلى جسم النَّبِيّ ولا إلى عرض من أعراضه، بل ولا علمه بكونه نبيًّا، بل المرجع إلى إعلام اللّه له بأني نبأتك أو جعلتك نبيًّا، وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة، اهـ.
وقال أيضًا وقع في ذكر عدد الأنبياء حديث أبي ذر مرفوعًا أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر صححه ابن حبان، اهـ.
وفي العيني أن أبا ذر قال: قلت يا رسول اللّه: كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا**» قلت: يا رسول اللّه كم أرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر نجم غفير**» الحديث رواه ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره، وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: قال يا رسول اللّه ﷺ: «**بعث اللّه ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس**» رواه أبو يعلى الموصلي وعنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل**» رواه الحافظ أبو بكر الإسماعيلي، اهـ.
قلت: الحديث الذي أشار إليه الحافظ وذكره العيني مختصرًا ذكره ابن الجوزي في التلقيح مفصلًا فقال: «روى أبو ذر قلت: يا رسول اللّه كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا» قلت: يا رسول اللّه كم المرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر: جمعًا غفيرًا، قلت: من كان أولهم؟ قال آدم ﷺ، قلت: يا رسول اللّه أنبي مرسل؟ قال: نعم خلقه اللّه تعالى بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبلًا، ثم قال: يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم وشيث وخنوخ ـ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ـ ونوح: وأربعة من العرب. هود وشعيب وصالح ونبيك =

فِي رِوَايَةِ كريمة في بعض النسخ وكذا وقع فِي رِوَايَةِ أَبِي علي بن شبويه نحوه وقدم الآية الآتية في الترجمة على الباب.

وفي بعض النسخ: كِتَابُ الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وفي بعضها: باب خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير ذكر شيء غيره.

وأما عدد الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقد روى أَبُو ذر رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا حيث قَالَ قلت يا رَسُول اللّه كم الْأَنْبِيَاء قَالَ مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت

= يا أبا ذر، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت: يا رسول اللّه كم كتاب أنزل اللّه عز وجل، الحديث، وقد روى وهب عن ابن عباس قال: الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر منهم عبرانيون وهم آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم وخمسة من العرب هود عليه السلام، وصالح عليه السلام، وإسماعيل عليه السلام، وشعيب عليه السلام، ومحمد ﷺ وروى عكرمة عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ما قال كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود ولوط وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وعيسى ومحمد ﷺ، اهـ.

وذكر صاحب المشكاة حديث أبي ذر برواية أحمد في مسنده قال القاري في شرحه: العدد في هذا الحديث وإن كان مجزومًا به، لكنه ليس بمقطوع فيجب الإيمان بالأنبياء والرسل مجملًا من غير حصر في عدد لئلا يخرج أحد منهم ولا يدخل أحد من غيرهم فيهم، اهـ.

ثم لا يذهب عليك أن الإمام البخاري رضي اللّه عنه كما أنه مجتهد في المسائل الفقهية لا يبالي خلاف أحد، كذلك مجتهد في التاريخ لا يبالي خلاف المؤرخين كما سترى في ذكر ترتيب الأنبياء، فقد ترى أنه رضي اللّه عنه ذكر إدريس بعد نوح وجمهور المؤرخين على أن إدريس من أجداد نوح عليهما السلام إلا أن البخاري خالفهم، فذكره بعد نوح مستدلًا بحديث المعراج إذ قال فيه إدريس عليه السلام مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح فلو كان إدريس من أجداد نوح لما قال بالأخ الصالح بل قال: بالابن الصالح، وهكذا ترى في مواضع أخر وترتيبهم على ما ذكره ابن الجوزي في التلقيح إذ قال ذكر ترتيب كبار الأنبياء كان من بعد آدم شيث عليه السلام وهو وصي آدم وأنزل اللّه عليه خمسين صحيفة قال محمد بن جرير وإلى شيث ينتهي نسب بني آدم كلهم اليوم، وذلك أن نسل ولد آدم غير نسل شيث انقرضوا، فلم يبق منهم أحد، ثم كان إدريس عليه السلام. قال أبو بكر بن أبي خيثمة وكان من بعد (بياض في الأصل) نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ثم كان لقمان الحكيم وكان (بياض) موسى ميثا ثم من بعدهم موسى بن عمران ثم يوشع بن كالب بن يوقنع ثم هزقيل ثم إلياس ثم طالوت الملك ثم داود ثم سليمان ثم أيوب ثم يونس بن متى ثم شعيا ثم أمصيا ثم زكريا ويحيى وعيسى وأرميا وكان ذو القرنين بن عيسى ومحمد في الفترة، قال المصنف: كذا ذكر والصواب أن ذا القرنين كان من زمن الخليل عليه السلام إلا أن يعني به اليوناني، اهـ.

1 ـ باب خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ

يا رَسُول اللَّه كم الرسل منهم قَالَ ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير الحديث رواه ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره وهو المشهور الشائع. وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ بعث اللَّه ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني إسرائيل وأربعة آلاف إلى سائر الناس رواه أَبُو يعلى الموصلي. وعنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل**» رواه الْحَافِظ أَبُو بكر الإسماعيلي.

1 ـ باب خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ

(**باب خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ**) إنما سمي آدم لأنه خلق من أَدَمَة الأرضِ وهي لونها، والأَدَمَة في الناس السمرة الشديدة، وروى سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أن آدم خلق من أديم الأرض وهو وجهها وروى مجاهد عنه أَيْضًا أنه مشتق من الأدمة[1].

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق الثعلبي: التراب بلسان العبرية دام فسمِّي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ به وحذفت الألف الثانية وقيل إنه اسم سرياني.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ: إنه اسم عربي وليس بعجمي وذكر أَبُو منصور الجواليقي في كتاب المعرب أسماء الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلها أعجمية إلا أربعة وهي آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد، عليه وعليهم الصلاة والسلام. والمشهور أن كنيته أَبُو البشر وروى الوالبي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أن كنيته أَبُو مُحَمَّد.

وَقَالَ قَتَادَة: لا يكنى في الجنة إلا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقال له أَبُو مُحَمَّد إظهارًا لشرف نبينا ﷺ وهو لا ينصرف لأنه على وزن أفعل وهو معرفة[2] ذكره اللَّه في القرآن في سبعة وعشرين موضعًا وأما الذرية فهي من ذرأ اللَّه الخلق يذرؤهم بمعنى خلقهم.

---

(1) وقيل هو من أدمت بين الشيئين إذا خلطت بينهما لأنه كان ماءً وطينًا مخلطًا جميعًا ومنه الإدام لأنه يخلط بالخبز.

(2) وعلى تقدير كونه غير عربي فللعجمة والتعريف.

﴿صَلۡصَٰلٖ﴾ [الحجر: 26]: «طِينٌ[1] خُلِطَ بِرَمْلٍ، فَصَلْصَلَ كَمَا يُصَلْصِلُ الفَخَّارُ،

قَالَ الْجَوْهَرِيّ: الذرية نسل الثقلين إلا أن العرب تركت همزتها والجمع الذراري وفي المغرب ذرية الرجل أولاده ويكون واحدًا وجمعًا ومنه قوله تَعَالَى: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ﴾ [آل عمران: 38].

وقد ذكر الْبُخَارِيّ رَحِمَهُ اللّه من الآثار والأحاديث التي تتعلق بذلك بعضًا وترك بعضًا وما لم يذكره ما رواه التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ والبزار وصححه ابن حبان من طريق سَعِيد المقبري وغيره عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا أن اللّه خلق آدم من تراب فجعله طينا ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونًا خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالًا كالفخار كان إبليس يمر به فيقول لقد خلقت لأمر عظيم ثم نفخ اللّه فيه من روحه فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فَقَالَ اللّه يرحمك ربك الحديث.

ومنه حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا أن اللّه تَعَالَى خلق آدم من قبضته قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض الحديث أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ التِّرْمِذِيّ وصححه ابن حبان ومنه حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ رفعه لما خلق اللّه آدم تركه ما شاء اللّه أن يدعه فجعل إبليس يطيف به فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك رواه أحمد ومسلم.

(﴿صَلۡصَٰلٖ﴾ : **طِينٌ خُلِطَ بِرَمْلٍ**) أشار بقوله صلصال إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ وفسر الصلصال بقوله طين خلط برمل وحقيقة الصلصال الطين اليابس المصوت.

(**فَصَلْصَلَ**) أي: صوت وهو فعل ماض.

(**كَمَا يُصَلْصِلُ الفَخَّارُ**) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة وهو ضرب من الخزف يعمل منه الجرار والكيزان وغيرها.

---

(1) قال الحافظ: قوله طين خلط إلخ، هذا هو تفسير الفراء هكذا ذكره، وقال أبو عبيدة: الصلصال: اليابس الذي لم تصبه نار فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة فإذا طبخ بالنار فهو فخار وكل شيء له صوت فهو صلصال، وروى الطبري عن قتادة بإسناد صحيح نحوه، اهـ. قال المجد: صلصيلًا صوت كصلصل صلصلة وصلصلًا، اهـ.

وَيُقَالُ: مُنْتِنٌ، يُرِيدُونَ بِهِ صَلَّ، كَمَا يُقَالُ: صَرَّ الباب وَصَرْصَرَ عِنْدَ الإغلاقِ، مِثْلُ كَبْكَبْتُهُ يَعْنِي كَبَبْتُهُ»، ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: «اسْتَمَرَّ بِهَا الحَمْلُ فَأَتَمَّتْهُ»،

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الصَّلْصَال الطين اليابس الذي لم تصبه نار فإذا نقرته صَلَّ أي: صوت فسمعت له صَلْصَلة فإذا طبخ بالنار فهو فخار وكل شيء له صوت فهو صلصال وروى الطَّبَرِيّ عن قَتَادَة بإسناد صحيح مثله. وهذا الذي ذكره الْبُخَارِيّ هو تفسير الْفَرَّاء وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُ الصلصال هو الماء يقع على الأرض فتنشفه فتجف ويصير لها صوت.

(**وَيُقَالُ: مُنْتِنٌ**) أراد بهذا أنه جاء في اللغة صَلْصَال بمعنى منتن أَيْضًا، ومنه: صَلَّ اللحمُ يَصِلُّ صُلُولًا إذا أنتن مطبوخًا كان أو نيًّا. وتفسيره بالمنتن رواه الطَّبَرِيّ عن مجاهد، وروى ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن المنتن تفسير المسنون.

(**يُرِيدُونَ بِهِ صَلَّ**) أشار به إلى أن أصل صلصل الذي هو الماضي، صل فضوعف فاؤه فصار صلصل، (**كَمَا يُقَالُ: صَرَّ الباب وَصَرْصَرَ عِنْدَ الإغلاقِ**) أي: كما يقال صر الباب إذا صوت عند الإغلاق فضوعف فيه كذلك فقيل: صرصر.

(**مِثْلُ كَبْكَبْتُهُ يَعْنِي كَبَبْتُهُ**) أي: كما قَالَ كبكبته في كببته بتضعيف الكاف يقال كببت الإناء أي: قلبته، وقوله يريدون به إلى آخره الظاهر أنه في كلام المصنف أشار به إلى ما ذكر.

(**﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ «اسْتَمَرَّ بِهَا الحَمْلُ فَأَتَمَّتْهُ»**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الأعراف: 189] وفسره بقوله: استمر بها الحمل حتى وضعته والضمير فِي قَوْلِهِ فمرت به يرجع إلى حواء عليها السلام وهذا التفسير هو قول أَبِي عُبَيْدَةَ والآية في أواخر [سورة الأعراف] قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وجعل منها زوجه من جسدها من ضلع من أضلاعها أو من جنسها كقوله تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: 72] زوجه حواء ليسكن إليها ليستأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه وإنما ذكر الضمير ذهابًا إلى المعنى ليناسب ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ خف عليها ولم يلق منه ما تلقى الحوامل غالبًا من الأذى أو محمولًا خفيفًا هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12]: «أَنْ تَسْجُدَ».

بِهِۦ﴾ فاستمرت وقامت وقعدت ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ ولدًا سويًّا قد صلح بدنه ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك على هذه النعمة المجددة.

(﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾: «أَنْ تَسْجُدَ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12] ثم نبه على أن كلمة لا صلة ففسره بقوله: «أن تسجد» وهذا مأخوذ من كلام أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ وزاد من حروف الزوائد كقول الشاعر [1]:

وَيَلْحَيْنَنِي بِاللَّهْوِ أَنْ لا أُحِبَّهُ ... وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ فَاعِلِ

وقيل: فيه حذف تقديره ما يمنعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد إذا أمرتك والله تَعَالَى أعلم.

---

(1) قال البغدادي 2/ 169: نادى قومه على وجه الاستغاثة من عواذله في تجاوزهنَّ وركوبهنَّ الشَّطَطَ في لومه على حبه الحسان، والميل إلى اللّهو مع وجود باعث ذلك فيه، وهو الشباب والعشق، فلا يمكنه قبول نصحهنَّ مع وجود هذا الباعث فيتعين أن تكون لا زائدة؛ لأنَّ الناصح إنما يلومه على الاشتغال بأسباب المحبَّة والله، لا على ترك ذلك.
ولما لم يقف الدماميني على البيت السابق لم يتضح له وجه زيادتها، فردد المعنى بين احتمالين ممكنين حتى ظهرت قرينة تعين المراد منهما، قال: يحتمل (يلحينني) أن يضبط بياء الغيبة أو بتاء الخطاب، ومعنى اللحي: اللوم، واللّهو: اللعب، و(أن) يحتمل أن تكون خفيفة ناصبة للمضارع، وأن تكون مخففة من الثقيلة، فالمضارع المذكور مرفوع، والجملة خبر (أن) واسمها ضمير شأن محذوف على رأي الأكثرين، أو غيره على رأي المحققين، أي: أنني لا أحبه.
والدائب: الجاد، يقال: دأب فلان في عمله، أي: جد، وإنما تتعين زيادة (لا) إذا كان المراد: لَحَيْنَهُ على حب الله وارتكابه إياه، ويكون عجز البيت كالعذر له في ذلك، فيكون مستأنفًا، ويحتمل أن تكون لا نافية، ويكون لومهنَّ له على اللّهو لا على حبه، ويكون عجز البيت حينئذٍ جملة حالية، إما من فاعل يلحى أو مفعوله. وقصد الشاعر أنه مبغض للهو لا محب له، وأن اللواحي يلمنه على ذلك في حالة أنَّ داعي اللّهو جاد في الدعاء إليه غير غافل عنه، يصف نفسه بالجدِّ والثَّبات عليه، وعصيانه للواحي مع توفر الدواعي إلى اللّهو، فهو عكس المعنى الأوَّل، فإن وُجِدت قرينة تعين المراد، عمل بمقتضاه، وإلا فاللفظ محتمل، ويترجح ما قلناه بسلامته من دعوى الزيادة، وهي خلاف الأصل. هذا كلامه برمته.
وبالبيت السابق تعين زيادة (لا) وأنه بياء الغيبة وأنَّ (أن) خفيفة لا مخففة لعدم تقدم ما يفيد علمًا أو ظنًّا، وقد أنشده أبو علي في آخر سورة الفاتحة من (الحجة) على زيادة (لا) ونصب (أحبه) بأن، فيكون (أن أحبه) في تأويل مفرد مجرور بدل اشتمال من اللّهو، والدماميني مسبوق بفرض احتمال معنى النفي في البيت. قال أبو حيان في آخر تفسير سورة الفاتحة من =

1م ـ باب قول اللّه تَعَالَى:
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]

1م ـ باب قول اللّه تَعَالَى:
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]

واذكر يا مُحَمَّد حين قَالَ ربك للملائكة الآية أخبر اللّه تَعَالَى بتنويه بني آدم بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم وامتن عليهم بذلك وحكى ابن جرير عن أبي عبيدة أنه زعم أن كلمة إذ زائدة وأن تقدير الكلام وقال ربك ورد عليه ابن جرير قال القرطبي وكذا رده جميع المفسرين حتى قال الزجاج هذا اجتراء من أبي عبيدة. (﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾) أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن

= «البحر» بعد إنشاد البيت: قال الطبري، أي: أن أحبه، وقال غيره: معناه إرادة أن لا أحبه، فـ(لا) فيه متمكنة، يعني في كونها نافية لا زائدة. انتهى. وصاحب هذا القول أيضًا كأني حيَّان لم يقف على البيت السابق، وهو قرينة على تعيين زيادة (لا)، وممن ذكر زيادتها في هذا البيت ابن الأنباري في كتاب «الأضداد».

والأحوص: هو ابن محمد بن عبد اللّه بن عاصم الأنصاري الأوسي، وكان عاصم يسمى حَمي الدبر؛ كان رسول اللّه ﷺ بعثه في بعث، فقتله المشركون، وأرادوا أن يَصْلِبُوه، ويمثلوا به، فحمته الدبرة، وهي النحل، فلم يقدروا عليه. والأحوص مقدَّم عند أهل الحجاز وأكثر الرواة، لولا أفعاله الدنية؛ لأنه أسمحهم طبعًا، وأسلسهم كلامًا، وأصحهم معنى، ولشعره رونق وحلاوة، وعذوبة ألفاظ ليست لأحد، وهو محسن في الغزل والفخر والمدح، وكان يشبب بنساء أشراف المدينة فنهي، فلم ينته، فشكي إلى سليمان بن عبد الملك، فأمر عامله بالمدينة أن يضربه مائة، ويقيمه على البُلُس للناس، ثم يسيره إلى دِهْلِك ففعل به ذلك، والبُلُس بضمتين جمع بلاس ككتاب، وهي غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن يشهر عليها من ينكل، وينادى عليه. ومن دعائهم: (أرانيك اللَّهُ على البُلُسِ) وبقي منفيًّا بدهلك إلى أن مات عمر بن عبد العزيز، وولي مكانه يزيد بن عبد الملك، فخلى سبيله، وأعطاه أربعمائة دينار. وقد بسطنا ترجمته في الشاهد الخامس والثمانين من شواهد الرضي.

والأحوص من الحوص بمهملتين، وهو ضيق في مؤخر العين. وهذا الشعر نسبه إليه ابن الأنباري، وأبو حيَّان، وأنشد البيتين المبرد في أوائل «الكامل» قال: معنى شطت: تباعدت، ويقال: أشط فلان في الحكم إذا عدل عنه متباعدًا قال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: 22].

أخرجه مسلم في الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي الذي هو خير. وفي الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها رقم 1652.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4]: «إِلا عَلَيْهَا حَافِظٌ»، ....

وجيلًا بعد جيل كما قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قَالَ أكثر المفسرين: وليس المراد هنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما قاله طائفة إذ لو كان المراد آدم عينا لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. وقولهم هذا ليس على وجه الاعتراض ولا على وجه الحسد ولا على وجه الطعن في بني آدم على وجه الغيبة فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: 26 ـ 27] وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك مع أن فيهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وإنما عرفوا ذلك بإخبار من اللّه تَعَالَى أو تلقٍّ من اللوح أو استنباط عما ذكر في عقولهم أن العصمة من خواصهم أو قياس لأحد الثقلين على الآخر.

وقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ لا يصدر من خلاف ذلك تقدير لجهة الإشكال كقولك الحسن إلى أعدائك وأنا الصديق القديم المحتاج يعني أتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه كما عرفت الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر فَقَالَ اللّه في جوابهم: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30] أي: إني أعلم بالمصلحة الراجحة في خلقي هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها فإني سأجعل فيهم الْأَنْبِيَاء والرسل ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء الأبرار المقربون والعلماء العاملون والخاشعون والمتبعون لرسله.

وفي هذا المقام مقال كثير هذا محله.

(**قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ «إِلا عَلَيْهَا حَافِظٌ»**) أشار بذلك إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: 4] ثم نبه أن لما ههنا بمعنى إلا التي هي حرف الاستثناء وقد وصله عن ابن أَبِي حاتم وزاد إلا عليها حافظ من الملائكة وقد اختلف القراء في تشديد لما وتخفيفها فقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم بالتشديد على أن يكون أَنْ نافية ويكون لمَّا

﴿فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: 4]: فِي شِدَّةِ خَلْقٍ[1] (وَرِيَاشًا) المَالُ» وَقَالَ غَيْرُهُ: «الرِّيَاشُ وَالرِّيشُ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَا ظَهَرَ مِنَ اللِّبَاسِ، ....

بمعنى ألا وهي لغة هذيل يقولون نشدتك اللّه لما قمت يعنون ألا قمت والمعنى ما نفس إلا عليها حافظ من ربها والباقون قرؤوا بالتخفيف جعلوا ما صلة وأن مخففة من الثقيلة أي: إن كل نفس لعليها حافظ من ربها يحفظ عليها ويحصي عليها ما يكسب من خير أو شر. وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا هم الحفظة من الملائكة.

وَقَالَ قَتَادَة هم حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك وقيل هو اللّه رقيب عليها واللّه تَعَالَى أعلم.

(﴿فِي كَبَدٍ﴾: فِي شِدَّةِ خَلْقٍ) أشار به ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد: 4] ثم فسر الكبد بقوله في شدة خلق رواه ابن عيينة في تفسيره عنه بإسناد صحيح وزاد في آخره ثم ذكر مولده ونبات أسنانه وَأَخْرَجَهُ الحاكم في مستدركه.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الكبد الشدة قَالَ لبيد:

يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذ قُمْنَا وقَامَ الخُصُومُ في كَبَد

(وَرِيَاشًا) المَالُ) أشار به على ما فِي قَوْلِهِ: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: 26] ثم فسَّر الرياش بالمال وهو قول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وصله ابن أَبِي حاتم من طريق علي بن أَبِي طلحة عنه.

(وَقَالَ غَيْرُهُ) أي: غير ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

(الرِّيَاشُ وَالرِّيشُ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَا ظَهَرَ مِنَ اللِّبَاسِ) وهو قول أَبِي عُبَيْدَةَ وزاد

---

(1) قال القسطلاني: قوله «في شدة خلق» بفتح وسكون اللام رواه ابن عيينة في تفسيره عن ابن عباس بإسناد صحيح، وأخرجه الحاكم في مستدركه، وقيل لأنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، وقيل لم يخلق اللّه خلقًا يكابد ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك أضعف خلق اللّه، اهـ.
وقال الحافظ: قوله في شدة خلق هو قول ابن عباس رويناه في تفسير ابن عيينة بإسناد صحيح، وزاد في آخره ثم ذكر مولده ونبات أسنانه، وأخرجه الحاكم في المستدرك، اهـ.

﴿مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: 58]: النُّطْفَةُ فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ».
وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿إِنَّهُۥ[1] عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ [الطارق: 8]: «النُّطْفَةُ فِي الإِحْلِيلِ،

تقول أعطاني ريشه أي: كسوته قَالَ والرياش أَيْضًا المعاش وقيل الريش الجمال والهيئة.

(﴿مَا تُمْنُونَ﴾ **النُّطْفَةُ فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨﴾ [الواقعة: 58] ثم فسره بقوله النطفة في أرحام النساء وهو قول الْفَرَّاء قَالَ يقال أمنى الرجل ومنى والأول أكثر[2].

(**وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾: **النُّطْفَةُ فِي الإِحْلِيلِ**) يعني أنه قادر على رجع المني أي: النطفة إلى الإحليل وهذا التعليق وصله ابن جرير من حديث ابن أَبِي نجيح عن عَبْد اللّه بن أَبِي بكر عن مجاهد وفي لفظ الماء بدل النطفة وفي رواية إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا.

وَقَالَ ابن زيد إنه على حبس ذلك الماء لقادر. وعن قَتَادَة أن اللّه قادر على بعثه وإعادته.

---

(1) اختلف العلماء في تفسير هذه الآية، ففي الجلالين ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ أي: بعث الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ﴾ وفي الجمل قيل في معنى الآية إنه تعالى قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه.

وقيل قادر على رد الإنسان ماء كما كان من قبل، وقيل معناه إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة، وقيل إنه قادر على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج، وما ملكة المفسر هو الصحيح واللائق بمعنى الآية بدليل ما بعده، اهـ من الخازن.

وزاد في الخازن قيل إن اللّه تعالى قادر على أن يرد النطفة في الإحليل، وقال في آخره: قيل معناه إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء قادر على إعادته حيًّا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الأصح والأولى بمعنى الآية لقوله تعالى: بعده ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: 9] الآية، وما أفاده الشيخ قدس سره في تفسير الآية ذكره مولانا حسين علي البنجابي أيضًا في تقريره إذ قال قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ أي: على خلقه في الصلب: بعد إلقائه في الرحم أي: يمني الرجل منيًا ثم يخلق في صلبه آخر، اهـ. وهكذا ذكر الشيخ محمد حسن المكي في تقريره إذ قال: «وهو على رجعه» وهو خلق المني في الرحم مرة أخرى مكان ما خرج منه أولًا من المني فافهم، اهـ.

(2) والمعنى أنَّ النطف إذا قذفت في أرحام النساء أأنتم تخلقون ذلك أم نحن؟

كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَهُوَ شَفْعٌ، السَّمَاءُ شَفْعٌ، وَالوِتْرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، ﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين: 4]: «فِي أَحْسَنِ خَلْقٍ»، ....

(كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَهُوَ شَفْعٌ، السَّمَاءُ شَفْعٌ، وَالوِتْرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) أشار به إلى معنى قوله تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ كذا قال الشراح والظاهر أنه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾ أن كل شيء خلقه اللّه تَعَالَى فهو شفع وقوله السماء شفع معناه أنه شفع للأرض كما أن الحار شفع للبارد ومثلًا والخالق هو الوتر وحده لا شريك له وهذا قول مجاهد أَيْضًا وصله الفريابي والطبري عنه ولفظه كل شيء خلقه اللّه شفع السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا شفع والوتر اللّه وحده وبذلك زال الإشكال فإن ظاهر إيراد المصنف في اقتصاره على قوله السماء شفع يقال عليه إن السماوات سبع والسبع ليس بشفع وليس ذلك مراد مجاهد وإنما مراده أن كل شيء له مقابل يقابله ويذكر معه فهو بالنسبة إليه شفع كالسماء والأرض والجن والإنس الخ. وروى الطَّبَرِيّ عن مجاهد أَيْضًا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ [الذاريات: 49] الكفر والإيمان والشقاوة والسعادة والضلالة والهدى والليل والنهار والسماء والأرض والجن والأنس والوتر هو اللّه وروي من طريق أَبِي صالح نحوه وأخرج عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا من طرق صحيحة أنه قَالَ الوتر يوم عرفة والشفع يوم الذبح وفي رواية أيام الذبح وهذا يناسب ما فسروا به قوله قبل ذلك: ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢﴾ أن المراد بها عشر ذي الحجة.

(﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾: **فِي أَحْسَنِ خَلْقٍ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ [التين: 4] ثم فسره بقوله: في أحسن خلق وهو تفسير مجاهد أَخْرَجَهُ الفريابي عنه.

وقيل أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه. وقيل في أعدل قامة وأحسن صورة وذلك أنه خلق كل حيوان منكسًا على وجهه إلا الإنسان.

وَقَالَ أَبُو بكر ابن الطاهر حزينًا بالعقل مؤدبًا بالأمر مهذبًا بالتمييز مديد القامة يتناول مأكوله بيمينه.

﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: 5]: «إلا مَنْ آمَنَ»، ﴿خُسْرٍ﴾ [العصر: 2]: «ضَلالٍ، ثُمَّ اسْتَثْنَى إلا مَنْ آمَنَ». ﴿لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11]: «لازِمٌ»، ....

(﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: «إلا مَنْ آمَنَ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة التين] معناه أن الإنسان يكون عاقبة أمره إذا لم يشكر نعمه تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقًا وتركيبًا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار فعلى هذا التفسير الاستثناء وهو قوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [التين: 6] متصل ظاهر الاتصال.

وقيل: السافلون الضعفى والهرمى والزمنى لأن ذاك التقويم يزول عنهم ويتبدل خلقهم فعلى هذا الاستثناء منقطع فالمعنى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمي فلهم أجر دائم ممنون أي: غير مقطوع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء اللّه بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة فيكتب لهم في حال هرمهم وخرفهم مثل الذي كانوا يعملون في حال شبابهم وصحتهم.

(﴿خُسْرٍ﴾: «ضَلالٍ[1] ثُمَّ اسْتَثْنَى إلا مَنْ آمَنَ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ ثم فسر الخسر بالضلال ثم استثنى اللّه تَعَالَى من أهل الخسر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: 3] فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية وهذا تفسير مجاهد أَخْرَجَهُ الفريابي قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: 2] يعني في ضلال ثم استثنى فَقَالَ إلا من آمن فكان ذكره بالمعنى وإلا فالتلاوة إلا الذين آمنوا.

(﴿لَّازِبٍ﴾: «لازِمٌ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ [الصافات: 11] وقد فسره بقوله لازم. وقد روى الطَّبَرِيّ عن مجاهد فِي قَوْلِهِ من طين لازب لازق ومن طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ من التراب والماء فيصير طينًا يلزق. وأما تفسيره باللازم فكان بالمعنى وهو تفسير أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ معنى اللازب

---

(1) أي: في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ [الواقعة: 61]: «فِي أَيِّ خَلْقٍ نَشَاءُ»، ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: 30]: «نُعَظِّمُكَ» وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: 37]: فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: 23]. ....

اللازم قَالَ النابغة، ولا تحسبون الشر ضربة لازب، أي: لازم.

(﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: «فِي أَيِّ خَلْقٍ نَشَاءُ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم فسره بقوله: في أي: خلق نشاء أو صفات وكيفيات من الألوان والأشكال وغيرها والمراد النشأة الأخرى.

(﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: «نُعَظِّمُكَ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: 30] وفسره بقوله نعظمك وهو تفسير مجاهد نقله الطَّبَرِيّ وغيره عنه.

(وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ) هو رفيع بن مهران الرياحي أدرك الجاهلية وأسلم بعد النَّبِيّ ﷺ بسنتين ودخل على أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ وصلى خلف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللّه عَنْهُ وروى عن جماعة من الصحابة رضي اللّه عنهم.

(﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾) يعني أنه فسر الكلمات بقوله تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] وصله الطَّبَرِيّ عنه بإسناد حسن. وروي ذلك أَيْضًا عن مجاهد وسعيد بن جُبَيْر والحسن البَصْرِيّ والربيع بن أنس وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق السبيعي: عن رجل من بني تميم قَالَ أتيت ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فسألته ما الكلمات التي تلقى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه قَالَ علم آدم شأن الحج.

وقيل: سبحانك اللَّهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ: يا رب ألم تخلقني بيدك قَالَ: بلى قَالَ: يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قَالَ: بلى قَالَ: ألم تسكني جنتك قَالَ: بلى قَالَ: يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قَالَ: نعم، وأما

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة: 36]: «فَاسْتَزَلَّهُمَا». وَ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: 259]: «يَتَغَيَّرْ»، ﴿ءَاسِنٍ﴾ [محمد: 15]: «مُتَغَيِّرٌ، وَالمَسْنُونُ المُتَغَيِّرُ»، ﴿حَمَإٍ﴾ [الحجر: 33]: «جَمْعُ حَمْأَةٍ وَهُوَ الطِّينُ المُتَغَيِّرُ»، ....

معنى قوله تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: 37] استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها.

(﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: «فَاسْتَزَلَّهُمَا») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: 36] ثم فسره بقوله استزلهما ويروى فاستزلهما بالفاء أي: دعاهما إلى الزلة وفي تفسير ابن كثير يصح أن يكون الضمير عائدًا إلى الجنة فيكون المعنى كما قرأ حمزة فأزالهما أي: نحاهما وصح أن يكون عائدًا إلى أقرب المذكورين وهو الشجرة[1] أي: بسببها.

وفي بعض النسخ قَالَ فأزلهما استزلهما وهو رواية أَبِي ذَرٍّ وهو يوهم أنه من كلام أَبِي العالية وليس كذلك بل هو في تفسير أَبِي عُبَيْدَةَ وكأنه كان في الأصل وَقَالَ غيره فسقط قوله غيره.

وأما فِي رِوَايَةِ الأصيلي وغيره بحذف قَالَ كما أثبتنا وكان الأمر فيه أشكل فتأمل.

(وَ﴿يَتَسَنَّهْ﴾: «يَتَغَيَّرْ»، ﴿ءَاسِنٍ﴾: «مُتَغَيِّرٌ، وَالمَسْنُونُ المُتَغَيِّرُ») أشار بذلك إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: 259] أي: لم يتغير وأشار بقوله آسن إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: 15] أي: غير متغير وأشار بقوله والمسنون إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26] أي: من طين متغير وكل هذه من مادة واحدة وإيراد قوله يتسنه وقوله آسن في أثناء قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بطريق التبعية للمسنون لأنه قد يقال باشتقاقه منه.

(﴿حَمَإٍ﴾: «جَمْعُ حَمْأَةٍ وَهُوَ الطِّينُ المُتَغَيِّرُ») أشار بهذا إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26] وَقَالَ الحمأ جمع حماة ثم فسره بقوله وهو الطين المتغير وكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ.

---

(1) فيكون المعنى كما قال الحسن وقتادة فأزلهما الشيطان عن الشجرة.

﴿يَخۡصِفَانِ﴾ [الأعراف: 22]: «أَخْذُ الخِصَافِ مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ، يُؤَلِّفَانِ الوَرَقَ وَيَخْصِفَانِ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ»، ﴿سَوۡءَٰتِهِمَا﴾ [طه: 121]: «كِنَايَةٌ عَنْ فَرْجِهِمَا»، ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: 36]: «هَا هُنَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الحِينُ عِنْدَ العَرَبِ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى مَا لا يُحْصَى عَدَدُهُ»،

(﴿يَخۡصِفَانِ﴾: **«أَخْذُ الخِصَافِ مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ، يُؤَلِّفَانِ الوَرَقَ وَيَخْصِفَانِ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ»**) أشار به إلى ما في قوله تَعالَى: ﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأعراف: 22] ثم فسَّر يخصفان بقوله أخذ آدم وحواء عليهما السلام الخصاف وهو بكسر الخاء المعجمة وتخفيف الصاد المهملة جمع خصفة بالتحريك وهي الحلة التي تعمل من الخوص للتمر ويجمع على خصف أَيْضًا بفتحتين وقوله يؤلفان الورق أي: ورق الشجرة(1). ويخصفان يعني: يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما يقال خصفت النعل أي: خرزته. وكذلك الاختصاف ومنه قرأ الحسن يخصفان بالتشديد أدغم التاء في الصاد وما ذكره هو تفسير أَبِي عُبَيْدَةَ وروى الطَّبَرِيّ عن مجاهد فِي قَوْلِهِ يخصفان أي: يرقعان كهيئة الثوب.

(﴿سَوۡءَٰتِهِمَا﴾: **«كِنَايَةٌ عَنْ فَرْجِهِمَا»**) أشار بهذا إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: 22] وفسر السوء بأنه كناية عن الفرج وكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ وقوله عن فرجهما بالإفراد ويروى فرجيهما بالتثنية والضمير يرجع إلى آدم وحواء عليهما السلام(2).

(﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾: **«هَا هُنَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الحِينُ عِنْدَ العَرَبِ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى مَا لا يُحْصَى عَدَدُهُ»**) أشار بذلك إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: 36] ثم فسر الحين بأنه إلى يوم القيامة وكذا رواه الطَّبَرِيّ بإسناده عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وأشار بقوله والحين عند العرب إلى آخره إلى أن لفظ الحين يستعمل في معان كثيرة وهو في الأصل بمعنى الوقت مُطْلَقًا والمراد ههنا يوم القيامة.

---

(1) قيل كان ورق التين.

(2) وذلك كان عند أكل الشجرة فإنهما لمَّا أكلا منها تهافت عنهما لباسهما وظهرت عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم وغيرهما وفي اللباس كان نورًا أو حلة أو ظفرًا.

﴿وَقَبِيلُهُ﴾ [الأعراف: 27]: «جِيلُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ».

3326 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا،

(﴿وَقَبِيلُهُ﴾: «جِيلُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ») أشار بهذا إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ [الأعراف: 27] ثم فسر قبيله أي: قبيل الشيطان بأنه جيله بكسر الجيم أي: جماعته الذي هو أي: الشيطان منهم وروى الطَّبَرِيّ عن مجاهد فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ قَالَ الجن والشياطين هذا قَالَ الْكِرْمَانِيّ وأمثال هذه تكثير لحجم الكتاب لا تكثير للفوائد والله أعلم بمقصوده.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: لا يخلو عن زيادة فائدة ولكن كتابه موضوع لبيان الْأَحَادِيث لا لبيان اللغات لألفاظ القرآن والله تَعَالَى أعلم.

(حَدَّثَنِي) بالإفراد (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) هو المعروف بالمسندي قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) أي: ابن همام الصنعاني اليماني، (عَنْ مَعْمَرٍ) هو ابن راشد، (عَنْ هَمَّامٍ) ابن منبه الأنباري الصنعاني أخي وهب بن منبه، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا) الواو للحال قَالَ ابن التين: المراد ذراعنا لأن ذراع كل واحد مثل ربعه ولو كانت بذراعه لكانت يده قصيرة في جنب طول جسمه كالإصبع والظفر.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: يحتمل أن يريد بقدر ذراع نفسه ويحتمل أن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين والأول أظهر لأن ذراع كل أحد بقدر ربعه فلو كان الذراع المعهود لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده انتهى.

فتأمل في التوفيق بين كلام الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وبين كلام ابن التين.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: إن الله يعيد أهل الجنة إلى خلقهم الأصلي الذي هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى صفته وطوله الذي خلقه الله عليه في الجنة وكان طوله فيها ستين ذراعا في الارتفاع بذراع نفسه.

قَالَ: ويحتمل أن يكون هذا الذراع مقدرا بأذرعتنا المتعارفة عندنا. وقيل إنه كان يقارب أعلاه السماء وأن الملائكة كانت تتأذى بنفسه فخفضه إلى ستين ذراعًا وظاهر الحديث خلافه.

ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ،

وروى ابن جرير من حديث عطاء بن أَبِي رباح قَالَ لما أهبط اللّه آدم من الجنة كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ويأنس إليهم فهابته الملائكة حتى شكت إلى اللّه ذلك في دعائها فخفضه اللّه إلى الأرض قاله قَتَادَة وأبو صالح عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وأبو يَحْيَى القتات عن مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وَأَخْرَجَهُ ابن أَبِي شيبة في كتابه العرش من حديث طلحة بن عمرو والحضرمي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا. وروى أحمد من حديث سَعِيد بن المسيب عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا كان طول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ستين ذراعًا في سبعة أذرع عرضًا.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وأما ما روى عبد الرزاق من وجه آخر مَوْقُوفًا أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما هبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فحطه اللّه ستين ذراعًا فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء خلقه وظاهر الحديث الصحيح أنه خلق في ابتداء الأمر على طول ستين ذراعًا وهو المعتمد وروى ابن أَبِي حاتم بإسناد حسن عن أُبَي بن كعب رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا أنَّ اللّه خلق آدم رجلًا طوالًا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق.

(ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلائِكَةِ) وهذا هو أول مشروعية السلام وهو دال على توكيده وإفشاؤه سبب للمحبة الدينية ودخول الجنة العلية.

وقد قيل بوجوبه حكاه الْقُرْطُبِيّ.

ويؤخذ منه أن الوارد على جلوس يسلم عليهم والأفضل تعريفه فإن نكره جاز.

(فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ) به من التحية ويروى ما يجيبونك من الإجابة.

(تَحِيَّتُكَ) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هذا تحيتك (وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ) أي: من بعدك.

(فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ) وفيه الزيادة في الرد على الابتداء ولا يشترط في الرد الإتيان بالواو.

فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ».

3327 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ....

(**فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ**) أي: كل من يرزقه اللّه تَعَالَى دخول الجنة يدخلها وهو في صورة آدم وصفته في الحسن والجمال ولا يدخل على صورته التي كان عليها من السواد إن كان من أهل الدنيا السود ولا يدخل أَيْضًا على صورته التي كان عليها بوصف من العاهات والنقائص.

وزاد عبد الرزاق في روايته هنا وطوله ستون ذراعًا وإثبات الواو فيه لئلا يتوهم أن قوله طوله ستون ذراعًا تفسير لقوله على صورة آدم وعلى هذا فقوله وطوله ستون ذراعًا من ذكر الخاص بعد العام.

(**فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ**) أي: من طوله (**حَتَّى الآنَ**) يعني أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله فانتهى تقاصر الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك وهو معنى قوله حتى الآن.

وَقَالَ ابن التين: قوله فلم يزل الخلق ينقص أي: كما يزيد الشخص شَيْئًا فشيئًا ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام يتبين فكذلك هذا الحكم في النقص. ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السابقة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قامتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق ولا شك أن عهدهم قديم وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة واللّه تَعَالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة لا سيما إذا كان المراد بالخليقة في الآية المذكورة هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الاستئذان أَيْضًا. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في صفة الجنة.

(**حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا جَرِيرٌ**) بفتح الجيم هو ابن عبد الحميد، (**عَنْ عُمَارَةَ**) بضم العين هو ابن القعقاع، (**عَنْ أَبِي زُرْعَةَ**) بضم الزاي وسكون الراء واسمه هرم وقيل عَبْد اللّه وقيل: عبد الرحمن البجلي الكوفي، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُم الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ**) بفتح الهمزة والشين المعجمة وتشديد الدال.

(**دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ**) وفي الحديث الماضي في باب صفة الجنة ولا يبصقون بدل قوله ولا يتفلون، (**وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُم الأَلُوَّةُ**) بفتح الهمزة وضمها وبضم اللام وتشديد الواو.

(**الأَنْجُوجُ**) بفتح الهمزة وسكون النون وضم الجيم وفي آخره جيم أخرى وفي رواية أَبِي ذَرٍّ ويقال النجوج بفتح الهمزة واللام وسكون النون والباقي مثل الأول.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وفيه لغتان أخريان النجج وينجج فلفظ الأنجوج تفسير الألوة وقوله.

(**عُودُ الطِّيبِ**) أي: العود الذي يتبخر به الأنجوج فيكون تفسير التفسير.

(**وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ**) بفتح الخاء لا بضمه وكذا قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ، وَقَالَ الْعَيْنِيّ: تبعًا للكرماني بفتح الخاء وضمها وهو خبر مبتدأ محذوف أي: هم على خلق رجل واحد.

(**عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ**) وَقَالَ في الأول على صورة القمر والتوفيق بينهما أن الكل على صورة آدم في الطول والخلقة وبعضهم في الحسن كصورة القمر نورًا وإشراقًا[1].

---

(1) ويقال الزمرة الأولى هم على صورة القمر وغيرهم على خلق واحدٍ فافهم.

سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»[1].

3328 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ الغَسْلُ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ المَاءَ» فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ: تَحْتَلِمُ ....

(سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ) أي: في العلو والارتفاع ويسمى كل ما علاك سماء والحديث قد مضى في باب ما جاء في صفة الجنة ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ على صورة أبيهم آدم.

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو ابن سَعِيد القطان، (عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ) هي هند بنت أَبِي أمية.

(أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ) هي أم أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ، لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ الغَسْلُ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ المَاءَ» فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ: تَحْتَلِمُ

---

(1) قال الحافظ: الألنجوج بفتح الهمزة واللام وسكون النون بجيمين. الأولى مضمومة والواو ساكنة هو العود الذي يتبخر به، ولفظ الألنجوج ههنا تفسير الألوة والعود تفسير التفسير، اهـ.
قال القسطلاني: الألوة بفتح الهمزة وضم اللام وتشديد الواو، فإن قلت أي حاجة في الجنة إلى البخور وريحهم أطيب من المسك، أجيب بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم، فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن نتن وإنما هي لذات متوالية ونعم متتابعة، اهـ.
ثم لا يذهب عليك أن ما وقع في حديث الباب من قوله: «ستون ذراعًا» قال الحافظ في شرحه: يحتمل أن يريد بقدر ذراع نفسه ويحتمل أن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، والأول أظهر لأن ذراع كل أحد بقدر ربعه فلو كان بالذراع المعهود لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده، اهـ.
وتعقب عليه السندي فقال: الظاهر بالذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، وقيل بذراع نفسه وهو مردود بأن الحديث مسوق للتعريف وهذا رد إلى الجهالة لأن حاصله أن ذراعه جزء من ستين جزءًا للطول ويتصور في طويل غاية الطول وقصير غاية القصر وبأن ذراع كل أحد مثل ربعه فلو كان ستين ذراعًا بذراع نفسه لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده جدًّا، ويلزم منه قبح الصورة وعدم اعتدالها وأن يكون عديم المنافع المعدة لها اليدان واللَّه تعالى أعلم، وقد وقع ههنا في عبارة الحافظ ابن حجر سهو وتبعه القسطلاني في ذلك، واللَّه تعالى أعلم، اهـ.

المَرْأَةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «فَبِمَا يُشْبِهُ الوَلَدُ».

3329 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ، أَخْبَرَنَا الفَزَارِيُّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ سَلامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ ....

المَرْأَةُ؟) في معنى الاستفهام.

(**فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «فَبِمَا يُشْبِهُ الوَلَدُ»**) ويروى فيم دون الألف أي: لولا أن لها نطفة وماء فبأي سبب يشبهها ولدها.

وقد مضى الحديث في كتاب الغسل.

ومطابقته للترجمة وفي قوله فيما يشبه الولد.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ**) بتخفيف اللام قَالَ: (**أَخْبَرَنَا الفَزَارِيُّ**) بفتح الفاء وتخفيف الزاي وبالراء هو مروان بن معاوية، (**عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ سَلامٍ**) نصب على أنه مفعول بلغ وقوله: (**مَقْدَمُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ**) مرفوع على الفاعلية وهو مصدر ميمي بمعنى القدوم.

(**المَدِينَةَ**) نصب على الظرفية.

(**فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ**) أي: عن ثلاث مسائل: (**لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟**) أي: علاماتها وهو جمع شرط بفتح الراء وسميت شرط السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها هكذا قَالَ أَبُو عبيد.

وحكى الْخَطَّابِيّ عن بعض أهل اللغة: أنه أنكر هذا التفسير وَقَالَ: أشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار أمورها أن تقوم الساعة وشرط السلطان نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من خبرة.

وَقَالَ ابن الأعرابي: هم الشرط والنسبة إليه شرطي والشرطة والنسبة إليهم شرطي وفي دلائل النبوة للبيهقي سأله عن السواد الذي في القمر بدل أشراط الساعة وفي آخره لما قالت اليهود ما قالوا في ابن سلام ثانيًا بعد الأولى قَالَ ﷺ: «**أجزنا الشهادة الأولى وأما هذه فلا**».

وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا» قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ؟» قَالُوا أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْبَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، ....

(**وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟**) أي: يشبه أباه ويذهب إليه، (**وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ**) زيادة الكبد هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبها وهي في غاية اللذة وقيل هي أهنأ طعام وأمراه.

(**وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ**) أي: إذا جامعها، (**فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ**) بضم الباء الموحدة وبضم الهاء وسكونها جمع بهوت وهو كثير البهتان ويقال بهت أي: كذابون ممارون لا يرجعون إلى الحق.

(**إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ؟» قَالُوا أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْبَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا**) أفعل التفضيل من الخير وهذا دليل من قَالَ إن أفعل التفضيل من الخير قد يستعمل بلفظ الأخير ويروى أَخْبَرَنَا بالباء الموحدة بدل الياء المثناة من الخبرة.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ(1).

3330 - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ....

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ) ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله وأما الشبه إلى قوله كان الشبه لها لأنه في الذرية والترجمة في خلق آدم وذريته. **(حَدَّثَنَا بِشْرُ)** بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة **(ابْنُ مُحَمَّدٍ)** **أَبُو مُحَمَّد**

(1) قال الحافظ: قوله فاسألهم وفي رواية الفزاري عن حميد عند النسائي إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، اهـ.
ولا يذهب عليك أن ما في الحديث من قصة نزع الولد لم يتعرض له الشيخ وقد أجاد الحافظ الكلام على ذلك فقال قوله نزع الولد بالنصب على المفعولية أي: جذبه إليه، وفي رواية الفزاري كان الشبه له ووقع عند مسلم من حديث عائشة إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله، ونحوه للبزار عن ابن مسعود وفيه ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما أعلى كان الشبه له، والمراد بالعلو ههنا السبق لأن كل من سبق فقد علا شأنه فهو علو معنوي، وأما ما وقع عند مسلم من حديث ثوبان رفعه «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلًا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن اللَّه، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن اللَّه» فهو مشكل من جهة أنه يلزم من اقتران الشبه للأعمام إذا علا ماء الرجل ويكون ذكرًا لا أنثى وعكسه، والمشاهد خلاف ذلك لأنه قد يكون ذكرًا ويشبه أخواله لا أعمامه وعكسه، قال القرطبي: بتعين تأويل حديث ثوبان بأن المراد بالعلو السبق، قلت والذي يظهر ما قدمته وهو تأويل العلو في حديث عائشة، وأما حديث ثوبان فيبقى العلو فيه على ظاهره فيكون السبق علامة التذكير والتأنيث، والعلو علامة الشبه فيرتفع الإشكال، وكان المراد بالعلو الذي يكون سبب الشبه بحسب الكثرة بحيث يصير الآخر مغمورًا فيه بذلك يحصل الشبه وينقسم ذلك ستة أقسام:
الأول: أن يسبق ماء الرجل ويكون أكثر فيحصل له الذكورة والشبه.
والثاني: عكسه.
والثالث: أن يسبق ماء الرجل ويكون المرأة أكثر فتحصل الذكورة والشبه للمرأة.
والرابع: عكسه.
والخامس: أن يسبق ماء الرجل ويستويان فيذكر ولا يختص بشبه.
والسادس: عكسه، اهـ.

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، نَحْوَهُ يَعْنِي «لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ»

المروزي قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ**) هو ابن المبارك المروزي قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، نَحْوَهُ**) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: لم يسبق للمتن المذكور طريق يعود عليها هذا الضمير فكأنه يشير به إلى أن اللفظ الذي حدثه به شيخه هو بمعنى اللفظ الذي ساقه.

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأنه ما فيه كفاية للمقصود ولا له التئام من جهة المعنى والتركب لأن الذي يذوق دقائق التركيب لا يرضى بهذا الذي ذكره بل الظاهر أن ههنا وقع سقوط جملة لأن لفظة نحوه أو مثله لا يذكر إلا إذا مض حديث بسند ومتن ثم إذا أريد إعادته بذكر سند آخر يذكر سنده ويذكر عقيبه لفظ نحوه أو مثله أي: نحوه المذكور ولا يعاد ذكر المتن اكتفاء بذكر السند فقط لأن لفظ نحوه ينبئ عن ذلك.

والذي يظهر لي بالحدس أن الْبُخَارِيّ روى قبل هذا عن مُحَمَّد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن رَسُول اللَّه ﷺ لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر ثم رواه عن بشر بن مُحَمَّد عن عَبْد اللَّه عن معمر عن همام عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن النَّبِيّ ﷺ ثم قَالَ نحوه أي: نحو الحديث المذكور ثم فسر ذلك بقوله يعني لولا بنو إسرائيل إلى آخره.وإنما ذكر لفظ يعني إشارة إلى أن المتن الذي ذكره عَبْد اللَّه بن المبارك عن معمر يغاير المتن الذي رواه عبد الرزاق عن معمر ببعض زيادة وهو قوله لم يخبث الطعام وفي آخره لفظ الدهر.

وسيأتي عند الْبُخَارِيّ هذه الرواية عن رواية عبد الرزاق عن معمر بهذا اللفظ في ذكر مُوسَى عليه الصلاة والسلام.

(**يَعْنِي لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ**) بالخاء المعجمة وكسر النون وبالزاي أي: لم ينتن ويقال أَيْضًا خنز بكسر النون يخنز بفتحها من باب علم يعلم والأول من باب ضرب يضرب والخنز التغير والنتن ويقال خزن يخزن على القلب مثل جذب وجبذ.

وَلَوْلا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا».

وَقَالَ ابن سيدة: خنز اللحم والتمر والجوز خنوزا فهو خنز إذا فسد. وعن قَتَادَة كان المن والسلوى يسقط على بني إسرائيل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كسقوط الثلج فيؤخذ منه بقدر ما يغني ذلك اليوم إلا يوم الجمعة فإنهم يأخذون له وللسبت فإن أخذوا أكثر من ذلك فسد ما ادخروا فكان ادخارهم فسادا للأطعمة عليهم وعلى غيرهم.

وقيل: لما نزلت المائدة عليهم أمروا أن لا يدخروا فادخروا.

وقيل: يحتمل أن يكون من اعتدائهم في السبت وقيل كان سببه أنهم أمروا بترك ادخار السلوى فادخروه حتى أنتن فاستمر نتن اللحوم من ذلك الوقت أو لما صار الماء في أفواههم دما وأنتنوا بذلك سرى ذلك إلى اللحم وغيره عقوبة لهم.

وفي الحلية لأبي نعيم عن وهب بن منبه قَالَ: وجدت في بعض الكتب عن الله عز وجل لولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء.

وَقَالَ القاضي البيضاوي: لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى خنز لما ادخر فلم يخنز. وقيل لم يكن اللحم يخنز حتى منع بنو إسرائيل عن ادخاره فلم ينتهوا عنه فأخنز ما ادخروه عقوبة لهم.

(**وَلَوْلا حَوَّاءُ**) بالمد سميت بذلك لأنها أم لكل حي أو لأنها خلقت من ضلع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ القصرى اليسرى وهو حي قبل دخوله الجنة وقيل فيها. ومعنى خلقت أخرجت كما خرجت النخلة من النواة ومعنى لولا حواء.

(**لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا**) أنها دعت آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الأكل من الشجرة وذكر الماوردي أنها البر.

وقيل: التين.

وقيل: الكافور.

وقيل: الكرم.

وقيل شجرة الخلد التي كانت الملائكة تأكل منها.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: إشارة إلى ما وقع من حواء من تزينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع ذلك فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته

3331 - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، وَمُوسَى بْنُ حِزَامٍ، قَالا: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ مَيْسَرَةَ الأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ،

لآدم ولما كانت أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة يسلم من خيانتها زوجها بالفعل والقول.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن خلق حواء عليها السلام مضاف إلى خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ**) بضم الكاف على صيغة التصغير واسمه مُحَمَّد بن العلاء.

(**وَمُوسَى بْنُ حِزَامٍ**) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الزاي أَبُو عمران التِّرْمِذِيّ العابد نزل بلخ وثقه النَّسَائِيّ وغيره وكان زاهدًا عالمًا بالسنة وليس له في الْبُخَارِيّ إلا هذا الموضع.

(**قَالا: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ**) أي: ابن الوليد أَبُو عَبْد اللَّه الجعفي، (**عَنْ زَائِدَةَ**) هو ابن قدامة بضم القاف وتخفيف الدال المهملة أَبُو الصلت الثقفي، (**عَنْ مَيْسَرَةَ**) ضد الميمنة هو ابن عمارة (**الأَشْجَعِيِّ**) الكوفي وليس له في الْبُخَارِيّ سوى هذا الحديث وقد ذكره في النكاح من وجه آخر وله حديث آخر في تفسيره آل عمران.

(**عَنْ أَبِي حَازِمٍ**) بالمهملة والزاي واسمه سلمان الأشجعي الغطفاني.

(**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**) خيرًا أي: تواصوا أيها الرجال في حق النساء بالخير ويجوز أن تكون الباء للتعدية والاستفعال بمعنى الإفعال كالاستجابة بمعنى الإجابة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ ويستجيب الذين آمنوا.

وَقَالَ البيضاوي: الاستيصاء قبول الوصية أي: أوصيكم بهن خيرا فاقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها واصبروا عليهنَّ وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن.

وَقَالَ الطيبي: السين للطلب مبالغة أي: اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن بخير.

وَقَالَ غيره: استفعل على أصله وهو طلب الفعل فيكون معناه اطلبوا الوصية

فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، ....

من غيركم بهن كمن يعود مريضًا فيستجيب له أن يحث المريض على الوصية والوصية بالنساء آكد لضعفهن واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن.

(**فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ**) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام مفرد الضلوع ويجوز تسكين اللام.

أَعْوَجَ أي: أخرجت كما تخرج النخلة من النواة وفيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر. وقيل من ضلعه القصير وجعل مكانه لحم[1] وذلك أن اللّه تَعَالَى لما أسكن آدم الجنة أقام مدة فاستوحش فشكا إلى اللّه الوحدة فنام فرأى في منامه امرأة حسناء ثم انتبه فوجدها جالسة عنده فَقَالَ من أنت فقالت حواء خلقني اللّه لتسكن إلي وأسكن إليك.

وَقَالَ مجاهد: إنما سميت المرأة امرأة لأنها خلقت من المرء وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ مقاتل بن سليمان: نام آدم نومة في الجنة فخلقت حواء من قصيراه من شقه الأيمن من غير أن يتألم ولو تألم لم يعطف رجل على امرأة أبدًا.

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: لأم اللّه تَعَالَى موضع الضلع لحمًا ولما رآها آدم قَالَ: أثاثيًا بالثاء المثلثة وهو سرياني وتفسيره بالعربية امرأة.

وَقَالَ الربيع بن أنس خلقت حواء من طينة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ واحتج بقوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2] والأول أصح لقوله تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: 189].

(**وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ**) قيل وفيه دلالة على أنها خلقت من ضلعه العليا لا من الضلع التي تلي الشاكلة كما قَالَ عطاء وفسره الْجَوْهَرِيّ على ما تقدم آنفًا[2].

---

(1) وروي ذلك عن ابن عباس رضي اللّه عنهما وقال الجوهري: هي الضلع التي تلي الشاكلة وتسمّى الواهنة.

(2) وفيه نظر ظاهر لا يخفى وقال العسقلاني فيه إشارة إلى أنَّ أعوج ما في المرأة لسانها وفي استعمال أعوج استعمال لأفعل في العيوب؛ وهو شاذ؛ وفائدة هذه المقدمة أنَّ المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكسر اعوجاجها أو الإشارة إلى أنها لا تقبل الإقامة كما أنَّ الضلع لا تقبلها.

فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ».

3332 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ،

(**فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ**) قيل هو ضرب مثل للطلاق أي: إن أردت منها أن تترك اعوجاجها أمضى الأمر إلى طلاقها ويؤيده قوله فِي رِوَايَةِ الأعرج عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن مسلم وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وقيل الحديث لم يذكر فيه النساء إلا بالتمثيل بالضلع والاعوجاج الذي في أخلاقهن منه لأن الضلع عوجاء فلا يتهيأ الانتفاع بهن إلا بالصبر على اعوجاجهن.

وقيل: الصواب في أعلى وفي تقيمه وفي كسرته وفي تركته التأنيث لأن الضلع مؤنث وكذا يقال لم تزل عوجاء ولهذا جاء فِي رِوَايَةِ مسلم المذكور بهاء التأنيث وأجيب بأن التذكير يجوز في المؤنث الذي ليس بزوج.

(**وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**) ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه لما كان مشتملًا على بعض أحوال النساء وهن من ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ والترجمة مشتملة على الذرية وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في النكاح أَيْضًا وكذا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في النكاح وَالنَّسَائِيّ في عشرة النساء.

(**حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ**) أي: ابن غياث قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبِي**) هو حفص بن غياث قَالَ: (**حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ**) سليمان بن مهران قَالَ: (**حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ**) الجهني هاجر إلى رَسُول اللَّه ﷺ ولم يدركه مات سنة ست وسبعين قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ**) هو ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: (**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ،**

فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ».

3333 - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ؟، أَمْ يَا رَبِّ أُنْثَى؟، يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ) فَيَدْخُلَهَا وفي رواية: (**فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ**).

(**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ**) والحديث قد مضى في باب ذكر الملائكة ومر الكلام فيها هناك مستوفى.

ومطابقته للترجمة من حيث أن فيه بيان كيفية خلق بني آدم وهم ذريته والترجمة في خلق آدم وذريته.

(**حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ**) هو مُحَمَّد بن الفضل السدوسي قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا**) أي: يصورها بصورة إنسان.

(**قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ؟، أَمْ يَا رَبِّ أُنْثَى؟، يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**) ولم يذكر في هذه الرواية العمل لأنه يعلم التزامًا من ذكر السعادة والشقاوة، فإن قيل: إذا كان الملك موكلًا بالرحم فما معنى البعث في الرواية الأخرى؟

فالجواب: هو ملك آخر والمراد بالبعث الأمر بها فإن قيل قضاء اللّه أزلي فما وجه الكتابة حينئذ فالجواب معنى يكتب يظهر اللّه ذلك للملك ويأمره بإنفاذه

3334 - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الحَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، يَرْفَعُهُ: «أَنَّ اللّٰهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلا الشِّرْكَ».

3335 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ مُرَّةَ،

وكتابته وقالوا المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ومن لطف اللّٰه تَعَالَى لعباده أن انقلاب الحال من الشر إلى الخير كثير وأما العكس فهو في غاية القلة فإن رحمته سبقت غضبه.

(حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ) هو أَبُو مُحَمَّد الدارمي البَصْريّ مات سنة سبع وعشرين ومائتين وهو من أفراده قَالَ: (حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الحَارِثِ) أي: ابن سليم أَبُو عثمان الهجيمي البَصْريّ (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) ابن الحجاج (عَنْ أَبِي عِمْرَانَ) عبد الملك بن حبيب (الجَوْنِيِّ) بفتح الجيم وسكون الواو وبالنون، (عَنْ أَنَسٍ) ابن مالك رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ (يَرْفَعُهُ) أي: يرفع أنس الحديث إلى رَسُول اللّٰه ﷺ وهو لفظة يستعملها المحدثون في موضع قَالَ رَسُول اللّٰه ﷺ ونحو ذلك: (أَنَّ اللّٰهَ يَقُولُ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا) أي: لأيسر أهلها من حيث العذاب يقال إنه أَبُو طالب.

(لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟) ويروى أكنت تفتدي به بهمزة الاستفهام على سبيل الاستخبار وقوله تفتدي من الافتداء وهو خلاص نفسه من الذي وقع فيه بدفع ما يملكه.

(قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلا الشِّرْكَ) أي: امتنعت إلا الشرك.

ومطابقته للترجمة من حيث أن المذكور فيه من جملة ما يجري على أهل النار وهم من ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في صفة النار أَيْضًا. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في التوبة.

(حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) هو حفص بن غياث قَالَ: (حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ مُرَّةَ) بضم الميم

عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا، إِلا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ».

وتشديد الراء، (عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن مَسْعُود (رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: لا تُقْتَلُ نَفْسٌ) على البناء للمفعول (ظُلْمًا) نصب على التميز والمراد بالنفس نفس بني آدم.

(إِلا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ) هو آدم النَّبِيّ عليه الصلاة والسلام (كِفْلٌ) بكسر الكاف وإسكان الفاء وهو النصيب والجزء وَقَالَ الخليل الكفل من الأجر والإثم هو الضعف وفي التنزيل: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: 85].

وأما قوله تَعَالَى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: 28] فلعله من تغليب الخير.

(مِنْ دَمِهَا، لأَنَّهُ) أي: لأن ابن آدم الأول (أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ) أي: على وجه الأرض من بني آدم فإن قيل قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164] وأجيب بأن هذا جزاء تأسيس وهو فعل نفسه ثم إن المراد من الابن هنا قول قابيل وقد قتل أخاه هابيل وكان عمره عشرين سنة وعمر قابيل خمسًا وعشرين سنة.

وَقَالَ الطَّبَرِيّ وأهل العلم مختلفون في اسم القاتل فبعضهم يقول هو قين ابن آدم وبعضهم يقول هو قاين بن آدم وبعضهم يقول هو قابيل وهو المشهور، واختلفوا أَيْضًا في سبب قتله هابيل فَقَالَ عَبْد اللّه بْن عُمَر إن اللّه أمر ابني آدم أن يقربا قربانًا فقرب هابيل أكرم غنمه وكان صاحب الغنم والضرع وقرب قابيل أردأ قمح عنده وكان صاحب الحرث والزرع فقبل اللّه قربان الأول[1].

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل فتنزل نار فتأكل القربان المقبول عند اللّه فنزلت نار فأكلت قربان هابيل دون قابيل وكان ذلك سبب الشر بينهما.

---

(1) ويروى بينما هما قاعدان إذ قالا لو قرّبنا فقرّبا قُرْبانًا فتقبل من أحدهما.

وحكى السُّدِّيّ عن أشياخه عن مجاهد وسعيد بن جُبَيْر وعطاء وغيرهم عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ كانت حواء تلد توأمًا في كل بطن غلامًا وجارية إلا شيثًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه ولدته مفردًا فلما كان بعد مائة سنة من هبوط آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الدنيا ولدت قابيل وتوأمته إقليما ثم هابيل وتوأمته ليودا وكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يزوج ابنه أخته التي أخته التي لم تكن توأمه فلما بلغ قابيل وهابيل أمر اللّه تَعَالَى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يزوج قابيل ليودا أخت هابيل ويزوج هابيل إقليما أخت قابيل وكانت من أجمل النساء وأحسنهن فلم يرض قابيل فَقَالَ: أنا أحق بأختي فَقَالَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قربا قربانًا وكان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب غنم فقرب قابيل صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه وَقَالَ ما أبالي أيقبل مني أم لا بعد أن لا يتزوج أختي هابيل وقرب هابيل كبشًا سمينًا من خيار غنمه ولبنًا وزبدًا وأضمر في نفسه الرضا باللَّه تَعَالَى وكان القربان إذا قبل تنزل من السماء نار بيضاء فتأكله فنزلت نار فأكلت قربان هابيل ولم تأكل من قربان قابيل شَيْئًا فأحد قابيل في نفسه حتى قتل هابيل.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: لم يزل الكبش يرعى في الجنة حتى فدى به إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ واختلفوا أَيْضًا في أي: موضع كان القربان فعامة العلماء على أنه كان بالهند.

واختلفوا أَيْضًا في كيفية قتله فَقَالَ ابن جريج إنه أتاه وهو نائم فلم يدر كيف يقتله فأتاه شيطان متمثلا فأخذ طيرًا فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر إليه ففعل بهابيل كذلك.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: رماه بحجر فقتله.

وروى مجاهد عنه أنه رضخ رأسه بصخرة. وعن الربيع أنه اغتاله فقتله. وقيل خنقه وقيل ضربه بحديدة فقتله، واختلفوا أَيْضًا في موضع مصرعه فعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا على جبل ثور.

وعن جعفر الصادق بالبصرة مكان الجامع.

وعن الطَّبَرِيّ على عقبة حراء. وعن المسعودي قتله بدمشق.

وكذا قَالَ الْحَافِظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فَقَالَ كان قابيل يسكن خارج باب الجابية وأنه قتل أخاه على جبل قاسيون عند مغارة الدم. وقال كعب الدم الذي على قاسيون هو دم ابن آدم.

وَقَالَ سبط ابن الجوزي: والعجب من هذه الأقوال وقد اتفق أرباب السير أن الواقعة كانت بالهند وأن قابيل اغتنم غيبة أبيه بمكة فما الذي أتى به إلى جبل ثور وحراء؟ وهما بمكة وما الذي أتى به إلى البصرة ولم تكن أسست وأين الهند ودمشق والجابية؟ وهل وضعت التواريخ إلا ليتميز الصحيح والسقيم والسالم والسليم اللّهم غفرًا.

وقد روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه قتله على جبل فوذ بالهند وهذا هو الصحيح وحكى الثعلبي عن معاوية بن عمار سألت الصادق أكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يزوج ابنته من ابنه؟ فَقَالَ معاذ اللّه وإنما لما هبط إلى الأرض ولدت حواء بنتها فسماها عناقًا وهي أول من بغى على وجه الأرض فسلط اللّه عليها من قتلها فولدت على أثرها قابيل فلما أدرك أظهر اللّه له جنية يقال لها حمامة فأوحى اللّه إليه أن زوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط اللّه من الجنة حوراء اسمها بذلة فأوحى اللّه إليه أن زوجها منه فأعتب قابيل على أبيه وَقَالَ أنا أسن منه وكنت أحق بها قَالَ يا بني إن اللّه أوحى إليَّ بذلك فقربا قربانًا فكان ما كان، فأصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته سنة أو أكثر وتلمذه للغراب اسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين على ما قيل.

روي أنه لما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح أي: أنتن وعلقت عليه السباع وتحير في أمره ولم يدر ما يصنع به إذ كان أول ميت من بني آدم فبعث اللّه غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة ففعل به كذلك وقد روي أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فَقَالَ ما كنت عليه وكيلًا فَقَالَ بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك.

2 ـ باب: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ

3336 - قَالَ: قَالَ اللَّيْثُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ،

وقيل إنه رثاه بشعر وهو قوله:

تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

وهو كذب بحت وما الشعر إلّا منحول ملحون وقد صح أن الْأَنْبِيَاء معصومون من الشعر ذكره صاحب الكشاف واللّه تَعَالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن القاتل فيه وهو قابيل هو ابن آدم من صلبه وهو داخل في الذرية.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الديات. والاعتصام أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الحدود، وَالتِّرْمِذِيّ في العلم، وَالنَّسَائِيّ في التفسير والمحاربة. وابن ماجة في الديات.

2 ـ باب: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ

(باب) بالتنوين (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ) سيأتي تفسير هذا القول وكذا أثبتت هذه الترجمة في معظم الروايات وهي متعلقة بترجمة خلق آدم وذريته للإشارة إلى أنهم ركبوا من الأجسام والأرواح.

(قَالَ) أي: الْبُخَارِيّ (وَقَالَ اللَّيْثُ) هو ابن سعد، (عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ) الأَنْصَارِيّ، (عَنْ عَمْرَةَ) بنت عبد الرحمن، (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أنها (قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيّ ﷺ، يَقُولُ: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ) الأرواح جمع روح وهو الذي يقوم به الجسد ويكون به الحياة وقوله جنود مجندة.

قَالَ النووي: معناه جموع مجتمعة وأنواع مختلفة وقيل أي: أجناس مجنسة وفي هذا دليل على أن الأرواح ليست بأعراض فإنها كانت موجودة قبل الأجساد وأنها تبقى بعد فناء الأجسام ويؤيده أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر.

(فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ) قيل تعارفها موافقة صفاتها التي خلقها اللّه تَعَالَى

وتناسبها في أخلاقها وقيل إنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافق قسيمه ألفه ومن باعده نافره وهذا معنى قوله.

(**وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**) وَقَالَ الْخَطَّابِيّ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر وأن الخير من الناس يحن إلى شكله والشرير يميل إلى نظيره والأرواح إنما تتعارف بضرائب طباعها التي جبلت عليها من الخير والشر فإذا اتفقت الأشكال تعارفت وتألفت وإذا اختلفت تنافرت وتناكرت.

والآخر: أنه روي أن اللّه خلق الأرواح قبل الأجساد وكانت تلتقي فلما التبست بالأجسام تعارفت بالذكر الأول فصار كل منها إنما يعرف وينكر على ما سبق له من العهد المتقدم.

وَقَالَ ابن الجوزي: إذا وجد أحدكم من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح يفتش عن الموجب لها فإنه ينكشف له فيتعين عليه أن يسعى في إزالة ذلك حتى يتخلص من ذلك الوصف المذموم.

وكذلك القول إذا وجد في نفسه ميلًا إلى من فيه شر وشبهه. وشاع في كلام الناس قولهم المناسبة تؤلف بين الأشخاص والشكل يألف شكله. وعن عمرة قالت كانت بمكة امرأة مزاحة فنزلت على امرأة مثلها بالمدينة فبلغ ذلك عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا فقالت صدق رَسُول اللّه ﷺ سمعته يقول الأرواح جنود مجندة الحديث ذكره أبو يعلى في مسنده.

ولما نزل علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللّه عَنْهُ على الكوفة قَالَ يا أهل الكوفة: قد علمنا خيّركم من شريركم فقالوا لِمَ ذلك أَقَالَ كان معنا ناس من الأخيار فنزلوا عند ناس فعلمنا أنهم من الأخيار وكان معنا ناس من الأشرار فنزلوا عند ناس فعلمنا أنهم من الأشرار وكان كما قَالَ الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وهذا التعليق وصله الْبُخَارِيّ في الأدب المفرد عن عَبْد اللّه بن صالح عن

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ بِهَذَا.

الليث ووصله الإسماعيلي من طريق سَعِيد بن أَبِي مريم عن يَحْيَى بن أيوب.

وقد رواه مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا قتيبة بن سَعِيد حدثنا عبد العزيز يعني ابن مُحَمَّد عن سهيل عن أبيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن رَسُول اللّه ﷺ قَالَ: «**الأرواح جنود مجندة**» الحديث.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وأما وجه مناسبة الترجمة بكتاب الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فلعله هو الإشارة إلى أن آدم وذريته مركب من الروح والبدن.

(**وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ**) هو الغافقي المصري.

(**حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ**) هو الذي مضى عن قريب (**بِهَذَا**) أي: بمثل هذا الحديث وقد وصله الإسماعيلي من طريق سَعِيد بن أَبِي مريم عن يَحْيَى بن أيوب كما نبهت عليه.

فائدة:

أورد الْبُخَارِيّ هذا الحديث من الطريقين بلا إسناد لأن عَبْد اللّه بن صالح ليس من شرط هذا الكتاب ولا يَحْيَى بن أيوب في الأصول وإنما أخرج له الْبُخَارِيّ في الاستشهاد وللمتن شاهد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن مسلم كما ذكرنا.

تتمة:

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: الأرواح وإن اتفقت في كونها أرواحًا لكنها تتمايز بأمور مختلفة تتنوع بها فتتشاكل أشخاص النوع الواحد وتتناسب بسبب ما اجتمعت فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة ولذلك نشاهد أشخاص كل نوع تألف نوعها وتنفرد من مخالفيها ثم إنا نجد بعض أشخاص النوع الواحد تتآلف وبعضها يتنافر وذلك بحسب الأمور التي يحصل الاتفاق والانفراد بسببها واللّه تَعَالَى أعلم.

3 ـ باب قَوْل اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: 25]

3 ـ باب قَوْل اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: 25]

(باب قَوْل اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾) أي: هذا باب معقود في قول اللّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: 25] وكذا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ ويؤيده ما وقع في الترجمة من شرح الكلمات اللاتي في [سورة هود] ونوح هو ابن لَمْك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف.

وقيل لَمَك بفتحتين وقيل لامك بفتح الميم وكسرها.

ويقال إنه بالعبرانية: لامخ بفتح الميم وآخره خاء معجمة.

وبالعربية: لَمْك.

وبالسريانية: لمخ وتفسيره متواضع ويقال: لمكان ويقال: ملكان بتقديم الميم على اللام.

وَقَالَ السهيلي: ولمك هو أول من اتخذ العود للغناء واتخذ مصانع الماء وهو ابن متوشلخ بضم الميم وقيل بفتحها وضم التاء المثناة الفوقية المشددة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة واللام وآخره خاء معجمة كذا ضبطه ابن المصري وضبطه أَبُو العباس عَبْد اللّه بن مُحَمَّد الناشئ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام وبالخاء المعجمة.

وَقَالَ السهيلي: بضم الميم وفتح التاء وسكون الواو ومنهم من ضبط آخره بالحاء المهملة ومعناه في الكل مات الرسول لأن أباه كان رسولًا وهو خنوخ بفتح الخاء المعجمة وضم النون وسكون الواو وآخره خاء معجمة أخرى ويقال بالحاء المهملة في أوله ويقال بالمهملتين.

ويقال: أخنوخ بزيادة همزة في أوله.

ويقال: أخنخ بإسقاط الواو ويقال أهنخ بالهاء بعد الهمزة ومعناه على الاختلاف بالعربية إدريس سمي به عَلَيْهِ السَّلَامُ لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث عليهما السلام وأدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثماني سنين وهو ابن يارد بالمثناة التحتية وفتح الراء كذا ضبطه أَبُو عمر.

وكذا ضبطه النسابة الجواني إلا أنه قَالَ بالذال المعجمة، وقيل يرد بفتح الياء وسكون الراء.

وَقَالَ ابن هشام: اسمه في التوراة يارد وهو عبراني وتفسيره ضابط واسمه في الإنجيل بالسريانية يرد وتفسيره بالعربي ضبط.

وقيل: اسمه رائد ولم يثبت وهو ابن مهلائيل بفتح الميم وسكون الهاء وبالهمزة وقد يقال بالياء بلا همزة ومعناه الممدوح.

وَقَالَ ابن هشام مهليل: بفتح الميم وسكون الهاء وكسر اللام وهو اسم عبراني وتفسيره بالعربية ممدوح.

وَقَالَ السهيلي: واسمه بالسريانية في الإنجيل نابل بالنون والباء الموحدة وتفسيره بالعربية مسيح اللّه وفي زمنه كان بدء عبادة الأصنام وهو ابن قينان بفتح القاف وسكون المثناة التحتية وبالنونين بينهما ألف ومعناه المستولي وجاء فيه قينن وقانن واسمه في الإنجيل ماقيان وتفسيره بالعربية عيسى وهو ابن أنوش بفتح الهمزة الممدودة وضم النون وآخره شين معجمة ومعناه الصادق.

ويقال إيناش بكسر الهمزة وهو في اللغة العبرانية وتفسيره بالعربية إنسان ويقال يانش بالمثناة التحتية ومعناه المستوفي وهو ابن شيث بكسر الشين المعجمة وسكون المثناة التحتية وآخره ثاء مثلثة ومعناه هبة اللّه ويقال عطية اللّه وهذا اسمه بالعبرانية وبالسريانية شاث بالألف موضع الياء.

وتوفي شيث عَلَيْهِ السَّلَامُ وعمره تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة ودفن مع أبويه آدم وحواء عليهما السلام في غار أَبِي قبيس وهو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة.

وكانت هناك خيمة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وضعها اللّه له من الجنة وكان أبوا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤمنين واسم أمه قسوش بنت بركائيل بن مخرائيل بن خنوخ.

وذكر الزمخشري: أن أم نوح شمخا بنت أنوش وأرسل اللّه نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث وهو ابن خمسين سنة.

وقيل: ابن ثلاثمائة وخمسين سنة.

وقيل: ابن ثمانين وأربعمائة سنة واختلفوا في مقامه على قولين:

أحدهما: بالهند قَالَ مجاهد.

والثاني: بأرض بابل والكوفة قاله الحسن البَصْريّ وَقَالَ ابن جرير كان مولده بعد وفاة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بمائة سنة وست وعشرين.

وَقَالَ مقاتل: بينه وبين آدم ألف سنة[1] وبينه وبين إدريس عليهما السلام مائة سنة وهو أول من بنى بعد إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ مقاتل: اسمه السكن.

وقيل: ساكن.

وَقَالَ السُّدِّيّ: إنما سمي سكنًا لأن الأرض سكنت به.

وقيل: اسمه عبد الغفار ذكره الطَّبَرِيّ وسمي نوحا لكثرة نوحه وبكائه.

ويقال: إن اللّه تَعَالَى أوحى إليه لم تنوح لكثرة بكائه فسمي نوحًا.

ويقال: إنه نظر يومًا إلى كلب قبيح المنظر فَقَالَ ما أقبح صورة هذا الكلب فأنطقه اللّه عز وجل قَالَ: يا سكن على من عبت على النقش أو على النقاش فإن كان على النقش فلو كان خلقي بيدي حسنته وإن كان على النقاش فالعيب عليه اعترض في ملكه فعلم أن اللّه تَعَالَى أنطقه فناح على نفسه وبكى أربعين سنة قاله السُّدِّيّ عن أشياخه ومات نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وعمره ألف سنة وأربعمائة سنة قاله ابن الجوزي في كتاب أعمار الأعيان.

وقيل: ألف وثلاثمائة سنة.

وقيل: ألف وسبعمائة وثمانون سنة[2] قيل إنه مات بقرية الثمانين وهي القرية التي بناها عند الجودي الذي أرسيت عليه السفينة وهي بقرب موصل بالشرق حكاه بن المأمون.

---

(1) وصحح ابن حبان من حديث أبي أُمامة رضي اللّه عنه أنَّ رجلًا قال: يا رسول اللّه أنبيًّا كان آدم؟ قال نعم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون.

(2) وقيل إنَّ مدة عمره ألف سنة إلَّا خمسين عامًا بعد البعثة، وأما قبل البعثة وبعد الغرق واللّه أعلم وقيل إنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ[1] : ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود: 27]: «مَا ظَهَرَ لَنَا»،

وَقَالَ ابن إِسْحَاق : مات بالهند على جبل برد.

وقيل : بمكة.

وَقَالَ عبد الرحمن بن سابط قبر هود وصالح وشعيب ونوح عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بين زمزم والركن والمقام وقيل مات ببابل وقيل ببلد بعلبك في البقاع قرية يقال لها الكرك فيها قبر يقال له قبر نوح ويعرف الآن بكرك نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ ابن كثير وأما قبره فروى ابن جرير والأزرقي أنه في المسجد الحرام وهذا أقوى وأثبت من الذي ذكره كثير من المتأخرين في أنه ببلدة بالبقاع تعرف بكرك نوح وقالوا ذكره اللّه في القرآن في مواضع فقيل في ثمانية وعشرين منها ما ذكره الْبُخَارِيّ من قوله باب قول اللّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ والآية في سورة هود قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ﴾ [هود: 25] بكسر الهمزة على إرادة القول وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الهمزة أي: بأنّي لكم نذير مبين أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: 26] بدل من إني لكم أو مفعول مبين ويجوز أن يكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا وبنذير ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: 26]، مؤلم: وهي في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب على طريقة جد حده ونهارك صائم للمبالغة وإنما ذكر الْبُخَارِيّ قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإن أول رسول بعثه اللّه إلى أهل الأرض من بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ إِسْحَاق لم يلق نبي من قومه من الأذى ما لقيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا نبي قتل.

(**قَالَ ابْن عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (﴿**بَادِىَ ٱلرَّأْيِ**﴾ «**مَا ظَهَرَ لَنَا**») وصله ابن أَبِي حاتم من طريق عطاء عنه أي: أول النظر قبل التأمل وهذا إشارة إلى ما فِي

---

(1) قال الرازي: قوله: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ هو الظاهر من قولك بدا الشيء إذا ظهر، وذكروا فيه وجوها:
الأول: اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه.
الثاني: يجوز أن يكون المراد اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي وما احتاطوا في ذلك الرأي وما أعطوه حقه من الفكر الصائب والتدبر الوافي.
الثالث: أنهم لما وصفوا القوم بالرذالة قالوا كونهم كذلك بادي الرأي أمر ظاهر لكل من يراهم، والرأي على هذا من رأي العين لا من رأي القلب، ويتأكد هذا التأويل بما نقل عن مجاهد أنه كان يقرأ: إلا الذين هم أراذلنا بادئ رأي العين، اهـ.

﴿أَقْلِعِي﴾ [هود: 44]: «أَمْسِكِي»، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40]: نَبَعَ المَاءُ ....

قَوْلِهِ تَعَالَى في سورة هود أَيْضًا عقيب الآية الأولى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: 27] لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: 27] أخساؤنا جمع أرذل بأنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر أو جمع أرذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدء والياء مبدلة من الهمز لانكسار ما قبلها وقرأ أَبُو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرفية على حذف المضاف أي: وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا كان الأحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا﴾ أي: ما نرى لك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾. إياك في دعوة النبوة وإياهم في دعوة العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين.

(﴿أَقْلِعِي﴾: «أَمْسِكِي») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى في سورة هود أَيْضًا ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود: 44] وفسر أقلعي بقوله أمسكي وكذا رواه علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وصله ابن أَبِي حاتم قَالَ القاضي نوديا بما ينادى به أولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلًا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالأمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشيته من اليم عقابه والبلع النشف والإقلاع الإمساك وعن الأمر الكف عنه.

(﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: نَبَعَ المَاءُ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: 40] وهو غاية لقوله: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ [هود: 38] وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40] ونبع الماء وارتفع كالقدر يفور والتنور تنور الخبز ابتداء منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الأرض أو أشرف موضع فيها وروي أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَجْهُ الأَرْضِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿الْجُودِيِّ﴾ [هود: 44]: جَبَلٌ بِالْجَزِيرَةِ، ﴿دَأْبِ﴾ [غافر: 31]: مِثْلُ حَالٌ.

وجعل لها ثلاثة بطون وحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أوسطها الإنس وفي أعلاها الطير. وحمل فيها أهله غير ابنه كنعان وأمه واعلة وكانا كافرين. روي أنهم كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة حام وسام ويافث ونساؤهم وسبعون رجلًا وامرأة من غيرهم. روي أنه كان إذا أراد أن تجري قَالَ بسم اللّه فجرت وإذا أراد أن ترسو قَالَ بسم اللّه فرست فكان ما كان.

(**وَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَجْهُ الأَرْضِ**) أي: قَالَ عِكْرِمَة مولى ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا التنور وجه الأرض كذا رواه ابن جرير من طريق أَبِي إِسْحَاق الشيباني عن عِكْرِمَة فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40] قَالَ وجه الأرض.

(**وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿الْجُودِيِّ﴾: جَبَلٌ بِالْجَزِيرَةِ**) أشار إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: 44] أي: نقص ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ أي: استقرت السفينة على الجودي وقد فسره بقوله جبل بالجزيرة وهي جزيرة ابْن عُمَر في الشرق ما بين دجلة والفرات.

وقد وصله ابن أَبِي حاتم من طريق ابن أَبِي نجيح عنه وزاد تشامخت الجبال يوم الغرق وتواضع هو لله تَعَالَى فلم يغرق ورست عليه سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ويقال هو جبل بالموصل. ويقال بالشام. ويقال ببابل. عن قَتَادَة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرًا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد أعتقه اللّه من الغرق وروي أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرًا للّه تَعَالَى فصار فرضًا ثم نسخت فريضيته بفرضية رمضان وبقي صومه سنة.

(**﴿دَأْبِ﴾: مِثْلُ حَالٌ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [غافر: 31] وفسر الدأب بالحال وهو العادة أَيْضًا وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد أَيْضًا.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ - ﴿مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ هذه الآية ليست موجودة في الكتاب عند أكثر الأصول وهي في سورة يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره مع قومه ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾ عظم عليكم وشق ﴿مَّقَامِي﴾ نفسي كقولك فعلت كذا المكان فلان. أو كوني وإقامتي بينكم مدة مديدة أو قيامي على الدعوة ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾ إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ وثقت به ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ [يونس 71] فاعزموا عليه ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفًا على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل.

وقيل: إنه معطوف على أمركم بحذف المضاف أي: وأمر شركائكم.

وقيل: إنه منصوب بفعل محذوف تقديره وأدعو شركاءكم.

وقد قرئ ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ﴾ من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم والاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي: وجه يمكنكم ثقة باللّه وقلة مبالاتهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ﴾ في قصدي ﴿عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾ [يونس 71] مستورًا واجعلوه ظاهرًا مكشوفًا من غمه ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم غمًّا إذا أهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ﴾ أدوا ﴿إِلَيَّ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون وقرئ ثم أفضوا بالفاء أي: انتهوا بشركم وأبرزوا إلى من أفضى إذا خرج إلى الفضاء ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾.

ولا تهملوني ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله.

وتقويتي لتوليكم إن أجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ لا تعلق له بكم آمنتم أو توليتم ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يُونُس: 72] المنقادين بحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره.

3م - باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ [نوح: ١] - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ -

3م - باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ [نوح: ١] - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ -

(**باب قول اللّه تَعَالَى**: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ **إِلَى آخِرِ السُّورَةِ**) أي: هذا باب في ذكر سورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي اثنتان وعشرون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعون حرفًا. وهذه الترجمة وقعت هكذا بعد قوله باب قول اللّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ وهي رواية الأكثرين ولم يقع فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ إلا باب قول اللّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ﴾ [نوح: 21] أي: بأن أنذر أي: بالإنذار حذف الجار أو بأن قلنا له أنذر بحذف الجار والقول ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول وقرئ بغيرها على إرادة القول: ﴿قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: 1] عذاب الآخرة أو الطوفان: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: 2، 3].

وفي أن يحتمل الوجهان ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ وهو ما سبق فإن الإسلام يجبه فلا يؤاخذكم في الآخرة ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو أقصى ما قدر لكم بشرط الإيمان والطاعة ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ إنَّ الأجل الذي قدره إذا جاء على الوجه المقدر به أجلًا وقيل إذا جاء الأجل الأطول لا يؤخر فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 4] لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك[1] وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة شاكون في الموت فإن قيل كيف يؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل. فالجواب أنه قد سبق في ضمن التفسير الإشارة إلى جواب هذا الاشتباه وتوضيحه أنه قضى اللّه تَعَالَى مثلًا أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل

(1) أي: عدم تأخير أجل اللّه عن وقته المقدّر ولا يلزم من الشك فيه الشك في الموت نفسه.

لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي: إلى وقت سماه اللّه وضربه أمدًا تنتهون إليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأمد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير والحاصل أن الأجل الذي قدره اللّه تَعَالَى لا يؤخر فإذا لم تعبدوه لن تتجاوزوا الأجل الأقصر إلى الأجل الأقصى فيكون قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ تعليلًا استئنافيًّا لتعليق تأخيرهم إلى الأجل المسمى بعبادة اللّه تَعَالَى وهو المراد بقولنا في التفسير إذا جاء على الوجه المقدر به. ويحتمل أن يكون المعنى أن الأجل الأطول إذا جاء لا يؤخر فيكون تعليلًا لما فهم من بقية التأخير بالأجل المسمى وهو عدم تجاوز التأخير عنه[1] ولا شك أن الأول أنسب بمرام المقام لتضمنه الوعيد واللّه تَعَالَى أعلم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: 5، 6] عن الإيمان والطاعة وإسناد الزيادة إلى الدعاء على السببية كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ بسببه ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [نوح: 7] سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: 7] تغطوا بها لئلا يردني كراهة النظر إلي من فرط كراهة دعوتي أو لئلا أعرفهم فأدعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة[2] إذا صر أذنيه أي: سواهما ونصبها وأقبل عليها[3] ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن اتباعي ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ عظيمًا ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: 8، 9] أي: دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على[4] وجه أمكنني. وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهاد أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد[5] أو التراخي بعضها عن بعض وجهارًا نصب

(1) وهو المراد بقولنا في التفسير وقيل إذا جاء الأجل الأطول.

(2) والعانة: هي القطيع من حُمر الوحش.

(3) يكرمها ويطردها استعير للإقبال على المعاصي والإكباب عليها.

(4) أي.

(5) فعل ﷺ كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في ـ

على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارًا أي: مجاهرًا به أو الحال فيكون بمعنى مجاهرًا ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ بالتوبة عن الكفر ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: 10] للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا إن كنا على حق فلا نتركه وإن كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب إليهم المنح ولذلك وعدلهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم. وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس اللّه عنهم القطر أربعين سنة وقيل سبعين وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: 11، 12].

ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء[1] والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدر ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: 13] لا تأملون له توقيرًا أي: تعظيما لما عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه، وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء النابع لأدنى الظن مبالغة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 14] حال مقررة للإنكار من حيث أنها موجبة للرجاء فإنه خلقهم أطوارًا أي: تارات إذ خلقهم أولًا عناصر ثم مركبات تغذي الإنسان وتربيه ثم أخلاطًا[2] ثم نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحومًا ثم أنشأهم خلقًا آخر فإنه يدل على أنه يمكن أن

= الأشد فافتتح بالمناصحة في السر فلمّا لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة فلما لم يؤثر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان.

(1) وعن عمر رضي اللّه عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقت.فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر. والمجدح كوكب كان يكثر المطر عند طلوعه أكثر ما يكون عند طلوع سائر الكواكب.
وعن الحسن أن رجلًا شكا إليه الجدب فقال: استغفر اللّه، وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار. فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابًا ويسألون أنواعًا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية.

(2) قوله ثم أخلاطًا أي: دمًا وبلغمًا وصفراء وسوداء.

يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تَعَالَى عظيم القدرة تام الحكمة. ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: 15، 16] أي: في السماوات وهو في السماء الدنيا وإنما نسب إليهن لما بينهن من الملابسة ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 16] مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح: 17] أنشأ منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدلُّ على الحدوث والتكون من الأرض وأصله أنبتكم إنباتًا فنبتم نباتًا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 18] بالحشر وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالبدء وأنها تكون لا محالة ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟﴾ تتقلبون عليها ﴿مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠ قَالَ﴾ [نوح: 19 ـ 21] واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ فيما أمرتهم به ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُوا۟﴾ [نوح: 21، 22] واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سببًا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه أنهم إنما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموال وأولاد أدت بهم إلى الخسار. ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾. كبيرًا في الغاية فإنه أبلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ﴾ ولا تذرن هؤلاء خصوصًا قيل: هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركًا بهم فلما طال الزمان عُبِدُوا[1]

وقد انتقلت إلى العرب وكان ود لكلب.

وسواع لهمدان[2]

---

(1) وقيل كانوا من أولاد آدم فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم.

(2) وقيل لهذيل.

يغوث لمذحج.

ويعوق لمراد.

ونسر لحمير، وقيل انتقلت أسماؤها إذ يبعد بقاء أعيان تلك الأصنام كيف وقد خربت في زمن الطوفان ولم يصنعها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في السفينة لأنه بعث لنفيها وإبطالها[1] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: 24].

الضمير للرؤساء أو الأصنام كقوله أنهن أضللن كثيرًا ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: 24] عطف على ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [القمر: 47]، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ من أجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة لعدم الاعتداء بما بين الإغراق والإدخال أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود نافع وتنكير النار للتعظيم أو لأن المراد نوع من النيران ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: 25] تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لا تقدر له على نصرهم ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26] أي: أحدًا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار أو الدور أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد لا فعّال وإلا كان دوّارًا ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27] قال ذلك لما جربهم واستقرت أحوالهم ألف سنة إلا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم[2] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ لمك ابن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ [نوح: 28] منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: 24]. هلاكًا.

---

(1) وروي أنه كان ودّ على صورة رجلٍ، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر.

(2) وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول: احذرْ هذا فإنه كذاب وإن أبي حذّر منه فيموت الكبير وينشأ الصغيرعلى ذلك وقد أخبره الله عز وجل: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36].

3337 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ سَالِمٌ: وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

(**حَدَّثَنَا عَبْدَانُ**) هو لقب عَبْد اللّه بن عثمان وقد تكرر ذكره قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ**) هو ابن المبارك، (**عَنْ يُونُسَ**) هو ابن يزيد، (**عَنِ الزُّهْرِيِّ**) أنه قَالَ: (**قَالَ سَالِمٌ**) هو ابن عَبْد اللّه بْن عُمَر رضي اللّه عنهم: (**وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ**) يعني بعد الفراغ من خطبته والدجال من أبنيته المبالغة لكثرة الكذب فيه وهو من الدجل وهو الخلط والتلبيس والتمويه.

(**فَقَالَ: إِنِّي لأُنْذِرُكُمُوهُ**) ويروى لمنذركموه من الإنذار وهو التخويف وقد أكدت هذه الجملة بكلمة إنَّ واللام وكون الجملة اسمية.

(**وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ**) إنما خصه بعد التعميم إما لأنه أول نبي أنذر قومه وهددهم بخلاف من سبق عليه فإنهم كانوا في الإرشاد مثل تربية الآباء للأولاد وإما لأنه أول الرسل المشرعين المذكورين فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى 13] وأما لأنه أَبُو البشر الثاني وذريته هم الباقون في الدنيا لا غيرهم.

(**وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ**) وقد ورد فيه كلمات متنافرة ورد أنه أعور وفي رواية أنها طافئة وفي أخرى بأنه جاحظ العين كأنها كوكب وفي أخرى أنها ليست بناتئة وفي أخرى أنه أعور العين اليمنى وفي أخرى أعور العين اليسرى وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة أن يقدر فيها أن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عور إذ الأصل في العور العيب.

(**وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**) هذا للتنزيه.

3338 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ».

3339 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، ....

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في كتاب الجنائز في باب إذا أسلم الصبي مطولًا بهذا الإسناد بعينه لكن ليس هناك قوله ثم ذكر الدجال إلى آخره.

(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم) بضم النون الفضل بن دكين قَالَ: (حَدَّثَنَا شَيْبَانُ) هو ابن عبد الرحمن النحويّ، (عَنْ يَحْيَى) هو ابن أَبِي كثير، (عَنْ أَبِي سَلَمَةَ) أي: ابن عبد الرحمن بن عوف أنه قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ) أي: صورتهما ويروى بمثال بحرف الجر ولفظ المثال.

(فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ) وجه الشبه فيه الإنذار المقيد بمجيء المثال في صحبته وإلا فالإنذار لا يختص به قاله الْعَيْنِيّ تبعًا للكرماني فليتأمل والحديث أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفتن.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ) بكسر الزاي وتخفيف المثناة التحتية قَالَ: (حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ) ذكوان الزيات، (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ) سعد بن مالك الخدري رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ) يعني يا ربي.

فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وَالوَسَطُ العَدْلُ».

3340 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، ....

(**فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لا مَا جَاءَنَا**) مِنْ نَذِيرٍ ويروى: (**مِنْ نَبِيٍّ**) فإن قيل قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: 65] فكيف يتكلمون بذلك فالجواب أن في يوم القيامة مواطن موطن يتكلمون فيه وموطن يسكتون.

(**فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ**) أي: يشهد مُحَمَّد وأمته، (**فَنَشْهَدُ**[1] **أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾) عدلًا وخيارًا وهي صفة منقولة من الاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

(﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾) ثم فسر الوسط بقوله: (**وَالوَسَطُ العَدْلُ**) ويروى في الحديث عنه غيره قَالَ فيقولون كيف يشهد علينا أمة محمد ونحن أول الأمم وهم آخرهم فيقولون نشهد أن اللّه تَعَالَى بعث إلينا رسولًا وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل علينا خبركم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير وكذا النَّسَائِيّ. وابن ماجة في الزهد.

(**حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ**) هو إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم بن نصر أَبُو إِبْرَاهِيم السعدي الْبُخَارِيّ وكان ينزل بالمدينة بباب سعد فالبخاري تارة يقول إِسْحَاق بن نصر فينسبه إلى جده وتارة يقول إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم ابن نصر فينسبه إلى أبيه وهو من أفراده.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ**) الطنافسي الحنفي الأيادي الأحدب الكوفي قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ**) بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية يَحْيَى بن سَعِيد بن حيان التَّيْمِيّ، (**عَنْ أَبِي زُرْعَةَ**) بضم الزاي وسكون الراء وبالعين المهملة واسمه هرم

---

(1) بنون المتكلم مع الغير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ، «فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً».

وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ....

ابْن عُمَر بن جرير بن عَبْد اللّه البجلي، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوَةٍ**) بفتح الدال أي: في ضيافة وبكسرها في النسب وبضمها في الحرب.

(**فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ**) على البناء للمفعول قَالَ ابن التين والصواب رفعت وكذا في الأصول رفعت إلا أنه جاز في المؤنث الذي لا فرج له تذكيره وتأنيثه والذراع كذلك ولذلك قَالَ: (**وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ**) يعني وكان رَسُول اللّه ﷺ يعجبه الذراع ويحبها وكانت محبته لها لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها وبعدها عن مواضع الأذى.

(**فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً**) فنهش منها نهشة بالإعجام وفي بعض الأصول بالإهمال وكلاهما صحيح فالتهس بالمهملة الأخذ بأطراف الأسنان وبالمعجمة الأخذ بالأضراس وَقَالَ القزاز النهش أخذ اللحم بالأسنان وقيل هو القبض على اللحم ونثره عند أكله وَقَالَ الأصمعي هما واحد وهو أخذ اللحم بالفم وخالفه أَبُو زيد فذكر ما ذكرناه.

(**وَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ القَوْمِ يَوْمَ القِيَامَةِ**) أي: الذين يفوق قومه ويفزع إليه في الشدائد وخص يوم القيامة لارتفاع سؤدده وتسليم جميعهم له ولكون آدم وجميع ولده تحت لوائه ذكره القاضي عياض.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وتقييد سيادته بيوم القيامة لا ينافي في الدنيا وإنما خصّه به لأن هذه القصة قصة يوم القيامة وإذا كان هو سيدًا يوم القيامة وهو أعظم من الدنيا فبالأولى أن يكون سيدًا في الدنيا أَيْضًا فإن قيل قَالَ ﷺ: «**لا تخيروا بين الْأَنْبِيَاء**» وَقَالَ: «**لا تفضلوني على يُونُس بن متى عَلَيْهِ السَّلَامُ**» فكيف قَالَ ذلك فالجواب: أنه كان قبل إعلامه بسيادة ولد آدم والفضائل لا تنسخ إجماعًا فبقيت القبيلة والذي قَالَ في يُونُس من باب التواضع وقد قيل إن المنع في ذات النبوة والرسالة فإن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد لا

هَلْ تَدْرُونَ بِمَنْ؟ يَجْمَعُ اللّٰهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ؟ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللّٰهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟

تفاضل فيها وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والكرامات والرتب والألطاف.

(**هَلْ تَدْرُونَ بِمَنْ؟ يَجْمَعُ اللّٰهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ**) أي: أرض واسعة مستوية.

(**فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ**) أي: يحيط بهم بصر الناظر لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض وعدم الحجاب ويروى فينفذ البصر بفتح الياء وبالذال المعجمة على الأكثر ويروى بضم الياء وَقَالَ أَبُو عبيد معناه ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم. قَالَ العيني وهو كناية عن استيعابهم بالعلم والله لا يخفى عليه شيء والصواب قول من قَالَ فيبصر الناظر من الخلق. وعن أَبِي حاتم إنما هو بدال مهملة أي: يبلغ أولهم وآخرهم.

وَقَالَ ابن الأثير والصحيح فتح الياء مع الأعجام.

(**وَيُسْمِعُهُمُ**) بضم الياء من الإسماع (**الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟**) بدل من قوله إلى ما أنتم فيه.

(**أَلا تَنْظُرُونَ**) كلمة ألا في الموضعين للعرض والتحضيض وهي بفتح الهمزة وتخفيف اللام.

(**إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللّٰهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ**) الإضافة إلى الله لتعظيم المضاف وتشريفه كقولهم عبد الخليفة كذا.

(**وَأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟**) بفتح الغين هو الصحيح لأنه تقدم ما بلغكم ولو كان

فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ[1] إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ،

بسكون الغين لقال بلغهم وقيل بالسكون وله وجه.

(فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ) المراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال العذاب.

وَقَالَ النووي المارد من غضب اللّه ما يظهر من انتقامه فيمن عصاه وما يشاهده أهل الجمع من الأهوال التي لم يكن ولا يكون مثلها ولا شك أنه لم يقع قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله.

(وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي) أي: نفسي هي التي تستحق أن يشفع لها إذ المبتدأ والخبر إذا كانا متحدين فالمراد بعض لوازمه أو قوله نفسي مبتدأ والخبر محذوف.

(اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ) بيان لقوله اذهبوا إلى غيري، **(فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ)** وإنما قالوا له ذلك لأنه آدم الثاني أو لأنه أول رسول هلك قومه أو لأن آدم ونحوه خرج بقوله إلى أهل الأرض لأنها لم يكن لها أهل حينئذ أو لأن رسالته كانت بمنزلة التربية للأولاد.

---

(1) قال الحافظ: أما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبيًّا، وبالضرورة نعلم أنه كان على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون هو أول رسول فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة، واستشكله بعضهم بإدريس ولا يرد لأنه اختلف في كونه جد نوح، اهـ.

وبسط القاري الكلام على ذلك بما لا مزيد عليه، وذكر في جملة كلامه أما آدم وشيث فهما وإن كانا رسولين إلا أن آدم أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفارًا، وشيئًا كان خلفه له فيهم بعده بخلاف نوح فإنه مرسل إلى كفار أهل الأرض وهذا أقرب من القول بأن آدم وإدريس لم يكونا رسولين، وقد يقال: إنه أول نبي بعثه اللّه بعد آدم على أن شيئًا كان خليفة له فأوليته إضافية أو أول نبي بعثه من أولي العزم فالأولية حقيقية، وهذا أوفق الأقوال وبه يزول الإشكال، اهـ.

وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا، أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، ....

وفي التوضيح: قولهم أنت أول الرسل إلى أهل الأرض والصحيح قاله الداوودي. وروي أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي رسول وقد روي في ذلك حديث عن رَسُول الله ﷺ.

وقيل: هو نبي وليس برسول.

وقيل :رسول وليس بنبي انتهى.

وَقَالَ ابن بطال: آدم ليس برسول نقله عنه الْكِرْمَانِيّ.

قَالَ الْعَيْنِيّ: الصحيح أنه نبي رسول وقد نزل عليه جبريل وأنزل عليه صحفًا وعلم أولاده الشرائع وقول ابن بطال غير صحيح وأما قول من قَالَ إنه رسول وليس بنبي فظاهر الفساد لأن كل رسول نبي، ومن لازم الرسالة النبوة، انتهى.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: أما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبيًّا وبالضرورة يعلم أنه كان على شريعة من العباد وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون هو أول الرسل فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل أو لأن رسالة آدم إلى أولاده كانت كالتربية للأولاد.

واستشكله بعضهم بإدريس ولا يرد لأنه اختلف في كونه جدًّا لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] وروى عبد الرزاق بسند مقطوع أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان إذا ذهب إلى الغائط قَالَ الحمد لله الذي رزقني لذته وأبقى فيّ قوته وأذهب عني أذاه.

(أَمَا تَرَى) بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهي حرف استفتاح بمنزلة ألا وكلمة ألا بعدها في الموضعين للعرض والتحضيض.

(إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلا تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا، أَلا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي،

ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لا أَحْفَظُ سَائِرَهُ.

3341 - حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ،

ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ) هو نبينا مُحَمَّد ﷺ بين في ذلك بقوله: (**فَيَأْتُونِي**) أصله فيأتونني حذف نون الجمع بلا جازم ولا ناصب لغة.

(**فَأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**) على البناء للمفعول من التشفيع وهو قبول الشفاعة.

(**وَسَلْ تُعْطَهْ**) هو على البناء للمفعول أَيْضًا من الإعطاء.

(**قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ: لا أَحْفَظُ سَائِرَهُ**) أي: باقي الحديث لأنه مطول علم من سائر الروايات وقد بينها غيره وحفظه حتى قَالَ ابن التين وقول نوح ائتوا النَّبِيّ وهم إنما دلهم على إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإبراهيم دلهم على مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وموسى دلهم على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعيسى دلهم على نبينا ﷺ.

وذكر الغزالي رَحِمَهُ اللَّه أن بين إتيانهم من آدم إلى نوح عليهما السلام ألف سنة وكذا بين كل نبي حتى يأتوا نبينا ﷺ قَالَ والرسل يوم القيامة على منابر والعلماء العاملون على كراسي وهم رؤساء أهل المحشر ومن يشفع للناس منهم رؤساء أتباع الرسل وأول الشفعاء يوم القيامة نبينا ﷺ.

فإن قيل روى أَبُو الزعراء عن ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ نبيكم رابع أربعة جبريل ثم إِبْرَاهِيم ثم مُوسَى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ثم نبيكم ﷺ فالجواب أنه قَالَ الْبُخَارِيّ أَبُو الزعراء لا يتابع عليه والمشهور المعروف أن نبينا ﷺ هو أول شافع.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الإيمان، وَالتِّرْمِذِيّ في الزهد، والأطعمة، وَالنَّسَائِيّ في الوليمة، والتفسير، وابن ماجة في الأطعمة.

(**حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ**) هو نصر بن علي بن نصر بسكون الصاد المهملة فيهما الجهضمي الأزدي الْبَصْرِيّ يكنى أبا عمر قَالَ: (**أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ**)

عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مِثْلَ قِرَاءَةِ العَامَّةِ.

هو ابن عَبْد اللّه بن الزبير بْن عُمَر بن درهم الزبيري.

(عَنْ سُفْيَانَ) هو الثَّوْرِيّ، (عن أَبِي إِسْحَاقَ) عمرو بن عَبْد اللّه السبيعي.

(عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ) من الزيادة النخعي، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن مَسْعُود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾) وأوله قوله تعَالَى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: 15]، أي: ولقد تركنا السفينة آية أي: عبرة حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظرًا وكم من سفينة كانت بعدها صارت رمادًا.

وَقَالَ قَتَادَة: ألقاها اللّه بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر: 16] أي: إنذاري استفهام تعظيم لما مضى وتخويف لمن لم يؤمن بمحمد ﷺ.

(مِثْلَ قِرَاءَةِ العَامَّةِ) يعني قرأ رَسُول اللّه ﷺ بالإدغام وإهمال الدال كما هو القراءة المشهورة التي يقرؤها السبعة لا بفك الإدغام ولا بالمعجمة كما قرئ في الشواذ.

وَقَالَ الْفَرَّاء: حَدَّثَنِي الكسائي عن إسرائيل والعزرمي عن أَبِي إِسْحَاق عن الأسود قَالَ قلنا لعبد اللّه فهل من مدّكر أو مذكر يعني بالدال المهملة وبالمعجمة فَقَالَ أقرأني رَسُول اللّه ﷺ بالدال يعني بالمهملة.

ومطابقة الحديث للترجمة يؤخذ من قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ [القمر: 15] فإن الضمير راجع إلى سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير.

وفي أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء أَيْضًا.

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الصلاة، وأبو داود في الحروف، وَالتِّرْمِذِيّ في القراءات، وَالنَّسَائِيّ في التفسير.

4 ـ باب

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ ....

4 ـ باب

(﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾) هو بكسر الهمزة قطعًا ووصلًا ابن ياسين بن العيزار بن هارون كذا روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وبه قَالَ مقاتل[1] وعن ابن إِسْحَاق أنه ابن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران[2]. وحكى الثعلبي عن ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن إلياس هو إدريس كما أن يعقوب هو إسرائيل قَالَ عِكْرِمَة وكذا في مصحف ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ وإن إدريس لمن المرسلين وكان المصنف رجح عنده كون إدريس ليس من أجداد نوح[3] من الْأَنْبِيَاء الذين بعثوا إلى بني إسرائيل وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا هو عم اليسع.

وَقَالَ آخرون بعثه اللّه إلى بني إسرائيل بعد مهلك حزقيل، وَقَالَ وهب إن اللّه تَعَالَى لما قبض حزقيل وعظم في بني إسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد اللّه إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها فبعث اللّه إليهم إلياس رسولًا وكان الناس مع ملك من ملوك بني إسرائيل اسمه أجاب وله امرأة اسمها إزبيل وكان يسمع منه ويصدقه وكان بنو إسرائيل قد اتخذوا صنمًا يقال له بعل.

وَقَالَ ابن إِسْحَاق: سمعت بعض أهل العلم يقول ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون اللّه فجعل إلياس يدعوهم إلى اللّه وهم لا يسمعون منه شَيْئًا إلا ما كان من ذلك الملك ثم إنه قَالَ يومًا لإلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ واللّه ما أدري ما تدعو إليه إلا باطلًا واللّه ما أدري فلانًا وفلانًا فعدد ملوك مثله من ملوك بني إسرائيل بالشام يعبدون الأوثان إلَّا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ما ينقص دنياهم فاسترجع إلياس ثم رفضه وخرج عنه وفعل ذلك الملك ما فعل أصحابه من عبادة

---

(1) ويقال إنه بعث بعد هارون.

(2) وإلياس بقطع الهمزة اسم عبراني وبوصلها كما هو في رواية ابن ذكوان اسم دخله الألف واللام وكان اسمه: ياس.

(3) فلهذا ذكره بعده وسيأتي ما يتعلق به إن شاء اللّه تعالى، وقيل هو نبيٌّ.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ....

الأوثان فَقَالَ إلياس اللَّهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر فأوحي إليه أنا جعلنا أمر أرزاقهم بيدك حتى تكون أنت الذي تأذن لهم في ذلك فَقَالَ إلياس اللَّهم أمسك عنهم المطر فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والهوام والشجر ولما دعا عليهم استخفى شفقة على نفسه منهم فكان حيث ما كان وضع له رزق وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في مكان قالوا لقد دخل إلياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى أهل ذلك المنزل منهم شرًّا ثم إنه يستأذن اللّه في الدعاء لهم فأذن له فجاءهم فَقَالَ إن كنتم تجيبون أن الذي أدعوكم إليه هو الحق وأنكم على باطل فأخرجوا أوثانكم وما تعبدون واجأروا إليهم فإن استجابوا لكم فهو كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل وادعوا اللّه يفرج عنكم ما أنتم فيه قالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم فعرفوا ما هم عليه من الضلال ثم سألوا إلياس الدعاء فدعا ربه فمطروا بساعتهم فحسنت بلادهم فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فدعا اللّه أن يقبضه فكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكان إنسيًّا ملكيًّا أرضيًّا سماويًّا يطير مع الملائكة. وذكر الحاكم عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ مصححًا أنه اجتمع مع سيدنا رَسُول اللّه ﷺ في بعض السفرات وخالفه ابن الجوزي في تصحيحه واللّه تَعَالَى أعلم.

(﴿إِذْ قَالَ﴾) أي: اذكر حين قَالَ إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ، (﴿لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾) عذاب اللّه بالإيمان به.

(﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾) أي: أتعبدون بعلًا أو أتطلبون الخير منه وهو اسم صنم لأهل بك من الشام يعبدونه فلذلك سميت مدينتهم بعلبك.

وَقَالَ مجاهد وَعِكْرِمَة وقتادة والسدي: البعل الرب بلغة أهل اليمن وهي رواية سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا والمعنى أتدعون بعض البعول أي: الأصنام فإنهم أرباب على زعمهم فتنوين بعلًا على هذا الوجه للتبعيض قيل وكان من ذهب طوله عشرون ذراعًا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه وله أربعمائة سادن جعلوهم أنبياء فكان إبليس يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس أو هم أهل بعلبك من بلاد الشام.

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الصافات 123، 129]
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ «يُذْكَرُ بِخَيْرٍ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ....

(﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾) أي: وتتركون عبادته فلا تعبدون وقد أشار فيه إلى المقتضى للإنكار المعنيّ بالهمزة ثم صرح بقوله:

(﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾) وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالنصب على البدل والباقون بالرفع على الاستئناف.

(﴿فَكَذَّبُوهُ﴾) أي: إلياس.

(﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾) في العذاب والنار وإنما أطلقه اكتفاء بالقرينة أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفًا.

(﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾) من قومه فإنهم نجوا من العذاب قال القاضي وهو مستثنى من الواو في فكذبوه لا من المحضرين لفساد المعنى انتهى. وذلك لأنه يستلزم مجامعة التكذيب مع كونهم مخلصين لظهور أن ضمير محضرون للمكذبين لكن لا يمكن أن يقال لا فساد فيه لأن استثناءَهم من القوم المحضرين لعدم تكذيبهم على ما دل عليه التوصيف بالمخلصين لا من المكذبين فحال المعنى واحد. والتحقيق أن ضمير محضرون للمكذبين لا للقوم فالفساد ظاهر.

(﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾) أي: أبقينا ثناء حسناء وذكرًا جميلًا فيمن بعده من الْأَنبيَاء والأمم إلى يوم القيامة.

وَ(**قَالَ ابْن عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (**يُذْكَرُ بِخَيْرٍ**) وصله ابن جرير من طريق علي ابن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: 130] قَالَ يذكر بخير.

(﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾) لغة في إلياس مثل إِسْمَاعِيل وإسمعين وميكائيل وميكائين وإدريس وإدراسين وسينا وسينين ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى واختاره هنا لمراعاة الفواصل وقيل إنه جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن فيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه باللام أو جمع للمنسوب إليه بحذف ياء النسبة كالأعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: 130، 132]»
يُذْكَرُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ إِلْيَاسَ هُوَ إِدْرِيسُ.

إضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس وقيل مُحَمَّد ﷺ أو القرآن أو غيره والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله.

(﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾) إذ الظاهر أن الضمير لإلياس.

و(**يُذْكَرُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (**أَنَّ إِلْيَاسَ هُوَ إِدْرِيسُ**) عَلَيْهِ السَّلَامُ أما قول ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فوصله عبد بن حميد وابن أَبِي حاتم بإسناد حسن عنه قَالَ إلياس هو إدريس ويعقوب هو إسرائيل، وأما قول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فوصله جويبر في تفسيره عن الضحاك عنه وإسناده ضعيف ولهذا لم يجزم به الْبُخَارِيّ.

وقد أخذ أَبُو بكر ابن العربي من هذا: أن إدريس لم يكن جدًّا لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وإنما هو من بني إسرائيل واستدل على ذلك بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي ﷺ مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح ولو كان من أجداده لقال له كما قَالَ له آدم وإبراهيم عليهما السلام والابن الصالح وهو استدلال جيد إلا أنه قد يجاب عنه بأنه قَالَ ذلك على سبيل التواضع والتلطف فليس ذلك نصًّا فيما زعم.

وقد قَالَ ابن إِسْحَاق في أول السيرة لما ساق النسب الكريم فلما بلغ إلى نوح قَالَ ابن لمك بن متوشلخ ابن ابن خنوخ وهو إدريس فيما يزعمون وأشار بذلك إلى أن هذا القول مأخوذ من أهل الكتاب[1].

ولعل المصنف رجح عدم كون إدريس جدًّا لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وعدم كون إلياس هو إدريس بل هو نبي من الْأَنْبِيَاء غير إدريس عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حيث ذكره بعدها فَقَالَ:

---

(1) ويقال: إلياس هو الخضر، والمشهور أنّه غيره، وإلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات، ويقال هو من سبط يوشع بن نون بعثه اللّه تعالى إلى أهل بعلبك فكذّبوه فأهلكهم اللّه تعالى بالقحط وقال اللّه تعالى لإلياس سلني أعطك، فقال: ترفعني إليك فرفعه اللّه إليه وجعله أرضيًّا سماويًّا إنسانيًّا ملكيًّا يطير مع الملائكة، وذلك القول يؤيّد كونه إدريس وأنّ إدريس ليس جدًّا لنوح، واللّه تعالى أعلم.

5 ـ باب ذِكْر إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: 57].

5 ـ باب ذِكْر إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلامُ

(باب ذِكْر إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلامُ) قد سقط هذا الباب فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ.

وَهُوَ جَدُّ أَبِي نُوحٍ، وَيُقَالُ جَدُّ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلامُ القول الأول أولى من الثاني لما تقدم أنه ابن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس.

ولعل الثاني مجاز لأن جد الأب جد.

ونقل بعضهم الإجماع على أنه جد لنوح وفيه نظر لأنه إن ثبت ما قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهَما أن إلياس هو إدريس لزم أن يكون إدريس من ذرية نوح لا أن نوحًا من ذريته لقوله تَعَالَى في سورة الأنعام: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: 84] إلى أن قَالَ وعيسى وإلياس فدل على أن إلياس من ذرية نوح سواء قلنا إن الضمير فِي قَوْلِهِ ومن ذريته لنوح ولإبراهيم لأن إِبْرَاهِيم من ذرية نوح فمن كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح لا مجادلة وذكر ابن إِسْحَاق في المبتدأ أن إلياس هو ابن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون أخي مُوسَى بن عمران واللَّه تَعَالَى أعلم.

ثم إن هذا القول وهو جد أَبِي نوح إلى آخره لم يوجد في أكثر الأصول وإنما وجد فِي رِوَايَةِ الحفصي ثم إنه قد اختلف في لفظ إدريس فقيل: هو عربي واشتقاقه من الدراسة وقيل له ذلك لكثرة درسه الصحف وقيل: بل سرياني.

وفي حديث أَبِي ذَرٍّ الطويل الذي صححه ابن حبان أنَّ إلياس كان سريانيًّا ولكن لا يمنع ذلك كون لفظ إدريس عربيًّا إذا ثبت أن له اسمين.

(وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾) بالجر عطف على ذكر إدريس والمعنى رفعنا إدريس مكانًا عليًّا وهو السماء الرابعة وهو مكان علي بغير شك واستشكل بعضهم بأن غيره من الْأَنْبِيَاء أرفع مكانًا منه وهذا ليس بشيء إلا أنه لم يذكر أنه أعلى من كل أحد وقد أجاب ذلك البعض بأن المراد أنه لم يرفع إلى

3342 - قَالَ عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسُ

السماء من هو حي غيره ورد بأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا قد رفع وهو حي وهذا الرد موجه على القول الصحيح من أنه رفع وهو حي وأما على قول من يأخذ بظاهر قوله تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: 55] فلا يرد الرد المذكور ثم كون إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وقد روى الطَّبَرِيّ أن كعب قَالَ لابن عباس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ أن إدريس سأل صديقًا له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد به فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فَقَالَ له أريد أن تعلمني كم بقي من أجل إدريس قَالَ وأين إدريس؟ قَالَ هو معي فَقَالَ إن هذا الشيء عجيب أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة فقلت كيف ذلك وهو في الأرض فقبض روحه فذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: 57] وهذا من الإسرائيليات واللّه أعلم بصحة ذلك وذكر ابن قتيبة أن إدريس رفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة.

وفي حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ الطويل الذي صححه ابن حبان أن إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نبيًّا رسولًا وأنه أول من خط بالقلم.

وذكر ابن إِسْحَاق له أوليات كثيرة منها أنه أول من خاط الثياب.

(قَالَ عَبْدَانُ) كذا وقع في أكثر الروايات بصيغة التعليق.

ووقع فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ: حَدَّثَنَا عبدان[1] لقب عَبْد اللّه بن عثمان وقد مر غير مرة قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك قَالَ: (أَخْبَرَنَا يُونُسُ) هو ابن يزيد، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) ابن شهاب (ح) تحويل من إسناد إلى إسناد آخر.

و(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ) هو أَبُو جعفر المصري قَالَ: (حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ) بفتح العين المهملة وسكون النونً وفتح الموحدة وبالسين المهملة هو ابن خالد قَالَ: (حَدَّثَنَا يُونُسُ) هو عم عنبسة، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ أنه (قَالَ: قَالَ أَنَسُ) ابْنُ

---

(1) ووصله أيضًا الجوزقي من طريق محمد بن الليث عن عبد اللّه بن عثمان وعبدان.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ قَالَ: مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ، قَالَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ فَافْتَحْ، فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ فَفَتَحَ» قَالَ أَنَسٌ:

مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ، قَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ قَالَ: مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: مَعِي مُحَمَّدٌ، قَالَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ فَافْتَحْ، فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ**) جمع سواد وهو الشخص.

(**فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ**) بكسر القاف وفتح الموحدة أي: جانب (**يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ**) النسم بفتح النون والسين المهملة جمع نسمة وهي النفس.

(**فَأَهْلُ اليَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ فَفَتَحَ قَالَ أَنَسٌ**):

فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ إِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يُثْبِتْ لِي كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ: أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَقَالَ أَنَسٌ: «فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ» قَالَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَيَّةَ ....

رَضِيَ اللّه عَنْهُ (فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ إِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (وَلَمْ يُثْبِتْ لِي كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ: أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَقَالَ أَنَسٌ): رَضِيَ اللّه عَنْهُ (فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ[1] قَالَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي هو أَبُو بكر بن مُحَمَّد بن عمرو وابن حزم الأَنْصَارِيّ.

(أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (وَأَبَا حَيَّةَ) بفتح المهملة وتشديد الموحدة وهو المشهور.

وَقَالَ القابسي بالمثناة التحتية وغلطوه في ذلك.

وَقَالَ الواقدي: بالنون واختلف في اسمه فَقَالَ أَبُو زرعة عامر.

---

(1) وفي رواية أخرى رأى في السماء الدنيا آدم وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة موسى وفي السابعة إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وكان إبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور الذي بحيال الكعبة ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك فلا يعودون إليه وكذا رُوي في روضة نبينا محمد ﷺ.

الأَنْصَارِيَّ، كَانَا يَقُولانِ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي، حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلامِ»، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى مَا الَّذِي فُرِضَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاةً»، قَالَ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ: فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المُنْتَهَى،

وقيل: عمرو، وقيل: ثابت.

وَقَالَ الواقدي: مالك.

(**الأَنْصَارِيَّ، كَانَا يَقُولانِ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ: ثُمَّ عُرِجَ بِي، حَتَّى ظَهَرْتُ**) أي: علوت (**لِمُسْتَوًى**) ويروى بمستوى بفتح الواو أي: صعيدًا.

(**أَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلامِ**) وهو تصويتها حال الكتابة.

(**قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ النَّبِيّ ﷺ: فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى مَا الَّذِي فُرِضَ**) يروى معلومًا ومجهولًا.

(**عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاةً، قَالَ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ: فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ**) أي: بوقوع الخلف فيه فلا تطمع أن أبدله.

(**فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المُنْتَهَى**) ويروى حتى أتى بي السدرة ويروى حتى آتي إلى السدرة.

فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ».

6 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: 65]

(فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ) على البناء للمفعول.

يعني (الجَنَّةَ) ويروى بإظهار الجنة، (فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ) جمع جنبذ وهو القبة.

(وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ) وقد مر الحديث في أول كتاب الصلاة ومر الكلام فيه مستوفى ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ فلما مر جبريل بإدريس وكذلك فِي قَوْلِهِ وجد في السماوات إدريس.

6 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: 65]

(باب قول اللّه تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: بيان إرسال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قوم عاد وهود هو بن عَبْد اللّه بن رباح بن خلود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَه قَتَادَة.

وَقَالَ مجاهد: هو ابن عابر ابن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح.

وقيل: هو عَبْد اللّه بن خلود إلى آخره مثل الأول.

وَقَالَ ابن هشام: هود اسمه عابر ويقال عيبر بن أرفخشد ويقال أنفخشد ويقال الفخشد بن سام بن نوح وكان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ أشبه ولد آدم بآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خلا يُوسُف وروى عبد بن حميد من طريق قتادة أنه كانت عاد ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمل بالدور والدهناء وعالج ووبار وبرين وعمان إلى حضرموت إلى اليمن وكانت ديارهم أخصب البلاد وأكثرها جنانًا فلما سخط اللّه عليهم جعلها مفاوز وكان هود من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم عاد الأولى وكانوا غربًا يسكنون في المواضع المذكورة وأرسل

وَقَوْلِهِ: ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 21، 25] ....

اللّه تَعَالَى هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إليهم وهو قوله تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا قَالَ الزمخشري أخاهم واحدًا منهم.

وَقَالَ مقاتل هو أخوهم في النسب لا في الدين وكان عاد الذي تسمت القبيلة به ملكهم وكان يعبد القمر وطال عمره فرأى من صلبه أربعة آلاف ولد وتوج ألف امرأة وهو أول من ملك الأرض بعد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وعاش ألف سنة ومائتي سنة ولما مات انتقل الملك إلى أكبر ولده وهو شديد بن عاد فأقام خمسمائة سنة وثمانين سنة ثم مات فانتقل الملك إلى أخيه شداد بن عاد وهو الذي بنى إرم ذات العماد وكانت قبائل عاد التي سميت به قد ملكوا الأرض بقوتهم وافتخروا وقالوا من أشد منا قوة؟ فلما كثر طغيانهم بعث اللّه إليهم هودًا وهو قوله تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: 65] إن أنتم إلا مفترون أي: على اللّه تَعَالَى باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء.

(**وَقَوْلِهِ**) تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هودا عَلَيْهِ السَّلَامُ (﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾)(1) جمع حقف بكسر المهملة وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوجّ وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن وقيل بين عمان(2) ومهرة، وعن مقاتل كانت منازل عاد في اليمن في حضرموت بموضع يقال له: مهرة إليها عُمان.

(**إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾) يريد قوله تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: الرسل، جمع نذير بمعنى منذر ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ قبل هود وبعده والجملة حال أو اعتراض ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: لا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا فإن النهي عن الشيء إنذار عن مضرته ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

---

(1) ينسب الجمال المهرية وعن الضحاك: الأحقاف جبال بالشام. وعن مجاهد: هي أرض حسمى، وعن قتادة ذكر لنا أن عادًا كانوا أحياء باليمن أهل رمال مشرفين على البحر بأرض من بلاد اليمن يُقال لها: الشجر، وعن الخليل: هي الرمال العظام، وعن الكلبي: أحقاف الجبل ما نضب عنه الماء زمان الغرق كان ينضب الماء ويبقى أثره.

(2) عُمان: بالضم مخففًا بلد وأما الذي بالشام فهو عمّان.

[الأحقاف: 21]. هائل بسبب شرككم. والمعنى أن هودا عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أنذرهم وَقَالَ لهم: لا تعبدوا إلا اللّه إني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه بأن جعلته حالًا، وأما إذا جعلته اعتراضًا بين أنذر قومه وبين أن لا تعبدوا فيكون المعنى واذكر إنذار قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فأذكرهم قالوا أي: قوم هود ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ أي: لتصرفنا يقال أفكه عن رأيه عن ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ أي: عن عبادتها إلى دينك وهذا لا يكون ﴿فَأْتِنَا﴾ يا هود ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: هات لنا من العذاب الذي توعدنا به على الشرك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما تقول: ﴿قَالَ﴾ أي: هود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فأستعجل به وإنما علمه عند اللّه فيأتيكم في وقته المقدر له ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ وما على الرسول إلا البلاغ ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ لا تعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين سائلين غير ما أذن لهم فيه ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهمًا قد وضح أمره بقوله: ﴿عَارِضًا﴾ أما تميزًا وأما حالًا أي: سحابًا عرض في أفق السماء مستقبل أوديتهم متوجه أوديتهم والإضافة فيه لفظية ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾ أي: يأتينا بالمطر ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: قَالَ هود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ﴾ من العذاب وقرئ قل بل هو ﴿رِيحٌ﴾ أي: هي ريح.

ويجوز أن يكون بدل ما ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ صفتها وكذا قوله: ﴿تُدَمِّرُ﴾ أي: تهلك ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: 24 ـ 25] إذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته وفي ذلك الأمر والرب وإضافته إلى الريح فوائد.

وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارًا إذا هلك فيكون العائد محذوفًا أو الهاء في ربهما ويحتمل أن يكون استئنافًا للدلالة على أن لكل ممكن فناء مقضيًّا لا

يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ أي: فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا مساكنهم. وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب لا يرى إلا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع مساكنهم قَالَ الكسائي معناه لا يرى شيء إلا مساكنهم.

وَقَالَ الْفَرَّاء: لا يرى الناس لأنهم كانوا تحت الرمل وإنما يرى مساكنهم لأنها قائمة ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25] أي: من أجرم مثل جرمهم، وهذا تحذير لمشركي العرب.

ومختصر قصة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لما دعا على قومه أرسل اللّه الريح عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا أي: متتابعة ابتدأت غدوة الأربعاء وسكنت في آخر الثامن واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة لا يصيبهم منها إلا ما يلين الجلود ويلذ النفوس، وعن مجاهد كان قد آمن معه أربعة آلاف فذلك قوله تعالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [هود: 58]، وهو السموم وكانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم وكانت تقطع الشجر وتهدم البيوت ومن لم يكن منهم في بيته أهلكته في البراري والجبال.

وَقَالَ السُّدِّيّ لما رأوا أن الإبل والرجال تطير بين السماء والأرض في الهواء تبادروا إلى البيوت فلما دخلت الريح دارهم فأخرجتهم منها ثم أهلكتهم ثم أرسل اللّه عليهم طيورًا سودا فتقلبهم إلى البحر فألقتهم فيه. ثم إن هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بقي بعد هلاك قومه ما شاء اللّه ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وحكى الخطيب عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه عاش أربعمائة وستين سنة وكان بينه وبين نوح ثمانمائة سنة وستون سنة، واختلفوا في مكان وفاته فقيل بأرض الشحر من بلاد حضرموت قبره ظاهر هناك ذكره ابن سعد في الطبقات وعن عبد الرحمن ابن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيًّا وأن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في تلك البقعة، وقيل بجامع دمشق في حائط القبلة قبر يزعم الناس أنه قبر هود عَلَيْهِ السَّلَامُ واللّه تعَالَى أعلم.

فِيهِ عَنْ عَطَاءٍ، وَسُلَيْمَانَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

6م ـ باب قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شَدِيدَةٍ ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]

وَقَالَ ابن الكلبي لم يكن بين نوح وإبراهيم من الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلا هود وصالح.

(فِيهِ) أي: في هذا الباب روي (عَنْ عَطَاءٍ) هو ابن رباح، (وَسُلَيْمَانَ) هو ابن يسار، (عَنْ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أما تعليق عطاء فوصله الْبُخَارِيّ في بدء الخلق في باب ما جاء فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ [الفرقان: 48] عن مكي بن إِبْرَاهِيم عن ابن جريج عن عطاء عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا قالت كان النَّبِيّ ﷺ إذا رأى مخيلة أقبل وأدبر وفي آخره وما أدري لعله كما قَالَ قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ [الأحقاف: 24] الآية وأما تعليق سليمان فوصله الْبُخَارِيّ في تفسير سورة الأحقاف حَدَّثَنَا أحمد أَخْبَرَنَا ابن وهيب أَخْبَرَنَا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا زوج النَّبِيّ ﷺ قالت ما رأيت رَسُول اللّه ﷺ ضاحكًا حتى أرى منه لهواته الحديث.

6م ـ باب قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شَدِيدَةٍ ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]

(باب قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ) بالجر عطفًا على مدخول الباب وفي بعض الأصول باب قول اللّه عز وجل بذكر الباب: (﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾) وهو عطف على قوله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝﴾ [الحاقة: 5] بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أي: بالحالة التي تقرع الناس بالإقراع والإجرام بالانفطار والانتشار (شَدِيدَةٍ) تفسير للصرصر أي: شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد من الصر بالفتح كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فيها تحرق بشدة بردها وتفسير الصرصر بالشديدة هو تفسير أَبِي عُبَيْدَةَ في المجاز.

(﴿عَاتِيَةٍ﴾) من عتا عتوًّا إذا جاوز الحد في الشيء ومنه العاتي وهو الذي

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَتَتْ عَلَى الخُزَّانِ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: 7] «مُتَتَابِعَةً» ....

جاوز الحد في الاستكبار.

(**قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ**) أي: سُفْيَان ابن عيينة في تفسير قوله: عاتية (**عَتَتْ عَلَى الخُزَّانِ**) بضم الخاء جمع خازن وهم الملائكة الموكلون بالريح يعني عتيت عليهم فلم تطعهم وجاوزت المقدار وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**ما أرسل اللّه تَعَالَى نسمة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من مطر إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح طغى على الخزان فلم يكن عليها سبيل**».

وفي رواية سَعِيد بن عبد الرحمن المخزومي عن ابن عيينة عن غير واحد فِي قَوْلِهِ عاتية قَالَ عتت على الخزان وما خرج منها إلا بمقدار الخاتم.

وجاء نحوه عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم عنه قَالَ لم ينزل اللّه من شيء من الريح إلا بوزن على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فعتت على الخزان.

(﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾) أي: سلطها عليه وأدامها (﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ **متتابعة**) فسر الْبُخَارِي قوله: ﴿حُسُومًا﴾ بقوله: متتابعة وكذا فسره أبو عبيدة قال أي: ولاء متتابعة[1] وقال الضحاك كاملة لم تفتر عنهم حتى أفنتهم.

وَقَالَ عطية: نحسات شوماء حسمت عنهم كل خير واستأصلته.

وَقَالَ الخليل: قاطعات قطعت دابرهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الرضاع وَقَالَ النضر بن شميل حسمهم فقطعهم فانتصاب حسومًا على الحال.

وَقَالَ الزمخشري: الحسوم جمع حاسم كشهود جمع شاهد وأما مصدر كالكفور والشكور فإن كان جمعا يكون حالًا بمعنى حاسمة وإن كان مصدرًا يكون منصوبا بفعلٍ مضمر أي: تحسم حسومًا بمعنى تستأصل استئصالًا أو يكون

---

(1) على أنه جمع حاسم من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيّها على الداء مرة بعد أخرى حتى ينحسم.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ «أُصُولُهَا» ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: 7-8] «بَقِيَّةٍ».

صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولًا له أي: سخرها عليهم لاستئصال وقرأ السُّدِّيّ حسومًا بالفتح حالًا من الريح أي: سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي أيام العجوز وهي آخر الشتاء وذلك أن عجوزًا من عاد توارت في سرب أي: بيت في الأرض فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها ويقال لتلك الأيام أَيْضًا أيام العجز أي: أيام البرد العجز.

(﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾) إن كنت حاضرهم (﴿فِيهَا﴾) أي: في مهابها أو في الليالي والأيام (﴿صَرْعَىٰ﴾) موتى جمع صريع بمعنى ساقط.

(﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ «**أُصُولُهَا**») فسر الإعجاز بالأصول وقد فسره أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْضًا بالأصول أي: أصول النخل على أن النخل مؤنث وقد يذكر أَيْضًا كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: 20] وقد فسره بعضهم بالجذوع وعلى التفسير الأول يراد به ما يبقى على المكان بعد قطع الجذع وهذا كما فسره بعضهم بقوله هي التي لا رؤوس لها روي أن الريح كانت تحمل الرجل فترفعه في الهواء ثم تلقيه فتشدخ رأسه فيبقى جثة بلا رأس وقوله خاوية بمعنى متآكلة الأجواف(1).

شبههم بإعجاز نخل لعظم أجسامهم قيل كان طولهم اثني عشر ذراعًا وَقَالَ أَبُو حمزة طول كل رجل منهم كان سبعين ذراعًا وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ثمانين ذراعًا وَقَالَ ابن الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعًا وَقَالَ وهب بن منبه كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم.

(﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ «بَقِيَّةٍ») فسر الباقية بالبقية إشارة إلى أن الباقية اسم كالبقية لا وصف والتاء للنقل إلى الاسمية وهو تفسير أَبِي عُبَيْدَةَ أَيْضًا.

وقيل من نفس باقية. وقيل من بقاء على أنه مصدر كالطاغية من الطغيان والعاقبة.

---

(1) لأنَّ الريح أخرجت ما في بطونهم.

3343 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الحَكَمِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ».

3344 - قَالَ: وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَن ابْنِ أَبِي نُعْمٍ، ....

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ**) بفتح المهملتين وسكون الراء الأولى أي: ابن الزبير الناجي الشامي البَصْريّ مات سنة ثلاث عشرة ومائتين قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الحَكَمِ**) بفتحتين ابن عتيبة مصغر عتبة الباب.

(**عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»**) وهي ريح تقابل الصبا وورد في صفة إهلاكهم بالريح ما أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا والطبراني من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا رفعاه ما فتح اللَّه على عاد من الريح إلا موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم بين السماء والأرض فرآهم الحاضرة فقالوا هذا عارض ممطرنا فألقتهم عليهم فهلكوا جميعًا. والحديث قد مضى في باب قول النَّبِيّ ﷺ نصرت بالصبا.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**قَالَ**) أي: الْبُخَارِيّ، (**وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ**) هو مُحَمَّد بن كثير أبو عبد اللَّه العبدي المصري كذا روى هنا معلقا ورواه في تفسير براءة بقوله حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن كثير فوصله لكنه لم يسقه بتمامه وإنما اقتصر على طرف من أوله وابن كثير هذا هو أحد مشايخ الْبُخَارِيّ روى عنه في الكتاب في مواضع وروى مسلم عن عَبْد اللَّه الدارمي عنه عن أخيه في الرؤيا.

(**عَنْ سُفْيَانَ**) أي: الثَّوْرِيّ، (**عَنْ أَبِيهِ**) سَعِيد بن مسروق بن حبيب الثَّوْرِيّ الكوفي، (**عَن ابْنِ أَبِي نُعْمٍ**) بضم النون وسكون المهملة البجلي واسم الابن عبد الرحمن أَبُو الحكم البجلى الكوفي العابد وكان من عباد أهل الكوفة ممن يصبر على الجوع الدائم أخذه الحجاج ليقتله وأدخله بيتًا مظلمًا وسد الباب خمسة عشر يومًا ثم أمره بالباب ففتح ليخرج ويدفن فدخلوا عليه فإذا هو قائم يصلي فَقَالَ له الحجاج سر حيث شئت وأما اسم أَبِي نعم فما وقفت عليه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأرْبَعَةِ: الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ ....

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخدري **(رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ)** وهو باليمن أنه **(قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ)** ويروى بذهبة في تربتها قَالَ النووي هكذا هو في جميع نسخ بلادنا بذهبة بفتح الذال وكذا نقله القاضي عن جميع رواة مسلم.

وعن الجلودي قَالَ وفي رواية ابن هامان بذهيبة على صيغة التصغير.

وَقَالَ ابن قرقول: قوله بعث بذهب كذا الرواية عن مسلم عند أكثر شيوخنا[1]. ويقال الذهب يؤنث المؤنث الثلاثي إذا صغر ألحق في تصغير الهاء نحو فوليته وشميسة.

(فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأرْبَعَةِ) أي: بين أربعة أنفس وفي رواية مسلم فقسمها رَسُول اللّٰه ﷺ بين أربعة نفر.

(الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ) يجوز فيه الرفع والجر أما الرفع فعلى أنه خبر مبتدأ محذوف أي: أحدهم الأقرع وأما الجر فعلى أنه وما بعده من المعطوف بدل من الأربعة أو بيان والأقرع بفتح الهمزة وسكون القاف وبالراء والعين المهملة ابن حابس بالحاء المهملة وكسر الموحدة وبالسين المهملة ابن عقال بن مُحَمَّد بن سفين بن مجاشع المجاشعي الدارمي أحد المؤلفة قلوبهم.

قَالَ ابن إِسْحَاق: الأقرع بن حابس التميمي قدم على رَسُول اللّٰه ﷺ مع عطارد بن حاجب في أشراف بني تميم بعد فتح مكة وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصين شهدا مع رَسُول اللّٰه ﷺ فتح مكة وحنينًا والطائف.

وَقَالَ ابن دريد: اسم الأقرع فراس. وفي التوضيح بخط منصور بن عثمان الخابوري الصواب حصين.

وَقَالَ أَبُو عمر في باب الفاء في الاستيعاب: فراس بن حابس أظنه من بني العنبر قدم على رَسُول اللّٰه ﷺ في وفد بني تميم.

(1) قال الخطابي الذهيبة إنما أنّثها على نية القطعة من الذهب.

الحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ المُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ، وَزَيْدِ الطَّائِيِّ،

وفي التوضيح في كتاب لطائف المعارف لأبي يُوسُف كان الأقرع أصم مع قرعه وعوره.

وفي الكامل كان في صدر الإسلام سيد خذف وكان محله فيها محل عيينة ابن حصين في قيس، وَقَالَ المرزباني: هو أول من حرم القمار وكان حكمًا في كل موسم.

وَقَالَ الجاحظ في كتاب المرجان: إنه من أشرافهم وأحد الفرسان الأشراف.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كان أعرج الرجل اليسرى قتل باليرموك سنة ثلاث عشرة مع عشرة من بنيه.

وَقَالَ ابن دريد: استعمله عَبْد اللّه بن عامر بن كريز على جيش أنفذه إلى خراسان فأصيب بالجوزجان واللّه تَعَالَى أعلم.

(**الحَنْظَلِيِّ**) نسبة إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(**ثُمَّ المُجَاشِعِيِّ**) نسبة إلى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(**وَعُيَيْنَةَ**) على صيغة التصغير (**ابْنِ بَدْرٍ**) وفي رواية مسلم وعيينة بن حصين ففي رواية الْبُخَارِيّ نسب إلى جده وفي رواية مسلم نسب إلى أبيه حصين بن بدر ابن عمرو بن حويرثة بن لوذان ابن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن دينان بن نغيض بن ريث بن غطفان.

(**الفَزَارِيِّ**) بفتح الفاء وتخفيف الزاي وبالراء نسبة إلى فزارة المذكور في نسبه. وفي التوضيح عيينة اسمه حذيفة بن حصين بن حذيفة بن بدر ولقب عيينة لأنه طعن في عينه وكنيته أَبُو مالك أسلم قبل الفتح وارتد مع طليحة بن خويلد وقاتل معه وتزوج عثمان بابنته وهو عريق في الرياسة وهو المقول فيه الأحمق المطاع.

(**وَزَيْدِ الطَّائِيِّ**) وفي رواية مسلم وزيد الخير الطائي قَالَ النووي: قَالَ في هذه الرواية زيد الخير الطائي كذا هو في جميع النسخ الخير بالراء وَقَالَ فِي رِوَايَةِ

ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاثَةَ العَامِرِيِّ، ....

زيد الخيل باللام وكلاهما صحيح بالوجهين كان يقال له في الجاهلية زيد الخيل فسماه رسول ﷺ زيد الخير لأنه لم يكن في العرب أكثر من خيله.

وَقَالَ أَبُو عبيد: وكان له شعر وخطابة وشجاعة وكرم وتوفي لما انصرف من عند رَسُول اللّه ﷺ بالحمى، وقيل: توفي في آخر خلافة عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

وَقَالَ أَبُو عمر: زيد الخيل هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي قدم على رَسُول اللّه ﷺ سنة تسع وسماه رَسُول اللّه ﷺ زيد الخير وأقطع له أرضين في ناحيته يكنى أبا منذر، وفي كتاب أَبِي الفرج توفي بماء يقال له قردة.

وقيل لما دخل على رَسُول اللّه ﷺ طرح له متكأ فأعظم أن يتكئ عليه بين يدي رَسُول اللّه ﷺ فرده فأعاده ثلاثًا وعلمه دعوات كان يدعو بها فيعرف بها الإجابة ويستسقي فيسقى وَقَالَ يا رَسُول اللّه أعطني مائة فارس أغزو بهم على الروم فلم يلبث بعد انصرافه إلا قليلًا حتى حم ومات وكان في الجاهلية أسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته ثم أعتقه.

وَقَالَ ابن دريد: وكان لا يدخل مكة إلا معتمًا في خيفة النساء عليه.

(ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ) بفتح النون وسكون الموحدة هو ابن أسود بن عمرو بن الغوث بن طي قَالَ الرشاطي: من بني نبهان من أصحاب النَّبِيّ ﷺ زيد بن مهلهل ابن زيد بن منهب بن عبد رضا بن مختلس أَبُو ثوب بن مالك بن نابل ابن أسود بن نبهان كان من أجمل الناس وأحسنهم ولما قدم على رَسُول اللّه ﷺ قَالَ له: «**من أنت؟**» قَالَ: أنا زيد الخيل قَالَ: «**أنت زيد الخير**».

(وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاثَةَ) بضم العين المهملة وتخفيف اللام وبالثاء المثلثة ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة كان من أشراف قومه حليمًا عاقلًا ولم يكن فيه ذاك الكرم وارتد لما رجع رَسُول اللّه ﷺ من الطائف ثم أسلم أيام الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ وحسن إسلامه واستعمله عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ على حوران فمات بها.

(العَامِرِيِّ) نسبة إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن حفصة بن قيس غيلان.

ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلابٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، وَالأنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، ....

(**ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلابٍ**) كلاب هذا هو المذكور أولًا في النسب.

(**فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، وَالأنْصَارُ**) وليس فِي رِوَايَةِ مسلم والأنصار.

(**قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ**) أريد بهم الرؤساء وهو جمع صنديد بكسر الصاد وفي رواية مسلم أتعطي بهمزة الاستفهام على سبيل الإنكار.

والنجد بفتح النون وسكون الجيم: ما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب فالطائف من نجد والمدينة من نجد وأرض اليمامة والبحرين إلى عمان إلى العروض.

وَقَالَ ابن دريد: نجد بلد للعرب وإنما سمي نجدا لعلوه عن انخفاض تهامة.

وَتَدَعُنَا ويروى يعطى (**وَيَدَعُنَا**) بياء الغيبة أَيْضًا.

(**قَالَ**) النَّبِيّ ﷺ: («**إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ**») من التألف وهو المداراة والإيناس ليثبتوا على الإسلام رغبة فيما يصل من المال.

(**فَأَقْبَلَ رَجُلٌ**) وفي رواية مسلم فجاء رجل هذا الرجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير.

وقيل ولقبه ذو الثدية.

وَقَالَ ابن الأثير في كتاب الأدواء: ذو الثدية أحد الخوارج الذين قتلهم علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بحروراء من جانب الكوفة وهو الذي قَالَ فيه النَّبِيّ ﷺ وآية ذلك: «**أن فيهم رجلًا أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة**» ويقال له ذو الثدي أَيْضًا وهو حبشي واسمه نافع.

(**غَائِرُ العَيْنَيْنِ**) أي: غارت عيناه فدخلتا وهو ضد الجاحظ وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: غائر العينين أي: داخلتين في الرأس لاصقتين بقعر الحدقة.

(**مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ**) أي: غليظهما ويقال ليس بسهل الخد وقذفت وجنتاه أي: علتا وأصله من الشرف وهو العلو والوجنتان العظمان المشرفان على الخدين وقيل: لحم الجلد وكل واحدة وجنة فإذا عظمت فهو موجن والوجنة مثلثة الواو حكاها يعقوب وبالألف بدل الواو فهذه أربع لغات.

نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلا تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ، ـ أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ ـ ....

وَقَالَ ابن جني: أرى الرابعة على البدل.

وفي الجيم لغتان فتحها وكسرها حكاهما في البارع عن كراع والإسكان هو الشائع فصار في الجيم ثلاث لغات وَقَالَ ثابت: هما فوق الخدين إذا وضعت يدك وجدت حجم العظم تحتها وحجمه نتوّه.

وَقَالَ أَبُو حاتم: هو ما نتئ من لحم الخدين بين الصدغين وكنفي الأنف.

(**نَاتِئُ الجَبِينِ**) أي: مرتفعه وقيل: مرتفع على ما حوله وَقَالَ النووي: الجبين جانب الجبهة ولكل إنسان جبينان يكنفان الجبهة.

(**كَثُّ اللِّحْيَةِ**) يعني كثير شعرها غير مسبله والكث بفتح الكاف وتشديد المثلثة وَقَالَ ابن الأثير: الكثاثة في اللحية أن تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل كث اللحية بفتح الكاف وقوم كث بالضم.

(**مَحْلُوقٌ**) وفي صحيح مسلم محلوق الرأس وفي الكامل للمبرد رجل مضطرب الحلق أسود وأنه يكون لهذا أو لأصحابه نبأ.

وفي التوضيح: وفي الحديث أنه لا يدخل النار من شهد بدرًا ولا الحديبية حاشا رجلًا معروف منهم قيل: هو حرقوص ذكره الشَّيْخ اليعمري.

وفي الثعلبي أَنَّهُ أصل الخوارج.

(**فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ**) ﷺ: (**مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟**) أي: عصيته وفي مسلم فمن يطع اللَّه إن عصيته.

(**أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلا تَأْمَنُونِي، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ**) أي: فسأل النَّبِيّ ﷺ رجل قتل هذا القائل.

(**أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ**) أي: أحسب أن هذا السائل هو خالد بن الوليد كذا جاء هنا على الحسبان وجاء في الصحيح أنه خالد من غير حسبان وفي رواية أخرى أنه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ولا تنافي في هذا لأنهما كأنهما سألا جميعًا.

فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ....

(فَمَنَعَهُ) أي: منع خالدًا عن القتل وذلك لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه فهذه هي العلة وسلك معه مسلكه مع غيره من المنافقين الذين آذوه وسمع منهم من غير موطن ما كرهه لكنه صبر استبقاء لانقيادهم وتأليفًا لغيرهم حتى لا ينفروا.

(فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا) بكسر الضادين المعجمتين وسكون الهمزة الأولى وهو الأصل والعقب وحكي إهمالهما عن بعض رواه مسلم فيما حكاه القاضي وهو شائع في اللغة.

وَقَالَ ابن سيدة: الضئضئ والضؤضؤ الأصل وقيل هو كثرة النسل وَقَالَ في المهملة الضئضئ والسيضئ كلاهما الأصل عن يعقوب وحكى بعضهم صيصين بوزن قنديل حكاه ابن الأثير.

وَقَالَ النووي قالوا الأصل الشيء أسماء كثيرة، منها:

الضئضئ بالمعجمتين والمهملتين.

والنجار بكسر النون.

والنحاس، والسنخ بكسر السين وإسكان النون وبخاء معجمة.

والعيص.

والأروق.

(قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ) جمع حنجرة وهي رأس الغلصمة حيث تراه ناتئًا من خارج الحلق وَقَالَ ابن التين: معناه لا يرفع في الأعمال الصالحة.

وَقَالَ القاضي عياض: لا تفقه قلوبهم ولا ينتفعون بما يتلون منه ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم وقيل معناه لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل.

(يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ) وفي رواية من الإسلام أي: يخرجون منه.

(مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ) أي: خروج السهم إذا نفذ من الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق بالسهم من دمه شيء وبهذا سميت الخوارج المُرّاق والدين هنا

يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1].

الطاعة يريد أنهم يخرجون من طاعة الأئمة كخروج السهم من الرمية.

والرمية بفتح الراء وتشديد الياء على وزن فعيلة من الرمي بمعنى المفعول قَالَ الداوودي: الرمية الصيد المرميّ وهذا الذي ذكره صفات الخوارج الذين لا يدينون للأئمة ويخرجون عليهم.

(**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ**) هو كذلك فعل الخوارج (**وَيَدَعُونَ**) أي: يتركون (**أَهْلَ الأَوْثَانِ**) هو جمع وثن وهو كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي يعمل وينصب فيعبد وهذا بخلاف الصنم فإنه الصورة بلا جثة ومنهم من لم يفرق بينهما قيل لما خرج إليهم عَبْد اللّه بن خباب رسولًا من عند علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ جعل يعظهم فمر أحدهم بتمرة لمعاهد فجعلها في فيه فَقَالَ بعض أصحابه تمرة معاهد فبم استحللتها؟ قَالَ لهم عَبْد اللّه بن خباب أنا أدلكم على ما هو أعظم حرمة رجل مسلم يعني نفسه فقتلوه فأرسل إليهم علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن أقيدونا به؟ فقالوا كيف نقيدك به وكلنا قتله فقاتلهم علي فقتل أكثرهم قيل: كانوا خمسة آلاف.

وقيل: كانوا عشرة آلاف.

(**لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**) أي: قتلًا استأصلهم بالكلية كاستئصال عاد لا يبقى منهم أحد ولم يرد أنه يقتلهم بالآلة التي قتلت بها عاد بعينها فلا يرد أنه كيف يكون ذلك وعاد قد أهلكوا بريح صرصر وهذا على تقدير كون إضافة قتل إلى عاد من الإضافة إلى المفعول ويحتمل أن تكون من الإضافة إلى الفاعل ويراد به القتل الشديد القوي إشارة إلى أنهم موصوفون بالشدة والقوة ويروى قتل ثمود فإن قيل أليس قَالَ ﷺ: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم**» وَلِمَ لم يدع خالدًا رَضِيَ اللّه عَنْهُ يقتله؟

---

(1) قال الحافظ رحمه اللّه: الغرض منه قوله: «**لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، أي: قتلا لا يبقى منهم أحد إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: 8] ولم يرد أنه يقتلهم بالآلة التي قتلت بها عاد بعينها، ويحتمل أن يكون من الإضافة إلى الفاعل ويراد به القتل الشديد القوي، إشارة إلى أنهم موصوفون بالشدة والقوة، ويؤيده أنه وقع في طريق أخرى قتل ثمود، اهـ.

3345 - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ «يَقْرَأُ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 15]».

فالجواب: أنه ﷺ إنما أراد إدراك زمان خروجهم إذ كثروا وامتنعوا بالسلاح واعترضوا الناس بالسيف ولم تكن هذه المعاني مجتمعة إذ ذاك وإنما أنذر ﷺ أن سيكون ذلك في الزمان المستقبل وقد كان كما قَالَ ﷺ فأول ما نجم هؤلاء في أيام علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فإن قيل المال الذي أعطى رَسُول اللَّه ﷺ أولئك المؤلفة قلوبهم من أي: مال كان؟

فالجواب: أنه قَالَ بعضهم من خمس الخمس ورد بأنه ملكه وقيل من رأس الغنيمة، وأنه خاص به لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وردَّ بأن الآية منسوخة وذلك أن الأنصار لما انهزموا يوم حنين فأيد اللَّه رسوله وأمده بالملائكة فلم يرجعوا حتى كان الفتح رد اللَّه الغنائم إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شَيْئًا وطيب نفوسهم بقوله وترجعون برسول اللَّه ﷺ إلى رحالكم بعدما فعل ما أمر به.

واختيار أَبِي عبيد أنه كان من الخمس لا من خمس الخمس ولا من رأس الغنيمة وأنه جائز للإمام أن يصرف للأصناف المذكورة في آية الخمس حيث يرى أن فيه مصلحة للمسلمين ولكن ينبغي أن يعلم أولًا أن هذا الذهب ليس من غنيمة حنين ولا من الخمس وقد فرقها كلها.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ: «**لأقتلنهم قتل عاد**».

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا وكذا في التوحيد، والمغازي، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الزكاة، وأبو داود في السنة، وَالنَّسَائِيّ في الزكاة، والتفسير، والمحاربة[1].

---

(1) حدثنا خالد بن يزيد هو أبو الهيثم المقري الكاهلي الكوفي قال أخبرنا إسرائيل أي: ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن أبي إسحاق عمر بن عبد اللَّه السبيعي عن الأسود هو ابن يزيد النخعي أنه قال سمعت عبد اللَّه أي: ابن مسعود رضي اللَّه عنه يقول سمعت رسول اللَّه ﷺ يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قد مضى هذا الحديث في آخر باب قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾[نوح: 1] وقد مرَّ الكلام فيه أيضًا.

7 ـ باب قِصَّة يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ

7 ـ باب قِصَّة يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ

(باب قِصَّة يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ) هما أسماء رجلين ابني يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كذا ذكره القاضي عياض مشتقان من تأجج النار وهي حرارتها واشتعالها سموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وهذا على قراءة من همز وقيل أَيْضًا من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان أعجميان غير مشتقين، وفي المنتهى من همزهما جعل وزن يأجوج يَفْعُولا من أجيج النار أو الظليم ومن لا يهمزهما يجعلهما أعجميين.

وَقَالَ الأخفش: من همزهما جعل همزتهما أصلية ومن لم يهمزهما جعل الألفين زائدتين بجعل يأجوج (فَاعُولا) من مَجَجْتُ، ومأجوج (فَاعُولا) من مَجَجْتُ الشيء من فمي.

وَقَالَ الزمخشري: يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان بدليل منع الصرف للعجمة والعلمية. وهم من ذرية آدم بلا خلاف ولكن اختلفوا فقيل: إنهم من ولد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قاله مجاهد.

وقيل: إنهم جيل من الترك قاله الضحاك.

وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم ذكره الزمخشري.

وقيل: هم من الترك مغل المغول وهم أشد بأسًا وأكثر فسادًا من هؤلاء.

وقيل: هم من بني آدم ولكن من غير حواء لأن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فلما انتبه أسف على ذلك الماء الذي خرج منه فخلق اللّه من ذلك الماء يأجوج ومأجوج وهم متعلقون بنا من جهة الأب دون الأم حكاه الثعلبي عن كعب الأحبار وحكاه النووي أَيْضًا في شرح مسلم وغيره ولكن العلماء ضعفوه.

وَقَالَ ابن كثير: وهو جدير بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكروا من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بنص القرآن.

وقد جاء في الحديث أَيْضًا امتناع الاحتلام على الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَقَالَ نعيم بن حماد: حَدَّثَنَا يَحْيَى بن سَعِيد حَدَّثَنِي سليمان بن عيسى قَالَ: بلغني أنهم عشرون أمة يأجوج ومأجوج ويأجيج وأجيج والغيلانين، والغسلين، والقرانين، والقوطئين: وهو الذي يلتحف أذنه.

والقرمطين، والكنعانين، والدفرائين، والحاجونين، والأنطار، واليعاسين ورؤوسهم رؤوس الكلاب.

وعن عَبْد اللَّه بْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا بإسناد جيد الإنس عشرة أجزاء تسعة يأجوج ومأجوج وسائر الناس جزء واحد. وعن عطية بن حسان أنهم أمتان في كل أمة أربعمائة ألف لأمة ليس فيها أمة تشبه الأخرى.

وذكر الْقُرْطُبِيّ مَرْفُوعًا: يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج صنف منهم طوله مائة وعشرون ذراعًا قَالَ: ويروى أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحيات والعقارب وكل ذي روح من الطير وغيره وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم النية.

وَقَالَ ابن عبد البر في كتاب الأمم: هم أمة لا يقدر أحد على استقصاء ذكرهم لكثرتهم.

ومقدار الربع العامر مائة وعشرون سنة وأن تسعين منها ليأجوج ومأجوج وهم أربعون أمة مختلفو الخلق والقدود في كل أمة ملك ولغة ومنهم من مشيه وثب وبعضهم يغير على بعض ومنهم من لا يتكلم إلا همهمة.

ومنهم: مشوهون وفيهم شدة وبأس وأكثر طعامهم الصيد وربما أكل بعضهم بعضًا.

وذكر الباجي عن عبد الرحمن بن ثابت قَالَ الأرض خمسمائة عام منها ثلاثمائة بحور ومائة وتسعون ليأجوج ومأجوج وسبع للحبشة وثلاث لسائر الناس.

وروى ابن مردويه في تفسيره عن أحمد بن كامل نا مُحَمَّد بن سعد العوفي ثنا أبي ثنا عمي نا أَبِي عن أبيه عَنِ ابْن عَبَّاس عن أَبِي سَعِيد الخدري رضي اللَّه عنهم قال: قَالَ نبي اللَّه ﷺ وذكر يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل منهم حتى يولد

وَقَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 94] وقَوْلُ اللّهِ تَعَالَى: ....

لصلبه ألف رجل وبإسناده عن حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا يأجوج ومأجوج أمم كثيرة كل أمة أربعمائة ألف رجل لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حملوا السلاح الحديث.

وذكر أَبُو نعيم: أن صنفًا منهم أربعة أذرع طولًا وأربعة أذرع عرضًا يأكلون مشائم نسائهم.

وعن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ صنف منهم في طول شبر له مخالب وأنياب السباع وتداعي الحمام وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام إحداهما وبرة يشتون منها والأخرى جلدة يصيفون فيها.

وفي التذكرة: وصنف منهم كالأرز طوله مائة وعشرون ذراعًا.

وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى ويأكلون من مات منهم.

وعن كعب الأحبار أن التنين إذا آذى أهل الأرض نقله اللّه إلى يأجوج ومأجوج فجعله رزقًا لهم فيجزرون كما تجزرون الإبل والبقرة ذكره نعيم بن حماد في كتاب الفتن.

وروى مقاتل بن حبان عن عِكْرِمَة مَرْفُوعًا: بعثني اللّه ليلة أسري بي إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين اللّه تَعَالَى فأبوا أن يجيبوني فهم في النار ومن عصى من ولد آدم وولد إبليس.

(**وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى**) وعزّ وجلّ بالجر عطفًا على مدخول الباب وفي بعض النسخ باب قول اللّه عز وجل من غير ذكر قصة يأجوج ومأجوج.

(﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) وسيأتي بيان ذلك إن شاء اللّه تَعَالَى.

(**وقَوْلُ اللّهِ تَعَالَى**) هو أَيْضًا عطف على ما قبله وفي أكثر الأصول وقع هكذا باب قول اللّه تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: 83] إلى آخره من غير ذكر قصة يأجوج ومأجوج وقول اللّه عز وجل: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 94].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾[الكهف: 83-96]: .....

(﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾) كذا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ وساق غيره الآية ثم اتفقوا فِي قَوْلِهِ: طريقا[1] (إِلَى قَوْلِهِ: (﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾) والآيات في أواخر سورة الكهف قَالَ اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: 83] السائلون هم اليهود سألوا النَّبِيّ ﷺ على جهة الامتحان وقيل سأله أَبُو جهل وأشياعه وليس ذو القرنين المذكور في القرآن هو الإسكندر اليوناني الذي بنى الإسكندرية لما كان وزيره ومعلمه أرسطاطاليس وكان يأمر بأمره وهو من الكفار بلا شك وذو القرنين المذكور في القرآن عبد صالح ملك الأرض شرقًا وغربًا.

قَالَ الزمخشري: ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل: ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان، وكافران نمروذ وبخت نصر.

واختلف فيه فقيل: كان عبدًا صالحًا ملكه اللّه الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه ويحوطه الظلمة من ورائه. وقيل كان نبيًّا قاله الضحاك وعبد اللّه بن عمرو أَيْضًا[2] وقيل: كان رسولًا.

وَقَالَ الثعلبي: والصحيح إن شاء اللّه تَعَالَى كان نبيًّا مرسلًا ووزيره الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل كان ملكًا من الملائكة وعن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه سمع رجلًا يقول يا ذا القرنين فَقَالَ: اللّهم غفرًا أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الْأَنْبِيَاء حتى تسميتم بأسماء الملائكة، وعن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فَقَالَ أحب اللّه فأحبه. وأغرب الجاحظ في الحيوان فحكى أن أمه كانت من بني آدم وأن أباه كان من الملائكة قَالَ واسم أبيه

(1) هو قول أبي عبيدة في المجاز وقد سقط قوله طريقًا في بعض نسخ البخاري.
(2) وعليه ظاهر القرآن وروى الحاكم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا: ما أدري أكان ذو القرنين نبيًّا أم لا.

قيرى واسم أمه غيرى واللّه أعلم بصحته ومما يدل على أنه ليس الإسكندر اليوناني ما روى الفاكهي من طريق عُبَيْد اللّه بن عمير أن ذا القرنين حج ماشيًا فسمع به إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فتلقاه.

ومن طريق عطاء عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وصافحه ويقال إنه أول من صافح. ومن طريق عثمان بن ساج أن ذا القرنين سأل إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعو له فَقَالَ وكيف وقد أفسدتم بئري فَقَالَ لم يكن ذلك عن أمري يعني أن بعض الجنة فعل ذلك بغير علمه. وذكر ابن هشام في التيجان أن إِبْرَاهِيم تحاكم إلى ذي القرنين في شيء فحكم له. وروى ابن أَبِي حاتم من طريق علباء بن أحمد أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إِبْرَاهِيم وإسماعيل عليهما السلام يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فَقَالَ من يشهد لكما فقامت خمسة أكبش فشهدت فَقَالَ: صدقتما.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: الأكبش المذكورة حجارة ويحتمل أن تكون غنمًا فهذه الآثار يشد بعضه بعضًا ويدل على قدم عهدي ذي القرنين.

ومما يدل عليه أَيْضًا أنه كان ذو القرنين من العرب وأما الإسكندر اليوناني فهو من اليونان والعرب كلها من ولد سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بالاتفاق واليونان من ولد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فافترقا وفي إيراد المصنف قصة ذي القرنين قبل قصة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إشارة إلى توهين قول من زعم أنه الإسكندر اليوناني لأنه كان قريبًا من زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين زمن إِبْرَاهِيم وعيسى عليهما السلام أكثر من ألفي سنة.

وقيل: الإسكندر اليوناني(1) واختلف في زمانه فقيل: في القرن الأول من ولد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ روي ذلك عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ وأنه ولد بأرض الروم.

وقيل: كان بعد نمروذ روي ذلك عن الحسن.

---

(1) وإليه ذهب الزمخشري وتبعه القاضي.

وقيل: إنه من ولد إِسْحَاق من ذرية العيص روي ذلك عن مقاتل.

وقيل: كان في زمان الفترة بين مُوسَى وعيسى عليهما السلام.

وقيل: في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والأصح أنه من ولد سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه كان من أيام إِبْرَاهِيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ واجتمع به بالشام.

وقيل: بمكة كما تقدم.

وأما ما أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيّ ومحمد بن الربيع من حديث عقبة ابن عامر رَضِيَ اللّه عَنْهُ بإسناد فيه ابن لهيعة أن رجلًا سأل النَّبِيّ ﷺ عن ذي القرنين فَقَالَ كان من الروم فأعطى ملكًا فصار إلى مصر وبنى الإسكندرية فلما أتاه ملك فعرج به فَقَالَ انظر ما تحتك قَالَ أرى مدينة واحدة قَالَ تلك الأرض كلها وإنما أراد اللّه أن يريك وقد جعل لك في الأرض سلطانًا فسر فيها وعلم الجاهل وثبت العالم فقد ضعفه الْحَافِظ واللّه تَعَالَى أعلم.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر يلقب بذي القرنين تشبيهًا بالمتقدم لسعة ملكه وغلبته على البلاد الكثيرة أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس فلقب بذي القرنين لذلك والحق أن الذي قص اللّه نبأه في القرآن هو المتقدم.

ثم إنه قد اختلف في اسمه فروى ابن مردويه من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه عَبْد اللّه بن الضحاك بن معد بن عدنان وإسناده ضعيف جدًّا وهو مباين لما تقدم أنه كان في زمن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فكيف يكون من ذريته لا سيما على قول من قَالَ كان بين عدنان وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعون أبًا.

وقيل: اسمه الهميسع ذكره الهمداني وقَالَ: وكنيته أَبُو الصعب بن عمرو بن غريب بن زيد بن الهلان بن سبأ(1).

وقيل: اسمه الصعب وبه جزم كعب الأحبار وذكره ابن هشام في التيجان

(1) وقيل مصعب بن عبد اللّه بن الأزد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان وقيل بإسقاط عبد اللّه الأول.

عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أَيْضًا وأصح ما قيل من أسمائه الصعب لكثرة القائلين به ولوروده في كثير من أشعار العرب قَالَ أعشى بن قيس بن ثعلبة:

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويًا   بالحِنْوِ في جدَثٍ، هناك، مقيم

والحنو بكسر المهملة وسكون النون في ناحية العراق.

وَقَالَ الربيع بن ضبع:

والصعب ذو القرنين عمر ملكه   ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وَقَالَ قيس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا   للحربين ملاعب الأرياح

ووقع أَيْضًا مثله في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم.

وقد اختلف في اسم أبيه أَيْضًا فَقَالَ كعب هو أَبُو مراثد.

وَقَالَ الهمداني: هو مالك بن الحارث بن بيعة بن الحارث بن مالك بن سبأ وقيل: عَبْد اللّه بن قفان.

وقيل: مرزبه.

وقيل: مرزبان بن مردبه الابن بزاي والأب بدال.

وقيل: هو هرمس بن هردس وهذا ليس من أسماء العرب ولا الذي قبله، وحكى الْقُرْطُبِيّ أنه قيل فيه: أفريدون الذي قتل الضحاك الجبار وفيه يقول الشاعر:

فكأنه الضحاك في فتكاته   بالعالمين وأنت أفريدونا

وللضحاك قصة طويلة ذكرها الطَّبَرِيّ وغيره.

وأما أفريدون فذكروه في ملوك الفرس الأول والأقوى أن ذا القرنين من العرب كما تقدم ويدل على ذلك قول تبع:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما   ملكًا يدين له الملوك وتحشد[1]

---

(1) قوله: وتحشد أي: تجيب له الملوك مسرعين إذا دعاهم.

من بعده بلقيس كانت عمتي ملكتهم حتى أتاها الهدهد

وَقَالَ الحارث يفتخر بكون ذي القرنين من العرب يخاطب قومًا من مصر:

سموا لنا واحدًا منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبعين وذي القرنين يقبله أهل الحجى وأحق القول ما قبلا

وَقَالَ النعمان بن بشير:

ومن ذا يعادينا من الناس معشر كرام وذو القرنين منا وحاتم

وقد جاء في حديث أنه من حمير وَأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله[1]. وذكر مقاتل أنه من حمير وَفد أَبوهُ إلى الروم فتزوج امرأة من غسان فولدت له ذا القرنين.

وَقَالَ وهب بن منبه: وسمي بالإسكندر ومن هنا يشارك هو الإسكندر اليوناني في الاسم وكثير من الناس يخطئون في هذا ويزعمون أن الإسكندر المذكور في القرآن هو الإسكندر اليوناني وهو زعم فاسد على ما تقدم ثم إنه قد اختلف في سبب تسميته ذا القرنين، فقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب قطري الأرض.

وقيل: لأنه ملكهما فعن النَّبِيّ ﷺ سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقًا وغربًا.

وقيل: كان له قرنان أي: ضفيرتان تواريهما العمامة والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنًا وقرون الناس ضفائرهم ومنه في حديث أم عطية في غسل ابنته وأمرنا أن نجعل رأسها ثلاثة قرون ومنه قول جميل:

فلثمت فاها آخذا بقرونها

وقيل: كان له غديرتان من شعر يطأ فيهما.

وقيل: كان صفحتا رأسه من نحاس روي ذلك عن مجاهد.

وقيل: كان لتاجه قرنان.

---

(1) وذكر ابن هشام أنه أول التبابعة.

وقيل: لأنه عمر حتى انقرض في زمانه قرنان من الناس.

وقيل: كان في رأسه ما يشبه القرنين.

وقيل: رأى أنه قبض على قرني الشمس.

وقيل: لأن قرني الشيطان عند مطلع الشمس وقد بلغه[1]

وقيل: لأنه كان كريم الطرفين الأب والأم كانا من بيوت شرف.

وقيل: لأنه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركائبه جميعًا.

وسأل ابن الكوار عليًّا رَضِيَ اللّه عَنْهُ ما ذو القرنين أملك أم نبي؟ فَقَالَ ليس بملكٍ ولا نبي ولكن كان عبدًا صالحًا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة اللّه فمات ثم بعثه اللّه فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه اللّه فسمي ذا القرنين. يعني أنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه فمات ثم بعث فضربوه على قرنه الآخر فمات ثم بعث.

وقيل: لأنه أعطي علم الظاهر والباطن حكاه الثعلبي.

وقيل: عن الربيع لأنه دخل أرض النور وأرض الظلمة مع وزيره الخضر وفاته عين الحياة وحظي بها الخضر فاغتم لذلك غمًّا شديدًا فأيقن بالموت فمات بدومة الجندل وكان منزله روي هكذا عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ وقيل بشهرزور.

وقيل: بأرض بابل وكان قد ترك الدنيا وتزهد وهو الأصح.

وقيل: مات بالقدس ذكره أَبُو بكر الواسطي الخطيب في فضائل القدس.

قيل: وكان عدد ما سار في الأرض في البلاد منذ يوم بعثه اللّه تَعَالَى إلى أن قبض خمسمائة عام.

وَقَالَ مجاهد: عاش ألف سنة مثل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: كانت مدة حكمه ألفي سنة وكان على دين الخليل عليه السلام.

وقيل: عاش إلى أن أدركه سيل العرم.

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا بلغني أنه عاش ستا وثلاثين سنة.

---

(1) وعن وهب لأنه ملك الروم والفارس وروي: الروم والترك.

قيل: ثنتين وثلاثين سنة والله تَعَالَى أعلم.

﴿قُل﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم﴾ قَالَ الزمخشري الخطاب لأحد الفريقين منه ﴿ذِكْرًا﴾ أي: من أخباره وقصصه ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: 84] أي: من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقًا موصولًا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ يوصله إليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾. ويقال سهلنا عليه الأمر في السير في الأرض حتى بلغ مشارقها ومغاربها قَالَ علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ سخر اللَّه له السحاب فحمل عليه وبسط له النور فكأن الليل والنهار عليه سواء.

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84] أي: علمًا يتسبب به إلى ما يريد.

وقيل: علمًا بالطرق والمسالك فسخرنا له أقطار الأرض كما سخر الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: جعل له في الأرض من كل أمة سلطانا وهيبة.

وقيل: ما يستعين به على لقاء العدو ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86] أي: ذات حمأة من حمئت البئر إذا صارت فيها الحماة ومن قرأ حامية فقيل معناه مثل الأولى.

وقيل: حارة ويجوز أن تكون حارة وذات حمأة وعن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كنت رديف رَسُول اللَّه ﷺ على جمل فرأى الشمس حين غابت فَقَالَ أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه؟ قلت اللَّه ورسوله أعلم قَالَ فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مَسْعُود وطلحة وابن عمر وابن عمرو بن العاص والحسن وكذا قراءة أَبِي عامر وحمزة والكسائي وشعبة.

وقرأ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا حمئة وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وحفص ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: 86] أي: وجد عند العين أو عند نهاية العمارة قومًا لباسهم جلود السباع وليس لهم طعام إلا ما أحرقته الشمس من

الدواب إذا غربت نحوها وما لفظت العين من الحيتان إذا وقعت.

وعن ابن السائب هناك قوم مؤمنون وقوم كافرون ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: 86] من قَالَ إنه نبي قَالَ هذا قول ووحي.

ومن منع ذلك قَالَ: إنه إلهام أو على لسان ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ أي: بالقتل على كفرهم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي: بالإرشاد وتعليم الشرائع.

قَالَ الزمخشري: كانوا كفرة فخيره اللّه بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه إحسانًا في مقابلة القتل ويؤيده الأول قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف: 87].

يعني أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره واستمر على ظلمه العظيم الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه اللّه في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله.

وعن قَتَادَة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر. ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 88] وهو ما يقتضيه الإيمان فله في الدارين جزاء الحسنى أي: جزاء فعلته الحسنى قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب جزاءً منونًا منصوبًا على الحال أي: فله المثوبة الحسنى أي: الجنة مجزيًا بها أو على المصدر لفعله المقدر حال أي: يجزئ بها جزاء وعن قَتَادَة ومن آمن أعطاه وكساه ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا﴾ أي: مما نأمر به ﴿يُسْرًا﴾ سهلًا متيسرًا غير شاق وتقديره ذا يسر أي: لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: 89] أي: ثم أتبع طريقًا يوصله إلى المشرق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: 90] أي: الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولًا من معمورة الأرض وقرئ بفتح اللام على إضمار مضاف أي: مكان مطلع الشمس فإنه مصدر ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الكهف: 90] قيل: هم الزنج ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ [الكهف: 90] أي: من دون الشمس وأمامها سترًا من اللباس.

وعن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض وقيل: من البناء.

وعن كعب الأحبار: أن أرضهم لا تمسك الأبنية لا تستقر عليها الأبنية وقد اتخذوا سرابًا فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وحروثهم. وعن الحسن كانت أرضهم على شاطئ البحر على الماء لا تحتمل البناء فإذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في الماء وإذا ارتفعت عنهم خرجوا.

وعن بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قَالَ فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي عليَّ ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربالهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم والله تَعَالَى أعلم. كذلك أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك تعظيمًا لأمره.

وأمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار(1) يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ [الكهف: 91] من الجنود والآلات وأسباب الملك خبرًا. علما تعلق بظواهره وخفاياه.

والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغًا لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: 89] يعني طريق ثالثًا معترضًا بين المشرق والمغرب آخذًا من الجنوب إلى الشمال ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: 93] أي: الجبلين المبني بينهما سد ذي القرنين وهما جبلا أرمينية وآذربيجان.

(1) وقيل لم نجعل لهم سترًا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الأبنية والجبال والحصون والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف، وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي: كما بلغ مغربها. وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم قاله الكسائي.

وقيل: جبلان في آخر الشمال في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق مبقى من ورائهما يأجوج ومأجوج.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان.

وقيل: ما كان من خلق اللّه فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي: هو مما فعله اللّه وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس قاله أبو عمرو بن العلاء.

وقيل: بالعكس[1] وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجرَّ على الإضافة فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾. وكما ارتفع فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 94] لأنه من الظروف المتصرفة التي تستعمل أسماء وظروف ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: أمام السدين ﴿قَوْمًا﴾ هم الترك ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93]. لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم.

وقرأ حمزة والكسائي: لا يفقهون بضم الياء وكسر القاف أي: لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: 94] أي: قَالَ مترجمهم وفي مصحف ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ الذين من دونهم ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ [الكهف: 94] قَالَ القاضي: قبيلتان من ولد يافث بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: مأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف.

وقيل: عربيان من أج الظليم إذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث هذا وقرأ رؤبة أجوج ومأجوج.

(1) وقيل بالفتح مما رأيته وبالضم ما توارى عنك وقد فسر البخاري السدين بقوله: والسدين الجبلين. روى ابن أبي حاتم من حديث عقبة بن عامر مرفوعًا في قصة ذي القرنين فإنه سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء وفي إسناده ضعف.

«وَاحِدُهَا زُبْرَةٌ وَهِيَ القِطَعُ» ....

وقد مر التفصيل في ذلك ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: 94] أي: في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع.

قيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يجدون شَيْئًا أخضر إلا أكلوه ولا يابسًا إلا احتملوه وكانوا يلقون منه قتلًا وأذى شديدًا وقيل كانوا يأكلون الناس.

وقيل: كانوا يفعلون فعل قوم لوط ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ [الكهف: 94] جعلا نخرجه من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجًا وكلاهما واحد كالنول والنوال.

وقيل: الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر[1] ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدًّا﴾ [الكهف: 94]، يحجر دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قَالَ أي: ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٌ﴾ أي: ما جعلني فيه مكينًا من كثرة المال واليسار والملك خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي إليه كما قَالَ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ وقرأ ابن كثير مكنني على الأصل ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ بفعله وصناع يحسنون البناء أو العمل أو بما أتقوى به من الآلات ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: 95] حاجزًا حصينًا موثقًا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم إذا كان رقاع فوق رقاع ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾ [الكهف: 96] أي: قطعة والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لأن الإيتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة أَبِي بكر رد ما، آتوني بكسر النون موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولأن إعطاء الآلة من الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل.

وقد فسر الْبُخَارِيّ الزبر بقوله: («**وَاحِدُهَا زُبْرَةٌ وَهِيَ القِطَعُ**») وهكذا فسره أَبُو عبيد حيث قَالَ زبر الحديء أي: قطع الحديد واحدتها زبرة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ [الكهف: 96] بفتحتين جانبًا الجبل لأنهما يتصادفان أي: يتقابلان وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين أَبُو بكر بضم الصاد وإسكان الدال وقرئ

(1) وقد فسَّر البخاري قوله: خرجًا: أجرًا. روى ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما خرجًا: قال: أجرًا عظيمًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: 96] يُقَالُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الجَبَلَيْنِ، وَالسُّدَّيْنِ الجَبَلَيْنِ ﴿خَرْجًا﴾ [الكهف: 94]: «أَجْرًا»، ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾ [الكهف: 96]: «أَصْبُبْ عَلَيْهِ رَصَاصًا، وَيُقَالُ الحَدِيدُ، وَيُقَالُ: الصُّفْرُ «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «النُّحَاسُ»

بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لأن كلًّا منهما منعزل عن الآخر. وقد فسر الْبُخَارِيّ الصدفين بقوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ **يُقَالُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**): رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا (**الجَبَلَيْنِ**) وصله ابن أَبِي حاتم من طريق علي ابن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ بين الصدفين قَالَ بين الجبلين وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ قوله بين الصدفين أي: ما بين الناحيتين من الجبلين.

(﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾) أي: قَالَ للعملة انفخوا في الأكوار والحديد (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾) أي: جعل المنفوخ فيه كالنار بالإحماء (﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾) أي: آتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على أن إعمال الثاني في باب تنازع العاملين أولى إذ لو كان قطرًا مفعول آتوني لأضمر مفعول أفرغ حذرًا من الإلباس والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر وقرأ حمزة وأبو بكر قَالَ: آتوني موصولة الهمزة[1] ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ بحذف التاء حذرًا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالإدغام جامعًا بين الساكنين على غير حدة وقرئ بقلب السين صادًا ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ أن يعلوه بارتفاعه

---

(1) وقال البخاري: قال: انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ عليه قطرًا أصبُّ عليه قطرًا رصاصًا، فسر قوله قطرًا بقوله رصاصًا وهو بكسر الراء وفتحها ثم قال: ويقال الحديد أي: القطر هو الحديد حكاهما أبو عبيدة قال: في قوله أفرغ عليه قطرًا أي: أصبُّ عليه حديدًا ذائبًا وجعله قوم الرصاص ويقال:

الصفر بضم الصاد وكسرها، وفي المغرب الصفر: النحاس الجيد الذي يعمل منه الآنية.

روى ابن أبي حاتم من طريق الضحاك قال أفرغ عليه قطرًا قال: صُفرًا.

وقال ابن عباس رضي اللّٰه عنهما: النحاس وصله ابن أبي حاتم بإسناد صحيح إلى عكرمة عن ابن عباس قال أفرغ عليه قطرًا، ومن طريق السدي قال: القطر: النحاس وبناه لهم بالحديد والنحاس.

ومن طريق وهب بن منبه قال شرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقًا من نحاس وصفر فصار كأنه برد محبّر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد.

﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: 97]» يَعْلُوهُ، اسْتَطَاعَ اسْتَفْعَلَ، مِنْ أَطَعْتُ لَهُ، فَلِذَلِكَ فُتِحَ أَسْطَاعَ يَسْطِيعُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتَطَاعَ يَسْتَطِيعُ، ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

وانملاسه ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: 97] لصلابته وثخانته قيل حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين وساوى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضها ببعض وصار جبلًا صلدًا.

وقيل: بناه من الصخور مرتبطًا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها.

وقيل: بعد ما بين السد مائة فرسخ قَالَ الْبُخَارِيّ.

(﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ **يَعْلُوهُ**) وهكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ فما اسطاعوا أن يظهروه أي: أن يعلوه تقول ظهرت فوق الجبل إذا علوته.

(**اسْتَطَاعَ اسْتَفْعَلَ، مِنْ أَطَعْتُ لَهُ، فَلِذَلِكَ فُتِحَ أَسْطَاعَ يَسْطِيعُ**) أشار به إلى أن فما اسطاعوا الذي بلا تاء مثناة فوقية جمع مفرده اسطاع ووزنه في الأصل استفعل لأنه من طعت له بضم الطاء وسكون العين لأنه من باب نصر ينصر وهو أجوف واوي من الطوع تقول طاع له وطعت له مثل قَالَ له وقلت له ولما نقل طاع إلى باب الاستفعال صار استطاع على وزن استفعل ثم حذفت التاء للتخفيف بعد نقل حركتها إلى الهمزة فصار اسطاع بفتح الهمزة وسكون السين وأشار إلى هذا بقوله فلذلك فتح اسطاع يسطيع أي: فلأجل حذف التاء ونقل حركتها إلى الهمزة قيل: اسطاع يسطيع بفتح الهمزة في الماضي وفتح الياء في المستقبل كذا قَالَ الْعَيْنِيّ.

والظاهر ما قَالَ الْكِرْمَانِيّ ما حاصله أنه حذف التاء منه ولذلك يفتح حرف المضارعة يسطيع إذ لو كان أفعل من الطاعة وزيد فيه السين لكان مضارعه يسطيع بضم حرف المضارعة.

(**وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتَطَاعَ**) بفتح الهمزة.

(**يَسْتَطِيعُ**) بضم الياء على أنه أفعل زيد فيه السين.

(﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ **[الكهف: 97]**) أشار به إلى أن التصرف المذكور

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: 97-98]: أَلْزَقَهُ بِالأرْضِ، وَنَاقَةٌ دَكَّاءُ لا سَنَامَ لَهَا، وَالدَّكْدَاكُ مِنَ الأرْضِ مِثْلُهُ، حَتَّى صَلُبَ مِنَ الأَرْضِ وَتَلَبَّدَ، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف: 98-99] ....

كان فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ وأما قوله: ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: 97] فعلى الأصل من باب الاستفعال قَالَ هذا أي: السد أو الاقتدار على تسويته رحمة من ربي على عباده ونعمة عظيمة لهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ أي: وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو إذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي: جعله مدكوكًا مبسوطًا مسوّى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أي: أرضًا مستوية ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: 98] كائنًا لا محالة وهو آخر حكاية ذي القرنين وَقَالَ الْبُخَارِيّ.

(﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ **أَلْزَقَهُ بِالأرْضِ**) أي: جعله مسوًّى بالأرض قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ جعله دكًّا أي: تركه مدكوكًا أي: ألزقه بالأرض.

(**وَنَاقَةٌ دَكَّاءُ لا سَنَامَ لَهَا**) يعني يقال ناقة دكاء أي: لا سنام لها مستوية الظهر والعرب تصف الفاعل والمفعول بمصدرهما فمن ذلك جعله دكًّا أي: مدكوكًا.

(**وَالدَّكْدَاكُ مِنَ الأرْضِ مِثْلُهُ**) أي: الملصق بالأرض المسوّى بها.

(**حَتَّى صَلُبَ مِنَ الأَرْضِ وَتَلَبَّدَ**) قَالَ الْجَوْهَرِيّ الدكداك من الرمل ما تلبد منه بالأرض ولم يرتفع.

(﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾) قد عرفت آنفًا هذا آخر حكاية ذي القرنين.

(﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾) وهذا ابتداء كلام آخر له نوع تعلق بما قبله على أحد التفسيرين أي: وتركنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد روي أنهم يأتون البحر ويشربون ماءه ويأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث اللَّه تَعَالَى نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون والنغف بالتحريك والغين المعجمة الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم وروى التِّرْمِذِيّ من حديث السُّدِّيّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وفيه

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء: 96]

فيخرجون على الناس فيستقون المياه، وفي تفسير مقاتل فإذا خرجوا فيشرب أولهم دجلة والفرات حتى يمر آخرهم فيقول قد كان ههنا مرة ماء.

أو المعنى وتركنا بعض الخلق يوم القيامة يموج أي: يضطرب ويخلط في بعض إنسهم وجنهم وهم حيارى من شدة يوم القيامة.

(﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾) وفي بعض النسخ باب حتى إذا فتحت إلى آخره هذه حرف ابتداء بسبب إذا لأنها تقتضي جوابًا هو المقصور ذكره قيل جوابه: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ والواو زائدة كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 71] والمعنى أن حرمة رجوع أهل قرية أهلكها اللّه تعالى وامتناعه يستمر إلى قيام الساعة وظهورها أمارتها وهي فتح سدّ يأجوج ومأجوج فحتى متعلقة بقوله حرام وغاية له وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد. وحذف المضاف إلى يأجوج ومأجوج وهو سدها كما حذف المضاف إلى القرية وهو أهلها وقد تقدم أن يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما هو الأصح وقيل من ولد يافث وأنه روى ابن مردويه والحاكم من حديث حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف رجل لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح لا يمرون على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم.

وذكر ابن هشام في التيجان أن أمة منهم آمنوا باللّه فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بأرمينية فسموا الترك لذلك(1) وضمير وهم إلى الناس المسوقين إلى المحشر.

وقيل: هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد والحدب النشز من الأرض أي: المرتفع وقرأ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا من كل جدث وهو القبر، وينسلون أي: يسرعون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الإسراع كمشي الذئب إذا بادر والعسلان بالعين المهملة مثله وقرئ: ينسلون بضم السين أَيْضًا.

---

(1) وقد يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج.

قَالَ قَتَادَةُ: «حَدَبٍ: أَكَمَةٍ» قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: رَأَيْتُ السَّدَّ مِثْلَ البُرْدِ المُحَبَّرِ، قَالَ: «رَأَيْتَهُ؟»[1].

(قَالَ قَتَادَةُ: «حَدَبٍ: أَكَمَةٍ») يعني أن قَتَادَة فسر الحدب بالأكمة وهي الأرض المرتفعة.

و(قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: رَأَيْتُ السَّدَّ مِثْلَ البُرْدِ المُحَبَّرِ[2] قَالَ: «رَأَيْتَهُ؟») أي: رأيته صحيحًا وأنت صادق في ذلك.

وهذا التعليق وصله ابن أَبِي عمر من طريق سَعِيد عن قَتَادَة عن رجل من أهل المدينة أنه قَالَ للنبي ﷺ يا رَسُول اللّه قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قَالَ: «**كيف رأيته؟**» قَالَ مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء قَالَ: «**قد رأيته**». ورواه الطبراني من طريق سَعِيد عن قَتَادَة عن رجلين عن أَبِي بكرة أن رجلًا أتى النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ فذكر نحوه.

وَأَخْرَجَهُ البزار من طريق يُوسُف بن مريم عن أَبِي بكرة ورجل رأى السد فساقه مطولًا.

وَأَخْرَجَهُ ابن مردويه في تفسيره عن سليمان بن أحمد أَخْبَرَنَا أحمد بن يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو الجماهر أَخْبَرَنَا سَعِيد بن بشير عن قَتَادَة عن رجلين عن أَبِي بكرة الثقفي أن رجلًا أتى رَسُول اللّه ﷺ فَقَالَ يا رَسُول اللّه إني قد رأيته يعني السد فَقَالَ: «**كيف هو؟**» قَالَ: كالبرد المحبر قَالَ: «**قد رأيته**» قَالَ: وحدثنا قَتَادَة قَالَ: طريقة حمراء من نحاس وطريقة سوداء من حديد.

وَقَالَ نعيم بن حماد في كتاب الفتن حَدَّثَنَا مسلمة بن علي ثنا سَعِيد بن بشير عن قتال قَالَ: قَالَ رجل يا رَسُول اللّه قد رأيت الردم وأن الناس يكذبونني فَقَالَ كيف رأيته قَالَ رأيته كالبرد المحبر قَالَ صدقت والذي نفسي بيده لقد رأيته ليلة الإسراء لبنة من ذهب ولبنة من رصاص وَقَالَ الجوفي في تفسيره بعد ما بين

---

(1) قال الحافظ: قوله قال رجل إلخ وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: «**كيف رأيته؟**»، قال مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء قال: «**قد رأيته**»، اهـ.

(2) بضم الباء وهو نوع من الثياب معروف والجمع أبراد وبرود والبردة: الشملة المخططة والمحبر بالحاء المهملة وتشديد الموحدة المفتوحة أي: خط أبيض وخط أسود أو أحمر.

3346 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، حَدَّثَتْهُ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ....

الجبلين مائة فرسخ فلما أخذ ذو القرنين في عمله حفر له أساسًا حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين فرسخًا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس المذاب فبقي كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقًا من نحاس فصار كأنه برد محبر.

(**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ**) هو يَحْيَى بن عَبْد اللَّه بن بكير أَبُو زكريا المخزومي قَالَ: (**حَدَّثَنَا اللَّيْثُ**) أي: ابن سعد، (**عَنْ عُقَيْلٍ**) بضم العين هو ابن خالد مولى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(**عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**) مُحَمَّد بن مسلم الزُّهْرِيّ، (**عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ**) أي: ابن العوام (**أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ**) عبد اللَّه بن عبد الأسد المخزومية وزينب ربيبة النَّبِيّ ﷺ أخت عمر بن أَبِي سلمة وأمها أم سلمة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا زوج النَّبِيّ ﷺ.

(**عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ**) رملة (**بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ**) صخر بن حرب بن أمية وأم حبيبة زوج النَّبِيّ ﷺ أَيْضًا.

(**عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ**) أي: ابن رباب زوج النَّبِيّ ﷺ أَيْضًا ومن لطائف هذا الإسناد أن فيه ثلاث صحابيات يروي بعضهن عن بعض وهو من النوادر.

وأندر منه في إحدى روايات مسلم أربع من الصحابيات وهو أنه روى أولًا وَقَالَ حَدَّثَنِي عمرو والناقد حَدَّثَنَا سُفْيَان بن عيينة عن الزُّهْرِيّ عن عُرْوَة عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش أن النَّبِيّ ﷺ استيقظ من نومه يقول لا إله إلا اللَّه ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد سُفْيَان بيده عشرة الحديث ثم روى وَقَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بكر ابن أَبِي شيبة وسعيد بن عمرو والأشعثي وزهير بن حرب وبن أَبِي عمر قالوا حَدَّثَنَا سُفْيَان عن الزُّهْرِيّ بهذا الإسناد وزادوا في الإسناد عن سُفْيَان فقالوا عن زينب بنت أَبِي سلمة عن حبيبة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش.

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ ....

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ أَيْضًا وَقَالَ حَدَّثَنَا سَعِيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد قالوا ثنا سُفْيَان عن الزُّهْرِيّ عن عُرْوَة عن زينب بنت أَبِي سلمة عن حبيبة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش رضي اللّه عنهم قالت استيقظ رَسُول اللّه ﷺ من نوم محمرًا وجهه وهو يقول لا إله إلا اللّه يرددها ثلاث مرات ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد عشرًا الحديث.

وَأَخْرَجَهُ ابن ماجة عن أَبِي بكر بن أَبِي شيبة عن سُفْيَان بن عيينة عن الزُّهْرِيّ إلى آخره نحوه وفيه وعقد بيده عشرة وَقَالَ التِّرْمِذِيّ قَالَ الحُمَيْدِيّ عن سُفْيَان بن عيينة حفظت من الزُّهْرِيّ في هذا الإسناد أربع نسوة زينب بنت أَبِي سلمة عن حبيبة وهما ربيبتا النَّبِيّ ﷺ عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوجي النَّبِيّ ﷺ، وَقَالَ النووي وحبيبة هذه هي بنت أم حبيبة ابنة أَبِي سُفْيَان ولدتها من زوجها عَبْد اللّه بن جحش الذي كانت عنده قبل النَّبِيّ ﷺ هذا وذكره أَبُو عمر في الاستيعاب في كتاب النساء فَقَالَ حبيبة بنت أَبِي سُفْيَان قَالَ أبان ابن صمغة سمع مُحَمَّد بن سيرين يقول حدثتني حبيبة بنت أَبِي سُفْيَان سمعت النَّبِيّ ﷺ يقول من مات له ثلاث من الولد الحديث ولم يرو عنها غير مُحَمَّد بن سيرين ولا يعرف لأبي سُفْيَان ابنته يقال لها حبيبة والذي أظنه أنها حبيبة بنت أم حبيبة ابنة أَبِي سُفْيَان ثم ذكر أَبُو عمر الحديث الذي رواه مسلم من طريق سُفْيَان بن عيينة تأكيدًا لما قاله إن حبيبة بنت أم حبيبة وليست بنت أَبِي سُفْيَان واللّه تَعَالَى أعلم.

(**أَنَّ النَّبِيّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا**) أي: على زينب بنت جحش (**فَزِعًا**) نصب على الحال وإنما دخل عليها على هذه الحالة خشية أن يدركه وقتهم لما فيه من الهرج وهلاك الدين.

(**يَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ**) كلمة ويل للحزن والهلاك والمشقة من العذاب وكل من وقع في الهلكة يدعى بالويل وإنما خص العرب لاحتمال أنه أراد ما وقع من قتل عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ بينهم.

وقيل: يحتمل أنه أراد ما سيقع من مفسدة يأجوج ومأجوج لأن معظم مفسدتهم راجع إليهم وقد وقع بعض ما أخبر به ﷺ يقال إن يأجوج هم الترك وقد

مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا،

وقع منهم من المفاسد العظيمة في بلاد المسلمين ما وقع وقد أهلكوا الخليفة المعتصم وجرى ما جرى ببغداد.

(**مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ**) أي: من سد (**يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ**) يقال ردمت الثلة أي: سددتها الاسم والمصدر سواء وذلك أنهم يحفرون كل يوم حتى لا يبقى بينهم وبين أن يخرقوا النقب إلا يسير فيقولون غدًا نأتي فنفرغ منه فيأتون بعد الصباح فيجدونه عاد كهيئته فإذا جاء الوقت قالوا عند المساء غدًا إن شاء اللّه نأتي فنفرغ فينقبونه ويخرجون.

أَخْرَجَهُ ابن مردويه في تفسيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وحذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وفي تفسير مقاتل يغدون إليه في كل يوم فيعالجونه حتى يولد فيهم رجل مسلم فإذا غدوا عليه قَالَ لهم المسلم قولوا بسم اللّه فيعالجونه حتى يتركوه رقيقًا كقشر البيض ويرى ضوء الشمس فيقول المسلم قولوا بسم اللّه غدًا نرجع إن شاء اللّه فنفتحه الحديث.

(**مِثْلُ هَذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا**) يعني جعل الإصبع السبابة في أصل الإبهام وضمها حتى لم يبقَ بينهما إلا خلل يسير وهو من مواضعات الحساب. وظاهر هذا يدل على أن الذي فعل هذا هو النَّبِيّ ﷺ وقد مر في حديث مسلم من طريق سُفْيَان بن عيينة وعقد سُفْيَان بيده عشرة.

وفي رواية الْبُخَارِيّ أَيْضًا في كتاب الفتن: وعقد سُفْيَان تسعين أو مائة ويأتي أَيْضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ فتح اللّه من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد بيده تسعين وجاء فِي رِوَايَةِ مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ من طريق وهيب عن عَبْد اللّه بن طاوس عن أبيه عنه وفيه وعقد وهيب بيده تسعين فههنا ثلاثة أشياء الأول الاختلاف في العاقد والثاني الاختلاف في العدد والثالث أن هذا الحديث يعارضه قوله ﷺ: «**إنّا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**».

فالجواب عن الأول ما أشار إليه كلام ابن العربي: أن نفس العقد مدرج وليس منه ﷺ وإنما الرواة عبروا عن الإشارة التي فِي قَوْلِهِ ﷺ مثل هذه في

قَالَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخُبْثُ».

3347 - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ».

3348 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، ....

حديث الباب وغيره وذلك لأنهم لم يشاهدوا تلك الإشارة.

وعن الثاني ما قاله القاضي عياض: أن المراد التقريب بالتمثيل لا حقيقة التحديد.

وعن الثالث أن قوله ﷺ: «إنا أمة الحديث» لبيان صورة خاصة معينة.

(قَالَتْ[1] زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ) بالنون وكسر اللام وحكى فتحها.

(وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخُبْثُ») قَالَ الْكِرْمَانِيّ بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة وفسره الجمهور بالفسوق والفجور.

وقيل: المراد الزنا خاصة وقيل أولاد الزنا والظاهر أنه العاصي مُطْلَقًا والمعنى أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك وإن كان هناك صالحون.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا وُهَيْبٌ) مصغر وهب هو ابن خالد البَصْريّ قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ) هو عَبْد اللَّه بن طاوس، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ») ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الفتن أَيْضًا وكذا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فيه.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ) هو إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم بن نصر بسكون المهملة الْبُخَارِيّ قَالَ: (أَخْبَرَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن أسامة، (عَنِ الأَعْمَشِ) سليمان بن

---

(1) ويروى قالت بدون الفاء وهو الظاهر.

حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، ....

مهران أنه قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ**) ذكوان أن الزيات.

(**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ**) تبارك و(**تَعَالَى**) أي: يوم تقوم الساعة: (**يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ**) قد مضى تفسير لبيك في التلبية في الحج وقوله سعديك أي: ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة وإسعادًا بعد إسعاد ولهذا ثنّى وهو من المصادر المنصوبة بفعل لا يظهر في الاستعمال.

وَقَالَ الجرمي: لم يسمع سعديك مفردًا.

(**وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ**) أي: ليس لأحد معك فيه شرك، (**فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ**) أخرج أمر من الإخراج وبعث النار بالنصب مفعوله وهو بفتح الموحدة وبالثاء المثلثة بمعنى المبعوث ويقال بعث النار حزبه أي: أخرج من بين الناس الذي هو من أهل النار وميزهم وابعث إليها.

(**قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**) أي: أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ من كل مائة تسعة وتسعين وفي التِّرْمِذِيّ مثله عن عمران وصححه وعن أنس كذلك أَخْرَجَهُ ابن حبان في صحيحه وروي عن عمران إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ثم قال أرجو أن تكونوا أكثر أهل الجنة.

(**فَعِنْدَهُ**) أي: فعند قول اللّه عز وجل لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك المقال (**يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا**) فإن قيل يوم القيامة ليس فيه حمل ولا وضع.

فالجواب: أن ذلك مجاز عن الهول والشدة يعني لو تصورت هناك الحوامل لوضعن حملها كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب منه الولدان.

وقيل: هو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فيكون حقيقة

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ».

(﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ**) ويروى رجل وألف بالرفع على أنه مبتدأ مؤخر بتقدير ضمير الشأن في إن.

(**ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا**) أي: عظمنا ذلك وقلنا اللّه أكبر للسرور بهذه البشارة العظيمة.

(**فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا**) قَالَ أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فإن قيل لم يذكر الربع ولا ثم الثلث ثم النصف.

فالجواب: أن ذلك أوقع في النفس وأبلغ في الإكرام فإن تكرار الإعطاء مرة بعد أخرى يدل على الملاحظة والاعتناء به وفيه أَيْضًا حملهم على تجديد شكر اللّه وتكبيره وتحميده على كثرة نعمه.

(**فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»**) وهذا تنويع من رَسُول اللّه ﷺ أو شك من الراوي وجاء فيه تسكين العين وفتحها.

فإن قيل: إذا كانوا الشعرة فكيف يكونون نصف أهل الجنة؟

فالجواب: أنه إشارة إلى كثرة أهل النار لا نسبة لها إلى أهل الجنة واللّه تَعَالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ ومن يأجوج ومأجوج ألف.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في تفسير سورة الحج أَيْضًا.

8 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]

8 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]

(**باب قَوْل اللَّهِ**) عز وجل: (﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾) وتمام الآية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ عامل للحسنات تارك للسيئات ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن سائر الأديان وهو حال من المتبع أو من الملة أو من إِبْرَاهِيم، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وإنما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصًا على أنه الممدوح. وإبراهيم بالسريانية معناه أب رحيم[1] والخليل فعيل بمعنى فاعل وهو من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله وهذا صحيح بالنسبة إلى ما في قلب إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من حب اللّه تَعَالَى وأما إطلاقه في حق اللّه فعلى سبيل المقابلة.

ويقال: الخلة أصلها الاصطفاء وسمي بذلك لأنه يوالي ويعادي في اللّه وخلة اللّه له نصره وجعله إمامًا.

وقيل: هو مشتق من الخلة بفتح المعجمة وهي الحاجة سمي بذلك لانقطاعه إلى ربه وقصره حاجته عليه.

وقيل: من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال.

وقيل: من الخلل فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر ومن الخل بمعنى الطريق في الرمل فإنهما يتوافقان في الطريقة. والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والإيذان بأنه في نهاية من الحسن وغاية من الجمال من كمال البشر.

---

(1) رحمته الأطفال ولذلك جعل هو وسارة كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون إلى يوم القيامة وسيأتي عن قريب وقال الجواليقي إبرهيم إبرهم إبراهَم إبراهام.

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم إنما سماه اللّه خليلًا لأنه بعث إلى خليل من أهل الموصل أو من أهل مصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فَقَالَ خليله لو كان إِبْرَاهِيم يريده لنفسه لفعلت ولكن إنما يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه بطحاء لينة ذات رمال فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروه ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة رَضِيَ اللّه عَنْهَا إلى غرارة منها فأخرجت حواري واختبزت فاستيقظ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فاشتم رائحة الخبز فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من أين هذا لكم فقالت رَضِيَ اللّه عَنْهَا من خليلك المصري أو الموصلي فَقَالَ بل من عند خليلي اللّه جل جلاله فسماه اللّه خليلًا.

وقيل: إنما سمي خليلًا لشدة محبته لربه عز وجل ومحبة ربه له لما قام من الطاعات التي يحبها ويرضاها وقد جاء من طريق جندب بن عَبْد اللّه البجلي وعبد اللّه بن عمرو بن العاص وعبد اللّه بن مَسْعُود رضي اللّه عنهم عن النَّبِيّ ﷺ أن اللّه اتخذني خليلًا كما اتخذ إِبْرَاهِيم خليلًا.

وَقَالَ ابن أَبِي حاتم بإسناده إلى عبد بن عمير قَالَ كان إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يضيف الناس فخرج يومًا يلتمس إنسانا يضيفه فلم يجد أحدًا يضيفه فرجع إلى داره فوجد فيها رجلًا قائما فَقَالَ يا عَبْد اللّه ما أدخلك داري بغير إذن قَالَ دخلتها بإذن ربها قَالَ ومن أنت قَالَ ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن اللّه قد اتخذه خليلًا قَالَ من هو؟ فواللّه إن أخبرتني ثم كان بأقصى البلاد لأتيته ثم لا أبرح له جارًا حتى يفرق بيننا الموت قَالَ ذلك العبد أنت قَالَ نعم فبما اتخذني ربي خليلًا قَالَ إنك تعطي الناس ولا تسألهم.

واختلف في نسبه فقيل: إنه إِبْرَاهِيم بن آزر واسمه تارح بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة ابن ناحور بنون مهملة مضمومة ابن شاروخ بمعجمة وراء مضمومة وآخره معجمة ابن راغو بغين معجمة ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة بعدها معجمة ابن عبير ويقال عابر وهو بمهملة وموحدة ابن شالخ بمعجمتين ابن أرفخشد ابن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك إلا في النطق ببعض هذه الأسماء.

وقيل: هو إِبْرَاهِيم بن تارح بن ناحور بن شاروح بن راخو بن عابر بن شالخ ابن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح حكاه السُّدِّيّ عن أشياخه لكن قيل: إنه أسقط ذكر قينان من عمود النسب بسبب أنه كان ساحرًا.

وقيل: إِبْرَاهِيم بن أشوع بن راغو بن فالخ بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وقيل: إِبْرَاهِيم بن آزر بن الناجر بن سارغ بن والغ بن القاسم الذي قسم الأرض ابن عبير بن شالخ بن واقد بن فالخ وهو سام.

وقيل: آزر بن صاروح بن راغو بن فالخ بن أرفخشد وَقَالَ الثعلبي كان اسم أبي إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي سماه أبوه تارح فلما صار مع نمروذ قيّمًا على خزانة آلهته سماه آزر.

وقيل: آزر اسم صنم.

وَقَالَ إِسْحَاق: آزر لقب له وعيب به ومعناه معوج.

وقيل: هو بالقبطية الشَّيْخ الهرم.

وَقَالَ الْجَوْهَرِي: آزر اسم أعجمي.

وَقَالَ البلاذري عن الشرفي بن الفطامي: أن معنى آزر السيد المعين.

وقيل: آزر وتارح اسمان علمان له كإسرائيل ويعقوب.

وَقَالَ وهب: اسم أم إِبْرَاهِيم عليه السلام تونا بنت كرمغا بن سام بن نوح.

وَقَالَ ابن هشام: لم يكن بين نوح وإبراهيم عَلَيْهِما السَّلَامُ إلا هود وصالح عليهما السلام وكان بين إِبْرَاهِيم وهود عليهما السلام ستمائة سنة وثلاثون سنة وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام ألف ومائة وثلاث وأربعون سنة.

وَقَالَ الثعلبي: وكان بين مولد إِبْرَاهِيم وبين الطوفان ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة وكان مولد إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في زمن نمروذ بن كنعان ولكن اختلفوا في أي: مكان ولد فقيل ببابل من أرض السواد مدينة نمروذ قاله

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [النحل: 120].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114]، ....

ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وعن مجاهد بكوثا محلة بكوفة وعن عِكْرِمَة بالسوس وعن السُّدِّيّ بين البصرة والكوفة وعن الربيع بن أنس بكسكر ثم نقله أبوه إلى كوثا وعن وهب بحران والصحيح هو الأول.

وَقَالَ مُحَمَّد بن سعد في الطبقات: كنية إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبُو الأضياف وقد سماه اللّه بأسامٍ كثيرة منها: الأواه، والحليم، والمنيب.

وَقَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود: 75].

ومنها: الحنيف، وهو المائل إلى الدين الحق ومنها القانت، والشاكر إلى غير ذلك وهذه أوصاف له في الحقيقة ومات إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابن مائتي سنة وهو الأصح ويقال مائة وخمس وسبعون قاله الكلبي.

وَقَالَ مقاتل: مائة وتسعون سنة ودفن في المفازة التي في حيرون وهي الآن تسمى بمدينة الخليل.

(وَقَوْلِهِ) عز وجل عطف على قول اللّه عز وجل: (﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾) والآية في أواخر سورة النحل قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120] لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا متفرقة في أشخاص كثيرة كقوله:

وليس من اللّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة وقد كان وحده مؤمنًا وكان سائر الناس كفارًا قانتًا لله مطيعًا له قائمًا بأمره حنيفًا مائلًا عن الباطل إلى الحق ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120] كما زعموا فإن قريشًا كانوا يزعمون أنهم على ملة إِبْرَاهِيم ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾.

ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 121] في الدعوة إلى اللّه.

(وَقَوْلِهِ) عز وجل هو عطف على المجرور أَيْضًا: (﴿لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾) الأواه

وَقَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ: الرَّحِيمُ بِلِسَانِ الحَبَشَةِ.

على وزن فعال للمبالغة فيمن يقول آه وأصله أوه بسكون الواو والهاء ويقال أوّه بفتح الواو مع التشديد بعضهم يقول أوّاه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية ويقال أويّاه وأوْيّاه قَالَ القاضي لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحم ورقة قلبه حليم صبور على أي: الأذى.

وقيل: معنى كون إبراهيم عليه السلام أواهًا أنه كان كلما ذكر لنفسه تقصيرًا أو ذكر له شيء من شدائد الآخرة كان يتأوّه إشفاقًا واستعطافًا.

(**وَقَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ**) ضد الميمنة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني الوادعي الكوفي كان فاضلًا عابدًا سمع ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وعنه أَبُو وائل شقيق بن سلمة.

(**الرَّحِيمُ بِلِسَانِ الحَبَشَةِ**) يعني الأواه وهذا الأثر وصله وكيع في تفسيره من طريق أَبِي إِسْحَاق عن أَبِي ميسرة عمرو بن شرحبيل قَالَ الأواه الرحيم بلسان الحبشة.

وروى ابن أَبِي حاتم من طريق ابن مَسْعُود بإسناد حسن قَالَ الأواه الرحيم ولم يقل بلسان الحبشة ومن طريق عَبْد اللَّه بن شداد أحد كبار التابعين قَالَ: قَالَ رجل يا رَسُول اللَّه ما الأواه قَالَ الخاشع المتضرع في الدعاء ومن طريق ابْن عَبَّاس قَالَ الأواه الموقن.

ومن طريق مجاهد قَالَ: الأواه الحفيظ الرجل يذنب الذنب سرًّا ثم يتوب منه سرًّا.

ومن وجه آخر عن مجاهد قَالَ الأواه المنيب الفقيه الموقن ومن طريق الشعبي قَالَ الأواه المسبح ومن طريق كعب الأحبار فِي قَوْلِهِ آواه كان إذا ذكر النار قَالَ أواه من عذاب اللَّه ومن طريق أَبِي ذَرٍّ قَالَ كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه أوه أوه فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**إنه لأواه**» ورجاله ثقات إلا أن فيه رجلًا مبهمًا وذكر أَبُو عبيد أنه فعال من التأوه ومعناه متضرع مشفق ملازم لطاعة ربه وقيل هو الكثير البكاء وقيل الكثير الدعاء.

وفي الحديث اللَّهم اجعلني لك مخبتًا أواهًا منيبًا.

3349 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا المُغِيرَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ....

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ) هو الثَّوْرِيّ قَالَ: (حَدَّثَنَا المُغِيرَةُ بْنُ النُّعْمَانِ) النخعي الكوفي (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ) من الحشر وهو الجمع وفي رواية مسلم تحشرون بتاء المضارعة على البناء للمفعول.

(حُفَاةً) جمع حاف وهو خلاف الناعل كقضاة جمع قاض من حفى يحفى حفية وحفاية.

(عُرَاةً) جمع عار من الثياب.

(غُرْلًا) بضم الغين المعجمة جمع أغرل وهو الأقلف وهو الذي لم يختن وبقيت فيه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان.

قَالَ الأزهري وغيره: الأغرل والأرغل والأغلف بالغين المعجمة في الثلاثة والأقلف والأعرم بالعين المهملة كلها بمعنى وجمعها غرل.

ووغل، وغلف، وقلف، وعرم، والغرلة: ما يقطع من ذكر الصبي وهو القلفة، وبطولها يعرف نجابة الصبي.

وَقَالَ أَبو هلال العسكري: لا يلتقي الراء مع اللام في العربية إلا في أربع كلمات أرل: اسم جبل.

وورل: دابة.

وجرل: اسم الحجارة، والغرلة.

وَقَالَ صاحب التوضيح: أهمل برل الديك وهو الريش الذي ويستدير بعنقه هذا. أقول أما أرل فهو بضمتين جبل وموضع بديار فزارة وأما الورل فهو بفتحتين دابة مثل الضبّ والجمع ولان والجرل بفتح الجيم والراء الحجارة وكذلك الجرول، والواو للإلحاق بجعفر وبرل الديك بضم الموحدة.

وَقَالَ الجوهر: برائل الديك عفرته وهو الريش الذي يستدير في عنقه ولم يذكر برلا وقد برأل الديك برألة إذا نفش برائله.

ويقال أَيْضًا عين أغرل بالغين المعجمة أي: واسعة ورجل غرل بفتح الغين المعجمة وكسر الراء مسترخي الحلق بالحاء المهملة فإن قيل ما فائدة القلفة يوم القيامة.

فالجواب: أن المقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم.

وَقَالَ ابن الجوزي: لذة جماع الأقلف يزيد على لذة جماع المختون.

وَقَالَ ابن عقيل: بشرة حشفة الأقلف موقاة بالقلفة فتكون بشرتها أرق وموضع الحس كلما كان أرق كان الحس أصدق كراحة الكف إذا كانت موقاة من الإهمال صلحت للحس وإذا كانت يد قصار أو نجار خفي الحس فلما أبانوا في الدنيا تلك البضعة لأجله أعادها اللّه ليذيقها من حلاوة فضله قَالَ والسر في الختان مع أن القلفة معفو عما تحتها من النجس أنه سنة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإن قيل روى أَبُو دَاوُدَ من حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قَالَ سمعت رَسُول اللّه ﷺ يقول: «**إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها**» ورواه ابن حبان أَيْضًا وصححه.

وروى التِّرْمِذِيّ من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قَالَ: سمعت رَسُول اللّه ﷺ يقول: «**إنكم تحشرون رجالًا وركبانًا وتجرون على وجوهكم**» ففيها معارضة لحديث الباب ظاهرًا.

فالجواب: أنهم يبعثون من قبورهم في ثيابهم التي يموتون فيها ثم عند الحشر تتناثر عنهم ثيابهم فيحشرون عراة أو بعضهم يأتون إلى موقف الحساب عراة ثم يكسون من ثياب الجنة وبعضهم حمل قوله يبعثون في ثيابه على العمل أي: في أعماله التي يموت فيها من خيرٍ أو شرٍّ قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: 4] أي: عملك أخلصه وروى مسلم عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا يبعث كل عبد على ما مات عليه وحمله بعضهم على الشهداء الذين أمر ﷺ بأن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا بها ولا يغير

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ ....

شيء من حالهم، وقالوا يحتمل أن يكون أَبُو سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ سمع الحديث في الشهداء فتأوله على العموم وَقَالَ بعضهم ومما يدل على حديث الباب قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: 94] وقوله تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] ولا ملابس يومئذ إلا من الجنة وذهب الغزالي إلى حديث أَبِي سَعِيد واحتج بقوله ﷺ: «**بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر في أكفانها وسائر الأمم عراة**» ورواه أَبُو سُفْيَان مسندًا وأجيب عنه على تقدير صحته أنه محمول على أمتي الشهداء واحتج الغزالي أَيْضًا بما رواه أَبُو نصر الوائلي في الإبانة من حديث أَبِي الزبير عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون بها ويتزاورون في قبورهم. وأجيب بأن ذلك يكون في البرزخ كما في نفس الحديث فإذا قاموا خرجوا كما في حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا إلا الشهداء.

(**ثُمَّ قَرَأَ** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾) وأول الآية قوله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ مقدر باذكر أو ظرف ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾ أو ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾ أو حال مقررة من العائد المحذوف من ﴿تُوعَدُونَ﴾ والطي ضد النشر أو المحو من قولك طوى عني هذا الحديث وذلك لأنها نشرت مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم. وقرئ بالياء والتاء على النبأ للمفعول ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ أي: طيًّا كطي الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه(1) وعن علي وابن عمر رضي اللّه عنهم السجل ملك يطوي كتب ابن آدم إذا رفعت إليه.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا السجل كاتب لرسول اللّه ﷺ وعنه أَيْضًا السجل الرجل فعلى هذه الأقوال الكتاب اسم الصحيفة المكتوب فيها ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأَنْبِيَاء: 104] أي: نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجاد عن العدم أو جمعًا من الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقرر وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أو مصدرية أول مفعول لبدأنا أو مفعول

---

(1) وتدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع للمعاني الكثيرة المكرمة فيه.

وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ،

فعل يفسره يفيده أو موصولًا والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي: نعيد مثل الذي بدأناه وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف.

وقيل المعنى كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلًا كذلك نعيدهم يوم القيامة نظيرها.

(﴿وَعۡدًا﴾) مقدر بفعله تأكيدًا لنعيده أو ينتصب به لأن عدة بالإعادة.

(﴿عَلَيۡنَآۚ﴾) أي: علينا إنجازه.

(﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾) ما وعدناه لا محالة أو قادرين على ما نشاء أن نفعل.

(**وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ**) فيه منقبة ظاهرة له وفضيلة عظيمة وخصوصية كما خص مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه نجده متعلقًا بساق العرش مع أن سيد الْأَنْبِيَاء أول من تنشق عنه الأرض ولا يلزم من ذلك أن يكونا أفضل منه بل هو أفضل من كل نبي ورسول إذ لا يلزم من اختصاص شخص بفضيلة كونه أفضل مُطْلَقًا ويمكن أن يقال لا يدخل النَّبِيّ ﷺ في ذلك لأن قومًا من أهل الأصول ذكروا أن المتكلم لا يدخل تحت عموم خطابه وقد ثبت لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أوليات كثيرة.

منها: أنه أول من ضاف الضيف وقص الشارب واختتن ورأى الشيب. وغير ذلك وقد أتى الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ على ذلك بأدلة في كتابه إقامة الدلائل على معرفة الأوائل وروى ابن المبارك في دقائق من حديث عَبْد اللّه بن الحارث عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ أول من يكسى خليل اللّه قبطتين ثم يكسى مُحَمَّد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش.

وفي منهاج الحليمي من حديث عباد بن كثير عن أَبِي الزبير عن جابر رضي اللّه عنه: أول من يكسى من حلل الجنة إِبْرَاهِيم ثم مُحَمَّد ثم النبيون ثم قَالَ إذا أتى بمحمد ﷺ أتي بحلة لا يقوم لها البشر لنفاسة الكسوة فكأنه كسي مع إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وروى أَبُو نعيم من حديث ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ فيه فيكون أول من يكسى إِبْرَاهِيم فيقول ربنا عز وجل اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين

وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، ....

فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمينه مقامًا يغبطني فيه الأولون والآخرون.

وفي الأسماء والصفات للبيهقي من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا أول من يكسى إِبْرَاهِيم حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ويؤتى بي فأكسي حلة لا يقوم لها البشر.

ويقال: إن الحكمة في خصوصية إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك أنه ألقي في النار عريانًا وقيل: إنه أول من لبس السراويل مبالغة في الستر ولا سيما في الصلاة فلما فعل ذلك جوزي بأن يكون أول من يستتر يوم القيامة.

(**وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**) بكسر الشين ضد اليمين ويراد بها جهة اليسار.

(**فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي**) الأول خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء أصحابي والثاني تأكيد له ويروى أصيحابي أصيحابي بصيغة التصغير وفيه إشارة إلى قلة عدد من هذا وضعهم.

(**فَيُقَالُ**) ويروى: فيقول أي: الرب أو الملك: (**إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا**) ويروى: لم يزالوا (**مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**) ويروى: منذ فارقتهم.

وفي رواية مسلم: ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ منهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك. قَالَ الْخَطَّابِيّ الارتداد هنا التأخير عن الحقوق اللازمة والتقصير فيها.

وقيل: هو مردود لأن ظاهر الارتداد يقتضي الكفر كقوله تَعَالَى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 144] أي: رجعتم إلى الكفر والشارع قَالَ بعدًا لهم وسحقًا وهذا لا يقال للمسلمين فإن شفاعته للمذنبين فإن قيل كيف خفي عليه ﷺ حالهم مع إخباره بعرض أعمال اللّه عليه.

فالجواب: أنهم ليسوا من أمته وإنما يعرض عليه أعمال الموحدين لا المرتدين والمنافقين.

فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 117 - 118].

وَقَالَ ابن التين يحتمل أن يكونوا منافقين أو مرتكبي الكبائر من أمته قَالَ ولم يرتد أحد من أمته ولذلك قَالَ على أعقابهم لأن الذي يعقل من قوله المرتدين الكفر إذا أطلق من غير تقييد. وقيل هم قوم من جفاة العرب دخلوا في الإسلام أيام حياته رغبة ورهبة كعيينة بن حصين جاء أَبُو بكر أسيرًا والأشعث بن قيس فلم يقبلهما ولم يسترقهما فعادا الإسلام.

وَقَالَ النووي المراد به المنافقون والمرتدون وقيل المراد من كان في زمنه مسلمًا ثم ارتد بعده فيناديه لما كان يعرفه في حال حياته من إسلامهم فيقال ارتدوا بعدك. فإن قيل يشكل عليه عرض الأعمال فالجواب أنه قد سبق أن الذي يعرض عليه أعمال الموحدين لا المرتدين ولا المنافقين.

وَقَالَ أَبُو عمر كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق والملعنون بالكبائر.

(**فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ**) هو عيسى ابن مريم عليهما السلام: (﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾) والآية في آخر سورة المائدة قَالَ اللّه عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون اللّه صفة لإلهين أو صلة اتخذوني ومعنى دون إما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة اللّه مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدها ولم يعبده أو القصور فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة اللّه تَعَالَى وكأنه قيل اتخذوني وأمي إلهين متوصلين بنا إلى اللّه ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: أنزهك تنزيهًا من أن يكون لك شريك ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة.

وقيل: المراد بالنفس الذات ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: 116]

تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ تصريح بنفي المستفهم عنه بعد ما يدل عليه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ عطف بيان للضمير في به أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مُطْلَقًا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعني ولا يجوز إبداله مما أمرتني به فإن المصدر لا يكون مفعول القول ولا أن تكون أن مفسرة لأن الأمر مسند إلى اللّه تَعَالَى وهو لا يقول اعبدوا اللّه ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكي بعده إلا أن يؤول القول بالأمر فكان مثل ما أمرتهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا اللّه ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: رقيبًا عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهدًا لأحوالهم من كفر وإيمان ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: 117] بالرفع إلى السماء كقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: 55] والتوفي أخذ الشيء وافيًا والموت نوع منه قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42] ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 117] المراقب لأحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالإشارة إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الكتب[1] ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: 117] مطلع عليه مراقب له[2]. ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: 118] أي: إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك ولا على المالك المطلق فيما يفعل بملكه فيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك وقد ذكر ذلك على وجه الاستعطاف والتسليم لأمره ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118] فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بإن.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ وأول من يكسى يوم القيامة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ

(1) وفي المراقبة في الأصل المراعاة وقيل أنت العالم بهم.

(2) أي: شاهد لما حضر وغاب وقيل على من عصى وأطاع.

3350 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَخِي عَبْدُ الحَمِيدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟

السَّلَامُ وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير، والرقاق، وأحاديث الْأَنْبِيَاء أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في صفة القيامة، وَالتِّرْمِذِيّ في الزهد، والتفسير، وَالنَّسَائِيّ في الجنائز والتفسير.

(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) هو إِسْمَاعِيل ابن أَبِي أويس واسم أَبِي أويس عَبْد اللَّه، (قَالَ: أَخْبَرَنِي) وفي نسخة: حَدَّثَنِي (أَخِي عَبْدُ الحَمِيدِ) أي: ابن أويس يكنى أبا بكر الأصبحي المديني، (عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ) هو مُحَمَّد بن عبد الرحمن ابن أَبِي ذئب، (عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ) أي: سواد الدخان وغيره أي: غبار ولا يرى أوحش عن اجتماع الغبرة والسواد في الوجه قَالَ تَعالَى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عبس: 40، 41] ويقال القترة الظلمة وفسره ابن التين القترة بالغبرة فعلى هذا يكونان من الترادف قَالَ وقيل القترة ما يغشى الوجه من كرب.

وَقَالَ الزجاج: القترة الغبرة معها سواء كالدخان وعن مقاتل سواد وكآبة.

(فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) من الإخزاء وثلاثية خزاه يخزو وخزوا يعني ساسه وقهره وخزي يخزى من باب علم يعلم خزيًا بالكسر أي: ذل وهان.

وَقَالَ ابن السكيت: معناه وقع في بلية وخزي يخزى خزاية أي: استحيى فهو خزيان وقوم خزايا وامرأة خزياء.

(فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟) أي: الأبعد من رحمة اللّه وإنما قَالَ بأفعل التفضيل، لأن الفاسق بعيد والكافر أبعد.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

3351 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرٌو، أَنَّ بُكَيْرًا، حَدَّثَهُ عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيّ ﷺ البَيْتَ، فَوَجَدَ فِيهِ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَصُورَةَ مَرْيَمَ، فَقَالَ «أَمَا لَهُمْ، فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ المَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ، فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ».

وقيل: هو بمعنى الباعد أي: الهالك من بعد بكسر العين إذا هلك وعلى المعنيين المضاف محذوف أي: من خزي الأبعد.

(فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا) كلمة مفاجأة، (هُوَ بِذِيخٍ) بكسر الذال المعجمة وسكون المثناة التحتية وبالخاء المعجمة ذكر الضبع الكثير الشعر.

وَقَالَ ابن سيده: والجمع أذياخ وذيوخ وذيخة والجمع ذيخات.

(مُلْتَطِخٍ) بالرجيع بالطين أو بالدم وحملت إِبْرَاهِيم الرأفة على أن يشفع فيه فأري له خلاف منظره منه ليتبرأ.

(فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ) ومطابقة الحديث للترجمة في ذكر إِبْرَاهِيم عَلَيهِ السَّلَامُ وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ) أَبُو سَعِيد الجعفي الكوفي نزل مصر وهو من أفراد الْبُخَارِيّ.

(قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (ابْنُ وَهْبٍ) هو عَبْد اللَّه بن وهب المصري، (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالإفراد أَيْضًا (عَمْرٌو) هو ابن الحارث المصري.

(أَنَّ بُكَيْرًا) مصغرًا بكر هو ابن عَبْد اللَّه بن الأشج (حَدَّثَهُ عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: دَخَلَ النَّبِيّ ﷺ البَيْتَ) أي: الكعبة، (فَوَجَدَ فِيهِ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَصُورَةَ مَرْيَمَ، فَقَالَ: أَمَا) بالتشديد.

(لَهُمْ) أي: قريش، (فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ المَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ) أي: هذه صورة إِبْرَاهِيم (مُصَوَّرٌ، فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ) استبعاد البعاد منه في

3352 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لَمَّا رَأَى الصُّوَرَ فِي البَيْتِ لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى أَمَرَ بِهَا فَمُحِيَتْ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ بِأَيْدِيهِمَا الأَزْلامُ، فَقَالَ: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِالأَزْلامِ قَطُّ».

حق إِبْرَاهِيم لأنه معصوم منه[1] والاستقسام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وهي القداح.

وقيل: الاستقسام بالأزلام هو الميسر قسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة وإنما حرم ذلك لأنه دخول في علم الغيب وفيه اعتقاد أنه طريق إلى الحق وفيه افتراء على اللّه إذ لم يأمر بذلك.

والحديث قد مضى في كتاب الحج في باب من كبر في نواحي الكعبة وقد مضى الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة من حيث أنه ذكر فيه إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى) الْفَرَّاء أَبُو إِسْحَاق الرازي المعروف بالصغير قَالَ: (أَخْبَرَنَا هِشَامٌ) أي: ابن يُوسُف الصنعاني اليماني، (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ) السَّخْتِيَانِيّ، (عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ، لَمَّا رَأَى الصُّوَرَ فِي البَيْتِ لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى أَمَرَ بِهَا) أي: أمر بمحوها (فَمُحِيَتْ) على البناء للمفعول من المحو وهو الإزالة.

(وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ بِأَيْدِيهِمَا الأَزْلامُ) وهو جمع زلم كجمل أو زلم كصرد، (فَقَالَ: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) أي: لعنهم، (وَاللَّهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا) كلمة إن بكسر الهمزة وسكون النون نافية أي: ما استقسما (بِالأَزْلامِ قَطُّ) وذلك أنه كان أحدهم إذا أراد سفرًا أو أمرًا من معاظم الأمور ضرب بالقداح وكان مكتوبًا على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها مهمل فإن خرج الآمر شغل به وإن خرج الناهي أمسك عنه وإن خرج المهمل كررها وأجالها عودًا.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

---

(1) فإن قيل أين قسيم أما في فالجواب أن قسيمه هو قول هذا إبراهيم وهو محذوف نحو وأما صورة مريم فكذا.

3353 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِ؟ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ، إِذَا فَقُهُوا»

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ) القطان قَالَ: (حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ) بصيغة التصغير هو ابْن عُمَر بن عاصم بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ) المقبري، (عَنْ أَبِيهِ) كيسان، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ) أنه قَالَ: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ») أي: أشد تقوى، (فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ») ومنه أخذ الشاعر فقَالَ:

إن الكريم ابن الكريم ... ابن الكريم ابن الكريم
يُوسُف ابن يعقوب ... ابن إِسْحَاق ابن إِبْرَاهِيم

يعني أن يُوسُف نبي اللّه أشرفهم لأن معنى الكرم هنا الشرف وذلك لأن من اتقى ربه عز وجل شرف لأن التقى يحمله على أسباب العزّ والشرف لأنها تبعده عن الطمع في كثير من المباح فضلًا عن غيره من المآثم وذلك ليس إلا من أسره هواه.

وأدعى الْقُرْطُبِيّ أن يخرج من هذا الحديث أن إخوة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ ليسوا أنبياء إذ لو كانوا كذلك لشاركوهُ في هذه المنقبة وفيه نظر لأن نذكره لكونه أفضلهم لا سيما على قول من ادعى رسالته.

(قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ) أي: أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة فمنها قابلة لفيض اللّه على مراتب المعدنيات ومنها غير قابلة له وشبههم بالمعادن لأنهم أوعية للعلوم كما أن المعادن أوعية للجواهر النفيسة.

(تَسْأَلُونِ؟ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ، إِذَا فَقُهُوا) وإنما قيد

قَالَ: أَبُو أُسَامَةَ، وَمُعْتَمِرٌ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[1].

بقوله إذا فقهوا والحال أن كل من أسلم وكان شريفًا في الجاهلية فهو خير من الدَّني الذي لم يكن له الشرف فيها لأن المعنى ليس على ذلك فإن الوضيع العالم خيرٌ من الشريف الجاهل والعلم يرفع كل من لم يرفع ثم قوله فقهوا بكسر القاف معناه فهموا وعلموا وهو من باب علم يعلم وأما فقه بضم القاف كذلك فمعناه صار فقيهًا عالمًا والفقه في العرف خاص بعلم الشريعة بل بعلم الفروع.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ خليل اللَّه.

(**قَالَ أَبُو أُسَامَةَ**) حماد بن أسامة (**وَمُعْتَمِرٌ**) هو ابن سليمان بن طرخان، (**عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أشار بهذا التعليق إلى أن أبا أسامة ومعتمرًا خالفًا يَحْيَى بن سَعِيد القطان في الإسناد حيث لم يرويا إلا عن سَعِيد عن أَبِي هُرَيْرَةَ ولم يذكر الأب بخلاف يَحْيَى فإنه قَالَ عن سَعِيد عن أبيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أما تعليق أَبِي أسامة فوصله الْبُخَارِيّ في قصة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ عن عبيد بن إِسْمَاعِيل عن أَبِي أسامة وأما تعليق معتمر فوصله في قصة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم عن المعتمر بن سليمان عن عُبَيْد اللَّه.

---

(1) قال الكرماني: فإن قلت لم قيد بقوله إذا فقهوا وكل من أسلم وكان شريفًا في الجاهلية فهو خير من الذي لم يكن له الشرف فيها، قلت ليس كذلك فإن الوضيع العالم خير من الشريف الجاهل، اهـ.
قال الطيبي: قوله أي الناس أكرم يحتمل أن يراد أكرم عند اللّه مطلقًا من غير نظر إلى النسب ولو كان عبدًا حبشيًّا وأن يراد به الحسب مع النسب وأن يراد به الحسب فحسب وكان سؤالهم عن هذا لقوله ﷺ، فعن معادن العرب أي: عن أصولهم التي ينسبون إليها فسلك في الجواب على ألطف وجه حيث جمع بين الحسب والنسب، وقال إذا فقهوا قال القاري: لما أطلقوا السؤال وكان المناسب صرفه إلى الفرد الأكمل قال أكرمهم عند اللّه أتقاهم وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وقد نبه سبحانه وتعالى أن معرفة الأنساب إنما هو للتعارف بالوصلة وأن الكرم لا يكون إلا بالتقوى. ثم يحتمل أنه علم غرضهم، ولكن عدل عنه إلى أسلوب الحكيم فلما تبين له ﷺ أنهم لم يسألوه عن الكرم المطلق وظن أن مرادهم الجمع بين الحسب والنسب قال: أكرم الناس يوسف نبي اللّه وابن نبي اللّه فقد اجتمع شرف النبوة والعلم وكرم والعدل والرياسة في الدنيا والدين في يوسف، انتهى مختصرًا.

3354 - حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا سَمُرَةُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ، لا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا، وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ».

3355 - حَدَّثَنِي بَيَانُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَذَكَرُوا لَهُ الدَّجَّالَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ، أَوْ ك ف ر، قَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى فَجَعْدٌ ....

(حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ) بلفظ اسم المفعول من التأميل ابن هشام البَصْرِيّ ختن إِسْمَاعِيل ابن علية قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ) ابن علية قَالَ: (حَدَّثَنَا عَوْفٌ) الإعرابي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ) عمران العطاردي قَالَ: (حَدَّثَنَا سَمُرَةُ) أي: ابن جندب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، فَأَتَيْنَا) أي: فذهبا بي حتى أتينا (عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ، لا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا، وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ والحديث قد مضى في آخر كتاب الجنائز مطولًا وذكر منه هنا طرفًا.

ومطابقته للحديث ظاهرة.

(حَدَّثَنَا بَيَانُ) بفتح الموحدة وتخفيف المثناة التحتية (ابْنُ عَمْرٍو) أَبُو مُحَمَّد الْبُخَارِيّ وهو من أفراده وقد مرَّ في التطوع قَالَ: (حَدَّثَنَا النَّضْرُ) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن شميل وقد مرَّ في الوضوء قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ) هو عَبْد اللَّه بن عون بفتح المهملة وسكون الواو وبالنون وقد مر في العلم.

(عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَذَكَرُوا لَهُ الدَّجَّالَ) إلى قوله قَالَ جمل معترضة.

(بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ، أَوْ ك ف ر) هذه الحروف إشارة إلى الكفر والصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها وأنها كتابة حقيقية جعلها اللَّه تَعَالَى علاقة حسية على بطلانه تظهر لكل مؤمن كاتبًا أو غير كاتب.

(قَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ) يريد به رَسُول اللَّه ﷺ نفسه الكريمة.

(وَأَمَّا مُوسَى فَجَعْدٌ) بفتح الجيم وسكون العين المهملة قَالَ الْكِرْمَانِيّ ناقلًا

آدَمُ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، مَخْطُوم بِخُلْبَةٍ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ انْحَدَرَ فِي الوَادِي».

3356 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القُرَشِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالقَدُّومِ»، ....

عن صاحب التحرير هذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يراد به جعودة الشعر ضد السبوطة.

والثاني: جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وهذا أصح لأنه جاء في بعض الروايات أنه رجل الشعر.

(آدَمُ) من الأدمة وهي السمرة (**عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ مَخْطُوم**) أي: مذموم (**بِخُلْبَةٍ**) بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وضمها وفتح الموحدة وهي الليفة.

(**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ انْحَدَرَ**) فعل ماض في الانحدار وهو الهبوط (**فِي الوَادِي**)[1] يكبر جملة فعلية وقعت حالًا من مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ[2] والحديث قد مضى في كتاب الحج في باب التلبية إذا انحدر في الوادي.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القُرَشِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ**) عَبْد اللّه بن ذكوان، (**عَنِ الأَعْرَجِ**) عبد الرحمن بن هرمز، (**عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً**) جملة حالية قَالَ القاضي عياض جاء في هذا الحديث من رواية مالك والأوزاعي وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة) وَقَالَ ابن قتيبة عاش مائة وسبعين سنة وقد مر الخلاف فيه فيما مضى عن قريب.

(**بِالقَدُّومِ**) فِي رِوَايَةِ الأصيلي والقابسي بالتشديد.

---

(1) أي: وادي الأزرق قرب مكة.

(2) وقيل توجيهه أن يقال مثلت له ﷺ أرواحهم في الدنيا كما مثلت له ليلة الإسراء وأما أجسادهم فهي في القبور. وقيل إنه على الحقيقة، والأنبياء أحياء عند ربهم يرزقون فلا مانع أن يحجوا في هذه الحال وعبادتهم بعد الموت لما يجدونه من دواعي أنفسهم لأنه حببت إليهم العبادة لا بما يلزمون به كما يلهم أهل الجنة الذكر.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ : روي بتخفيف الدال وتشديدها فقيل آلة النجار يقال لها القدوم بالتخفيف لا غير.

وأما القدوم هو مكان بالشام ففيه التشديد والتخفيف فمن رواه بالتشديد أراد القرية وما روي بالتخفيف فيحتمل القرية والآلة والأكثرون على التخفيف وإرادة الآلة انتهى.

وَقَالَ النووي : لم يختلف الرواة على مسلم في التخفيف وأنكر يعقوب بن شيبة التشديد أصلًا.

واختلف في المراد به فقيل : هو اسم مكان.

وقيل : اسم آلة النجار وهو بالتخفيف لا غير وعلى الأول فيه اللغتان هذا قول الأكثر وعكسه الداوودي.

ثم قيل : هي قرية بالشام(1) والراجح أن المراد في الحديث الآلة فقد روى أبو يعلى من طريق ابن رباح قَالَ أمر إِبْرَاهِيم بالختان فاختتن بالقدوم فاشتد عليه فأوحى اللّه إليه عملت قبل أن نأمرك بآلته فَقَالَ يا رب كرهت ان أؤخر أمرك ولما اختتن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ صار الختان سنة معمولًا بها في ذريته وهو حكم التوراة على بني إسرائيل كلهم ولم يزالوا يختتنون إلى زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فغيرت طائفة من النصارى ما جاء في التوراة من ذلك وقالوا المقصود غلفة القلب لا غلفة الذكر فتركوا المشروع من الختان بضرب من الهذيان وهو عند الشَّافِعِيّ واجب وعند أكثر العلماء سنة وإنما يجب بعد البلوغ ويستحب في السابع ومحله الفروع.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(1) وقيل هو مقيل لإبراهيم عليه السلام، وقال الحازمي: بالتخفيف قرية كانت عند حلب. وقيل: هو اسم مجلس ابراهيم بحلب. وقال الثعلبي: هو اسم موضع، وقال ابن وضاح: هو جبل بالمدينة، وقال ابن دريد: قدوم بالفتح والتخفيف ثنية بالسراة. وكذا قال البكري، وحكى البكري عن محمد بن جعفر اللغوي أنّ المكان مشدد لا تدخله الألف واللام. ومن رواه في حديث إبراهيم فإنما عنى به الآلة وقال الجوري: القدوم الذي ينحتُ به مخففٌ ولا تقول قدوم بالتشديد وقال ابن السكيت والجمع قُدُم.

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، وَقَالَ «بِالقَدُومِ مُخَفَّفَةً»، تَابَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، تَابَعَهُ عَجْلانُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ.

(**حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ**) الحكم بن نافع الحمصي قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ**) هو ابن أَبِي حمزة الحمصي قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ**) عَبْد اللّه ابن ذكوان.

(**وَقَالَ «بِالقَدُومِ مُخَفَّفَةً»**) يعني روى أَبُو الزناد بالقدوم حال كونها مخففة الدال وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ أكثر الرواة على أنه بالتخفيف يعني به الآلة وهو قول أكثر أهل اللغة أَيْضًا في الآلة قَالَ يعقوب بن شيبة الآلة لا تشدد. واعلم أن قوله حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ إلى قوله مخففة وقع في بعض النسخ بعد قوله ورواه مُحَمَّد بن عمرو عن أَبِي سلمة وفي نسختنا كما في نسخة العيني وقع كما تراه فلذلك جعلنا متابعة عبد الرحمن بن إِسْحَاق ومتابعة عجلان ورواية مُحَمَّد بن عمرو لشعيب الذي روى عنه أَبُو اليَمَانِ في التخفيف وأما على تلك النسخة فتكون المتابعتان لقتيبة ابن سَعِيد في كون عمر إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين اختتن ثمانين سنة وينبغي التنبيه في هذا الموضع حتى لا يختلط الكلام. واللّه أعلم بالمرام.

(**تَابَعَهُ**) أي: تابع شعيبًا (**عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ**) ابن عَبْد اللّه الثقفي المدني وفيه مقال استشهد به الْبُخَارِيّ وروى له في الأدب.

(**عَنْ أَبِي الزِّنَادِ**) وصل هذه المتابعة مسدد في مسنده عن بشر بن المفضل عنه ولفظه اختتن إِبْرَاهِيم بعدما مرت به ثمانون واختتن بالقدوم يعني مخففة وَقَالَ النووي: لم يختلف الرواة عند مسلم بالتخفيف.

و(**تَابَعَهُ**) أي: تابع شعيبًا أو عبد الرحمن بن إِسْحَاق.

(**عَجْلانُ**) مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة القرشي والد مُحَمَّد بن عجلان (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ وهذه المتابعة وصلها أحمد عن يَحْيَى القطان عن مُحَمَّد بن عجلان عن أبيه عجلان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**وَرَوَاهُ**) أي: وروى الحديث المذكور (**مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ**) أي: ابن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللّه عَنْهُ ووصله أَبُو يعلى في مسنده من هذا الوجه ولفظه اختتن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على رأس ثمانين سنة فاتفقت هذه

3357 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ الرُّعَيْنِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَرِيرُ ابْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلا ثَلاثًا».

3358 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلا ثَلاثَ كَذَبَاتٍ،

الروايات على أنه كان ابن ثمانين سنة عند اختتانه ووقع في الموطأ مَوْقُوفًا عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ وعند ابن حبان مرفوعًا أن إِبْرَاهِيم اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة والظاهر أنه سقط من المتن شيء فإن هذا المقدار مقدار عمره قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ واللّه تَعَالَى أعلم.

(**حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ**) بفتح المثناة الفوقية وكسر اللام وسكون التحتية وآخره دال مهملة وهو سَعِيد بن عيسى بن تليد أَبُو عثمان (**الرُّعَيْنِيُّ**) بضم الراء وفتح المهملة وإسكان التحتية وبالنون الْبَصْرِيّ المشهور مات سنة سبع عشرة ومائتين وهو من أفراده أنه قَالَ: (**أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ**) هو عَبْد اللّه بن وهب المصري.

(**قَالَ: أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ**) بالزاي، (**عَنْ أَيُّوبَ**) السَّخْتِيَانِيّ، (**عَنْ مُحَمَّدٍ**) أي: ابن سيرين، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إِلا ثَلاثًا»**)[1] تحويل من سن إلى آخره.

وَ(**حَدَّثَنَا**) الأولى ترك الواو مع حاء التحويل.

(**مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ**) ضد مبغوض أَبُو عَبْد اللّه الْبَصْرِيّ قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَمَّادُ ابْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلا ثَلاثَ كَذَبَاتٍ**) قَالَ أَبُو البقاء: الجيد أن يقال بفتح الذال في الجمع لأنه جمع كذبة بسكون الذال وهو اسم لا صفة لأنك تقول كذب كذبة كما تقول ركع ركعة ولو كان صفة يسكن في الجمع وقد استشكل هذا الحصر في ثلاث لأنه جاء فِي رِوَايَةِ مسلم من حديث أَبِي زرعة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ

---

(1) أي: ثلاث كذبات كما في الطريق الثاني.

قَالَ أتى رَسُول اللّه ﷺ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع الحديث حديث طويل في الشفاعة وفيه اذهبوا إلى إِبْرَاهِيم فيأتون إِبْرَاهِيم الحديث وذكر كذباته ثم ساقه من طريق أخرى من هذا الوجه وَقَالَ في آخره وزاد في قصة إِبْرَاهِيم وذكر قوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ وقوله لآلهتهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ هذا وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وجه الاستشكال أن ذكر الكواكب يقتضي أن كذباته أربع وهو يعارض الحصر في حديث الباب.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: الذي يظهر أنه وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله في الكواكب بدل قوله في سارة والذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة دون الكوكب وكأنه لم يعد[1] لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف كما قاله ابن إِسْحَاق.

وقيل: إنما قَالَ ذلك بعد البلوغ لكنه قَالَ على طريق الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ أو التهكم.

وقيل: قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيهًا على أن الذي يتغير لا يصلح للربوبية وهذا قول الأكثر أنه قَالَ قاله توبيخًا لقومه أو تهكمًا بهم وهو المعتمد وكل ذلك لا يطلق عليه ولهذا لم يعد في الكذبات وأما وجه إطلاق الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قَالَ قولًا لا يعتقده السامع كذبا لكنّهُ إذا حقق لم يكن كذبًا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض.

قَالَ الماوردي: أما الكذب فيما طريقة البلاغ عن اللّه عز وجل فالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معصومون عنه وأما في غيره فالصحيح امتناعه فيؤوّل ذلك بأنه كذب بالنسبة إلى السامعين أما في نفس الأمر فلا إذ معنى إني سقيم سأسقم لأن الإنسان عرضته للإسقام واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرًا ويحتمل أنه أراد إني سقيم بما قدر على من الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم وحكى النووي عن بعضهم أنه كانت تأخذه الحمى في ذلك الوقت وهو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذبًا لا تصريحًا ولا تعريضًا.

وأما قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ هذا فَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: قاله ممهدًا

(1) مع أنه أدخل من ذكر سارة لما نقل أنه قال ذلك في حال الطفولية فلم يعد.

ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،

للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة وقطعًا لقومه في قولهم إنها تضر وتنفع وهذا الاستدلال يتجوز فيه في الشرط المتصل ولهذا أردف قوله بل فعله كبيرهم بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ قَالَ ابن قتيبة: معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فالحاصل أنه مشروط بقوله إن كانوا ينطقون ويحتمل أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب لذلك.

وعن الكسائي: أنه كان يقف عند قوله بل فعله أي: فعله من فعله كائنًا من كان وكبيرهم هذا مبتدأ وخبر مستقل ولا يخفى تكلفه وأما قوله هذه أختي فيعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام كما سيأتي واضحًا.

قَالَ ابن عقيل: دلالة العقل تصرف إطلاق الكذب على إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به ليعلم صدق ما جاء به عن اللّه عز وجل ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه فكيف مع وجود الكذب منه وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع وعلى كل تقدير فلم يصدر ذلك[1] من إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفاعًا لأعظمها فقد اتفق الفقهاء على أن الكذب جائز بل واجبٌ في بعض المقامات كما أنه لو طلب ظالم وديعة ليأخذها غصبًا وجب على المودع عنده أن يكذب بمثل أنه لا يعلم موضعها بل يحلف عليه واللّه تَعَالَى أعلم.

(ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) أي: كذبتين من هذه الكذبات الثلاث كانت في ذات اللّه أي: لأجله وإنما خص هاتين الثنتين بأنهما في ذات اللّه تَعَالَى لأن قصة سارة وإن كانت أَيْضًا في ذات اللّه لكنها تضمنت حظًّا لنفسه ونفعًا له بخلاف الثنتين الأخريين فإنهما كانتا في ذات اللّه محضًا وقد وقع فِي رِوَايَةِ هشام بن حسان أن إِبْرَاهِيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات اللّه تَعَالَى وعند أحمد من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا واللّه إن جادل بهنَّ إلا عن دين اللَّه.

(1) أي: ما يطلق عليه الكذب وإن لم يكن في الحقيقة كذلك.

قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 89]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: 63]. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ،

(**قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾**) بيان للثنتين المذكورتين وأما قوله إني سقيم فقاله حين خرجوا إلى معبدهم لئلا يخرجوه معهم فإنه كان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى فلذلك تولوا عنه مدبرين فذهب إلى آلهتهم في خفية ففعل ما فعل وأما قوله بل فعله كبيرهم فقاله حين جعل أصنامهم جذاذا أي: قطاعًا إلا كبيرًا للأصنام استبقاه وكسر غيره وقالوا له من فعل هذا بآلهتنا وقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إِبْرَاهِيم وقالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إِبْرَاهِيم قَالَ بل فعله كبيرهم هذا.

(**وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ**[1] **ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ**) أي: معه وسارة بتخفيف الراء أم إسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**إِذْ أَتَى**) جواب بينا أي: إذ أتى إِبْرَاهِيم (**عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ**) يعني مر عليه وفي رواية مسلم واحدة في شأن سارة أي: وخصلة واحدة من الثلاث المذكورة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس واسم هذا الجبار عمرو بن امرئ القيس بن سبأ وكان على مصر ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في التيجان.

وقيل: اسمه صادوف بالفاء حكاه ابن قتيبة وأنه كان على الأردن.

وقيل: سُفْيَان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ حكاه الطَّبَرِيّ ويقال إنه أخو الضحاك الذي ملك الأقاليم وقيل إنه ملك حران، وَقَالَ علماء السير أقام إِبْرَاهِيم بالشام مدة فقحط الشام فسار إلى مصر ومعه سارة وكان بها فرعون وهو أول الفراعنة عاش دهرًا طويلًا فأتى إليه رجل وَقَالَ: إنه قدم رجل ومعه امرأة من أحسن الناس وجرى له معه ما ذكر في الحديث.

(**فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا**[2] **مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ**) وفي صحيح مسلم

---

(1) إبراهيم عليه السلام.

(2) كذا في رواية المستملي وفي رواية غيره أنّ هذا رجل.

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ

في حديث الإسراء الطويل من رواية ثابت عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ في ذكر يُوسُف أعطي شطر الحسن زاد أَبُو يعلى من هذا الوجه أعطي يُوسُف وأمه شطر الحسن يعني سارة.

وفي رواية الأعرج الماضية في أواخر البيوع: هاجر إِبْرَاهِيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك أو جبار فقيل دخل إِبْرَاهِيم بامرأة من أحسن الناس واختلف في والد سارة فقيل: اسمه هاران قيل هو ملك حران وأن إِبْرَاهِيم تزوجها لما هاجر من بلاد قومه إلى حران.

وقيل: هي ابنة أخيه وكان ذلك جائزا في تلك الشريعة حكاه ابن قتيبة والنقاش واستبعد.

وقيل بل هي بنت عمه وتوافق الاسمان وقد قيل في اسم أبيها توبل.

(**فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ**) أي: أرسل هذا الجبار إلى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ (**فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟**) أي: فَقَالَ الجبار من هذه المرأة (**قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ**) هذا ظاهر في أنه سأله عنها أولًا ثم أعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده.

وفي رواية شام بن حسان أنه قَالَ: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي في الإسلام فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فَقَالَ لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها الحديث فيمكن أن يجمع بينهما بأن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أحس بأن الملك سيطلبها منه فأوصاها بما أوصاها فلما وقع ما خشيه أعاد عليها الوصية واختلف في السبب الذي حمل إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم كان يريد اغتصابها على نفسها أختًا كانت أو زوجة فقيل كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج كذا قيل ويحتاج إلى تتمة وهو أن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفها وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة لكن إن علم أن لها زوجًا في الحياة حملته الغيرة على قتله وعذابه أو حبسه وإضراره بخلاف ما إذا علم أن لها أخا فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به وقيل أراد إن علم أنك امرأتي ألزمني بالطلاق.

قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلا تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ،

(قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ) قيل يشكل عليه كون لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ كان معه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ [العنكبوت: 26] ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض الأرض التي وقع له فيها ما وقع ولم يكن لوط معه إذ ذاك فإن قيل ذكر أهل السير أن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ سار إلى مصر ومعه سارة ولوط.

فالجواب: أنه يمكن أنه سار معه إلى مصر ولم يدخلها معه واللّه تَعَالَى أعلم.

(وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فَلا تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ) أي: دخلت سارة على الجبار (ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ) على البناء للمفعول أي: اختنق حتى ركض برجله كأنه مصروع كذا في أكثر الروايات وفي بعضها ذهب يناولها يده.

وفي رواية مسلم: فأرسل إليها فأتى بها فقام إِبْرَاهِيم يصلي فلما دخلت عليه لم تتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة.

وفي رواية أَبِي الزناد عن الأعرج من الزيادة: فقام إليها فقامت توضأ وتصلي فغط ركض برجله وقوله فغط بضم المعجمة والغط صوت النائم من شدة النفخ.

وَقَالَ ابن التين: إنه ضبط في بعض الأصول فغط بفتح الغين والصواب ضمها وقوله حتى ركض برجله أنه اختنق حتى صار كأنه مصروع ويمكن الجمع بأنه عوقب تارة بقبض يده وتارة بانصراعه.

وعند أهل السير فلما دخلت عليه ورآها أهوى إليها فتناول بيده فيبست.

وفي رواية الأعرج المذكورة: فدعت من الدعاء ولفظه فقالت اللَّهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر ويجاب عن قولها إن كنت تعلم مع كونها قاطعة بأنه سبحانه وتعالى يعلم بأنها ذكرته على سبيل الفرض هضمًا لنفسها.

فَقَالَ: ادْعِي اللّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللّهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ،

(**فَقَالَ: ادْعِي اللّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللّهَ فَأُطْلِقَ**) وفي رواية مسلم فَقَالَ: ادعي اللّه أن يطلق يدي ففعلت.

وفي رواية أَبِي الزناد المذكورة قَالَ أَبُو سلمة قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قالت: اللَّهم إن يمت يقل هي التي قتلته قَالَ فأرسل.

(**ثُمَّ تَنَاوَلَهَا**) ثَانِيَةً ويروى: (**الثَّانِيَةَ**) بالألف واللام وفي رواية الأعرج فقامت توضأ وتصلي.

(**فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ**) وفي رواية مسلم فقبضت أشد من القبضة الأولى.

(**فَقَالَ: ادْعِي اللّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ**) وعند أهل السير فعل ذلك ثلاثًا.

(**فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ**) بفتح المهملة والجيم والموحدة جمع حاجب.

وفي رواية مسلم: ودعا الذي جاء بها قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ ولم أقف على اسمه.

(**فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ**) وفي رواية الأعرج ما أرسلتم إلي إلا شيطانًا ارجعوها إلى إِبْرَاهِيم.

وفي رواية مسلم: إنما جئتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر والمراد من الشيطان المتمرد من الجن وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جدًّا ويرون كل ما يقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم.

(**فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ**) أي: وهب لها خادمًا اسمها هاجر لتخدمها لأنه أعظمها أن تخدم نفسها ويقال آجر وكذلك في بعض روايات مسلم بهمزة بدل الهاء وحتى كذلك فِي رِوَايَةِ الأعرج أَيْضًا والجيم مفتوحة على كل حال وهو اسم سرياني ويقال إن أباها كان من ملوك القبط وأصلها من قرية بأرض مصر يقال لها حفن بفتح المهملة وسكون الفاء وهي أم إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَا؟، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الكَافِرِ، أَوِ الفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

(**فَأَتَتْهُ**) أي: فأتت سارة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]، (**وَهُوَ قَائِمٌ**) جملة حالية.

(**يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ**) أي: أشار بيده، مَهْيَم بفتح الميم وسكون الهاء وتخفيف المثناة التحتية المفتوحة وآخره ميم كذا رواية الأكثرين.

وفي رواية المستملي: (**مَهْيَا**) مقصورًا.

وفي رواية ابن السكن: مهين بنون بدل الميم وكان المستملي لما سمعها بنون ظنها نون تنوين وهي كلمة يستفهم بها معناها ما حالك وما شأنك وما الخبر ويقال إن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من قَالَ هذه الكلمة.

(**قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الكَافِرِ، أَوِ الفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ**) هذا مثل تقوله العرب لمن أراد أمرا باطلا فلم يصل إليه.

(**وَأَخْدَمَ هَاجَرَ**) خَادِمًا وفي رواية الأعرج أشعرت أن اللّه كبت الكافر وأخدم وليدة[2] ومعنى كبت بفتح الكاف والموحدة ثم بمثناة رده خاسئًا ويقال أصله كبد أي: بلغ الهم كبده ثم أبدلت الدال تاء.

(**قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**تِلْكَ**) أي: تلك الجارية يعني هاجر.

(**أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ**) أراد بهم العرب وخاطبهم بذلك لأنهم يعيشون بالمطر ويلازمون الفلوات التي فيها مواقع القطر لأجل مواشيهم ورعي دوابهم ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إِسْمَاعِيل يقال له ماء السماء لأن إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد هاجر وقد ربي بماء زمزم وهي من ماء السماء وقيل سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفائه فأشبه ماء السماء وقيل أراد بماء السماء زمزم لأن اللّه تَعَالَى لما نبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها وعلى هذا فلا متمسك فيه.

وَقَالَ القاضي عياض: والأظهر عندي أنه أراد بذلك الأنصار نسبهم إلى جدهم عامر ماء السماء بن حارثة بن الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة

(1) وفي رواية الأعرج فأقبلت تمشي فلمَّا رآها إبراهيم.

(2) وليدة أي: جارية للخدمة، ويروى وأخدم هاجر وفي رواية مسلم كفَّ اللّه يد الفاجر وأحزم.

ابن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وعامر هذا هو جد الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ماء السماء وأمهما قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة.

وقيل: وقيلة بنت كامل بن عذرة بن سعد بن قضاعة حكى ذلك ابن الكلبي والهمداني.

قَالَ صاحب التوضيح: ما ذكره القاضي عياض فيه نظر فإن الأنصار ليسوا ولد إِسْمَاعِيل ابن هاجر ولا يعلم لها ولد غيره ثم إن ما ذكر عن أن العرب كلهم من ولد إِسْمَاعِيل إنما يتأتى على الشاذ أن العرب جميعهما من ولد إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا قبائل استثنيت واللّه تَعَالَى أعلم ثم إنهم قالوا إنما سمي عامر بماء السماء لأنه كان إذا قحط الناس أقام لهم ماله مقام المطر.

وفي الحديث مشروعية أن يقال أخي في غير النسب ويراد به الأخوة في الإسلام.

وفيه: إباحة المعاريض والرخصة في الانقياد للظالم.

وفيه: قبول صلة الملك الظالم وقبول هدية المشرك.

وفيه: إجابة الدعاء بإخلاص النية وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بالعمل الصالح.

وفيه: ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم.

وفيه: أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفرغ إلى الصلاة.

وفيه: أن الوضوء كان مشروعًا للأمم قبلنا وليس مختصًّا بهذه الأمة ولا بالأنبياء لثبوت ذلك عن سارة والجمهور على أنها ليست بنبية وإن ذهب بعضهم إليه.

فائدة:

وقد يروى أن اللّه تَعَالَى كشف لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة وأنه لم يصل منها إلى شيء.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ لم يكذب إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

3359 - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ مُوسَى، أَو ابْنُ سَلام عَنْهُ، أَخبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ وَقَالَ: «كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ».

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ من طريقين:

الأول: عن سَعِيد بن تليد وصرح برفعه.

والثاني: عن مُحَمَّد بن محبوب وهو غير مرفوع والحديث في الأصل مرفوع وَأَخْرَجَهُ في النكاح أَيْضًا وقد مر أَيْضًا في آخر كتاب البيوع في باب شراء المملوك من الحربي من طريق أَبِي الزناد عن الأعرج عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ وليس فيه قضية الكذب وفيه باقي القصة على اختلاف في المتن بزيادة أو نقصان وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل.

(**حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ مُوسَى**) أي: ابن باذام أَبُو مُحَمَّد العبسي الكوفي وهو من أكبر مشايخ الْبُخَارِيّ.

(**أَو ابْنُ سَلام**) بتشديد اللام هو مُحَمَّد بن عبد الحميد بن جُبَيْر (**عَنْهُ**) وكأنه شك في سماعه هذا الحديث من عُبَيْد اللّه وتحقق أنه سمعه من مُحَمَّد بن سلام عنه فأورده هكذا وقد جمع له نظير هذا في أماكن عديدة قَالَ: (**أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ**) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي.

(**عَنْ عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ**) مصغر جبر ضد الكسر ابن شيبة بن عثمان الحجبي المعدود في أهل الحجاز[1].

(**عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ أُمِّ شَرِيكٍ**) اسمها غزية أو غزيلة على صيغة التصغير فيها.

(**أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، أَمَرَ بِقَتْلِ الوَزَغِ**) وفى رواية أَبِي عاصم إحدى نساء بني عامر بن لؤي ولفظ المتن أنها استأمرت النَّبِيّ ﷺ في قتل الوزغان فأمر بقتلهن والوزغان بالفتح جمع وزغة بالفتح أَيْضًا ولم يذكر الزيادة وهي قوله.

(**قَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ**) ووقع في حديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه

---

(1) وفي رواية الإسماعيلي من طريق يحيى وأبي عاصم عن ابن جريج أخبرني عبد الحميد.

3360 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]».

عَنْهَا عن ابن ماجة وأحمد أن إِبْرَاهِيم لما ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه فأمر النَّبِيّ ﷺ بقتلها.

وذكر بعض الحكماء أن الوزغ أصم وأنه لا يدخل بيتا فيه زعفران وأنه يلقح بفيه وأنه يبيض ويقال لكبارها سام أبرص وهو بتشديد الميم ويمج في الإناء فينال الإنسان من ذلك مكروه عظيم وإذا تمكن من الملح تمرغ فيه ويصير في ذلك مادة لتولد البرص وينجحر في الشتاء أربعة أشهر لا يأكل شَيْئًا كالحية وبينه وبين الحية ألفة كألفة العقارب والخنافس.

وقد مر الحديث في كتاب بدء الخلق في باب خير مال المسلم غنم.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ وكان ينفخ على إِبْرَاهِيم.

(**حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبِي**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**إِبْرَاهِيمُ**) النخعي (**عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن مَسْعُود (**رَضِيَ اللَّه عَنْهُ**) أنه (**قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ**: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ **قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ**) أي: ليس الأمر كما تقولون وتفهمون يعني بل معناه.

(﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ **بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ** ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾) قَالَ الإسماعيلي كذا ورد هذا الحديث في ترجمة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا أعلم فيه شَيْئًا من قصة إِبْرَاهِيم وأجاب عنه الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ فَقَالَ خفي عليه أنه حكاية عن قول إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه سبحانه وتعالى لما فرغ من حكاية إِبْرَاهِيم في الكوكب والقمر والشمس ذكر محاجّه قومه له ثم حكى أنه قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)﴾

9 ـ بَاب ﴿يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: 94] النَّسَلَانُ فِي المَشْيِ

3361 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيّ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ البَصَرُ، ....

[الأنعام: 81] فهذا كله عن إِبْرَاهِيم وقوله إن كنتم تعلمون خطاب لقوله ثم استأنف وَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ [الأنعام: 82] إلى آخره يعني أن الفريق الذي هم أحق بالأمن هم الذين آمنوا فظهر تعلق ذلك بترجمة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد قَالَ تَعَالَى بعد ذلك: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: 83] وأما ما قاله الْعَيْنِيّ بأنه إثبات المطابقة بالجر الثقيل إذ المقصود من المطابقة أن يكون فيه شيء من ألفاظ الترجمة ولو كان شَيْئًا يسيرًا فأنت خبير بأنه لا يلزم ذلك بل المناسبة المعنوية كما فيه في المطابقة وليستأنس فيها بما رواه الحاكم عن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قرأ هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] قَالَ نزلت في هذه الآية في إِبْرَاهِيم وأصحابه وليست في هذه الأمة والحديث قد مضى في كتاب الإيمان في باب ظلم دون ظلم.

9 ـ بَاب ﴿يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: 94] النَّسَلَانُ فِي المَشْيِ

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَصْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) حماد بن أسامة، (عَنْ أَبِي حَيَّانَ) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية يَحْيَى بن سَعِيد التَّيْمِيّ تيم الرباب الكوفي، (عَنْ أَبِي زُرْعَةَ) بضم الزاي وسكون الراء واسمه هرم بن عمرو بن جرير بن عَبْد اللَّه البجلي الكوفي، (عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: أُتِيَ النَّبِيّ ﷺ) على البناء للمفعول.

(يَوْمًا بِلَحْمٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ) من الإسماع.

(الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ البَصَرُ) رواه الأكثرون بفتح الياء وبعضهم بالضم يقال نفذني بصره إذا بلغني وتجاوز ويقال أنفذت القوم إذا أخذتهم ومعناه أنه يحيط بهم بصر الناظر بحيث لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض.

وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ، ـ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ ـ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنَ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ، فَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى» تَابَعَهُ أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَالَ أَبُو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة وإنما هو بالمهملة أي: يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفدت الشيء أنفده وأنفدته.

(وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ، ـ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ ـ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنَ الأَرْضِ) ووقع عند إِسْحَاق ابن راهويه من طريقه أَخْرَجَهُ الحاكم في المستدرك من وجه آخر عن أَبِي زرعة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ في هذا الحديث فيقولون يا إِبْرَاهِيم أنت خليل الرحمن قد سمع بخلتك أهل السماوات والأرض.

(اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ، فَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي) ثلاثًا.

(اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى) والحديث قد مضى في باب قول اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: 1] ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ أنت نبي اللَّه وخليله.

(تَابَعَهُ) أي: تابع أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فِي رِوَايَةِ الحديث المذكور.

(أَنَسٌ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) ذكر الْبُخَارِيّ هذه المتابعة في التوحيد وغيره من حديث قَتَادَة عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**يجمع اللَّه المؤمنين يوم القيامة**» كذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا الحديث.

تنبيه:

وقع فِي رِوَايَةِ الحموي وَالْكُشْمِيهَنِيّ قبل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ما هذا صورته يزفون النسلان في المشي، وفي رواية المستملي والباقين باب بغير ترجمة وسقط ذلك من رواية النسفي ووهم من وقع عنده باب يزفون النسلان فإنه كلام لا معنى له[1] قاله الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ.

---

(1) والذي يظهر ترجيح ما وقع عند المستملي وقوله باب بغير ترجمة يقع عندهم كالفصل من الباب وتعلقه بما قبله واضح فإنَّ الكل من ترجمة إبراهيم عليه السلام.

وتعقبه الْعَيْنِيّ بأن له معنى جيدًا لأن قوله باب كالفصل فلا يحتاج إلى الترجمة لأنه من الباب السابق وأنت خبير بأنه كلام من لم يطلع على كلام من اعترض عليه كما لا يخفى فافهم(1).

وأما قوله يزفون إشارة إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الصافات: 94] وهو من جملة قصة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه حين كسر أصنامهم قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى إِبْرَاهِيم يزفون يسرعون ثم أشار بقوله النسلان في المشي إلى المعنى الحاصل من قوله يزفون وهو من زف في مشيه إذا أسرع والنسلان الإسراع في المشي قَالَ مجاهد الزفيف النسلان يقال نسل ينسل من باب ضرب يضرب نسلًا ونسلانًا

وفي حديث لقمان: وإذا سعى القوم نسل أي: إذا عدوا لغارة أو مخافة أسرع هو وَقَالَ ابن الأثير النسلان دون السعي ومادته نون وسين مهملة ولام وأخرج الطَّبَرِيّ وابن أَبِي حاتم من طريق السُّدِّيّ قَالَ رجع إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آلهتهم فإذا هي في بهو عظيم مستقبل باب البهو(2) صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض فإذا هم قد جعلوا طعامًا بين يدي الأصنام وقالوا إذا رجعنا وجدنا الآلهة بركت في طعامنا فلما نظر إليهم إِبْرَاهِيم قَالَ ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فأخذ حديدة فبقر كل صنم في حافيته ثم علق الفأس في الصنم الأكبر ثم خرج فلما رجعوا جمعوا لإبراهيم الحطب حتى إن المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني اللّه لأجمعن لإبراهيم حطبًا فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب أرادوا(3) إحراقه قالت

(1) وفي شرح الكرماني باب قول اللّه تعالى: ﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾.

(2) البهو البيت الواسع وقيل: البيت المقدم أمام البيوت.

(3) والذي أشار بإحراقه نمرود عن ابن عمر رضي اللّه عنهما رجل من أعراب العجم يريد الأكراد وروي أنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتًا كالحظيرة بكوثى من قرى الأنباط وجمعوا شهرًا أصناف الخشب الصلاب ثم أشعلوا نارًا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من حرها، ثم وضعوه في المنجيق مقيدًا مغلولًا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام بأمر اللّه يا نار كوني بردًا وسلامًا، ويحكى ما احترقت منه إلَّا وثاقه، وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة؟ فقال أمّا إليك فلا. قال: فسل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وعن ابن عباس إنما نجا بقوله: حسبي اللّه ونعم الوكيل. وأطلَّ عليه نمرود من الصرح فإذا هو في روضة =

3362 - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،

السماء والأرض والجبال والملائكة ربنا خليلك إِبْرَاهِيم يحرق قَالَ أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه فَقَالَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري حسبي اللّه ونعم الوكيل انتهى.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وأظن الْبُخَارِيّ إن كانت الترجمة محفوظة أشار إلى هذا القدر فإنه يناسب قولهم في حديث الشفاعة أنت خليل اللّه من الأرض واللّه تَعَالَى أعلم.

(**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ**) أي: ابن إِبْرَاهِيم (**أَبُو عَبْدِ اللَّهِ**) المروزي المعروف بالرباطي قال: (**حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ**) الأزدي البَصْريّ أَبُو العباس.

(**عَنْ أَبِيهِ**) جرير بفتح الجيم بن حازم بن زيد أَبِي النضر الأزدي البَصْريّ، (**عَنْ أَيُّوبَ**) السَّخْتِيَانِيّ، (**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ**) الأسدي الكوفي، (**عَنْ أَبِيهِ**) سَعِيد بن جُبَيْر بن هشام الأسدي الفقيه الورع.

(**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) هذا الحديث رواه ابن السكن والإسماعيلي من طريق حجاج بن الشاعر عن وهب بن جرير عن أبيه عن أيوب عن عَبْد اللّه بن سَعِيد بن جُبَيْر عن أبيه عَنِ ابْن عَبَّاس عن أُبي بن كعب رضي اللّه عنهم عن النَّبِيّ ﷺ فزاد في روايتهما أُبي بن كعب رَضِيَ اللّه عَنْهُ ورواه النَّسَائِيّ عن أحمد بن سَعِيد شيخ الْبُخَارِيّ بإسقاط عَبْد اللّه بن سَعِيد بن جُبَيْر وزيادة أُبَي بن كعب قَالَ النَّسَائِيّ قَالَ أحمد ابن سَعِيد قَالَ وهب وحدثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن عَبْد اللّه بن سَعِيد بن جُبَيْر عن أبيه ولم يذكر أُبَي بن كعب

= ومعه جليس له من الملائكة فقال: إني مقرّب إلى الهلاك نذبح أربعة آلاف بقرة وكفَّ عن إبراهيم، وكان ابراهيم إذ ذاك ابن ست عشرة سنة، واختاروا المعاقبة بالنار لأنها أهول ما يعاقب وأفظعه ولذلك جاء: لا يعذب بالنار إلّا خالقها، ومن ثمة قالوا: إن كنتم فاعلين أي: إن كنتم ناصرين آلهتكم نصرًا مؤزرًا فاختاروا له أهول المعاقبات. وهي الإحراق بالنار وإلّا فرطتم في تصرفها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتضخيم شأنها كذا في الكشاف.

قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْلا أَنَّهَا عَجِلَتْ، لَكَانَ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا».

فوضح أن وهب بن جرير كان إذا رواه عن أبيه لم يذكر عَبْد اللَّه بن سَعِيد وذكر أُبَي بن كعب وإذا رواه عن حماد بن زيد ذكر عَبْد اللَّه بن سَعِيد ولم يذكر أُبَي بن كعب ورواه النَّسَائِيّ أَيْضًا عن أَبِي داود سليمان بن سَعِيد عن علي بن المديني عن وهب به وفيه قلت لأبي حماد لا يذكر أُبَي بن كعب ولا يرفعه وَقَالَ أنا أحفظ كذا وكذا حَدَّثَنِي به أيوب قَالَ وهب وحدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عَبْد اللَّه بن سَعِيد عن أبيه عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا نحوه ولم يذكر أُبَي بن كعب ولم يرفعه قَالَ وهب بن جرير فأتيت سلام بن أَبِي مطيع فحدثته بهذا الحديث عن حماد بن زيد عن أيوب عن عَبْد اللَّه بن سَعِيد فأنكره إنكارًا شديدًا ثم قَالَ لي فأبوك ما يقول قلت أَبِي يقول عن أيوب عن سَعِيد بن جُبَيْر فَقَالَ العجب واللَّه ما يزال الرجل من أصحابنا الْحَافِظ قد غلط إنما هو أيوب عن عِكْرِمَة بن خالد عن سَعِيد بن جُبَيْر.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وليس ببعيد أن يكون لأيوب فيه عدة طرق فإن إِسْمَاعِيل بن علية من كبار الْحفاظ وقد قَالَ فيه عن أيوب عن سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ولم يذكر أُبيًّا وهو ما يؤيد رواية الْبُخَارِيّ أَخْرَجَهُ الإسماعيلي من وجهين عن إِسْمَاعِيل أحدهما هكذا والآخر قَالَ فيه عن أيوب عن عَبْد اللَّه بن سَعِيد بن جُبَيْر وقد عاب الإسماعيلي على الْبُخَارِيّ إخراجه رواية أيوب لاضطرابها والذي يظهر أنه اختلاف لا يضر لأنه يدور على ثقات حفاظ إن كان بإثبات عَبْد اللَّه بن سَعِيد بن جُبَيْر وأبي بن كعب فلا كلام وإن كان بإسقاطهما فأيوب قد سمع من سَعِيد بن جُبَيْر وأما ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فإن كان لم يسمعه من النَّبِيّ ﷺ فهو من مرسل الصحابة وهو مقبول واللَّه أعلم.

(**قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ**) هي هاجر (**لَوْلا أَنَّهَا عَجِلَتْ، لَكَانَ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا**) بفتح الميم أي: سائلًا جاريًا على وجه الأرض يقال عين معين أي: عين جارية والقياس أن يقال معينة فالتذكير إما للحمل على اللفظ أو لتوهم أنه فعيل بمعنى مفعول أو على تقدير ذات معين وهو الماء يجري على وجه الأرض.

وملخص قصتها ما ذكره السُّدِّيّ أن سارة زوجة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حلفت أن

3363 - قَالَ الأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ: أَمَّا كَثِيرُ بْنُ كَثِيرٍ، فَحَدَّثَنِي قَالَ: إِنِّي وَعُثْمَانَ بْنَ أَبِي سُلَيْمانَ، جُلُوسٌ مَعَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: مَا هَكَذَا حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ،

لا تسكن هاجر فحملها إِبْرَاهِيم وإسماعيل معها إلى مكة على البراق ومكة إذ ذاك عضاه وسلم وسمر وموضع البيت يومئذ ربوة فوضعهما موضع الحجر ثم انصرف فاتبعته هاجر فقالت إلى من تكلنا فاللَّه أمرك بهذا قَالَ نعم قالت إذن لا يضيعنا ثم انصرف راجعًا إلى الشام وكان مع هاجر شنة ماء وقد نفد فعطشت وعطش الصبي فقامت وصعدت الصفا فتسمعت هل تسمع صوتًا أو ترى إنسانًا فلم تسمع شَيْئًا ولا رأت أحدًا ثم ذهبت إلى المروة فصعدت عليها وفعلت مثل ذلك فلم تزل تسعى بينهما سبع مرات وأصل السعي من هذا ثم سمعت صوتًا فجعلت تدعو اسمع إيل يعني اسمع يا اللّه قد هلكت وهلك من معي فإذا هي بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لها من أنت؟ قالت سرية إِبْرَاهِيم تركني وابني ههنا قَالَ إلى من وكلكما قالت إلى اللّه قَالَ وكلكما إلى كافئ ثم جاء بهما إلى موضع زمزم فضرب بعقبه فغارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما نبع الماء أخذت هاجر شنتها وجعلت تستقي فيها تدخره وهي تغور فَقَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**يرحم اللّه أم إِسْمَاعِيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عينًا معينًا**».

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ من ثلاث طرق وهذا هو الأول والثاني قوله:

(**قَالَ الأَنْصَارِيُّ**) هو مُحَمَّد بن عَبْد اللّه بن مثنى بن عَبْد اللّه بن أنس مات سنة أربع عشرة أو خمس عشرة ومائتين.

(**حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ**) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قَالَ: (**أَمَّا كَثِيرُ بْنُ كَثِيرٍ**) بالمثلثة فيها أيْ: ابن المطلب بتشديد الطاء المهملة وكسر اللام ابن أَبِي وداعة بفتح الواو وتخفيف الدال السهمي وقد مر في كتاب الشرب وعديل كلمة أما محذوف في هذه الرواية فكأنه قال أمَّا أيوب فحدث كذا وأما كثير ابن كثير فكذا.

(**فَحَدَّثَنِي قَالَ: إِنِّي وَعُثْمَانَ بْنَ أَبِي سُلَيْمانَ**) أي: ابن جُبَيْر بن مطعم القرشي (**جُلُوسٌ**) أي: جالسان (**مَعَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: مَا هَكَذَا حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ**)

قَالَ: أَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَهِيَ تُرْضِعُهُ، مَعَهَا شَنَّةٌ ـ لَمْ يَرْفَعْهُ ـ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ.

رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وَلَكِنَّهُ (**قَالَ: أَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّهِ**) يعني هاجر، (**وَهِيَ تُرْضِعُهُ**) جملة حالية.

(**وَلَهَا شَنَّةٌ**) بفتح الشين المعجمة وتشديد النون وهي القربة اليابسة.

(**لَمْ يَرْفَعْهُ**) أي: لم يرفع الحديث إلى النَّبِيّ ﷺ وهذا التعليق وصله أبو نعيم في المستخرج عن فاروق بن عبد الكبير الْخَطَّابِيّ عن أَبِي خالد عبد العزيز ابن معاوية القرشي عن الأَنْصَارِيّ ولكنه أورده مختصرًا هكذا أَيْضًا وكذلك أَخْرَجَهُ عمر ابن شبة في كتاب مكة عن مُحَمَّد بن عَبْد اللّه الأَنْصَارِيّ كذلك. وقد رواه الأزرقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي والفاكهي من طريق مُحَمَّد ابن جشعم كلاهما عن ابن جريج فبين فيه سبب قول سَعِيد بن جُبَيْر ما هكذا حَدَّثَنِي ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ولفظه عن ابن جريج عن كثير بن كثير قَالَ: كنت أنا وعثمان بن أَبِي سليمان وعبد اللّه بن عبد الرحمن بن أَبِي حسين في أناس مع سَعِيد بن جُبَيْر بأعلى المسجد ليلًا فَقَالَ سَعِيد بن جُبَيْر سلوني قبل أن لا تروني فسأله القوم فأكثروا فكان مما سئل عنه أن قَالَ رجل أحق ما سمعنا في المقام مقام إِبْرَاهِيم أن إِبْرَاهِيم حين جاء من الشام حلف لامرأته أن لا ينزل بمكة حتى يرجع فقربت إليه أم إِسْمَاعِيل المقام فوضع رجله عليه حتى لا ينزل فَقَالَ سَعِيد بن جُبَيْر ليس هكذا حَدَّثَنَا ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فساق الحديث بطوله وَأَخْرَجَهُ الفاكهي عن ابن أَبِي عمر عن عبد الرزاق بلفظ فَقَالَ يا معشر الشباب سلوني فإني قد أوشكت أن أذهب من بين أظهركم فأكثر الناس مسألته فَقَالَ له رجل أصلحك اللّه أرأيت هذا المقام هو كما كنا نتحدث قَالَ وما كنت تتحدث قَالَ كنا نقول إن إِبْرَاهِيم حين جاء عرضت عليه أم إِسْمَاعِيل النزول فأبى أن ينزل فجاءته بذا الحجر فوضعته له فَقَالَ ليس كذلك وهكذا أَخْرَجَهُ الإسماعيلي من طرق عن معمر.

(**ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ**) قيل: وحملوا على البراق وقيل: كان تطوى له الأرض.

3364 - وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَكَثِيرِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ ....

(وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) المعروف بالمسندي وهذا طريق ثالث من الطرق الثلاث وهو يوضح القصة كما ينبغي قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) هو ابن همام قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ) هو ابن راشد، (عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَكَثِيرِ بْنِ كَثِيرِ ابْنِ المُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) أنه قَالَ: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ) بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء هو ما يشد به الوسط ووقع فِي رِوَايَةِ ابن جريج النطق بضم النون والطاء وهو جمع نطاق بمعنى المنطق.

(مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا) أي: اتخذت أم إِسْمَاعِيل منطقًا وكان أول الاتخاذ من جهتها ومعناه أنها تزيت بزي الخدم إشعارا بأنها خادمها يعني خادم سارة لتستميل خاطرها وتجبر قلبها وكان السبب في ذلك أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فحملت منه بإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقًا فشدت به وسطها وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة وهو معنى قوله:

(لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ) أي: لأن تعفي يقال عفى على ما كان منه إذا أصلح بعد الفساد ويقال إن إِبْرَاهِيم شفع فيها وَقَالَ لسارة حللي يمينك بأن تثقبي أذنيها وتخفضيها فكانت أول من فعل ذلك ووقع فِي رِوَايَةِ ابن علية عن الإسماعيلي أول ما أخذت العرب جر الذيول عن أم إِسْمَاعِيل وذكر الحديث ويقال إن سارة اشتدت بها الغيرة فخرج إِبْرَاهِيم بإسماعيل وأمه إلى مكة لذلك وروى ابن إِسْحَاق عن ابن أَبِي نجيح عن مجاهد وغيره أن اللَّه تَعَالَى لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج بإسماعيل وهو طفل صغير وأمه كما قَالَ في هذه الرواية.

(ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ) قيل: وحملوا على البراق وقيل: كان تطوى له الأرض.

وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ، فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، ....

(**وَهِيَ تُرْضِعُهُ**) جملة حالية أي: والحال أن هاجر ترضع إِسْمَاعِيل.

(**حَتَّى وَضَعَهُمَا**) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ فوضعها ويروى حتى وضعهما (**عِنْدَ البَيْتِ**) أي: عند موضع البيت لأنه لم يكن في ذلك الوقت بيت ولا بناء.

(**عِنْدَ دَوْحَةٍ**) بفتح الدال والحاء المهملتين وهي الشجرة العظيمة بدل من عند البيت.

(**فَوْقَ زَمْزَمَ**) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ وهو المعروف وفي رواية غيره فوق الزمزم.

(**فِي أَعْلَى المَسْجِدِ**) أي: في أعلى مكان المسجد لأنه لم يكن حينئذ بنى المسجد.

(**وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا**) بكسر الجيم وهو الذي يتخذ من الجلد يوضع فيه الزاد.

(**فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً**) بالنصب عطف على جرابًا وهو بكسر السين قربة صغيرة.

(**فِيهِ مَاءٌ**) وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع عن كثير التي بعد هذه الرواية ومعها شنة بفتح المعجمة وتشديد النون وهي القربة العتيقة اليابسة.

(**ثُمَّ قَفَّى**) بفتح القاف وتشديد الفاء من التقفية وهي الإعراض والتولي.

(**إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا**) قَالَ الهروى يعني ولى راجعًا إلى الشام وفي رواية ابن إِسْحَاق فانصرف إِبْرَاهِيم إلى بلد بالشام وترك إِسْمَاعِيل وأمه عند البيت وقوله منطلقا نصب على الحال.

(**فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ**) وفى رواية ابن إِسْحَاق فأتبعته وفي رواية ابن جريج فأدركته بكذا (**فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ**) أَنِيسٌ، ويروى: (**إِنْسٌ وَلا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا،**)

فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذًا لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ ـ حَتَّى بَلَغَ ـ ﴿يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37] ....

فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟) وفي رواية عمر بن شبة من طريق عطاء بن السائب عن سَعِيد بن جُبَيْر أنها نادته ثلاثًا فأجابها في الثالثة فقالت له من أمرك بهذا.

(**قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذًا لا يُضَيِّعُنَا**) وفي رواية عطاء بن السائب فقالت لن يضيعنا وفي رواية ابن جريج فقالت حسبي وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع عن كثير المذكورة بعد ذلك في الباب فقالت رضيت بالله.

(**ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ**) بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد التحتية وهي في الجبل كالعقبة فيه وقيل هو الطريق العالي فيه وقيل أعلى المسيل في رأسه وفي رواية من طريق كدا وهو بفتح الكاف ممدودًا هو الموضع الذي دخل النَّبِيّ ﷺ مكة منه وهو معروف وقد مضى الكلام فيه في الحج.

ووقع فِي رِوَايَةِ الأصيلي النية بالموحدة بدل المثلثة وهو تصحيف وضبط ابن الجوزي كدا بالضم والقصر وَقَالَ هي التي بأسفل مكة عند قعيقعان قَالَ لأنه وقع في الحديث أنهم نزلوا بأسفل مكة، قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وذلك ليس بمانع أن يرجع من أعلى مكة فالصواب ما وقع في الأصول بفتح الكاف والمد.

(**حَيْثُ لا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:**) رَبّنا وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: رَبِّ والأول هو الموافق للتلاوة.

(﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ **حَتَّى بَلَغَ** ﴿يَشْكُرُونَ﴾) والآية في سورة إِبْرَاهِيم قَالَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ [إبراهيم: 35] يعني البلد الحرام آمنًا ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله: ﴿اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: 126] أن المسؤول في الأول إزالة الخوف عنه وتصييره آمنًا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ [إبراهيم: 35]

بعدني وإياهم ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إِبْرَاهِيم: 35] واجعلنا منه في جانب[1] وفيه دليل على أن عصمة الْأَنْبِيَاء بتوفيق اللّه وحفظه إياهم وهو بظاهر لا يتناول أحفاده وجميع ذريته.

وزعم ابن عينية أن أولاد إِسْمَاعِيل لم يعبدوا الصنم محتجًّا به وإنما كانت لهم أنصاب حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار[2] ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرًا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36] فأعوذ بك من إضلالهن وأسألك أن تعصمني وبنيَّ من ذلك وإنما جعلن مضلات لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم فإسناد الإضلال إليهن باعتبار السببية كقوله تَعالَى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: 70] ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على ملتي وديني وكان حنيفا مسلمًا مثلي ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ أي: هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته بي لا ينفعك عني في أمر الدين وكذلك قوله من غشنا فليس منا أي: ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36] تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء وبعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: 37] بعض أولادي وهم إِسْمَاعِيل ومن ولد منه[3] أو ذريته من ذريتي فحذف المفعول ﴿بِوَادٍ﴾ [إبراهيم: 37] هو وادي مكة ﴿غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: 37] لا يكون فيه شيء من ذرع قط فإنها حجرية لا تنبت وهذا كقوله تَعالَى: ﴿عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: 28] يعني لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلا الاستقامة لا غير ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37] الذي حرمت التعرض له والتهاون به إذ لم يزل معظمًا ممنعًا تهابه الجبابرة كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب وجعلت ما حوله حرمًا آمنًا لمكانه أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها أو لأنه حرم على الطوفان أي: منع منه فلم

(1) والمعنى ثبّتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها.
(2) الدُّوار: الواو تشدد وتخفف، والدال مضمومة.
(3) فإن إسكانه متضمن لإسكانهم.

يستول عليه ولذلك سمي عتيقًا أي: أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قَالَ ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول إليه ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: 37] اللام لام كي وهي متعلقة بأسكنت أي: ما أسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستعدين بجوارك الكريم متقربين إليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصود بالذات من إسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل اللام لام الأمر والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة وسأل من اللَّه أن يوفقهم لها ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إِبْرَاهِيم: 37] أي: أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قَالَ أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى.

وقيل: لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند(1).

ويجوز أن يكون من الابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وإنما نكر المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إِبْرَاهِيم: 37] تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقًا ونزاعًا وهو من هوي يهوى إذا أحب ضمن معنى تنزع فعدي بإلى تعديته ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إِبْرَاهِيم: 37] مع سكناهم واديًا لا نبات فيه ولا شيء من الثمرات بأن تجلب إليهم من البلاد ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إِبْرَاهِيم: 37] تلك النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن اللَّه تَعَالَى أجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنه ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف(2) وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارًا وفي أي: بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها اللَّه بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه

(1) وعن سعيد بن جبير لو قال أفئدة للناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس.

(2) الريف: أرض فيها زرع وخصب.

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ ....

المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب[1] وفقنا الله لشكر نعمه، وزيارة حرمه، وأدام لنا الشرف بالدخول تحت دعوة إِبْرَاهِيم، ورزقنا طرفًا من سلامة ذلك القلب السليم.

(**وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ**) أي: حتى إذا فرغ الماء الذي في السقاء.

(**عَطِشَتْ**)[2] زاد الفاكهي من حديث ابن جهم فانقطع لبنها.

(**وَعَطِشَ ابْنُهَا**) أي: إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي رواية الفاكهي وكان إِسْمَاعِيل حينئذ ابن سنتين.

(**وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى**) أي: يتمرغ وينقلب ظهر البطن يمينًا وشمالًا واللوي وجع في البطن، (**أَوْ**) شك من الراوي.

(**قَالَ يَتَلَبَّطُ**) بالباء الموحدة قبل الطاء المهملة أي: يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض وَقَالَ الداوودي هو أن يحرك شفتيه ولسانه كأنه يموت وَقَالَ الخليل لبط فلان بفلان الأرض إذا صرعه صرعًا عنيفًا.

وَقَالَ ابن دريد: اللبط باليد والخبط بالرجل.

وفي رواية عطاء بن السائب: فلما ظمئ إِسْمَاعِيل جعل يضرب الأرض بعقبيه.

وفي رواية معمر وَالْكُشْمِيهَنِيّ يلتمظ بالميم والظاء المعجمة.

وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع كأنه ينشغ للموت وهو بفتح الياء وسكون النون وفتح المعجمة بعدها غين معجمة أي: يشهق ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع.

(**فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ**) ويروى: كراهة (**أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ**

---

(1) وقيل ارزقهم من الثمرات أي: التي تكون في بلاد الريف، فقبل الله دعاءه وأنبت لهم بالطائف سائر الأشجار لعلهم يشكرون النعمة.

(2) بكسر الطاء في الموضعين.

فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهٍ ـ تُرِيدُ نَفْسَهَا ـ،

(**فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ**) وفي رواية عطاء بن السائب والوادي يومئذ عميق.

(**تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا**) جملة وقعت حالًا.

(**فَلَمْ تَرَ أَحَدًا**) وفي حديث أَبِي جهم تستغيث ربها وتدعوه.

(**فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا**) درع المرأة قميصها.

(**ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ**) أي: الذي أصابه الجهد وهو الأمر الشاق المشق.

(**حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ**) وفي حديث أَبِي جهم وكان ذلك أول ما سعى بين الصفا والمروة.

وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع أنها كانت في كل مرة تتفقد إِسْمَاعِيل وتنظر ما حدث له بعدها وَقَالَ في رواية فلم تقرها نفسها وهو بضم أوله وكسر القاف ونفسها بالرفع الفاعل أي: لم تتركها نفسها مستقرة فتشاهده في حال الموت فرجعت وهذا في المرة الأخيرة.

(**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (**قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهٍ**) بفتح المهملة وسكون الهاء وبكسرها منونة.

(**تُرِيدُ نَفْسَهَا**) أي: خاطبت نفسها فقالت لها اسكتي.

وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع وابن جريج فقالت: أغثني إن كان عندك خير.

ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ ....

(**ثُمَّ تَسَمَّعَتْ**) أي: تكلفت السماع واجتهدت فيه وهو من باب التفعل للتكلف.

(**فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ**) بفتح التاء من الإسماع.

(**إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ**) بفتح الغين المعجمة فِي رِوَايَةِ الأكثرين وتخفيف الواو وآخره مثلثة قيل وليس في الأصوات فعال بفتح أوله غيره وحكى ابن الأثير ضم أوله والمراد به على هذا المستغيث وحكى ابن قرقول كسر أوله أَيْضًا والضم رواية أَبِي ذَرٍّ والفتح رواية الأصيلي وضبطه الدمياطي بالضم وابن التين بالفتح وعلى كل حال هو مشتق من الغوث وجزاء الشرط محذوف تقديره إن كان عندك غواث فأغثني.

(**فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ**) كلمة إذا للمفاجأة وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع وابن جريج فإذا جبريل. وفي حديث علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عند الطَّبَرِيّ بإسناد حسن فناداها جبريل فَقَالَ من أنت قالت أنا هاجر أم ولد إِبْرَاهِيم قَالَ فإلي من وكلكما قالت إلى اللّه قَالَ وكلكما إلى كاف.

(**عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ**) البحث طلب الشيء في التراب وكأنه حفر بطرف رجله.

(**أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ**) شك من الراوي قَالَ الْكِرْمَانِيّ ومعنى قَالَ بجناحه أشار به وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع فَقَالَ بعقبه هكذا أو غمز عقبه على الأرض وهي تعين إن ذلك كان بعقبه وفي رواية ابن جريج فركض جبريل برجله وفي حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ ففحص الأرض بإصبعه فنبعت زمزم وَقَالَ ابن إِسْحَاق في روايته فزعم العلماء أنهم لم يزالوا يسمعون أنها همزة جبريل.

(**حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ**) وفي رواية ابن جريج ففاض الماء وفي رواية ابن نافع فانبثق وهي بنون وموحدة ومثلثة وقاف أي: تفجر.

(**فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ**) أي: تجعله كالحوض لئلا يذهب الماء.

وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ ـ أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ ـ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلامُ وَأَبُوهُ،

وفي رواية ابن نافع: فدهشت أم إِسْمَاعِيل فجعلت تحفر وفي رواية الكُشْمِيهَنيّ من رواية ابن نافع تحفن بالنون بدل الراء والأول أصوب وفي رواية عطاء بن السائب فجعلت تفحص الأرض بيديها.

(**وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا**) هو حكاية فعلها وهذا من إطلاق القول على الفعل وفي حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ فجعلت تحبس الماء فَقَالَ دعيه فإنها رواء.

(**وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (**قَالَ النَّبِيّ ﷺ: يَرْحَمُ اللّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ**) ويروى من زمز وهو شك من الراوي وفي رواية ابن نافع لو تركته وهذا القدر صرح ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا برفعه وفيه إشعار بأن جميع الحديث مرفوع.

(**لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا**) بفتح الميم إن كان من عانه فهو بوزن مفعل وأصله معيون فحذفت الواو وإن كان من المعن وهو المبالغة في الطلب فهو بوزن فعيل. وفي رواية ابن نافع كان الماء ظاهرًا، وَقَالَ ابن الجوزي كان ظهور زمزم نعمة من اللّه محضة بغير عمل عامل فلما خالطها تحويض هاجر داخلها كسب البشر فقصرت على ذلك.

(**قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ**) بفتح المعجمة وسكون التحتية أي: الهلاك ويروى لا تخافي وفي حديث أَبِي جهم لا تخافي أن ينفد الماء. وفي رواية علي بن الوازع عن أيوب عند الفاكهي لا تخافي على أهل هذا الوادي ظمأ فإنها عين يشرب بها ضيفان اللّه. وزاد في حديث أَبِي جهم فقالت بشرك اللّه بخير وفيه أن الملك يتكلم مع غير الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(**فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ**) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنيّ وفي رواية غيره فإن هذا بيت اللّه (**يَبْنِي هَذَا الغُلامُ وَأَبُوهُ**) كذا هو بحذف المفعول وفي رواية الإسماعيلي يبنيه

وَإِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ، ....

بإظهار المفعول وزاد ابن إِسْحَاق في روايته وأشار لها إلى البيت وهو يومئذ مدرة حمراء فَقَالَ هذا بيت اللّه العتيق واعلمي أن إِبْرَاهِيم وإسماعيل يرفعانه.

(**وَإِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ**) بالموحدة ثم المثناة التحتية أي: المكان المرتفع وروى ابن أَبِي حاتم من حديث عَبْد اللّه ابن عمرو ابن العاص رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ لما كان زمن الطوفان رفع البيت فكان الْأَنْبِيَاء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه اللّه لإبراهيم وأعلمه مكانه وروى البيهقي في الدلائل من طريق أخرى عن عَبْد اللّه بن عمرو مَرْفُوعًا بعث اللّه جبريل إلى آدم عليهما السلام فأمره ببناء البيت ثم أمر بالطواف به وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس.

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من بنى البيت وقيل بنته الملائكة قبله. وعن وهب بن منبه أول من بناه شيث عَلَيْهِ السَّلَامُ والأول أثبت وسيأتي مزيد لذلك في آخر شرح هذا الحديث إن شاء اللّه تَعَالَى.

(**تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ**) أي: هاجر رَضِيَ اللّه عَنْهَا (**كَذَلِكَ**) أي: على الحال الموصوفة وفيه إشعار بأنها كانت تغتذي بماء زمزم فيكفيها عن الطعام والشراب.

(**حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ**) بضم الراء وسكون الفاء وفتح القاف وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سفر أو لا.

(**مِنْ جُرْهُمَ**) بضم الجيم والهاء حي من اليمن وهو ابن قحطان ابن عابر ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل ابن يقطن.

قَالَ إِسْحَاق وكان جرهم وأخوه قطورا أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن وكان رئيس جرهم مضاض بن عمرو ورئيس قطورا السميدع ويطلق على الجميع جرهم.

وقيل: إن أصلهم من العمالقة.

وفي رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة.

أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ. فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي

(**أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ**) شك من الراوي.

(**مُقْبِلِينَ**[1] **مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ**) بفتح الكاف وتخفيف الدال وبالمد كالسماء كذا هو في جميع الروايات واستشكله بعضهم لقوله: (**فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ**) فإن كداء بالفتح والمد في أعلى مكة وأما الذي في أسفل مكة فبالضم والقصر ورد بأنه لا مانع من أن يدخلوها من الجهة العليا وينزلوا في الجهة السفلى.

(**فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا**) بالمهملة والفاء هو الذي يحوم حول الماء ويتردد عليه ولا يمضي عنه وَقَالَ الخليل العائف الرجل الذي يعرف مواضع الماء من الأرض.

(**فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا**) اللام فيه مفتوحة للتأكيد.

(**بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ**) جملة حالية بالواو.

(**فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ**) بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتانية أي: رسولًا وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير قيل سمي بذلك لأنه يجري مجرى مرسله أو موكله أو لأنه يجري مسرعًا في حوائجه. وقوله جريًا أو جريين شك من الراوي هل أرسلوا واحدًا أو اثنين وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع فأرسلوا رسولًا. ويحتمل الزيادة على الواحد ويكون الإفراد باعتبار الجنس لقوله: (**فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ**) بصيغة الجمع ويحتمل أن يكون الإفراد باعتبار المقصود بالإرسال والجمع باعتبار من تبعه من خادم ونحوه.

(**فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا**) أي: فأقبل جرهم إلى جهة الماء.

(**قَالَ**) أي: الراوي: (**وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ**) جملة حالية.

(**فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِي**

---

(1) حال وهو من الإقبال وهو التوجه إلى الشيء.

الـمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإنْسَ» فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلامُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، ....

المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا **(قَالَ النَّبِيّ ﷺ: فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ)** قوله فألفى بالفاء أي: وجد قَالَ الْكِرْمَانِيّ: أي: وجد ذلك الجرهمي أم إِسْمَاعِيل محبة للمؤانسة بالناس.

وَقَالَ بعضهم: أي: وجد وأم إِسْمَاعِيل بالنصب على المفعولية ولم يبين فاعل وجد.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: وكأنه خفي على الْكِرْمَانِيّ حتى جعل فاعل ألفى الجرهمي وهو قوله ذلك وهو إشارة إلى إستئذان جرهم والمعنى فأتى استئذان جرهم بالنزول عند أم إِسْمَاعِيل والحال أنها تحب الأنس لأنها كانت وحدها وإسماعيل صغير والوحشة متمكنة.

ونظير ذلك ما في قول عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا ما ألفى السحر عندي إلا نائمًا وفسره ابن الأثير وغيره أي: ما أتى عليه السحر إلا وهو نائم يعني بعد صلاة الليل والفعل فيه للسحر.

وقوله: الإنس بضم الهمزة ضد الوحشة ويجوز الكسر أَيْضًا أي: تحب جنسها.

(فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلامُ) أي: إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي حديث أَبِي جهم ونشأ إِسْمَاعِيل بين ولدانهم.

(وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ) أي: من جرهم فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيًا وفيه تضعيف لقوله من قَالَ إنه أول من تكلم بالعربية وقد وقع ذلك من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا عند الحاكم في المستدرك بلفظ أول من نطق بالعربية إِسْمَاعِيل وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ بإسناد حسن قَالَ أول من فتق اللّه لسانه بالعربية المبينة إِسْمَاعِيل وهذا القيد يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأولية

وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ ....

المطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه اللّه تَعَالَى العربية الفصيحة المبينة فنطق بها ويشهد لهذا ما حكى ابن هشام في التيجان عن الشرقي ابن قطامي أن عربية إِسْمَاعِيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: المعنى أول من تكلم بالعربية من أولاد إِبْرَاهِيم إِسْمَاعِيل عليهما السلام لأن إِبْرَاهِيم وأهله كلهم لم يكونوا يتكلمون بالعربية فالأولية أمر نسبي فبالنسبة إليهم هو أول من تكلم بالعربية لا بالنسبة إلى جرهم.

(وَأَنْفَسَهُمْ) بفتح الفاء بلفظ الماضي أي: رغبهم فيه وفي مصاهرته يقال أنفسني فلان في كذا أي: رغبني فيه لنفاسته.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: أنفسهم بفتح الفاء بلفظ أفعل التفضيل من النفاسة أي: كثرت رغبتهم فيه.

وتعقبه العيني بأنه غلط وما هو إلا فعل ماض من الإنفاس وفاعله إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو عطف على تعلم قَالَ ابن الأثير في النهاية وحديث إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه تعلم العربية وأنفسهم أي: رغبهم وأعجبهم وصار عندهم نفيسًا يقال أنفسني في كذا أي: رغبني فيه فيكون قوله:

(وَأَعْجَبَهُمْ) عطف تفسير لقوله: أنفسهم (حِينَ شَبَّ) ووقع عند الإسماعيلي وآنسهم بغير فاء من الإنس.

(فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ) قَالَ السهيلي اسمها جذا بنت سعد وعن إِسْحَاق أن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة وفي حديث أَبِي جهم أنها بنت صدى ولم يسمها وعند عمر بن شبة اسمها حُييّ بنت أسعد بن عملق وعند الفاكهي عن ابن إِسْحَاق أن إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ خطبها إلى أبيها فتزوجها منه.

(وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ) هاجر في خلال ذلك.

(فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ) وفي رواية عطاء بن السائب فقدم إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد ماتت هاجر.

يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ،

قيل: وكان عمرها تسعين سنة فدفنها إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحجر.

(**يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ**) بكسر الراء أي: يتفقد حال ما تركته هناك وضبطها بعضهم بالسكون وَقَالَ التركة بالكسر بيض النعام ويقال لها التريكة قيل لها ذلك لأنها حين تبيض بيضها وتذهب ثم تعود فتطلبه فتحضن ما وجدت سواء هو أو غيره وفيها ضرب الشاعر المثل بقوله:

كتاركة بيضها بالعراء ... وحاضنة بيض أخرى صباحا

والطالعة: النظر في الأمور.

وَقَالَ ابن التين: هذا يشعر بأن الذبيح إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن المأمور بذبحه كان عندما بلغ السعي وقد قَالَ في هذا الحديث إن إِبْرَاهِيم ترك إِسْمَاعِيل رضيعا وعاد إليه وهو متزوج فلو كان هو المأمور بذبحه لذكر في الحديث أنه عاد إليه في خلال ذلك بين زمان الرضاع والتزوج وأجاب عنه الْكِرْمَانِيّ بأنه ليس فيه نفي مجيئه مرة أخرى قبل موتها وتزوجه هذا فيحتمل أن يكون جاءه وأمرا بالذبح ولم يذكر في الحديث وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين في خبر آخر ففي حديث أَبِي جهم كان إِبْرَاهِيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام وروى الفاكهي من حديث علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بإسناد حسن نحوه وأن إِبْرَاهِيم كان يزور إِسْمَاعِيل وأمه على البراق واللَّه تَعَالَى أعلم.

(**فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا**) أي: يطلب لنا الرزق وفي رواية ابن جريج وكان عيش إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ الصيد يخرج فيتصيد وفي حديث أَبِي جهم وكان إِسْمَاعِيل يرعى ماشيته ويخرج منتكبًا قوسه فيرمي الصيد وفي حديث ابن إِسْحَاق وكانت مسارحه التي يرعى فيها السدرة إلى السر من نواحي مكة.

(**ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ**) وزاد فِي رِوَايَةِ عطاء بن السائب وَقَالَ هل عندك ضيافة.

(**فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ**) وفي حديث أَبِي جهم

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى،

فَقَالَ لها هل من منزل قالت لا باللَّه إذا قَالَ فكيف عيشكم قَالَ فذكرت جهدًا فقالت أما الطعام فلا طعام وأما الشاة فلا تحلب إلا المصراة الشخب وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ انتهى والشخب بفتح المعجمة وسكون الخاء المعجمة ثم موحدة السيلان.

(**قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ**) ويروي عتبة بابك وهو غير ظاهر والعتبة بفتح العين المهملة والمثناة الفوقية والموحدة هي أسكفة الباب وهي هنا كناية عن المرأة.

(**فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا**) وفي رواية عطاء بن السائب كالمستخف بشأنه.

(**فَسَأَلَنَا**) بفتح اللام (**عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي**) إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، (**وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى**) أي: تزوج من جرهم امرأة أخرى ذكر الواقدي وتبعه المسعودي أن اسمها شامة بنت مهلهل.

وقيل: اسمها عاتكة.

وقيل: بشامة بفتح الموحدة وبشين معجمة خفيفة بنت مهلهل بن سعد بن عوف.

وقيل: اسمها نجدة بنت الحارث بن مضاض.

وحكى ابن سعد عن أَبِي إِسْحَاق أن اسمها رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية.

وعن ابن الكلبي أنها رعلة بنت يشحب بن يعرب بن لوذان بن جرهم.

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ». قَالَ: فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلا لَمْ يُوَافِقَاهُ،

وذكر الدارقطني في المختلف أن اسمها السيدة بنت مضاض.

وحكى مُحَمَّد بن أسعد الجواني أن اسمها هالة بنت الحارث.

وقيل: الحنفا.

وقيل: سلمى ففي اسمها ثمانية أقوال وفي اسم أبيه أربعة.

وفي حديث أَبِي جهم ونظر إِسْمَاعِيل إلى بنت مضاض بن عمرو فأعجبته فخطبها إلى أبيها فتزوجها.

(**فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ**) ويروى دخل (**عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ**) وفي حديث أَبِي جهم نحن في خير عيش بحمد اللَّه ونحن في لبن كثير ولحم كثير وماءٍ طيب.

(**وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ**) وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع: اللَّهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قَالَ أَبُو القاسم قَالَ ﷺ: «**بركة بدعوة إِبْرَاهِيم**» وفيه حذف تقديره في طعام أهل مكة وشرابهم بركة.

(**قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ». قَالَ: فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلا لَمْ يُوَافِقَاهُ**) أي: فاللحم والماء لا يعتمد عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه والغرض أن المداومة على اللحم والماء لا يوافق الأمزجة وينحرف المزاج عنهما إلا في مكة فإنهما يوافقانه وهذا من جملة بركاتها وأثر دعاء إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: لا يخلوان بصيغة التثنية.

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ،

قَالَ ابن القوطية: خلوت بالشيء واختليت إذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل اللبن إذا شرب غيره.

وفي حديث أَبِي جهم ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه وزاد في حديثه وكذا فِي رِوَايَةِ عطاء بن السائب نحوه فقالت له أنزل رحمك اللّه فأطعم واشرب قَالَ إني لا أستطيع النزول قالت فإني أراك شعثا أفلا أغسل رأسك وأدهنه قَالَ بلى إن شئت فجاءته بالمقام وهو يومئذ أبيض مثل المهاة وكان في بيت إِسْمَاعِيل ملقى فوضع قدمه اليمنى وقدم إليها بشق رأسه وهو على دابته فغسلت شق رأسه الأيمن فلما فرغ حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدم إليها برأسه فغسلت شق رأسه الأيسر فالأثر الذي في المقام من ذلك ظاهر فيه موضع العقب والإصبع.

وعند الفاكهي من وجه آخر عن ابن جريج عن رجل عن سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن سارة داخلتها غيرة فَقَالَ لها إِبْرَاهِيم لا أنزل حتى أرجع إليك. ونحوه فِي رِوَايَةِ عطاء بن السائب عن عمر بن شبة.

(**قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟**) وفي رواية عطاء بن السائب فلما جاء إِسْمَاعِيل وجد ريح أبيه فَقَالَ لامرأته: هل جاءك من أحد.

(**قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ**) وفي رواية عطاء بن السائب قالت نعم شيخ أحسن الناس وجهًا وأطيب ريحًا.

(**فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي**) ويروى وسألني بالواو.

(**كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ**) وزاد في حديث أَبِي جهم فإنها صلاح المنزل.

قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ،

(**قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ**) زاد في حديث أَبِي جهم ولقد كنت عليَّ كريمة وقد ازددت عليَّ كرامة فولدت لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عشرة ذكور.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: ولدت له اثني عشر رجلًا وهم ثابت، وقيذار، وأذميل، وميشي، ومسمع، ودوما، ومااين، وآذر، ونطور، ونافس، وطمئا، وقيرما، وكانت له ابنة تسمى نسمة وزاد معمر في روايته فسمعت رجلًا يقول كأن إِبْرَاهِيم يأتي على البراق يعني في كل مرة.

وفي رواية عمر بن شبة: وأعجب إِبْرَاهِيم نجدة بنت الحارث فدعا لها بالبركة.

(**ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي**) بفتح الياء وسكون الموحدة أي: ينحت ويضع.

(**نَبْلًا لَهُ**) والنبل بفتح النون وسكون الموحدة السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه وهو السهم العربي ووقع عند الحاكم من رواية إِبْرَاهِيم بن نافع في هذا الحديث يصلح نبلًا له وكأنه تصحيف والذي في الْبُخَارِيّ هو الموافق لغيرها من الروايات.

(**تَحْتَ دَوْحَةٍ**) وهي التي نزل إِسْمَاعِيل وأمه تحتها أول قدومهما ووقع فِي رِوَايَةِ إِبْرَاهِيم ابن نافع من وراء زمزم.

(**قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ**) يعني من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك.

وفي رواية معمر قَالَ سمعت رجلًا يقول بكيا حتى أجابهما الطير وهذا إن ثبت فيحمل على أنه تباعد لقاؤهما.

(**ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ**) وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا ووقع في حديث أَبِي جهم عند الفاكهي أن عمر إِبْرَاهِيم

قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللّٰهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، ....

عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يومئذ مائة سنة وعمر إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثين سنة.

(**قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ**) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: فأعينك بالفاء.

وفي رواية إِبْرَاهِيم بن نافع: أن اللّٰه قد امرني أن تعينني عليه قَالَ إذن أفعل بنصب اللام قَالَ ابن التين يحتمل أن يقال أمره اللّٰه أن يبني أولًا وحده ثم أمره أن يعينه إِسْمَاعِيل قَالَ فيكون الحديث الثاني متأخرًا بعد الأول.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولا يخفي تكلفه بل الجمع بينهما ممكن بأن يكون أمره أن يبني وأن إِسْمَاعِيل يعينه فَقَالَ إِبْرَاهِيم لإسماعيل إن اللّٰه أمرني أن أبني البيت وتعينني وتخلل بين قوله أبني البيت وبين قوله وتعينني قول إِسْمَاعِيل فاصنع ما أمرك ربك.

(**قَالَ: فَإِنَّ اللّٰهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ**) بفتح الهمزة والكاف وهي الرابية وللفاكهي من حديث عثمان فبناه إِبْرَاهِيم وإسماعيل وليس معهما غيرهما يومئذ يعني في مشاركتهما في البناء وإلا فقد تقدم أنه كان نزل الجرهميون مع إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا**) قَالَ الْعَيْنِيّ يتعلق بقوله أبني فافهم.

(**قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ**) القواعد جمع قاعدة وفي رواية أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن سَعِيد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا القواعد التي رفعها إِبْرَاهِيم كانت قواعد البيت قبل ذلك وفي رواية مجاهد عن ابن أَبِي حاتم أن القواعد كانت في الأرض السابعة وفي حديث عثمان وأبي جهم فبلغ إِبْرَاهِيم من الأساس أس آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وجعل طوله في السماء تسعة أذرع وعرضه في الأرض يعني دوره ثلاثين ذراعًا وإنما كان ذلك بذراعهم وزاد أَبُو جهم وأدخل الحجر في البيت وكان قبل ذلك زربًا[1] لغنم إِسْمَاعِيل وإنما بناه

---

(1) الزرب: موضع الغنم.

فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، قَالَ: فَجَعَلا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

بحجارة بعضها على بعض ولم يجعل له سقفًا وجعل له بابًا وحفر له بئرًا عند بابه خزانة للبيت يلقي فيها ما يهدى للبيت وفي حديثه أَيْضًا أن اللّه أوحى إلى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن اتبع السكينة فحلقت على موضع البيت كأنها سحابة فحفراه يريد أن أساس آدم الأول وفي حديث علي عند الحاكم والطبري رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه فَقَالَ يا إِبْرَاهِيم ابن على ظلي أو على قدري ولا تزد ولا تنقص وذلك حين يقول اللّه تَعالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: 26] الآية[1](**فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ**) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ**) عَلَيْهِ السَّلَامُ (**يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ**) أراد به الحجر المشهور بمقام إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي رواية إِبْرَاهِيم ابن نافع حتى ارتفع وضعف الشَّيْخ عن نقل الحجارة فقام على الحجر المقام (**فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولانِ:** ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ **قَالَ فَجَعَلا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ**) من الدوران ويروي حتى يدورا من التدوير.

(**وَهُمَا يَقُولانِ:** ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾) وفي حديث عثمان ونزل عليه الركن والمقام فكان إِبْرَاهِيم يقوم على المقام يبني عليه ويرفعه له إِسْمَاعِيل فلما بلغ الموضع الذي فيه الركن وضعه يومئذ موضعه فأخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت.

وفي حديث أَبِي جهم ذهب إِسْمَاعِيل إلى الوادي يطلب حجرًا فنزل جبريل بالحجر الأسود وقد كان رفع إلى السماء حين غرقت الأرض فلما جاء إِسْمَاعِيل

---

(1) أي: واذكر إذ عيّناه وجعلنا له مباءة. وقيل اللام زائدة، ومكان ظرف أي: وإذ أنزلناه فيه وقيل رفع البيت إلى السماء أو انطمس أيام الطوفان فأعلم اللّه مكانه بريح أرسلها فسكنت ما حوله فبناه على بنائه القديم.

فرأى الحجر الأسود قَالَ من أين هذا؟ من جاءك به؟ قَالَ إِبْرَاهِيم: من لم يكلني إليك وإلى حجرك. ورواه ابن أَبِي حاتم من طريق السُّدِّيّ نحوه وأنه كان بالهند وكان ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وهي بالمثلثة والمعجمة طير كبير أبيض.

وروى الفاكهي من طريق أَبِي بشر عن سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: واللَّه ما بنياه بقصة ولا مدر ولا كان لهما من السعة والأعوان ما يسقفانه. ومن حديث علي كان إِبْرَاهِيم يبني كل يوم سافا والساف كل عرق من الحائط. ومن حديث عَبْد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا عنده وعند ابن أَبِي حاتم أنه بناه من خمسة أجبل: من حراء، وثبير، ولبنان، وجبل الطور، وجبل الخمر.

وَقَالَ ابن أَبِي حاتم: جبل الخمر بفتح الخاء المعجمة، هو جبل بيت المقدس.

وَقَالَ عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء أن آدم بناه من خمسة أجبل: حراء، وطور زيتا، وطور سيناء، والجودي، ولبنان. وكان ربضه من حراء ومن طريق مُحَمَّد بن طلحة التَّيْمِيّ قَالَ: سمعت أنه أسس البيت من ستة أجبل: من أَبِي قبيس، ومن الطور، ومن قدس، ومن ورقان، ومن رضوى، ومن أحد.

وَقَالَ ابن جرير: حَدَّثَنَا هناد بن السري أَبُو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة أن رجلًا قام إلى علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فَقَالَ: ألا تخبر عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فَقَالَ: لا ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إِبْرَاهِيم ومن دخله كان آمنًا وإن شئت أنبأتك كيف بني إن اللَّه تَعَالَى أوحى إلى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ابن لي بيتًا في الأرض، قَالَ فضاق إِبْرَاهِيم بذلك ذرعًا فأرسل اللَّه السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوت على موضع البيت كطي الجحفة، وأمر إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى إِبْرَاهِيم وبقي حجر فَقَالَ إِبْرَاهِيم لإسماعيل عليهما السلام: أبغني حجرًا كما آمرك، قَالَ فانطلق الغلام يلتمس له حجرًا فأتاه به فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه فَقَالَ يا أبت من أتاك بهذا قَالَ أتاني به

من لا يتكل على بنائك جاء به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء فأتماه.

وفي رواية السُّدِّيّ لما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن قَالَ إِبْرَاهِيم لإسماعيل يا بني اطلب حجرًا لي حجرًا حسنًا أضعه هنا قَالَ يا أبت إني كسلان قَالَ على ذلك فانطلق يطلب له حجرًا وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة، وكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هبط به من الجنة فاسودّ من خطايا الناس، فجاءه إِسْمَاعِيل بحجر فوجده عند الركن فَقَالَ يا أبت من جاءك بهذا؟ قَالَ: جاء به من هو أنشط منك فبنيا وهما يدعوان الكلمات التي ابتلى إِبْرَاهِيم ربه فقالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

وَقَالَ ابن أَبِي حاتم: أَخْبَرَنَا أَبِي نا عمرو بن رافع نا عبد الوهاب بن معاوية عن عبد المؤمن بن خالد عن علباء بن أحمر أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إِبْرَاهِيم وإِسْمَاعِيل بنيا قواعد البيت من خمسة أجبل فَقَالَ: ما لكما ولا أرضي فقالا لا نحن عبدان مأموران أُمرنا ببناء هذه الكعبة، قَالَ: فهاتا البيّنة على ما تدعيان فقامت خمسة أكبش فقلن نحن نشهد أن إِبْرَاهِيم وإسماعيل عبدان مأموران ببناء هذه الكعبة، فَقَالَ: قد رضيت وسلمت ثم مضى. وذكر الأزرقي في تاريخ مكة أن ذا القرنين طاف مع إِبْرَاهِيم البيت هذا قوله: ريح خجوج، أي: شديدة الهبوب والمرور في غير استواء قوله فتطوت وفي رواية فتطوقت حراء بكسر الحاء المهملة والمد هو جبل من جبال مكة معروف.

وثبير: بفتح المثلثة وكسر الموحدة جبل من جبال مكة أَيْضًا.

ولبنان: بضم اللام وسكون الموحدة جبل بالشام من أعظم الجبال وأصله يمتد من الحجاز إلى الروم.

وجبل الطور: على مسيرة سبعة أيام من مصر وهو الجبل الذي كلم اللّه تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه.

وطور زيتا: جبل بالقدس.

والجودي: جبل مطل على جزيرة ابْن عُمَر على دجلة فوق الموصل.

وطور سينا: اختلف فيه فقيل هو جبل بقرب أيلة.

وقيل: هو جبل بالشام.

3365 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَافِعٍ،

وقدس: بفتح القاف اثنان قدس الأبيض وقدس الأسود هما جبلان عند ورقان وورقان على وزن قطران جبل أسود بين العرج والرويثة على يمين المار من المدينة إلى مكة والعرج بفتح العين المهملة وسكون الراء وآخره جيم قرية جامعة من أعمال الفرع على أيام من المدينة النبوية.

والرويثة بضم الراء وفتح الواو وسكون المثناة التحتية وفتح المثلثة قرية جامعة بينها وبين المدينة سبعة عشر فرسخًا.

ورضوى: من جبال تهامة بينه وبين المدينة سبع مراحل وهو من الينبع على يوم.

فائدة:

لما فرغ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من بناء الكعبة جاءه جبريل فأراه المناسك كلها ثم قام إِبْرَاهِيم على المقام فَقَالَ: يا أيها الناس أجيبوا ربكم فوقف إِبْرَاهِيم وإسماعيل تلك المواقف وحجه إِسْحَاق وسارة من بيت المقدس ثم رجع إِبْرَاهِيم إلى الشام فمات بالشام وروى الفاكهي بإسناد صحيح من طريق مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ قام إِبْرَاهِيم على الحجر فَقَالَ: يا أيها الناس كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه من آمن ممن كان سبق في علم اللَّه أن تحج إلى يوم القيامة لبيك اللَّهم لبيك واللَّه تَعَالَى أعلم[1]

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ**) الْبُخَارِيّ المعروف بالمسندي قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عَمْرٍو**) هو العقدي قَالَ: (**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَافِعٍ**) المخزومي المكي.

---

(1) وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ أي: نادِ فيهم بدعوة الحج والأمر به؛ وروي أنه صعد أبا قبيس فقال: أيها الناس حجّوا بيت ربكم فأسمعه اللّه من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحج.
وقيل الخطاب لرسول اللّه ﷺ وأمره بذلك في حجة الوداع.

عَنْ كَثِيرِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلَى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنَظَرَتْ، وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتِ المَرْوَةَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، تَعْنِي الصَّبِيَّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا،

(**عَنْ كَثِيرِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) أنه (**قَالَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ**) سارة لما ولدت هاجر إِسْمَاعِيل.

(**مَا كَانَ**) من جنس الخصومة التي هي معتادة بين الضرائر وقد تقدم قصتها.

(**خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ**) سارة، (**فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا**) أي: حين بلغوا (**كَدَاءً**) قد مر الكلام فيه مع الخلاف في ضبطه.

(**نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلَى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنَظَرَتْ، وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتِ المَرْوَةَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، تَعْنِي الصَّبِيَّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ**) من النشغ بالنون والشين والغين المعجمتين وهو الشهيق من الصدر حتى كاد يبلغ به الغشي أي: يعلو نفسه كأنه شهيق من شدة ما يرد عليه.

(**فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا**) من الإقرار في المكان ونفسها فاعله.

فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا». قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ المَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الوَادِي، فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلا عَلَى مَاءٍ، فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ، أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ؟، فَبَلَغَ ابْنُهَا فَنَكَحَ فِيهِمُ امْرَأَةً، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ،

(**فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ**) أي: أشار بعقبه وهذا من المواضع التي استعمل (**قَالَ**) في غير معناه المشهور.

(**فَانْبَثَقَ المَاءُ**) أي: انخرق وتفجر ومادته موحدة وثاء مثلثة وقاف.

(**فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ**) بالراء من الحفر ويروى تحفن بالمهملة والفاء والنون أي: تملأ الكفين.

(**قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا». قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ المَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، قَالَ: فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الوَادِي، فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلا عَلَى مَاءٍ، فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ، أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ؟، فَبَلَغَ ابْنُهَا**) الفاء فصيحة أي: فأذنت فكان كذا وكذا فبلغ ابنها (**فَنَكَحَ فِيهِمُ**) ويروى: منهم (**امْرَأَةً، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي**) أي: ما تركته عند البيت.

(**قَالَ: فَجَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ،**

قَالَ: قُولِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: أَنْتِ ذَاكِ، فَاذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتْ: أَلا تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ» قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبْلًا لَهُ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]. قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ البِنَاءُ، وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَلَى نَقْلِ الحِجَارَةِ، فَقَامَ عَلَى حَجَرِ المَقَامِ، فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ

قَالَ: قُولِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَيْتِكَ(1) **فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: أَنْتِ ذَاكِ، فَاذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتْ: أَلا تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: بَرَكَةٌ**) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هي بركة أو بالعكس أي: زمزم بركة أو في طعام مكة وشرابها بركة وسياق الكلام يدل عليه.

(**بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ**) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ (**قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبْلًا لَهُ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ البِنَاءُ، وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَلَى نَقْلِ الحِجَارَةِ**) ويروى عن نقل الحجارة (**فَقَامَ عَلَى حَجَرِ المَقَامِ، فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ**

---

(1) ويروى عتبة بابك.

مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

10 ـ باب

3366 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «المَسْجِدُ الأَقْصَى» ....

مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾) وهذا طريق آخر لحديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا مع اختلاف في بعض الألفاظ والزيادة والنقصان واللّٰه تَعَالَى أعلم.

10 ـ باب

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ) هو ابن زياد قَالَ: (حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ) سليمان بن مهران قَالَ: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ) هو ابن يزيد، (عَنْ أَبِيهِ) يزيد بن شريك بن طارق التَّيْمِيّ عداده في أهل الكوفة أنه (قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟) بضم اللام قَالَ أَبُو البقاء هي ضمة بناء لقطعه عن الإضافة مثل قبل وبعد والتقدير أول كل شيء أو يجوز الفتح منصرفًا وغير منصرف والمعنى أي: مسجد وضع للصلاة أولًا.

(قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟) بالتنوين أي: ثم أي: مسجد بني بعد المسجد الحرام.

(قَالَ: «المَسْجِدُ الأَقْصَى») أي: قَالَ النَّبِيّ ﷺ بني بعده المسجد الأقصى وقيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام.

وقيل: لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث والمقدس المطهر عن ذلك وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: 96] ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت وقد ورد ذلك صريحًا عن علي رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ أَخْرَجَهُ إِسْحَاق بن راهويه بن أَبِي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه قَالَ كانت البيوت

قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ....

قبله ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة اللَّه.

(**قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً**) أي: بينهما أربعون سنة قَالَ ابن الجوزي فيه إشكال لأن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بنى الكعبة وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنة انتهى.

ومستنده في أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النَّسَائِيّ من حديث عَبْد اللّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا بإسناد صحيح أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل اللّه تَعَالَى خلالًا ثلاثًا الحديث.

قَالَ: وجوابه أنه ليس إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من بنى الكعبة ولا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من بنى بيت المقدس فقد روي أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس بعده بأربعين عامًا ثم بنى إِبْرَاهِيم الكعبة بنص القرآن.

وكذا قَالَ الْقُرْطُبِيّ حيث قَالَ إن الحديث لا يدل على أن إِبْرَاهِيم وسليمان عليهما السلام لما بنيا المسجدين ابتدأ وضعهما بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما وقد مشى ابن حبان في صحيحه على ظاهر هذا الحديث فَقَالَ في هذا الخبر رد على من زعم أن بين إِسْمَاعِيل وداود عليهما السلام ألف سنة.

وتعقبه الْحَافِظ الضياء بنحو ما أجاب به ابن الجوزي والقرطبي.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: يشبه أن يكون المسجد الأقصى أول ما وضع بناءه بعض أولياء اللّه تَعَالَى قبل داود وسليمان عليهما السلام ثم بناه داود وسليمان فزاد فيه ووسعاه فأضيف إليهما بناؤه قَالَ وقد ينسب هذا المسجد إلى إيليا فيحتمل أن يكون هو بانيه أو غيره ولست أحقق لم أضيف إليه هذا والاحتمال الأول موجه وقد روي أن أول من أسس المسجد الأقصى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لكن قوله فيحتمل أن يكون هو يعني إيليا بانيه فيه نظر لأن إيليا اسم البلد فأضيف إليه المسجد كما قيل مسجد المدينة ومسجد مكة.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ في معجم البلدان: إن إيليا مدفنه بيت المقدس فيها ثلاث

ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ».

لغات مد آخره وقصره وحذف الياء الأولى[1].

ثم إن ما ذكره ابن الجوزي أوجه وقد وجد ما يشهد له فذكر ابن هشام في كتاب التيجان أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما بنى الكعبة أمره اللّه بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه ونسك فيه وقد تقدم أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي بنى الكعبة وأنه رفع في الطوفان حتى بوأه اللّه لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وروى ابن أَبِي حاتم من طريق معمر عن قَتَادَة قَالَ وضع اللّه البيت مع آدم لما هبط ففقد أصوات الملائكة وتسبيحهم فَقَالَ اللّه عز وجل له يا آدم إني قد أهبطت بيتًا يطاف به كما يطاف حول عرشي فانطلق إليه فخرج آدم إلى مكة وكان هبط بالهند فأتى البيت فطاف به هذا وذكر الثعلبي أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر بني إسرائيل أن يتخذوا مسجدًا في صعيد بيت المقدس فأخذوا في بنائها لإحدى عشرة سنة مضت من ملك داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان داود ينقل لهم الحجارة على عاتقه فأوحى اللّه تَعَالَى إلى داود أنك لست بانيه ولكن لك ابن أملكه بعدك اسمه سليمان فأقضي إتمامه على يده وروي عن كعب الأحبار أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بنى بناء القدس على أساس كان أسسه سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وذكر أَبُو بكر مُحَمَّد بن أحمد الواسطي في تاريخ بيت المقدس أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ اشترى أرضه بسبعة قناطير ذهبا.

(**ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ**) بضم الدال أي: بعد إدراك وقت الصلاة[2].

(**فَصَلِّهْ**) الهاء فيه للسكت وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ فصل بلا هاء.

(**فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ**) أي: فإن الفضل في فعل الصلاة إذا حضر وقتها وزاد من وجه آخر عن الأَعْمَش في آخره والأرض لك مسجد أي: للصلاة فيه وفي جامع سُفْيَان بن عيينة عن الأَعْمَش فإن الأرض كلها مسجد أي: صالحة للصلاة فيها ويخص هذا العموم بما ورد فيه النهي.

---

(1) قال الفرزدق:

لوى ابن أبي الرقاق عينيه بعدما دنا ... من أعالي إيلياء وغورا

ولو كان ما قاله الخطابي منقولًا لأمكن أن يقال إنها سميت باسم بانيها كغيرها واللّه أعلم.

(2) كذا قال العيني والظاهر أن يقال بعد مبعثي فإنه جعلت له الأرض طهورًا ومسجدًا فافهم.

3367 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، مَوْلَى الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا» رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ المسجد الحرام فإنه بناه إِبْرَاهِيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في باب قول اللَّه تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: 30] أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الصلاة، وكذا النَّسَائِيّ فيه، وفي التفسير، وابن ماجة في الصلاة.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ**) الْقَعْنَبِي (**عَنْ مَالِكٍ**) الإمام (**عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو**) واسم أَبِي عمرو ميسرة.

(**مَوْلَى الْمُطَّلِبِ**) ابن عَبْد اللَّه بن حنطب القرشي المخزومي أَبُو عثمان المدني وقد مر في العلم.

(**عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ**) أي: ظهر له جبل أحد.

(**فَقَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا**) إما حقيقة وإما مجاز من باب الإضمار أي: يحبنا أهله (**وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا**) تثنية لابة بتخفيف الموحدة وهي الحرة.

والحديث قد مضى في كتاب الجهاد في آخر حديث مطول في باب من غزا بصبي للخدمة وقد تقدم الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**رَوَاهُ**) أي: روى الحديث المذكور (**عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ**) الأَنْصَارِيّ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ موصولًا في كتاب البيوع في باب بركة الصاع عن مُوسَى بن وهب عن عمرو بن يَحْيَى عن عباد بن تميم الأَنْصَارِيّ عن عَبْد اللَّه بن زيد عن النَّبِيّ ﷺ.

3368 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ بَنَوْا الكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ: «لَوْلا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا أُرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، تَرَكَ اسْتِلامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الحِجْرَ، إِلا أَنَّ البَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ» وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) التنيسي قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ، (عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ) هو عَبْد اللّه بن مُحَمَّد ابن أَبِي بكر أخو القاسم قبل بالحرة.

(أَخْبَرَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (عَنْ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللّه عَنْهَا (زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَلَمْ تَرَيْ) خطاب لعائشة رَضِيَ اللّه عَنْهَا.

(أَنَّ قَوْمَكِ) لَمَّا (بَنَوْا الكَعْبَةَ) ويروى: لما بنوا الكعبة (اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ) ﷺ: («لَوْلا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ»[1] فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: (لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا أُرَى) بضم الهمزة أي: ما أظن (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، تَرَكَ اسْتِلامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الحِجْرَ[2] إِلا أَنَّ البَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ والحديث قد مضى في كتاب الحج في باب فضل مكة وبنيانها وقد مضى الكلام فيه هناك، ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ) هو ابن أَبِي أويس ابن أخت مالك الإمام (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ) أشار بهذا إلى أن إِسْمَاعِيل روى هذا الحديث وبين أن ابن أَبِي بكر الذي فيه هو عَبْد اللّه بن مُحَمَّد بن أَبِي بكر الصديق رضي اللّه عنهم وأخرج الْبُخَارِيّ حديث إِسْمَاعِيل في التفسير.

---

(1) بكسر الحاء وسكون الدال المهملة أي: لولا قرب عهدهم بالكفر ثابت لرددت البيت على قواعد ابراهيم فجواب لولا محذوف جوازًا وخبر المبتدأ محذوف وجوبًا.

(2) بكسر الحاء الحطيم من جانب شمال الكعبة.

3369 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ) بفتح المهملة وإسكان الزاي (عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ) بضم السين (الزُّرَقِيِّ) بضم الزاي وفتح الراء وبالقاف أنه قَالَ: (أَخْبَرَنِي) بالإفراد (أَبُو حُمَيْدٍ) بضم الحاء عبد الرحمن (السَّاعِدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ) وفي رواية أبي ذرٍّ لرسول اللَّه ﷺ: (كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ) معناه عظّمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته وقيل لما أمرنا اللَّه بالصلاة عليه ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك أحلنا على اللَّه وقلنا: اللَّهم صل على مُحَمَّد.

(وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ) هذا ليس من باب إلحاق الناقص بالكامل بل من باب بيان حال ما لا يعرف بما يعرف وقد عرف الصلاة على إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من قوله تَعَالَى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 73] فإن قيل السياق يقتضي أن يقال على إِبْرَاهِيم بدون لفظ الآل أجيب بأن لفظ الآل مقحم أو إِبْرَاهِيم داخل في الآل عرفًا أو هو مراد بالطريق الأولى وقد روعي في ذلك قوله تَعَالَى: ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾.

(وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ) أي: أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة وهو من برك البعير إذا أناخ في موضع ولزمه وتطبق البركة أَيْضًا على الزيادة والأصل الأول.

(وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ) فاعل ما يستوجب به الحمد (مَجِيدٌ) كثير الخير والإحسان.

3370 - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ ابْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو فَرْوَةَ مُسْلِمُ بْنُ سَالِمٍ الهَمْدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى، سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى ....

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الدعوات أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الصلاة، وكذا أَبُو دَاوُدَ فيه. وَالنَّسَائِيّ فيه، وفي التفسير، وابن ماجة في الصلاة.

(**حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ**) هو أَبُو مُحَمَّد الدارمي البَصْريّ (**وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ**) أَبُو سلمة البَصْريّ التبوذكي.

(**قالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو فَرْوَةَ**) بفتح الفاء وسكون الراء (**مُسْلِمُ بْنُ سَالِمٍ الهَمْدَانِيُّ**) بسكون الميم وبإهمال الدال وَقَالَ الغساني: يروي عن أحمد أن اسم أَبِي فروة عروة لا مسلم.

(**قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى**) أي: ابن عبد الرحمن ابن ليلى أنه (**سَمِعَ**) جده (**عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى**) بفتح اللامين واسم أَبِي ليلى يسار.

(**قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ**) بضم العين المهملة وسكون الجيم وبالراء البلوي حليف الأنصار شهد بيعة الرضوان مات سنة ثنتين وخمسين بالمدينة وله خمس وسبعون سنة.

(**فَقَالَ: أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ**) منصوب على الاختصاص.

(**فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ**) عَلَيْكُمْ؟ يعني في التشهد وهو قول المصلي السلام عليكم أيها النَّبِيّ ورحمة اللَّه وبركاته.

(**قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى**

إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

3371 - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنِ المِنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ

إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ») ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أورده الْبُخَارِيّ في أواخر تفسير الأحزاب وفي الدعوات أَيْضًا وقد وهم المزي في الأطراف فعزا رواية كعب بن عجرة هذه إلى الصلاة واغتر بذلك ابن الملقن فإنه لما وصل إلى شرح هذا الحديث هنا أحال شرحه على الصلاة وَقَالَ قد تقدم في الصلاة وكأنه تبع شيخه مغلطاي في ذلك فإنه كذلك صنع ولم يتقدم هذا الحديث عند الْبُخَارِيّ في كتاب الصلاة أصلًا والله الهادي.

(**حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا جَرِيرٌ**) بفتح الجيم وكسر الراء هو ابن عبد الحميد، (**عَنْ مَنْصُورٍ**) هو ابن المعتمر، (**عَنِ المِنْهَالِ**) بكسر الميم وسكون النون وباللام هو ابن عمرو الأسدي وإلى هنا كلهم كوفيون.

(**عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) أنه (**قَالَ: كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ**) من التعويذ يقال عذت به أعوذ وعياذًا ومعاذًا أي: لجأت فالتعوذ والاستعاذة والتعويذ كلها بمعنى واحد يعني كان النَّبِيّ ﷺ يعوذ الحسن والحسين بقوله أعوذ بكلمات الله إلى آخره.

وقول ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا كان يدل على أنه ﷺ كان يكثر التعويذ بقوله أعوذ بكلمات الله التامة.

(**وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**) يريد بقوله أباكما إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسماه أبا لهما لكونه جدًّا أعلى لهما.

(**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ**) قيل المراد بكلمات الله كلامه تعَالَى على الإطلاق.

التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ».

وقيل المراد بهما المعوذتان. وقيل أقضيته. وقيل ما وعد به كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [هود: 119] الحسنى على بني إسرائيل وَقَالَ الهروي القرآن.

(التَّامَّةِ) أي: الكاملة.

وقيل: النافعة.

وقيل: الشافية.

وقيل: المباركة.

وقيل: القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب.

وَقَالَ ابن التين: تمامها فضلها وبركاتها.

قَالَ الْخَطَّابِيّ: كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام اللّه غير مخلوق ويحتج بأن النَّبِيّ ﷺ لا يستعيذ بمخلوق.

(مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ) قَالَ الداوودي يدخل فيه شياطين الإنس والجن.

(وَهَامَّةٍ) بتشديد الميم واحدة الهوام ذوات السموم.

وقيل: كل ما له سم يقتل فأما ما لا يقتل سمه فيقال له: السوام.

وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء.

وقال ابن فارس: الهوام المخوف منه حشرات الأرض.

وَقَالَ الهروي: الهوام الحيات وكل ذي سم يقتل وقد تقع الهامة على ما يدب من الحيوان ومنه قوله ﷺ لكعب بن عجرة: «**أيؤذيك هوام رأسك؟**» أراد القمل سماها هوام لأنها تهم في الرأس وتدب.

(وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ) العين اللامة هي التي تصيب بسوء وَقَالَ الْخَطَّابِيّ المراد به كل داء وآفة يلم بالإنسان من جنون وخبل ونحوهما.

وَقَالَ أَبُو عبيد: أصله من ألممت إلماما وإنما قَالَ لامة أراد أنها ذات لمم.

وَقَالَ ابن الأنباري: يعني أنها تأتي في وقت بعد وقت ولم يقل ملمة بل لامة

11 ـ بَاب

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ [الحجر: 51]، ....

ليواخي لفظ هامة ويزاوجه ولكونه أخف على اللسان ويجوز أن يكون على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لمه إذا جمعه.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ إن أباكما فإن المراد به إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ في السنة. وَالتِّرْمِذِيّ في الطب، وَالنَّسَائِيّ في النعوت، وفي اليوم والليلة، وابن ماجة في الطب.

11 ـ بَاب

(قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾) الآيَةَ [1] الآية في سورة الحجر قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ أي: نَبِّئْ عِبَادِي عطف على قوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: 49 ـ 50] وتحقيق لهما بما يعتبرون به ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: نسلم عليك سلامًا أو سلمنا سلامًا ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر: 51 ـ 52] خائفون وذلك لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت أو لأنهم امتنعوا من الأكل كما روي أن اللّه تَعَالَى أرسل لوطًا إلى قومه ينهاهم عما يرتكبون من المعاصي والفواحش فلم ينتهوا بل ازدادوا عتوًّا وفسادًا وقالوا ائتنا بعذاب اللّه إن كنت من الصادقين فسأل لوط ربه أن ينصره عليهم فأجاب اللّه دعوته وبعث أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل ودردائيل وقيل رفائل لإهلاكهم وبشارة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالولد فأقبلوا مشاةً في صورة رجال مُرْدٍ حسان حتى نزلوا على إبراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عند خمس عشرة ليلة حتى شق ذلك عليه وكان لا يأكل إلا مع الضيف مهما أمكنه فلما رآهم سر بهم لأنه رأى ضيفًا لم يضيف مثلهم حسنًا وجمالا فَقَالَ لا يخدم هؤلاء إلا أنا فخرج إلى أهله فجاء بعجل حنيذ أي: مشوي بالرضف أي: الحجارة المحماة.

وقيل: الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس إذا عرقته بالجلال لقوله سمين

---

(1) أشار به إلى قصة من قصص إبراهيم عليه السلام وهي دخول الملائكة الذين أرسلوا إلى هلاك قوم لوط عليه السلام حتى حصل له الوجل منهم.

فقربه إليهم فأمسكوا أيديهم قَالَ إنّا منكم وجلون.

وروى ابن أَبِي حاتم عن طريق السُّدِّيّ أنه لما قرب إليهم العجل قالوا إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن قَالَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إن له ثمنا قالوا وما ثمنه قَالَ تذكرون اسم اللّه على أوله وتحمدونه على آخره قَالَ فنظر جبريل إلى ميكائيل فَقَالَ حق لهذا أن يتخذه ربه خليلًا فلما رأى أنهم لا يأكلون فزع منهم.

ومن طريق ابن أَبِي شداد أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مسح بجناحه العجل فقام يدرج حتى لحق بأمه في الدار. ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ [الحجر: 53].

وفسره الْبُخَارِيّ بقوله: لا تَوْجَلْ لا تَخَفْ من وجل يجل ويوجل فهو وجل أي: خائف فزع ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فإن المبشر لا يخاف منه ﴿بِغُلَٰمٍ﴾ هو إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَامُ لقوله تَعَالَى: فبشرناها بإسحاق ﴿عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ تعجب من أن يولد له مع سن الكبر أو إنكار لأن يبشر به في مثل هذه الحال وكذلك قوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: 53 ـ 54] أي: فبأي أعجوبة تبشروني أو فبأي شيء تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء.

وقد قيل: إنه كان في هذا الوقت ابن مائة وعشرين وأهله سارة بنت تسعين أو تسع وتسعين ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بما لا يكون لا محالة أو باليقين الذي لا لبس فيه أو بطريقة هي حق وهو قول اللّه وأمره ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر: 55] من الآيسين من ذلك فإنه تَعَالَى قادر على أن يخلق بشرًا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ باعتبار العادة دون القدرة ولذلك.

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: 56]، المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة اللّه وكمال علمه وقدرته كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: 87].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية كذا وقع فِي رِوَايَةِ أَبِي

قوله: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: 260].

ذَرٍّ ووقع فِي رِوَايَةِ كريمة (**قوله**: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾) فقط[1] وسقط كل ذلك فِي رِوَايَةِ النسفي وصار حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ تكملة الباب الذي قبله والآية في أواخر سورة البقرة قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ يعني واذكر يا مُحَمَّد حين قَالَ إِبْرَاهِيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ذكر المفسرون لسؤال إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أسبابًا:

منها: أنه لما قَالَ لنمروذ ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260] لما أن الإنسان يعلم الشيء ويتيقنه ولكن يحب أن يراه عيانًا.

وقيل: لما قَالَ نمروذ أنا أحيي وأميت قَالَ له إن إحياء اللَّه برد الروح إلى بدنها، فَقَالَ نمروذ: هل عاينته؟ فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل إلى تقدير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب أن سأل مرة أخرى.

ومنها: أنه بشر بالخلة فسأل ذلك ليتيقن بالإجابة بصحة ما بشر به روى ذلك عن ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

ومنها: أنه إنما سأل ليشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها واتصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها فأراد أن يجمع بين علم اليقين وعين اليقين.

ومنها: ما روي عن قَتَادَة أنه قَالَ ذكر لنا أن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى على دابة توزّعتها الدواب والسباع فَقَالَ رب أرني كيف تحيي الموتى ليشاهد ذلك لأن النفوس البشرية متشوقة إلى المعاينة ويصدقه الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة.

ومنها: ما قاله ابن دريد مر إِبْرَاهِيم بحوت نصفه في البر ونصفه في البحر والذي في البحر تأكله دواب البحر والذي في البر يأكله دواب البر فَقَالَ إبليس الخبيث يا إِبْرَاهِيم متى يجمع اللَّه هذا من بطون هؤلاء فَقَالَ رب أرني كيف تحيي الموتى.

---

(1) وحكى الإسماعيلي أنه وقع عند باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ إلى آخره.

وَقَالَ ابن الحصار في شرح العقيدة إنما سأل اللّه أن يحيي الموتى على يديه يدل على ذلك قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ فأجابه على نحو ما سأل وعلم أن أحدًا لا يقترح على اللّه مثل ذلك فيجيبه بعين مطلوبه إلا عن رضى واصطفاء بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أي: بأنا اصطفيناك واتخذناك خليلًا قَالَ بلى.

وكيف يستعمل على وجهين:

أحدهما: أن يكون شرطًا نحو كيف تصنع أصن.

والآخر: وهو الغالب أن يكون استفهامًا وهنا كذلك.

وَقَالَ ابن عطية: السؤال بكيف إنما هو عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل فكيف هنا استفهام عن هيئة الإحياء وهو متقرر.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾. يعني: بإحيائي الموتى بإعادة التركيب والحياة وإنما قَالَ أولم تؤمن مع علمه بأنه أثبت الناس إيمانًا ليجيب بما أجاب لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾، أي: بلى آمنت وبلى إيجاب لما بعد النفي ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: ليزيد سكونًا وطمأنينة بمضافة علم الضرورة علم الاستدلال لأن ظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين.

وعن ابْن عَبَّاس والحسن وآخرين ليطمئن قلبي للمشاهدة كانت نفسه طالبته برؤية ذلك فإذا رآه اطمأن وقد يعلم المرء الشيء من جهة ثم يطلب أن يعلمه من غيرها وقد قيل علمان خير من علم واحد.

وقيل: المعنى ليطمئن قلبي بأني إذا سألتك أجبتني ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة: 260].

روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: هي الغرنوق، والطاووس، والديك، والحمامة، وعنه أنه أخذ إوزًا، ورالا وهو فرخ النعامة، وديكًا، وطاووسًا.

وَقَالَ مجاهد وَعِكْرِمَة كانت حمامة. وديكًا. وطاووسًا. وغرابًا. وروى مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن الطيور كانت طاووسًا، نسرًا، وغرابًا، وحمامًا، وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص

الحيوان من الحس والحركة[1].

وفي اختيار هذه الأربعة إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاووس.

والصولة المشهور بها الديك.

وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب.

والترفع والمنازعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام.

وقيل: الحكمة في اختيار هذه الأربعة الإشارة إلى أحوال الدنيا فالطاووس من الزينة. والنسر من امتداد الإبل.

والغراب من الغربة.

والحمام من النياحة.

وقيل: الحكمة فيه هي أن الطاووس خان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنة.

والبط خان يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قطع يقطينه.

والغراب خان نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أرسله ليكشف حال الماء الذي عم الأرض فاشتغل بأكل الجيفة.

والديك خان إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ فسلب ثوبه فلا جرم أن اللّه تَعَالَى غير صوت الطاووس بدعاء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسلب السكون عن البط بدعاء يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ وجعل رزق الغراب الجيفة بدعاء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وألقى العداوة بين الديكة بدعاء إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ واللّه أعلم بصحته. ولما أخذ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الطيور الأربعة قَالَ اللّه تَعَالَى له: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 260] فاطهن واضممهن إليك لتتأمّلها وتعرف شياتها وحلاها لئلا تلتبس عليك بعد

(1) ولأنَّ للطير ما لسائر الحيونات وله زيادة الطيران ولأنَّ الطير هوائي ومائي وأرضي فكانت الأعجوبة في إحيائه أكبر ولهذا قال عيسى عليه السلام: إني أخلق من الطين كهيئة الطير فاختارالخفاش لاختصاصه بأشياء ليست غيره من الطيور الحيض، والحبل والطيران في الظلمة وعدم الرؤية بالنهار وله أسنان وإنما أخذ أربعة لأجل الاسطقسات الأربع التي بها قوام العالم.

3372 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «نَحْنُ أَحَقُّ مِن ....

الإحياء ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾.

وروي: أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها فيقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال فمعنى قوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ﴾ ثم جزّئهنّ وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل: سبعة ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ قل لهن تعالين بإذن اللّه: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ساعيات مسرعات طيرانًا أو مشيًا.

ففعل إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما أمر به فدعاهن فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طير يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طير على حدته وأتينه يمشين سعيًا ليكون أبلغ في الرؤية التي سألها قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهما وكان إِبْرَاهِيم قد أخذ رؤوسهن بيده وجعل كل طير يجيء ليأخذ رأسه من يد إِبْرَاهِيم فإذا قدم إِبْرَاهِيم غير رأسه يأباه وإذا قدم رأسه يركب مع بقية جثته بحول اللّه تَعَالَى وقوته ولهذا قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾. لا يعجز عما يريده ولا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260]. ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره. قيل وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهدًا على فضل إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرًا بعد أن أماته اللّه مائة عام.

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ) أَبُو جعفر المصري قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ) هو عَبْد اللّه بن وهب المصري (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالإفراد، (يُونُسُ) هو ابن يزيد الأيلي (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِي، (عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «نَحْنُ أَحَقُّ) بِالشَّكِّ (مِن

إِبْرَاهِيمَ ....

إِبْرَاهِيمَ) وسقط في بعض الروايات لفظ بالشك واختلف السلف في المراد بالشك هنا فحمله الطَّبَرِيّ على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسته من الشيطان لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت واستند في ذلك إلى ما أَخْرَجَهُ هو وعبد بن حميد وابن أَبِي حاتم والحاكم من طريق عبد العزيز الماجشون عن مُحَمَّد بن المنكدر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ أرجى آية في القرآن هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية [البقرة: 260] قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا هذا لما يعرض في الصدر ويوسوس به الشيطان فرضي اللّه من إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن قَالَ بلى.

ومن طريق معمر عن قَتَادَة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا نحوه ومن طريق علي بن زيد عن سَعِيد بن المسيب عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا نحوه أَيْضًا وهذه طرق يشد بعضها بعضًا وإلى ذلك جنح عطاء فروى ابن أَبِي حاتم من طريق ابن جريج سألت عطاء عن هذه الآية قَالَ دخل قلب إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يدخل قلوب الناس فَقَالَ ذلك.

وروى الطَّبَرِيّ من طريق سَعِيد عن قَتَادَة قَالَ: ذكر لنا أن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى على دابة توزّعها الدواب والسباع، وهي من طريق حجاج عن ابن جريج قَالَ بلغني أن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى على جيفة حمار عليه السباع والطير فعجب وَقَالَ: رب لقد علمت لتجمعنها ولكن رب أرني كيف تحيي الموتى.

وذهب آخرون إلى تأويل ذلك فروى الطَّبَرِيّ وابن أَبِي حاتم من طريق السُّدِّيّ قَالَ: لما اتخذ اللّه إِبْرَاهِيم خليلًا استأذن ملك الموت أن يبشره فأذن له فذكر قصته معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن قَالَ فقام إِبْرَاهِيم يدعو ربه رب أرني كيف تحيي الموتى حتى أعلم أني خليلك.

وروى ابن أَبِي حاتم من طريق أَبِي العوام عن أَبِي سَعِيد قَالَ: ليطمئن قلبي بالخلة.

ومن طريق قيس بن مسلم عن سَعِيد بن جُبَيْر قَالَ ليطمئن قلبي أني خليلك ومن طريق الضحاك عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا لأعلم أنك أجبت دعائي ومن طريق علي بن أَبِي طلحة عنه لأعلم أنك تجيبني إذ دعوتك وإلى هذا الأخير جنح القاضي أَبُو بكر الباقلاني.

وحكى ابن التين عن الداوودي الشارح أنه قَالَ طلب إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك ليذهب شدة الخوف.

قَالَ ابن التين: وليس ذلك بالبين.

وأخرج ابن أَبِي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عِكْرِمَة قَالَ المراد ليطمئن قلبي أنهم يعلمون أنك تحيي الموتى.

وحكى ابن التين عن بعض من لا تحصيل عنده أنه أراد بقوله قلبي رجلًا صالحًا كان يصحبه سأله عن ذلك وأبعد منه ما حكاه الْقُرْطُبِيّ المفسر عن بعض الصوفية أنه سأل ربه أن يريه كيف يحيي القلوب.

واختُلف في معنى قوله ﷺ: «**نحن أحق بالشك**» فَقَالَ بعضهم: معناه نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: معناه إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى أن لا يشك أي: لو كان الشك متطرقًا إلى الْأَنْبِيَاء لكنت أحق به منهم وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك وإنما قَالَ ذلك تواضعًا منه ومن قبل أن يعلمه اللّه بأنه أفضل من إِبْرَاهِيم وهو كقوله في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند مسلم أن رجلًا قَالَ للنبي ﷺ: يا خير البرية قَالَ ذاك إِبْرَاهِيم.

وقيل: إن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قَالَ بعض الناس شك إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يشك نبينا ﷺ فبلغه ذلك فَقَالَ: «**نحن أحق بالشك من إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ**» ما جرت العادة به في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شَيْئًا قَالَ مهما أردت أن يقوله لفلان فقله لي ومقصوده لا تقل ذلك.

وقيل: أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك.

إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ ....

وقيل معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان.

وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفي المعنى عن الشيئين نحو قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان: 37] أي: لا خير في الفريقين ونحو قول القائل الشيطان خير من فلان أي: لا خير فيهما فعلى هذا معنى قوله نحن أحق بالشك من إِبْرَاهِيم لا شك عندنا جميعًا.

وَقَالَ ابن عطية ترجم الطَّبَرِيّ في تفسيره فَقَالَ: وَقَالَ آخرون شك إِبْرَاهِيم في القدرة وذكر ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وعطاء.

قَالَ ابن عطية: ومحمل قول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا عندي أنها أرجى آية لما فيها من الإدلال على اللَّه تَعَالَى وسؤال الإحياء في الدنيا أو لأن الإيمان يكفي فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقير وبحث قَالَ ومحمل قول عطاء دخل قلب إِبْرَاهِيم بعض ما يدخل قلوب الناس أي: من طلب المعاينة وأما الحديث فمبني على نفي الشك.

والمراد بالشك فيه الخواطر التي لا تثبت وأما الشك المصطلح وهو التردد بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ قطعا لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف ممن بلغ رتبة النبوة قَالَ وَأَيْضًا فإن السؤال لما وقع بكيف دل على حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسؤول كما تقول كيف علم فلان فكيف في الآية سؤال عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء فإنه ثابت مقرر.

وَقَالَ ابن الجوزي: إنما صار أحق من إِبْرَاهِيم لما عانى من تكذيب قومه وردهم عليه تعجبهم من أمر البعث فَقَالَ: أنا أحق أن أسأل ما سأل إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لعظيم ما جرى لي مع قومي المنكرين لإحياء الموتى ولمعرفتي بتفضيل اللَّه لي ولكن لا أسأل ذلك واللَّه تَعَالَى أعلم.

(إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾) قيل الاستفهام للتقرير

قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ﴾ [البقرة: 260] وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ،

ووجهه أنه طلب الكيفية وهو مشعر بالتصديق بالإحياء.

(﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ﴾) قد مر تفسير معناه.

(وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا) هو ابن هاران بن آزر وهو ابن أخي إِبْرَاهِيم عليها السلام وكان ممن آمن مع إِبْرَاهِيم وهاجر معه إلى مصر ثم عاد معه إلى الشام فنزل إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلسطين ونزل لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ الأردن ثم أرسله اللَّه تَعَالَى إلى أهل سدوم وهي عدة قرى.

وَقَالَ مقاتل: وبلادهم ما بين الشام والحجاز بناحية زغر وكانت اثنتي عشرة قرية وتسمى المؤتفكات من الإفك وكانوا يعبدون الأوثان ويأتون الفواحش ويسافد بعضهم على الطريق وغير ذلك من المفاسد وقد ذكر اللَّه لوطًا في القرآن في سبعة عشر موضعًا هو اسم أعجمي ولكنه صرف السكون وسطه وقيل اسم عربي من لاط أي: لصق لأن حبه لاط بقلب إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أي: تعلق ولصق.

(لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) إشارة إلى قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80] أي: قوي أتمنع به عنكم ويأتي الكلام فيه قريبًا في ترجمة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ الطيبي قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ ذلك لأن من يدل على إقناط كلي ويأس شديد من أن يكون له ناصر ينصره وكأنه ﷺ استغرب ذلك القول وعده نادرة منه إذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه.

وَقَالَ الزمخشري معناه إلى قوي أستند إليه وأمتنع به فيحميني منكم شبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته.

وَقَالَ النووي: يجوز أنه نسب الالتجاء إلى اللَّه في حماية الأضياف أو أنه التجأ إلى اللَّه فيما بينه وبين اللَّه وأظهر للأضياف العذر وضيق الصدر، (وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ[1]

(1) وقد لبث سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»(1).

لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ) أي: لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمت

(1) قال الكاندهلوي: قال السندي: قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم لم يرد والله تعالى أعلم بنحن نفسه الكريم بل الأنبياء مطلقًا غير إبراهيم، أي: لو كان من إبراهيم شك لكان غير إبراهيم من الأنبياء أحق به لأن إبراهيم قد أعطي رشده فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: 51] وفتح عليه من الحجج ما فتح فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ فهو كان علمًا في الإيقان فإذا فرضناه شاكًا في شيء كان غيره من الأنبياء أحق بالشك فيه، ومعلوم أنه ما شك غيره في البعث والقدرة على الإحياء فكيف هو، اهـ.

وذكر شيخ مشايخنا الدهلوي في الإنجاح ذكر شيخنا المجدد أن العارف الكامل متى توجه إلى هداية الخلق عرضت له مناسبة بالعوام لأنه لو لم يكن لانسد باب النفع فمن كان رجوعه إلى الخلق أكمل كان إرشاده أوفر، قال المرتعش: ما وجدت باطني بباطن الخواص إلا وجدت ظاهري بظاهر العوام، فربما يحتاج إلى الاستدلال فلما كان إرشاد نبينا ﷺ أعم كان ظاهره معنا أتم، ولذا قال: لا رهبانية في الإسلام، فعلى هذا كان أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام، اهـ.

قلت: وهذا الذي أشار إليه الشيخ قدس سره يسمى في الاصطلاح بالرجوع إلى البداية، قلت: واختلفوا في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام أيضًا على أقوال قال الحافظ: قوله نحن أحق بالشك اختلف السلف في المراد بالشك ههنا، فحمله بعضهم على ظاهره وقال كان ذلك قبل النبوة، وحمله أيضًا الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت، واستند في ذلك إلى ما أخرجه هو والحاكم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أرجى آية في القرآن هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ﴾ قال ابن عباس هذا لما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان فرضي الله من إبراهيم بأن قال ربي، وإلى ذلك جنح عطاء فروى ابن أبي حاتم عن ابن جريج سألت عطاء عن هذه الآية قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال ذلك، وذهب آخرون إلى تأويل ذلك. فروى الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلًا استأذنه ملك الموت أن يبشره فأذن له فذكر قصته معه في كيفية قبض روح الكافر والمؤمن قال: فقام إبراهيم يدعو ربه: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: 260] حتى أعلم أني خليلك، وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد قال ليطمئن قلبي بالخلة، وعن سعيد بن جبير قال: ليطمئن قلبي أني خليلك، وعن ابن عباس لأعلم أنك أجبت دعائي، وعنه لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك وإلى هذا الأخير جنح القاضي أبو بكر الباقلاني، وحكى ابن التين عن الداوودي الشارح أنه قال: طلب إبراهيم ذلك لتذهب عنه شدة الخوف، قال ابن التين: وليس ذلك بالبين، وقيل كان سبب ذلك أن نمروذ لما قال له: ما ربك؟ قال ربي الذي يحيي ويميت، فذكر ما نص الله مما جرى بينهما، فسأل إبراهيم بعد ذلك ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى من غير شك منه في القدرة، ولكن أحب ذلك واشتاق إليه فأراد أن يطمئن قلبه =

طلب البراءة حيث قال ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يُوسُف: 50] فوصفه رَسُول اللّه ﷺ بشدة الصبر حيث لم

= بحصول ما أراده، وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال المراد ليطمئن قلبي أنهم يعلمون أنك تحيي الموتى، وقيل معناه: أقدرني على إحياء الموتى فتأدب في السؤال، وقال ابن حصار: إنما سأل أن يحيي اللّه الموتى على يديه فلهذا قيل له في الجواب فصرهن إليك، وحكى ابن التين عن بعض من لا تحصيل عنده أنه أراد بقوله قلبي رجلًا صالحًا كان يصحبه سأله عن ذلك، وأبعد منه ما حكاه القرطبي المفسر عن بعض الصوفية أنه سأل من ربه أن يريه كيف وقيل أراد طمأنينة النفس بكثرة الأدلة، وقيل محبة المراجعة في السؤال ابن عطية: ترجم الطبري في تفسيره فقال وآخرون شك إبراهيم في القدرة وذكر أثر ابن عباس وعطاء قال ابن عطية: ومحمل قول ابن عباس عندي أنها أرجى آية لما فيها من الإدلال على اللّه وسؤال الإحياء في الدنيا أو لأن الإيمان يكفي فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقير وبحث، قال ومحمل قول عطاء دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس أي: من طلب المعاينة قال: وأما الحديث فمبنيّ على نفي الشك والمراد بالشك فيه الخواطر التي لا تثبت، وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل قطعًا، لأنه بعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة، قال وأيضًا فإن السؤال لما وقع بكيف دل على حال شيء موجود مقرر عند السؤال والمسؤول. كما تقول كيف علم فلان فكيف في الآية سؤال عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء فإنه ثابت مقرر، اهـ.
وقال العيني: وذكر المفسرون لسؤال إبراهيم أسبابًا منها، أنه لما قال لنمروذ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أحب أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما أن الإنسان يعلم الشيء ويتيقنه ولكن يحب أن يراه عيانا، ومنها أنه سأل ليشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها واتصال الإعصاب والجلود بعد تمزيقها، فأراد أن يجمع بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، ثم ذكر الوجوه المتقدمة في كلام الحافظ، وقال السندي: فإن قلت فما معنى سؤال إبراهيم؟ قلت: سؤاله ما كان إلا عن رؤية كيفية إحياء الموتى كما هو صريح قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لكن لما كان مثل ذلك السؤال قد ينشأ عن شك في القدرة على الإحياء فربما يتوهم من يبلغه السؤال أنه قد شك أراد اللّه تعالى أن يزيل ذلك التوهم بتحقيق منشأ سؤاله فقال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أي: بالقدرة على الإحياء ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ أي: بلى أنا مؤمن بالقدرة ولكن سألت ليطمئن قلبي برؤية كيفية الإحياء فكأن قلبه اشتاق إلى ذلك فأراد أن يطمئن بوصوله إلى المطلوب وهذا لا غبار عليه أصلًا، وهذا هو ظاهر القرآن كما لا يخفى، ومن قال إنه أراد زيادة الإيقان ونحوه فقد بعد إذ معلوم أن مرتبة إبراهيم فوق مرتبته من قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا واللّه تعالى أعلم، اهـ. وذكر الإمام الرازي في تفسيره لسبب سؤال إبراهيم اثني عشر وجهًا فارجع إليه لو شئت التفصيل.

12 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: 54]

3373 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ ابْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ

يبادر إلى الخروج. وإنما قاله ﷺ تواضعًا والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالًا وهو من جنس قوله لا تفضلوني على يُونُس.

وقيل: إنه كان قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع وسيأتي تكملة لهذا الحديث في قصة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الإيمان، والفضائل، وابن ماجة في الفتن.

12 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: 54]

(باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾) يعني اذكر يا مُحَمَّد في القرآن إِسْمَاعِيل.

(﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾) ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره كما روي أنه كان بينه وبين رجل ميعاد فأقام ينتظره مدة واختلفوا في تلك المدة فقيل ثلاثة أيام وقيل حول حتى أتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخبر أن الفاجر الذي وعدته بالعقود هو إبليس عليه اللعنة وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فَقَالَ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: 69] وكان رسولًا إلى جرهم نبيًّا من الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا حَاتِمٌ) بالحاء المهملة وكسر التاء ابن إِسْمَاعِيل الكوفي وقد مر في الوضوء.

(عَنْ يَزِيدَ) من الزيادة (ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ) مولى سلمة بن الأكوع، (عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: مَرَّ النَّبِيّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلانٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لا تَرْمُونَ؟». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟، قَالَ: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ».

13 ـ باب قِصَّة إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا) ارْمُوا، (**وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلانٍ**) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: وأنا مع بني فلان وكذا هو في الجهاد.

وقيل: الصواب الأول لقوله في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وأنا مع ابن الأدرع وقد تقدم تسميته ابن الأدرع في الجهاد.

(**قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لا تَرْمُونَ؟». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»**)[1] وقد مر الحديث في كتاب الجهاد في باب التحريض على الرمي ومر الكلام فيه هناك.

13 ـ باب قِصَّة إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ

(**باب قِصَّة إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ**) وسقط في بعض النسخ لفظة باب. وعن ابن إِسْحَاق بشر اللَّه إِبْرَاهِيم بإسحاق من سارة فحملت وكانت بنت تسعين أو تسع وتسعين سنة وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ابن مائة وعشرين سنة وقد

---

(1) والمراد بالمعية معية القصد إلى الخير وإصلاح النية والتدرب فيه للقتال، فلا يرد أنه كيف كان رسول اللَّه ﷺ مع الفريقين وأحدهما غالب والآخر مغلوب، وفي الحديث أنَّ السلطان يأمر رجاله بتعلم الفروسية لا سيما الرمي بالسهام. وقد روى الترمذي عن ابن أبي نجيح يرفعه: من رمى بسهم في سبيل اللَّه فهو له عدل محرّر. وروى أيضًا النسائي عن كعب بن مرة: من رمى بسهم في سبيل اللَّه فبلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة. وروى أيضًا ابن حبان عن كعب بن مرة قال سمعت رسول اللَّه ﷺ: من بلغ العدو بسهم رفع اللَّه له درجة فقال عبد الرحمن وابن النحام وما الدرجة يا رسول اللَّه؟ قال: «**أما إنها ليست بعتبة امك ما بين الدرجتين مائة عام**».
وروى الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس رضي اللَّه عنه يدخل الجنة بالسهم ثلاثة: الرامي به وصانعه والمحتسب به، وفي لفظ من اتخذ قوسًا عربية وحفيرها يعني كنانته نفى اللَّه عنه الفقر وفي لفظ أربعين سنة.

فِيهِ ابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

14 ـ باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]

كانت هاجر حملت بإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فوضعتا معًا وشب الغلامان.

ونقل ابن كثير عن أهل الكتاب: أن هاجر ولدت إِسْمَاعِيل لإبراهيم عليهما السلام ولإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من العمر ست وثلاثون سنة قبل مولد إِسْحَاق بثلاث عشرة سنة.

وَقَالَ ابن الجوزي في كتاب الأعمار: أن إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَامُ عاش مائة وثمانين سنة في قول، وعن وهب بن منبه: عاش مائة وخمسًا وثمانين سنة ودفن عند قبر أبيه في مزرعة خيرون والله تَعَالَى أعلم.

(فِيهِ) أي: في الباب (ابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ) رضي الله عنهما أي: حديثهما، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) قَالَ الْكِرْمَانِيّ: يعني روى ابن عُمَر وأبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنهم حديثًا في قصة إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَامُ فأشار إليه إجمالًا ولم يذكره بعينه لأنه لم يكن على شرطه.

وَقَالَ ابن التين لم يقف الْبُخَارِيّ على سنده فلم يذكره.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: كأنه يشير بحديث ابْن عُمَر رَضِيَ الله عَنْهُمَا إلى ما سيأتي في قصة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ وبحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ إلى الحديث المذكور في الباب الذي يليه.

14 ـ باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133]

وفي نسخة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ إلى قوله: (﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾) [البقرة: 133] قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي: ما كنتم حاضرين يعقوب إذ حضره الموت أي: حين احتضر وَقَالَ لبنيه ما قَالَ والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما علمتم من الوحي.

وقيل: الخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية[1] ويجوز أن يكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأن قيل أتدعون على الْأَنْبِيَاء اليهودية أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا شاهدين له إذ أراد[2] بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الْأَنْبِيَاء ما هم منه براء ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ [البقرة: 133] إذ قَالَ لبنيه بدل من إذ حضر: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى﴾ [البقرة: 133] أي: شيء تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعينه وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: 133].

المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته وعد إِسْمَاعِيل من آبائه تغليبًا للأب والجد أو لأنه كالأب لقوله ﷺ: «**عم الرجل صنو أبيه**» كما قَالَ في العباس رضي اللّه عنه هذا بقية آبائي. ونقل الْقُرْطُبِيّ أن العرب تسمي العم أبا وقد استدل بهذه الآية من جعل الجد أبا وحجب به الإخوة وهو قول الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ وإليه ذهبت عَائِشَة أم المؤمنين رضي اللّه عنها وبه يقول الحسن الْبَصْرِيّ وطاوس وعطاء وهو مذهب أَبِي حَنِيفَةَ وغير واحد من العلماء السلف والخلف.

وَقَالَ مالك وَالشَّافِعِيّ وأحمد في المشهور عنه أنه يقاسم الإخوة وحكى ذلك مالك عن عمر وعثمان وعلي وابن مَسْعُود وزيد بن ثابت رضي اللّه عنهم وبه قَالَ أَبُو يُوسُف ومحمد بن الحسن إلهًا واحدًا بدل من إله آبائك كقوله: ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ﴾ [العلق: 15 ـ 16] وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133] حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضا.

والحاصل أن اللّه تَعَالَى ذكر وصية إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لبنيه بقوله ووصى

(1) أي: ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه.
(2) قوله إذ أراد أي: دعا.

3374 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، سَمِعَ المُعْتَمِرَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا».

بها إِبْرَاهِيم أي: بهذه الملة وهي الإسلام ووصية يعقوب أَيْضًا بها ثم قَالَ محتجًا على المشركين من العرب أبناء إِسْمَاعِيل وعلى الكفار من بني إسرائيل أن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة اللَّه تَعَالَى وحده لا شريك له فَقَالَ لهم ما تعبدون من بعدي فأخبر اللَّه تَعَالَى عنهم أنهم قالوا نعبد إلهك إلى آخره.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) هو ابن راهويه أنه (سَمِعَ المُعْتَمِرَ) هو ابن سليمان بن طرخان، (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ) هو العمري، (عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ») هو موافق لقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

(قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ») الجواب الأول: من جهة الشرف للأعمال الصالحة، والثاني: من جهة الشرف بالمنصب الصالح العالي.

(قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ) أي: أصولهم التي ينتسبون إليها ويتفاخرون بها وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوت أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية للشرف كما أن المعدن أوعية للجواهر.

(تَسْأَلُونِي قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا») يحتمل أن يراد بقوله خياركم جمع خير ويحتمل أن يراد أفعل التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرته خصوصًا بالأنساب إلى الآباء المتصفين بذلك ثم

15 ـ باب

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل: 54 ـ 58]

الشرف بالخصال المحمودة شرعًا ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين ومقابل ذلك من كان مشروفًا في الجاهلية واستمر مشروفًا في الإسلام فهذا أدنى المراتب والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه وإن لم يكن شريفًا في الجاهلية ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه والقسم الرابع من كان شريفًا في الجاهلية ثم صار مشرفًا في الإسلام فهذا دون الذي قبله فإن تفقه فهو أعلى مرتبة من الشريف الجاهل.

وقد مر الحديث في أوائل باب قول اللّه تعالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125] ومطابقته للترجمة من حيث إنه موافق للآية من جهة أن يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ من أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

15 ـ باب

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل: 54 ـ 58]

(باب: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾) إلى قوله: (﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾) والآيات في سورة النمل قال اللّه تعالَى: ﴿وَلُوطًا﴾ هو منصوب

بتقدير أرسلنا لوطًا بدلالة قوله فيما قبله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ أو بتقدير واذكر لوطًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ بدل على الثاني وظرف على الأول ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: الفعلة القبيحة وهي اللواطة ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: 54].

والحال أنكم تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها من بصر القلب والله تَعَالَى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح.

وقيل: يبصر بعضكم بعضا لأنهم كانوا يعلنون بها ويرتكبونها في ناديهم مجاهرين بها لا يستترون عتوًّا منهم وتمردًا وخلاعة ومجانة فتكون أفحش ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الإنكار ﴿شَهْوَةً﴾ أي: لأجل الشهوة وهذا بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ اللاتي خلقن لذلك ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لا يميز الحسن من القبيح.

وقيل: تجهلون عاقبة العصيان ويوم الجزاء وقيل تجهلون موضع قضاء الشهوة واجتمعت الغيبة مع المخاطبة فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: 55] فغلبت المخاطبة فقيل تجهلون لأن المخاطبة أقوى وأرسخ أصلًا من الغيبة ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: قوم لوط ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ أي: إلا قولهم ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56] يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون فعلنا قذرًا يقولونه استهزاء بهم وتهكما ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: لوطًا من العذاب ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ أي: وأنجينا أهله ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا[1] مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [النمل: 57] أي: الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ أي: الحجارة ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: 58] أي: الذين أنذروا بالعذاب.

وَقَالَ الداوودي: إنما كان المطر في كتاب الله فهو العقاب والمذكور في التفسير أنه يقال أمطر في العذاب ومطر في الرحمة وأهل اللغة يقولون مطرت

(1) أي: جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها.

3375 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ، قَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُوطٍ، إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ».

السماء وأمطرت وحاصل قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم ابتدعوا وطء الذكور فدعاهم لوط إلى التوحيد وإلى الإقلاع عن الفاحشة فأصروا على الامتناع ولم يتفق أن يساعده منهم أحد وكانت مدائنهم تسمى سدوم(1) وهي ثغور زغر من البلاد الشامية فلما أراد اللّه تَعَالَى إهلاكهم بعث جبريل وميكائيل وإسرافيل ودردائيل إلى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فاستضافوه فكان ما قص اللّه به في القرآن ثم توجهوا إلى لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ فاستضافوه فخاف عليهم من قومه وأراد أن يخفى عليهم خبرهم فنمّت عليه امرأته فجاؤوا إليه وعاتبوه على كتمانه أمرهم وظنوا أنهم ظفروا بهم فأهلكهم اللّه على يد جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقلب مدائنهم بعد أن خرج عنهم لوط بأهل بيته ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فإنها تأخرت من قومها أو خرجت مع لوط فأدركها(2) العذاب فقلب جبريل المدائن بطرف جناحه فصار عاليها سافلها وصار مكانها بخرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بشيء مما حولها.

(**حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ**) الحكم بن نافع قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ**) هو ابن أَبِي حمزة قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ**) بالزاي والنون عَبْد اللّه بن ذكوان، (**عَنِ الأَعْرَجِ**) عبد الرحمن بن هرمر: (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ، قَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُوطٍ، إِنْ كَانَ**) كلمة إن هذه مخففة من المثقلة أي: إنه كان (**لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**) أي: إلى اللّه سبحانه وتعالى ويشير بذلك إلى قوله تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80] ويقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبه لأنهم من سدوم وهي من الشام وكان أصل إِبْرَاهِيم ولوط من العراق فلما هاجر إِبْرَاهِيم إلى الشام هاجر معه لوط فبعث اللّه لوطًا إلى أهل سدوم فَقَالَ لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم

---

(1) التي قاضيها يضرب به المثل في الجور ويقال: أجور من قاضي سدوم.

(2) وقد روي أنه خلّفها مع قومها أو أخرجها، فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت: يا قوماه فأدركها حجرٌ فقتلها.

عليكم ليدفعوا عن ضيفاني ولهذا جاء في بعض طرق هذا الحديث كما أَخْرَجَهُ أحمد من طريق مُحَمَّد بن عمرو عن أَبِي سلمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: قَالَ لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قَالَ فإنه كان يأوي إلى ركن شديد ولكنه عنى عشيرته فما بعث اللّه نبيًّا إلا في ذروة من قومه. زاد ابن مردويه من هذا الوجه ألم تر إلى قول شعيب ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ وقيل معنى قوله لقد كان يأوي إلى ركن شديد أي: إلى عشيرته لكن لم يأو إليهم وأوى إلى اللّه انتهى والأول أظهر.

وَقَالَ النووي: يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قَالَ ذلك أو أنه التجأ إلى اللّه في باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذارًا وسميت العشيرة ركنا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم وقد مضى الحديث عن قريب.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

16 ـ باب: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾ [الحجر: 61، 62]

(باب: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾ تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر وتمام الآيات ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣﴾ [الحجر: 63]، أي: ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الحجر: 64] فيما أخبرناك ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الحجر: 65] فاذهب بهم في الليل ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ في طائفة من الليل.

وقيل في آخره: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ وكن على أثرهم تزودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو لا ينصرف أحدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب.

وقيل: نهوا من الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ﴿وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾ [الحجر: 65] إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا إلى حيث وتؤمرون إلى ضميره المحذوف على الاتساع ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ أي: أوحينا إليه مقضيًّا ولذلك عدي بإلى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ مبهم تفسيره ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ﴾ ومحله النصب على البدل منه في ذلك تفخيم للأمر وتعظيم والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحجر: 66] داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الحجر: 67] هي سدوم ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ بأضياف لوط طمعًا فيهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝٦٨﴾ [الحجر: 68] بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في ركوب الفواحش ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾ [الحجر: 69]، ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان أو لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٠﴾ [الحجر: 70] عن أن تجير منهم أحد أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم من حيث الشفقة والتربية أو أراد بهن بناته الصلبية فدى بهن أضيافه كرمًا وحمية والمعنى هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما لا يرمونه حتى إن ذاك أهون منه أو إظهارًا لشدة مشقته وامتعاضه من ذلك كي يرقوا له ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر: 71] قضاء الوطر أو ما أقول لكم وقالوا له لقد علمت ما لنا في بناتك من حاجة وإنك لتعلم ما نريد وهو إتيان الذكران ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ أي: لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ أي: إلى قوي أتمنع به عنكم روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهون عليك ودعنا وإياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب

جبريل بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فإن في بيت لوط سحرة ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم بحياة المخاطب وهو النَّبِيّ ﷺ وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72] يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: 73] داخلين في وقت شروق الشمس ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: عالي المدينة أو قربها سافلها وصارت منقلبة بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: 74] من طين متحجر وأصله أو طين عليه كتاب من السجل وقيل إنه من أسجله إذا أرسله وأدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو من مثل العطية في الإدرار وقيل أصله سنك كل فعرّب من سجين أي: من جهنم فأبدلت لامه نونًا.

وفي سورة هود منضود أي: نضد معدا لعذابهم أو نضد في الإرسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الأمطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب.

وقيل: معلمة ببياض وحمرة أو بسيماء تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمي به عند ربك في خزائنه.

روي أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم. وكان حق الكلام فجعلوا عاليها سافلها فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيمًا للأمر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر: 75] المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: وإن المدينة أو القرى ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: 76] ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [الحجر: 77] بالله ورسوله.

﴿بِرُكۡنِهِۦ﴾ [الذاريات: 39]: «بِمَنْ مَعَهُ لأَنَّهُمْ قُوَّتُهُ»، ﴿تَرۡكَنُوٓاْ﴾ [هود: 113]: «تَمِيلُوا

(﴿بِرُكۡنِهِۦ﴾ «بِمَنْ مَعَهُ لأَنَّهُمْ قُوَّتُهُ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ۝٣٩﴾ [الذاريات: 39] وقبله وفي مُوسَى عطف على قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذاريات: 20] أو تركنا فيها على معنى وجعلنا فيها كقوله علفتها تبنًا وماءً باردًا ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [الذاريات: 38] هو معجزة كاليد والعصا ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ [الذاريات: 39] فسره الْبُخَارِيّ بقوله بمن معه لأنهم قوته وهو تفسير الْفَرَّاء أي: فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وعشيرته ومنعته والركن ما ركن إليه الإنسان من مال وجند وقوة.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فتولى بركنه وبجانبه سواء وهو كناية عن المبالغة في الإعراض والإنكار أي: فأعرض عن الإيمان بالكلية ﴿وَقَالَ﴾ أي: فرعون ﴿سَٰحِرٌ﴾ أي: مُوسَى ساحر ﴿أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾. كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبًا إلى الجن وتردد في أنه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ فأغرقناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ آت بما لا يلام عليه من الكفر والعناد وقال الحافظ العسقلاني كذا أورد المصنف هذه الجملة في قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو وهم فإنها من قصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما عرفت والضمير لفرعون والسبب في ذلك أن ذلك وقع تلو قصة قوم لوط حيث قَالَ تَعَالَى في آخر قصة لوط: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٣٧﴾ [الذاريات: 37] ثم قَالَ عقب ذلك: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ﴾ [الذاريات: 38].

وأذكر استطراد لقوله في قصة لوط: ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: 80] وقد فسره أَبُو عُبَيْدَةَ بعشيرة عزيزة منيعة ومع ذلك لم توجد هذه التفاسير التي ذكرها إلا هنا فِي رِوَايَةِ المستملي وحده.

(﴿تَرۡكَنُوٓاْ﴾ تَمِيلُوا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وفسره بقوله تميلوا أي: لا تميلوا وهو تفسير أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: 113] لا تعدلوا إليهم ولا تميلوا ركنت إلى قولك أي: أحببته وقبلته.

فَأَنْكَرَهُمْ وَنَكِرَهُمْ وَاسْتَنْكَرَهُمْ وَاحِدٌ»، ﴿يُهْرَعُونَ﴾ [هود: 78]: «يُسْرِعُونَ»، ﴿دَابِرَ﴾ [الحجر: 66]: «آخِرُ»، صَيْحَةٌ: «هَلَكَةٌ»،

وهذه الآية أَيْضًا لا تعلق لها بقصة قوم لوط وكان ذكرها لوجود مادة ركن وهذا من عادة الْبُخَارِيّ كما عرفت غير مرة يذكر تفسير بعض ألفاظ القرآن بأدنى مناسبة وَقَالَ القاضي أي: فلا تميلوا إليهم أدنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالتربي بزيهم وتعظيم ذكرهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم ثم بالميل إليهم ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه.

(فَأَنْكَرَهُمْ وَنَكِرَهُمْ وَاسْتَنْكَرَهُمْ وَاحِدٌ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: 70] قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ نكرهم وأنكرهم واحد وكذلك استنكرهم. وإنكار إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ غير إنكار لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنكرهم لما لم يأكلوا من طعامه حين قربه إليهم وأما لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ فأنكرهم لمجيء قومه إليهم كذا قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ والعيني. وفيه أنه يحتمل أن يكون إنكار لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مخافة أن يطرقوه بشر كما مر.

(﴿يُهْرَعُونَ﴾ «يُسْرِعُونَ») أشار إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: جاء قوم لوط يسرعون ويهرعون إليه كأنهم يدفعون دفعًا لطلب الفاحشة من أضيافه وذلك أن امرأة هود أخبرتهم بمجيء هؤلاء الملائكة في صورة الرجال المرد الحسان ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 78] أي: من قبل هذا الوقت كانوا يعملون الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين.

(﴿دَابِرَ﴾ «آخِرُ») أشار إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر: 66] وفسره بآخرهم مستأصل.

(صَيْحَةٌ «هَلَكَةٌ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: 29] وفسره بالهلكة أي: ما كانت الآخذة أو العقوبة إلا هلكة واحدة أي: دفعة واحدة قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ ولم أعرف وجه دخوله هنا انتهى.

﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75]: «لِلنَّاظِرِينَ»، ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ [الحجر: 76]: «لَبِطَرِيقٍ».

3376 - حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 15]».

ويمكن أن يكون ذكره هنا بمناسبة الصيحة المذكورة في قصة قوم لوط.

(﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ «لِلنَّاظِرِينَ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر: 75] وفسره بقوله للناظرين وهكذا فسره الضحاك وَقَالَ مجاهد معناه للمتفرسين وَقَالَ الْفَرَّاء للمتفكرين.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ للمتبصرين المتثبتين وهو من توسمت الشيء نظرت إليه نظر متثبت حتى يعرفه بسمته.

(﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ «لَبِطَرِيقٍ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ [الحجر: 76] وفسره بالطريق وكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ والضمير فِي قَوْلِهِ وإنها يرجع إلى مدائن قوم لوط وقيل إلى الآيات.

(**حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ**) هو ابن غيلان قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ**) هو مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه الزبيري قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو الثَّوْرِيّ، (**عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ**) عمرو السبيعي، (**عَنِ الأَسْوَدِ**) أي: ابن يزيد، (**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن مَسْعُود (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ** ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾) وقد مر هذا في باب قول اللَّه عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقة: 6].

ووجه مناسبة ذكره هنا هو أنه ذكر في قصة قوم لوط أَيْضًا في سورة القمر وقوله ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ بالدال المهملة المشددة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ [القمر: 17] سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر إذا رحلها ﴿لِلذِّكْرِ﴾ للأذكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17]. أي: متعظ.

وفي بعض النسخ: وقعت قصة ثمود وصالح وقد تقدمت في بعضها وذكرت عقب قصة عاد. وكان السبب في إيرادها هنا أنه لما أورد التفاسير من سورة الحجر وكان آخرها بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦﴾ [الحجر: 76] إلى قوله:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر: 80] فجاءت قصة ثمود وهم أصحاب الحجر في هذه السورة تالية لقصة قوم لوط وتخللت بينهما قصة أصحاب الأيكة مختصرة فأوردها من أوردها بناء على ذلك. وقد تقدم الاعتذار عن ذلك فيما مضى واللّه تَعَالَى أعلم.

17 ـ باب قَوْل اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: 61]

(باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾) وقع هذا الباب في أكثر نسخ الْبُخَارِيّ متأخرًا عن هذا الموضع بعدة أبواب والصواب إثباته هنا وهذا مما يؤيد ما حكاه أَبُو الوليد عن أَبِي ذَرٍّ الهروي أن نسخة الأصل من الْبُخَارِيّ كانت ورقًا غير محبوك فربما وجدت الورقة في غير موضعها فنسخت على ما وجدت فوقع في بعض التراجم إشكال بحسب ذلك وإلا فقد وقع في القرآن ما يدل على أن ثمود كانوا بعد عاد كما كان عاد بعد قوم نوح واللّه تَعَالَى أعلم[1] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا وإنما قَالَ أخاهم لأن صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان من قبيلتهم واختلفوا في ثمود فَقَالَ الْجَوْهَرِيّ ثمود قبيلة من العرب وهم قوم صالح وكذلك قَالَ الْفَرَّاء: سميت بذلك لقلة مائهم.

وَقَالَ الزجاج: الثمد الماء القليل الذي لا فائدة له.

وقيل: ثمود اسم رجل.

وَقَالَ عِكْرِمَة: هو ثمود بن جابر بن أرم بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ الكلبي: وكانت هذه القبيلة تنزل في وادي القرى إلى البحر والساحل وأطراف الشام وكانت أعمارهم طويلة وكانوا يبنون المساكن فتنهدم فلما طال ذلك عليهم اتخذوا من الجبال بيوتًا ينحتونها وعملوها على هيئة الدور.

ويقال: كانت منازلهم أولًا بأرض كوش من بلاد عالج ثم انتقلوا إلى الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وخالفوا أمر اللّه وعبدوا غيره وأفسدوا في

(1) كذا قال الحافظ العسقلاني وأنت خبير بأنه لا يستلزم وقوع قصة ثمود بعد قصة عادٍ في القرآن رعاية الترتيب في هذا الصحيح فتأمّل.

الأرض فبعث اللّه إليهم صالحًا نبيًا فدعاهم إلى اللّه تَعَالَى حتى شمط ولم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون. وصالح هو ابن عبيد بن جابر بن أرم بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: صالح ابن عبيد بن أسف بن ماسح بن عبيد بن خادر بن جاثر بن ثمود قاله مقاتل.

وقيل: صالح ابن كانون قاله الربيع.

وقيل: صالح بن يُوسُف بن شالخ بن عبيد بن جاثر بن ثمود قاله مجاهد

وَقَالَ أَيْضًا: كان بينه وبين ثمود مائة سنة وكان في قومه بقايا من قوم عاد على طولهم وهيئتهم وكان لهم صنم من حديد يدخل فيه الشيطان في السنة مرة واحدة ويكلمهم وكان أَبُو صالح سادنه فغار لله وهم بكسره فناداهم الصنم اقتلوا كانون فقتلوه ورموه في مغارة فبكت عليه امرأته مدة فجاءها ملك فَقَالَ إن زوجك في المفازة الفلانية فجاءت إليه وهو ميت فأحياه اللّه تَعَالَى فقام إليها فوطئها فعلقت بصالح من ساعتها وعاد كانون ميتا بإذن اللّه تَعَالَى ولما شب صالح بعثه اللّه إلى قومه وعمره قبل البلوغ ولكنه قد راهق قاله وهب.

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُ: لما تم له أربعون سنة أرسله إليهم. وذكره اللّه تَعَالَى في القرآن في خمسة مواضع وبين قصته مع قومه. فلما أهلك اللّه قومه نزل صالح بفلسطين وأقام بالرملة.

وَقَالَ السُّدِّيّ: أتى هود ومن معه من المؤمنين إلى مكة ما قاموا يتعبدون حتى ماتوا فقبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة والحجر.

وَقَالَ ابن قتيبة: أقام صالح في قومه عشرين سنة ومات وهو ابن مائة وثمان وخمسين سنة. وقيل: ابن ثلاثمائة وستة وثلاثين سنة وحكاه الخطيب عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وهو الأظهر.

ويقال: إن صالحًا مات باليمن وقبره بموضع يقال له الشبوه.

وذكر الفربري أن صالحًا خرج مع المؤمنين إلى الشام فسكنوا فلسطين ومات بها وكان بين صالح وبين هود عليهما السلام مائة سنة وبين صالح

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ [الحجر: 80]: «مَوْضِعُ ثَمُودَ» وَأَمَّا ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: 138]: حَرَامٌ، وَكُلُّ مَمْنُوعٍ فَهُوَ حِجْرٌ مَحْجُورٌ، وَالحِجْرُ كُلُّ بِنَاءٍ بَنَيْتَهُ، وَمَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ مِنَ الأَرْضِ فَهُوَ حِجْرٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَ حَطِيمُ البَيْتِ حِجْرًا، كَأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ مَحْطُومٍ، مِثْلُ قَتِيلٍ مِنْ مَقْتُولٍ،

وإبراهيم عليهما السلام ستمائة سنة وثلاثون سنة.

(﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ وفسر الحِجْرُ بقوله: («مَوْضِعُ ثَمُودَ») وهو ما بين المدينة إلى الشام.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: هو منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى.

وَقَالَ الْعَسْقَلَانِيّ: وكانت منازلهم بالحجر وهو بين تبوك والحجاز ولا منافاة وأراد بالمرسلين صالحًا وهو وإن كان واحدًا فالمراد هو ومن معه من المؤمنين.

وقيل: كل من كذب واحدًا من الرسل فكأنّما كذبهم جميعًا.

(وَأَمَّا ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حَرَامٌ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ وفسر الحجر بقوله له حرام وكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ وحذف الْبُخَارِيّ الفاء عن جواب أما وهو قوله حرام وهو جائز.

(وَكُلُّ مَمْنُوعٍ فَهُوَ حِجْرٌ) أي: كل شيء يمنع فهو حجر أي: حرام.

ومنه حجر (مَحْجُورٌ) أشار إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 22] وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ أي: حرامًا.

(وَالحِجْرُ كُلُّ بِنَاءٍ بَنَيْتَهُ) بناء الخطاب في أوله (وَمَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ مِنَ الأَرْضِ فَهُوَ حِجْرٌ) دخل الفاء لتضمن قوله وما حجرت عليه معنى الشرط.

(وَمِنْهُ) أي: من الحجر بمعنى الحرام.

(سُمِّيَ حَطِيمُ البَيْتِ) وهو الحائط المستدير إلى جانب الكعبة.

(حِجْرًا، كَأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ مَحْطُومٍ، مِثْلُ قَتِيلٍ مِنْ مَقْتُولٍ) أراد أن الحطيم بمعنى المحطوم كما أن القتيل بمعنى المقتول يعني أنه فعيل بمعنى المفعول

وَيُقَالُ لِلأُنْثَى مِنَ الخَيْلِ الحِجْرُ، وَيُقَالُ لِلْعَقْلِ حِجْرٌ وَحِجًى، وَأَمَّا حَجْرُ اليَمَامَةِ فَهُوَ مَنْزِلٌ.

وليس فيه اشتقاق اصطلاحي وهو بمعنى مكسور وكان الحطيم سمي به لأنه أخرج من البيت وترك هو محطومًا[1].

وقيل: الحطيم ما بين الركن والباب سمي حطيمًا لازدحام الناس فيه.

وقيل سمي الحطيم لأن العرب كانت تطرح فيه ثيابها التي يطوف فيها ويتركها حتى تنحطم وتفسد بطول الزمان فعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل.

(**وَيُقَالُ لِلأُنْثَى مِنَ الخَيْلِ الحِجْرُ، وَيُقَالُ لِلْعَقْلِ حِجْرٌ**) كما **فِي قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر: 5] أي: لذي عقل لأنه يمنع صاحبه من الوقوع في المهالك.

(**وَحِجًى**) بكسر الحاء وفتح الجيم مقصورًا وهو أَيْضًا من أسماء العقل ومنه الحجى بمعنى الستر في الحديث من بات على ظهر بيت ليس عليه حجى فقد برئت منه الذمة شبهه بالحجى الذي بمعنى العقل لأن العقل يمنع الإنسان من الفساد ويحفظه من التعرض للهلاك فكذلك الستر الذي على السطح يمنع الإنسان من التردي والسقوط.

(**وَأَمَّا حَجْرُ اليَمَامَةِ فَهُوَ مَنْزِلٌ**) يعني أما حجر اليمامة بفتح الحاء فهم اسم منزل باليمامة.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: هي قصبة اليمامة البلد المشهور بين الحجاز واليمن ذكره استطرادًا أو ليس له تعلق بما قبله لأنه كما عرفت بفتح الحاء إلا أن من مكسور الحاء غير ما ذكره حجر القميص وفيه جاء الكسر والفتح والفتح أفصح وكذا حجر الإنسان فيه لغتان قاله ابن فارس.

ويجمع على حجور وجاء في الحجر الذي بمعنى الحرام الكسر والضم والفتح.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ: الكسر أفصح والحجر بفتحتين معروف وهو اسم رجل أَيْضًا ومنه أوس بن حجر الشاعر المشهور والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم

---

(1) أي: مكسورًا بإخراجه عنه.

3377 - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، ....

مصدر حجر القاضي عليه إذا منعه من التصرف في ماله. وحجر بضم الحاء وسكون الجيم نبت مر واسم رجل أَيْضًا وهو حجر الكندي الذي يقال له آكل المرار. وحجر بن عدي الذي يقال له الأدبر.

(حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ) بضم الحاء عَبْد اللَّه ابن الزبير ابن عيسى وقد مر غير مرة قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ) بفتح الزاي وسكون الميم وفتحها أي: ابن الأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي أُمّهُ قريبة بنت أَبِي أمية أبنة أم سلمة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّه عَنْهَا وكان من أشراف قريش وكان يأذن على النَّبِيّ ﷺ يعد في أهل المدينة وزمعة وأخوه عقيل قتلا يوم بدر كافرين وأبوهما الأسود كان من المستهزئين ذكروا أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ضرب في وجهه بورقة فعمي وكان لعبد اللَّه ابن يسمى يزيد قتله مسرف بن عقبة صبرا يوم الحرة وقتل له بنون أَيْضًا يوم الحرة وليس لعبد اللَّه بن زمعة في البُخَارِيّ غير هذا الحديث.

وَقَالَ أَبُو عمر روى عنه عُرْوَة ثلاثة أَحَادِيث:

أحدها: أن رَسُول اللَّه ﷺ ذكر النساء فَقَالَ يضرب أحدكم المرأة ضرب العبد ثم يضاجعها من آخر يومه.

الثاني: أنه ذكر الضرطة فوعظهم فيها فَقَالَ لم يضحك أحدكم بما يفعل.

الثالث: حديث الباب وقد جمع عُرْوَة الثلاث المذكورة في حديث واحد كما يجيء بيانه عن قريب.

(قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ) أي: ناقة صالح وقصتها أن ثمود بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا أعمارًا طويلة لا تفنى بها الأبنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فقتلوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث اللَّه إليهم صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ولما دعا قومه إلى اللَّه تَعَالَى لم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فَقَالَ أيّة آية تريدون قالوا نخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك

وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فَقَالَ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قَالَ سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وكانوا أصحاب إبل وكانت النوق عندهم عزيزة فقالوا لتكن الناقة سوداء حالكة عشراء ذات عرف وناصية ووبر فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقنَّ قالوا نعم فصلى ودعا ربه فَقَالَ أخرجي بإذن اللّٰه فتمخضت الصخرة الحامل فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وطلبوا وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدًا مثلها في العظم فآمن خلق ممن حضر ملكهم جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا فمنعهم ناس من رؤسائهم منهم لدراب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ودراب كاهنهم.

وفي تاريخ الفربري: قالوا لصالح لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ذات ألوان من أحمر ناصع وأصفر فاقع وأسود حالك وأبيض يقق ويكون نظيرها كالبرق الخاطف ورغاؤها كالرعد القاصف ويكون طولها مائة ذراع وعرضها كذلك ذات ضروع أربعة فنحلب منها ماء وعسلًا ولبنًا وخمرًا ويكون لها تبيع على صفتها وليكن حنينها بتوحيد إلهك والإقرار بنبوتك فخرجت مثل ما قالوا فأمن الملك وكذب بعضهم وكذب أخو الملك صالحًا وملكه من لم يؤمن به منهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجرة وتشرب الماء وكانت ترد غبًّا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تنفحج أي: تفرج ما بين رجليها فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون.

قَالَ أَبُو مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعًا وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه

قَالَ: «انْتَدَبَ لَهَا رَجُلٌ ذُو عِزٍّ وَمَنَعَةٍ فِي قُوَّة كَأَبِي زَمْعَةَ».

فأنطلق سقبها أي: ولدها حتى رقي جبلًا اسمها قارة فرغًا ثلاثًا فَقَالَ لهم صالح أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائها فدخلها فَقَالَ لهم صالح تصبحون غدًا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب قال اللّه تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ أي: في منازلكم أو في دار الدنيا ثلاثة أيام الأربعاء والخميس والجمعة فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه اللّه إلى أرض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا.

(قَالَ: انْتَدَبَ لَهَا رَجُلٌ) من ندبه لأمر فانتدب أي: دعاه له فأجاب.

(ذُو عِزٍّ وَمَنَعَةٍ) بفتح الميم والنون وبالعين المهملة وقيل بسكون النون وهي القوة وما يمنع به الخصم.

(فِي قُوَّة) كذا فِي رِوَايَةِ الأكثر وللكشميهني والسرخسي في قوة.

(كَأَبِي زَمْعَةَ) هو الأسود بن المطلب وكان ذا عزٍّ ومنعة في قومه كعاقر الناقة وهو قدار بن سالف وذكر السهيلي أنه كان ولد زنا وهو أحمر ثمود الذي يضرب به المثل في الشؤم وكان أحمر أشقر أزرق قصيرًا.

وَقَالَ الثعلبي: اسمه قديرة.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ: اسمه قدار بالدال المهملة وهو الأصح.

وَقَالَ وهب: وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فانضاف إليهم قدار فصاروا تسعة وأسماؤهم: الهزيل بن عبد رب، غنم بن غنم، وثاب ابن مهرج، مصدع بن مهرج، عمير بن كردبة، عاصم بن مخرمة، سبيط بن صدقة، سمعان بن صفيّ، وعاقر الناقة هو قدار ابن سالف كما مر.

وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم وهم الذين سعوا في عقر الناقة.

روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعيب يصلي فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث بنزول العذاب فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث

3378 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ أَبُو الحَسَنِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ بْنِ حَيَّانَ أَبُو زَكَرِيَّاءَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، «لَمَّا نَزَلَ الحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلا يَسْتَقُوا مِنْهَا»، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، «فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ العَجِينَ، وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ المَاءَ»، ....

فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث اللّه صخرة من الهضب جبالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل لقومهم وعذب اللّه كلًّا منهم في مكانه فهلكوا ثمة وهلك قومهم في أماكنهم بالصيحة.

وقيل: جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل اللّه الملائكة ملأ دار صالح فدمغوهم أي: شجوهم حتى بلغت الشجة أدمغتهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير، والأدب، والنكاح أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في صفة النار، وَالتِّرْمِذِيّ في التفسير، وكذا النَّسَائِيّ فيه، وفي عشرة النساء، وابن ماجة في النكاح.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ أَبُو الحَسَنِ**) اليماني شيخ الشيخين قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ**) منصرف أو غير منصرف هو (**ابْنِ حَيَّانَ**) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية التنيسي وقد مر في الجنائز قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ**) هو ابن بلال أَبُو أيوب مولى القاسم بن مُحَمَّد بن أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ وكان بربريًّا.

(**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا نَزَلَ الحِجْرَ**) أي: منازل ثمود (**فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ العَجِينَ، وَيُهَرِيقُوا**) أي: ويريقوا من الإراقة والهاء زائدة.

(**ذَلِكَ المَاءَ**) بين فِي رِوَايَةِ نافع عقب هذا عَنِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه

وَيُرْوَى عَنْ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، وَأَبِي الشُّمُوسِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِإِلْقَاءِ الطَّعَامِ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنِ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ».

أمرهم أن يهرقوا ما استقوا من بئارها وأن يعلفوا الإبل العجين وإنما أمرهم بذلك خوفًا أن يورثهم قسوة أو شَيْئًا يضرهم ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**وَيُرْوَى عَنْ سَبْرَةَ**) بفتح السين المهملة وسكون الموحدة وبالراء (**ابْنِ مَعْبَدٍ**) بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح الموحدة قَالَ أَبُو عمر سبرة ابن معبد الجهني ويقال ابن عوسجة بن حرملة بن سبرة بن خديج بن مالك بن عمرو الجهني يكنى أبا ثرية بفتح المثلثة وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية.

وَقَالَ أَبُو عمر الصواب ضم المثلثة وفتح الراء سكن المدينة وله بها دار ثم انتقل إلى مرو وليس له في الْبُخَارِيّ إلا هذا الحديث.

(**وَأَبِي الشُّمُوسِ**) بفتح الشين المعجمة وضم الميم وآخره سين مهملة وهو بلوى بفتح الموحدة واللام ولا يعرف اسمه.

(**أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ أَمَرَ بِإِلْقَاءِ الطَّعَامِ**) أما حديث سبرة بن معبد فوصله أحمد والطبراني من طريق عبد العزيز بن الربيع بن سبرة بن معبد عن أبيه عن جده سبرة قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ لأصحابه حين راح من الحجر: «**من كان عجن منكم من هذا الماء عجينة أو حاس به حيسًا فليلقه**».

وأما حديث أَبِي الشموس فوصله الْبُخَارِيّ في الأدب المفرد والطبراني وابن مندة من طريق سليم بن مطير عن أبيه عنه قَالَ كنا مع رَسُول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك فذكر الحديث وفيه فألقى ذو العجين عجينه وذو الحيس حيسه ورواه ابن أَبِي عاصم من هذا الوجه وزاد فقلت يا رَسُول اللَّه قد حست حيسة أفألقمها راحلتي قَالَ: «**نعم**».

(**وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ**) جندب ابن حنادة، (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنِ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ»**) أي: أمر من اعتجن بمائه بالإلقاء وقد وصله البزار من طريق عَبْد اللَّه ابن قدامة عنه أنهم كانوا مع النَّبِيّ ﷺ في غزوة تبوك فأتوا على واد فَقَالَ لهم النَّبِيّ ﷺ: «**إنكم بواد ملعون**» فأسرعوا وَقَالَ: «**من اعتجن عجينه أو طبخ قدرًا فليكبها**» الحديث وَقَالَ لا نعلمه إلا بهذا الإسناد.

3379 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ، الحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ» تَابَعَهُ أُسَامَةُ، عَنْ نَافِعٍ.

(**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ**) هو ابْن عُمَر بن حفص بن عاصم بْن عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(**عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ، الحِجْرَ**) بالنصب بدل من أرض ثمود.

(**فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا**) بفتح الياء من علفت الدابة علفًا.

(**الإِبِلَ العَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ**) هكذا رواية الكُشْمِيهَنيّ، وفي رواية غيره: التي كانت فإن قيل أمر في الحديث الماضي بالطرح وههنا بالتعليف.

أجيب: بأن المراد بالطرح ترك الأكل أو الطرح عند الدواب وفي الحديث كراهة الاستقاء من آبار ثمود قيل ويلحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب اللَّه تَعَالَى على كفره واختلف في الكراهة فقيل للتحريم وهل يمتنع صحة التطهر من ذلك الماء أم لا؟ والظاهر لا

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في آخر الكتاب.

(**تَابَعَهُ أُسَامَةُ**) أي: تابع عُبَيْد اللَّه أسامة بن زيد بن حارثة اللَّيْثِيّ، (**عَنْ نَافِعٍ**) عَنِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ووصل هذه المتابعة حرملة بن يَحْيَى أَبُو حفص المصري عن عُبَيْد اللَّه بن وهب المصري قَالَ أَخْبَرَنَا أسامة بن زيد فذكر مثل حديث عُبَيْد اللَّه وفي آخره وأمرهم أن ينزلوا على بئر ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ويستقوا منها.

3380 - **حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ**، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ قَالَ: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ».

3381 - **حَدَّثَنِي** عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا وَهْبٌ، حَدَّثَنَا أَبِي، سَمِعْتُ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، ....

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ**) هو ابن مقاتل قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ**) هو ابن المبارك، (**عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ**) أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد، (**سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ قَالَ: لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**) وزاد فِي رِوَايَةٍ أنفسهم والمساكن أعم من أن يكون لثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم من سائر الأمم الذين نزلت بهم المثلات وإن كان السبب ورد فيهم.

(**إِلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ**) وفي رواية القابسي باكين بياءين.

قَالَ ابن التين: وليس بصحيح لأنَّ الياء الأولى مكسورة في الأصل فاستثقلت وحذفت إحدى الياءين لالتقاء الساكنين.

(**أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ**) أي: حذر أن يصيبكم كقولك لا تقرب الأسد أن يفترسك وأن مصدرية أي: كراهة الإصابة وهذا التقرير عن البصريين.

والتقدير عند الكوفيين: لئلا يصيبكم ما أصابكم به وهذا خطأ عند البصريين لأنهم لا يجوزون إضمار لا.

(**ثُمَّ تَقَنَّعَ**) أي: تستر (**بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ**) وهو رحل البعير.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في المغازي وَالنَّسَائِيّ في التفسير.

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ**) ابْنُ مُحَمَّدٍ المعروف بالمسندي قَالَ: (**حَدَّثَنَا وَهْبٌ**) هو ابن جرير قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبِي**) هو جرير بن حازم البَصْريّ قَالَ: (**سمعت يُونُس**) هو ابن يزيد الأيلي، (**عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».

18 ـ بَاب: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 133]

3382 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ ....

(**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»**) ووقع فِي رِوَايَةِ أحمد إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونا باكين فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم.

وقد مر في كتاب الصلاة في باب الصلاة في مواضع الخسف حديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا من وجه آخر رواه عن إِسْمَاعِيل بن عَبْد اللّه عن مالك عن عَبْد اللّه ابن دينار عن عَبْد اللّه بْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن رَسُول اللّه ﷺ قَالَ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم**».

وروى أحمد والحاكم بإسناد حسن عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: «لما مر رَسُول اللّه ﷺ بالحجر قَالَ: «**لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح وكانت الناقة ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم وكانت تشرب يومًا ويشربون لبنها يومًا فعقروها فأخذتهم صيحة أوجد اللّه من تحت أديم السماء إلا رجلًا واحدًا كان في حرم اللّه وهو أَبُو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه**»، وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزُّهْرِيّ.

قَالَ أَبُو رغال: هو الجد الأعلى لثقيف وهو بكسر الراء وتخفيف الغين المعجمة.

18 ـ بَاب: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 133]

(**بَاب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾**) ثبتت هذه الترجمة هنا وهي مكررة ذكرت بثلاثة أبواب فلذلك لم توجد في كثير من النسخ.

(**حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ**) أي: ابن بهرام الكوسج المروزي الْحَافِظ أَبُو

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

يعقوب سكن نيسابور ومات سنة إحدى وخمسين ومائتين روى له الجماعة إلا أبا داود ولهم إِسْحَاق بن منصور السلولي الكوفي روى له الجماعة ولهم ثالث إِسْحَاق ابن منصور ابن حيان الأسدي الكوفي روى له الجماعة.

(**أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ**) هو ابن عبد الوارث أَبُو سهل التنوري الْحَافِظ الحجة روى له الجماعة ولهم عبد الصمد ابن ابن حبيب روى له أَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ الْبُخَارِيّ لين وعبد الصمد بن سليمان البلخي الْحَافِظ روى عنه التِّرْمِذِيّ وابن خزيمة مات سنة ست وأربعين ومائتين.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) ابن دينار (**عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**) الكريم ضد اللئيم وهو متناول للصالح الجيد دينا ودنيا.

وَقَالَ النووي: وأصل الكرم كثرة الخير وقد جمع يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ مكارم الأخلاق مع شرف النبوة وكونه ابنا لثلاثة أنبياء متناسلين ومع شرف رياسة الدنيا بالعدل والإحسان.

وفي رواية الطبراني من طريق أَبِي عُبَيْدَةَ بن عَبْد اللّه بن مَسْعُود يُوسُف بن يعقوب بن إِسْحَاق ذبيح اللَّه.

وله من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قيل يا رَسُول اللّه من السيد قَالَ يُوسُف بن يعقوب قالوا فمن في أمتك سيد قَالَ رجل أعطى مالًا حلالًا ورزق سماحة وإسناده ضعيف.

ومطابقة الحديث للترجمة من حديث أن يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ داخل في وصية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حين حضره الموت.

19 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: 7]

3383 - حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ،

---

19 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: 7]

(باب قَوْل اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾) أي: في خبرهم وقصصهم عبر وعلامات ودلائل على قدرة اللَّه تَعَالَى وحكمته في كل شيء للسائلين أي: لمن سأل عن قصتهم وقيل آيات على نبوة مُحَمَّد ﷺ للذين سألوه عنها من اليهود فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وقرأ ابن كثير آية بالتوحيد وفي بعض المصاحف عبرة.

ويوسف فيه ستة أوجه: ضم السين وكسرها وفتحها مع الهمزة وتركها واختلفوا فيه هل هو أعجمي أو عربي فالأكثرون على أنه أعجمي ولهذا لم ينصرف وقيل عربي مأخوذ من الأسف وهو الحزن أو الأسيف وهو العبد وقد اجتمعا في يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ فسمي به.

وَقَالَ مقاتل: ذكر اللَّه تَعَالَى يُوسُف في القرآن في سبعة وعشرين موضعًا.

والمراد بإخوته علاته العشرة وهم: يهوذا وروبيل بضم الراء وسكون الواو وكسر الموحدة وسكون الياء وآخره لام، وشمعون، ولاوي، وريالون، ويشجر، ودينة، من بنت خالته يعقوب ليا تزوجها يعقوب أولًا فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين، ويوسف، وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرمًا حينئذ وأربعة آخرون: دان ويفتالي، وجاد، وآشر، من سريتين زلفة وبلهة، وهم الأسباط وقد اختلف فيهم فقيل كانوا أنبياء ويقال لم يكن فيهم نبي غير يُوسُف وإنما المراد بالأسباط قبائل بني إسرائيل فقد كان فيهم من الْأَنْبِيَاء عدد كثير.

(حَدَّثَنَا عُبَيْدُ) بضم العين (ابْنُ إِسْمَاعِيلَ) واسمه في الأصل عَبْد اللَّه هو أَبُو مُحَمَّد الهباري الكوفي وهو من أفراده.

(عَنْ أَبِي أُسَامَةَ) حماد بن أسامة، (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ) أي: ابْن عُمَر العمري أنه

قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ لِلهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ، إِذَا فَقِهُوا»، حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا.

3384 - حَدَّثَنَا بَدَلُ بْنُ المُحَبَّرِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، ....

(**قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ**) المقبري، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه قَالَ: (**سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ لِلهِ»**) قَالَ العلماء؛ لما سألوا عن أكرم الناس أخبر بأكمل الكرم فقَالَ أتقاهم لأن المتقي كثير الخير في الآخرة.

(**قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ»**) فلما قالوا ذلك أجاب بأنه يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه الذي جمع بين خيري الدنيا والآخرة.

(**قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ، إِذَا فَقِهُوا»**) بضم القاف وحكي كسرها فلما قالوا ذلك فهم أن مرادهم قبائل العرب وأصولهم وأجاب بما أجاب والحديث قد مضى عن قريب.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ هو ابن سلام ويروى: (**حَدَّثَنِي**) ويروى: أَخْبَرَنِي (**مُحَمَّدُ**) قَالَ: أَخْبَرَنِي ويروى حَدَّثَنِي ويروى: (**أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ**) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة ابن سليمان، (**عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَعِيدٍ**) هو المقبري، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا**) أي: بهذا الحديث المذكور سابقًا.

(**حَدَّثَنَا بَدَلُ**) بفتح الموحدة والدال المهملة وباللام (**ابْنُ المُحَبَّرِ**) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبالباء المشددة المفتوحة وبالراء اليربوعي البَصْريّ ويقال الواسطي وهو من أفراده قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ**) أي: ابن الحجاج،

عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: «مُرِي أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ»، قَالَتْ: إِنَّهُ رَجُلٌ أَسِيفٌ، مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ رَقَّ، فَعَادَ فَعَادَتْ.

قَالَ شُعْبَةُ فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ».

(عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) أنه (قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: مُرِي) أمر من يأمر (أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، قَالَتْ: إِنَّهُ رَجُلٌ أَسِيفٌ) من الأسف وهو الحزن وزيد فِي رِوَايَةٍ زائدة رقيق أي: رقيق القلب سريع البكاء والحزن.

(مَتَى يَقُمْ) ويروى: يقوم (مَقَامَكَ رَقَّ) أي: حصل له الرقة.

(فَعَادَ) أي: رَسُول اللّه ﷺ إلى كلامه بأن قَالَ: مري، (فَعَادَتْ) أي: عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا إلى كلامها الأول بأن قالت إنه رجل أسيف.

(قَالَ شُعْبَةُ فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ») وهذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا فقط كما أن صواحب يُوسُف جمع صاحبة والمراد زليخا فقط ووجه المشابهة بينهما أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهي أن ينظرن إلى حسن يُوسُف ويعذرنها في محبته.

وأن عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهي أن لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هي فيما بعد ذلك فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلًا قام مقامه أبدًا.

وقد مر الحديث في كتاب الصلاة في باب من أسمع الناس تكبير الإمام وفي الباب الذي يليه وفي باب إذا بكى الإمام في الصلاة ومر الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

3385 - حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ يَحْيَى البَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَقَالَتْ مِثْلَهُ، فَقَالَ: «مُرُوهُ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ» فَأَمَّ أَبُو بَكْرٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ حُسَيْنٌ: عَنْ زَائِدَةَ: رَجُلٌ رَقِيقٌ.

3386 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ،

(حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ) ويروى: ربيع بدون اللام (ابن يَحْيَى البَصْرِيُّ) قَالَ: (حَدَّثَنَا زَائِدَةُ) أي: ابن قدامة، (عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ) بضم الموحدة اسمه عامر (ابْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ) أَبِي مُوسَى عَبْد اللَّه بن قيس الأشعري أنه (قَالَ: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَقَالَتْ) عَائِشَةُ: (إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ) كَذَا، (فَقَالَ مِثْلَهُ، فَقَالَتْ مِثْلَهُ، فَقَالَ: مُرُوهُ) أَبَا بَكْرٍ (فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ فَأَمَّ أَبُو بَكْرٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ حُسَيْنٌ) هو ابن علي الجعفي: (عَنْ زَائِدَةَ: رَجُلٌ رَقِيقٌ) والحديث قد مر في كتاب الصلاة في باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة.

ومطابقته للترجمة كالسابق.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[1]: اللَّهُمَّ أَنْجِ) أمر من الإنجاء (عَيَّاشَ) بفتح المهملة وتشديد التحتانية وبالمعجمة (ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ) بفتح الراء.

(اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ) بفتح المهملة واللام (ابْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ) بفتح الواو فيهما.

---

(1) في الدعاء عند الرفع من الركوع.

اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ».

3387 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ هُوَ ابْنُ أَخِي جُوَيْرِيَةَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَأَبَا عُبَيْدٍ، أَخْبَرَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لأَجَبْتُهُ».

(**اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ**) أي: ضغطتك (**عَلَى مُضَرَ**) بضم الميم وفتح الضاد المعجمة اسم قبيلة.

(**اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**) والمراد بسني يوسف ما قصّه اللّه تعالى من ذكر السنين المجدبة في زمانه وقد مضى الحديث في كتاب الصلاة مطولًا في باب يهوي بالتكبير حين يسجد ومر الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة كالأول.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ هُوَ ابْنُ أَخِي جُوَيْرِيَةَ**) مصغر جارية وهو من الأعلام المشتركة بين الذكور والإناث قَالَ: (**حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ**) بوزن حمراء الضبعي.

(**عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَأَبَا عُبَيْدٍ**) مصغرًا هو سعد ابن عبيد مولى عبد الرحمن بن الأزهري وقد مر في الصوم.

(**أَخْبَرَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي**) أي: من قبل الملك.

(**لأَجَبْتُهُ**) ولما طلبت البراءة ويقال إن اسم الملك الذي رأى الرؤيا الريان ابن الوليد من ذرية لاوز بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد روى ابن حبان من طريق مُحَمَّد بن عمرو عن أبي سلمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مَرْفُوعًا رحم اللَّه يُوسُف لولا الكلمة التي قالها اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث.

وقد مضى الحديث عن قريب ومر الكلام فيه.

3388 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ رُومَانَ، وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ، ....

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ ما لبث يُوسُف.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ**) البيكندي، وهو من أفراده قَالَ: (**أَخْبَرَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ**) هو مُحَمَّد بن فضيل مصغرٍ فضل بن عزو أن الكوفي قَالَ: (**حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ**) بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملة ابن عبد الرحمن الهذلي.

(**عَنْ شَقِيقٍ**) أي: ابن سلمة الأسدي أَبِي وائل الكوفي، (**عَنْ مَسْرُوقٍ**) أي: ابن الأجدع أنه (**قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ رُومَانَ**) بضم الراء وقيل بفتحها بنت عامر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة قَالَ أَبُو عمر هكذا نسبها مصعب وخالفه غيره والخلاف من أبيها إلى كنانة كثير جدا وأجمعوا أنها من بني غنم بن مالك بن كنانة امرأة أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**وَهِيَ أُمُّ عَائِشَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهَا وكذا هي أم عبد الرحمن بن أَبِي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وذكر في التوضيح أم رومان دعد ويقال زينب بنت عمير بن عامر وقيل بنت عامر بن عويمر.

ثم إنه قد اختلف في هذا السند فقيل: إنه منقطع قَالَ أَبُو عمر رواية مسروق عن أم رومان مرسلة ولعله سمع ذلك عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهَا.

وَقَالَ ابن سعد وأبو حسان الزيادي أم رومان: ماتت في حياة الرسول ﷺ سنة ست ونزل رَسُول اللّه ﷺ في قبرها وزاد الزبير في ذي الحجة.

وَقَالَ أَبُو عمر: سنة أربع وقيل سنة خمس فعلى هذا ألا يتجه سماع مسروق منها ويكون حديثه منقطعًا.

وَقَالَ آخرون: الحديث متصل فَقَالَ أَبُو إِسْحَاق الحربي في تاريخه وعلله سأل مسروق أم رومان وله خمس عشرة سنة ومات وله ثمان وسبعون سنة وهي أقدم من حدث عنه مسروق وقد صلى خلف أَبِي بكر وعمر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

وَقَالَ أَبُو نعيم الْحَافِظ: بقيت بعد رَسُول اللّه ﷺ دهرًا طويلًا فعلى هذا الحديث متصل.

وَقَالَ الخطيب: العجب من الحربي كيف خفي عليه استحالة سؤال مسروق لها مع علو قدره في العلم وأحسب العلة التي دخلت عليه اتصال السند وثقه رجاله ولم يتفكر فيما وراء ذلك فهي العلة التي دخلت على الْبُخَارِيّ حتى خرجه أما مسلم فلم يخرجه ورجاله على شرطه وأحسبه فطن لاستحالته فرده وقول الحربي سألها وله خمس عشرة سنة فعلى هذا كان له وقت وفاة رَسُول اللّه ﷺ بضع عشرة سنة فما الذي منعه أن يسمع من رَسُول اللّه ﷺ.

ولقد انتصر بعضهم للبخاري بأنه لما ذكر رواية علي بن زيد بن جدعان عن القاسم ماتت أم رومان زمن رَسُول اللّه ﷺ قَالَ فيه نظر أي: لضعف علي وانقطاع حديث القاسم وحديث مسروق أسند وَقَالَ أَيْضًا: الذي رواه ابن سعد أصله من الواقدي وفيه مقال ورد عليه بأن الحُمَيْدِيّ قَالَ كان بعض من لقينا من البغداديين الحفاظ يقولون الإرسال في هذا الحديث بين.

وَقَالَ الخطيب: وقع في كتاب فِي رِوَايَةِ رواه مسروق عن ابن مَسْعُود عن أم رومان قَالَ وهو الأشبه وكذا قاله ناصر السلامي.

وَقَالَ الخطيب: أَيْضًا الصواب أن يقرأ سئلت أم رومان على صيغة المجهول من الماضي وهذا أشبه بالصحة لأن من الناس من يكتب الهمزة ألفًا في جميع أحوالها في الرفع والنصب والخفض فلعل بعض النقلة كتب على صورة سألت بالألف ودون عليه ورواه.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: لا ينفعه هذا العذر لما جاء في حديث الإفك في المغازي قَالَ مسروق حدثتني أم رومان.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: إنه وهم فيه.

وَقَالَ الداوودي: فيه من الوهم أن أم مسطح من قريش وقالت ولجت علينا امرأة من الأنصار.

وَقَالَ الخطيب: الراوي عن شفيق عن مسروق هو حصين وحصين وقد اختلط في آخر عمره فلعله روى الحديث في حال اختلاطه قَالَ الخطيب أَيْضًا وفي رواية عن مسروق سألت أم رومان وهذا هو الأشبه بالصحة واللّه تَعَالَى أعلم.

عَمَّا قِيلَ فِيهَا مَا قِيلَ، قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عَائِشَةَ جَالِسَتَانِ، إِذْ وَلَجَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ[1]، وَهِيَ تَقُولُ: فَعَلَ اللَّهُ بِفُلانٍ وَفَعَلَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: لِمَ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ نَمَا

(عَمَّا قِيلَ فِيهَا) أي: في عَائِشَةَ جالستان إذ وجلت أي: دخلت.

(مَا قِيلَ) في الإفك، (قَالَتْ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عَائِشَةَ جَالِسَتَانِ، إِذْ وَلَجَتْ) أي: دخلت (عَلَيْنَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَهِيَ تَقُولُ: فَعَلَ اللَّهُ بِفُلانٍ وَفَعَلَ) أرادت الأنصارية المذكورة بفلان مسطحًا بكسر الميم وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي يكنى أبا عباد وَقَالَ أَبُو عمر اسمه عوف لا اختلاف فيه وغلب عليه مسطح وأمه سلمى بنت صخر بن عامر خالة أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللَّه عَنْهُ شهد مسطح بدرًا ومات سنة أربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين سنة وقد قيل إنه شهد صفين مع علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وهو الأكثر ولما خاض في الإفك[2] على عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا ونزلت براءتها جلده رَسُول اللَّه ﷺ فيمن جلد في ذلك وكان أَبُو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ينفق عليه لقرابته وفقره فتألّى أن لا ينفق عليه فنزلت: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ الآية فَقَالَ أَبُو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: واللَّه إني لأحبُّ أن يغفر اللَّه لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وَقَالَ واللَّه لا أنزعها عنه أبدًا.

(قَالَتْ: فَقُلْتُ: لِمَ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ نَمَا) بتشديد الميم من التنمية وهي رفع الخبر يقال نميت الحديث أنمية إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير فإذا بلغته

---

(1) قال القسطلاني: قوله إذ ولجت امرأة من الأنصار ولم تسم هذه المرأة قال في المقدمة: هي غير المرأة التي دخلت وبكت مع عائشة رضي اللَّه عنها قلت: فهذه، امرأة ثالثة غير أم مسطح وغير المرأة المذكورة في حديث أم رومان، ثم قال القسطلاني قوله: قالت ابني في من حدث الحديث قال الحافظ ابن حجر: والذين تكلموا في الإفك من الأنصار ممن عرفت أسماؤهم عبد اللَّه بن أبي وحسان بن ثابت ولم تكن أم واحد منهما موجودة إلا أن يكون لأحدهما أم من رضاع أو غيره، اهـ

(2) وذلك أنه ﷺ استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها فإذا عقد من جذع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحدًا فجلست كي يرجع إليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرّس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبها فعادها حتى أتيا الجيش فاتهمت.

ذِكْرَ الحَدِيثِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَيُّ حَدِيثٍ؟ فَأَخْبَرَتْهَا، قَالَتْ: فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، فَمَا أَفَاقَتْ إِلا وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ، فَجَاءَ النَّبِيّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا لِهَذِهِ؟» قُلْتُ: حُمَّى أَخَذَتْهَا مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ تُحُدِّثَ بِهِ، فَقَعَدَتْ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَئِنْ حَلَفْتُ لا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَذَرْتُ لا تَعْذِرُونِي، فَمَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ، فَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ، فَانْصَرَفَ النَّبِيّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَا أَنْزَلَ، فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ: بِحَمْدِ اللَّهِ لا بِحَمْدِ أَحَدٍ.

على وجه الإفساد والنميمة قلت نميته بالتشديد كذا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وابن قتيبة وغيرهما وَقَالَ الجرمي نمى مشددة وأكثر المحدثين يقولونها مخففة قَالَ ابن الأثير وهذا لا يجوز يعني ههنا وفي المطالع وفي رواية ذر بالتخفيف.

(**ذِكْرَ الحَدِيثِ**) ويروى: ذكر هذا الحديث.

(**فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَيُّ حَدِيثٍ؟ فَأَخْبَرَتْهَا، قَالَتْ**[1]: **فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، فَمَا أَفَاقَتْ إِلا وَعَلَيْهَا حُمَّى بِنَافِضٍ**) أي: ملتبسة بارتعاد والنافض من الحمى هي ذات الرعدة والنفض التحريك.

(**فَجَاءَ النَّبِيّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا لِهَذِهِ؟» قُلْتُ: حُمَّى أَخَذَتْهَا مِنْ أَجْلِ حَدِيثٍ**) وهو حديث إفك.

(**تُحُدِّثَ بِهِ**) على البناء للمفعول صفة حديث.

(**فَقَعَدَتْ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَئِنْ حَلَفْتُ لا تُصَدِّقُونِي، وَلَئِنِ اعْتَذَرْتُ لا تَعْذِرُونِي، فَمَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ**) أي: صفتي وصفتكم كصفة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث صبر صبرًا جميلًا.

(**فَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ، فَانْصَرَفَ النَّبِيّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَا أَنْزَلَ**) في براءة عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا وهو قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: 11] الآيات.

(**فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ: بِحَمْدِ اللَّهِ لا بِحَمْدِ أَحَدٍ**) روي أنه قَالَ لها النَّبِيّ ﷺ: «**يا عَائِشَة أما اللَّه فقد برأك**» فقالت أمها قومي إليه فقالت واللَّه لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا اللَّه عز وجل وهو معنى قولها بحمد اللَّه لا بحمد أحد.

---

(1) أي: عائشة رضي اللَّه عنها.

3389 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتِ قَوْلَهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ أَوْ كُذِّبُوا؟ ....

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قولها فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه وسيأتي في تفسير النور في سياق قصة الإفك عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا بلفظ فالتمست اسم يعقوب فلم أجده فقلت ما أجد لي ولك مثلًا إلا أبا يُوسُف.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أي: ابن سعد، (عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهريّ أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتِ) أي: أخبريني (قَوْلَهُ) تَعَالَى: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾[1] أَوْ كُذِّبُوا؟) [يُوسُف: 110] والآية في آخر سورة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام أي: لا يغررهم تمادي أيامهم أي: أيام الذين لم يؤمنوا برسول اللّه ﷺ فإن من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع واليأس القنوط ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ أي: كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الإيمان.

وقيل: الضمير للمرسل إليهم أي: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد.

وقيل: **الأول**: للمرسل إليهم، **والثاني**: للرسل أي: وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم.

وما روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم اللّه من النصر إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة أو أن المراد به المبالغة في التراخي والإمهال.

وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي: وظن الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم وقرئ في الشواذ بالتخفيف وبناء الفاعل أي: وظنوا أنهم قد كذبوا

(1) وكذبوا أي: أخبريني أن كذبوا بالتشديد أو بالتخفيف.

قَالَتْ: «بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ»، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ، وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ، فَقَالَتْ: «يَا عُرَيَّةُ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ»، قُلْتُ: فَلَعَلَّهَا أَوْ كُذِبُوا، قَالَتْ: «مَعَاذَ اللَّهِ، لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا،

فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له أثر ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ النَّبِيّ والمؤمنين وإنما لم يعيّنهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يُوسُف: 110] إذا نزل بهم وفيه بيان المشيئتين.

(**قَالَتْ: «بَلْ كَذَّبَهُمْ قَوْمُهُمْ»**) كأنه فهم عُرْوَة من ظاهر الكلام أن نسبة الظن بالتكذيب لا يليق في حق الرسل فقالت له عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا ليس كما زعمت بل معناه كذبهم قومهم في وعد العذاب.

(**فَقُلْتُ**): القائل هو عُرْوَة فكأنه أشكل عليه قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ لأنهم تيقنوا وما ظنوا فَقَالَ: (**وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ، وَمَا هُوَ بِالظَّنِّ**) فردت عليه عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا.

(**فَقَالَتْ: يَا عُرَيَّةُ**) بالتصغير ولكنه تصغير الشفقة والمحبة والدلال وليس تصغير التحقير وأصله عريوة فأعلت.

(**لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ**) أشارت بذلك إلى أن الظن هنا بمعنى اليقين كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: 118] أي: تيقنوا.

(**قُلْتُ: فَلَعَلَّهَا أَوْ كُذِبُوا، قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ، لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا**) أي: عاد عُرْوَة إليها فَقَالَ لعل الآية أو كذبوا بالتخفيف أي: من عند ربهم فقالت لا بل من جهة اتباعهم المصدقين أي: ظنَّ الرسل أن أتباعهم لم يكونوا صادقين في دعوى إيمانهم وقال العيني: على معنى وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم فأجابت عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا بقولها معاذ اللَّه لم يكن الرسل تظن ذلك بربها وأشارت بذلك إلى ما فهمه عُرْوَة منه. وما فهمه عُرْوَة هو ما روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم اللَّه من النصر وقد عرفت آنفًا أنه محمول على أن المراد بالظن ما يهجس

وَأَمَّا هَذِهِ الآيَةُ، قَالَتْ: هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ، وَطَالَ عَلَيْهِمُ البَلاءُ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ، حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَتْ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ، جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «﴿اسْتَيْأَسُوا﴾ افْتَعَلُوا، مِنْ يَئِسْتُ ﴿مِنْهُ﴾ [يوسف: 80] مِنْ يُوسُفَ، ﴿وَلَا تَايْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: 87] مَعْنَاهُ الرَّجَاءُ»[1].

في القلب على طريق الوسوسة أو أن المراد المبالغة في التراخي والإمهال.

(**وَأَمَّا هَذِهِ الآيَةُ، قَالَتْ: هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ، وَطَالَ عَلَيْهِمُ البَلاءُ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ، حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَتْ**) أي: الرسل.

(**مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ كَذَّبُوهُمْ**) بتخفيف الذال أي: في دعوى الإيمان ويحتمل التشديد أي: ظنوا أنهم قد كذبوا أخيرًا من المصدقين أولًا.

(**جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ**) وجواب أما محذوف أي: فالمراد من الظانين في الآية هم أتباع الرسل لأن عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا قالت إلى آخره والحاصل أن عُرْوَة لما قَالَ لعلها أو كذبوا أي: من عند ربهم ردت عليه عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا بقوله معاذ اللّه بل جهة أتباعهم المصدقين فأرادت عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا أنهم استيقنوا الكذب أو التكذيب أخيرًا من المصدقين أولًا ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن هذه الآية ذكرت في سورة يُوسُف بعد ذكر قصته واللّه تَعَالَى أعلم.

(**قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ**) هو الْبُخَارِيّ نفسه.

(**﴿اسْتَيْأَسُوا﴾ افْتَعَلُوا، مِنْ يَئِسْتُ ﴿مِنْهُ﴾**) أي: (**مِنْ يُوسُفَ**) هكذا في كثير من النسخ افتعلوا وفي بعضها استفعلوا فعلى الأول يكون المقصود بيان المعنى وأن الطلب ليس مقصودًا فيه بل السين فيه للمبالغة لا بيان الوزن.

(**﴿وَلَا تَايْئَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ مَعْنَاهُ الرَّجَاءُ**) أشار بهذا إلى أن الروح فِي قَوْلِهِ

---

(1) قال الرازي في تفسيره: قرأ عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف وكسر الذال والباقون بالتشديد، ومعنى التخفيف من وجهين:

أحدهما: أن الظن واقع بالقوم، أي: حتى إذا استيأس الرسل من إيمان القوم، وظن القوم أن الرسل كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر، فإن قيل لم يجر فيما سبق ذكر المرسل إليهم، =

تَعَالَى: ﴿وَلَا تَاْيْـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: 87] بمعنى الرجاء وعن قَتَادَة أي: لا تيأسوا من رحمة اللّه كذا رواه ابن أَبِي حاتم من طريق سَعِيد بن بشير عنه.

= قلنا ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم، والظن ههنا بمعنى التوهم والحسبان.

والوجه الثاني: أن يكون المعنى: أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا فيما وعدوا، وهذا التأويل منقول عن ابن مليكة عن ابن عباس، وإنما كان الأمر كذلك لأجل ضعف البشرية، لا أنه بعيد لأن المؤمن لا يجوز أن يظن باللّه الكذب، بل يخرج بذلك عن الإيمان، فكيف يجوز مثله على الرسل؟

وأما قراءة التشديد ففيها وجهان: **الأول**: أن الظن بمعنى اليقين، أي: وأيقنوا أن الأمم كذبوهم تكذيبًا لا يصدر منهم الإيمان بعد ذلك، وورود الظن بمعنى العلم كثير في القرآن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أي: يتيقنون ذلك، **والثاني**: أن يكون الظن بمعنى الحسبان، والتقدير: (حتى إذا استيأس الرسل) من إيمان قومهم، فظن الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم، وهذا التأويل منقول عن عائشة رضي اللّه عنه وهو أحسن الوجوه المذكورة في الآية، انتهى مختصرًا. وكتب مولانا محمد حسن المكي قوله: قد كذبوا معناه على تقدير عائشة قربوا إلى أن يكذبوا لأن التكذيب بالفعل لم يقع، وهو مخفف عندنا، فمعناه ظن الأتباع أن الرسل قد كذبوا (جهولى وعدى ديئى كئى) فإن قلت: ظن الكذب على اللّه كفر فكيف يبقون معه المؤمنين؟ قال قدس سره: ذلك الظن كان معافا منهم لعدم إصرارهم عليه، اهـ.

وفي تقريره الآخر قوله: (بل كذبهم قومهم) اعلم أن في كذبوا نسبة الكذب إلى الرسل من جانب القوم وفي كذبوا (بالتخفيف) نسبة الكذب إلى اللّه تعالى عنه علوًّا كبيرًا، لأن معنى كذبوا كذبوا فيما وعدوا بالنصرة من جانب اللّه تعالى، (وما هو بالظن) فلو كان كذبوا لوجب أن يقول استيقنوا مكان ظنوا (بذلك) أي: بتكذيب القوم لهم (فلعلها) يعني إذا استيقنوا فلعلها، (أو كذبوا) لا كذبوا لما مر آنفًا (قالت معاذ اللّه) كانت عائشة لم تتم جوابها لعروة حتى جعل عروة أعاد اعتراضه عليها في وسط جوابها، يعني أن عائشة لما تلفظت ببعض الجواب استعجل عروة ولم يتركها إلى إتمام الجواب، فأعاد اعتراضه عليها، وقال فلعلها أو كذبوا، فغضبت عائشة وقالت معاذ اللّه، لو كان كذبوا كما تقول يلزم أن تكون الرسل تظن الكذب بربها، وهذا باطل بالضرورة، ثم شرعت في تفصيل جوابها فقالت (وأما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل) حاصله أنه ليس المكذبين ههنا القوم الكافرين حتى تقول: إن المناسب حينئذ أن يقال استيقنوا مكان ظنوا، بل المكذبون هم أتباع الرسل، وحينئذ استقام قوله ظنوا، فحاصل المعنى حتى إذا استيأس الرسل من الكافرين، وظنوا أنهم قد كذبوا من جهة أتباعهم المؤمنين أيضًا جاءهم نصر اللّه، فعلى هذا لا يصح أن يقال كذبوا، بل الواجب أن يقال كذبوا لأن الأتباع هم المكذبون، والقراءة عندنا كذبوا بالتخفيف، والضمير في قوله ظنوا يرجع إلى الأتباع لا إلى الرسل، وفي قوله إنهم يرجع إلى الرسل، وكلتا القراءتين متواترتان (إذا استيأسوا) هذه آية سورة يوسف غير الآية المذكورة، انتهى مختصرًا.

3390 - أَخْبَرَنِي عَبْدَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ».

20 ـ باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: 83]

(أَخْبَرَنِي عَبْدَةُ) بفتح المهملة وسكون الموحدة هو ابن عَبْد اللّه أَبُو سهل الصغار الخزاعي البَصْريّ مات بالأهواز سنة ثمان وخمسين ومائتين وهو من أفراده قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ) أي: ابن عبد الوارث البَصْريّ، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) أي: ابن عَبْد اللَّه، (عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) وقد مر الحديث عن قريب.

20 ـ باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: 83]

(باب قَوْلِ اللَّهِ) عز وجل: (﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾) والآية في آخر سورة الْأَنْبِيَاء قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ عطف على ما قبله داود وسليمان أي: واذكر أيوب وهو اسم أعجمي لا ينصرف للعجمية والعلمية ذكره اللّه في القرآن في خمسة مواضع واختلفوا في نسبه فقيل أيوب بن أموص بن رازخ بن روم بن عيصو بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم نقل هذا عن كعب وابن إِسْحَاق.

وقيل: أيوب بن أموص بن زيرح بن رغويل بن عيصو.

وقيل: أيوب بن ساري ابن زغوال بن عيصو والمشهور هو الأول[1] وقيل:

---

(1) وقال ابن إسحاق الصحيح أنّه كان من بني اسرائيل ولم يصح في نسبه شيء إلا أنَّ اسم أبيه آمص.

كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم ألقي في النار. وكانت أمه من ولد لوط بن هاران.

وَقَالَ ابن الجوزي: وأمه بنت لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان أيوب في زمن يعقوب وتزوج ابنة يعقوب واسمها رحمة.

وقيل: دنيا وقيل: ليا.

وقيل: إنما تزوج أيوب رحمة بنت ميشا بن يُوسُف بن يعقوب. وقيل بنت بنت أفرايم بن يُوسُف وأفاد ابن خالويه أنه يقال لها أم زيد وذكر ابن الجوزي في التبصرة أنه كان في زمن يعقوب ولكن لم يكن نبيًّا في زمانه ونبئ بعد يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: كان بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأَنْبِيَاء: 83] أي: بأني مَسَّنِيَ الضُّرُّ[1] ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

قَالَ الزمخشري: كان أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ روميا من ولد إِسْحَاق ابن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وقد استنبأه اللّه وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان[2] يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل هذا.

وروى عن مقاتل أنه[3] وكان كثير الضيافة على مذهب إِبْرَاهِيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان يكفل الأرامل واليتامى ويحمل المنقطعين وما كان يشبعُ حتى يشبع الجائع ولا يكتسي حتى يكسو العاري فابتلاه اللّه تَعَالَى بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه حتى أكل الدود جميع جسده ثم أراد الرب إلى قلبه وأخرج ابن أَبِي حاتم وابن جرير وابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزُّهْرِيّ عن أنس أن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد.

(1) والضرُّ بالضم: الضرر في النفس من هزال ومرض، وبالفتح: الضرر في كل شيء فرقًا بين البناءين لافتراق المعنيين.

(2) الفدان هي البقرة التي تحرث.

(3) كان له ثلاثة عشر ولدًا.

وروى أحمد بن وهب عن عمر عَبْد اللّه بن وهب إنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا أن أيوب مكث في بلائه ثماني عشرة سنة.

وعن خالد بن دريد أصابه البلاء على رأسي ثمانين سنة من عمره.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مكث في البلاء سبع سنين وكان أصابه بعد السبعين من عمره، وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

وَقَالَ الحسن: مكث أيوب مطروحًا على كناسة ومزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا. وروي أنه تأخرت زوجته عنه فلم يبق من ينظر في أمره.

وَقَالَ الحسن: أتى إبليس امرأته بسخلة فَقَالَ قولي له ليذبحها حتى يبرأ فجاءت وحكت بذلك فَقَالَ كدت أن تهلكيني لئن فرج اللّه عني لأجلدنك مائة تأمرني أن أذبح لغير اللّه ثم طردها عنه وبقي وحيدًا ليس له معين فَقَالَ مسني الضر. وذكر في سبب بلائه أن رجلًا استغاثه على ظالم فلم يغثه.

وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يعزه ويقال إنَّهُ سأله امتحانًا لصبره فامتحن.

وقيل: أعجب بكثرة ماله وأهله ثم إنه لما ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وصف ربه بغاية الرحمة واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفًا في السؤال وتأدبًا مع ربه وذلك كما يحكى عن عجوز تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان(1) بيتي على العصيّ فَقَالَ لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبًّا وقد روى أن امرأته ماخير بنت ميشا ابن يُوسُف أو رحمة بنت أفرايم بن يُوسُف أو ليا بنت يعقوب قالت له يومًا لو دعوت اللّه فَقَالَ كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت ثمانين سنة فَقَالَ أستحي من اللّه أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ﴾ بالشفاء من مرضه ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ [الْأَنْبِيَاء: 84] بأن أحيى ولده ورزقه

(1) جرذان: الجرذ ضرب من الفأر والجمع: جرذان أي: مشت لهزالها على العصي.

﴿ارْكُضْ﴾ [ص: 42]: اضْرِبْ، ﴿يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبياء: 12]: يَعْدُونَ.

مثلهم ونوافل منهم روي أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنًا ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: 84] ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة أو لرحمتنا العابدين وإنا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم.

وَقَالَ الطَّبَرِيّ وابن الجوزي كان عمره حين مات ثلاثًا وتسعين سنة وقيل عاش مائة وستًّا وأربعين سنة ودفن في الموضع الذي ذهب فيه بلاؤه وهو بالبثنية بالشام وقبره ظاهر بها.

(﴿ارْكُضْ﴾ اضْرِبْ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: 42] حكاية لما أجيب به.

قَالَ أَبُو حيان: في الكلام حذف تقديره فاستجبنا له وقلنا: اركض برجلك فركض أي: اضرب برجلك الأرض فضرب فنبعت عين فقلنا له: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42] أي: تغتسل وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك.

وقيل: نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى روي أنه لما أمره اللّه بذلك ركض برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل فيها فلم يبق عليه شيء من الداء وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان عليه ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحًا وكسي حلة.

وَقَالَ السُّدِّيّ: جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بحلة من الجنة فألبسها فإن قيل كان يكفيه ركضة واحدة.

فالجواب: أن الركضة الأولى لزوال الضرر والثانية دليل الفرج والطرب بالعافية بشر به منها وإنما خص الرجل بالركض لأن العادة جارية بأن ينبع الماء من تحت رجل الرجل فكان ذلك معجزة له.

(﴿يَرْكُضُونَ﴾ يَعْدُونَ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي: فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: 12] يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم من فرط إسراعهم.

وقد فسره الْبُخَارِيّ بقوله يعدون ووجه ذكره هنا كون اركض ويركضون من مادة واحدة.

3391 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

(حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ) بضم الجيم وسكون المهملة وبالفاء قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا) نصب على الحال.

(خَرَّ) أي: سقط (عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ) بكسر الراء وسكون الجيم هو جماعة الجراد ولهذا أضيف إليه كما يقال سرب من الظباء وعانة من حمر الوحوش وهو من أسماء الجماعات التي لا واحد لها من لفظها.

(مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي) بالثاء المثلثة أي: يأخذ بيديه جميعًا (فِي ثَوْبِهِ) وفي رواية بشير بن نهيك يلتقط وروى ابن أَبِي حاتم من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فجعل أيوب ينشر طرف ثوبه فيأخذ الجراد فيجعله فيه فكلما امتلأت ناحية نشر ناحية.

(فَنَادَى رَبُّهُ) يحتمل أن يكون بواسطة أو بلا واسطة أو بإلهام.

(يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لا غِنَى) بكسر الغين المعجمة مقصور بلا تنوين وخبر لا يجوز أن يكون قوله: (لِي) ويجوز أن يكون قوله: مِنْ بَرَكَتِكَ ويروى: (عَنْ بَرَكَتِكَ) ويروى: من فضلك.

وفي رواية بشير بن نهيك: ومن الشبع من رحمتك وَقَالَ وهب: تطاير الجراد من الماء الذي اغتسل فيه(1).

---

(1) وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه، وفيه تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة، وفيه فضل الغني الشاكر واستنبط منه الخطابي جواز أخذ النثار وأنَّ من نثر عليه دراهم أو نحوها فانه أحقُّ بما نثر عليه، وتعقبه ابن التين فقال: ليس كما ذكره لأنه خصَّ اللّه به نبيّه أيوب. وذلك شيء من فعل الآدمي فيكره فعله لأنه من السرف، وينازع في كونه خاصًّا وبأنه جاء من الشارع فلا سرف فيه أخذها لنفسه وإن شاء جعلها لغيره.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: لم يثبت عند الْبُخَارِيّ في قصة أيوب شيء فاكتفى بهذا الحديث الذي على شرطه وأصح ما ورد في قصته ما أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم وابن جرير وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزُّهْرِيّ عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان فَقَالَ أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبا عظيمًا وإلا لكشف عنه هذا البلاء فذكره الآخر لأيوب فحزن ودعا اللّه حينئذ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه فأوحى اللّه إليه أن اركض برجلك فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحًا فجاءت امرأته فلم تعرفه فسألته عن أيوب فَقَالَ: إني أنا هو وكان له أندران أحدهما للقمح والآخر للشعير، فبعث اللّه له سحابة فأفرغت في أندار القمح الذهب حتى فاض وفي أندار الشعير الفضة حتى فاض.

وروى ابن أَبِي حاتم نحوه من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وفيه: فكساه اللّه حلة من حلل الجنة فجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عَبْد اللّه هل أبصرت المبتلى الذي كان هنا فلعل الذئاب ذهبت به قَالَ: ويحك أنا هو.

روى ابن أَبِي حاتم من طريق عَبْد اللّه بن عبيد بن عمير نحو حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ وفي آخره قَالَ فسجد وَقَالَ وعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني فكشف عنه.

وعن الضحاك عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا رد اللّه على امرأته شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكرا.

وذكر وهب بن منبه ومحمد بن إِسْحَاق في المبتدأ قصة مطولة جدًّا وحاصلها أنه كان يجوز أن وله البثنية بسهلها وجبلها وله أهل ومال كثير وولد فسلب ذلك شَيْئًا فشيئا وهو يصبر ويحتسب ثم ابتلي في جسده بأنواع

من البلاء حتى ألقي خارجًا من البلاد ورفضه الناس إلا امرأته فبلغ من أمرها أنها تخدم بالأجرة وتطعمه إلى أن تجنبها الناس خشية العدوى فباعت إحدى ضفيرتيها من بعض بنات الأشراف وكانت طويلة حسنة فاشترت له طعامًا فلما أحضرته له حلف أن لا يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك فكشفت عن رأسها فاشتد حزنه وَقَالَ حينئذ رب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83] فعافاه اللّه تَعَالَى.

وروى ابن أَبِي حاتم عن مجاهد أن أيوب أول من أصابه الجدري ومن طريق الحسن أن إبليس أتى امرأته فَقَالَ لها إن أكل أيوب ولم يسم عوفي فعرضت ذلك على أيوب فحلف ليضربنها مائة فلما عوفي أمره اللّه تَعَالَى أن يأخذ عرجونًا فيه مائة شمراخ فيضربها ضربة واحدة.

وقيل: بل قعد إبليس على الطريق في صورة طبيب فَقَالَ إذا داويته فَقَالَ أنت شفيتني قنعت بذلك فعرضت عليه فغضب فكان ما كان ذكره.

وقد ذكر أنه قد اختلف في مدة بلائه فقيل ما تقدم وقيل ثلاث سنين وهذا قول وهب وعن الحسن وقتادة سبع سنين وقد تقدم(1) والصحيح ما تقدم أنه لبث ثلاث عشرة سنة.

وروى الطَّبَرِيّ أن مدة عمره كانت ثلاثًا وتسعين سنة فعلى هذا يكون عاش بعد أن عوفي عشر سنين واللّه أعلم.

والحديث قد مر في الطهارة في باب من اغتسل عريانًا.

ومطابقته للترجمة من حيث أن عقيب قوله ربّه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ جاءه الوحي بقوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ﴾ فركض فنبع الماء فاغتسل وهو عريان فنزل عليه رجل جراد.

(1) وقيل: إن امرأته قالت له ألا تدعو اللّه ليعافيك قال قد عشتُ صحيحًا سبعين سنة أفلا أصبر سبع سنين.

21 ـ باب

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ **كَلَّمَهُ** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ **[مريم: 51-53]**

21 ـ باب

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ **كَلَّمَهُ** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ **[مريم: 51-53]**

(باب) قولِ اللَّهِ تَعَالَى: (﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿نَجِيًّا﴾) كذا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ وأما فِي رِوَايَةِ كريمة فقد ساق إلى قوله: ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ والآيات في سورة مريم قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: في القرآن ﴿مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام أي: موحدًا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله أو أخلص نفسه عما سواه ولم يدنسه وقرأ الكوفيون بفتح اللام على أن اللّه أخلصه وجعله خالصًا من الدنس مختار ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 51] أرسله اللّه إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولًا مع أنه أخص وأعلى ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ أي: دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: 52] أي: من ناحية اليمنى من اليمن وهي التي تلي يمين مُوسَى أو من جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة والطور جبل بين مصر ومدين ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته ﴿نَجِيًّا﴾ مناجيًا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعًا من النجاة وهو الارتفاع لما روي أنه رفع فوق السماوات حتى سمع صرير القلم (﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾) [مريم: 53] أي: من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا فعلى الأول قوله أخاه مفعول وهبنا وعلى الثاني بدل أي: وهبناه له معاضدة أخيه ومؤازرته أجابه لدعوته ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ﴾ وكان أسن من مُوسَى بثلاث سنين هارون عطف بيان لأخاه نبيًّا حال منه.

قَالَ مقاتل: ذكر اللّه مُوسَى في القرآن في مائة وثمانية عشر موضعًا وذكر

يُقَالُ لِلْوَاحِدِ وَلِلاثْنَيْنِ وَالجَمِيعِ نَجِيٌّ، وَيُقَالُ: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80] اعْتَزَلُوا: نَجِيًّا، وَالجَمِيعُ أَنْجِيَةٌ يَتَنَاجَوْنَ ....

أخاه هارون في أحد عشر موضعًا وموسى على وزن فعلى من الموسى وهو حلق الشعر والميم أصلية وَقَالَ الليث اشتقاقه من الماء والشجر فمو ماء وسى شجر اعتبار بحال التابوت والماء وهو عبراني عرب وقيل هو على وزن مفعل من أوسيت. وهو ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم الخليل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وذكر بعضهم عاذر بعد قاهث.

ونكح عمران تجيب بنت أشمويل بن بركيا بن يفسان بن إِبْرَاهِيم فولدت له هارون وموسى عليهما السلام. وقيل: اسم أمهما أناجيا.

وقيل: أباذخت وَقَالَ السهيلي أباذخا وَقَالَ ابن إِسْحَاق تجيب وَقَالَ الثعلبي يوخايذ وهو المشهور وولد مُوسَى وقد مضى من عمران سبعون سنة وجميع عمر عمران مائة وسبع وثلاثون سنة والله أعلم.

﴿وَقَرَّبْنَهُ نَجِيًّا﴾ كلمه فسره بقوله كلمه يعني يقال قربه نجيًّا أي: كلمه مناجيًا.

(يُقَالُ لِلْوَاحِدِ وَلِلاثْنَيْنِ وَالجَمِيعِ) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ.

وفي رواية غيره: سقط قوله والجميع.

(نَجِيٌّ، وَيُقَالُ: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ اعْتَزَلُوا: نَجِيًّا، وَالجَمِيعُ أَنْجِيَةٌ يَتَنَاجَوْنَ) النجي بفتح النون وكسر الجيم وتشديد الياء قَالَ ابن الأثير هو المناجي وهو المخاطب للإنسان المحدث له.

وذكر الْبُخَارِيّ: أنه يقال للواحد نجي وللاثنين نجي وللجمع نجي وفي المطالع يقال رجل نجي ورجال نجي.

وفسر الْبُخَارِيّ ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يُوسُف: 80] بقوله اعتزلوا نجيًّا أي: فلما يئسوا من يُوسُف اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيًّا أي: فوجا نجيًّا أي: مناجيًا بعضهم بعضًا أو انفردوا متناجين فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم وذكر الْبُخَارِيّ هذا تأكيدًا لما قبله من أن النجي يطلق على الجمع لأن نجيا في الآية بمعنى مناجين ونصبه على الحال.

﴿تَلۡقَفُ﴾ [الأعراف: 117]: تلقّمُ.

وَقَالَ الزمخشري: النجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: 52]. وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه.

ومنه قيل قوم نجي كما قيل هم صديق لأنه بزنة المصادر. ثم قوله والجمع أنجية أراد به أن النجي إذا أريد به المفرد فقط يكون جمعه أنجية، وقوله يتناجون أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المجادلة: 8] الآية نزلت في اليهود وكانت بينهم وبين النَّبِيّ ﷺ موادعة فإذا مر بهم رجل من أصحاب النَّبِيّ ﷺ جلسوا يتناجون فيما بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره فيترك الطريق عليهم من المخافة فبلغ ذلك النَّبِيّ ﷺ فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فعادوا إلى النجوى فأنزل اللّه هذه الآية ثم إنه ذكر السُّدِّيّ في تفسيره بأسانيده أن بدء أمر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن فرعون رأى كأن نارًا أقبلت من بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط إلا دور بني إسرائيل فلما استيقظ جمع الكهنة والسحرة فقالوا هذا غلام من هؤلاء يكون خراب مصر على يده فأمر بقتل الغلمان فلما ولد مُوسَى أوحى اللّه إلى أمه أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم قالوا فكانت ترضعه فإذا خافت شَيْئًا جعلته في تابوت وألقته في البحر وجعلت الحبل عندها فنسيت الحبل يوما فجرى به النيل حتى وقف على باب فرعون فالتقطه الجواري فأحضروه عند امرأته ففتحت التابوت فرأته فأعجبها فاستوهبته من فرعون فوهبه لها تربية حتى كان من أمره ما كان[1] (﴿تَلۡقَفُ﴾: **تلقّمُ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ

(1) وفي الكشاف روي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليدٍ وروي أنَّ أمه حين قربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها.
فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبًّا ما وجدتُ مثله فاحفظيه فلمَّا خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنُّور مسجور لم تعلم ما تصنع لمَّا طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئًا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل اللّه النار عليه بردًا وسلامًا فلما ألحَّ فرعون في طلب الولدان أوحى اللّه إليها فألقيه في اليمّ وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر =

22 ـ باب ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28]

3392 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، سَمِعْتُ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، ....

تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧﴾ [الأعراف: 117] وفسره بقوله تلقم وكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ في سورة الأعراف روي أنه ألقى عصاه فصارت حية فإذا هي تلقف ما يأفكون أي: ما يزورونه من الإفك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ولما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها مُوسَى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا.

22 ـ باب ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28]

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أي: ابن سعد (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ أنه قَالَ: (سَمِعْتُ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ) أي: من غار حراء (إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى وَرَقَةَ) بفتح الواو والراء والقاف (ابْنِ نَوْفَلٍ،

= وجعلته في تابوت من بردى مطلي بالقار من داخله فألقته في اليمّ، وروي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسيا فرأت في جوف التابوت نورًا فعالجته ففتحته فإذا بصبيٍّ نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنًا فأحبّته وكانت لفرعون بنت برصاء وقال له الأطباء: لا تبرأ إلا من قبل البحري وجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقهُ فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرئت. وقيل لمَّا نظرت إلى وجهه برئت فقالت: إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه. فقال الغُواة من قومه: هو الصبي الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهمَّ بذلك فقالت آسيا: قرة عين لي ولك، فقال فرعون لك لا لي. وروي في حديث لو قال: هو قرة عين لي كما هو لك لهداه اللّه كما هداها ولأسلم كما أسلمت وهذا على سبيل الفرض والتقدير؛ أي: لو كان غير مطبوع على قلبه كآسيا لقال مثل قولها هذا تأويله إن صح، وروي أنها قالت له: لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل فكان من أمرها ما كان.

وَكَانَ رَجُلًا تَنَصَّرَ، يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ بِالعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ وَرَقَةُ: مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا».

النَّامُوسُ: صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي يُطْلِعُهُ بِمَا يَسْتُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ».

23 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 9 ـ 12]

وَكَانَ رَجُلًا تَنَصَّرَ، يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ بِالعَرَبِيَّةِ، فَقَالَ وَرَقَةُ: مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا) بتشديد الزاي من الأزر وهو القوة أي: قويًّا بليغًا.

(**النَّامُوسُ: صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي يُطْلِعُهُ بِمَا يَسْتُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ**) وهذا من قول المصنف وقد يقدم قول من خصه بسر الخير في أول الكتاب وقد مر هناك الحديث أَيْضًا مطولًا وقد مر الكلام فيه مستوفى ومطابقته للترجمة ظاهرة.

23 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: 9 ـ 12]

(**باب قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**) وقد سقط لفظ باب عند أَبِي ذَرٍّ وكريمة.

(﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾) والآية في سورة طه قال اللَّه تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩﴾ [طه: 9] استفهام بمعنى التقرير أي: قد أتاك ففي تمهيد نبوته ﷺ قصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليؤتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فإن هذه السورة من أوائل ما نزل: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾ [طه: 10] ظرف للحديث لأن حدث أو مفعول لا ذكر وعن وهب استأذن مُوسَى شعيبًا عليهما السلام في الرجوع إلى أمه وخرج بأهله من مدين إلى مصر فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة فحاد مُوسَى عن الطريق مخافة

من ملوك الشام فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي وتفرقت ماشيته وقدح النار فلم تورَ لمقدحه شَيْئًا فبينا هو في مزاولة ذلك أبصر نارًا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أي: قَالَ مُوسَى لزوجته ومن معها أقيموا مكانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أي: أبصرتها إبصارًا لا شبهة فيه.

وقيل: الإيناس إبصار ما يؤنس به ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا﴾ أي: من النار ﴿بِقَبَسٍ﴾ بشعلة من النار والقبس النار المقتبسة في رأس عودا أو فتيلة أو غيرهما وقيل جمرة ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: 10] أي: هاديًا يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعنّ لهم ولما كان حصولهما مترقبًا بنى الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان متحققًا ولذلك حققه لهم بأن ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار لأن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قَالَ سيبويه في مررت بزيد أنه لصوق بمكان يقرب منه ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ [طه: 11] أي: أتى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ النار رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورًا عظيمًا فخاف فألقيت عليه السكينة وكانت الشجرة عوسجة وروي: كلما دنا أو بعد لم يختلف ما كان يسمع منه الصوت وعن ابن إسحاق أنه لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كُلّم و﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [سورة طه: 11، 12] فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي: بأني وكسر الباقون بإضمار القول أو إجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق.

قيل: إنه لما نودي قَالَ من المتكلم؟ قَالَ إني أنا اللّه فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فَقَالَ أنا عرفت أنه كلام اللّه فإني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء وهو إشارة إلى أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ تلقى من ربه كلامه تلقيًا روحانيًّا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتعش به من غير اختصاص بعضو ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أمره بذلك لأن الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين.

وقيل: لأنهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ فخلع مُوسَى نعليه

﴿ءَانَسْتُ﴾ : أَبْصَرْتُ، ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه : 10] الآيَةَ».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ المُقَدَّسُ: «المُبَارَكُ»، ﴿طُوًى﴾ : «اسْمُ الوَادِي»،

وألقاهما من وراء الوادي.

وقيل: معناه فرغ قلبك من الأهل والمال ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [طه: 12] تعليل للأمر باحترام البقعة.

والمقدس: المطهر من الشرك قَالَ الحسن سمي الوادي المقدس لأنه قدس وبرّك مرتين. وقيل: المقدس المبارك.

﴿طُوًى﴾ عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان.

وقيل: هو كثني من الطي مصدر لنودي أو المقدس أو نودي نداءين أو قدس مرتين وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: طوى اسم الوادي وإنما سمي الوادي طوى لأنه قد طواها الْأَنْبِيَاء إلى مسيرهم فيها. ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وإنا اخترناك.

(﴿ءَانَسْتُ﴾ : أَبْصَرْتُ) يعني أن معنى آنست أبصرت من الإيناس وهو الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء والإنس بظهورهم.

وقيل: الإيناس إبصار ما يؤنس به.

(قَالَ ابْن عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (المُقَدَّسُ: «المُبَارَكُ»، ﴿طُوًى﴾ : «اسْمُ الوَادِي») وقع هذا من قول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا إلى آخر ما ذكر من تفسير الألفاظ المذكورة فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عن المستملي وَالْكُشْمِيهَنِيّ خاصة ولم يذكره جميع رواة الْبُخَارِيّ هنا وإنما ذكروا بعضه في تفسير سورة طه.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وذكر أمثال هذا في هذا الكتاب اشتغال بما لا يعنيه وقول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا هذا وصله ابن أَبِي حاتم من طريق علي بن أَبِي طلحة عنه وروى هو والطبري من وجه آخر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أنه سمي طوى لأن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ طواه ليلًا قَالَ الطَّبَرِيّ فعلى هذا فالمعنى إنك بالواد المقدس طويته وهو مصدر أخرج من غير لفظه كأنه قَالَ طويت الوادي المقدس طوى وعن سَعِيد بن جُبَيْر قَالَ قيل طوى أي: طأ الأرض حافيًا.

وروى الطَّبَرِيّ عن مجاهد مثله وعن عِكْرِمَة أي: طأ الوادي ومن وجه آخر

﴿سِيرَتَهَا﴾ [طه: 21]: «حَالَتَهَا وَ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: 54]: التُّقَى»، ﴿بِمَلْكِنَا﴾ [طه: 87]: «بِأَمْرِنَا»،

عنه عَنِ ابْن عَبَّاس رضي اللّه عنهما كذلك وروى ابن أَبِي حاتم من طريق مبشر بن عبيد والطبري من طريق الحسن قَالَ قيل له طوى لأنه قدس مرتين وَقَالَ الطَّبَرِيّ وَقَالَ آخرون معنى قوله طوى أي: ثنى أي: ناداه ربه مرتين إنك بالوادي المقدس.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ومن جعل طوى اسم أرض لم ينونه ومن جعله اسم الوادي صرفه ومن جعله مصدرًا بمعنى نودي مرتين صرفه تقول ناديته ثنى وطوى أي: مرة بعد مرة.

(﴿سِيرَتَهَا﴾ **حَالَتَهَا**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: 21] وفسر السيرة بالحالة ووصله ابن أَبِي حاتم من طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ يقول حالتها الأولى ورواه ابن جرير كذلك ومن طريق مجاهد وقتادة سيرتها هيئتها.

(وَ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾: **التُّقَى**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: 54] وفسر النهى بالتقى ووصله الطَّبَرِيّ من طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: 128] قَالَ لأولي التقى ومن طريق سَعِيد عن قَتَادَة لأولي النهى لأولي الورع.

وَقَالَ الطَّبَرِيّ: خص أولي النهى لأنهم أهل التفكر والاعتبار.

(﴿بِمَلْكِنَا﴾ «**بِأَمْرِنَا**») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ [طه: 87] وفسره بقوله بأمرنا ووصله ابن أَبِي حاتم والطبري من طريق علي ابن أبي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ (1) أي: بطاقتنا وكذا قَالَ السُّدِّيّ ومن طريق ابن زيد بهوانا واختلف القراء في ميم ملكنا فقرؤوا بالضم والفتح والكسر ويمكن تخريج هذه التأويلات على هذه القراءات.

---

(1) بملكنا يقول بأمرنا ومن طريق سعيد عن قتادة بملكنا.

﴿هَوَىٰ﴾ [طه: 81]: «شَقِيَ»، ﴿فَٰرِغًا﴾ [القصص: 10]: «إِلا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى»، ﴿رِدْءًا﴾ [القصص: 34]: «كَيْ يُصَدِّقَنِي، وَيُقَالُ: مُغِيثًا أَوْ مُعِينًا، يَبْطُشُ وَيَبْطِشُ»،

(﴿هَوَىٰ﴾ «شَقِيَ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: 81] وفسره بقوله شقي وكلاهما ماضيان وصله ابن أَبِي حاتم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ قَالَ يعني شقي وكذا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيّ.

(﴿فَٰرِغًا﴾ «إِلا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ ثم فسره بقوله إلا من ذكر مُوسَى يعني لم يخل قلبها عن ذكره وصله سَعِيد بن عبد الرحمن المخزومي فِي تفسير ابن عيينة من طريق عِكْرِمَة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ [القصص: 10] قَالَ من كل إلا من ذكر مُوسَى وأخرج الطَّبَرِيّ من طريق سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا نحوه ومن طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فارغًا إلا بذكر مُوسَى ومن طريق مجاهد وقتادة نحوه ومن طريق الحسن البَصْرِيّ أصبح فارغًا من العهد الذي عهد إليها أنه سيرد عليها وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٰرِغًا﴾ أي: من الحزن لعلمها أنه لم يغرق ورد ذلك الطَّبَرِيّ وَقَالَ إنه مخالف لجميع أقوال أهل التأويل.

(﴿رِدْءًا﴾ كَيْ يُصَدِّقَنِي) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: 34] ثم أشار إلى أن التقدير فِي قَوْلِهِ يصدقني كي يصدقني وصله ابن أَبِي حاتم عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وروى الطَّبَرِيّ من طريق السُّدِّيّ قَالَ كيما يصدقني ومن طريق مجاهد وقتادة ردءًا أي: عونًا.

(وَيُقَالُ: مُغِيثًا أَوْ مُعِينًا) أي: يقال فِي تفسير ردءًا مغيثًا بالغين المعجمة والثاء المثلثة من الإغاثة أو معينًا بالمهملة والنون من الإعانة وهي المساعدة قَالَ أَبُو عبيدة فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أي: معينًا يقال فيه أردأت فلانًا على عدوه أي: أكنفته وأعنته وصرت له كنفًا.

(يَبْطُشُ وَيَبْطِشُ) أشار به إلى أن لفظ يبطش لغتان إحداهما كسر الطاء وهي قراءة السبعة والأخرى ضمها وهي قراءة أَبِي جعفر والحسن قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي

﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ [القصص: 20]: «يَتَشَاوَرُونَ، وَالجِذْوَةُ قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ مِنَ الخَشَبِ لَيْسَ فِيهَا لَهَبٌ». ﴿سَنَشُدُّ﴾ [القصص: 35]: «سَنُعِينُكَ، كُلَّمَا عَزَّزْتَ شَيْئًا فَقَدْ جَعَلْتَ لَهُ عَضُدًا». وَقَالَ غَيْرُهُ: كُلَّمَا لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ أَوْ فِيهِ تَمْتَمَةٌ أَوْ فَأْفَأَةٌ فَهِيَ عُقْدَةٌ،

تفسير قوله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ [القصص: 19] بالطاء مكسورة ومضمومة لغتان والكسر هي القراءة المشهورة هنا وفي قوله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: 16].

(﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ **يَتَشَاوَرُونَ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ وفسره بقوله يتشاورون قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: 20] أي: يهمون بك ويتوامرون ويتشاورون ومنه قول الشاعر:

أرى الناس قد أحدثوا شيمة وفي كل حادثة يؤتمر

وَقَالَ ابن قتيبة: معناه يأمر بعضهم بعضًا كقوله تَعَالَى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: 6].

(**وَالجِذْوَةُ قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ مِنَ الخَشَبِ لَيْسَ فِيهَا لَهَبٌ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ثم فسره بما ذكر قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [القصص: 29] أي: قطعة غليظة من الخشب ليس فيها لهب قَالَ الشاعر:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ ليلَى يلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الجِذَى غيرَ خَوَّارٍ وَلا ذَعِرِ

والجذور مثلثة الجيم.

(﴿سَنَشُدُّ﴾ «**سَنُعِينُكَ، كُلَّمَا عَزَّزْتَ شَيْئًا فَقَدْ جَعَلْتَ لَهُ عَضُدًا**») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: 35] وفسره بقوله سنعينك وفسره أَبُو عُبَيْدَةَ بقوله سنقويك به ونعينك تقول شد فلان عضد فلان إذا أعانه وهو من عاضدته على أمره أي: عاونته سنشد عضدك وهو ظاهر.

(**وَقَالَ غَيْرُهُ**) أي: غير ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (**كُلَّمَا لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ أَوْ فِيهِ تَمْتَمَةٌ أَوْ فَأْفَأَةٌ فَهِيَ عُقْدَةٌ**) أشار به على ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ [طه: 25 - 27] وهذا قول

﴿أَزْرِى﴾ [طه: 31]: ظَهْرِي ....

أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ العقدة في اللسان ما لم ينطق بحرف أو كانت فيه مسكة من تمتمة أو فأفأة، وروى الطَّبَرِيّ بإسناده من طريق السُّدِّيّ قَالَ لما تحرك مُوسَى أخذته آسية امرأة فرعون ترقصه ثم ناولته لفرعون فأخذ مُوسَى بلحيته فنتفها، فاستدعى فرعون الذباحين فقالت آسية إنه صبي لا يعقل فوضعت له جمرًا وياقوتًا وقالت إن أخذ الياقوت فاذبحه وإن أخذ الجمر فاعرف أنه لا يعقل، فجاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فطرح في يده جمرة فطرحها في فيه فأحرقت لسانه فصارت في لسانه عقدة من يومئذ، ومن طريق مجاهد وسعيد بن جُبَيْر نحو ذلك.

وقيل: لما وضع فرعون مُوسَى في حجره تناول لحيته ومدها ونتف منها وكانت لحيته طويلة سبعة أشبار وكان هو قصيرًا ويقال لطم وجهه وكان يلعب بين يديه ويقال كان بيده قضيب صغير يلعب به فضرب به رأسه فعند ذلك غضب غضبًا شديدًا وتطير منه وَقَالَ هذا عدوي المطلوب ثم جرى ما ذكر.

فإن قيل: كيف لم تحرقه النار يوم التنور التي ألقي فيها وأحرقت لسانه في هذا اليوم.

فالجواب: أنه قَالَ يومًا لفرعون يا أبا فعوقب لسانه ولم يعاقب يده لأنها مدت لحية فرعون ولهذا ظهرت المعجزة في اليد دون اللسان فإنه روي أنه كان آدم شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه أو تحت إبطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس.

وقيل: لم تحترق في التنور ليدوم له الأنس بينه وبين النار ليلة التكليم وقيل إنما لم تحترق يده ليجاهد بها فرعون بحمل العصا.

والتمتمة هي التردد في النطق بالتاء المثناة الفوقية.

والفأفأة هي التردد في النطق بالفاء.

(﴿أَزْرِى﴾ ظَهْرِي) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه: 31 - 32] وفسر الأزر بالظهر قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾ أي: ظهري ويقال قد آزرني أي: كان لي ظهرًا أو معينًا

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [طه: 61]: فَيُهْلِكَكُمْ، ﴿الْمُثْلَى﴾ [طه: 63]: تَأْنِيثُ الأَمْثَلِ، يَقُولُ: بِدِينِكُمْ، يُقَالُ: خُذِ المُثْلَى خُذِ الأَمْثَلَ، ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ [طه: 64]،

وأورد الطَّبَرِيّ بإسناد لين عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾ [طه: 31] قَالَ: ظهري.

(﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ فَيُهْلِكَكُمْ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: 61] وفسر يسحتكم بقوله يهلككم ووصله الطَّبَرِيّ من طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وهو قول أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ وتقول سحته أو أسحته بمعنى قَالَ الطَّبَرِيّ سحت أكثر من أسحت وروي من طريق قَتَادَة فِي قَوْلِهِ فيسحتكم أي: يستأصلكم والخطاب للسحرة ويقال إن اسم رؤسائهم عادور، وسابور، وحطحط، والصفى.

(**﴿الْمُثْلَى﴾ تَأْنِيثُ الأَمْثَلِ، يَقُولُ: بِدِينِكُمْ، يُقَالُ: خُذِ المُثْلَى خُذِ الأَمْثَلَ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ [طه: 63] ومثلى على وزن فعلى تأنيث الأمثل وقوله بدينكم تفسير لقوله بطريقتكم المثلى يعني يريد مُوسَى وهارون أن يذهبا بطريقتكم ودينكم المستقيم وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ بطريقتكم أي: بسنتكم ودينكم وما أنتم عليه وقيل أرادوا أهل طريقتكم المثلى وهو بنو إسرائيل لقول مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسل معنا بني إسرائيل.

وقيل: الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم فيقال هم طريقة قومهم، وَقَالَ الشعبي: معناه ويصرفا وجوه الناس إليهما.

وَقَالَ الزجاج: يعني المثلى والأمثل ذو الفضل الذي به يستحق أن يقال هذا أمثلُ قومه والحاصل أن المراد الفضلى.

(﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه: 64] الخطاب لقوم فرعون من السحرة يعني إيتوا جميعًا، وقيل: صفوفًا لأنه أهيب في صدور الرائين روي أن السحرة كانوا سبعين ألفًا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة وقد لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيّل إليه أنها تتحرك وذلك

يُقَالُ: هَلْ أَتَيْتَ الصَّفَّ اليَوْمَ، يَعْنِي المُصَلَّى الَّذِي يُصَلَّى فِيهِ، ﴿فَأَوْجَسَ﴾ [طه: 67]: أَضْمَرَ خَوْفًا، فَذَهَبَتِ الوَاوُ مِنْ ﴿خِيفَةً﴾ [هود: 70] لِكَسْرَةِ الخَاءِ. ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71]: عَلَى جُذُوعٍ،

قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: 64] أي: صفوفًا وله معنى آخر ذكره الْبُخَارِيّ بقوله: (**يُقَالُ: هَلْ أَتَيْتَ الصَّفَّ اليَوْمَ، يَعْنِي المُصَلَّى الَّذِي يُصَلَّى فِيهِ**) وقائل هذا أَيْضًا أَبُو عُبَيْدَةَ فإنه قَالَ أَيْضًا المراد من قوله صفا المصلى والمجتمع وعن بعض العرب الفصحاء ما استطعت أن آتي الصف أمس يعني المصلى ووجه صحته أن يجعل صفًّا علمًا لمصلى بعينه فأمروا بأن يأتوه أو يراد ائتوا مصلى من المصليات.

(﴿فَأَوْجَسَ﴾ **أَضْمَرَ خَوْفًا، فَذَهَبَتِ الوَاوُ مِنْ** ﴿خِيفَةً﴾ **لِكَسْرَةِ الخَاءِ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه: 67] وفسر أوجس بقوله أضمر والخيفة الخوف وهذا أَيْضًا تفسير أَبِي عُبَيْدَةَ وقوله فذهبت الواو من خيفة لكسرة الخاء يعني أن أصل خيفة خوفة فقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها.

(﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ **عَلَى جُذُوعٍ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71] وأشار بقوله على جذوع أن كلمة في بمعنى على الاستعلاء وهذا قول أَبِي عُبَيْدَةَ أَيْضًا واستشهد بقول الشاعر[1]:

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نخلةٍ

---

(1) البيت كاملًا:

هُـمُ صَـلَـبُـوا الْـعَـبْـدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ ... فَـلا عَـطَـسَـتْ شَـيْـبَـانُ إلا بِـأَجْـدَعَـا

قائله: غُطيف بن حارثة اليشكُريّ، ويكنى أبا سعد، وهو شاعر مقدَّم، مخضرَم، أدرك الجاهليّة والإسلام، عَدّه ابن سلام في الطّبقة السّادسة من فحول الجاهليّة.

انظر ترجمته في: طبقات فحول الشّعراء 1/ 152، والشّعر والشّعراء 270، والأغاني 13/ 114، والخزانة 6/ 125.

وانظر البيت: مجاز القرآن 2/ 24، 234، والمقتضب 2/ 319، والصّاحبيّ 239، وأمالي ابن الشّجريّ 2/ 606، ورصف المباني 451، والمغني 183.

أخرجه مسلم في الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي الذي هو خير. وفي الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها رقم 1652.

﴿خَطْبُكَ﴾ [طه: 95]: بَالُكَ. ﴿مِسَاسَ﴾ [طه: 97]: مَصْدَرُ مَاسَّهُ مِسَاسًا.

وَقَالَ: إنما جاء على موضع في إشارة إلى بيان شدة التمكن كأنه ظرفه.

(﴿خَطْبُكَ﴾ بَالُكَ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ [طه: 95] وفسر خطبك بقوله بالك. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ فما خطبك يا سامري أي: ما بالك وشأنك قَالَ الشاعر:

يا عجبا ما خطبه وخطبي

وروى الطَّبَرِيّ من طريق السُّدِّيّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ قَالَ ما لك يا سامري وقصته مشهورة وملخصها أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أقبل على السامري واسمه مُوسَى بن ظفر الذي أخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار وكان من قوم يعبدون البقر فَقَالَ هذا إلهكم وإله مُوسَى قَالَ له ما خطبك أي: ما شأنك وحالك الذي دعاك وحملك على ما صنعت.

(﴿مِسَاسَ﴾ مَصْدَرُ مَاسَّهُ مِسَاسًا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: 97] أي: قَالَ مُوسَى للسامري: فاذهب من بيننا فإن لك في الحياة أي: ما دمت حيًّا أن تقول لا مساس قال الْفَرَّاء: أي: لا أمس ولا أمس والمراد أن مُوسَى أمرهم أن لا يؤاكلوه ولا يخالطوه عاقبه اللّه في الدنيا بالعقوبة التي لا شيء أشد منها ولا أوحش حيث منع من مخالطة الناس منعًا كليًّا وحرم عليهم علاقاته ومكالمته ومواجهته وإذا اتفق أن يماس أحدًا رجلًا أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصبح لا مساس.

وعن قَتَادَةَ أن بقاياهم اليوم يقولون لا مساس وقرئ لا مساس بفتح الميم وهي لغة فاشية.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ إذا كسرت الميم جاز النصب والرفع والجر بالتنوين وجاءت هنا منفية ففتحت بغير تنوين قَالَ النابغة:

فأصبح من ذاك كالسامري إذ قَالَ مُوسَى له لا مساسا

قَالَ: والمماسة المخالطة، قَالَ: ومنهم من جعلها اسمًا فكسر آخرها بغير تنوين قَالَ الشاعر:

تميم كرهط السامري

﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [طه: 97]: لَنُذْرِيَنَّهُ. الضَّحَاءُ: الحَرُّ. ﴿قُصِّيهِۖ﴾ [القصص: 11]: اتَّبِعِي أَثَرَهُ، وَقَدْ يَكُونُ أَنْ تَقُصَّ الكَلامَ. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: 3]: ....

وقوله:

ألا لا يريد السامري مساس أجراها مجرى قطام وحزام

وقد قرئ: «لا مساس» كفجار وهو علم للمسة وأشار الْبُخَارِيّ إلى أنه مصدر ماسه.

(﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ لَنُذْرِيَنَّهُ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: 97] وفسر قوله لننسفنه بقوله لنذرينه من التذرية في اليم وقد وصله الطَّبَرِيّ من طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ يقول لنذرينه في البحر حكي أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذ العجل فذبحه فسال منه الدم لأنه كان قد صار لحمًا ودمًا ثم أحرقه بالنار وذراه في اليم.

(الضَّحَاءُ: الحَرُّ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ وفسر الضحى بالحر قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: 119] لا شمس فتجد الحر وروى الطَّبَرِيّ من طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا لا يصيبك فيها عطش ولا حر قال المفسرون والخطاب لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعنى لا تظمأ أي: في الجنة ولا تضحى أي: ولا تشرق الشمس فيؤذيك حرها وقيل لا يصيبك حر الشمس إذ لا شمس فيها وذكر هذا هنا غير مناسب لأنه في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا تعلق له بقصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ الْعَيْنِيّ.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وهذا الموضع وقع استطرادًا وإلا فلا تعلق له بقصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أقول كان ذكره هنا لوقوعه عقيب أنواع من قصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(﴿قُصِّيهِۖ﴾ اتَّبِعِي أَثَرَهُ، وَقَدْ يَكُونُ أَنْ تَقُصَّ الكَلامَ. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾ [القصص: 11] وفسر قصيه بقوله اتبعي أثره وهو قول مجاهد والسدي وغيرهما أَخْرَجَهُ ابن جرير.

﴿عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: 11]: عَنْ بُعْدٍ، وَعَنْ جَنَابَةٍ وَعَنِ اجْتِنَابٍ وَاحِدٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ [طه: 40]: «مَوْعِدٌ»،

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: 11] أي: اتبعي أثره تقول قصصت آثار القوم وهكذا فسره أهل التفسير ويقال معناه استعلمي خبره وهو خطاب لأخت مُوسَى من أمها واسم أخته مريم بنت عمران وافقها في ذلك مريم بنت عمران أم عيسى عليهما السلام وقوله وقد يكون إلى آخره تفسير من الْبُخَارِيّ أي: قد يكون معنى القص من قص الكلام كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يُوسُف: 3].

(﴿عَن جُنُبٍ﴾ عَنْ بُعْدٍ) أشار به إلى ما قوله تَعَالَى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11] وفسر قوله عن جنب بقوله عن بعد أي: أبصرت أخت مُوسَى بموسى عن بعد والحال أن قوم فرعون لا يعلمون بها.

(وَعَنْ جَنَابَةٍ وَعَنِ اجْتِنَابٍ وَاحِدٌ) أشار به إلى أن معنى جنب وعن جنابة وعن اجتناب واحد فيقال ما يأتينا إلا عن جنابة واجتناب وأصل معنى هذه المادة يدل على البعد ومنه الجنب لبعده عن الصلاة وعن قراءة القرآن وروى الطَّبَرِيّ من طريق مجاهد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ قَالَ عن بعد وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بعد وتجنب ويقال ما يأتينا إلا عن جنابة وعن جنب قَالَ الشاعر:

فلا تحرمني نائلا عن جنابة ... وإني امرؤ وسط القباب غريب

وفي حديث القنوت الطويل عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا الجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جنبه لم يشعر.

(قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾) على («مَوْعِدٌ») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40] وفسر قوله على قدر بقوله على موعد وقيل على قدر أي: جئت لميقات قدرته لمجيئك قبل خلقك وكان مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مكث عند شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ في مدين ثمانيَ وعشرين سنة عشر سنين منها مهر امرأته صفورا بنت شعيب ثم أقام بعده ثماني عشرة سنة عنده حتى ولد له في مدين ثم جاء على قدر وكانت مدين على ثماني مراحل من

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [طه: 42]: «لا تَضْعُفَا». ....

مصر روي أنه حين أتى مدين كان ابن اثنتي عشرة سنة فيكون الجميع أربعين سنة قيل وذلك قوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40] أي: على قدر قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخرًا أو على مقدار من السن قد يوحى فيه إلى الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هذا وقد وصله عن مجاهد الفريابي من طريق ابن أَبِي نجيح عنه قَالَ على قدر على موعد وروى الطَّبَرِيّ من طريق العوفي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40] أي: على ميقات.

(﴿وَلَا تَنِيَا﴾ «لا تَضْعُفَا») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: 42-43] وفسر قوله: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ بقوله: لا تضعفا يعني لا تفترا من ونى يني ونيًا وهو الضعف والفتور[1] والخطاب فيه لموسى وهارون روي أنه تَعَالَى أوحى إلى هارون أن قد استنبأ مُوسَى وأرسله إلى فرعون وقومه وأنه جعلك وزيرا له وشريكًا في رسالته فإذا كان يوم السبت لغرة ذي الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس إلى شط النيل فإنها الساعة التي تلتقيان أنت وأخوك فيها فأقبل مُوسَى في ذلك الوقت وخرج هارون من عسكر بني إسرائيل حتى التقيا على شط النيل فقيل لهما ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى.

(مكانا سوى منصف بينهم) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: 58] وفسر قوله مكانًا سوى بقوله منصف بينهم أي: منتصف بين الفريقين أي: تستوي مسافته بينهما فيكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر[2] وقوله مكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر أعني قوله موعدًا لا به لأنه موصوف والمصدر الموصوف لا يعمل فيما بعد وصفه لئلا يلزم الفصل بينه وبين معموله بالوصف وقد قرئ في السبعة سوى بضم السين وكسرها وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بضم أوله ويكسر كعِدى وعدُى والمعنى النصف والوسط.

---

(1) وصله الفريابي عن مجاهد. وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ولا تنيا في ذكري: قال لا تبطئا.

(2) وقد وصله الفريابي عن مجاهد.

﴿يَبَسًا﴾ [طه: 77]: «يَابِسًا»، ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: 87]: «الحُلِيِّ الَّذِي اسْتَعَارُوا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ»،

(﴿يَبَسًا﴾ «**يَابِسًا**») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ وفسر قوله يبسا بقوله يابسًا وفي تفسير النسفي يبسًا مصدر وصف به يقال يبس ييبس يَبسًا ويُبسًا كالعَدم والعُدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس إذا جف لبنها وقوله تَعَالَى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ [طه: 77] أي: فاجعل لهم من قولهم ضرب له من ماله سهمًا أو فاتخذ من ضرب اللبن إذا عمله وقوله: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ حال من المأمور أي: آمنا من أن يدرككم العدو وقوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ عطف عليه. وقد وصله الفريابي من طريق ابن نجيح عن مجاهد.

(﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: «**الحُلِيِّ الَّذِي اسْتَعَارُوا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ**») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: 87] وفسر زينة القوم بقوله الحلي الذي استعاروه من آل فرعون وقد وصله الفريابي من طريق ابن أَبِي نجيح عن مجاهد فِي قَوْلِهِ ولكنا حملنا أوزارًا من زينة القوم أي: الحلي استعاروا من آل فرعون وهي الأثقال أي: الأوزار وروى الطَّبَرِيّ من طريق ابن زيد قَالَ الأوزار الأثقال وهي الحلي الذي استعاروه من آل فرعون وليس المراد بها الذنوب.

وَقَالَ القاضي أحمالًا من حلي القبط التي استعاروها منهم حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس. وفي تفسير النسفي آثامًا أي: حملنا آثاما من حلي القوم لأنهم استعاروها ليتزينوا في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند خروجهم من مصر مخافة أن يعلموا بخروجهم فحملوها وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزارًا لأنها آثام فإن الغنائم لم تكن تحل بعد ولأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي وروى الطَّبَرِيّ من طريق قَتَادَة قَالَ كان اللَّه وقَّت لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قَالَ السامري لبني إسرائيل إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم وكانوا قد استعاروا ذلك من آل فرعون

فَقَذَفْتُهَا : «أَلْقَيْتُهَا»، ﴿أَلْقَى﴾ [طه : 65]: «صَنَعَ»، ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه : 88]: «مُوسَى»، هُمْ يَقُولُونَهُ: «أَخْطَأَ الرَّبَّ» ....

فساروا وهي معهم فقذفوها إلى السامري فصورها صورة بقرة وكان قد صر في ثوبه قبضة من أثر حافر فرس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقذفها مع الحلي في النار فأخرج عجلًا يخور.

(فَقَذَفْتُهَا : «أَلْقَيْتُهَا») فسر قوله فقذفتها بقوله ألقيتها.

وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ : فقذفناها ألقيناها وهو المطابق للقرآن قال الحافظ العسقلاني وصله الفريابي من طريق ابن أَبِي نجيح عن مجاهد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه : 96] فقذفناها قَالَ ألقيناها انتهى.

هذا سهوًا والصواب ولكنا حملنا أوزارًا من زينة القوم فقذفناها وأما قوله تَعَالَى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه : 96] فوقع بعده فنبذتها دون فقذفناها.

(﴿أَلْقَى﴾ «صَنَعَ») يعني ألقى السامري ما كان معه من الحلي وقيل ما كان معه من تراب[1] حافر فرس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور وأراد بقوله صنع أخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار قاله الْعَيْنِيّ فليتأمل.

(﴿فَنَسِيَ﴾ «مُوسَى»، هُمْ يَقُولُونَهُ: «أَخْطَأَ الرَّبَّ» أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه : 88] وصله الفريابي عن مجاهد كذلك وقوله وهم يقولون أي: السامري ومن معه تقولون أخطأ مُوسَى الرب حيث تركه هنا وذهب إلى الطور يطلبه وروى الطَّبَرِيّ من طريق السُّدِّيّ قَالَ لما خرج العجل وخار قَالَ لهم السامري هذا إلهكم وإله مُوسَى فنسي أي: فنسي مُوسَى وضل ومن طريق قَتَادَة نحوه قَالَ نسي مُوسَى ربه ومن طريق سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فنسي أي: السامري نسي ما كان عليه من الإسلام وترك ما كان عليه من إظهار الإيمان وقيل ذلك من الشيطان وقيل فنسي مُوسَى أن يخبركم أن هذا إلهه.

---

(1) وكان ذلك التراب لا يخالطه شيء إلّا غيّره وهو من الكرامة التي خصها اللّه بروح القدس. وعند إلقاء التراب قال: كن عجلًا جسدًا له خوار وكان ممن يعبدون البقر.

أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا : «فِي العِجْلِ».

3393 - حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَدَّثَهُمْ عَنْ «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ» تَابَعَهُ ثَابِتٌ، وَعَبَّادٌ ....

(**أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا : «فِي العِجْلِ»**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: أفلا يعلمون أي: السامري وأتباعه أنه لا يرجع إليهم كلامًا ولا يرد عليهم جوابًا ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: 89] أي: ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم وقوله في العجل يعني بذلك أن ضمير لا يرجع إلى العجل.

تنبيه:

لمح المصنف رَحِمَهُ اللَّه بهذه التفاسير بما جرى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في خروجه إلى مدين ثم في رجوعه إلى مصر ثم في إخباره مع فرعون ثم في غرق فرعون ثم في ذهابه إلى الطور ثم في عبادة بني إسرائيل العجل وكأنه لم يثبت عنده في ذلك من المرفوعات ما هو على شرطه واللَّه تَعَالَى أعلم.

(**حَدَّثَنَا هُدْبَةُ**) بضم الهاء وسكون المهملة وبالموحدة (**ابْنُ خَالِدٍ**) القيسي قَالَ: (**حَدَّثَنَا هَمَّامٌ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا قَتَادَة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَدَّثَهُمْ عَنْ «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ»**) هذه قطعة من حديث الإسراء المطول الماضي غير مرة من طريق قَتَادَة عن أنس عن مالك بن صعصعة وسيأتي بتمامه في السيرة النبوية إن شاء اللَّه تَعَالَى واقتصر منه هنا على ذلك لأجل ذكر هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**تَابَعَهُ**) أي: تابع قَتَادَة فِي رِوَايَةِ هذا الحديث عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(**ثَابِتٌ**) أي: البناني بضم الموحدة وبالنونين، (**وَعَبَّادٌ**) بفتح المهملة

ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وتشديد الموحدة (ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) ثم إن متابعتهما له عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ إنما هي في ذكر هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الخامسة لا في جميع الحديث ولا في الإسناد أَيْضًا فإن رواية ثابت موصولة في صحيح مسلم من طريق حماد بن سلمة عنه وليس فيها ذكر مالك بن صعصعة بل المذكور فيها ذكر هارون في السماء الخامسة وأما متابعة عباد فرواها عنه هشام الدستوائي وحماد بن زيد وغيرهما ولم يذكروا مالك بن صعصعة وليس لعباد ذكر في الْبُخَارِيّ إلا في هذا الموضع وقد وافق ثابتًا في أنه لم يذكر لأنس فيه شيخا عباد المذكور وشريك[1] وأما الزُّهْرِيّ فَقَالَ عن أنس عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ كما مضى في أول الصلاة ولم يذكر في حديثه هارون أصلًا.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ إلى قوله: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28] هكذا وقعت هذه الترجمة بغير حديث فكأنه أخلى بياضًا في الأصل ليذكر فيها حديثًا ولم يظفر به على شرطه فبقيت هكذا ووقع فِي رِوَايَةِ النسفي هذا مضمومًا إليه في باب الذي بعده وهو غير متجه والآية في سورة المؤمن قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: 28] من أقاربه.

وقيل: من متعلق بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ والرجل قد اختلف في اسمه فقيل: هو يوشع بن نون وبه جزم ابن التين وهو بعيد لأن يوشع من ذرية يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يكن من آل فرعون والصحيح أن المؤمن المذكور من آل فرعون، وقد استدل الطَّبَرِيّ بأنه لو كان من بني إسرائيل لم يصغ فرعون إلى كلامه ولم يستمع منه.

وقيل: اسمه شمعان بالشين المعجمة قَالَ الدارقطني في المؤتلف: لا يعرف شمعان بالشين المعجمة إلا هذا.

وقيل: حابوت قيل وهو الذي التقطه إذ كان في التابوت وعن الطَّبَرِيّ حبر.

---

(1) عن أنس في ذلك وفي كون هارون في الخامسة.

وقيل: حزقيل وعليه أكثر العلماء وعن ابن إِسْحَاق حبيب وهو ابن عم فرعون أَخْرَجَهُ عبد بن حميد.

وَقَالَ مقاتل: كان قبطيًّا يكتم إيمانه من فرعون مائة سنة وكان له الملك بعد فرعون وكان على بقية من دين إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ ابن خالويه: لم يؤمن من أهل مصر إلا أربعة آسية وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت لاموس الملك التي دلت على عظام يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ والماشطة ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا﴾ [غافر: 28] أي: أتقصدون قتله والهمزة فيه للاستفهام الإنكاري أن يقول أي: لأن يقول أو وقت أن يقول من غير رؤية وتأمل في أمره ربي اللّه وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد في كون الطرفين معرفة ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: 28] المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿مِن رَّبِّكُمۡ﴾ إضافة إليهم بعد ذكر البينات احتجاجًا عليهم واستدراجًا لهم إلا الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فَقَالَ: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ﴾ [غافر: 28] لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ [غافر: 28] أي: فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبًا أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأن خوفهم بما هو أظهر احتمالًا عندهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ[1] كَذَّابٞ﴾ [غافر: 28] احتجاج ثالث ذو وجهين:

أحدهما: أنه لو كان مسرفًا كذابًا لما هداه اللّه إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات.

وثانيهما: أن من خذله اللّه وأهلكه فلا حاجة إلى قتلهم ولعله أراد به المعنى الأول وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا

(1) بإظهار الفساد في الأرض كما زعم فرعون.

24 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: 9] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]

3394 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا ....

يهديه اللّه سبيل الصواب وسبيل النجاة.

24 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: 9] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]

(**باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى**: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾) إلى قوله تَعَالَى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: 9 – 10] وقد مر الكلام فيه عن قريب.

(﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾) قَالَ اللّه تَعَالَى: ورسلًا نصب على تقدير قصصنا رسلًا وقوله قصصناهم مفسر له عليك من قبل أي: من قبل هذه السورة أو اليوم ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ أي: لم نسمهم ولم نذكرهم لك ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164] قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا لما بين اللّه لمحمد ﷺ أمر النبيين ولم يبين أمر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ شكوا في نبوته فأنزل اللّه تَعَالَى ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾. وكلم اللّه مُوسَى حقيقة لا كما زعمت القدرية أن اللّه خلق كلامًا في شجرة فسمعه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه لا يكون ذلك كلام اللّه ولو كان من غير التأكيد لاحتمل ما قالوا لأن أفعال المجاز لا تؤكد بذكر المصادر لا يقالُ أراد الجدران يسقط إرادة وعلم مُوسَى أنه كلام اللّه لأنه كلام يعجز الخلق أن يأتوا بمثله وَقَالَ ابن مردويه بإسناده من طريق الضحاك عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ إن اللّه ناجى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام كلها وصايا فلما سمع مُوسَى كلام الآدميين مقتهم مما وقع في مسامعه من كلام الرب وفي إسناده جويبر وهو ضعيف والضحاك لم يدرك ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وَقَالَ القاضي وهو يعني التكليم منتهى مراتب الوحي خص به مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بينهم وقد فضل اللّه مُحَمَّدًا ﷺ بأن أعطاه مثل ما كُلّ أعطى واحدًا منهم، ولله در من قَالَ:

لكل نبي في الأنام فضيلة وجملتها مجموعة في محمد

(**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا**

مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي: «رَأَيْتُ مُوسَى: وَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِهِ»

مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه **(قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي: رَأَيْتُ مُوسَى)** قَالَ الطيبي: لعل أرواحهم مثلت له ﷺ بهذه الصور، ولعل صورهم كانت كذلك، أو صور أبدانهم كوشفت له في نوم أو يقظة **(وَإِذَا)** هُوَ **(رَجُلٌ)** بضم الجيم ضد المرأة **(ضَرْبٌ)** بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء وبالموحدة أي: نحيف خفيف اللحم.

(رَجِلٌ) بكسر الجيم أي: دهين الشعر مسترسله ضد الجعد يقال رجل شعره أي: سرحه واسترسله، وَقَالَ ابن السكيت: شعر رجل بكسرها وفتحها إذا لم يكن شديد الجعودة ولا سبطًا **(كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ)** بفتح الشين المعجمة وضم النون وفتح الهمزة ثم هاء تأنيث جيء من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عَبْد اللَّه ابن كعب بن عَبْد اللَّه بن مالك بن نصر بن الأزد لقب بشنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله والنسبة إليه شنوئي بالهمزة بعد الواو وبالهمزة بغير واو وَقَالَ ابن السكيت أزد شنوة بالتشديد غير مهموز وينسب إليها شنويّ.

(وَرَأَيْتُ عِيسَى، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ رَبْعَةٌ) بفتح الراء وسكون الموحدة ويجوز فتحها لا طويل ولا قصير وأنث بتأويل النفس.

(أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ) بكسر المهملة وسكون المثناة التحتية وبالمهملة قَالَ الْكِرْمَانِيّ السرب وقيل لكن أي: كأنه مخدر لم ير شمسًا وهو في غاية الإشراق والنضارة وقيل الحمام وقيل لم يكن لهم يومئذ ديماس وإنما هو من علامات نبوته.

(وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِهِ) وسقط فِي رِوَايَةٍ لفظ به والمراد ذلك وههنا ثلاثة تشبيهات كلها للبيان لكن الأول لمجرد البيان والأخير أن للبيان مع تعظيم المشبه في مقام المدح.

وَقَالَ الداوودي: في تشبيه موسى عليه السلام يعني في الطول وقال القزاز ما

ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ: فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

3395 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا العَالِيَةِ،

أدري ما أراد الْبُخَارِيّ بذلك على أنه روى في صفته بعد هذا خلاف هذا المقال فَقَالَ وأما مُوسَى فآدم جسيم كأنه من رجال الزط قَالَ الْعَيْنِيّ روى الْبُخَارِيّ من حديث مجاهد عَنِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**رأيت مُوسَى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما مُوسَى فآدم جسيم سبط فكأنه من رجال الزط**» قَالَ وليس فيه إشكال لأنه ﷺ شبه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث الباب وهو حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ بقوله كأنه من رجال شنوءة يعني في الطول وشبهه في حديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا بقوله كأنه من رجال الزط يعني في الطول أَيْضًا لأن الزط جنس من السودان والهنود الطوال.

(**ثُمَّ أُتِيتُ**) على البناء للمفعول (**بِإِنَاءَيْنِ: فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ، فَقَالَ: اشْرَبْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ: أَخَذْتَ الفِطْرَةَ**) أي: الاستقامة أي: اخترت علامة الإسلام وجعل اللبن علامة له لكونه سهلًا طيبًا طاهرًا سائغًا نافعًا للشاربين سليم العاقبة.

(**أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**) فإن الخمر أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر في الحال والمال ويروى هديت الفطرة.

قَالَ الطيبي: أي: الفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها وجعل اللبن علامة لذلك لأنه من أصلح الأغذية وأول ما حصلت به التربية.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ رأيت مُوسَى.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الإيمان وَالتِّرْمِذِيّ في التفسير.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ**) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وهو مُحَمَّد بن جعفر وقد تكرر ذكره.

(**حَدَّثَنَا عَنْ شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ**) أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا العَالِيَةِ**) هو الرياحي

حَدَّثَنَا ـ ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ، يَعْنِي ـ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

بكسر الراء وتخفيف التحتانية ثم بمهملة واسمه رفيع بالفاء مصغرًا وروي عَنِ ابْن عَبَّاس آخر يقال له أَبُو العالية أَيْضًا واسمه زياد بن فيروز وقيل ذلك ويعرف بالبراء بالتشديد نسبة إلى بري السهام وحديثه عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا سبق في تقصير الصلاة قال أبو داود لم يسمع قَتَادَة من أَبِي العالية إلا ثلاثة أَحَادِيث وهذا أحدها وَقَالَ في موضع آخر قَالَ شعبة إنما سمع قَتَادَة من أَبِي العالية أربعة أَحَادِيث حديث يُونُس بن متى، وحديث ابْن عُمَر في الصلاة. وحديث القضاة ثلاثة، وحديث ابْن عَبَّاس شهد عندي رجال مرضيون.

قَالَ: (**حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ، يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ**) ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ**) لأَحَدٍ (**أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ**)، ويونس فيه ستة أوجه ومتى بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية وبالألف وهو اسم أبيه وفي جامع الأصول قيل هو اسم أمه وقيل لم يشتهر نبي بأمه غير يُونُس والمسيح عليهما السلام.

وَقَالَ الفربري: وكان متى رجلًا صالحًا من أهل بيت النبوة فلم يكن له ولد ذكر فقام إلى العين التي اغتسل فيها أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فأغتسل هو وزوجته منها وصليا ودعوا اللّه أن يرزقهما رجلًا مباركًا فيبعثه اللّه في بني إسرائيل فاستجاب اللّه دعاءهما ورزقهما يُونُس وتوفي متى ويونس في بطن أمه وله أربعة أشهر وقد قيل: إنه من بني إسرائيل وإنه من سبط بنيامين.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وهو ذو النون أرسله اللّه إلى أهل الموصل وذهب قوم إلى أن نبوته بعد خروجه من بطن الحوت وقالت العلماء بأخبار القدماء كان يُونُس من أهل قرية من قرى الموصل يقال به مينون وكان قومه يعبدون الأصنام وعن علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللّه عَنْهُ بعث اللّه يُونُس بن متى إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى اللّه ثلاث وثلاثين سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما: روبيل وكان عالمًا حكيمًا، والآخر: تنوخًا وكان زاهدًا عابدًا.

3396 - وَذَكَرَ النَّبِيّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، فَقَالَ: «مُوسَى آدَمُ، طُوَالٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»، وَقَالَ: «عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوعٌ» وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَذَكَرَ الدَّجَّالَ.

3397 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ،

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: معنى قوله لا ينبغي إلى آخره ليس لأحد أن يفضل نفسه على يُونُس ويحتمل أن يراد ليس لأحد أن يفضلني عليه قَالَ وهذا منه ﷺ على مذهب التواضع والهضم من النفس وليس مخالفًا لقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**» لأنه لم يقل ذلك مفتخرًا ولا متطاولًا به على الخلق وإنما قَالَ ذلك ذاكرًا للنعمة ومعترفًا بالمنة وأراد بالسيادة ما يكرم به في يوم القيامة.

وقيل: قَالَ ذلك قبل الوحي بأنه سيد الكل وخيرهم وأفضلهم.

وقيل: قاله زجرًا عن توهم حط مرتبته لما في القرآن من قوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: 48] وهذا هو السبب في تخصيص يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ بالذكر بين سائر الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(**وَذَكَرَ النَّبِيّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ**) وفي رواية الْكُشْمِيهَنِيّ ليلة أسري بي على الحكاية.

(**فَقَالَ: مُوسَى آدَمُ**) أي: أسمر (**طُوَالٌ**) بضم الطاء وتخفيف الواو أي: طويل (**كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**[1] **وَقَالَ: عِيسَى**) ابن مريم (**جَعْدٌ**) أي: جعد الشعر والجعودة خلاف السبوطة والسبوطة أكثرها في شعور العجم.

(**مَرْبُوعٌ**) أي: متوسط القامة.

(**وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَذَكَرَ**) أَيْضًا (**الدَّجَّالَ**) وهذا الحديث واحد عند أكثر الرواة وجعله بعضهم حديثين: **أحدهما**: متعلق بيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، **والآخر**: بالبقية المذكورة، ومطابقته للترجمة في ذكر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير، والتوحيد أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء، وأبو داود في السنة.

(**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) هو ابن المديني قَالَ: (**أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة

---

(1) وزعم ابن التين أنه وقع هنا آدم جسيم طوال. قال الحافظ العسقلاني ولم أر لفظ جسيم في هذه الرواية.

حَدَّثَنَا أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، عَنِ ابْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا، يَعْنِي عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلهِ، فَقَالَ «أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ» فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ.

25 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ **[الأعراف: 142، 143]**

قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ**) لفظ فارسي معناه بياع الجلود، (**عَنِ ابْنِ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ**) هو عَبْد اللَّه بن سَعِيد بن جُبَيْر، (**عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، وَجَدَهُمْ**) أي: اليهود.

(**يَصُومُونَ يَوْمًا، يَعْنِي عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلهِ، فَقَالَ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ» فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**) وهذا الحديث قد مضى في كتاب الصوم في باب صيام يوم عاشوراء ومضى الكلام فيه هناك، ومطابقته للترجمة ظاهرة.

25 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ **[الأعراف: 142، 143]**

وساق فِي رِوَايَةِ كريمة هاتين الآيتين بتمامهما وهما في أواسط سورة الأعراف قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدة وأتممناها بعشر من ذي الحجة وروي أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعد بني إسرائيل وهو بمصر

إن أهلك اللّه عدوهم أن يأتيهم بكتاب من عند اللّه فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك فرعون سأل مُوسَى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأمره اللّه تَعَالَى أن يزيد عليه عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وهو معنى قوله وأتممناها بعشر وقيل أمره أن يتخلى ثلاثين بالعموم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له والفرق بين الميقات والوقت وإن كانا من جنس واحد أن الميقات ما قدر لعمل والوقت قد لا يقدر لعمل.

وقوله أربعين ليلة نصب على الحال أي: تم بالغًا هذا العدد ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ [الأعراف: 142] عطف بيان لأخيه ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾. أي: كن خليفة عني فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ ما يجب أن يصلح في أمورهم أو أرفق بهم وأحسن إليهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه وهذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي كريم على اللّه له وجاهة وجلالة ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: الوقت الذي وقتناه له وحددناه واللام للاختصاص أي: اختص مجيئه لوقته ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ من غير وسيط كما يكلم الملائكة وروي أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وفيه تنبيه على أن سماع الكلام القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143] أي: أخذه الشوق وطلب الزيادة لما رأى من لطفه تَعَالَى به فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ أعطى جوابه لن تراني يعني في الدنيا وقد استشكل حرف لن ههنا على كثير من الناس لأنها موضوعة لتأبيد النفي فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا سخيف لأنه قد تواترت الْأَحَادِيث عن النَّبِيّ ﷺ بأن المؤمنين يرونه في الدار الآخرة.

وقيل: إنها لتأبيد النفي في الدنيا جمعا بين هذه وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾.

استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه والجبل هو أعظم جبل بمدين قَالَ الكلبي يقال له زبير يعني اجعل بيني وبينك علمًا هو أقوى منك يعني الجبل فإن استقر مكانه وسكن ولم يتضعضع ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ وإن لم يستقر فلن تطيق وفي تعليق الرؤية بالاستقرار دليل الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره.

وقيل: أعطي له حياة ورؤية حتى رآه[1] ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ مدكوكًا مفتتًا والدك والدق أخوان كالشك والشق وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ترابًا وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ ساخ الجبل في الأرض حتى وقع في البحر فهو يذهب معه.

وعن أَبِي بكر الهزلي جعله دكًّا انقعر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة وفي تفسير ابن كثير وجاء في بعض الأخبار أنه ساخ في الأرض فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة رواه ابن مردويه.

وَقَالَ ابن أَبِي حاتم بإسناده عن أَبِي مالك عن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**لما تجلى اللّه للجبل طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتي بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة حراء وثبير وثور**».

قَالَ ابن كثير: هذا حديث غريب بل منكر.

وَقَالَ ابن أَبِي حاتم: ذكر عن عُرْوَة بن رويم كانت الجبال قبل أن يتجلى اللّه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الطور صمًّا ملسًا فلما تجلى تفطرت الجبال فصارت الشقوق والكهوف. ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ مغشيًّا عليه من هول ما رأى وَقَالَ قَتَادَة وقع ميتًا ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ يعني من غشيته وعلى قول مقاتل ردت عليه روحه ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: من الإقدام والجراءة على السؤال بغير إذن وقيل المراد من التوبة الرجوع إلى اللّه تَعَالَى لا عن ذنب سبق.

وقيل: إنما قَالَ ذلك على جهة التسبيح وهو عادة المؤمنين عند ظهور الآيات الدالة على عظم قدرته ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143] أي: من أمته لأن إيمان كل نبي متقدم على إيمان أمته وقيل أي: بأنك لا ترى في الدنيا

(1) وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما هو ظهور نوره.

يُقَالُ: دَكَّهُ: زَلْزَلَهُ ﴿فَدُكَّتَا﴾ [الحاقة: 14]: فَدُكِكْنَ، جَعَلَ الجِبَالَ كَالوَاحِدَةِ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾، وَلَمْ يَقُلْ: كُنَّ، رَتْقًا: مُلْتَصِقَتَيْنِ، ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ [البقرة: 93]: ثَوْبٌ مُشَرَّبٌ مَصْبُوغٌ.

وقيل ممن ندم باستعظام سؤاله الرؤية والله أعلم.

(يُقَالُ: دَكَّهُ: زَلْزَلَهُ) ذكر هذا لقوله تعالَى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: 143] وفسره بقوله زلزله والدك مصدر جعل صفة يقال ناقة دكاء أي: ذاهبة السنام مستو ظهرها.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جعله دكا أي: مستويا مع وجه الأرض.

(﴿فَدُكَّتَا﴾ فَدُكِكْنَ، جَعَلَ الجِبَالَ كَالوَاحِدَةِ) أشار بقوله فدكتا إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾ وكان القياس أن يقول فدككن بالجمع لأن الجبال جمع والأرض في حكم الجمع ولكن جعل كل جمع منها كواحدة فلذلك قيل دكتا بالتثنية والآية في سورة الحاقة قَالَ اللّٰه تَعَالَى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أو بتوسط زلزلة أو ريح عاصفة ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: 14] فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا لا عوج فيها ولا أمت لأن الدك سبب للتسوية.

(كَمَا قَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ وَلَمْ يَقُلْ: كُنَّ، رَتْقًا: مُلْتَصِقَتَيْنِ) ذكره تنظيرا لما قبله ولذا قَالَ كما قَالَ بكاف التشبيه فإن القياس فيه كان أن يقال كن رتقًا لأن السماوات جمع والأرض في حكم الجمع ولكنه جعل كل واحدة منهما كواحدة فقيل كانتا بلفظ التثنية ولم يقل كن بلفظ الجمع وقوله ملتصقتين تفسير لقوله: ﴿رَتْقًا﴾ وأغرب الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ حيث قَالَ ذكر هذا استطرادًا إذ لا تعلق له بقصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذا قوله: رتقًا ملتصقتين وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: رتقًا ليس فيها نقب ثم فتق اللّٰه السماء بالمطر وفتق الأرض بالشجر.

(﴿وَأُشْرِبُوا﴾ ثَوْبٌ مُشَرَّبٌ مَصْبُوغٌ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: 93] وأشار بقوله ثوب مشرب مصبوغ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (انْبَجَسَتْ): انْفَجَرَتْ، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الأعراف: 171]: رَفَعْنَا[1].

إلى أن معنى قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟﴾ ليس من شرب الماء بل معناه مثل معنى قولهم ثوب مشرب أي: مصبوغ يعني اختلط بقلبهم حب العجل كما يختلط الصبغ بالثوب. ويجوز أن يكون المعنى أن حب العجل حل محل الشراب في قلوبهم وعلى التقديرين المراد المبالغة في حبهم للعجل وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنتا عشر ألفًا.

وفي قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ فيه حذف مضاف أي: حب العجل.

ومن قَالَ: إن العجل أحرق ثم ذرى في الماء فشربوه فهو لم يعرف كلام العرب لأنها تقول في الماء أشرب فلان في قلبه.

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ((انْبَجَسَتْ): انْفَجَرَتْ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: 160] والفاء فيه متعلق بمحذوف تقديره فضرب فانبجست وهذه الفاء تسمى فصيحة ولا تقع إلا في كلام بليغ وقد وصله ابن أَبِي حاتم من طريق علي بن أَبِي طلحة عنه كذلك.

(﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾: رَفَعْنَا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ

---

(1) قوله: رتقا مفسر تفسيره ملتصقتين، وأما الكلام السابق فقد تم على قوله ولم يقل كن، ولعل الشيخ اختار ذلك لئلا يلزم الفصل بين المفسر والتفسير، ويحتمل عند هذا العبد الضعيف أن قوله لم يقل: «كن رتقا» كله جملة معترضة، وقوله: «ملتصقتين» تفسير لقوله رتقًا الأول في قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ لمناسبة التثنية وعلى توجيه الشيخ قدس سره يقال: إن رتقا الثاني إعادة لرتقا الأول توضيحًا ثم قال الحافظ: قوله فدكتا: قوله فدككن إلخ، ذكر هذا استطرادًا إذ لا تعلق له بقصة موسى، وكذا قوله: رتقًا ملتصقتين، اهـ.

وأورد عليه العلامة العيني إذ قال: قوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ إلخ. قال بعضهم ذكر هذا استطرادًا إذ لا تعلق له بقصة موسى عليه السلام قلت: ليس كذلك بل ذكره تنظيرًا لما قبله ولهذا قال بكاف التشبيه أراد أن نظير دكتا التي هي التثنية والقياس دككن كانتا رتقًا فإن القياس أن يقال فيه: كن رتقا، انتهى مختصرًا. والإيراد عندي ليس بصحيح فإن الحافظ ذكر هذا الإيراد بعد ذكر قول البخاري فدكتا إلى قوله كن رتقًا والإيراد كان متعلقًا بذكر قوله دكتا لا بالنظير لأن قوله فدكتا إشارة إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾ [الحاقة: 14] والجواب عن إيراد الحافظ عندي أنه معروف من دأب البخاري أنه كثيرًا ما يذكر لفظًا من القرآن لمناسبة اللفظ السابق كما هو يفعل ذلك في الأحاديث كما =

كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171] وفسر قوله نتقنا بقوله رفعنا[1] ويقال معناه قلعنا ورفعناه فوقهم كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ [النساء: 154].

وقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171] هو كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقصته أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رجع إلى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الآصار والأثقال وكانت شريعته ثقيلة فأمر الله تَعَالَى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قلع جبل قدر عسكرهم وكان فرسخًا في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل وكانوا ستمائة ألف وَقَالَ لهم أن تقبلوها وإلا

= تقدم في الأصل التاسع والعشرين، فإن الإمام البخاري لما قال: دكه زلزله، وهو واقع في قصة موسى في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: 143] فذكر لمناسبته قوله: ﴿فَدُكَّتَا﴾ ولما أشكل عليه كونه تثنية في محل الجمع ذكر نظيره من قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ وفي تقرير مولانا محمد حسن المكي، قوله ملتصقتين يعني كانت السموات السبع بعضها ملتصقة بالبعض وكانت الأرض السبع بعضها ملتصقة بالبعض، وليس المراد أن السماوات كانت ملتصقة بالأرض، والحاصل أن السموات كانت شيئًا واحدًا وكانت الأرض السبع شيئًا واحدًا، ففتقهما فجاء كل واحد منهما سبعا سبعا.

وقال الرازي في التفسير الكبير: قال ابن عباس إن القوم لما قالوا لموسى مهما تأتنا ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ فهي عندنا من باب السحر ونحن لا نؤمن بها ألبتة وكان موسى عليه السلام رجلًا حديدًا فعند ذلك دعا عليهم فاستجاب الله له فأرسل عليهم الطوفان الدائم ليلًا ونهارًا سبتًا إلى سبت، حتى كان الرجل منهم لا يرى شمسًا ولا قمرًا ولا يستطيع الخروج من داره، فصرخوا إلى فرعون واستغاثوا به فأرسل إلى موسى عليه السلام وقال اكشف عنا العذاب فقد صارت مصر بحرًا واحدًا فإن كشفت هذا العذاب آمنا بك، فأزال الله عنهم المطر وأرسل الرياح فجففت الأرض وخرج من النبات ما لم يروا مثله قط، فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا، لكنا لم نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل فنكثوا العهد، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل النبات فذكر، القصة بتفصيل الآيات الخمس المذكورة في الآية، ثم قال: هذا هو القول المرضيّ عند أكثر المفسرين وقد وقع في أكثرها اختلافات، أما الطوفان فقال الزجاج: الطوفان من كل شيء ما كان كثيرًا محيطًا مطبقًا بالقوم كالغرق الذي يشمل المدن الكثيرة، وكذلك القتل الذريع طوفان، وقال الأخفش: هو فعلان من الطوف لأنه يطوف بالشيء حتى يعم، والأكثرون على أن هذا الطوفان هو المطر الكثير على ما رويناه عن ابن عباس، وروى الواحدي بإسناده خبرًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**الطوفان الموت**» وهذا القول مشكل لأنهم لو أميتوا لم يكن لإرسال سائر أنواع العذاب عليهم فائدة ولو صح هذا الخبر لوجب حمل لفظ الموت على حصول أسباب الموت مثل المطر الشديد والسيل العظيم، انتهى مختصرًا.

(1) وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه أيضًا كذلك.

3398 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

ألقيت عليكم هذا الجبل.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: رفع اللَّه فوقهم الطور وبعث نارًا من قبل وجوههم وآتاهم البحر الملح من خلفهم.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ**) أَبُو أحمد الْبُخَارِيّ البيكندي وهو من أفراده.

(**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة، (**عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ**) يَحْيَى بن عمارة بن أَبِي حسن المازني الأَنْصَارِيّ، (**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ**) أي: الخدري (**رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: النَّاسُ يَصْعَقُونَ**) من صعق الرجل إذا أغشي عليه[1] وَقَالَ النووي: الصعق والصعقة الهلاك والموت ويقال منه صعق الإنسان وصعق بفتح الصاد وضمهما وأنكر بعضهم الضم وصعقهم الصاعقة بفتح الصاد والعين وأصعقتهم.

(**يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**) قَالَ القاضي هذا الحديث من أشكل الْأَحَادِيث لأن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مات فكيف تدركه الصعقة وإنما تصعق الأحياء ويحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماوات والأرض ويؤيده لفظ يفيق فإن الإفاقة من الغشي وأما الموت فيقال فيه بعث منه وصعقة الطور لم تكن موتًا وأما قوله ﷺ فلا أدري أفاق قبلي فيحتمل أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه أول من تنشق الأرض عنه إن كان هذا اللفظ على ظاهره وأن نبينا ﷺ أول شخص ممن تنشق عنهم الأرض فيكون موسى عليه السلام من زمرة الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ انتهى.

والحاصل: أن الإفاقة غير الانشقاق والصعقة تكون حين ينفخ في الصور النفخة الأولى.

---

(1) وقال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أي: مات.

3399 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْلا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ».

26 ـ باب طُوفَان مِنَ السَّيْلِ

يُقَالُ لِلْمَوْتِ الكَثِيرِ طُوفَانٌ، ....

وَقَالَ الداوودي: قوله فأكون أول من يفيق ليس بمحفوظ واضطربت الرواية في هذا الحديث وقل من يسلم منهم من الوهم والصحيح فأكون أول من تنشق عنه والانشقاق غير الإفاقة وقد مضى الحديث فيما سبق ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ فإذا أنا بموسى.

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ**) ابن منبه (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَالَ النَّبِيّ**) وفي رواية: رَسُول اللَّه (ﷺ **لَوْلا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَز**) بالمعجمة وفتح النون أي: لم ينتن (**اللَّحْمُ، وَلَوْلا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ**) قد مضى هذا الحديث في باب قول اللَّه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ومطابقته للترجمة في ذكر بني إسرائيل.

26 ـ باب طُوفَان مِنَ السَّيْلِ

(**باب**) هكذا وقع بغير ترجمة وهو كالفصل من الباب الذي قبله وتعلقه به ظاهر وسقط جميعه من رواية النسفي.

(**طُوفَان مِنَ السَّيْلِ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133] قد اختلفوا في المراد من الطوفان فَقَالَ الْبُخَارِيّ هو من السيل يكون من المطر الغالب وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ الطوفان كثرة الأمطار المفرقة المتلفة للزروع والثمار وبه قَالَ الضحاك وعند كثرة الموت وبه قَالَ عطاء وَقَالَ مجاهد الطوفان الماء والطاعون وروى ابن جرير بإسناده عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قالت قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**الطوفان الموت**» وكذا رواه ابن مردويه وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي رِوَايَةٍ أخرى هو أمر من أمر اللَّه طاف بهم.

(**ويقال لِلْمَوْتِ الكَثِيرِ طُوفَانٌ**) يراد به الموت المتتابع الذريع.

﴿القُمَّلُ﴾ [الأعراف: 133]: الحُمْنَانُ يُشْبِهُ صِغَارَ الحَلَمِ، ....

(القُمَّلُ: الحُمْنَانُ يُشْبِهُ صِغَارَ الحَلَمِ) أشار به إلى ما قوله تَعَالَى في الآية المذكورة والقمل وفسره بقوله الحمنان بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالنونين قراد يشبه صغار الحلم بفتح الحاء المهملة واللام وهو جميع الحلمة وهو القراد العظيم[1].

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: القمل السوس الذي يخرج من الحنطة وعنه أنه الدبا بفتح المهملة وتخفيف الموحدة مقصورًا وهو الجراد الصغار التي لا أجنحة لها وبه قَالَ عِكْرِمَة وقتادة.

وعن الحسن وسعيد بن جُبَيْر: القمل دواب سود صغار وَقَالَ عبد الرحمن ابن يزيد بن أسلم القمل البراغيث.

وَقَالَ ابن جرير: القمل جمع واحدة قملة وهي دابة تشبه القمل وفي تفسير القاضي ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133] ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل.

وقيل: الجريري.

وقيل: الموتان.

وقيل: الطاعون ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ﴾ [الأعراف: 133].

وقيل: كبار القردان.

وقيل: أولاد الجراد.

وقيل: نبات أجنحتها ﴿وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ [الأعراف: 133].

روي أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركب على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام عليهم ذلك أسبوعًا فقالوا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله

(1) وقال أبو عبيدة القراد عند العرب هي الحمنان. قال الأثرم الراوي عنه والحمنان ضرب من القردان، وقيل هي أصغر وقيل أكبر.

﴿حَقِيقٌ﴾ [الأعراف: 105]: حَقٌّ، ﴿سُقِطَ﴾ [الأعراف: 149]: كُلُّ مَنْ نَدِمَ فَقَدْ سُقِطَ فِي يَدِهِ»[1].

ولم يؤمنوا فبعث اللّه عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيًا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط اللّه عليهم القمل فأكل ما أبقاه وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل اللّه عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تملأ منها مضاجعهم وتثبُ إلى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف اللّه ونقضوا العهد ثم أرسل عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دمًا وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دمًا في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف ﴿ءَايَٰتٍ﴾ نصب على الحال ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات لا يشكل على العاقل أنها آيات اللّه ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعًا وقيل إن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

(﴿حَقِيقٌ﴾: حَقٌّ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: 105] هذا على قراءة التشديد في على كما هي قراءة نافع ومن خففه فمعنى حقيق محق.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حريص.

(﴿سُقِطَ﴾ كُلُّ مَنْ نَدِمَ فَقَدْ سُقِطَ فِي يَدِهِ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

(1) قال العيني: أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ وفسر قوله: ﴿سُقِطَ﴾ بقوله كل من ندم فقد سقط في يده وسقط على صيغة المجهول، قال صاحب الجمل: سقط فعل ماض مبني للمجهول وأصله سقطت أفواههم على أيديهم ففي بمعنى على، وذلك من شدة الندم فإن العادة أن الإنسان إذا ندم بقلبه على شيء عض بفمه على أصابعه، فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم، فأطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية، اهـ. =

27 ـ باب حَدِيث الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ

3400 - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسٍ الفَزَارِيُّ، فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف: 149] وفسره بقوله كل من ندم سقط في يده على صيغة المجهول. قَالَ القاضي كناية من أن اشتد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطًا فيها.

27 ـ باب حَدِيث الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ

(حَدِيث الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ) وفي رواية: وقع لفظ باب بغير ترجمة أَيْضًا وارتفاع حديث على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا حديث الخضر وعلى تقدير وجود لفظ باب يجوز أن يكون مجرورًا بإضافة باب إليه.

(حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ) أي: ابن بكير الناقد أَبُو عثمان البغدادي مات بها سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قَالَ: (حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي) هو إِبْرَاهِيم بن سعد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزُّهْرِيّ المدني وكان إِبْرَاهِيم بالعراق قاضيًا.

(عَنْ صَالِحٍ) هو ابن كيسان، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ (أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن عتبة (أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسٍ الفَزَارِيُّ، فِي صَاحِبِ مُوسَى) عَلَيْهِ السَّلامُ (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ[1] أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ

= وقال الرازي: في التفسير الكبير: إنهم اتفقوا على أن المراد من قوله: ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أنه اشتد ندمهم على عبادة العجل واختلفوا في الوجه الذي لأجله حسنت هذه الاستعارة ثم ذكر ستة وجوه لهذه الاستعارة وبسطها، وما أفاده الشيخ قدس سره من الاستعارة، من أن كون الجريمة بمرأى عين من الجاني يكون موجبًا لشدة الندامة أوجه وأجود.

(1) جادلتُ شأنه.

مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجُعِلَ لَهُ الحُوتُ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ يَتْبَعُ الحُوتِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)، فَقَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: 64]، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ».

3401 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا ....

مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ) ويروى: فهل سمعت بالفاء (**رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجُعِلَ لَهُ الحُوتُ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ يَتْبَعُ**) أَثَرَ (**الحُوتِ فِي البَحْرِ**[1] **فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ فَقَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ**) والحديث بعينه في كتاب العلم في باب ما ذكر في ذهاب مُوسَى في البحر إلى الخضر ومر الكلام فيه مستوفى.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) المعروف بابن المديني قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (**إِنَّ نَوْفًا**) بفتح النون منصرفًا وغير منصرف.

---

(1) ويروى يتبع أثر الحوت.

البَكَالِيَّ يَزْعُمُ: أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ؟ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ، أَيْ رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ - قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، حَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فَهُوَ ثَمَّهْ -، ....

(البَكَالِيَّ) بكسر الباء الموحدة وتخفيف الكاف وباللام وهو المشهور وقد يقال بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة إلى بكال ابن دعمى بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدى بن زرعة بن سبأ.

(يَزْعُمُ: أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ) إنما قال ذلك على سبيل التغليظ لا على قصد إرادة الحقيقة.

قَالَ الْكِرْمَانِيّ: واعلم أنه وقع في القصة نزاعان:

الأول: في صاحب مُوسَى أهو الخضر أم لا؟

والثاني: في نفس مُوسَى أهو ابن عمران كليم اللّه أو غيره؟

(حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ[1] هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ: أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ؟) أي: من يكفل لي برؤيته.

(وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ، أَيْ رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ) بكسر الميم هو الزنبيل، (حَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فَهُوَ ثَمَّهْ) بالهاء قَالَ التَّيْمِيّ يقال ثم وثمة كلاهما بفتح الثاء[2] وقيل هو ثم وقد يلحق به الهاء الوقف.

---

(1) هو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق، وقيل إفريقية وقيل طنجة وقيل البحران موسى والخضر فإن موسى كان بحر علم الظاهر، والخضر كان بحر علم الباطن.

(2) اسم يشار به إلى المكان البعيد.

وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا، فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي البَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَقَالَ: هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ، قَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ....

(**وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، حَتَّى**) إِذَا (**أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا، فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي البَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا**) أي: فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكًا.

(**فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الحُوتِ جِرْيَةَ المَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَقَالَ: هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الغَدِ**[1] **قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا**) ما نتغدى به.

(**لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ**) فلما جاوزه وسار الليلة والغد إلى الظهر ألقي عليه الجوع والنصب وقيل: لم يَعْيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سفر غيره ويؤيده التقييد بقوله هذا.

(**قَالَ لَهُ فَتَاهُ:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾) أي: أرأيت ما دهاني ونزل بي إذ أوينا (﴿إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾) يعني الصخرة التي رقد عندها مُوسَى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت.

(﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾) أي: فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه.

(﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾) أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان فإن ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل من الضمير.

(﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾) سبيلًا عجبًا وهو كونه كالسرب أو اتخاذًا

---

(1) وجاوزا مجمع البحرين.

فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا، قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾، رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلامُ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ؟ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ ....

عجبًا وقيل هو مصدر فعله المضمر أي: قَالَ في آخر كلامه أو مُوسَى في جوابه عجبًا تعجبًا من تلك الحال.

(**قَالَ لَهُ مُوسَى:** ﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: أمر الحوت (﴿مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾) أي: نطلب لأنه أمارة المطلوب.

(﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ **رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا**) يعني رجعا في الطريق الذي جاء فيه يتبعان آثارهما اتباعًا.

(**حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى**) أي: مغطى، (**بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ وَأَنَّى**) للاستفهام أي: من أين.

(**بِأَرْضِكَ السَّلامُ**) أي: في هذه الأرض التي أنت فيها إذ أهلها لا يعرفون السلام.

(**قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**) أي: علمًا ذا رشد وهو إصابة الخير.

(**قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ؟**) استفهام بمعنى التقدير.

(**قَالَ** ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله: (﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾) أي: وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظاهرها مناكير وبواطنها لم يحط به خبرك وخبرًا تمييز أو مصدر

ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ: ﴿أَمْرًا﴾ [الكهف: 67 ـ 69] فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي البَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ، قَالَ لَهُ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللّهِ إِلا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ، إِذْ أَخَذَ الفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا، قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالقَدُّومِ،

لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره.

(إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَمْرًا﴾) يريد به قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ معك غير منكر عليك ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: 69] عطف على صابرًا أي: ستجدني صابرًا وغير عاص أو على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الأمر مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد وخلفه ناسيًا لا يقدح في عصمته وفيه دليل على أن أفعال العباد بمشيئة اللّه تَعَالَى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ أي: فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته ولم تعلم وجه صحته ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 70] حتى أبتدئك ببيانه.

(**فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ**) يطلبان السفينة، (**فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ**) ويروى: أن يحملوا، (**فَعَرَفُوا الخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ**) أي: بغير أجرة.

(**فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ**) أي: طرفها، (**فَنَقَرَ فِي البَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ، قَالَ لَهُ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللّهِ إِلا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ البَحْرِ**) وهذا تشبيه في الحقارة والعلة لا المماثلة من كل الوجوه وإلا فنسبة النقرة إلى البحر نسبة المتناهي إلى المتناهي ونسبة علمهما إلى علم اللّه تَعَالَى نسبة المتناهى هي إلى غير المتناهي. وقيل هذا تشبيه على التقريب إلى الأفهام لا على وجه التحقيق. وقيل نقص بمعنى أخذ لأن النقص أخذ خاص.

(**إِذْ أَخَذَ الفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا**) ويروى فقطع لوحين من ألواحها مما يلي الماء.

(**قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ**) ويروى: فلم يفج بالجيم (**مُوسَى إِلا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالقَدُّومِ**

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف: 71 ـ 73]، فَكَانَتِ الأولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ البَحْرِ مَرُّوا بِغُلام يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا، ـ وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا ـ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: 74]،

(فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) ويروى: فجعل مُوسَى يسدي الخرق بثيابه ويقول أخرقتها لتغرق أهلها.

(﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾) أتيت أمرًا عظيمًا من أمر الأمر إذا عظم.

(﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾) تذكير لما ذكره قبل.

(﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾) بالذي نسيته أو بشيء نسيته يعني وصيته بأن لا يعترض أو بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان أَخْرَجَهُ في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها[1] وقيل أراد بالنسيان الترك أي: لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة.

(﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾) أي: ولا تغشني عسرًا بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فإن ذلك يعسر عليَّ متابعتك وعسرًا مفعول ثان لترهق فإنه يقال رهقه إذ غشيه وأرهقه إياه.

(فَكَانَتِ الأولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ البَحْرِ مَرُّوا بِغُلام يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ) اسمه جيسون بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية وضم السين المهملة وبالنون وَقَالَ الدارقطني بالراء بدل النون.

(فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا) وقيل: ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه.

(فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾) أي: طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية، والأول أبلغ.

---

(1) وهو الموافق لما سيأتي من قوله فكانت الأولى من موسى نسيانًا.

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، مَائِلًا، أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا، ـ وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ، فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلا مَرَّةً ـ، قَالَ: قَوْمٌ

وَقَالَ أَبُو عمر: والزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي أذنبت ثم غفر نبه به على أن القتل إنما يباح حدًّا أو قصاصًا وكلا الأمرين منتفٍ.

(﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾) قرئ بضم الكاف وإسكانها وَقَالَ في الأول شَيْئًا إمرًا وهنا شَيْئًا نكرًا لأن القتل أقبح والاعتراض عليه ادخل.

(﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ زاد قيد لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتنكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة.

(﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ﴾) أي: وإن سألت صحبتك.

(﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾) قد وجدت عذرًا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن النَّبِيّ ﷺ رحم اللّه أخي مُوسَى استحيى فَقَالَ ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب.

(﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾) قرية إنطاكية وقيل أبلة بصرة وهي أبعد أرض اللّه من السماء وقيل باجروان أرمينية.

(﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾) من التفعيل أو من الإفعال يقال ضافه إذا نزل به ضيفًا وإضافة وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض إذا مال.

(﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ **مَائِلًا**) أي: يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم وانقض انفعل من قضضته إذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهوية أو أفعل من النقض.

(**أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا، ـ وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ**) وفي رواية أقامه بعمارته أو بعمود عمد به وقيل نقضه وبناه قَالَ علي بن عَبْد اللّه شيخ الْبُخَارِيّ.

(**فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلا مَرَّةً، قَالَ**) أي: مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (**قَوْمٌ**

أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا، عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ، لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا، ـ قَالَ سُفْيَانُ ـ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ يُقَصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا» وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا» ....

أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا، عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ، لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) تحريض على أخذ الجعل ليتعشيا به أو تعريض بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كالتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرئ في القرآن لتخذت بالإظهار والإدغام.

(﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾) الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت أي: هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر إلى الظرف على الاتساع.

(﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾) بالخير الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرًا من حيث الظاهر.

(**قَالَ النَّبِيّ ﷺ: وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ**) ويروى: يصبر، (**فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا، ـ قَالَ سُفْيَانُ ـ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ يُقَصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»**) ويروى: من خبرهما.

(**وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (**«أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا»**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شَيْئًا إذا لم يكفه.

وقيل: سموا مسكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فإنها كانت لعشرة أخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: 79] أي: قدامهم وأشار بقراءة ابن عباس

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ﴾ كَافِرًا ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ ....

رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا إلى أن وراءهم بمعنى قدامهم فإنه يجيء بمعنى خلف أَيْضًا واسم الملك هدد بن بدد وفتح الهاء والموحدة والمهملتين وقيل بضم الهاء والموحدة وقيل اسمه جلندى بن كركر وكان كافرًا ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79] أي: سفينة صالحة غير معيبة وإليه أشار بقراءة ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا أي: يأخذها من أصحابها غصبًا.

(﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ﴾) أي: مقرين بتوحيد اللّٰه وهو كان (كَافِرًا ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ) فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ أي: يغشيهما ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لنعمتهما بعقوقه فليلحقهما شرًّا ويقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافرًا أو يعديهما بعلته فيرتدا بإضلاله أو بممالأته على طغيانه وكفره حبًّا وإنما خشي ذلك لأن اللّٰه أعلمه. وتمام القصة قوله تَعَالَى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾ [الكهف: 81] أن يرزقهما بدله ولدًا خيرًا منه ﴿زَكَوٰةً﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الردية ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمة وعطفًا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيًّا هدى اللّٰه به أمة من الأمم ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ قيل اسمهما أصرم وصريم ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: 82] من ذهب وفضة روى ذلك مَرْفُوعًا والذم على كنزهما فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34] لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب عليه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب.

وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح. وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا اللّٰه مُحَمَّد رَسُول اللّٰه.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحًا واسمه كاشح ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[1] [الكهف: 82] مرحومين من ربك ويجوز أن يكون علة أو

---

(1) أي: الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك.

ثُمَّ قَالَ لِي سُفْيَانُ: سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ، وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ، قِيلَ لِسُفْيَانَ: حَفِظْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْ عَمْرٍو، أَوْ تَحَفَّظْتَهُ مِنْ إِنْسَانٍ؟، فَقَالَ: مِمَّنْ أَتَحَفَّظُهُ؟، وَرَوَاهُ أَحَدٌ، عَنْ عَمْرٍو غَيْرِي سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاثًا وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ».

مصدرًا لأراد فإن إرادة الخير رحمة.

وقيل: متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك والعمل إسناد الإرادة **أولًا**: إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب.

وثانيًا: إلى الله وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله بدله.

وثالثًا: إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين وما فعلته أي: ما فعلت ما رأيته ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: وما فعلته عن رأي وإنما فعلته بأمر الله عز وجل ومبني ذلك على أنه إذا تعارض ضرر أن يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82] أي: ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفًا.

ومن فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعمله ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرًّا لا يعرفه.

وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الأدب في المقال. وأن يُنبّه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره ثم يهاجر عنه.

قَالَ: علي بن عَبْد اللّه شيخ الْبُخَارِيّ.

(**ثُمَّ قَالَ لِي سُفْيَانُ: سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ، وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ**) أي: من عمرو بن دينار.

(**قِيلَ لِسُفْيَانَ: حَفِظْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْ عَمْرٍو، أَوْ تَحَفَّظْتَهُ مِنْ إِنْسَانٍ؟**) شك من علي بن عَبْد اللّه يعني قيل لسفيان حفظته أو تحفظته من إنسان قبل أن تسمعه من عمرو.

(**فَقَالَ: مِمَّنْ أَتَحَفَّظُهُ؟، وَرَوَاهُ**) همزة الاستفهام فيه محذوفة أي: وأرواه.

(**أَحَدٌ، عَنْ عَمْرٍو غَيْرِي سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاثًا وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ**) وقد مر هذا الحديث في كتاب العلم في باب ما يستحب للعالم إذا سئل إلى آخره ومر الكلام فيه هناك أَيْضًا.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

3402 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الأَصْبِهَانِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ المُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ».

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ) ابْنُ (الأَصْبِهَانِيِّ) بكسر الهمزة وفتحها بالموحدة وفي بعض النسخ بالفاء أَبُو جعفر ويقال له حمدان الأصبهاني مات سنة عشرين ومائتين قَالَ: (أَخْبَرَنَا ابْنُ المُبَارَكِ) هو عَبْد اللّه ابن المبارك المروزي، (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ) بفتح الفاء قيل هي جلدة وجه الأرض جلس عليها الخضر فأنبتت وصارت خضراء بعد أن كانت جرداء وهذا معنى قوله: (بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ) وقيل: أراد به الهشيم من نبات الأرض اخضر بعد يبسه وبياضه ولما أخرج عبد الرزاق في مصنفه هذا الحديث بهذا الإسناد قَالَ: الفروة الحشيش الأبيض وما أشبهه.

وَقَالَ عَبْد اللّه بن أحمد بعد أن رواه عن أبيه عن عبد الرزاق: أظن أن هذا تفسير من عبد الرزاق وجزم بذلك القاضي عياض.

وَقَالَ الحرمي: الفروة من الأرض قطعة يابسة من حشيش وهذا موافق لقول عبد الرزاق وعن ابن الأعرابي الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات وبهذا جزم الْخَطَّابِيّ ومن تبعه.

وحكي عن مجاهد أنه قيل له: الخضر لأنه كان إذا صلى اخضرّ ما حوله، والخضر بكسر الضاد وإسكانها واختلف في اسمه قبل ذلك، وفي اسم أبيه، وفي نسبه، وفي نبوته، وفي تعميره، فَقَالَ وهب بن منبه: هو بليا بفتح الموحدة وسكون اللام وبالمثناة التحتية ابن ملكان بن نافع بن عابر بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فعلى هذا فمولده قبل إِبْرَاهِيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه يكون ابن عم جد إِبْرَاهِيم وقد حكى الثعلبي قولين في أنه كان قبل الخليل أو بعده قَالَ وهب وكنيته أَبُو العباس وَقَالَ مجاهد اسمه أليسع بن ملكان إلى آخره.

وقيل: إيليا بن ملكان إلى آخره.

وقيل: خضرون ابن عابيل بن يعمر بن عيصو بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم قاله

كعب، وَقَالَ ابن إِسْحَاق: أرميا بن طبقا من سبط هارون بن عمران حكاه عن وهب وأنكره الطَّبَرِيّ وَقَالَ: أرميا كان في زمن بخت نصر وبين بختُ نصر وموسى زمان طويل.

وقيل: خضرون بن قابيل بن آدم ذكره أَبُو حاتم السجستاني.

وعن إِسْمَاعِيل بن أَبِي أويس هو المعمر بن مالك بن عَبْد اللّه بن نصر بن الأزد. وروى الدارقطني في الإفراد من طريق مقاتل عن الضحاك عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ هو ابن آدم لصلبه وهذا ضعيف منقطع.

وذكر أَبُو حاتم السجتاني: أنه ابن قابيل بن آدم رواه عن أَبِي عبيد وغيره.

وعن ابن لهيعة: كان ابن فرعون وهذا غريبٌ جدًا.

وقيل: ابن بنت فرعون.

وَقَالَ الطَّبَرِيّ: هو الرابع من ولد إِبْرَاهِيم لصلبه.

وَقَالَ مجاهد هو من ولد يافث وكان وزير ذي القرنين وقيل هو من ولد رجل من أهل بابل ممن آمن بالخليل وهاجر معه وقيل هو أخو إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ وروى الْحَافِظ ابن عساكر بإسناده إلى السُّدِّيّ أن الخضر وإلياس كانا أخوين وكان أبوهما ملكًا[(1)].

وحكى السهيلي عن قوم أنه كان ملكًا من الملائكة وليس من بني آدم وروى الدارقطني من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ الخضر بن آدم لصلبه ونسئ له في أجله حتى يكذب الدجال.

وَقَالَ عبد الرزاق في مصنفه عن معمر في قصته: الذي يقتله الدجال ثم يحييه بلغني أنه الخضر وكذا قَالَ إِبْرَاهِيم بن سُفْيَان الراوي عن مسلم صحيحه.

وروى ابن إِسْحَاق في المبتدأ عن أصحابه أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذي تولى دفنه الخضر. وروى خيثمة ابن سليمان من طريق جعفر الصادق عن أبيه أن ذا القرنين كان له صديق من

---

(1) وعن سعيد بن المسيب أنَّ أم الخضر رومية وأباه فارسي. رواه الطبري من طريق عبد اللّه بن شوذب عنه.

الملائكة يطلب منه أن يدله على شيء يطول به عمره فدله على عين الحياة وهي داخل الظلمة فسار إليها وعلى مقدمته الخضر فظفر بها الخضر ولم يظفر بها ذو القرنين. وروي عن مكحول عن كعب الأحبار قَالَ أربعة من الْأَنبِيَاء أحياء أمان لأهل الأرض اثنان في الأرض الخضر وإلياس واثنان في السماء إدريس وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وحكى ابن عطية والبغوي عن أكثر أهل العلم: أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رَسُول أم لا؟ وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ هو نبي عند الجمهور وهو الصحيح لأن أشياء في قصته تدل على نبوته.

وروى مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أنه كان نبيًّا والآية تشهد بذلك لأن النَّبِيّ لا يتعلم ممن هو دونه ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الْأَنْبِيَاء. وقالت طائفة منهم: القشيري هو ولي وعن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه كان عبدًا صالحًا.

وَقَالَ الطَّبَرِيّ في تاريخه: كان الخضر في أيام أفريدون في قول عامة علماء الكتاب الأول وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وأخرج النقاش أخبارًا كثيرة تدل على بقائه لا يقوم بشيء منها حجة قاله ابن عطية فإن قَالَ ولو كان باقيًا لكان له في ابتداء الإسلام ظهور ولم يثبت شيء من ذلك.

وَقَالَ الثعلبي: هو معمر على جميع الأقوال محجوب عن الأبصار.

قَالَ: وقيل إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن.

وَقَالَ ابن الصلاح: هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في ذلك وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر انتهى.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: الجمهور خصوصًا مشايخ الطريقة والحقيقة وأرباب المجاهدات والمكاشفات أنه حي يرزق ويشاهد في الفلوات ورآه عمر بن عبد العزيز وإبراهيم بن أدهم وبشر الحافي ومعروف الكرخي وسري السقطي وجنيد وإبراهيم الخواص وغيرهم قدس اللَّه أسرارهم.

وَقَالَ الْبُخَارِيّ وإبراهيم الحربي وابن الجوزي وأبو جعفر ابن المنادي وأبو يعلى بن الْفَرَّاء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر ابن العربي وطائفة: أنه مات وعمدتهم الحديث المشهور عَنِ ابْن عُمَر وجابر وغيرهما أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ في آخر حياته: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ما هو عليها اليوم أحد**».

وَقَالَ ابْن عُمَر: أراد بذلك انخرام قرنه وقد روى أحمد في مسنده عن جابر ابن عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ قبل موته بقليل أو بشهر: «**ما من منفوس أو ما منكم اليوم من نفس منفوس يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية**».

ومن حججهم أيضًا قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الْأَنْبِيَاء: 34] وأجاب الجمهور عن الآية بأنا ما ادعينا أنه يخلد وإنما يبقى إلى انقضاء الدنيا فإذا نفخ في الصور مات لقوله تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185]، وعن الحديث بأنه متروك الظاهر لأن جماعة عاشوا أكثر من مائة سنة منهم سلمان الفارسي فإنه عاش ثلاثمائة سنة وقد شاهد رَسُول اللَّه ﷺ وحكى أن ابن حرام عاش مائة وعشرين سنة. وفيه أنه إنما أشار ﷺ إلى ذلك الزمان لا إلى ما تقدم كما أشار إليه ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا بقوله أراد بذلك انخرام قرنه. نعم قد عاش بعد ذلك الزمان خلق كثير أكثر من مائة سنة لكن المراد كما عرفت انخرام قرنه ﷺ فليتأمل.

وأجاب بعضهم: بأن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كان حينئذ على وجه البحر وقيل هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق.

ومما احتجوا به على أنه غير حي ما أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ما بعث اللَّه نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث مُحَمَّد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النَّبِيّ ﷺ ولا قاتل معه وقد قَالَ ﷺ يوم بدر: «**اللَّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» فلو كان الخضر حيًّا لم يصح هذا النفي وَقَالَ ﷺ: «**رحم اللَّه مُوسَى لوددنا لو كان صبر حتى يقص اللَّه علينا من خبرهما**» فلو كان الخضر موجودًا لما حسن هذا التمني

ولا حضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب. نعم جاء في اجتماعه بالنبي ﷺ حديث ضعيف أَخْرَجَهُ ابن عدي من طريق كثير بن عَبْد اللّه بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أن النَّبِيّ ﷺ سمع وهو في المسجد كلامًا فَقَالَ يا أنس اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي فذهب إليه فَقَالَ قل له إن اللّه قد فضلك على الْأَنْبِيَاء بما فضل رمضان على الشهور قَالَ فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر إسناده ضعيف ومتنه يشهد على ضعفه.

وروى ابن عساكر من حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ نحوه بإسناد أوهن منه.

وروى الدارقطني في الإفراد من طريق عطاء عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم اللّه ما شاء اللّه الحديث وفي إسناده مُحَمَّد بن أحمد بن زبد المعجمة ثُمَّ موحدة ساكنة وهو ضعيف، وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يَحْيَى عن بن أَبِي رواد نحوه وزاد ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل وهذا معضل ورواه أحمد في الزهد بإسناد حسن عن أَبِي رواد وزاد أنهما يصومان رمضان ببيت المقدس.

وروى الطَّبَرِيّ من طريق عَبْد اللّه بن شوذب نحوه.

وروى عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه دخل الطواف فسمع رجلًا يقول يا من لم يشغله سمع عن سمع الحديث فإذا هو الخضر أَخْرَجَهُ ابن عساكر من وجهين في كل منهما ضعف وهو في المجالسة من الوجه الثاني.

وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهي الإسناد منها ما أَخْرَجَهُ ابن أَبِي الدنيا والبيهقي من حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ لما قبض النَّبِيّ ﷺ دخل رجل فتخطاهم فذكر الحديث في التعزية فَقَالَ أَبُو بكر وعلي رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا هذا الخضر وفي إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واه.

وروى سيف في الردة نحوه بإسناد آخر مجهول.

وروى ابن أَبِي حاتم من طريق جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ نحوه.

وروى ابن وهب من طريق ابن المنكدر أن عمر رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ صلى على جنازة فسمع قائلًا يقول لا تسبقنا فذكر القصة وفيها أنه دعا للميت فَقَالَ عمر خذوا الرجل فتوارى عنهم فإذا أثر قدمه ذراع فَقَالَ عمر رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ هذا واللّٰه الخضر وفي إسناده مجهول مع انقطاعه.

وروى أحمد في الزهد من طريق مسعر عن معن ابن عبد الرحمن عن عون ابن عَبْد اللّٰه قَالَ بينا رجل بمصر في فتنة ابن الزبير مهمومًا إذ لقيه رجل فسأله فأخبره باهتمامه بما فيه الناس من الفتن فَقَالَ قل اللّٰهم سلمني وسلم مني قَالَ فقالها فسلم قَالَ مسعر يرون أنه الخضر.

وروى يعقوب بن سُفْيَان في تاريخه وأبو عوانة من طريق رياح بالتحتانية ابن عبيدة قَالَ رأيت رجلًا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمدًا على يديه فلما انصرف قلت له من الرجل قَالَ رأيته؟ قلت نعم قَالَ أحسبك رجلًا صالحًا ذلك أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل لا بأس برجاله قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره وهذا لا يعارض الحديث الأول في مائة سنة فإن ذلك كان قبل المائة.

وروى ابن عساكر من طريق كرز ابن وبرة قَالَ أتاني أخ لي من أهل الشام فَقَالَ اقبل مني هذه الهدية أن إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ حَدَّثَنِي قَالَ كنت جالسًا بفناء الكعبة أذكر اللّٰه فجاءني رجل فسلم علي فلم أر وجهًا أحسن منه ولا أطيب ريحًا منه فقلت من أنت قَالَ أنا أخوك الخضر قَالَ فعلمه شَيْئًا إذا فعله رأى النَّبِيّ ﷺ في المنام وفي إسناده مجهول وضعيف.

وروى ابن عساكر في ترجمة أَبِي زرعة الرازي بسند صحيح أنه رأى وهو شاب رجلًا نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ثم رآه بعد أن صار شيخًا كبيرًا على حالته الأولى فنهاه عن ذلك أَيْضًا قَالَ فالتفت لأكلمه فلم أره فوقع في نفسي أنه الخضر.

وروى عمر الجمحي في فوائده والفاكهي في كتاب مكة فيه مجهول عن جعفر بن مُحَمَّد أنه رأى شيخًا كبيرًا يحدث أباه ثم ذهب فَقَالَ له أبوه رده عليّ قَالَ فتطلبته فلم أقدر عليه فَقَالَ لي أبي ذلك الخضر.

28 ـ باب

3403 – حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ....

وروى البيهقي من طريق الحجاج بن قرافصة أن رجلين كانا يتبايعان عند ابن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فقام عليهم رجل فنهاهما عن الحلف باللّه ووعظهم بموعظة فَقَالَ ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا لأحدهما أكتبها منه فاستعاده حتى حفظها ثم تطلبه فلم يره قَالَ فكانوا يرون أنه الخضر واللّه تَعَالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه ذكر فيه الخضر وهو صاحب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

28 ـ باب

(باب) وقع هكذا بغير ترجمة فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ وغيره وهو كالفصل من الذي قبله وقد مر نحو هذا غير مرة.

(**حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ**) بسكون الصاد المهملة هو إسحاق بن إبراهيم بن نصر السعدي البخاري قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ:** ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾) أراد به القرية التي ذكرها اللّه تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [البقرة: 58] وعن عِكْرِمَة عن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كان الباب قبل الكعبة وعن مجاهد والسدي وقتادة والضحاك هو باب الحطة من باب إيليا من بيت المقدس.

وَقَالَ ابن العربي: إن القرية في الآية بيت المقدس.

وَقَالَ السهيلي: هي أريحا وقيل مصر وقيل بلقاء وقيل الرملة والباب الذي أمروا بدخوله هو الباب الثامن من جهة القبلة.

(﴿سُجَّدًا﴾) قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أي: منحنين ركوعًا.

وقيل: خضوعًا وشكرًا لتيسيره الدخول وانتصاب ﴿سُجَّدًا﴾ على الحال

وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: 58] فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ».

3404 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الحَسَنِ، وَمُحَمَّدٍ، وَخِلاسٍ، ....

وليس المراد منه حقيقة السجدة وإنما معناه ما ذكر.

(﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾) أي: مغفرة قاله ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أو لا إله إلا اللّه قَالَه عِكْرِمَة أو حط عنا ذنوبنا قاله الحسن، أو أخطأنا فاعترفنا.

وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره أمرك حطة أو مسألتنا حطة وهي فعله من الحط كالجلسة.

(**فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ**) بالحاء المهملة (**عَلَى أَسْتَاهِهِمْ**) جمع سته وهو الإست يعني أنهم أمروا أن يدخلوها بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرًا لله وتواضعًا أو منحنين ومتطامنين ليكون دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أستاههم وفي رواية النَّسَائِيّ فدخلوا يزحفون على أوراكهم.

(**وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ**) الحبة بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة وهذا كلام مهمل وغرضهم فيه مخالفة ما أمروا به من الكلام المستلزم للمغفرة وحط العقوبة عنهم فلما عصوا عاقبهم اللّه بالزجر وهو الطاعون هلك منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا وقيل سبعون ألفًا.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه في قصة بني إسرائيل وموسى نبيهم.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في آخر الكتاب وَالتِّرْمِذِيّ في التفسير.

(**حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ**) هو ابن راهويه قَالَ: (**حَدَّثَنَا رَوْحُ**) بفتح الراء (**ابْنُ عُبَادَةَ**) بضم العين هو أَبُو مُحَمَّد البَصْريّ، (**حَدَّثَنَا عَوْفٌ**) المعروف بالأعرابي وليس بأعرابي، (**عَنِ الحَسَنِ**) هو البَصْريّ، (**وَمُحَمَّدٍ**) هو ابن سيرين، (**وَخِلاسٍ**) بكسر الخاء المعجمة وتخفيف اللام وآخره سين مهملة هو ابن عمرو الهجري البَصْريّ ثلاثتهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا،

(**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا**) بفتح المهملة وكسر التحتية الخفيفة وأخرى مثقلة بوزن فعيل بالتشديد من الحياء (**سِتِّيرًا**) على وزن فعليل من الستر كصديق من الصدق أي: من شأنه حب الستر والصون ويروى على وزن فعيل كبصير.

(**لا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ**) هذا يشعر بأن اغتسال بني إسرائيل كان عراة بمحضر منهم وكان جائزًا في شرعهم وإنما اغتسال مُوسَى وحده كان استحياء.

(**فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ**) بمد الهمزة في الموضوعين.

(**مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ**) بضم الهمزة وسكون الدال على المشهور وحكى الطحاوي عن بعض مشايخه بفتح الهمزة والدال ورجح الأول ووقع فِي رِوَايَةِ ابن مردويه من طريق عثمان عن عوف الجزم بأنه أدر.

قَالَ ابن الأثير: الأدرة بالضم نفخة في الخصية يقال رجل أدر بين الأدر بفتح الهمزة والدال وهي التي يسميها الناس الأقليط.

(**وَإِمَّا آفَةٌ**) هو من باب عطف العام على الخاص.

(**وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا**) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: ثيابًا أي: ثيابًا له والأول هو المعروف وظاهره أنه دخل الماء عريانًا وعليه بوب المصنف في الغسل من اغتسل عريانًا.

ونقل ابن الجوزي عن الحسن بن أَبِي بكر النيسابوري أن مُوسَى نزل إلى الماء مؤتزرًا فلما خرج يتبع الحجر والمئزر مبتل بالماء علموا عند رؤيته أنه غير

وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلأ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا،

أدر لأن الأدرة تبين تحت الثوب المبلول بالماء انتهى.

وهذا وإن كان الرجل قاله احتمالًا فيحتمل لكن المنقول يخالفه لأن فِي رِوَايَةِ علي بن زيد عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند أحمد في هذا الحديث أن مُوسَى كان إذا أراد أن يدخل الماء لم يلق ثوبه حتى يواري عورته الماء.

(**وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ**) بالعين المهملة أي: مضى مسرعًا، (**فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ**) أي: أعطني ثوبي أو رد ثوبي يا حجر فحجر بالضم على حذف حرف النداء وقد تقدم في الغسل بلفظ ثوبي يا حجر.

(**حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلأ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ**) وفي رواية قَتَادَة عن الحسن عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند ابن مردويه وابن خزيمة وأعدله صورة وفي روايته فقالت بنو إسرائيل قاتل اللّه الأفّاكين فكانت براءته وفي رواية روح بن عبادة المذكورة فرأوه كأحسن الرجال خلقا فبرأه مما قالوا.

(**وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ**) وفي مسند إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم شيخ الْبُخَارِيّ فيه وقام الحجر فأخذ ثوبه وكذا أَخْرَجَهُ أَبُو نعيم وابن مردويه في طريقه.

(**فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ**) أي: يضرب ضربًا، (**فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ**) والندب بفتح النون والدال هو أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد والظاهر أنه بقية الحديث وقد بين فِي رِوَايَةِ همام في الغسل أنه قول أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**ثَلاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا**) وفي رواية همام المذكورة ستة أو سبعة ووقع عند ابن مردويه من رواية حبيب بن سالم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ الجزم بست ضربات.

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب: 69]».

(**فَذَلِكَ**) أي: ما ذكرنا من أذى بني إسرائيل مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**قَوْلُهُ**) تعَالَى أي: مفاد قوله تعَالَى: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾) أي: احذروا أن تكونوا مؤذين للنبي ﷺ كما آذى بنو إسرائيل مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فأظهر اللّه براءته مما قالوه فيه من أنه أدر. وقد روى ابن مردويه من طريق عِكْرِمَة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ قرأ رَسُول اللّه ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ الآية قَالَ: «**إن بني إسرائيل كانوا يقولون إن مُوسَى أدر فانطلق مُوسَى إلى النهر يغتسل**» فذكر نحوه.

وفي رواية علي بن زيد في آخره فرأوه ليس كما قالوا فأنزل اللّه تَعَالَى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: 69].

وروى أحمد بن منيع في مسنده بإسناد حسن والطحاوي وابن مردويه من حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن الآية المذكورة نزلت في طعن بني إسرائيل على مُوسَى بسبب هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه توجه معه إلى الطور فمات هارون فدفنه مُوسَى فطعن فيه بعض بني إسرائيل قالوا أنت قتلته فبرأه اللّه تَعَالَى بأن رفع لهم جسد هارون وهو ميت فخاطبهم بأنه مات وفي الإسناد ضعف ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون في الفريقين معًا لصدق أن كلا منهما آذى مُوسَى فبرأه اللّه مما قالوا وروي أنه حملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه أنه غير مقتول وقيل أحياه اللّه فأخبرهم ببراءته. وقيل إن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه اللّه تَعَالَى كما في القصص واللّه تَعَالَى أعلم.

(﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾) أي: ذا جاه ومنزلة وقيل وجيهًا لم يسأل شَيْئًا إلا أعطاه اللّه تَعَالَى وقرئ شاذًا وكان عَبْد اللّه بالموحدة.

وفي الحديث جواز المشي عريانًا للضرورة وَقَالَ ابن الجوزي لما كان مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ في خلوة وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء على أن لا يصادف أحدًا وهو عريان فاتفق أنه كان هناك قوم فاجتاز بهم كما أن جوانب الأنهار وإن خلت غالبًا لا يؤمن وجود قوم قريبا منها فبني الأمر على أنه

لا يراه أحد لأجل خلو المكان فاتفقت رؤية من رآه والذي يظهر أنه استمر يتبع الحجر على ما في الخبر حتى وقف على مجلس لبني إسرائيل كان فيهم من قَالَ فيه ما قَالَ وبهذا يظهر الفائدة وإلا فلو كان الوقوف على قوم منهم في الجملة لم يقع ذلك الموقع.

وفيه: جواز النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية إلى ذلك من مداواة أو براءة من عيب كما لو ادعى أحد الزوجين على الآخر البرص ليفسخ النكاح فأنكر.

وفيه: أن الْأَنْبيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في خَلقهم وخُلقهم على غاية الكمال. وأن من نسب نبيًّا من الْأَنْبِيَاء إلى نقص في خلقه فقد آذاه ويخشى عليه الكفر.

وفيه: معجزة ظاهرة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإن الآدمي يغلب عليه طباع البشر لأن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع علمه أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من اللّه تَعَالَى ومع ذلك عامله معاملة من يعقل حتى ضربه.

ويحتمل أنه أراد بيان معجزة أخرى لقومه بتأثير الضرب بالعصا في الحجر.

وفيه: ما كان الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الصبر على الجهال واحتمال أذاهم وجعل اللّه تَعَالَى العاقبة لهم على من أذاهم والحديث قد مضى في كتاب الغسل وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا وَالتِّرْمِذِيّ فيه أَيْضًا.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

تنبيه:

اعلم أن سماع مُحَمَّد بن سيرين من أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ ثابت فقد أخرج أحمد هذا الحديث عن روح عن عوف عن مُحَمَّد وحده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ. وأما خلاس ففي سماعه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ خلاف فَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لم يسمع خلاس من أَبِي هُرَيْرَةَ ويقال إنه كان على شرطة علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ وحديثه عنه في التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وجزم يَحْيَى القطان بأن روايته عنه من صحيفة وَقَالَ ابن أَبِي حاتم عن أَبِي زرعة كان يَحْيَى القطان يقول روايته عن علي

3405 - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ! فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ،

رَضِيَ اللَّه عَنْهُ من كتاب وقد سمع من عمار وعائشة وابن عباس رضي اللَّه عنهم.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: إذا ثبت من عمار وكان على شرطة علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كيف يمتنع سماعه من علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

وَقَالَ أَبُو حاتم: يقال وقعت عنده صحيفة علي وليس بقوي يعني في علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

وَقَالَ صالح بن أحمد عن أبيه كان يَحْيَى القطان يتوقى أن يحدث عن خلاس عن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ خاصة. ووثق بقية الأئمة مُطْلَقًا.

وما له في الْبُخَارِيّ سوى هذا الحديث وقد أَخْرَجَهُ له مقرونًا بغيره وأعاده سندًا ومتنًا في تفسير الأحزاب.

وله عنه حديث آخر أَخْرَجَهُ في الأيمان والنذور مقرونا أَيْضًا بمحمد بن سيرين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ووهم المزي فنسبه إلى الصوم وأما الحسن البَصْريّ فلم يسمع من أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه عند الحفاظ النقاد وما وقع في بعض الروايات مما يخالف ذلك فهو محكوم بوهمه عندهم.

وما له في الْبُخَارِيّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ سوى هذا مقرونًا.

وله حديث آخر في بدء الخلق مقرون بابن سيرين وثالث ذكره في أوائل الكتاب في الإيمان مقرون بابن سيرين أَيْضًا.

(**حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ**) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ**) أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ**[1] **قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ**[2]**: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ،**

---

(1) شقيق بن سلمة.

(2) هو ابن مسعود.

ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»(1).

29 ـ بَاب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: 138]

﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الأعراف: 139]: خُسْرَانٌ،

﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يُدَمِّرُوا، ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ [الإسراء: 7]: مَا غَلَبُوا

ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ») والحديث قد مضى في كتاب الجهاد في باب ما كان النَّبِيّ ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم والغرض منه هنا ذكر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

29 ـ بَاب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف: 138]

﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الأعراف: 139]: خُسْرَانٌ،

﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يُدَمِّرُوا، ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ [الإسراء: 7]: مَا غَلَبُوا

(باب: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ

---

(1) قال الكاندهلوي: ظاهر صنيع الإمام البخاري أنه أشار بإيذاء موسى إلى حديث الغسل لذكره هذا الحديث بعده.

وقد قال السيوطي في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ الآية أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال قسم رسول اللّه ﷺ قسمًا فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه اللّه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه، ثم قال: «**رحمة اللّه على موسى لقد أوذي أكثر من هذا فصبر**» أخرج أيضًا حديث تستر موسى بطرق عديدة وفيه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل وقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة، وأن اللّه أراد أن يبرئه الحديث، وفي آخره فذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾، اهـ.

وقال الرازي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ الآية لما بين اللّه تعالى أن من يؤذي اللّه ورسوله يلعن ويعذب، وكان ذلك إشارة إلى إيذاء هو كفر أرشد المؤمنين إلى الامتناع من إيذاء هو دونه وهو لا يورث كفرًا وذلك مثل من لم يرض بقسمة النبي ﷺ وبحكمه بالفيء لبعض وغير ذلك، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ وحديث إيذاء موسى مختلف فيه، قال بعضهم هو إيذاؤهم إياه بنسبته إلى عيب في بدنه.

وقال بعضهم قارون قرر مع امرأة فاحشة حتى تقول عند بني إسرائيل إن موسى زنى بي.

وبالجملة الإيذاء المذكور في القرآن كاف، وهو أنهم قالوا له: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ وقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ إلى غير ذلك، فقال للمؤمنين لا تكونوا أمثالهم، انتهى مختصرًا.

إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الأعراف: 138] ذكر تَعَالَى ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن منَّ اللّه عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسليةً لرسول اللّه ﷺ مما رأى منهم وإيقاظًا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم.

وقد روي أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموا شكرًا.

﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ فمروا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقتالهم.

وقيل: قوم من الكنعانيين.

وقيل: كانوا من لخم وقوله يعكفون من عكف يعكف عكوفًا وهو الإقامة على الشيء والمكان ولزومهما يقال عكف يعكف ويعكف من باب نصر وضرب وقد قرئ بهما في السبعة.

ومنه قيل لمن لازم المسجد وأقام على العبادة فيه عاكف ومعتكف ﴿قَالُوا يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ مثالًا نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ يعبدونها وما كافة للكاف.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138] وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الأعراف: 139] إشارة إلى القوم ﴿مُتَبَّرٌ﴾ مكسر مدمر ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ يعني أن اللّه يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضًا ﴿وَبَٰطِلٌ﴾ مضمحل ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى اللّه تَعَالَى وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم عليه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان.

وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرًا لأن للتنبيه على أن الدمار لا حق لهم لما هم عليه لا محالة وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرًا

وتحذيرًا عما طلبوا.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ أطلب لكم معبودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 140] والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حين قابلوا تخصيص اللّه إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلًا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته.

واعلم أن المؤلف رَحِمَهُ اللّه لم يفسر من الآيات إلا قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: 139] فَقَالَ: (﴿مُتَبَّرٌ﴾: خُسْرَانٌ) فسر قوله متبر بقوله خسران ومتبر اسم مفعول من التتبير وهو الإهلاك يقال تبره تتبيرًا إذا كسره وأهلكه ومنه التبار وهو الهلاك.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: قَوْلِهِ متبر أي: خاسرٌ وقد فسر المفعول بمعنى الفاعل وهو بعيد وكذلك تفسير الْبُخَارِيّ بالمصدر وتفسيره الموجه متبر مهلك.

(﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يُدَمِّرُوا، ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: مَا غَلَبُوا») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7].

وفسر قوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ بقوله: يدمروا من التدمير من الدمار وهو الهلاك يقال دمره تدميرًا ودمر عليه بمعنى.

وفسر قوله: ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ بقوله: غلبوا وذكره هذا بطريق الاستطراد ثم إن هذا التفسير الذي ذكره الْبُخَارِيّ أخرجه الطَّبَرِيّ من طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: 139] قَالَ خسران والخسران تفسير التتبير الذي اشتق منه المتبر.

وأما قوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ يدمروا ما علوا غلبوا فقد أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيّ من طريق سَعِيد عن قَتَادَة قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7] ليدمروا ما غلبوا عليه تدميرًا.

3406 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْنِي الكَبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ» قَالُوا: أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ؟ قَالَ: «وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ رَعَاهَا».

(حدثنا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) الأَنْصَارِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْنِي الكَبَاثَ) وكانت هذه الكينونة بمر الظهران كما في بعض الروايات ونجني من جنى يجني جنيًا وهو أخذ الثمرة من الشجر والكباث بفتح الكاف والموحدة الخفيفة وبعد الألف مثلثة هو ثمر الأراك ويقال ذلك للنضيج منه كذا نقله النووي عن أهل اللغة.

وَقَالَ أَبُو عبيد: هو ثمر الأراك إذا يبس وليس له عجم[1].

وقال أَبُو زياد: الكباث يشبه التين يأكله الناس والإبل والغنم وفيه حرارة وفي المحكم هو حمل ثمر الأراك إذا كان متفرقًا واحده كباثة.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: هو فوق حب الكزبرة وعنقوده يملأ الكفين وإذا التقمه البعير فضل عن لقمته والنضيج منه يقال له المرد.

وَقَالَ صاحب المطالع: هو خضرته.

(وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ» قَالُوا) أي: الصحابة رضي الله عنهم.

(أَكُنْتَ تَرْعَى الغَنَمَ؟) وإنما قالوا له ذلك لأن قوله لهم عليك بالأسود منه يدل على تميزه بين أنواعه والذي يميز بين أنواع ثمر الأراك غالبًا من يلازم رعي الغنم على ما أبغوه.

(قَالَ: «وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ رَعَاهَا») فإن قيل ما الحكمة في ذلك.

فالجواب: أنه قَالَ الْخَطَّابِيّ إن اللَّه تَعَالَى لم يضع النبوة في أبناء الدنيا المترفين منهم وإنما جعلها في رعاة الشاة وأهل التواضع من أصحاب الحرف.

---

(1) وقال القزاز هو الغصن من ثمر الأرائك هو الخمط.

روي أن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان خياطًا.

وزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه السلام كان نجارًا والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وَقَالَ النووي: الحكمة في أن يأخذوا لأنفسهم بالتواضع ويُصفوا قلوبهم بالخلوة ويترقوا من سياستها إلى سياسة أممهم والله تَعَالَى أعلم.

وقد مر بعض الكلام من هذا القبيل في أوائل كتاب الإجارة.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وأما حديث جابر في رعي الغنم فمناسبته للترجمة غير ظاهرة والذي يهجس في خاطري أنه كان بين التفسير المذكور وبين الحديث بياض أخلي لحديث يدخل في الترجمة والترجمة تصلح لحديث جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ثم وصل ذلك كما في نظائره.

ومناسبة حديث جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ لقصص مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ من جهة عموم قوله وهل من نبي إلا وقد رعاها فدخل فيه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بل وقع في بعض طرق هذا الحديث ولقد بعث مُوسَى وهو يرعى الغنم وذلك فيما أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ في التفسير من طريق أَبِي إِسْحَاق عن نصر بن حزن قَالَ افتخر أهل الإبل والشاة فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**بعث مُوسَى وهو راعي غنم**» الحديث ورجال إسناده ثقات ويؤيد هذا الذي قبله وأنه وقع فِي رِوَايَةِ النسفي باب بغير ترجمة وساق فيه حديث جابر ولم يذكر ما قبله وكأَنَّهُ حذف الباب الذي فيه التفاسير الموقوفة كما هو الأغلب من عادته واقتصر على الباب الذي فيه الحديث المرفوع.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: لعل المناسبة من جهة أن بني إسرائيل كانوا مستضعفين جهالًا ففضلهم اللّه على العالمين وسياق الآية يدل عليه أي: فيما يتعلق ببني إسرائيل فكذلك الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا أولًا مستضعفين بحيث إنهم كانوا يرعون الغنم انتهى.

وأنت خبير بما فيه من التكلف والتعسف.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأطعمة أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فيه أَيْضًا، وَالنَّسَائِيّ في الوليمة.

30 ـ باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67] الآيَة

---

30 ـ باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67] الآيَة

(باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ **الآيَةَ**) لم يذكر الْبُخَارِيّ في هذا الباب غير بعض تفسير ألفاظ تتعلق بقصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ التي وقعت في القرآن من قصصه عَلَيْهِ السَّلَامُ والآية في سورة البقرة قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: واذكر يا مُحَمَّد حين قَالَ مُوسَى لقومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67].

وقصتها ما أوردها آدم بن أَبِي إياس في تفسيره قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أَبِي العالية قَالَ كان رجل من بني إسرائيل غنيًّا ولم يكن له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق وأتى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إن قريبي قتل وإني لا أجد أحدًا يبين لي قاتله غيرك يا نبي اللّه ونادى مُوسَى في الناس من كان عنده علم من هذا فليبينه فلم يكن عندهم علم فأوحى اللّه إليه قل لهم فليذبحوا بقرة فعجبوا وَقَالواَ كيف يطلب معرفة من قتل هذا القتيل فيؤمر بذبح بقرة وكان ما قص اللّه قَالَ: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني لا هرمة ولا صغيرة ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: 68] أي: نصف بين البكر والهرمة ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾صافٍ ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: 69] أي: تعجبهم ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ الآية ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: لم يذللها العمل ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني ليست بذلول فتثير الأرض.

﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ ولا تعمل في الحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: من العيوب ﴿لَّا شِيَةَ﴾ فيها أي: بياض ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: 71] قَالَ ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استعرضوا أي: بقرة كانت لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدّد عليهم ولولا أنهم استثنوا وقالوا: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما اهتدوا إليها

أبدًا فبلغنا أنهم لم يجدوها إلا عند عجوز فأغلت عليهم في الثمن فَقَالَ لهم مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنتم شددتم على أنفسكم فأعطوها ما سألت فذبحوها فأخذوا عظمًا منها فضربوا به القتيل فعاش فسمى اسم قاتله ثم مات مكانه فأخذ قاتله وهو قريبه الذي كان يريد أن يرثه فقتله اللّه على سوء علمه وقد روي أنهم أعطوا صاحب البقرة وزنها عشر مرات ذهبًا فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين.

وروى ابن أَبِي حاتم قَالَ حَدَّثَنَا الحسن بن مُحَمَّد بن الصباح نا يزيد بن هارون نا هشام ابن حسان عن مُحَمَّد ابن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلماني أحد كبار التابعين قَالَ كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلًا فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض فَقَالَ ذو الرأي منهم على ما يقتل بعضكم بعضًا وهذا رَسُول اللّه فيكم فأتوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فذكروا ذلك له فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: 67] قَالَ فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدَّد اللّه عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فَقَالَ واللّه لا أنقصها من بملء جلدها ذهبًا[1] فأخذوها بملء جلدها ذهبا فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقالوا من قتلك قَالَ هذا لابن أخيه ثم مال ميتا فلم يعط من ماله شَيْئًا فلم يورث قاتل بعده.

ورواه ابن جرير من حديث أيوب عن مُحَمَّد بن سيرين عن عبيدة بنحو ذلك.

ورواه سنيد من وجه آخر عن مُحَمَّد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس أن سبطًا من بني إسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحدًا منهم خارج المدينة إلا دخلوه وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وتشوف فإذا لم ير شَيْئًا فتح المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسوا

(1) ويروى أنَّ شيخًا صالحًا منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللَّهم إني استودعتها لابني حتى يكبر فشبّت وكانت وحيدة بالصفات المذكورة؛ فساوموها اليتيم وأمّهُ حتى اشتروها بملء مسكها ذهبًا، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير.

قَالَ وكان رجل من بني إسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير أخيه فطالت عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله فوضعه على باب المدينة ثم كمن هو وأصحابه قَالَ فتشوف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شَيْئًا ففتح الباب فلما رأى القتيل رد الباب فناداه أخو المقتول وأصحابه هيهات قتلتموه ثم تردون الباب وكاد أن يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبسوا السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فأتوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فشكوا له شأنهم فأوحى اللّه إليه أن يذبحوا بقرة القصة.

وَقَالَ ابن كثير: الروايات فيها مختلفة والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهو مما يجوز نقلها لكن لا يصدق ولا يكذب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق واللّه تَعَالَى أعلم ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ﴾ [البقرة: 67] أي: مكان هزو أو مهزوًا بنا أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادًا لما قاله واستخفافًا به ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]، لأن الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعًا له ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [البقرة: 68] أي: ما حالها وصفاتها وكان حقه أن يقال أي: بقرة هي؟ أو كيف هي؟ لأن ما يسأل به عن الجنس غالبًا لكنهم لما رأوا ما أمروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقة ولم يروا مثله قَالَ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ [البقرة: 68].

لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها أي: قطعتها وبلغت آخرها وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة ﴿عَوَانُۢ﴾ أي: نصف بين ذلك أي: بين ما ذكر من الفارض والبكر ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ [البقرة: 68] أي: تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله:

أَمَرْتُكَ الْخيرَ فَافعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ... أو أمركم بمعنى مأموركم

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود

حالك وفي إسناده إلى اللون وهي صفة صفراء لملابسة بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: 69] تعجبهم والسرور أصله لذة في القلب عند دخول نفع أو توقعه من السر ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ تكرير للسؤال الأول واستكشاف زائد.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ اعتذار عنه أي: أن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 70] إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [البقرة: 71] أي: لم تذلل للكراب وتبقى الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الأول.

والفعلان: صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلمها اللّه من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لونها من سلم له كذا إذا أخلص له ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا أخلط بلونه لونًا آخر ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: 71] أي: بحقيقة وصف البقرة وحققها لنا ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها.

﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها كما مر، ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: 72] خطاب لجمع لوجود القتل فيهم ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: 72] أي: اختصمتم في شأنها إذ المتخاصمون يدفع بعضهم بعضًا أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه إلى صاحبه واصلة تدارأتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 72].

مظهره لا محالة وأعمل ﴿مُخْرِجٌ﴾ لأنه حكاية مستقبل كما أعمل ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ لأنه حكاية حال ماضية.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ عطف على ادّارأتم وما بينها اعتراض والضمير للنفس

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: «العَوَانُ: النَّصَفُ بَيْنَ البِكْرِ وَالهَرِمَةِ، ﴿فَاقِعٌ﴾ [البقرة: 69]: صَافٍ،

والتذكير على تأويل الشخص أو القتيل ببعضها أي: بعض كان.

وقيل: بأصغريها أي: القلب واللسان.

وقيل: بلسانها.

وقيل: بفخذها اليمنى.

وقيل: بالأذن.

وقيل: بالعجب فهو أصل الذنب وهو أساس البدن وأول ما يخلى وآخر ما يبلى ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل أو نزول الآية: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلالة على كمال قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 73] لكي يكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعملون على قضيته. ولعله تَعَالَى إنما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الأولاد كما في بعض الروايات وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ضحى بنجيبة أي: ناقة كريمة بثلاثمائة دينار وأن المؤثر في الحقيقة هو اللّه والأسباب أمارات لا أثر لها.

(قَالَ أَبُو العَالِيَةِ) بالعين المهملة رفيع بن مهران الرياحي بالمثناة التحتية.

(العَوَانُ: النَّصَفُ) بفتح النون والصاد.

(بَيْنَ البِكْرِ وَالهَرِمَةِ) يعني أنه فسر العوان فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ﴾ [البقرة: 68] بين ذلك بقوله النصف بين البكر والهرمة ورواه الطبراني عن سلمة عن أَبِي إِسْحَاق عن الزُّهْرِيّ عنه قوله: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني لا هرمة ولا صغيرة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نصف بين البكر والهرمة.

(﴿فَاقِعٌ﴾ صَافٍ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ وعن سَعِيد بن جُبَيْر صفراء فاقع صافية اللون وعن قَتَادَة والحسن نحوه.

وَقَالَ العوفي في تفسيره عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فاقع لونها شديد

﴿لَا ذَلُولٌ﴾ [البقرة: 71]: «لَمْ يُذِلَّهَا العَمَلُ»، ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: لَيْسَتْ بِذَلُولٍ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَعْمَلُ فِي الحَرْثِ. ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: مِنَ العُيُوبِ، ﴿لَّا شِيَةَ﴾ [البقرة: 71]: بَيَاضٌ. ﴿صَفْرَآءُ﴾ [البقرة: 69]: إِنْ شِئْتَ سَوْدَاءُ، وَيُقَالُ: صَفْرَاءُ، كَقَوْلِهِ: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾.[المرسلات: 33] ....

الصفرة تكاد وصفرتها تبيض وعن ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كانت صفراء الظلف. وعن سَعِيد بن جُبَيْر كانت صفراء القرن والظلف وَقَالَ ابن أَبِي حاتم ثنا أَبِي ناصر بن علي أنا أَبُو رجاء عن الحسن فِي قَوْلِهِ صفراء فاقع لونها قَالَ سوداء شديد السواد وهذا غريب.

(﴿لَا ذَلُولٌ﴾: **لَمْ يُذِلَّهَا**) ويروى: لم يذللها (**العَمَلُ**، ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: **لَيْسَتْ بِذَلُولٍ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَعْمَلُ فِي الحَرْثِ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ [البقرة: 71] أي: هذه لا ذلول يعني ليست مذللة بالحرث ولا معدة للسقي في السانية بل هي مكرمة حسناء صبيحة وقوله لم يذلها بضم الياء من الإذلال ويروى لم يذللها من التذليل والعمل مرفوع به.

(﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: **مِنَ العُيُوبِ**) أشار إلى تفسير قوله تَعَالَى: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ وفسرها بقوله من العيوب وَقَالَ عطاء الخراساني مسلمة القوائم والخلق.

(﴿لَّا شِيَةَ﴾: **بَيَاضٌ**) فسر الشية التي هي اللون بقوله بياض يعني لا بياض فيها قَالَ أَبُو العالية والربيع والحسن وقتادة ليس فيها بياض وَقَالَ عطاء الخراساني لونها واحد وروي عن عطية ووهب بن منبه نحو ذلك وَقَالَ السُّدِّيّ لا شية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة.

(﴿صَفْرَآءُ﴾: **إِنْ شِئْتَ سَوْدَاءُ، وَيُقَالُ: صَفْرَاءُ كَقَوْلِهِ**: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾)(1) غرضه من هذا الكلام أن الصفرة يمكن حملها على المعنى المشهور وعلى معنى السواد كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ فإنها فسرت بأنها صفر تضرب إلى سواد(2) وقد روي عن الحسن أنه أخذ أنها سوداء من قوله: ﴿فَاقِعٌ

---

(1) هذا قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى: ?﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة: 68] إن شئت سوداء، كقوله: ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 33].

(2) يعني فاحمل على أيهما شئت.

﴿فَادَّارَءْتُمْ﴾ [البقرة: 72]: اخْتَلَفْتُمْ».

31 ـ باب وَفَاة مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ

3407 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

لَوْنُهَا﴾ حيث قال صفراء فاقع سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الإبل لأنَّ سواده يعلوه صفرة.

وقال العيني: وقوله جمالات جمع الجمع لأنها جمع جمالة والجمالة جمع جمل وفسرها مجاهد بسود ويقال للجمل الأسود أصفر لأنه لا يوجد جمل أسود إلا وهو مشرب بصفرة.

(﴿فَادَّارَءْتُمْ﴾: اخْتَلَفْتُمْ) أشار به إلى تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: 72] وفسر قوله ادَّارأتم بقوله اختلفتم وهكذا قَالَ مجاهد فيما رواه ابن أَبِي حاتم عن أبيه عن أَبِي حذيفة عن شبل عن ابن أَبِي نجيح عن مجاهد أنه قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: 72] اختلفتم وَقَالَ عطاء الخراساني والضحاك اختصمتم فيها وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ هو من التدارؤ وهو التدافع.

31 ـ باب وَفَاة مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ

(وَفَاة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذِكْرِهِ بَعْدُ) كذا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ بإسقاط باب وفي رواية غيره بإثباته.

وقوله: «وَذِكْرِهِ بَعْدُ» بضم الدال لأنه مبني عليه لكونه قطع عن الإضافة أي: وذكر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد وفاته.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى) أي: ابن عبد ربه أَبُو زكريا السَّخْتِيَانِيّ البلخي يقال له خت بفتح الخاء المعجمة وتشديد المثناة الفوقية قَالَ:

(أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ) هو عَبْد اللَّه بن طاوس، (عَنْ أَبِيهِ) طاوس بن كيسان (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه قَالَ رواه الْبُخَارِيّ أولا هكذا مَوْقُوفًا من طريق طاوس عنه ثم أورده عقيبه برواية همام عنه

قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ المَوْتَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ ....

مَرْفُوعًا وهو المشهور عن عبد الرزاق وقد رفع مُحَمَّد بن يَحْيَى عنه رواية طاوس أَيْضًا أَخْرَجَهُ الإسماعيلي.

(قَالَ: **أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ**) أي: ضربه على عينيه وفي رواية همام عند أحمد ومسلم جاء ملك الموت إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أجب ربك فلطم مُوسَى عين ملك الموت ففقأها وفى رواية عمار بن أَبِي عمار عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عند أحمد والطبري كان ملك الموت يأتي الناس عيانًا فأتى مُوسَى فلطمه ففقأ عينه.

(**فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ المَوْتَ**) زاد همام وقد فقأ عيني فرد اللَّه عليه عينه وفي رواية عمار فَقَالَ يا رب عبدك مُوسَى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه.

(**قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ**) أي: لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ (**يَضَعُ يَدَهُ**) وفي رواية أَبِي يُونُس فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك.

(**عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ**) بفتح الميم وسكون المثناة الفوقية هو الظهر وقيل مكتنف الصلب بين العصب واللحم وفي رواية عمار على جلد ثور.

(**فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ**) هكذا رواية الكُشْمِيهَنِيّ وفي رواية غيره: بما غطى.

(**بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ**) أي: يا رب.

(**ثُمَّ مَاذَا؟**) أي: ما يكون بعد هذا أحياة أو موت.

(**قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ**) هو ظرف زمان الحال الفاصل بين الماضي والمستقبل.

وفي رواية أَبِي يُونُس فالآن يا رب من قريب وفي رواية عمار فأتاه فَقَالَ له ما بعد هذا قَالَ الموت قَالَ فالآن.

(**قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ**) بضم الياء من الإدناء أي: يقربه (**مِنَ الأَرْضِ**

الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجرٍ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»

الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ)[1] وإنما سأل الإدناء من الأرض المقدسة لشرفها وفضيلة ما فيها من المدفونين من الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم فإن قيل لم سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس فالجواب أنه خاف أن يكون قبره مشهورًا عندهم فيفتن به الناس وفيه استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين.

(**قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ (**فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ** ﷺ: **لَوْ كُنْتُ ثَمَّ**) بفتح المثلثة أي: هناك (**لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ**) هكذا رواية المستملي وَالكُشْمِيهَنيّ وهي رواية همام وفي رواية غيرهما: من جانب الطريق.

(**تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ**) الكثيب بالثاء المثلثة وآخره باء موحدة هو الرمل الكثير المجتمع وفي روايتهما عن الكثيب الأحمر وهي رواية همام أَيْضًا واختلف أهل السير في موضع قبر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقيل بأرض التيه وهارون كذلك ولم يدخل مُوسَى الأرض المقدسة إلا رمية بحجر رواه الضحاك عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وَقَالَ لا يعرف قبره ورسول اللّه ﷺ أبهم ذلك بقوله: «**إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**» ولو أراد بيانه لبين صريحًا.

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: لو علمت اليهود قبر مُوسَى وهارون لاتخذوهما إلهين من دون اللَّه.

وقيل: بباب لد بالبيت المقدس.

وقيل: قبره بين عالية وعويلة عند كنيسة توما.

وقيل: بالوادي في أرض مآب بين بصرى والبلقاء.

وقيل: قبره بدمشق ذكره ابن عساكر عن كعب الأحبار والأصح أنه بالتيه قدر رمية بحجر من الأرض المقدسة. وزعم ابن حبان أن قبره بمدين بين المدينة وبين البيت المقدس.

---

(1) أي: قدر رمية كائنة بحجر.

قَالَ: وَأَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ[1].

وتعقب بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من البيت المقدس قَالَ وقد اشتهر عن قبر بأريحا عنده كثيب أحمر أنه قبر مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأريحا من الأرض المقدسة.

وزاد عمار في روايته فشمه شمة فقبض روحه وكان يأتي الناس خفية يعني بعد ذلك.

ويقال أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فمات.

وذكر السُّدِّيّ في تفسيره أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما دنيت وفاته مشى هو وفتاه يوشع فجاءت ريح سوداء فظن يوشع أنها الساعة فالتزم مُوسَى فانسل مُوسَى من تحت القميص فأقبل يوشع بالقميص وعن وهب بن منبه أن الملائكة تولوا دفنه والصلاة عليه. وأنه عاش مائة وعشرين سنة وَقَالَ وهب وصلى عليه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان موته بعد موت هارون بأحد عشر شهرًا وكان بين وفاة إِبْرَاهِيم ومولد مُوسَى عليهما السلام مائتان وخمسون سنة وقد مر الحديث في كتاب الجنائز في باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**قَالَ: وَأَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ**) أنه قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ**) أي: قَالَ عبد الرزاق أَخْبَرَنَا معمر بن راشد عن همام بن

(1) قال الكاندهلوي: هناك أمران:
الأول: أن موسى عليه السلام اختار الدفن في بيت المقدس لكونه بلدة معمورة ولم يرض الدفن في الموضع الذي كان فيه لكونه قرية.
والأمر الثاني: أنه عليه السلام اختار الدفن خارج البلد دون داخله تحرزًا من الفتنة، والأمر الثاني واضح، وستأتي الإشارة إليه في كلام الحافظ والعيني، وأما الأمر الأول فما يخطر في البال أنه عليه الصلاة والسلام اختار ذلك للاستبراك به، ولذا ترجم عليه الإمام البخاري في الجنائز باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، وتقدم في البسط الكلام على ذلك في الباب المذكور، ويحتمل في كلام الشيخ قدس سره أن الأمرين كليهما يتعلقان بالإدناء دون الدفن في داخل البلد: الأول كونها قرية والثاني ما تقدم، قال الحافظ: قوله رمية بحجر أي: قدر رمية حجر أدنى من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر أو أدنى إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر، وهذا الثاني أظهر وعليه شرح ابن بطال وغيره. =

منبه نحو الحديث المذكور.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: هو موصول بالإسناد المذكور ووهم من قَالَ إنه معلق فقد أَخْرَجَهُ أحمد عن عبد الرزاق عن معمر ومسلم عن مُحَمَّد بن رافع عن عبد الرزاق كذلك.

وتعقبه الْعَيْنِيّ بأن صورته صورة التعليق وكونه موصولًا بالإسناد الأول محتمل ولا يلزم من إخراج غيره إياه موصولًا كونه موصولًا هنا. ثم قوله نحوه أي: أن رواية معمر عن همام بمعناه عن ابن طاوس لا بلفظه.

تكميل:

قَالَ ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان مُوسَى عرفه فقد استخف به وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب أن اللّه تَعَالَى لم يبعث ملك الموت إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعث إليه اختبارًا وإنما لطم مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ملك الموت لأنه رأى آدميًّا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت وقد أباح

= وأما الأول ـ فهو وإن رجحه بعضهم ـ فليس بجيد إذ لو كان ذلك لطلب الدنو أكثر من ذلك، ويحتمل أن يكون القدر الذي كان بينه وبين أول الأرض المقدسة كان قدر رمية فلذلك طلبها، لكن حكى ابن بطال عن غيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليعمى موضع قبره لئلا تعبده الجهال من أمته، اهـ

ويحتمل أن يكون سر ذلك أن اللّه لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت، ومات هارون ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح فكأن موسى لما لم يتهيأ له دخولها لغلبة الجبارين عليها طلب القرب منها لأن ما قارب الشيء يعطه حكمه، انتهى كلام الحافظ مختصرًا.

وقال العيني: فإن قلت لم لم يسأل نفس البيت وسأل الدنو منه؟ قلت: خاف أن يكون قبره مشهورًا فيفتتن به الناس كما أخبر به الشارع أن اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وقال ابن عباس: لو علمت اليهود قبر موسى وهارون لاتخذوهما إلٰهين من دون اللّه، انتهى مختصرًا.

وبسط ابن الحاج في المدخل في عدة مواضع في مصالح الدفن في الصحراء وقال في موضع: وقد حكمت السنة بالدفن في الصحراء للسلامة من المفاسد، وبسط الكلام على المفاسد.

الشارع فقوء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن وقد جاءت الملائكة إلى إِبْرَاهِيم وإلى لوط عليهما السلام في صور آدميين ولم يعرفاهم ابتداء ولو عرفهم إبراهيم عليه السلام كما قدم لهم المأكول ولو عرفهم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لما خاف عليهم من قومه وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يقتص له.

ولخص الْخَطَّابِيّ كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة وأن اللّه رد عين ملك الموت ليعلم مُوسَى أنه جاءه من عند اللّه فلهذا استسلم حينئذ.

وَقَالَ النووي: لا يمتنع أن يأذن اللّه لموسى في هذه اللطمة امتحانًا للمظلوم.

وَقَالَ غيره: إنما لطمه لأنه جاء بقبض روحه قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير فلهذا لما خيره في المرة الثانية إذ عن قيل وهذا أولى الأقوال بالصواب وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال لم أقدم ملك الموت على قبض نبي اللّه وأخل بالشرط فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا.

وزعم بعضهم أن معنى قوله فقأ عينه أي: أبطل حجته وهو مردود بقوله في نفس الحديث فرد اللّه عينه وبقوله لطمه وصكه وغير ذلك من قرائن السياق.

وَقَالَ ابن قتيبة: إنما فقأ مُوسَى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عينًا حقيقة ومعنى رد اللّه عينه أي: أعاده إلى خلقته الحقيقية.

وقيل: هو على ظاهره ورد اللّه إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى مُوسَى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره وهذا هو المعتمد.

وجوز ابن عقيل أن يكون مُوسَى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان وقد جاء ذلك في عدة أَحَادِيث واستدل بقوله فلك بكل شعرة سنة على أن الذي بقي من الدنيا كثير جدًّا لأن الشعر الذي تواريه اليد قدر المدة التي بين مُوسَى وبعثة نبينا ﷺ مرتين وأكثر.

3408 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، ....

واستدل به على جواز الزيادة في العمر وقد قَالَ به قوم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: 11] أنه زيادة ونقص في الحقيقة.

وَقَالَ الجمهور الضمير فِي قَوْلِهِ من عمره للجنس لا للعين أي: ولا ينقص من عمر آخر وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي: ونصف ثوب آخر.

وقيل: المراد بقوله وما ينقص من عمره أي: وما يذهب من عمره فالجميع معلوم لله تَعَالَى.

والجواب عن قصة مُوسَى أن أجله كان قد قرب حضوره ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين فأمر بقبض روحه أولا مع سبق علم اللّه أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة وإن لم يطلع ملك الموت على ذلك أولا واللّه أعلم.

(**حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ**) الحكم بن نافع قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ**) هو ابن أَبِي حمزة، (**عَنِ الزُّهْرِيِّ**) ابن شهاب (**قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ**) كذا قَالَ شعيب عن الزُّهْرِيّ وتابعه مُحَمَّد بن أَبِي عتيق عن ابن شهاب كما سيأتي في التوحيد وَقَالَ إِبْرَاهِيم بن سعد عن الزُّهْرِيّ عن أَبِي سلمة والأعرج والحديث محفوظ للزهري على الوجهين وقد جمع المصنف بين الروايتين في التوحيد إشارة إلى ثبوت ذلك عنه على الوجهين وله أصل من حديث الأعرج من رواية عَبْد اللّه بن الفضل عنه وسيأتي بعد ثلاثة أبواب ومن طريق أَبِي سلمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وابن ماجة من طريق مُحَمَّد بْن عُمَر وعنه ورواه مع أَبِي هُرَيْرَةَ أَبُو سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وقد تقدم في الأشخاص بتمامه في الخصومات.

(**أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ**) وقع فِي رِوَايَةِ عَبْد اللّه بن الفضل سبب ذلك وأول حديثه بينما يهودي

فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى العَالَمِينَ، فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ،

يعرض سلعته أعطى بها شَيْئًا كرهه فَقَالَ لا والذي اصطفى مُوسَى على البشر قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ ولم أقف على اسم هذا اليهودي في هذه القصة وزعم ابن بشكوال أنه فنحاص وهو بكسر الفاء وسكون النون وبمهملتين وعزاه لابن إسْحَاق. والذي ذكره ابن إِسْحَاق لفنحاص مع أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ في لطمه إياه قصة أخرى في نزول قوله تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: 181] وأما كون اللطم في هذه القصة هو الصديق فهو مصرح به فيما أَخْرَجَهُ سُفْيَان بن عيينة في جامعه وابن أَبِي الدنيا في كتاب البعث من طريقه عن عمرو بن دينار عن عطاء وابن جدعان عن سَعِيد بن المسيب قَالَ كان بين رجل من أصحاب النَّبِيّ ﷺ وبين رجل من اليهود كلام في شيء قَالَ عمرو بن دينار هو أَبُو بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ فَقَالَ اليهودي والذي اصطفى مُوسَى على البشر فلطمه المسلم الحديث.

(**فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى العَالَمِينَ، فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ يَدَهُ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ**) أي: عند سماعه قول اليهودي والذي اصطفى مُوسَى على العالمين وإنما صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه مُحَمَّد ﷺ وقد تقرر عند المسلم أن محمدًا أفضل وقد جاء ذلك مبينًا في حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن الضارب قَالَ لليهودي حين قَالَ ذلك أي: خبيث على مُحَمَّد فدل على أنه لطم اليهودي عقوبة له على كذبه عنده.

وفي رواية إِبْرَاهِيم بن سعد فلطم وجه اليهودي ووقع عند أحمد من هذا الوجه فلطم عين اليهودي وفي رواية عَبْد اللّه ابن الفضل فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه فَقَالَ تقول هذا ورسول اللّه ﷺ بين أظهرنا وكذا وقع في حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن الذي ضربه رجل من الأنصار وهذا يعكر على قول عمرو بن دينار أنه أَبُو بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ إلا أن كان المراد بالأنصار

فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَقَالَ: «لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، ....

المعنى الأعم فإن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ من أنصار رَسُول اللّه ﷺ قطعا بل هو رأس من نصره ومقدمهم وسابقهم.

(**فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ المُسْلِمِ**) وزاد في رواية إِبْرَاهِيم بن سعد فدعا النَّبِيّ ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره.

وفي رواية ابن الفضل فَقَالَ أي: اليهودي يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهدًا فما بال فلان لطم وجهي؟ قَالَ لم لطمت وجهه فذكره فغضب النَّبِيّ ﷺ حتى رئي في وجهه.

وفي حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ فَقَالَ ادعوه أي: فجاء فَقَالَ لم ضربته؟ قَالَ سمعته بالسوق فذكر القصة.

(**فَقَالَ: لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**) وفي رواية أَبِي الفضل فَقَالَ لا تفضلوني بين أنبياء اللّه وفي حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ لا تفضلوا بين الْأَنْبِيَاء.

(**فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ**) وفي رواية إِبْرَاهِيم بن سعد فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق لم يبين فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيّ من الطريقين محل الإفاقة من أي: الصعقتين.

ووقع فِي رِوَايَةِ عَبْد اللّه بن الفضل: فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء اللّه ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث.

وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: أول من يبعث والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا أو رأى شَيْئًا ففزع منه وهذه الرواية ظاهرة من الإفاقة بعد النفخة الثانية وأصرح من ذلك رواية الشعبي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ في تفسير الزمر بلفظ أني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة.

وأما ما وقع في حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فيمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم وهو الفزع كما وقع في سورة النمل

﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتًا ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعون فمن كان مقبورًا انشقت عنه الأرض فخرج من قبره ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك وقد ثبت أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن قبر في الحياة الدنيا وفي صحيح مسلم عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**مررت على مُوسَى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره**» أَخْرَجَهُ عقب حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ وأبي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ المذكورين جميع الخلق يصعقون مع أن الموتى لا إحساس لهم فقيل المراد أن الذين يصعقون هم الأحياء وأما الموتى فهم في الاستثناء فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: 87] أي: إلا من سبق له الموت قبل ذلك فإنه لا يصعق وإلى هذا جنح الْقُرْطُبِيّ ولا يعارضه ما ورد في هذا الحديث أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن استثنى اللّه لأن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أحياء عند اللّه تَعَالَى وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا وقد ثبت ذلك للشهداء ولا شك أن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أرفع رتبة من الشهداء وقد ورد التصريح بأن الشهداء ممن استثنى اللّه أَخْرَجَهُ إِسْحَاق بن راهويه من طريق زيد بن أسلم عن أبيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماوات والأرض وتعقبه الْقُرْطُبِيّ بأنه صرح ﷺ بأنه حين يخرج من قبره يلقى مُوسَى فهو متعلق بالعرش وهذا إنما هو عند نفخة البعث انتهى. ويرده قوله صريحًا كما تقدم أن الناس يصعقون فأصعق معهم إلى آخر ما تقدم.

ثم قوله فأكون أول من يفيق لم تختلف الروايات في الصحيحين في إطلاق الأولية ووقع فِي رِوَايَةِ إِبْرَاهِيم بن سعد عند أحمد وَالنَّسَائِيّ فأكون أول من يفيق أَخْرَجَهُ أحمد عن أَبِي كامل وَالنَّسَائِيّ من طريق يُونُس بن مُحَمَّد كلاهما عن إِبْرَاهِيم فعرف أن إطلاق الأولية في غيرها محمول عليها وسببه التردد في مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما سيأتي وعلى هذا يحمل سائر ما ورد في هذا الباب كحديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن مسلم رفعه أنا أول من تنشق عنه الأرض وحديث عَبْد اللّه بن سلام عن الطبراني.

فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ».

(**فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ**) أي: آخذ بشيء من العرش بقوة والبطش الأخذ بقوة وفي رواية ابن الفضل فإذا مُوسَى آخذ بالعرش وفي حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ آخذ بقائمة من قوائم العرش وكذا فِي رِوَايَةِ مُحَمَّد بن عمرو عن أَبِي سلمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ**) يروى ممن (**صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ**) عز وجل أي: فلم يكن ممن صعق أي: فإن كان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وإن كان ممن استثنى[1] اللّه فهي فضيلة أَيْضًا، ووقع في حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم حوسب بصعقته الأولى أي: التي صعقها لما سأل الرؤية وبين ذلك ابن الفضل فِي رِوَايَةِ بلفظ أحوسب بصعقته يوم الطور والجمع بينه وبين قوله أو كان ممن استثنى اللّه أن فِي رِوَايَةِ ابن الفضل وحديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ بيان السبب في استثنائه وهو أنه حوسب بصعقته يوم الطور فلم يكلف بصعقة أخرى.

والمراد بقوله ممن استثنى اللّه قوله إلا من شاء اللّه وأغرب الداوودي الشارح فَقَالَ معنى قوله استثنى اللّه أي: جعله ثانيًا لي كذا قَالَ وهو غلط شنيع وقد وقع في مرسل الحسن في كتاب البعث لابن أَبِي الدنيا في هذا الحديث فلا أدري أكان ممن استثنى اللّه أن لا تصيبه النفخة أو بعث قبلي.

ووقع فِي رِوَايَةِ مُحَمَّد بن عمرو وعن أَبِي سلمة عن ابن مردويه: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة فأنفض التراب عن رأسي فآتي قائمة العرش فأجد مُوسَى قائمًا عندها فلا أدري أنفض التراب عن رأسه قبلي أو كان ممن استثنى اللَّه. ويحتمل قوله في هذه الرواية أنفض التراب قبلي تجويز المعية في الخروج من القبر[2] وعلى كل تقدير ففيه فضيلة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقدم.

---

(1) وقيل هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل الحور العين والخزنة وحملة العرش، وقيل: الشهداء، وقيل: موسى لأنه صعق مرة؛ ولعل المراد ما يهمّ ذلك.

(2) وهو كناية عن الخروج من القبر.

3409 - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ،

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد مضى الحديث في كتاب الخصومات في باب ما يذكر في الأشخاص.

تذييل:

زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع الأولى نفخة إماتة يموت من بقي حيًّا في الأرض والثانية نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجتمعون للحساب والثالثة نفخة فزع وصعق يعقون فيها كالمغشي عليهم لا يموت منها أحد والرابعة نفخة إفاقة من ذلك الغشي قال الحافظ العسقلاني وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعًا ليس بواضح بل هو نفختان ووقع التغاير في كل منهما باعتبار من يسمعها فالأولى يموت بها من كان حيًّا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى اللّه والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غشي عليه واللّه أعلم.

وَقَالَ العلماء في نهيه ﷺ عن التفضيل بين الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقول بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة فالإمام مثلًا إذا قلنا إنه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة إلى الأذان.

وقيل: النهي عن التفضيل إنما هو حق النبوة نفسها لقوله تَعَالَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285].

وَقَالَ الحليمي: الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الْأَنْبِيَاء على بعض بالمخايرة لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لم يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الأرز بالكفر فيفضي إلى الكفر فأما إذا كان التخيير مستندًا إلى مقابلة الفضائل ليحصل الرجحان فلا يدخل في النهي واللّه تَعَالَى أعلم.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن يَحْيَى القرشي الأويسي المديني وهو من أفراده قَالَ: (**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ**) أي: ابن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزُّهْرِيّ القرشي المديني كان على قضاء بغداد.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ؟ فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاتِهِ وَبِكَلامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ».

(عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ، (عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى) أي: تحاجا إما أن يكون ذلك بأرواحهما أو يكون ذلك يوم القيامة[1] وأنهما اجتمعا بأشخاصهما وقد ثبت في حديث الإسراء أنه ﷺ أجتمع بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في السماوات وفي بيت المقدس وصلى بهم ولا يبعد أن اللّه أحياهم كما أحيى الشهداء يحتمل أن يكون جرى ذلك في حياة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل اللّه تَعَالَى أن يريه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيحاجه.

(فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ؟) والمراد بالخطيئة الأكل من الشجرة المنهي عنها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: 35] وجاز في مثله أخرجتك وأخرجته بالخطاب والغيبة ومنه أنا الذي سمتني أمي حيدره أي: سمته.

(فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاتِهِ وَبِكَلامِهِ) أي: جعلك صافيًا خالصًا عن شائبة ما لا يليق بك وفيه تلميح إلى قوله تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: 164].

(ثُمَّ تَلُومُنِي) كلمة ثم بالمثلثة والميم المشددة فِي رِوَايَةِ الأكثرين وفي رواية الأصيلي والمستملي بم بكسر الباء الموحدة وفتح الميم المخففة.

(عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ) بالرفع باتفاق الرواة (مُوسَى) أي: غلبه بالحجة وظهر عليه بها وَقَالَ الطيبي أي: غلب عليه بالحجة بأن ألزمه أن ما صدر عنه لم يكن هو مستقلًا به متمكنًا من تركه بل كان ذلك أمرًا مقضيًا.

(مَرَّتَيْنِ) أي: قَالَ ذلك مرتين.

---

(1) والأول أظهر وقال القاضي عياض: ويحتمل أن يحمل على ظاهره.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: إنما حجّه آدم في رفع اللوم إذ ليس لأحد من الآدميين أن يلوم أحدًا به وأما الحكم الذي تنازعاه فإنما هما في ذلك على السواء إذ لا يقدر أحد أن يسقط الأصل الذي هو القدر ولا أن يبطل الكسب الذي هو السبب ومن فعل واحدا منهما خرج عن القصد إلى أحد الطرفين مذهب القدر أو الجبر.

وفي قول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ استقصار لعلم مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعني إذا جعلك اللّه بالصفة التي أنت عليها في الاصطفاء بالرسالة والكلام فكيف يسعك أن تلومني على القدر الذي لا مدفع له وحقيقته أنه دفع حجة مُوسَى التي ألزمه بها اللوم وذلك أن الاعتراض والابتداء بالمسألة كان من مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعارضه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمر دفع به اللوم فكان هو الغالب.

وَقَالَ النووي: معناه أنك تعلم أني معذور وما صدر مني مقدور فلا تلمني وَأَيْضًا اللوم شرعي لا عقلي وإذ تاب اللّه عليه وغفر له زال عنه اللوم فمن لامه كان محجوجًا بالشرع فإن قيل فالعاصي منا لو قَالَ هذه المعصية كانت بتقدير اللّه تَعَالَى لم لا تسقط عنه الملامة فالجواب أنه باقٍ في دار التكليف جار عليه أحكام المكلفين وفي لومه زجر له ولغيره وأما آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فخارج عن هذه الدار وعن الحاجة إلى الزجر فلم يكن في هذا القول فائدة سوى التخجيل ونحوه.

وَقَالَ التوربشتي: ليس معنى قول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كتب اللّه عليَّ ألزمه إياه وأوجبه عليَّ فلم يكن لي في تناول الشجرة كسب واختيار وإنما المعنى أثبته في أم الكتاب قبل كوني وحكم بأن ذلك كائن لا محالة لعلمه السابق فهل يمكن أن يصدر عني خلاف علم اللّه تَعَالَى فكيف تغفل عن العلم السابق وتذكر الكسب الذي هو السبب وتنسى الأصل الذي هو القدر وأنت ممن اصطفاك اللّه من المصطفين الأخيار الذين يشاهدون أسرار اللّه من وراء الأستار[1]

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التوحيد أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في القدر.

---

(1) وفي الحديث: أن الجنة مخلوقة وأنَّ المحاجة جائزة؛ وأنَّ الكتب حق، وأن لا جبر ولا قدر ولكن أمرٌ بين أمرين.

3410 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ».

32 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ [التحريم: 11، 12]

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا حُصَيْنُ) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين.

(ابْنُ نُمَيْرٍ) مصغر النمر الحيوان المشهور أَبُو محصن الواسطي.

(عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) بصيغة التصغير أَيْضًا أَبُو الهذيل الكوفي الهمداني بسكون الميم كان يصلي كل يوم ألف ركعة.

ولما كَبُر كان له وتد يعتمد عليه. وعبد الرحمن هو السلمي المقرئ المشهور.

(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا) رَسُولُ اللَّهِ ويروى: (النَّبِيّ ﷺ يَوْمًا قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا[1] سَدَّ الأُفُقَ) الأفق بضمتين واحد آفاق السماء والأرض وهو نواحيها وَقَالَ ابن الأثير: ويجوز أن يكون الأفق واحدًا وجمعًا كالفلك.

(فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ) قَالَ ابن التين: يدل هذا الحديث على أن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر الأمم بعد أمة مُحَمَّد ﷺ.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الطب مطولًا. وفي الرقاق وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الإيمان. وَالتِّرْمِذِيّ في الزهد وَالنَّسَائِيّ في الطب.

32 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ [التحريم: 11، 12]

(باب قَوْلِ اللَّهِ) عز وجل: (﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾

---

(1) وهو الذي يعبر به عن المجاعة الكثيرة.

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾) والآية في آخر سورة التحريم قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ مثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شَيْئًا من ثوابهم وزلفاهم عند اللّه بحال امرأة فرعون ومنزلتها مع كونها امرأة أعدى أعداء اللّه الناطق بالكلمة العظمى وأراد بامرأة فرعون آسية بنت مزاحم ﴿إِذْ قَالَتْ[1] رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قريبًا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين وإلَّا فالعندية الحقيقية لا تستقيم كما لا يخفى ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ أي: من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: 11] من القبط التابعين له في الظلم.

وروي أنه لما غلب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سحرة فرعون آمنت هي فلما تبين إيمانها لفرعون وثبتت عليه أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس وأمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوا بالصخرة ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فأبصرت بيتها في الجنة من درة وانتزع اللّه روحها فألقيت الصخرة عليها وليس في جسدها روح فلم تجد ألمًا من عذاب فرعون[2]

وعن الحسن وابن كيسان رفع اللّه امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب. ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ [التحريم: 12] عطف على امرأة فرعون أي: وضرب اللّه مثلًا للذين آمنوا مريم بنت عمران وما أوتيت من كرامات الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين وفيه تسلية للأرامل الصالحات اللواتي أحصن فروجهنّ من الرجال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ أي: في فرجها[3]

(1) ظرف للمثل المحذوف.

(2) ويروى أن فرعون لما علم بإيمانها طلب منها أن ترجع فأبت ولم ترجع عن إيمانها. فوتد لها أربعة أوتادٍ في يديها ورجليها، وجعل على صدرها حجر رحى، وجعلها في الشمس، فأراها اللّه بيتها في الجنة فنسيت ما هي فيه من العذاب فضحكت. فقالوا: عند ذلك مجنونة تضحك وهي في العذاب.
وروى أبو عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس. فإذا أوذيت أظلتها الملائكة بأجنحتها وأريت مقعدها من الجنة.

(3) والمراد بالفرج هنا: الجيب فإنما نفخ جبرائيل عليه السلام في جيب درعها ففيه استخدام وذلك لأنَّ كل خرق في الثوب يطلق عليه الفرج ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾.

3411 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُرَّةَ الهَمْدَانِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمَلَ

وقرئ فيها أي: في مريم أو في الحبلة يراد به إحياء مريم لأن نفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه وليس المراد إحياء مريم بل المراد إحياء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في مريم.

والتقدير: نفخنا الروح في عيسى في مريم أي: أحييناه فيها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من روح خلقناه بلا توسط أصل ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ وما كتب في اللوح أو جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة اللّه وكتابه أي: بعيسى والإنجيل ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: 12] من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو المعنى أنها كانت من نسلهم فتكون من ابتدائية وإنما ذكر الْبُخَارِيّ الآية المتضمنة لقصة مريم عليها السلام لكونها مذكورة مع آسية وليست مقصودة من الترجمة.

(**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ**) أي: ابن أعين أَبُو زكريا الْبُخَارِيّ البيكندي وهو من أفراده ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين قَالَ: (**حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ**) بضم الميم وتشديد الراء المرادي الأعمى. الكوفي وقد مر في كتاب الصلاة.

(**عَنْ مُرَّةَ الهَمْدَانِيِّ**) وهو مرة بن شراحيل الكوفي[1] كان يصلي كل يوم ألف ركعة ولما كبر كان له وتد يعتمد عليه وهو غير والد عمرو بن مرة فإنه مرة بن عَبْد اللّه بن طارق الجملي بفتح الجيم والميم المرادي ثقة عابد من صغار التابعين.

(**عَنْ أَبِي مُوسَى**) هو عَبْد اللّه بن قيس الأشعري (**رَضِيَ اللّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: كَمَلَ**) بضم الميم وفتحها وكسرها ثلاث لغات والمراد من الكمال التناهي في جميع فضائل الرجال.

---

(1) وهو مخضرم ثقة من كبار التابعين ويقال له: مرة الطيب ومرة الحبر.

مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ،

(**مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**) وآسية بالمد وكسر المهملة وتخفيف التحتية هي بنت مزاحم ابنة عم فرعون.

وقيل: إنها من العمالقة.

وقيل: من بني إسرائيل من سبط مُوسَى وَقَالَ السهيلي هي عمة مُوسَى وكانت لها فراسة حين قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾.

(**وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ**) أم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ حملت به ولها ثلاث عشرة سنة وعاشت بعد ما رفع ستًّا وستين سنة وماتت ولها مائة واثنتا عشرة سنة وفيه اختلاف.

واستدل بهذا الحصر على أن آسية ومريم نبيتان لأن أكمل النوع الإنساني الْأَنْبِيَاء ثم الأولياء والصديقون والشهداء فلو كانتا غير نبيتين للزم أن لا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة فكأنه قَالَ لم ينبأ من النساء إلا فلانة وفلانة ولو قيل لم تثبت صفة الصديقة أو الولاية أو الشهادة إلا لفلانة وفلانة لم يصح لوجود ذلك في غيرهن إلا أن يكون المراد بالحديث كمال غير الْأَنْبِيَاء فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: الصحيح أن مريم نبيةٌ لأن اللّٰه تَعَالَى أوحى إليها بواسطة الملك وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه فالمراد تناهيهما في جميع الفضائل التي للنساء قَالَ وقد نقل الإجماع على عدم نبوة النساء كذا قَالَ. وقد نقل عن الأشعري أن من النساء من نبئ وهن: ست حواء، وسارة، وأم مُوسَى، وهاجر، وآسية، ومريم، والضابط عنده أن من جاءه الملك عن اللّٰه تَعَالَى بحكم أو أمر أونهي أو بإعلام شيء فهو نبي وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند اللّٰه عز وجل ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن وقد قَالَ اللّٰه تَعَالَى بعد أن ذكر مريم وَالْأَنْبِيَاء بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فدخلت في عمومه وذكر ابن حزم في الملل والنحل أن هذه المسألة لم يحدث التنازع فيها إلا في عصره بقرطبة

وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

وحكى عنهم أقوالًا ثالثها الوقف قَالَ وحجة المانعين قوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم﴾ [يُوسُف: 109] قَالَ وهذا لا حجة فيه لأن أحدًا لم يدع فيهن الرسالة وإنما الكلام في النبوة فقط قَالَ وأصرح ما ورد في ذلك قصة مريم وفي قصة أم مُوسَى ما يدل على ثبوت ذلك لها من مبادرتها بإلقاء ولدها في البحر بمجرد الوحي إليها بذلك. ثم إن من فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه.

(**وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ**) أي: على نساء هذه الأمة.

(**كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**) فإنه أفضل طعام العرب قَالَ الشاعر[1]:

إِذَا مَا الْخُبْزُ تأدمه بِلَحْمٍ فَذاكَ أَمَانَةَ اللّهِ الثَّرِيْدُ

وَقَالَ النووي: الثريد من كل الطعام أفضل من المرق فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساغه وإلا لتزداد به وتيسير تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفاية منه بسرعة وكان أجل أطعمتهم يومئذ وهو من ثردت الخبز ثردا كسرته فهو ثريد ومثرود والاسم الثردة بالضم والثريد غالبا لا يكون إلا بلحم.

وَقَالَ ابن الأثير: فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**فضل عَائِشَة على النساء**» الحديث قيل: لم يرد عين الثريد وإنما أراد الطعام المتخذ من اللحم ومن الثريد معًا لأن الثريد غالبًا لا يكون إلا من اللحم والعرب قلما تجد طبيخًا ولا سيما بلحم[2] وليس في الحديث تصريح بأفضلية عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا على غيرها مُطْلَقًا لأنه ﷺ شبه

---

(1) البيت بلا نسبة في كتاب سيبويه 3/ 61، 498، والمحلى 1/ 82، وتحصيل عين الذهب 1/ 403، وشرح المفصل 9/ 92، وشرح الجمل لابن عصفور 1/ 543، وشرح الكافية الشافية 2/ 861، ويقال هو مما وضعه النحويون. ينظر: كتاب سيبويه 3/ 61، وتحصيل عين الذهب 1/ 403.

أخرجه مسلم في الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي الذي هو خير. وفي الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها رقم 1652.

(2) وفيه إشارةٌ إلى كونها جامعة لحسن الخلق وحلاوة المنطق وجودة القريحة، وفصاحة اللّهجة ونحوها من حسن التبعّل وغيره.

فضلها بفضل الثريد على غيره من الطعام لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة وغير ذلك ما ذكر وكل هذه الخصال لا يستلزم إلا فضيلة له من كل وجه فقد يكون مفضولا بالنسبة إلى غيره من جهات أخرى. وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة رَضِيَ اللّه عَنْهَا على غيرها وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ بلفظ خير نسائها خديجة وجاء في طريق أخرى ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فيما أَخْرَجَهُ ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في كتاب الزهد والحاكم كلهم من طريق مُوسَى بن عقبة عن كريب عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت مُحَمَّد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون**»، وله شاهد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ رواه الطبراني في الأوسط وأحمد في مسنده من حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ رفعه فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران وإسناده حسن.

وعن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**حسبك من نساء العالمين بأربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت مُحَمَّد**».

رواه أحمد وَالتِّرْمِذِيّ وابن عساكر.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ خط رَسُول اللّه ﷺ في الأرض أربعة خطوط فَقَالَ أتدرون ما هذا؟ قالوا اللّه ورسوله أعلم. فَقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت مُحَمَّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**». رواه النَّسَائِيّ وأبو يعلى وابن عساكر، وروى الإمام أحمد من حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران وهذا يدل على أن فاطمة ومريم أفضل هذه الأربع**».

ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة ويحتمل أن تكونا على السواء في الفضيلة لكن ورد حديث إن صح عين الاحتمال الأول وهو ما روي عَنِ

33 ـ باب ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: 76] الآيَةَ

ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون**» رواه ابن عساكر فإن كان هذا اللفظ محفوظًا بثم للترتيب فهو مبين لأحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء ويقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو العطف التي لا تقتضي الترتيب ولا ينفيه وقد روى هذا الحديث أَبُو حاتم الرازي بإسناده إلى ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا وذكره بواو العطف لا بثم التي للترتيب مخالفه إسنادًا ومتنًا.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في فضل عَائِشَة. وفي الأطعمة أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل. وَالتِّرْمِذِيّ في الأطعمة. وَالنَّسَائِيّ في المناقب. وفي عشرة النساء. وابن ماجة في الأطعمة.

33 ـ باب ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: 76] الآيَةَ

(باب ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾) و(الآيَةَ) في أواخر سورة القصص قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ﴾ [القصص: 76] هو اسم أعجمي مثل هارون غير منصرف للعلمية والعجمة ولو كان وزنه فاعولا لانصرف ﴿كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: 76] أي: من عشيرته وفي نسبه إلى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان ابن عمه قَالَه سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وروى ابن أَبِي حاتم بإسناد صحيح عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه كان ابن عم مُوسَى يعني أنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي وبه قَالَ قَتَادَة وإبراهيم النخعي وعبد اللّه بن الحارث وسماك بن حرب وابن جريج.

والثاني: أنه ابن خالته رواه عطاء عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

والثالث: أنه عم مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قاله ابن إِسْحَاق والأول أصح.

وقيل: معنى كونه من قوم مُوسَى أنه آمن به وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري قَالَ إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهارون ويروى والحبورة لهارون وأنا في غير شيء إلى متى أصبر ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾

أي: وطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره وعن قَتَادَة أنه تكبر عليهم. وقيل ظلمهم[1]

وقيل: حسدهم وَقَالَ الضحاك بغيه عليهم كفره بالله وَقَالَ عطاء هو أنه زاد في طول ثيابه شبرًا وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا بغيه هو قذفه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ببغية جعل لها جعلًا كما سيجيء في قصته ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ [القصص: 76] من الأموال المدخرة ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ كلمة موصولة والمراد بمفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به.

وقيل: خزائنه وقياس واحدها المفتح ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ وهو خبر إن والجملة صلة ما وهو ثاني مفعول آتى واللام للتأكيد «وتنوء» مضارع ناء نوءا يقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة[2] الجماعة الكثيرة. وقيل العصبة العشرة. وقيل خمسة عشر. وقيل أربعون. وقيل من عشرة إلى أربعين[3]. وأعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه وروي أن مفاتيح خزائنه كانت وقر ستين بغلًا غرًّا محجلة لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على إصبع وكانت من جلود الإبل ويقال كانت من الحديد فثقلت عليه فجعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر وكانت خزائنه تحمل معه حيثما ذهب[4] وقوله: ﴿أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ صفة العصبة ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ منصوب المحل بقوله لتنوء: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أي: لا تبطر وهو قوله تَعَالَى:

(1) حين ملكه فرعون على بني اسرائيل.

(2) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: العصبة في هذا الموضع أربعون رجلًا.

(3) والمعنى هنا لتعجز العصبة أولو القوة عن حمل مفاتيح الخزائن. وقيل معناه تميل بها العصبة إذا حملتها من ثقلها.

(4) قال أبو رزين يكفي الكوفة مفتاح يعني يكفي الكوفة كنز واحد من كنوزه مع كثرة أهل الكوفة وهو بيان للكثرة. وفي رواية أخرى: إنَّ قارون حصَّل أموالًا عظيمة جدًّا حتى قيل إنه كانت مفاتيح خزائنه وكانت من جلودٍ تحمل على أربعين بغلًا وكان يسكن تنيس، فحكى عبد العزيز الجرَوي ظفر ببعض كنوز قارون وهو أمير على تنيس فلما مات تأمّر ابنه الحسن بن عبد العزيز عن ذلك، فيقال: إن عليًّا كتب إلى أخيه الحسن: إني استطبت لك من مال أبيك مائة ألف دينار فخذها، فقال: أنا تركت الكثير من ماله لأنه لم يطب لي، وكيف آخذ هذا القليل وقد روى البخاري في هذا الصحيح عن الحسن بن عبد العزيز هذا.

﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 23]. وقول القائل:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا بجزوع حين ينكبني الدهر

وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح.

والحاصل: أن الفرح بالدنيا مذموم مُطْلَقًا لأنه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح وما أحسن ما قَالَ القائل:

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 23].

وعلل النهي ههنا بكونه مانعًا من محبة اللّه تَعَالَى فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: 76] أي: البطرين بزخارف الدنيا ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى والثروة ﴿ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب وتصرفه إلى ما يوجب لك الدار الآخرة وتجعله زادك إلى الآخرة فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها ﴿وَلَا تَنسَ﴾ أي: ولا تترك ترك المنسي ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك. ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد اللّه ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما أنعم عليك أو أحسن بالشكر والطاعة لله كما أحسن اللّه تَعَالَى إليك بالإنعام: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأمر يكون علةً للظلم والبغي وهو ما كان عليه من الظلم والبغي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77] لسوء أفعالهم وقيل إن القائل هو مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: 78] أي: إنَّما أوتيت التفوق على الناس بالجاه والمال على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به على الناس وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل في التوراة وعلى علم في موضع الحال. وقيل هو علم الكيمياء وعن سَعِيد بن المسيب كان مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص

والنحاس فيجعلهما ذهبًا. وقيل علم اللّه مُوسَى علم الكيمياء فعلمه مُوسَى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو تبصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب. وقيل علم بكنوز يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ وعندي صفة له. وقيل متعلق بقوله أوتيته فمعنى عندي في ظني كما تقول الأمر عندي كذا كأنه قَالَ إنما أوتيته على علم كقوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ قَالَ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ زاد عندي أي: فهو في ظني ورأيي هكذا ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ تعجيبٌ وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لأنه قرأ في التوراة وأخبر به مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام كأنه قيل أولم يعلمه في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته فيكون إثباتا لعلمه وتعجبًا من أمره وتوبيخًا له ويجوز أن يكون ردًّا لادعائه العلم ونفيًا لعلمه وتعظمه به لأنه لما قَالَ أوتيته على علم عندي فتنفخ بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل هذا العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي نفسه مصارع الهالكين وقوله تَعَالَى ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أي: للمال أو جماعة وعددًا ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78] أي: لا يسألون سؤال استعلام فإنه تعالى مطلع عليها أو سؤال معاتبة فإنهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر إهلاك من قبله من كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك ببيان أنه لم يكن يخصهم بل اللّه مطلع على ذنوب المجرمين كلهم لا يحتاج إلى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 153].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 283].

وأما قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: 92-93] فمعناه سؤال توبيخ وتقريع كما قَالَ الحسن لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم فليتأمل ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [القصص: 79].

قَالَ الحسن في الحمرة والصفرة وقيل: خرج على بغلة شهباء[1] عليه

---

(1) الشهبة في الألوان البياض الذي غلب على السواد.

الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج. وقيل في تسعين ألفًا عليهم الثياب المعصفرات وهو أول يوم رئي فيه المعصفر والله أعلم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ كان المتمنون قومًا من المسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار كما هو عادة البشر. وعن قَتَادَة تمنوه ليتقربوا به إلى اللّه وينفقوه في سبل الخير وقيل كانوا قومًا كفارًا.

الغابط: هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تَعَالَى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: 79] ومن الحسد قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: 32] وقيل لرسول اللّه ﷺ هل يضر الغبط فَقَالَ لا إلا كما يضر العضاه الخبط[1] والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بأحوال الآخرة للمتمنين ﴿وَيْلَكُمْ﴾ ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء بالفراق والتهمة في الحث على الفعل ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: 80] مما أوتي قارون من الدنيا وما فيها ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه في معنى المثوبة أو الجنة أو للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعات وعلى ما قسم اللّه من القليل وعن الشهوات والمعاصي والكثير من الدنيا ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: 81].

---

(1) الخبط: ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها.

روي: أن قارون كان يؤذي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد من الدارهم والدنانير فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وَقَالَ إن مُوسَى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قَالَ نبرطل[1] فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو إسرائيل فجعل لها ألف دينار.

وقيل: طشتًا من ذهب.

وقيل: طشتًا من ذهب مملوءة ذهبًا.

فلما كان يوم عيد قام مُوسَى خطيبًا فَقَالَ يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وإن حصن رجمناه فَقَالَ قارون وإن كنت أنت قَالَ وإن كنت أنا قَالَ فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها مُوسَى بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها اللّه فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلًا على أن أقذفك بنفسي فخر مُوسَى ساجدًا يبكي وَقَالَ يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فَقَالَ يا بني إسرائيل إن اللّه بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعًا غير رجلين ثم قَالَ يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قَالَ خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قَالَ خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى مُوسَى ويناشدونه باللّه والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قَالَ خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى اللّه إلى مُوسَى ما أفظك استغاثوا بك مرارًا فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة لوجدوني قريبا مجيبًا فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا مُوسَى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا اللّه حتى خسف بداره وأمواله.

وكذا روى ابن أَبِي حاتم بإسناد صحيح عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ﴿فَمَا

(1) نبرطل: أي نعطيها الرشوة.

كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ أي: أعوان مشتقة من فاوت رأسه إذا ميلته ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يدفعون عنه عذابه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: 81] أي: الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر إذا منعه فامتنع ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾ [القصص: 82] أي: منزلته من الدنيا ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: منذ زمان قريب فإنه قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾ وهي مفصولة عن كان وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على الخطأ في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قَالَ: كان ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: 82] والمعنى ما أشبه الأمر ألم تعلم أن اللّه يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامةٍ تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وهو مذهب الخليل وسيبويه قَالَ الشاعر[1]:

سـألـتـانـي الـطـلاق إذ رأتـانـي ... قـل مـالـي قـد جـئـتـمـا بـنُـكـر
وَيْ[2] كأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ومَنْ يَفْتَقِر يَعش عَيْشَ ضُرِّ

يقول: امرأتاي سألتاني الطلاق حين رأتا قلة مالي ما أشبه الأمران من يكن

---

(1) (وَيْ) قال سيبويه كغيره: إنها صلَةٌ، وهي كلمة تدلُّ على الندم، وقال الأخفش: أصلها (ويك) و (أنَّ) بعده منصوبٌ بإضمار أعلم أي: أعلم أن اللّه، فعلى الأول: يُوقف على (وَيْ) وبه قرأ الكسائي، وعلى الثاني: يوقف على (وَيْكَ) وبه قرأ أبو عمرو، والجمهور: يقفون على (ويكأن) تبعًا للرسم، ويجوِّزون الوقف عليه بهاء السكت. [فتح الرحمن: 1/ 222].
وقال أبو جعفر النحاس: أحسن ما قيل في هذا قول الخليل رحمه اللّه، ويونس، وسيبويه، والكسائي: إن القوم تنبهوا أو نبهوا، فقالوا: وي، والمتندم من العرب يقول في حال تندمه: وي، وحكى الفراء أن بعض النحويين قال: إنها ويك؛ أي: ويلك، ثم حذفت اللام، قال أبو جعفر: وما أعلم جهة من الجهات إلا هذا القول خطأ منها، فمن ذلك: أن المعنى لا يصح عليه؛ لأن القوم لم يخاطبوا أحدًا، فيقولوا له: ويلك، وكان يجب على قوله أن يكون (إنه) بكسر (إن)؛ لأن جميع النحويين يكسرون (أن) بعد (ويلك)، وأيضًا فإن حذف اللام من (ويل) لا يجوز، وأيضًا فليس يكتب: هذا ويك. [إعراب القرآن: 3/ 168].
أخرجه مسلم في الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي الذي هو خير. وفي الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها رقم 1652.

(2) يعني أن ويكأن عندهما مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه.

ذا مال يكون محبوبًا ومن يفتقر العيش في ضر. وحكى الْفَرَّاء أن إعرابية قالت لزوجها أين ابنك فَقَالَ ويكأن وراء البيت[1] وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك والمعنى ويك ألم تعلم أن اللَّه. ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي[2] كقوله:

ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

أصله عنترة فرخم في النداء أي: يا عنترة أقدم يعني قدم نفسك وتقدم الخيل وأنه بمعنى لأنه أي: تعجب لأنه واللام المحذوفة كبيان المقول لأجله هذا القول وهو ويك. والتقدير لأن اللّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كان ما كان ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه. ومنهم من يقف على ويك ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ لتوليده فينا ما ولد فيه فخسف به لأجله. وعن الأعْمَش لولا من اللّه علينا ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: 82] أي: ما أشبه الأمر فإن الكافرين لا ينالون الفلاح أو ويلك ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون أو ويك لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون والمراد الكافرون لنعمة اللّه والمكذبون برسله بما وعد ولهم من ثواب الآخرة ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾.

تلك: تعظيم لها وتفخيم لشأنها كأنه قَالَ تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر قوله: ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 83] غلبة وقهرا ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ ظلما على الناس.

ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قَالَ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ[3] ظَلَمُواْ﴾ فعلق الوعيد بالركون. وعن علي كرم اللّه وجهه إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها.

---

(1) يعني ترينه وراء البيت.

(2) اسم فعل بمعنى أعجب.

(3) هود: 113.

﴿لَتَنُوٓأُ﴾: لَتُثْقِلُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ لا يَرْفَعُهَا العُصْبَةُ مِنَ الرِّجَالِ. يُقَالُ: ﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: 76]: المَرِحِينَ، ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [القصص: 82]: مِثْلُ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ....

وعن الفضل أنه قرأها ثم قَالَ ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض.

ومنهم: من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون لقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4] ولا تبغ الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة وَقَالَ الزمخشري لم يتدبر من قَالَ ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83] كما تدبره علي والفضيل وعمر ولك أن تقول يجوز أن يكون المراد من أتقى من مثل عمل فرعون وقارون واللّه تَعَالَى أعلم. ثم إن المؤلف رَحِمَهُ اللّه لم يذكر في قصة هارون الآثار التي ستجيء وهي ثابتة فِي رِوَايَةِ المستملي وَالكُشْمِيهَنِيّ فقط قَالَ:

(﴿لَتَنُوٓأُ﴾: لَتُثْقِلُ) إشارة إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ وفسره بقوله لثقل وقد ذكرنا سابقًا.

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: (﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ لا يَرْفَعُهَا العُصْبَةُ مِنَ الرِّجَالِ) أي: قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا في تفسير أولي القوة لا يرفعها العصابة من الرجال وقد مر هو أَيْضًا.

(يُقَالُ: ﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾: المَرِحِينَ) أشار به إلى تفسير قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ بأن معناه المرحين وهو تفسير ابْن عَبَّاس أورده ابن أَبِي حاتم من طريق علي بن أَبِي طلحة عنه والمعنى أنهم يبطرون فلا يشكرون اللّه على نعمه.

(﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: مِثْلُ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ) هو قول أَبِي عُبَيْدَةَ واستشهد بقول الشاعر:

وَيْكَأَنَّ من لم يكن له نشب البيت

وذهب قطرب إلى أن وي كلمة تفجع وكأن حرف تشبيه استعمل في مقام حرف التحقيق للإيماء إلى أن الظن طاف في هذا الباب وقد مرت أقوال النحاة في هذه الكلمة فيما مر.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: 26]: وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِ وَيُضَيِّقُ».

34 ـ باب ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 84]

(﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: **وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِ وَيُضَيِّقُ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: 36] وذكرها فإن فيها مثل ما في الآية الأولى أعني قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: 82] ثم فسره قوله يبسط ويقدر بقوله يوسع عليه ويضيق فقوله يوسع تفسير قوله يبسط وقوله يضيق تفسير قوله ويقدر.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ: ويقدر هو مثل قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ أي: ضاق. ويقال قدر على عياله قدرا مثل قتر. وقدر على الإنسان رزقه قدرًا مثل قترا أَيْضًا.

34 ـ باب ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: 84]

(باب) قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: (﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾) شعيب اسم عربي قَالَ مقاتل ذكره اللّه في القرآن في تسعة مواضع وهو شعيب بن يويب بن رعويل بن عيفا بن مدين بن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ وهب بن منبه: شعيب بن عيفا بن أيوب بن مدين.

وَقَالَ الثعلبي: هو ابن يحرون بن يويب بن مدين.

وَقَالَ ابن إِسْحَاق: هو ابن ميكيل بن يشحر بن لاوي بن يعقوب. وقيل شعيب ابن نويل بن رعويل بن يويب بن عيفا بن مدين بن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل شعيب بن ضيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقال جدته أو أمه بنت لوط وكان ممن آمن بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهاجر معه ودخل دمشق. وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي: وإلى أهل مدين كما سيجيء وكانوا قومًا عربا يقطعون الطريق ويخيفون المارة ويبخسون المكاييل والموازين وكانوا مكاسين لا يدعون شَيْئًا إلا مكسوه وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعًا ثم أخذوها بنقصان ظاهرًا وأعطوه بدلها زيوفا وأرسله اللّه إليهم قَالَ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

إِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ، لأَنَّ مَدْيَنَ بَلَدٌ، وَمِثْلُهُ ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82] وَاسْأَلْ ﴿ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف: 70]: يَعْنِي أَهْلَ القَرْيَةِ وَأَهْلَ العِيرِ، ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: 92] لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، يُقَالُ إِذَا لَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ: ظَهَرْتَ حَاجَتِي ....

إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: 85] أي: وحِّدوه وقد قص اللّه قصته في القرآن وَقَالَ علماء السير أقام شعيب مدة بعد هلاك قومه ووصل إليه مُوسَى وزوَّجه بنته وَقَالَ ابن الجوزي ثم خرج إلى مكة فمات بها وعمره مائة وأربعون سنة ودفن في المسجد الحرام حيال الحجر الأسود.

وَقَالَ سبطه وعند طبرية بالساحل قرية يقال لها حطين فيها قبر يقال إنه قبر شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ أَبُو المفاخر إِبْرَاهِيم بن جبريل في تاريخه أن شعيبًا كان عمره ستمائة سنة وخمسين سنة. وروى ابن حبان في حديث أَبِي ذَرٍّ الطويل أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد فعلى هذا هو من العرب العاربة.

وقيل إنه من بني عنزة بن أسد ففي حديث سلمة بن سَعِيد أنه قدم على النَّبِيّ ﷺ فانتسب إلى عنزة فَقَالَ نعم الحي عنزة مبغى عليهم منصورون رهط شعيب وأختان مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيّ في إسناده مجاهيل.

(**إِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ، لأَنَّ مَدْيَنَ بَلَدٌ، وَمِثْلُهُ ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، وَاسْأَلْ ﴿ٱلْعِيرُ﴾ يَعْنِي أَهْلَ القَرْيَةِ وَأَهْلَ العِيرِ**)[1] وهو قول أبي عبيدة قاله في تفسير سورة هود وأشار بهذا إلى أن معنى قوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ وإلى أهل مدين لأن مدين بلد وهي مدينة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل منها وبها البئر التي استسقى منها مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لسائمةِ شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي الآن خراب. وأشار بقوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ إلى أن نظير قوله تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ [الأعراف: 85] هو قوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ في أن المضاف فيها محذوف وهو لفظ أهل. وكذلك قوله: وَاسْأَلْ ﴿ٱلْعِيرُ﴾ أي: أهل العير لأن القرية والعير لا يصح السؤال منهما.

(**﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، يُقَالُ إِذَا لَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ: ظَهَرْتَ حَاجَتِي**

---

(1) والعير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي: تتردد فقيل لأصحابها كقوله عليه السلام: يا خيل اللّه اركبي.

وَجَعَلْتَنِي ظِهْرِيًّا. قَالَ: الظِّهْرِيُّ أَنْ تَأْخُذَ مَعَكَ دَابَّةً أَوْ وِعَاءً تَسْتَظْهِرُ بِهِ، مَكَانَتُهُمْ وَمَكَانُهُمْ وَاحِدٌ، ﴿يَغْنَوْا﴾ [الأعراف: 92]: يَعِيشُوا، ....

وَجَعَلْتَنِي ظِهْرِيًّا) أشار إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ وفسره بقوله لم تلتفتوا إليه ويقال إذا لم تقض يعني إذا لم تقض حاجة من سألك بها يقول ظهرت حاجتي بفتح الهاء وجعلتني ظهريًّا وهو منسوب إلى الظهر وكسر الظاء من تغييرات النسب كما تقول في أمس أمسيّ بكسر الهمزة قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: 92] أي: ألقيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا إليه وتقول للذي لا يقضي حاجتك ولا يلتفت إليها ظهرت حاجتي ظهرية أي: خلف ظهرك قَالَ الشاعر:

وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر

أي: من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إليهم.

(قَالَ) الظاهر أن القائل هو الْبُخَارِيّ: (الظِّهْرِيُّ أَنْ تَأْخُذَ مَعَكَ دَابَّةً أَوْ وِعَاءً تَسْتَظْهِرُ بِهِ) أشار إلى أن الظهري بصورة النسبة يقال أَيْضًا لمن يأخذ معه دابة أو وعاء يستظهر به أي: يتقوى به.

(مَكَانَتُهُمْ وَمَكَانُهُمْ وَاحِدٌ) هكذا وقع وفيه نظر لأن في قصة شعيب هكذا ويا قوم ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ بمعنى مكانكم وأما مكانتكم ففي سورة يس وهو قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ [يس: 67].

وإنما وقع هذا لأن قول أَبِي عُبَيْدَةَ في تفسير سورة يس فِي قَوْلِهِ على مكانتهم قَالَ المكان والمكانة واحد كالمقامة والمقام لكن الظاهر أن هذا التفسير لا يتعين في سورة يس في قصة شعيب فإن معناه لمسخناهم على مكانتهم بحيث يجمدون في ذلك المكان وأما ما في قصة شعيب فمعنى قوله على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة فليتأمل.

(﴿يَغْنَوْا﴾: يَعِيشُوا) أشار به إلى ما في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ وفسره بقوله يعيشوا، ولما ذكر يغنوا بدون لم ذكر تفسيره أَيْضًا بدونه. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها

يَـأْيَـسُ: يَـحْـزَنُ. ﴿ءَاسَىٰ﴾ [الأعراف: 93]: أَحْزَنُ». وَقَالَ الحَسَنُ[1]: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ﴾ [هود: 87] يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (لَيْكَةُ) الأَيْكَةُ،

أي: ولم يقيموا فيها قَالَ والمغنى الدار والجمع مغانٍ بالغين المعجمة.

(يَـأْيَـسُ: يَـحْـزَنُ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ وفسره بقوله تحزن ولم يذكر لفظ لا فيهما وذكره الْبُخَارِيّ استطرادًا لقوله: (﴿ءَاسَىٰ﴾: أَحْزَنُ) وهو إشارة إلى قوله تَعَالَى حكاية عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾ أي: أحزن وأتندم وأتوجع وإلا فلا تعلق لقوله: ﴿تَأْسَ﴾ لقصة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَقَالَ الحَسَنُ) أي: البَصْرِيّ: (﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ﴾ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ) وصله ابن أَبِي حاتم من طريق أَبِي المليح عن الحسن البَصْرِيّ وأراد الحسن أنهم قالوا له ذلك على سبيل الاستعارة التهكمية ومرادهم عكس ذلك إذ غرضهم أنت السفيه الغوي لا الحليم الرشيد وقوله به أي: بشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (لَيْكَةُ) الأَيْكَةُ). أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَّبَ

---

(1) اختلفوا في قوله تعالى إنك لأنت الحليم الرشيد قال صاحب الجمل: قال ابن عباس: أرادوا كسفيه الغاوي، لأن العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ سليم، وقيل هو على حقيقته وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية، وقيل معناه إنك لأنت الحليم الرشيد في زعمك، وقيل هو على بابه من الصحة، ومعناه: أنت يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يشق عليك عصيان قومك ومخالفتهم في دينهم، اهـ خازن. كذا في الجمل وهذا الأخير موافق لما قال الشيخ لكن سياق الخازن في هذا الأخير يخالف ما حكى صاحب الجمل عنه ولفظه: إنك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يحمد بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم، اهـ. ولفظ البغوي: لا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم، اهـ.

وقال الرازي في تفسيره: قوله إنك لأنت الحليم الرشيد فيه وجوه الأول: أن يكون المعنى إنك لأنت السفيه الجاهل إلا أنهم عكسوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية كما يقال للبخيل الخسيس لو رآك حاتم لسجد لك، الثاني: إنك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد، الثالث: أنه عليه السلام كان مشهورًا عندهم بأنه حليم رشيد فلما أمرهم بمفارقة طريقتهم قالوا له إنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب فكيف تنهانا عن دين ألفيناه من آبائنا وأسلافنا والمقصود استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفًا بالحلم والرشد وهذا الوجه أصوب الوجوه، اهـ. قلت: لكنه يخالف تفسير البخاري من قوله: «يستهزئون به».

﴿يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 189]: إِظْلالُ الغَمَامِ العَذَابَ عَلَيْهِمْ.

أَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الشعراء: 176] وأشار إلى أن ليكة على وزن ليلى هو نفس الأيكة فنقل وحذف ألفه وقد قرئ بهما في السبعة وَقَالَ الرشاطي الأيكة كانت منازل قوم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ من ساحل البحر إلى مدين وكان شجرهم المقل والأيكة عند أهل اللغة الشجرة الملتف وكانوا أصحاب شجر ملتف ويقال الأيكة الغيضة وليكة اسم البلد حولها كما قيل في مكة وبكة وَقَالَ أَبُو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم بلد.

(﴿يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: **إِظْلالُ الغَمَامِ العَذَابَ عَلَيْهِمْ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 189] يروى أنهم حبس عنهم الهواء وسلط عليهم الحر فأخذ بأنفاسهم فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردًا ونسيمًا فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا ويروى أنه سلط اللّه عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم السحابة فاجتمعوا تحتها وأمطرت عليهم نارًا فاحترقوا.

واعلم أنه لم يذكر الْبُخَارِيّ في قصة شعيب سوى هذه الآثار وهي للكشميهني والمستملي فقط وقد ذكر اللّه قصته في الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت وغيرها وقد جاء عن قَتَادَة أنه أرسل إلى أمتين، أصحاب مدين وأصحاب الأيكة ورجح بأنه وصف في أصحاب مدين بأنه أخوهم بخلاف أصحاب الأيكة.

وَقَالَ في أصحاب مدين: «أخذتهم الصيحة والرجفة» وفي أصحاب الأيكة أخذهم عذاب يوم الظلة والجمهور على أن أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة وأجابوا عن ترك ذكر الأخوة في أصحاب الأيكة بأنهم لما كانوا يعبدون الأيكة ووقع في صدر الكلام بأنهم أصحاب الأيكة ناسب أن لا يذكر الأخوة وعن الثاني بأن المغايرة في أنواع العذاب إن كانت تقتضي المغايرة في المعذبين فليكن الذين عذبوا بالرجفة غير الذين عذبوا بالصيحة والحق أنهم أصابهم جميع ذلك فإنهم أصابهم حر شديد فخرجوا من البيوت فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها وأمطرت بهم الأرض من تحتهم وأخذتهم الصيحة من فوقهم وأمطرت السحابة نارًا فاحترقوا وهلكوا واللّه تَعَالَى أعلم.

35 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 139، 148]

35 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 139، 148]

(باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾) والآية في أواخر سورة الصافات قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ وهو يُونُس بن مَتَّى بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية مقصورًا ووقع في تفسير عبد الرزاق أن متى اسم أمه وقيل ولم يشتهر نبي بأمه غير يُونُس والمسيح عليهما السلام ولكن الأصح أنه اسم أبيه وكان رجلًا صالحًا من أهل بيت النبوة ولم يكن له ولد ذكر فقام إلى العين التي اغتسل بها أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فاغتسل هو وزوجته منها وصليا ودعوا اللّه تَعَالَى أن يرزقهما رجلًا مباركًا فيبعثه اللّه في بني إسرائيل فاستجاب اللّه دعاءهما ورزقهما يُونُس وتوفي ويونس في بطن أمه وله أربعة أشهر.

وقد قيل إنه من بني إسرائيل وأنه من سبط بنيامين وكان من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعثه اللّه إليهم.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولم أقف في شيء من الأخبار على اتصال نسبه وقد قيل إنه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس واللّه أعلم.

وقرئ يُونُس بضم النون وكسرها ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ أي: هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه على طريقة المجاز ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: 140] أي: المملوّ ﴿فَسَاهَمَ﴾.

المقارعة: ويقال استهم القوم إذا اقترعوا أي: فقارع أهله ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: 141]، أي: فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر والغلبة.

وروي أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمر اللّه به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون الذين في أكثر

أوقاتهم وأعمهم يكونون في البحر للتجارة وغيرها أن السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر فاعترفوا فخرجت القرعة على يُونُس فَقَالَ أنا الآبق وزج أي: رمى بنفسه في الماء ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ أي: فابتلعه من اللقمة ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: 142] داخل في الملامة يقال رُبَّ لائم مليم أي: يلوم غيره وهو أحق منه باللوم أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه على أن الهمزة للتعدية وقرئ بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيًّا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات: 143] من الذاكرين اللّه كثيرًا بالتسبيح والتقديس مدة عمره.

وقيل: هو قوله في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقيل من المصلين.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كل تسبيح في القرآن فهو صلاة. وعن قَتَادَة كان كثير الصلاة في الرخاء.

قَالَ وكان يقال إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكئًا وهذا ترغيب من اللّه تَعَالَى في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله وإقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: 144] الظاهر لبثه فيه حيًّا إلى يوم البعث وعن قَتَادَة لكان بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة وروي أنه حين ابتلعه أوحى اللّه إلى الحوت أني جعلت بطنك له سجنًا ولم أجعله لك طعامًا.

واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي أربعون يومًا وعن الضحاك عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث إلا قليلًا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ [الصافات: 145] أي: فقذفناه وطرحناه بأن حملنا الحوت على لفظه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالمكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه من النبات وغيره وروي أن الحوت سار مع السفينة رافعًا رأسه يتنفس فيه يُونُس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالمًا لم يتغير من شيء وأسلموا.

وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ اعتل مما حل به وناله.

وروي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ﴾ أي: فوقه مظلة عليه ﴿شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات: 146] مما ينسرح وينبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به.

والأكثر على أنها كانت الدُّباء غطته بأوراقها عن الذباب فإن الذباب لا يجتمع عنده ولا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول اللّه ﷺ إنك لتحب القرع قَالَ: «**أجل هي شجرة أخي يُونُس**».

وقيل: هي التين.

وقيل: شجرة الموز تغطي بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها.

وقيل: كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فتشرب من لبنها.

وروي أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى إليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر وهم القوم الذين أسلموا بعده روي أن يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد بعث إلى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث وقيل إلى أربعين فخرج من بينهم قبل أن يأمره اللّه به فوقع فيما وقع فلما دنا الموعد غامت السماء غيمًا أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يُونُس فلم يجدوه فأيقنوا صدقة فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحنّ بعضهم إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى اللّه تَعَالَى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة فلذلك قوله تَعَالَى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾ [يُونُس: 98] (﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾) [الصافات: 147] هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد ما سبق من إرساله إليهم وقيل هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين أو إلى غيرهم.

وقيل: أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى لأن النَّبِيّ إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيمًا فيهم وَقَالَ لهم إن اللّه باعث إليكم نبيًا ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في مرأى الناظر أي: إذا نظر إليهم الناظر قَالَ هم مائة ألف أو أكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو. ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ فصدقوه أو فجددوا الإيمان به بمحضره ﴿فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 148] إلى أجل مسمى.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾: صاحب الحوت يونس بن متى ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ لقومه لما برم من دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرًا عنهم قبل أن يؤمر.

وقيل: وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال، فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المبالغة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لن نضيّق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر أو لن تعمل فيه قدرتنا ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ في الظلمة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ﴿أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ بأنه ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ أن يعجز شيء ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة، وعن النبي ﷺ: ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه. وقيل ثلاثة أيام.

والغم: غم الالتقام وقيل غم الخطيئة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من غموم دعوا اللّه فيها بالإخلاص.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يونس ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوّ غيظًا في الضجرة فتبتلى ببلائه ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني التوفيق للتوبة وقبولها ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرض الخالية عن الأشجار ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مليم مطرود عن الرحمة والكرامة ﴿فَٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بأن رد الوحي إليه أو استنبأه إن صح أنه لم يكن نبيًا قبل هذه الواقعة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ما تركه أولى، والآية نزلت حين همّ رسول اللّه ﷺ أن يدعو على ثقيف.

وقيل: بأحد حين حلّ به ما حلّ فأراد أن يدعو على المنهزمين. كذا في تفسير القاضي.

قَالَ مُجَاهِدٌ: مُذْنِبٌ هو تفسير قوله تَعَالَى مليم هكذا روى الطبراني من طريق مجاهد من ألام إذا أتى بما يلام عليه وفي تفسير النسفي وهو مليم داخل في الملامة وعن الطَّبَرِيّ المليم المكتسب اللوم.

المَشْحُونُ: المُوقَرُ أشار به إلى تفسير قوله تَعَالَى: ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: 140] روى ابن أَبِي حاتم من طريق ابن أَبِي نجيح عن مجاهد قال المشحون المملوّ ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللّه عنهم المشحون الموقر والموقر بضم الميم وفتح القاف المملو وقيل معناه المجهز المشحون.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣﴾ الآيَةَ يعني أتم الآية أو اقرأ الآية وهو قوله تَعَالَى: ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: 144] وقد سبق تفسيره.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بِوَجْهِ الأَرْضِ ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ فسر العراء بوجه الأرض وهكذا فسره الكلبي وَقَالَ مقاتل بن سليمان هو البراز من الأرض وَقَالَ الأخفش هو الفضاء وَقَالَ السُّدِّيّ هو الساحل ويقال العراء الأرض الخالية من الشجر والنبات ومنه قيل للمتجرد عريان.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦﴾ من غَيْرِ ذَاتِ أَصْلٍ: الدُّبَّاءِ وَنَحْوِهِ وصله عبد ابن حميد من طريق مجاهد وزاد وليس لها ساق وكذا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ وعن ابْن عَبَّاس والحسن ومقاتل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل.

وَقَالَ سَعِيد بن جُبَيْر: هو كل نبت ينبت ثم يموت في عامه.

قيل: وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا إقامة ثابت وقوله

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48]: وَهُوَ مَغْمُومٌ».

من غير ذات أصل صفة يقطين أي: من يقطين كائن من غير ذات أصل وقوله الدباء بالجر بدل من يقطين أو بيان وليس هو مضافًا إليه كما توهم وقوله ونحوه أي: ونحو اليقطين كالقثاء والبطيخ.

﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ﴾ أي: وأرسلنا يونس ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في تفسير النسفي يجوز أن يكون قبل حبسه في بطن الحوت وهو ما سبق من إرساله إلى قومه من أهل نينوى.

وقيل هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه في الأولين والمراد من قوله: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ لكثرة ما تقدم.

وَقَالَ مقاتل: معناه وبل يزيدون.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا معناه: ويزيدون وقد قرئ بذلك.

وعنه مبلغ الزيادة على مائة ألف عشرون ألفًا.

وعن الحسن والربيع بضعة وثلاثون ألفا.

وعن ابن حبان سبعون ألفًا واللّه تَعَالَى أعلم.

﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ يعني فآمن قوم يُونُس عند معاينة العذاب وقوله إلى حين أي: إلى أجل مسمى إلى حين انقضاء آجالهم.

(﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾) كَظِيمٌ، (وَهُوَ مَغْمُومٌ) الخطاب للنبي ﷺ أي: لا تكن يا مُحَمَّد كصاحب الحوت وهو يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ في الضجر والغضب والعجلة حين دعا ربه في بطن الحوت وهو مكظوم أي: مملوّ غيظًا من كظم السقاء إذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه فتبتلى.

وأشار بقوله كظيم إلى أن مكظوم على وزن مفعول ولكنه بمعنى كظيم على وزن فعيل وفسره بقوله وهو مغموم.

وقيل: لمحبوس عن التصرف وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48] أي: من الغم مثل كظيم.

3412 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ» زَادَ مُسَدَّدٌ: «يُونُسَ ابْنِ مَتَّى».

3413 - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ».

3414 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الفَضْلِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ،

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا يَحْيَى) هو ابن سَعِيد القطان، (عَنْ سُفْيَانَ) أي: الثَّوْرِيّ أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي الأَعْمَشُ) (ح) تحويل من سند إلى آخر.

و(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ) الفضل ابن دكين قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) وفي نسخة عن سُفْيَان، (عَنِ الأَعْمَشِ) سليمان بن مهران، (عَنْ أَبِي وَائِلٍ) شفيق بن سلمة، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن مَسْعُود (رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ من يُونُسَ» زَادَ مُسَدَّدٌ: «يُونُسَ بْنِ مَتَّى») ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ فيه أَيْضًا.

(حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي العَالِيَةِ) رفيع ابن مهران، (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ») ومطابقته للترجمة ظاهرة وقد مضى في باب قول اللَّه تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: 9].

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ اللَّيْثِ) وفي نسخة: قَالَ: أَخْبَرَنَا الليث، (عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الفَضْلِ، عَنِ الأَعْرَجِ) عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ) أي:

أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلانٍ لَطَمَ وَجْهِي فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، ....

يبرز متاعه للناس ليرغبوا في شرائه.

(**أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ**) أي: أعطى له بها ثمنًا بخسًا لم يرض به.

(**فَقَالَ: لا**) أي: لا أعطيها به (**وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟**) لفظ أظهر مقحم وقد يوجه عدم إقحامه وهو أنه جمع ظهر ومعناه أنه بينهم على سبيل الاستظهار كأن ظهرًا منهم قدامه وظهرا وراءه فهو مكنون من جانبيه إذا قيل بين ظهرانيهم ومن جوانبه إذا قيل بين أظهرهم.

(**فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ**) ويروى: يا أبا القاسم (**إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا**) أي: مع المسلمين، (**فَمَا بَالُ فُلانٍ لَطَمَ وَجْهِي**) أي: فلم أخفر ذمتي ونقض عهدي بذلك اللطم.

(**فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ**) أي: لا تفضلوا بعضًا بحيث يؤدي إلى نقص المفضول أو إلى الخصومة والنزاع أو لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يبقى للمفضول فضيلة وإن كان رَسُول اللَّه ﷺ أفضل منهم مُطْلَقًا إذ الإمام أفضل من المؤذن مُطْلَقًا وإن كان فضيلة التأذين غير موجودة فيه أو لا تفضلوا من تلقاء أنفسكم وأهوائكم فقد قال اللَّه تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فإن قيل كيف نهى ﷺ وقد فضل هو بنفسه مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فالجواب: أنه لم يفضل إذ معناه وأنا لا أدري أن هذا البعث فضيلة له أم لا وقد جاز له ما لم يجز لغيره فإن قيل السياق يقتضي تفضيل مُوسَى على سيدنا رَسُول اللَّه ﷺ.

فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي»(1).

فالجواب: أنه لو سلمنا ذلك لا يقتضي إلا تفضيله بهذا الوجه وهذا لا ينافي في كونه أفضل مُطْلَقًا من مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ) قَالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

(أَمْ بُعِثَ قَبْلِي) وقد مر ما يتعلق به قبل أبواب.

---

(1) قال الكاندهلوي: اختلفوا في عدد الصعقات والنفخات من ثنتين إلى خمس، واختلفوا في أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ بأيتهن يتعلق؟ وحاصل ما أفاده الشيخ قدس سره ههنا أنها ثلاثة: الأولى صعقة الإماتة، والثانية صعقة الإحياء، والثالثة عند إتيان العرش في أرض المحشر، والاستثناء متعلق بهذه الثالثة، وحاصل ما أفاد الشيخ قدس سره في الكوكب أنها أربعة إذ قال في قصة موسى تحت قول: «ممن استثنى اللّه» أي بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهذه الصعقة غير الصعقة التي قبل الحشر، فإن النفخات متعددة نفختان وقت قيام القائمة: أولاهما: يفنى فيها كل شيء من العرش والكرسي والجنة والنار والأرواح وغيرها، والثانية: يقوم بها كل شيء، ثم بعد ذلك نفخة حين يتجلى الرب سبحانه للحساب يصعق بها من في السموات والأرض إلا من شاء اللّه وهذه هي التي استثنى من الصعق بها أشياء وهذه الصعقة ليخفى عليهم تجليه سبحانه فإنهم لم يطيقوه، ثم الثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ وهذه بعد التجلي وهاتان هما المذكورتان في سورة الزمر، اهـ.

وقال الحافظ رحمه اللّه تعالى في الفتح: زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع:

الأولى: نفخة إماتة يموت فيها من بقي حيًّا في الأرض.

والثانية: نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمعون للحساب.

والثالثة: نفخة فزع وصعق كالمغشي عليه لا يموت منها أحد.

والرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعًا ليس بواضح بل هما نفختان فقط ووقع التغاير في كل واحدة منهما باعتبار من يسعها، فالأولى: يموت بها كل من كان حيًّا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى اللّه، والثانية: يعيش بها من مات ويفيق بها من غشي عليه واللّه أعلم، اهـ.

وقال صاحب الجمل: ومن الغرائب أن بعضهم جعلها بحديث أبي هريرة خمسًا، وقد سمعنا بمن زاد في الطنبور نغمة ولم نسمع بمن زاد في الصور نفخة، وحكي عن ابن الوردي أن النفخات ثلاث: ثنتان منها في آخر الدنيا وواحدة منها في أول الآخرة وبسط الكلام على هذه =

3415 - وَلا أَقُولُ: «إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

3416 - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، سَمِعْتُ حُمَيْدَ ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

(وَلا أَقُولُ) أي: من عند نفسي: (إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى) أو قاله تواضعًا وهضمًا لنفسه أو المراد التفضيل في نفس النبوة قَالَ اللّه تَعالَى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285] أو كان هذا قبل الوحي بأنه أفضل.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ) هشام بن عبد الملك قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) أنه قَالَ: (سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى») وقد وقع في حديث عَبْد اللّه بن جعفر لا ينبغي أن نقول إلى آخره وهو يؤيد أن المراد بقوله أنا في الطرق المذكورة هو النَّبِيّ ﷺ وفي رواية للطبراني

= الثلاث، وقال الصاوي تحت قول صاحب الجلالين: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية ظاهر المفسر أن النفخ مرتان: نفخة الصعق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية، وقيل: إن النفخ ثلاث مرات: النفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وانكدار النجوم والناس أحياء ينظرون إليها ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ الآية وهي المعينة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ والنفخة الثانية يكون بها الصعق وعندها يموت كل من كان حيًّا حياة دنيوية ويغشى كل من كان حيًّا حياة برزخية، والنفخة الثالثة نفخة القيام، وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح، اهـ مختصرًا.

وبسط الكلام على حديث الباب في فيض الباري وقال في آخره: اعلم أنهم اختلفوا في عدد النفخات فقيل ثنتان، نفخة للصعقة وهي التي يفزع لها الناس ثم يصعقون فابتداؤها يكون من الفزع وانتهاؤها على الصعقة، ونفخة للبعث وقيل ثلاث نفخة للفزع وأخرى للصعقة وأخرى للبعث وقد علمت خمس نفخات من فوائد الشاه عبد القادر، اهـ.

قلت: وفي حواشي الشاه عبد القادر نور اللّه مرقده على سورة النمل إن النفخة الأولى للإماتة، والثانية للإحياء، والثالثة للفزع، والرابعة للغشى، والخامسة للإفاقة، اهـ معربًا.

وجعلها في حواشي سورة الزمر أربعًا ولم يذكر فيها نفخة الفزع وجعل مصداق نفختي الزمر الأخريين، وبسط الكلام على النفخات صاحب روح المعاني أشد البسط ورجح كونها ثلاثًا: نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث وقال من قال باثنتين جعل الأوليين واحدة، وأنكر على من قال بخمس وتقدم شيء من الكلام على ذلك في الجزء الثاني في الخصومات.

في حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ما ينبغي لأحد أن يقول أنا عند اللّه خير من يُونُس. وفي رواية الطحاوي أنه سبح اللّه في الظلمات.

قَالَ العلماء: إنما قَالَ ﷺ ذلك تواضعًا إن كان قاله بعد أن علم أنه أفضل الخلق وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال وقد ذكرناه قريبًا.

وقيل: خص يُونُس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله سدًّا لهذه الذريعة.

وقد روى قصته السُّدِّيّ في تفسيره بأسانيده عن ابن مَسْعُود وغيره: أن اللّه بعث يُونُس إلى أهل نينوى وهي من أرض الموصل فكذبوه فوعدهم بنزول العذاب في وقت معين وخرج عنهم مغاضبًا لهم فلما رأوا آثار ذلك خضعوا وتضرعوا وآمنوا فرحمهم اللّه فكشف عنهم العذاب وذهب يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ فركب سفينة فلججت به فاقترعوا فيمن يطرحونه منهم فوقعت القرعة عليه ثلاثًا فالتقمه الحوت.

وروى ابن أَبِي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ بإسناد صحيح إليه نحو ذلك وفيه أصبح يُونُس فأشرف على القرية فلم ير العذاب وقع عليهم وكان في شريعتهم من كذب قتل فانطلق مغاضبًا حتى ركب سفينة وَقَالَ فيه فَقَالَ لهم يُونُس إن معهم عبدًا أبق من ربه وأنها لا تسير حتى يلقوه فقالوا لا نلقيك يا نبي اللّه أبدًا قَالَ فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات فألقوه فالتقمه الحوت فبلغ به قرار الأرض فسمع تسبيح الحصى ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ الآية.

وروى البزار وابن جرير من طريق عَبْد اللّه بن نافع عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ رفعه: لما أراد اللّه حبس يُونُس في بطن الحوت أمر اللّه الحوت أن لا يكسر له عظمًا ولا يخدش له لحمًا فلما انتهى به إلى قعر البحر سبح اللّه فقالت الملائكة يا ربنا إنّا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة قَالَ ذاك عبدي يُونُس فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه في الساحل قَالَ ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ كهيئة الفرخ ليس عليه ريش.

وروى ابن أَبِي حاتم من طريق السُّدِّيّ عن أَبِي مالك قَالَ لبث في بطن

36 ـ باب

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ....

الحوت أربعين يومًا ، ومن طريق جعفر الصادق قَالَ سبعة أيام ، ومن طريق قَتَادَة قَالَ ثلاثًا.

ومن طريق الشعبي قَالَ التقمه ضحى ولفظه عشية واللّه تَعَالَى أعلم.

36 ـ باب

(باب : ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾) والآية في سورة الأعراف قَالَ اللّه تَعَالَى : ﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ أي : اسأل يا مُحَمَّد هؤلاء اليهود التي بحضرتك للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والإعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم إلا بالتعليم أو بالوحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ، فتكون معجزة عليهم ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي : عن قصة أصحاب القرية الذين خالفوا أمر اللّه ففاجأتهم نقمته عل صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163].

قريبة منه وهي أيلة وهي على شاطئ بحر القلزم وهي على طريق الحاج الذاهب إلى مكة من مصر بين مدين والطور.

وحكى ابن التين عن الزُّهْرِيّ : أنها طبرية .

وقيل : هي مدين روى عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا .

وَقَالَ ابن زيد: هي قرية يقال لها منتنا بين مدين وغينونا ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: 163] يعتدون ويتجاوزون حدود اللّه ويخالفون فيه أمر اللّه وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نهوا عنه وأمروا بأن يشتغلوا بالعبادة ويتجردوا لها وإذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل الاشتمال ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ [الأعراف: 163] ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل وقرئ يعدون وأصله يعتدون وقرئ أَيْضًا يعدون من الأعداد أي : آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الأعراف: 163] يوم

تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والبحر للعبادة وقيل اسم اليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه ويؤيد الأول قراءة يوم أسباتهم.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ وقرئ يسبتون من أسبت وقوله شرعًا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء قاله ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض، يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف وشرعتُ على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163]، أي: مثل ذلك البلاء الشديد وهو إظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم الذي حرم عليهم صيده نبلوهم ونختبرهم بسبب فسقهم. ويجوز أن يكون كذلك متصلًا بما قبله أي: لا يأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الأعراف: 164] عطف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب.

وقوله: أمة منهم أي: جماعة من أصحاب السبت أو من أهل القرية وهم صلحاؤهم الذين اجتهدوا وركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين وهم الذين نهوا عن ذلك وأنكروا وكانوا لا يقلعون عن وعظهم فإنهم كانوا ثلاث فرق:

فرقة ارتكبوا المنهي واحتالوا على صيد السمك يوم السبت حيث حفروا حياضًا وأجروا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت ويصطادونها يوم الأحد.

وفرقة نهوا عن ذلك وأنكروا ووعظوهم حتى أيسوا من قبولهم واتعاظهم.

وفرقة نهوا وأنكروا وكانوا لا يقلعون عن وعظهم فقالت الفرقة الثانية للفرقة الثالثة ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ [الأعراف: 164] هم المرتكبون المحتالون ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف: 164]، أي: مخترمهم ومطهر الأرض منهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك مبالغة في أن الوعظ

لا ينفع فيهم أو سؤالًا عن علة الوعظ ونفعه وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردًّا عليهم وتهكمًا بهم قالوا: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ جواب للسؤال أي: موعظتنا إبلاء عذر[1] إلى اللّه تَعَالَى حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر وقد أخذ علينا العهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي: اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164] أي: لعلهم بهذا الإنكار يتقون ما فيهم ويتركون ويرجعون إلى اللّه تَعَالَى تائبين فإذا تابوا تاب اللّه عليهم إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ أي: تركوا ترك الناس ﴿مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: ما ذكرهم به صلحاؤهم وأبوا قبول النصيحة ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ اعتذروا وخالفوا أمر اللّه وارتكبوا المنكر ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسًا إذا اشتد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165] بسبب فسقهم ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله: ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ جمع فرد كما أن ديكة جمع ديك ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: 166] أي: ذليلين حقيرين مهانين.

وروى ابن جرير من طريق العوفي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا صار شبانهم قردة وشيوخهم خنازير قَالَ الزمخشري فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي: الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحًا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكّاسين القاعدين على المآصر أو الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثًا منك ولم يكن إلا سببًا للتلهّي بك.

وأما الآخرون: فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما

(1) يقال أبليته عذرًا إذا بينته له بيانًا لا لوم عليك بعده.

استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف اللّه ورسوله فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾.

وقيل: الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قومًا تزعمون أن اللّه مهلكهم أو معذبهم.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن قَالَ ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قومًا اللّه مهلكهم قَالَ عِكْرِمَة فقلت جعلني اللّه فداءك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قومًا اللّه مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا.

وزاد محيي السنة في روايته بعد قوله: (جعلني اللّه فداءك) وإن لم يقل اللّه أنجيتهم لم يقل أهلكتهم فأعجبه قولي وأمر لي ببردين فقال نجت الساكتة.

وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان.

وروي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعًا بيضًا سمانًا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الزمان ثم جاءهم إبليس فَقَالَ لهم نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضًا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطًا إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فَقَالَ إني أرى اللّه سيعذبكم فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نجوا من سبعين ألفًا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نجوا من اثني عشر ألفًا وثلث قالوا لِمَ تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قَالَ المسلمون إنّا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنًا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم

إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ يَتَعَدَّوْنَ يُجَاوِزُونَ فِي السَّبْتِ ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ شَوَارِعَ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: 166].

قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى. وقد سبق أن صار الشباب قردة والشيوخ خنازير.

وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيًا في الدنيا وأطولها عذابًا في الآخرة هاه وأيم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدًا والساعة أدهى وأمر انتهى.

قال العارف الرومي:

نقض ميثاق وشكت توبها ... موجب لعنت بودد رانتها
نقض توب وعهد أن أصحاب سبت ... موجب مسخ آمد وإهلاك مقت
يس خدا أن قوم رايو زينة كروا ... جونكه عهد حق شكتندا زنبرد
أندرين أمت نبد مسخ بدن ... ليك مسخ دل بوادي ذو الفطن
مسخ ظاهر بود أهل سبت را ... نابه بنيد أهل ظاهر كبت را
أزره سر صدهزا ران دكر ... كشته أزتو به شكستن خوك وخر
توبه كن مردانه وجون أبلهان ... توبه رامكشن بترس أزمسخ هان
سخرة إبليس كردد در زمن ... أزضعيفي أي: أن توبه شكن

تنبيه:

لم يذكر المصنف في هذه القصة حديثًا مسندًا بل اقتصر على تفسير بعض الألفاظ الواقعة في هذه القصة فَقَالَ: (﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ **يَتَعَدَّوْنَ يُجَاوِزُونَ فِي السَّبْتِ**) فسر قوله: ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ بقوله: يتعدون يجاوزون وقد فسرناه آنفا.

(﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ **شَوَارِعَ**) فسر قوله شرعا بقوله شوارع قَالَ الْعَيْنِيّ وفيه نظر لأن الشرع جمع شارع والشوارع جمع شارعة ومادته تدل على الظهور ومنه شرع الدين إذا بينه وأظهره.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ (**إِلَى قَوْلِهِ**: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾) أي: اقرأ الآيات

إلى قوله: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ وقد ذكرناها وفسرناها.

﴿بَـِٔيسٍ﴾ شديد قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَـِٔيسٍ﴾ أي: شديد قَالَ الشاعر:

حقًّا عليَّ وما ترى لي منهم أمرا بئسا

وقد روى عبد الرزاق من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا بسند فيهم مبهم وحكاه مالك عن يزيد بن رومان معضلًا وكذا قَالَ قَتَادَة إن أصحاب السبت كانوا من أهل أيلة وأنهم لما تحيلوا على صيد السمك بأن نصبوا الشبك يوم السبت ثم صادوها يوم الأحد فأنكر عليهم قومهم ونهوهم فأغلظوا لهم القول فقالت طائفة أخرى دعوهم واعتزلوا بنا عنهم فأصبحوا يوما فلم يروا الذين اعتدوا ففتحوا أبوابهم فأمروا رجلًا أن يصعد على سلم فأشرف عليهم فرآهم قد صاروا قردة فدخلوا عليهم فجعلوا يلوذون بهم فيقول الذين نهوهم ألم نقل لكم ألم ننهكم فيشيرون. وروى ابن أَبِي حاتم من طريق مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أنهم لم يعيشوا إلا قليلًا وهلكوا واللَّه تَعَالَى أعلم.

37 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163]

(باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾) وقبله ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ هذا جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتابًا من السماء واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الْأَنْبِيَاء ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيمًا لهم فإن إِبْرَاهِيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين أشرف الْأَنْبِيَاء ومشاهيرهم ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163] داود اسم أعجمي وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا بالعبرانية القصير العمر ويقال سمي به لأنه داوى جراحات القلوب.

وَقَالَ مقاتل: ذكره اللَّه في القرآن في اثني عشر موضعا وهو داود بن إيشا بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة ابن عوبد بوزن جعفر بمهملة

الزُّبُرُ: الكُتُبُ، وَاحِدُهَا زَبُورٌ، زَبَرْتُ: كَتَبْتُ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: «سَبِّحِي مَعَهُ ....

وموحدة ابن باعر بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن يارب بتحتانية وآخره موحدة ابن رام وقيل ابن أرم بن حضرون بحاء مهملة ثم ضاد معجمة ابن فارص بفاء وآخره صاد مهملة ابن يهوذا بن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ والزبور هو اسم الكتاب الذي أنزله اللّه على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وروى أَبُو صالح عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ: أنزل اللّه الزبور على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ مائة وخمسين سورة بالعبرانية في خمسين منها ما يلقونه من بخت نصر وفي خمسين ما يلقونه من الروم وفي خمسين مواعظ وحكم ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا أحكام.

وروي أنه نزل عليه في شهر رمضان.

(**الزُّبُرُ: الكُتُبُ، وَاحِدُهَا زَبُورٌ، زَبَرْتُ: كَتَبْتُ**) الزبر بضم الزاي والموحدة جمع زبورة قَالَ الكسائي يعني المزبور يعني المكتوب يقال زبرت الورق فهو مزبور مثله كتبته فهو مكتوب وقرأ حمزة بضم أوله وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 196] أي: كتب الأولين.

(﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾) أي: على سائر الْأَنْبِيَاء وهو ما ذكر بعد أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والصوت الحسن البديع والملك والقوة وتسخير الجبال والطير.

(﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾) وهو بدل من قوله: ﴿فَضْلًا﴾ بتقدير قولنا يا جبال أو بدل من قوله آتينا بتقدير قلنا يا جبال.

(**قَالَ مُجَاهِدٌ**) وصله الفريابي من طريق مجاهد مثله وعن الضحاك هو عبسان الحبشة (**سَبِّحِي مَعَهُ**) هو تفسير قوله أوبي معه يعني يا جبال سبحي مع داود قيل وهو أمر من التأويب أي: رجّعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجّعه فقد رجع فيه وقد قرئ أوبي من الأوب ومعنى تسبيح الجبال أن اللّه تعالى يخلق تسبيحًا وصوتًا مثل تسبيحه وصوته فيها كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ أو

﴿وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾ [سبأ: 10 ـ 11] الدُّرُوعَ، ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ [سبأ: 11] المَسَامِيرِ وَالحَلَقِ، وَلا يُدِقَّ المِسْمَارَ فَيَتَسَلْسَلَ، وَلا يُعَظِّمْ فَيَفْصِمَ ....

معناه أنها تحملها إياه على التسبيح إذا تأملها فيها وقيل نوحي معه والطير تساعدك على ذلك فإنه روي أنه كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها عاكفة عليه من فوقه فصدى الجبل الذي يسمعه الناس من ذلك اليوم.

وَقَالَ قَتَادَةَ: معنى أوبي سيري معه حيث سار.

(﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾) هو منصوب بالعطف على محل الجبال وقيل منصوب على أنه مفعول معه وقيل منصوب بالعطف على فضلًا بمعنى وسخرنا له الطير وقرئ بالرفع أَيْضًا عطفًا على لفظ الجبال.

(﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾) أي: ألنا لداود الحديد أي: جعلناه له ليّنًا فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين يصرفه بيده كيف شاء من غير إحماء ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة.

(﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾) كلمة أن هذه مفسرة بمنزلة أي: كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ [المؤمنون: 27] أي: أمرناه أن اعمل ويجوز أن تكون مصدرية وسابغات منصوب بقوله أعمل وفسره بقوله: (الدُّرُوعَ) وكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ بالدروع الواسعة الضافية الكاملة وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفايح وقرئ صابغات بالصاد المهملة وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف درهم فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكرًا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض اللّه ملكًا في صورة آدمي فسأله على عادته فَقَالَ نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فَقَالَ لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع.

(﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾) السرد النسج أي: قدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها وفسره الْبُخَارِيّ بقوله: (**المَسَامِيرِ وَالحَلَقِ، وَلا يُدِقَّ المِسْمَارَ فَيَتَسَلْسَلَ، وَلا يُعَظِّمْ فَيَفْصِمَ**) ويروى فينفصم وبذلك فسره بعض المفسرين بقولهم أي: لا تجعل

المسامير رقاقًا فتقلق ولا غلاظًا فتفصم الحلق. فقوله لا تدق بالدال المهملة من الدقة ويدل عليه ما روى إِبْرَاهِيم الحربي في غريب الحديث من طريق مجاهد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: 11] لا تدق المسامير فيتسلسل ولا تغلظها فتفصمها.

وقيل لا ترق بالراء من الرقة وهو أَيْضًا يؤدي ذلك المعنى.

وقوله: فيتسلسل، ويروى فيتسلل، ويروى فيسلس والكل يرجع إلى معنى واحد يقال شيء سلس أي: سهل ورجل سلس أي: لين الجانب منقاد بيِّن السلس والسلاسة ويقال تسلسل الماء في الحوض أي: جرى وماء سلسال سهل الدخول في الخلف.

وقوله: ولا تعظم أي: المسمار فيفصم من الفصم وهو القطع.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: درع مسردة أي: مستديرة الحلق قَالَ أَبُو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود من صنع السوابغ تبع

(أفرغ: أنزل) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: 250] وفسر قوله: ﴿أَفْرِغْ﴾ بقوله انزل من الإنزال قَالَ المفسرون معنى قوله: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أنزل علينا صبرًا من عندك وهذا في قصة طالوت وفيها قضية داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فكأن ذكرها هنا لأن قضيتهما واحدة. وأغرب الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ حيث قَالَ لم أعرف المراد من هذه الكلمة هنا واستقريت قصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في المواضع التي ذكرت فيها فلم أجدها.

﴿بَسْطَةً﴾ زيادة وفضلًا أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247] وفسره الْبُخَارِيّ بقوله بسطة بقوله زيادة وفضلا أي: زيادة في القوة والجسامة وفضلًا في العلم بالحروب وذلك أَيْضًا في قصة طالوت وذلك أنهم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه حيث قالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ رد اللّه عليهم ذلك أولًا: بأن العمدة فيه اصطفاه اللّه وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيًا: بأن الشرط فيه وفور العلم

﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: 11]»[1].

3417 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ القُرْآنُ،

ليتمكن من معرفة الأمور السياسية وجسامة البدن ليكون أعظم خطرًا في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده اللّه فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فيصل رأسه وثالثًا: بأنه تَعَالَى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ ورابعًا: بأنه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].

وهذه الكلمة والتي قبلها لم تقعا إلا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ وحده.

(﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾) أي: فأجازيكم عليه أحسن جزاء وأتمه وهذا أَيْضًا غير ثابت في أكثر الأصول وعلى تقدير ثبوته محله بعد قوله تَعَالَى: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: خُفِّفَ**) بالبناء للمفعول (**عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ القُرْآنُ**) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ القراءة.

---

(1) قال القسطلاني: قوله فيفصم أي: يكسر الحلق اجعله على قدر الحاجة ولأبي ذر عن الكشميهني فينفصم بزيادة نون ساكنة قبل الفاء وفيه نظر لأن دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ والمعنى قدر في السرد أي: في نسجها بحيث يتناسب حلقها قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وعند ابن أبي حاتم أنه كان يرفع كل يوم درعًا فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل خبز الحوارى، اهـ.
ولا يذهب عليك أن ما في بعض النسخ الهندية من قوله فيقصم بالقاف تصحيف من الناسخ والصواب بالفاء قال العيني: قوله فيفصم من الفصم وهو القطع، ثم قال الكرماني: السرد اسم جامع للدروع، والسرد أيضًا تداخل الحلق بعضها في بعض، اهـ.
وذكر صاحب الجمل الاختلاف في أن المسامير هل كانت في دروع داود عليه السلام أم لا؟
وزاد في تقرير مولانا محمد حسن المكي المسامير أي: الحلق، وقوله فيتسلسل أي: ما نند ثوب نرم وبى طاقت شوق، وقوله فيفصم لأن الحلق العظام تقطع من الضرب، اهـ.

فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلا يَأْكُلُ إِلا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: القرآن أي: التوراة أو الزبور.

وَقَالَ التوربشتي: وإنما أطلق القرآن لأنه قصد به إعجازه من طريق القراءة.

وَقَالَ صاحب النهاية: الأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته وسمي القرآن قرآنًا لأنه جمع الأمر والنهي وغيرهما وقد يطلق القرآن على القراءة وقرآن كل نبي يطلق على كتابه الذي أوحي إليه. قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة لأن الزبور كله مواعظ وثناء وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة وَقَالَ قَتَادَة كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود بل كان اعتماده على التوراة أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم وغيره.

(فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ) وفي رواية مُوسَى بن عقبة بدابته بالإفراد وكذا هو في التفسير ويحمل الإفراد على الجنس أو المراد بها ما يختص بركوبه وبالجمع ما يضاف إليه مما يركبه هو وأتباعه.

(فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ) وفي رواية مُوسَى فلا تسرح حتى يقرأ القرآن والأول أبلغ وفيه الدلالة على أن اللَّه تَعَالَى يطوي الزمان لمن يشاء من عباده حتى يقع في الزمن اليسير العمل الكثير وهذا لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الرباني وجاء في الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير وَقَالَ النووي: أكثر ما بلغنا من ذلك من كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعًا بالنهار.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: ولقد رأيت رجلًا حافظًا قرأ ثلاث ختمات في الوتر في كل ركعة ختمة في ليلة القدر.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وقد بالغ بعض الصوفية في ذلك فادعى شَيْئًا مفرطا والعلم عند اللَّه تَعَالَى.

(وَلا يَأْكُلُ إِلا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) والذي يظهر أن الذي كان يعمله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بيده هو نسج الدروع من الحديد بلا إحماء نار ولا ضرب مطرقة ولا سندان ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك قَالَ اللَّه

رَوَاهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

3418 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، أَخْبَرَهُ وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ؟» قُلْتُ: قَدْ قُلْتُهُ قَالَ: «إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ»

تَعَالَى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: 20].

وفي الحديث أيضًا: ما يدل على ذلك وأنه مع سعته بحيث إنه كان له دواب تسرج إذا أراد أن يركب ويتولى خدمتها غيره. ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل إلا مما يعمل بيده.

وفي الحديث أَيْضًا: أنه أفضل المكاسب وقد استدل به على مشروعية الإجارة من جهة أن عمل اليد أعمّ من أن يكون للغير أو للنفس.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا.

(**رَوَاهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ صَفْوَانَ**) ابن سليم (**عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) وصله المصنف في كتاب خلق أفعال العباد عن أحمد بن أَبِي عمر وعن أبيه وهو حفص بن عَبْد اللَّه عن إِبْرَاهِيم بن طهمان عن مُوسَى بن عقبة ووصله الإسماعيلي أَيْضًا من حديث إِبْرَاهِيم بن طهمان عن مُوسَى ابن عقبة.

(**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، أَخْبَرَهُ وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو**) أي: ابن العاص (**رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، قَالَ: أُخْبِرَ**) على البناء للمفعول **رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ؟» قُلْتُ: قد قُلْتُهُ قَالَ: «إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ»**

فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ» قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ «قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»[1].

فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ من ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ» قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ من ذَلِكَ) يا رسول اللّه، (**قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ «قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لا أَفْضَلَ من ذَلِكَ»**) وقد مر الحديث في كتاب الصوم في باب صوم الدهر ومر الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

---

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث إخباره ﷺ بأن أفضل صوم التطوع أن يصام يوم ويفطر يوم وإخباره بأنه كان صوم داود عليه الصلاة والسلام، والكلام عليه من وجوه: أنه لا يجوز الحكم إلا على الأمر الذي لا يحتمل التأويل يؤخذ ذلك من أنه لما أخبر ﷺ بما قاله عبد اللّه أنه يصوم النهار ويقوم الليل ما عاش لم يخبره عليه الصلاة والسلام بعدم طاقته على ذلك ولا بما هو الأفضل في الصوم إلا حتى استفسره بأن قال له: «أنت الذي تقول واللّه لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت» فلما اعترف له عبد اللّه بذلك حينئذ أخبره بما هو الأفضل.
وفيه: دليل على أن من السنة إيصال أخبار الرعية إلى راعيها يؤخذ ذلك من كون سيدنا ﷺ أخبر بمقالة عبد اللّه فلولا ما كان ذلك عندهم معلومًا ما قال له رسول اللّه ﷺ ذلك.
ويترتب عليه من الفقه أن يستعمل ذلك في كل من له رعاية على أحد صغيرًا كان أو كبيرًا.
وفيه: دليل على جواز اليمين على ما يريد المرء أن يفعله من المندوبات يؤخذ ذلك من قول عبد اللّه واللّه لأصومن النهار فلما بلغ ذلك سيدنا ﷺ لم يعنفه على ذلك وسكت عن كونه حلف وسكوته عليه الصلاة والسلام دال على جوازه.
وفيه: دليل على جواز الذكر بين الإخوان بأنواع العبادات وأن يبدي الشخص لهم ما وقع عزمه على فعله من أي أنواع العبادات شيئًا يؤخذ ذلك من ذكر عبد اللّه ذلك حتى بلغ النبي ﷺ خبره ولم يقل له في ذلك شيئًا فدل على جوازه.
وفيه من الفائدة: أن ذكر ما عزم المرء عليه من أفعال البر بين إخوانه هو من باب التذكير بالخير والتعاون عليه لأن عند ذكره العزم على ذلك قد تنبعث نفوس الغير إلى مثل ذلك أو إلى ما يقرب منه فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2] إلا أنه بشرط أن يكون الإخوان يعلم منهم ذلك لأن الصحابة رضي اللّه تعالى عنهم ذلك كان شأنهم أجمعين.
وفيه: دليل على فضل الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين وعدم تملقهم في الكلام وقصدهم الفائدة لا غير يؤخذ ذلك من أنه لما سأل سيدنا ﷺ عبد اللّه بأن قال له أنت الذي تقول لم يزده في الجواب على أن قال له قد قلته بلا زيادة من اعتذار ولا تملق وقوله ﷺ: «**إنك لا تستطيع ذلك**». =

= (هنا بحث) هل هذا خاص بعبد اللّه لما يعلم ﷺ من حاله أو هذا لجنس البشر احتمل الوجهين معًا والأظهر واللّه أعلم أنه لجنس البشر لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث غيره: «إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى» ولقوله ﷺ عن معاذ بن جبل لصاحبه: «هو أفقه منك» وقد تقدم ذكره في غير ما موضع من الكتاب.

وفيه: دليل على أن الأمر بما فيه راحة النفوس إذا كان عونًا على الطاعة يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «**أفطر ونم**» فإنهما عون على القيام والصيام.

وفيه: دليل على أن صوم يوم تطوعا بعشرة أيام يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «**صم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر**».

وفيه: دليل على ضرب المثال بممكن لا يقع ليعلم بذلك المثال فائدة ما يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: (وذلك مثال صيام الدهر) ومن المعلوم قطعًا أن من الدهر ما لا يجوز صومه مثل أيام الأعياد وأيام التشريق ومنه ما لا يصام تطوعًا أصلًا وهو رمضان وما يترتب من طريق النذر والكفارات الواجبات شرعًا هي مثل الفرض لا يمكن صومها تطوعًا أصلًا وقد أطلق عليه الصلاة والسلام على الجميع الدهر في المثال فيكون التقدير فيه أن يتأتى صومه أو ما عدا ما فرض صومه فلا بد فيه من ضمير تخصيص عمومه.

وفيه: دليل على أن السنة في الراعي أن يحمل رعيته على الأرفق في الأمور يؤخذ ذلك من أن سيدنا ﷺ لم يأمره أولا إلا بالأقل من الصوم فإنه أرفق ويقدر عليه القوي والضعيف.

وفيه: دليل على جواز مراجعة المسترعي راعيه بطلب الزيادة في المجاهدة إذا علم من نفسه أهلية لذلك يؤخذ ذلك من قول عبد اللّه إني أطيق أفضل من ذلك إلا أنه يكون بأدب كما فعل هذا السيد لأنه لم يزد أن أخبر عن نفسه أنه يطيق أفضل من ذلك ولم يقل إني أفعل أكثر مما قلت وإنما أخبر بما يطيقه وبقي ينظر بماذا يؤمر.

ويترتب عليه من الفقه أن يكون ذلك في سائر الأمور يخبر راعيه بما هو الأصح له بحسب حاله حتى يرى بماذا يأمره راعيه.

وفيه: دليل على أن الدين مطلوب بفروضه وندبه يؤخذ ذلك من أن النبي ﷺ قد أمر النبي ﷺ بالصوم من كل شهر بثلاثة أيام ثم درجه إلى الشطر فكفى بذلك دليلًا على طلبه.

وفيه: دليل على المنع من التغالي في الدين يؤخذ ذلك من منعه ﷺ ما زاد على الأفضل وهو صوم شطر الدهر بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا أفضل من ذلك**» فأجاز له ما كان أقل من الشطر لكونه راعي الأهلية في ذلك ولما بلغ الأفضل وادعى أنه فيه الأهلية للزيادة على ذلك منعه عليه الصلاة والسلام بقوله لا أفضل من ذلك فإن الصحابة رضوان اللّه عليهم لم يكونوا إذا سمعوا منه ﷺ لا أفضل يزيدون على ذلك شيئًا وإنما كان قصدهم الأفضل في الأعمال فقام قوله عليه الصلاة والسلام لا أفضل مقام المنع من ذلك.

وفيه: دليل على أنه إذا تقعدت القاعدة الشرعية وعلمت لا يحتاج إلى تكرارها يؤخذ ذلك من أنه لما أخبر النبي ﷺ بحلف عبد اللّه أنه يقوم الليل ويصوم النهار أخبره ﷺ بفعل الأفضل =

3419 - حَدَّثَنَا خَلادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي العَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ أُنَبَّأْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ ....

(حَدَّثَنَا خَلادُ بْنُ يَحْيَى) قَالَ: (حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ) بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح العين المهملة وآخره راء هو ابن كدام قَالَ: (حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي العَبَّاسِ) بالموحدة واسمه السائب من السيب بالمهملة وبالتحتية والموحدة هو المشهور بالشاعر.

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه (قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَمْ أُنَبَّأْ) على البناء للمفعول أي: ألم أخبر (أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ

=

وهو ضد ما حلف عليه ولم يقل له كفر عن يمينك لأن هذه القاعدة عندهم قد ثبتت فلم يحتج إلى أن يذكر له ذلك.

وفيه: دليل على أن الفضيلة في الأعمال بحسب ما جعلها الشارع ﷺ لا بحسب العقل يؤخذ ذلك من قول عبد اللّه لما قال له النبي ﷺ: «**صم يوما وأفطر يومًا**» قال له إني أطيق أفضل من ذلك لما تقدم له أن الزيادة على الثلاثة أفضل فرأى أن الزيادة على الشطر أفضل فأخبر الشارع ﷺ بأن تلك الزيادة نقص لا فضيلة فيها بقوله ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**» فذهب هنا ما قاسه عبد اللَّه.

وفيه: دليل على أن عظم الأجر في العبادات ليس بكثرة التعب يؤخذ ذلك من كون عبد اللّه ظن زيادة المجاهدة وهي زيادة الصوم على شطر الزمان أفضل فمنع ﷺ ذلك بقوله: «**لا أفضل من ذلك**».

وفيه: دليل على أن الحكم لاستصحاب الحال حتى يرد ناسخ من الشارع ﷺ يؤخذ ذلك من أن عبد اللّه لما رأى الزيادة على الثلاثة أفضل استصحب ذلك الحكم حتى جاوز شطر الزمان فمنع الشارع عليه الصلاة والسلام ذلك ونسخه بقوله لا أفضل من ذلك.

وفيه: دليل لمن يقول إن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد عليه ناسخ يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «**وذلك صيام داود**» عليه الصلاة والسلام.

وفيه: دليل على فضل السنة واتساعها حتى يدخل فيها القوي والضعيف يؤخذ ذلك من تدريج سيدنا ﷺ التطوع من العشر في الزمان الذي هو ثلاثة أيام في الشهر إلى النصف منه وهو صوم يوم وإفطار يوم وما بين هذين الحديثين توسعة كبرى يتسع فيها جميع الناس على اختلاف أحوالهم.

وفيه: دليل على التسوية بين أيام الشهر بلا فضيلة بينها يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة أيام من كل شهر**» بغير تعيين وجعل الأجر فيها سواء.

وفيه: دليل على أن تفريقها أعني أيام الصوم في الشهر أو تتابعها في الأجر سواء يؤخذ ذلك من قوله: «ثلاثة أيام من كل شهر» ولم يذكر فيها تتابعًا ولا تفريقًا فدل أن الأمر في ذلك سيان.

وَتَصُومُ» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتِ العَيْنُ، وَنَفِهَتِ النَّفْسُ، صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ صَوْمُ الدَّهْرِ، أَوْ كَصَوْمِ الدَّهْرِ» قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ بِي، ـ قَالَ مِسْعَرٌ يَعْنِي قُوَّةً ـ قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلا يَفِرُّ إِذَا لاقَى».

38 ـ باب: أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللّهِ صِيَامُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا

قَالَ عَلِيٌّ: وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ:

وَتَصُومُ) النَّهَارَ (**فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتِ العَيْنُ**) أي: غارت قَالَ الأصمعي هجمت ما في الضرع إذا أحلبت كل ما فيها.

(**وَنَفِهَتِ النَّفْسُ**) بكسر القاف أي: ضعفت وتعبت.

(**صُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَذَلِكَ**) ويروى: فذاك (**صَوْمُ الدَّهْرِ، أَوْ كَصَوْمِ الدَّهْرِ**) شك من الراوي.

(**قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ بِي، ـ قَالَ مِسْعَرٌ يَعْنِي قُوَّةً ـ قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلا يَفِرُّ إِذَا لاقَى**) وجه اتصال قوله ولا يفر إذا لاقى بما قبله هو بيان أن صومه ما كان يضعفه عن الحرب.

والحديث قد مضى في كتاب التهجد في باب مجرد من الترجمة وفي كتاب الصوم أَيْضًا، ومطابقته للترجمة كالأول.

38 ـ باب: أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللّهِ صِيَامُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا

(باب) بالتنوين (**أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللّهِ صِيَامُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**).

(**قَالَ عَلِيٌّ**) الظاهر أنه علي ابن المديني أحد مشايخه: (**وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ**)

مَا أَلْفَاهُ السَّحَرُ عِنْدِي إِلا نَائِمًا.

3420 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَمْرِو ابْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ، سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللَّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»[1].

رَضِيَ اللَّه عَنْهَا أي: قوله وينام سدسه أي: السدس الأخير موافق لقول عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: (**مَا أَلْفَاهُ السَّحَرُ عِنْدِي إِلا نَائِمًا**) ما ألفاه بالفاء أي: ما وجد السحر عندي إلا نائما أي: إلا حال كونه نائمًا والسحر مرفوع على أنه فاعل ألفاه والضمير المنصوب للنبي ﷺ وهذا لفظ أثر قد مرّ في كتاب التهجد في باب من نام عند السحر قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بن إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بن سعد قَالَ ذكر أَبِي عن ابن سلمة عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قالت ما ألفاه السحر عندي إلا نائمًا يعني النَّبِيّ ﷺ ثم إن هذه الترجمة إشارة إلى الحديث المذكور بعد وهي هكذا وقعت فِي رِوَايَةِ المستملي وَالكُشْمِيهَنِيّ وأما عند غيرها فذكر الطرق الثالثة مضمومة إلى ما قبله من غير ذكر باب ولا ترجمة.

(**حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَمْرِو ابْنِ أَوْسٍ**) بفتح الهمزة وبالمهملة (**الثَّقَفِيِّ**) بفتح المثلثة والقاف والفاء أنه (**سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللَّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ»**) قد عرفت أن الحديث والترجمة شيء

---

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على حكمين:
أحدهما: الإخبار بأن أحب الصيام إلى اللّه تعالى صيام داود عليه الصلاة والسلام.
والآخر: الإخبار بأن أحب الصلاة إلى اللّه صلاة داود عليه الصلاة والسلام أيضًا وتبيين صفتها، والكلام عليه من وجوه:
منها: أن يقال ما معنى قوله أحب وما معنى الحكمة في ذلك حتى كانت هذه الصفة أحب، ومنها: تعارض صومه ﷺ لهذه الصفة لأنه صح عنه ﷺ أنه كان يصوم حتى يقال إنه لا يفطر ويفطر حتى يقال إنه لا يصوم وما استكمل شهرًا بالصوم قط إلا رمضان وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أن من أدام الصوم ضيقت عليه النار وكيف الجمع بين هذه الأحاديث وهل =

واحد غير أن فيهما تقديمًا وتأخيرًا وقد مضى الحديث في كتاب التهجد في باب

= يكون ذلك تعارضًا أم لا أما قوله عليه السلام: «**أحب الصيام إلى اللّه**» فقد تقدم الكلام على هذه اللفظة في غير ما حديث وهي كناية عن فضيلة العمل وكثرة الثواب عليه فإن الحب الذي هو الولوع في الشيء في حق اللّه سبحانه مستحيل فإن هذا من صفات المحدثات والحق سبحانه وتعالى منزه عنها وإنما يعني بالحب ما يصدر عن الكرام إذا أحبوا الشيء وأعجبهم عن كثرة إحسانهم وأفضالهم على فاعله من هنا يكون الشبه لا غير وفيه تحقيق قد قدمناه في الحديث قبل من أن الأجور على الأعمال ليست موقوفة على كثرة التعب والمشاق وإنما هي بحسب ما تفضل به المولى سبحانه.

(وأما قولنا): هل تفهم الحكمة في تفضيل هذه على غيرها وإن كثر التعب فيها فقد نص الكتاب العزيز على معنى العلة في ذلك وهو قوله عز وجل: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: 147] وقال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69] فبفهم هاتين الآتين علمنا ما الحكمة في ذلك وهي أن الحكمة الربانية قد أحكمت أنه لا بد لكل دعوى من حقيقة تبينها فلو كان الدين والقرب من اللّه سبحانه وتعالى بمجرد الدعوى ادعاه الناس كلهم فلما جعلت المجاهدات في العبادات جاءت مبينة لحقيقة تلك الدعاوى فمن جاهد وصبر كان ذلك تحقيقًا لما ادعاه وحصل له الفوز العظيم والأجر الكبير يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت: 2] فاقتضت صفة الرحمة الرفق بفضله عز وجل بعبيده بقول عز وجل: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء: 147] فما كان من المجاهدات فوق ما يطيقه وصف خلق البشرية منعه عز وجل بعد الثواب الجزيل عليه وجعل المجاهدة التي تجعلها البشرية بوضع خلقها ولا كبير مشقة عليها أفضلها لأنه عز وجل غني عنهم فيما تعبدهم به فما كلفهم منها إلا بقدر ما تصح لهم الدعوى بالانقياد لما أمروا به ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] وقد قال جل جلاله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] رحمة منه عز وجل بعباده: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14] وأما كيف الجمع بين تلك الأحاديث وهل هو تعارض أم لا أما الذي جاء عنه ﷺ من أنه كان يصوم حتى يقال إنه لا يفطر ويفطر حتى يقال إنه لا يصوم فظاهره التعارض وإذا حققت النظر فيه فليس بتعارض بل فعله ﷺ إشارة إلى التوسعة وأبقى للفضيلة على الحد الذي أخبر عن صوم داود عليه الصلاة والسلام ويكون معنى صومه عليه الصلاة والسلام أنه كان يصوم حتى يقال إنه لا يفطر ويفطر حتى يقال إنه لا يصوم فوصل الصوم بعضه ببعض ووصل الأكل بعضه ببعض ويكون يحفظ عدد الأيام في الصوم والأكل أن تكون سواء بسواء ولذلك نعتت عائشة رضي اللّه عنها الأكل والصوم بنعت واحد وهو قولها (حتى نقول إنه لا يصوم وحتى نقول إنه لا يفطر) فيكون صومه عليه الصلاة والسلام شطر الدهر فكان عليه الصلاة والسلام يراعي في ذلك فقه الحال أيهما رآه أرجح فعله فجاء فعله عليه الصلاة والسلام مع فعل داود عليه الصلاة والسلام سواء في مشاطرة الدهر في الصوم وزاد ﷺ في ذلك فوائد منها التوسعة على أمته لأنه كثيرًا من الناس لا يمكنهم صوم يوم وفطر آخر فمنهم من عدم القدرة =

من نام عند السحر.

=

ومنهم من له ضرورة لا يتأتى معها ذلك فإن الضرورات كثيرة وأحوال الناس مختلفة فكان يفوت لبعض الناس الذين لهم همة في الدين تلك الفضيلة ومنها اغتنام نشاط النفس في العمل وهو فقه الحال لأنه إذا رأى الشخص من نفسه نشاطًا في العبادة يحتاج أن يغتنمه أو خلوًّا من الشغل فيغتنمه أيضًا أو عونا ما على تلك العبادة من وجه ما فيغتنمه أيضًا أو صحة في البدن ولذلك قال ﷺ: «**اغتنم خمسًا قبل خمس فراغك قبل شغلك وصحتك قبل سقمك وحياتك قبل موتك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك**» ومنها أن يلحق في ذلك أصحاب الأعذار بغيرهم حتى لا تفوتهم تلك الفضيلة مثل ذلك الحائض لو كان ﷺ يصوم مثل داود عليه السلام ما قدرت حائض ممن لها همة في الدين تبلغ ذلك أبدًا وعلى ما أشرنا من فعله عليه الصلاة والسلام تقدر على ذلك فإن أيام حيضها وهو شطر الدهر وهو خمسة عشر يوما في الشهر فتكون تصوم أيام طهرها وهو نصف الدهر وتفطر أيام حيضها وهو شطر الدهر أيضًا وفيه فوائد كثيرة من هذا لمن تأمله لأنه عليه الصلاة والسلام جاء بالتيسير في الأمور كلها فالحديثان مفترقان في الظاهر مجتمعان في المعنى فلا تعارض بينهما وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «**من أدام الصوم ضيقت عليه النار**» احتمل أن يكون معناه من أدامه على الوجه الأفضل حتى توفي على ذلك فيكون معناه المحافظة على دوام تلك العبادة حتى يموت وهو على ذلك الحال فذلك الشخص الذي تضيق عليه النار أي: أنه لا يدخلها واحتمل أن يكون من أدام الصوم على ظاهره ويكون ثوابه أن تضيق عليه النار ولا يلزم من كونه تضيق عليه النار أن يكون أفضل من الذي يصوم يوما ويفطر يومًا بل يكون الذي يصوم يوما ويفطر يوما أرفع منه وأعظم أجرًا إلا أنه عليه الصلاة والسلام قد وصفه بصفة لم يصف بها هذا وهو قوله: «أحب» ويكون مثل هذا كما قال عليه السلام: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألف بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» هذا هو ثوابهم وقد يكون من يسترقي أعلى من منهم مثل الشهداء قد جاء أنهم يشفعون وكذلك جاء في العلماء العاملين أنهم يشفعون ومن منزلته أن يشفع في غيره أعلى ممن يدخل الجنة بغير حساب فإن خيره مقصور على نفسه والآخر خيره متعدد فدل على علو منزلته أن يشفع وقد جاء أن من هذه الأمة من يشفع في مثل ربيعة ومضر وهذا من أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام فلا تعارض أيضًا وإنما ذكرنا هذين الحديثين لأنه رفع الجملة من أهل العلم ممن ينسب إليه إشكال فأردنا إزالة ذلك وفيما بيناه كفاية في إزالته بفضل الله تعالى.

وفيه: دليل على حسن الدعاء إلى الخير يؤخذ ذلك من إخبار، ﷺ بخير الوجوه في الصوم وفي الصلاة بالليل ولم يقل لهم بعزيمة افعلوا كذا وساقه في طريق الإخبار عن من تقدم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فجاء إرشاده عليه السلام في هذا الحديث بذكر أحوال من تقدم من الأنبياء عليهم السلام مثل القصص في القرآن وقد قال علماؤنا إن كانت القصة تدل على عمل خير فقد طلب منك بالضمن وإن كانت تدل على ترك شر فقد طلب منك تركه بالضمن أيضًا ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها في صفته عليه السلام: «كان خلقه القرآن» أي: أنه كان يمشي في جميع شأنه كله على ما دل عليه القرآن وعلى أسلوبه.

=

39 ـ باب ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: 20]

39 ـ باب ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: 20]

(**باب** ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ **إِلَى قَوْلِهِ**: ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾) أراد به قوله تَعَالَى في سورة ص: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ عطف على قوله أصبر على ما يقولون أي: الكفار واذكر عبدنا داود في صبره على العبادة والطاعة أو المعنى واذكر لهم قصته تعظيمًا للمعصية في أعينهم فإنه مع شأنه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما أتى بزلة نزل على منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن واستغفر ربه وأناب فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان أو

= وفيه: دليل على أن كل ما تقدم من الشرائع الصوم والصلاة مشروعان فيه.

وفيه: دليل على التأسي بمن تقدم من الأنبياء عليهم السلام يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**وأحب الصلاة إلى الله**» وبين أنها الصفة التي كان يفعلها داوود عليه السلام وكذلك الصوم ويقويه قوله تعالى حيرن ذكر الأنبياء ثم قال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90] أي: طريقهم اتبع.

(وهنا بحث): لو كانت هذه الصلاة التي صفتها أن ينام نصف الليل ثم يقوم ثلثه ثم ينام سدسه هي أفضل من غيرها فنقول والله الموفق لما كان المطلوب من العبادة الحضور فيها ومن المستحب فيها الاشتغال بها عند غفلة الناس وفي الأزمنة التي اتخذتها الناس للراحات غالبًا فكان التلبس العبادة في ذلك الوقت مما يستحب ولأنه أيضًا الوقت الذي يتجلى الحق سبحانه فيه بفضله ويقول: «**هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه**» لأن العلماء قد اختلفوا متى يكون ذلك هل في الثلث الوسط من الليل أو في الثلث الآخر منه فإذا كان القيام بعد نصف الليل الأول فقد أخذ من ثلث الليل المتوسط نصفه وأخذ من الثلث الآخر نصفه فحصل له الفضل في الزمان فكانت صلاه أحب.

ويترتب على هذا من الفقه أنه إذا كان عمل الشخص بوفاق بين العلماء فهو أفضل من الذي فيه الخلاف ونومه السدس الآخر لأن يزول عنه تعب العبادة وتعب النفس وينشط لصلاة الصبح فإن الحضور في الصلاة لا يكون غالبًا إلا مع نشاط النفس وعدم تعبها ولذلك كان سيدنا ﷺ يقول في أذان بلال وكان أذانه قبل الفجر «**إن أذان بلال يوقظ النائم وينوم القائم**» لأن من كان في تعبده مثل داوود عليه السلام فذلك وقت نومه ومن غلبه النوم أو كان له عذر فلم يبق له التأخير والتهجد وقت فذلك وقت قيامه لورده وإلا فاته فضل قيام الليل.

تذكر قصته وصن نفسك أن تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على إهماله عنان نفسه أدنى إهمال ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القوة يقال فلان أيّد أي: قوي وذو أيد وآد وأياد بمعنى ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجّاع عن كل ما يكرهه اللّه إلى مرضاة اللّه وهو تعليل للأيد دليل على أن المراد به القوة في الدين. وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ويقوم ثلث الليل كما في الحديث ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص: 18] قد مر تفسيره في الباب السابق ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حال بعد حال ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ أي: آخر النهار ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ أي: أوله ووقت الإشراق هو حين تشرق الشمس أي: تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق. عن أم هانئ أنه ﷺ صلى صلاة الضحى وَقَالَ: «**هذه صلاة الإشراق**».

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ أي: وسخر لنا الطير ﴿مَحْشُورَةً﴾ أي: مجموعة إليه من كل جانب وإنما لم يراع المطابقة بين الحالين لأن الحشر جملة أدل على القدرة منه مدرجًا.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله أنه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها أو كل منهما ردّاد ومُرجّع لله التسبيح أو كل له مطيع منقاد ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ وقويناه بالهيئة والنصرة وكثرة الجنود. وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كان داود أشد ملوك الأرض سلطانًا كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل وعنه ستة وثلاثون ألف رجل فإذا أصبحوا قيل ارجعوا فقد رضي نبي اللّه عنكم وقيل ثلاثة وثلاثون من بني إسرائيل ثم يأتي عوضهم وفي الكشاف قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه قَالَ قَتَادَة فكان جملة حرسه مائتين وثلاثين ألف حرس وقرئ وشددناه بالتشديد للمبالغة وقيل إن رجلًا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى إليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فَقَالَ صدقت أني قتلت إياه غيلة وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة وكمال علم الشرائع والإصابة وإتقان العمل ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

قَالَ مُجَاهِدٌ: الفَهْمُ فِي القَضَاءِ ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: 22]: لا تُسْرِفْ، ....

الفصل التمييز بين الشيئين والمراد فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس فعلى الأول يكون الفصل بمعنى الفاصل وعلى الثاني بمعنى المفصول.

وقيل هو قوله أما بعد فإنه أول من قالها وإنما سمي به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة.

وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخلّ ولا إشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول ﷺ فصل لا نزر ولا هذر.

(**قَالَ مُجَاهِدٌ: الفَهْمُ فِي القَضَاءِ**) أي: قَالَ مجاهد فصل الخطاب هو الفهم في القضاء وروى ابن أَبِي حاتم من طريق أَبِي بشر عن مجاهد قَالَ: الحكمة الصواب ومن طريق ليث عن مجاهد فصل الخطاب إصابة القضاء وفهمه ومن طريق ابن جريج عن مجاهد قَالَ فصل الخطاب العدل في الحكم وما قَالَ من شيء أنفذه.

وَقَالَ الشعبي: فصل الخطاب قوله أما بعد وفي ذلك حديث مسند من طريق بلال بن أَبِي بردة عن أبيه عن جده قَالَ أول من قَالَ أما بعد داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو فصل الخطاب رواه ابن أَبِي حاتم.

وذكر عن ابن جرير بإسناد صحيح عن الشعبي مثله وروى ابن أَبِي حاتم من طريق شريح قَالَ فصل الخطاب الشهود والإيمان ومن طريق أَبِي عبد الرحمن السلمي نحوه.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ إِلَى (﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ **لا تُسْرِفْ**) أراد به قوله تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ هو استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماعه والخصم في الأصل مصدر ولذلك أطلق للجمع، ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21] إذا تصعّدوا سور الغرفة تفعّل من السور كتسنم من السنام وإذ متعلق بمحذوف أي: نبأ تحاكم الخصم إذ تسور أو النبأ على أن المراد به الواقع في عهد داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن إسناد أتى إليه على حذف مضاف أي: قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا بأتى لأن إتيانه الرسول لم يكن

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: 22 ـ 23] يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ نَعْجَةٌ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: شَاةٌ. ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ مِثْلُ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضَمَّهَا،

حينئذ وإذ الثانية فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ بدل من الأولى أو ظرف لتسوروا ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فإنه كان عَلَيْهِ السَّلَامُ جزأ زمانه يومًا للعبادة ويومًا للقضاء ويومًا للوعظ ويومًا للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكته على صور الإنسان في يوم خلوه ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ نحن فوجان متخاصمان على تسميته مصاحب الخصم خصمًا ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهو على الفرض وقصد التعريض إن كانوا ملائكة وهو المشهور ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: 22] أي: ولا تحر في الحكومة وقد فسره المصنف فِي قَوْلِهِ لا تسرف وقرئ ولا تشطط أي: ولا تبعد عن الحق قاله الفراء ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد يقال شطت الدار وأشطت إذا بعدت وروى ابن جرير من طريق قَتَادَة فِي قَوْلِهِ ولا تشطط أي: لا تمل ومن طريق السُّدِّيّ لا تحيف.

(﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾) أي: إلى وسطه وهو العدل ضربه مثلًا لعين الحق ومحضه.

(﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾) وتمام الآية أن هذا أخي بالدين والصحبة ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص: 23] هي الأنثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض أبلغ في المقصود وقد فسره الْبُخَارِيّ بقوله: (**يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ نَعْجَةٌ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا شَاةٌ**) هذا كثير فاش في أشعارهم قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾) أي: امرأة قَالَ الأعشى:

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقال الحسن بن الفضل: هذا تعريضٌ للتنبيه والتفهيم، لأنه لم يكن هناك نعاج، وإنما هذا مثل قول الناس ضرب زيد عمرًا وما كان هناك ضرب.

(﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ مثل ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضَمَّهَا) أي: ضم زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿وَعَزَّنِي﴾ غَلَبَنِي، صَارَ أَعَزَّ مِنِّي، أَعْزَزْتُهُ جَعَلْتُهُ عَزِيزًا ﴿فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: 23] يُقَالُ: الْمُحَاوَرَةُ، ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ [ص: 24] الشُّرَكَاءِ، ﴿لَيَبْغِي﴾ ....

مريم بنت عمران إلى نفسه وعن أَبِي العالية أكفلنيها ضمها إليّ حتى أكفلها وَقَالَ ابن كيسان اجعلها كفلي أي: نصيبي.

وَقَالَ القاضي: ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي.

(﴿وَعَزَّنِي﴾ **غَلَبَنِي، صَارَ أَعَزَّ مِنِّي، أَعْزَزْتُهُ جَعَلْتُهُ عَزِيزًا** ﴿فِي ٱلْخِطَابِ﴾ **يُقَالُ: الْمُحَاوَرَةُ**) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ أي: صار أعز مني فيه وروى الطَّبَرِيّ من طريق العوفي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ إن دعا ودعوت كان أكثر مني وإن بطشت وبطش كان أشد مني ومن طريق قَتَادَة قَالَ: معناه قهرني وظلمني وفسر المصنف الخطاب بالمحاورة بالحاء المهملة.

وَقَالَ القاضي وغلبني في مخاطبته إياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو في مغالبته إياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابًا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني أي: غالبني. وعزني على تخفيف غريب وبعد هذه الآية (﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾) [ص: 24] جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في إنكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قَالَ ذلك بعد اعترافه فقد روي أنه قال أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود إن أردت ذلك ورمته ضربنا منك هذا وهذا، وأشار إلى طرف الأنف والجبهة، فقال يا داود أنت أحق أن يُضرب منك هذا هذا، وأنت فعلتَ كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدًا فعرف ما وقع فيه أو على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى التضمينية معنى الإضافة.

(﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ **الشُّرَكَاءِ**) فسر الخلطاء بالشركاء وهكذا فسره المفسرون قَالَ القاضي: الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط وحكى هذا التفسير ابن جرير أَيْضًا (﴿لَيَبْغِي﴾) أي: ليتعدى وقرئ لينبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله:

اضرب عنك الهموم طارقها

- إِلَى قَوْلِهِ - ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «اخْتَبَرْنَاهُ» وَقَرَأَ عُمَرُ فَتَّنَّاهُ، بِتَشْدِيدِ التَّاءِ ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: 24].

وبحذف الياء اكتفاء بالكسر ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي: وهم قليل وما مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: 24] ابتليناه بالذنب أو امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها.

(﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «اخْتَبَرْنَاهُ»**) وصله ابن جرير وابن حاتم من طريق عليّ بن أَبِي طلحة عنه.

(**وَقَرَأَ عُمَرُ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**فَتَّنَّاهُ، بِتَشْدِيدِ التَّاءِ**) هذه القراءة من الشواذ ولم يذكرها أَبُو عُبَيْدَةَ في القراءات المشهورة ونقل التشديد أَيْضًا عن أَبِي رجاء العطاردي والحسن البَصْريّ.

(﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾) لذنبه، (﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾) حال كونه راكعًا أي: ساجدًا وعبر عن الركوع بالسجود لأنهما بمعنى الانحناء أو لأنه مبدؤه فهو مجاز عنه بعلاقة النسبية لأنه يفضي إليه أو خرَّ للسجود راكعًا أي: مصلّيًا، في القاموس ركع أي: صلى كأنه أحرم بركعتي الاستغفار (﴿وَأَنَابَ﴾) أي: رجع إلى اللّه بالتوبة من الإنابة وهو الرجوع إلى اللّه بالتوبة يقال أناب ينيب إنابة فهو منيب إذا أقبل ورجع.

وفي الكشاف روي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه، ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه على رأسه ولم يشرب ماءً إلا وثلثاه دمع، وجهد نفسه راغبًا إلى اللّه بالعفو حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا إلى نفسه، واجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل، فلما غفر له حاربه فهزمه، وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها قَالَ القاضي وأقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ ود أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه اللّه بهذه القضية فاستغفر وأناب عنه وما روي أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إن صح فلعله خطب مخطوبته واستنزله عن زوجته وكان ذلك معتادًا فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى.

وفي الكشاف: فقيل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع رتبتك وكبر شأنك

3421 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: سَمِعْتُ العَوَّامَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: أَسْجُدُ فِي ﴿صٓ﴾؟ فَقَرَأَ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ـ حَتَّى أَتَى ـ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 84 ـ 90].

وكثرة نسائك لم يكن ينبغي أن تسأل رجلًا ليس له إلا امرأة واحدة بل كان الواجب عليك مبالغة هواك وقهر نفسك والبر على ما امتحنت به وما قيل إنه أرسل أوريا إلى الجهاد مرارًا وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء وافتراء ولذلك قَالَ علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين، وهو حد الفرية على الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وقيل إن قومًا قصدوا أن يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده قومًا فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء من اللّه فاستغفر ربه مما هم به وأناب ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: 25] أي: ما استغفر عنه ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لقربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾. مرجع في الجنة. ثم إن المصنف رَحِمَهُ اللّه ذكر حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فَقَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) هو إما ابن سلام وإما ابن المثنى وإما ابن بشار على ما اختلفوا فيه وجزم الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ بأنه ابن سلام وقيل: يقال إنه أَبُو مُوسَى الزمن وهو مُحَمَّد بن المثنى البَصْريّ قَالَ: (حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُوسُفَ) أَبُو عَبْد اللّه الأنماطي البَصْريّ (قَالَ: سَمِعْتُ العَوَّامَ) بفتح العين المهملة وتشديد الواو وهو ابن حوشب بفتح المهملة والمعجمة وسكون الواو وبينهما وبالموحدة وقد مر في البيع.

(عَنْ مُجَاهِدٍ) أنه (قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (أَسْجُدُ) أَنَسْجُدُ بهمزة الاستفهام وبنون المتكلم مع الغير.

وفي رواية المستملي وَالْكُشْمِيهَنِيّ: أأسجد بهمزتين الأولى للاستفهام والثانية للمتكلم وحده.

(فِي ص فَقَرَأَ) أي: ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قوله تَعَالَى: (﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ حَتَّى أَتَى ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾) أي: ومن ذريته نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن قبله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ [الأنعام: 84] فنوح أقرب المذكورين وهو اختيار ابن جرير أَيْضًا

فَقَالَ: نَبِيُّكُمْ ﷺ مِمَّنْ أُمِرَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ».

3422 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَيْسَ ﴿صٓ﴾ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْجُدُ فِيهَا».

وقيل إن الضمير يرجع إلى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه الذي لأجله الكلام لكن يشكل على هذا ذكر لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه ليس من ذرية إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بل هو ابن أخيه هاران بن آزر إلا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليبًا. وفي ذكر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذرية إِبْرَاهِيم أو نوح عليهما السلام دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما ينسب إلى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له. ثم قوله حتى أتى ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ أي: قرأ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا الآيات الست حتى قرأ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: 90].

(**فَقَالَ:**) ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفي رواية: فقال بدون ذكر ابن عباس والاكتفاء بغيره (**نَبِيُّكُمْ ﷺ مِمَّنْ أُمِرَ**) على البناء للمفعول.

(**أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ**) أي: بهؤلاء الرسل المذكورين في هذه الآيات المذكورة وهم سبعة عشر نبيًّا.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وفي هذا الاستدلال مناقشة إذ رسول اللّه ﷺ مأمور بالاقتداء بهم في أصول الدين لا فروعه لأنها هي المتفق عليها بين الأنبياء إذ في المختلفات لا يمكن اقتداء الرسول بكلهم وإلا يلزم التناقض.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا.

(**حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ**) التبوذكي قَالَ: (**حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ**) مصغر وهب هو ابن خالد البَصْرِيّ قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَيُّوبُ**) هو السَّخْتِيَانِيّ، (**عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) أنه (**قَالَ: لَيْسَ ﴿صٓ﴾ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ**) أي: السجدات المأمور بها.

(**وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْجُدُ فِيهَا**) يعني موافقة لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ شكرًا لقبول

40 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص: 30] الرَّاجِعُ المُنِيبُ

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: 35]

توبته فإنه روى ﷺ قَالَ سجدها أخي داود توبةً ونحن نسجدها شكرًا[1] والحديث قد مضى في أبواب سجود التلاوة في باب سجدة ص ومضى الكلام فيه.

40 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص: 30] الرَّاجِعُ المُنِيبُ

(باب) قَوْلِ اللَّهِ عز وجل وليس في بعض النسخ لفظ باب المذكور فيه **(قَوْل اللّهِ تَعَالَى**: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ والمخصوص بالمدح محذوف أي: سليمان إذ بعد تعليل للمدح وهو حاله (﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾) أي: راجع إلى اللّه بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له وفسره الْبُخَارِيّ بقوله: الأواب **(الرَّاجِعُ المُنِيبُ)** أي: الراجع عن الذنوب والمنيب إلى اللّه تَعَالَى بكل طاعة.

(وَقَوْلِهِ) بالجر عطف على قول اللّه فِي قَوْلِهِ باب قول اللّه عز وجل.

(﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾) أي: أعطني ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي يعني من دوني وَقَالَ ابن كيسان: لا يكون لأحد من بعدي.

وَقَالَ يزيد بن وهب: هب لي ملكًا لا أسلبه في باقي عمري كما سلبته في ماضي عمري.

وَقَالَ مقاتل بن حبان: كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ملكًا ولكنه أراد بقوله لا ينبغي لأحد من بعدي تسخير الرياح والطير. وقيل إنما سأل ذلك ليكون له علمًا على المغفرة وقبول التوبة حيث أجاب اللّه دعاءه ورد عليه ملكه وزاد فيه وهذا إشارة إلى قوله تَعَالَى قَالَ أي: سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا

---

(1) ومحصله أنها عند الشافعي ليست من عزائم السجود، إنما هي سجدة شكر حتى لو تلاها في الصلاة لا يسجدها عنده لحديث ابن عباس رضي اللّه عنهما أنه ﷺ سجد في ص وقال: سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرًا، ولنا ما روى ابن عباس أنه ﷺ سجد في ص، وما رواه ضعفه البيهقي. ولئن صح فمعنى قوله شكرًا لأجل الشكر فلا ينافي الوجوب لأن العبادات كلها وجبت شكرًا لله تعالى.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: 102]،

﴿لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ قال القاضي أي: لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي أو لا ينبغي لأحد أن يسلب مني بعد هذه السلبة أو لا يصح لأحد من بعدي.. لعظمته كقولك لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطي أحد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: 35] المعطي ما تشاء لمن تشاء.

(وَقَوْلِهِ) تَعَالَى بالجر أَيْضًا عطف على ما قبله: (﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾) قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ عطف على ما قبله وهو ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 101] وهم اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ما ترويه وتخبره وتحذيه الشياطين يعني نبذوا كتاب اللَّه واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الإنس أو منهما ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: 102] أي: عهده وعداه بعلى لأنه ضمن تتلو معنى تكذب وَقَالَ ابن جرير على هنا أي: بمعنى في أي: في ملك سليمان ونقله عن ابن جريج وابن إِسْحَاق والتضمين أولى وأحسن كما لا يخفى.

وَقَالَ السُّدِّيّ ما ملخصه: أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيسمعون من الملائكة ما يكون في الأرض فيأتون الكهنة فيخبرون به فتحدثه الكهنة للناس فتجدونه كما قالوا وأدخلت الكهنة فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس وذلك ودفنوه وكانوا يعلّمون الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أن الجن يعلمون الغيب وأن ملك سليمان تم بهذا العلم وأنه يسخر به الإنس والجن، فبعث سليمان عليه السلام في الناس فجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق فلما مات سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثل شيطان في صورة آدمي وأتى نفرا من بني إسرائيل فدلهم على تلك الكتب فأخرجوها فَقَالَ لهم الشيطان إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يضبط الإنس والجن والطير بهذا السحر ثم طار وذهب وفشا في الناس أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ساحرا فاتخذت بنو إسرائيل

تلك الكتب فلما جاء النَّبِيّ ﷺ خاصموه بها فأنزل اللّه تَعَالَى هذه الآية: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تكذيبًا لهم وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وأن من كان نبيًّا كان معصومًا عنه قاله القاضي وسيأتي ما يتعلق بذلك إن شاء اللّه تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ باستعماله ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾. [البقرة: 102] إغواء وإضلالا والجملة حال عن الضمير.

والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فإن التناسب شرط في التضامن والتعاون وبهذا يميز الساحر عن النَّبِيّ والولي وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرًا على التجوز أو لما فيه من الدقة لأنه في الأصل لما خفي سببه قاله القاضي.

وتعقبه السيوطي فِي قَوْلِهِ فغير مذموم بأنه مردود فقد نص النووي في الروضة وغيره على تحريمه.

وَقَالَ ابن الكمال: السحر مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأقوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة ولا يروى خلاف في كون العمل به كفرًا وعده نوعًا من الكبائر مغايرًا للإشراك لا ينافي ذلك لأن الكفر أعم والإشراك نوع منه وهو في أصل اللغة الصرف حكاه الأزهري عن الْفَرَّاء ويونس فإطلاقه على ما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والأدوية ويريه صاحب خفة اليد باعتبار ما فيه من صرف الشيء عن جهته حقيقة لغوية انتهى.

وَقَالَ المولى ابن الشَّيْخ قَالَ الإمام أَبُو منصور: الأصح أن يقال إن القول بأن السحر على الإطلاق كفر أم لا خطأ بل السحر على نوعين نوع هو كفر وهو ما يتضمن إنكار ركن من أركان الإسلام ورده ونوع ليس بكفر وهو ما يتحقق بدون الارتكاب شيء من الكفر ثم السحر الذي هو كفر تقيل به الذكور دون الإناث لأن كفر المسلم ارتداد والمرتد يستتاب فإن أصر قتل وارتداد الأنثى لا يوجب القتل ويقتل به الذكور والإناث إذا قتل بالسحر لأنه حينئذ يصير ساعيًا في

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أَذَبْنَا لَهُ عَيْنَ الحَدِيدِ، ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: 12] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [سبأ: 13] ....

الأرض بالفساد فيقتل كقطاع الطريق انتهى.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى بالجر أَيْضًا: (﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾) أي: وسخرنا لسليمان الريح وفي آية أخرى ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ [ص: 36] أي: لنية حيث أصاب أي: حيث أراد.

(﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾) أي: غدو الريح شهر أي: جريها ومسيرها في غدوته شهر وفي روحته شهر وقرئ غدوتها وروحتها.

وَقَالَ مجاهد: كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يغدو من دمشق فيقيل بأصطخر ويروح من أصطخر فيقيل بكابل وكان بين أصطخر وكابل مسيرة شهر وما بين دمشق وأصطخر مسيرة شهر.

(﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ **أَذَبْنَا لَهُ**) فسر قوله أسلنا له بقوله أذبنا له من الإذابة وفسر قوله عين القطر بقوله: (**عَيْنَ الحَدِيدِ**) وَقَالَ القاضي وأسلنا له عين القطر النحاس المذاب أساله من معدنه فنبع منه نبع الماء ولذلك سماه عينًا وكان ذلك باليمن وَقَالَ قَتَادَة: عين من نحاس كانت باليمن.

وَقَالَ الأَعْمَش: سالت له سيلان الماء وقيل لم يذب النحاس لأحد قبله.

(﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾) عطف على الريح أي: وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه ومن الجن حال متقدمة أو جملة مبتدأ وخبر.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: ومن يعدل منهم عما أمرنا من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ عذاب الآخرة وقيل عذاب الدنيا وذلك أن اللّه تَعَالَى وكل بهم ملكًا بيده سقط نار فمن زاغ عن أمره ضربه ضربة أحرقته.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ (مِن مَّحَٰرِيبَ﴾) قصورًا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذبّ عنها ويحارب عليها.

قَالَ مُجَاهِدٌ: بُنْيَانٌ مَا دُونَ القُصُورِ، ﴿وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ كَالحِيَاضِ لِلإِبِلِ
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَالْجَوْبَةِ مِنَ الأَرْضِ، ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ:
﴿الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13] ....

(قَالَ مُجَاهِدٌ: بُنْيَانٌ مَا دُونَ القُصُورِ) فسر مجاهد المحاريب بقوله بنيان ما دون القصور وصله عبد بن حميد عنه ذلك.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: المحاريب جمع محراب وهو مقدم كل بيت وهو أَيْضًا المسجد والمصلى.

(﴿وَتَمَاثِيلَ﴾) جمع تمثال وهي الصورة وكان عمل الصورة في الجدران وغيرها سائغًا في شريعتهم وَقَالَ القاضي وصور أو تماثيل للملائكة وَالْأَنْبِيَاء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروي أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما وإذا قعدا ظله النسران بأجنحتهما.

(﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ كَالحِيَاضِ لِلإِبِلِ) الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة شبهت بالجوابي وشبهت الجوابي بالحياض التي يجبى فيها الماء للإبل أي: يجمع واحدها جابية ويقال كان يقعد على جفنة واحدة من جفان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف رجل يأكلون بين يديه وهذا التفسير لمجاهد وصله عنه عبد بن حميد وَقَالَ القاضي وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (كَالْجَوْبَةِ مِنَ الأَرْضِ) الجوبة: موضع ينكشف في الحرة وينقطع عنها وفي القاموس الجوبة الحفرة.

(﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾) أي: ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها ولا يحولن ولا يحركن من أماكنهن لعظمهن وفي تفسير النسفي وكانت باليمن ومنه قيل للجبال رواسٍ وقوله (إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الشَّكُورُ﴾) يعني اقرأ الآية بتمامها وهو قوله تَعَالَى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: 13] حكاية عما قيل لهم أي: قلنا اعملوا آل داود شكرًا يعني اعملوا بطاعة اللَّه يا آل داود شكرًا على نعمه وشكرًا نصب على أنه مفعول له أي: اعملوا له واعبدوه شكرًا لنعمائه وفيه دليل على أن العبادة يجب

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: الأَرَضَةُ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: عَصَاهُ، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ ﴿ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14]،

أن تؤدى على طريق الشكر أو على المصدرية لأن أعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل فيه للمنعم شكرًا له أو على الحالية أي: شاكرين ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولًا ومعناه إنّا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرًا على طريق المشاكلة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، أي: المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه بأن شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا وعملًا أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرًا آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا الشكور من يشكر على أحواله كلها وَقَالَ السُّدِّيّ: هو من يشكر على الشكر، وعن عمر رضي اللّه عنه أنه سمع رجلًا يقول: اللّهم اجعلني من القليل فقال عمر رضي اللّه عنه ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل إني سمعتُ اللّه يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ فإني أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر رضي اللّه عنه: كل الناس أعلم من عمر.

(﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: **الأَرَضَةُ**) ويقال لها السرفة (﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ **عَصَاهُ**) أشار به إلى قوله تَعالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: حكمنا على سليمان الموت ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ أي: ما دل الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: 14]. وفسرها بقوله الأرضة وهي دويبة تأكل الخشب أضيفت إلى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضًا فأرضت أرضًا مثل أكلت القوادح الأسنان أكلًا فأكلت أكلًا (﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾) وفسر المنسأة بقوله: (**عَصَاهُ**) من نسأت البعير إذا طردته لأنها تطرد بها وهو تفسير ابن عباس رضي اللّه عنهما وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه وقال أبو عبيدة المنسأة العصا ثم ذكر تصريفها وهي مفعلة من نسأت إذا زجرت الإبل أي: ضربتها بالمنسأة. وقرئ منسأته على وزن مفاعلة.

(﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ **إِلَى قَوْلِهِ**: ﴿ٱلْمُهِينِ﴾) أي: اقرأ الآية بتمامها وهو قوله تَعالَى:

﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [ص: 32].

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سقط سليمان ميتا ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ جواب لما أي: علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم ﴿أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ [سبأ: 14] أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيثما وقع فلم يلبثوا بعده في العذاب الذي يهين المعذب يعني ما عملوا مسخرين وهو ميت وهم يظنونه حيًّا حولًا كاملًا إلى أن خر أو المعنى علم الجن كلهم علمًا بينًا بعد التباس الأمر على ضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب، أو المعنى علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم، وإنما أريد التهكم بهم كالتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك: هل تبينتَ أنك مبطل، وأنت تعلم أنه لم يزل لذلك متبينًا أو المعنى ظهرت الجن وأن بما في حيزه بدل منه أي: ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وقرأ ابن مسعود: «تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب» وذلك أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أسس بيت المقدس في موضع فسطاط[1] مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فمات تمامه فوصى بها إلى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله فأعلم به فأراد أن يُعمّي عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا له صرحًا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخرّ ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يومًا وليلة مقدارًا فحسبوا على ذلك فوجدوه وقد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثًا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه.

(﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [ص: 32] وقبله ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ﴾ [ص: 31] ظرف لما قبله أعني أواب أو نعم والضمير لسليمان عند الجمهور ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ بعد الظهر

---

(1) القسطاط هو بيت من شعر، قال صاحب الكشاف، والظاهر أن فسطاط موسى المتوارث كانوا يضربونه يتعبدون فيه تبركًا، فبنى البيت في ذلك الموضع لأنه كان يضرب هناك في زمن موسى لئلا ينافي ما نقل من موته في التيه، وما جاء في الحديث الصحيح أنه سأل ربه عند وفاته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. انتهى.

﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾ الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا تكاد تكون إلا في العراب الخلص وسيجيء تفسيره من المصنف ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ جمع جواد أو جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روي أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ غزا دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس.

وقيل: أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربًا للَّه ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [ص: 32] أصل أحببت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت بتضمين معناه عدى تعديته.

وقيل بمعنى تقاعدت من قوله:

مثل بعير السوء إذا حبا

أي: برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته قَالَ الْفَرَّاء الخيل والخير في كلام العرب بمعنى والنبي ﷺ زيد الخيل زيد الخير. ويحتمل أن سماها خيرًا لتعلق الخير بها قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة وقوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ قَالَ قَتَادَة عن صلاة العصر ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: 32] أي: غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها وقيل أي: غابت بالحجاب وهو جبل دون القاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه.

وقيل: معناه حتى استترت الشمس بما يحجبها عن الأبصار وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها فإنه ما بعد الزوال ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ [ص: 33] الضمير للصافنات وقد مر آنفًا أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ غزا دمشق ونصيبين فأصاب منها ألف فرس.

وَقَالَ مقاتل: ورث من أبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة وكان صلى الصلاة الأولى ثم قعد على الكرسي وهي تعرض عليه

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 33]: يَمْسَحُ أَعْرَافَ الخَيْلِ وَعَرَاقِيبَهَا. ﴿الْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: 49]: الوَثَاقُ. قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ صَفَنَ الفَرَسُ: رَفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ حَتَّى تَكُونَ عَلَى طَرَفِ الحَافِرِ، ....

فعرضت عليه منها تسعمائة وَقَالَ الحسن بلغني أنها كانت خيلًا خرجت من البحر لها أجنحة وقبل أن يكمل العرض غربت الشمس ففاتته صلاة العصر ولم يعلم بذلك فاغتم لذلك فَقَالَ: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: 33] أي: فأخذ وأقبل يمسح بسوقها وأعناقها بالسيف يقطعها وينحرها تقربًا إلى اللّه تَعالَى وطلبًا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته من قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه. وقيل: جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبالها وهذا هو مختار الإمام ولكنه خلاف المشهور قَالَ المصنف.

(﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ **يَمْسَحُ أَعْرَافَ الخَيْلِ وَعَرَاقِيبَهَا**) وهو قول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ ابن جرير من طريق علي بن أَبِي طلحة عنه وزاد في آخره حبالها وروي من طريق الحسن قَالَ كشف عن عراقيبها وضرب عن أعناقها قَالَ لا تشغليني عن عبادة ربي مرة أخرى قَالَ ابن جرير وقول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أقرب إلى الصواب وقوله يمسح أعراف الخيل وعراقيبها تفسير لما قبله والأعراف جمع العرف بضم العين وهو شعر عنق الخيل والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ عند عقب الإنسان.

(﴿الْأَصْفَادِ﴾ **الوَثَاقُ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص: 38] وفسره بالوثاق يقال صفده أي: شده وأوثقه روى ابن جرير من طريق السُّدِّيّ قَالَ: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أن يجمع اليدان إلى العنق بالأغلال وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الأصفاد الأغلال واحدها صفد ويقال للعطاء أَيْضًا صفد. وسيجيء تفسير الآية المشتملة على ذلك إن شاء اللّه تَعالَى.

و(**قَالَ مُجَاهِدٌ** ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ **صَفَنَ الفَرَسُ: رَفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ حَتَّى تَكُونَ عَلَى طَرَفِ الحَافِرِ**) أي: قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ أنه من صفن الفرس إلى آخره، وصله الفريابي من طريقه قَالَ صفن الفرس إلى آخره لكن قَالَ يديه ووقع في أصل الْبُخَارِيّ رجليه وصوب

﴿ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: 31]: السِّرَاعُ .﴿جَسَدًا﴾ [ص: 34]: شَيْطَانًا[1]،

القاضي عياض ما عند الفريابي والحاصل أنه على ما قَالَ مجاهد جمع صافنة مشتق من صفن الفرس إلى آخره.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الصافن الذي يجمع بين يديه ويثني مقدم حافر إحدى رجليه.

وَقَالَ النسفي: الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر والصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخلص.

(﴿ٱلْجِيَادُ﴾ السِّرَاعُ) وصله الفريابي من طريق مجاهد أَيْضًا والسراع بكسر السين المهملة جمع سريع وهو جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه.

وقيل: جمع جيد كما تقدم جمع لها بين وصفين محمودين وروى ابن جرير من طريق إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ أنها كانت عشرين فرسًا ذوات أجنحة.

(﴿جَسَدًا﴾ شَيْطَانًا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: 34].

---

(1) قال الحافظ: قوله جسدًا شيطانًا قال الفريابي بسنده: عن مجاهد في قوله: «وألقينا على كرسيه جسدًا» قال شيطانًا يقال له آصف قال له سليمان: كيف يفتن الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك فأعطاه فنبذه آصف في البحر فذهب ملك سليمان وقعد آصف على كرسيه ومنعه اللّه نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم وهو يعرفهم بنفسه فيكذبونه حتى أعطته امرأة حوتًا فطيب بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرد اللّه إليه ملكه، ثم ذكر الحافظ روايات أخر مختلفة في اسم هذا الجني ثم قال: المشهور أن آصف اسم الرجل الذي عنده علم الكتاب، انتهى مختصرًا.
قلت: واختلف أهل التفسير في مصداق هذا الجسد على أقوال كثيرة بسطها أصحاب التفسير لا سيما الرازي في تفسيره واختلفوا في الترجيح أيضًا وميل الحافظ في الفتح إلى هذا القول المذكور أنه شيطان إذ قال في قول سليمان: «**لأطوفن الليلة**» الحديث حكى النقاش في تفسيره أن الشق المذكور هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وقد تقدم قول غير واحد من المفسرين أن المراد بالجسد المذكور شيطان وهو المعتمد، والنقاش صاحب مناكير، اهـ.
قلت: واختار المحلي أيضًا في الجلالين هذا القول إذ قال في تفسير قوله: جسدًا هو ذلك الجني وهو صخر أو غيره جلس على كرسي سليمان إلخ واختار القاضي البيضاوي في تفسير الجسد الشق المذكور في حديث سليمان إذ قال أظهر ما قيل فيه ما روى مرفوعًا فذكر حديث سليمان المذكور وقال القاضي عياض في الشفاء: الشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه ثم =

وفسر قوله جسد بقوله شيطانًا قَالَ الفريابي: حَدَّثَنَا ورقاء عن أَبِي نجيح عن مجاهد فِي قَوْلِهِ وألقينا على كرسيه جسدًا قَالَ شيطانًا يقال له آصف قَالَ له سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف تفتن الناس قَالَ أرني خاتمك أخبرك فأعطاه فنبذه آصف في البحر فساخ فذهب ملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وقعد آصف على كرسيه ومنعه اللّه نساء سليمان فلم يقربهن فأنكرته أم سليمان وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يستطعم ويعرفهم بنفسه فيكذبونه حتى أعطته امرأة حوتًا فطيب بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرد اللّه إليه ملكه وفرّ آصف فدخل البحر ورواه ابن جرير من وجه آخر.

عن مجاهد أن اسمه آصر آخره راء ومن طريق علي بن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن اسم الجني صخر ومن طريق السُّدِّيّ كذلك وأخرج القصة من طريقه مطولة والمشهور أن آصف اسم الرجل الذي كان عنده علم من الكتاب.

قَالَ الْعَيْنِيّ: إنه يبعد من سليمان أن يناول خاتمه لغيره ليراه مع علمه أن ملكه قائم به وأنه لا يليق أن يقعد شيطان على كرسي نبي مرسل أعطى ما لم يعط غيره من الملك العظيم وأن آصف بالفاء في آخره هو معلم سليمان وكاتبه في أيام ملكه.

وَقَالَ القاضي في تفسير: وأظهر ما قيل فيما روي مَرْفُوعًا أنه قَالَ لأطوفن الليل على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل اللّه ولم يقل إن شاء اللّه فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس مُحَمَّد بيده لو قَالَ إن شاء اللّه لجاهدوا فرسانًا.

وقيل: إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها فأصاب ابنته جرادة واصطفاها لنفسه فأحبها وكان لا يرقد معها جزعا على أبيها فأمر الشيطان فمثلوا لها صورة أبيها وكان سليمان إذا خرج من بيتها كانت هي وجواريها يعبدون هذه الصورة ويسجدون لها كعادتهن في ملكه حتى أتى على ذلك أربعون يوما وبلغ

= قال: ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به، اهـ. وقال القاري في شرحه: ومما يؤيده قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان لا يتمثل بي**» فهذا إذا كان ممنوعًا في حال المنام فالأولى أن لا يقدر على التمثيل في حال اليقظة. والظاهر أن سائر الأنبياء يكون أمرهم على هذا النظام إلى آخر ما قال، وتقدم شيء من الكلام على ذلك في مبدأ الجهاد.

ذلك آصف بن برخيا فعتب على سليمان بسبب ذلك فعند ذلك سقط الخاتم من يده وكان كلما أعاده يسقط فَقَالَ له آصف إنك مفتون ففر إلى اللّه تائبًا من ذلك وأنا أقوم مقامك وأسير في عيالك وأهل بيتك بسيرك إلى أن يتوب اللّه عليك ويردك إلى ملكك ففر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هاربًا إلى اللّه تَعَالَى. ويروى أنه كسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكيًا متضرعًا وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وغاب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مدة أربعين يوما ثم إن اللّه تَعَالَى لما قبل توبته رجع إلى منزله فرد اللّه إليه ملكه وأعاد الخاتم في يده. ويروى أنه كانت له أم ولد اسمها أمينة إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يومًا فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه وغير سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هيئته فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يومًا عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخرّ ساجدًا وعاد إليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لأنه كان متمثلًا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل كان جائزًا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره.

وقيل: المراد من الجسد ابنه وذلك أنه لما ولد له ولد قالت الشياطين نقتله وإلا لا نعيش معه بعده لأنه لا ينفك من تسخيرنا أيضًا ولما علم سليمان بذلك أمر السحاب حتى حمل ابنه وغذى في السحاب خوفا من مضرة الشيطان فعاتبه اللّه لذلك إذ لم يتوكل على اللّه ومات الولد فألقى ميتًا على كرسيه فهو الجسد الذي قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: 34] قَالَ الْعَيْنِيّ: وهذا هو الأنسب والأليق.

فائدة:

وكان الخاتم من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الجنة

﴿رُخَآءً﴾: طَيِّبَةً ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36]: حَيْثُ شَاءَ، ....

مكتوب عليها لا إله إلا اللّه مُحَمَّد رَسُول اللّه وهو الخاتم الذي ألبسه اللّه تَعَالَى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنة ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 35]. قد مر تفسيره فيما سبق.

(﴿رُخَآءً﴾: طَيِّبَةً ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حَيْثُ شَاءَ) أشار به ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾. وفسر قوله رخاء بقوله طيبة ويروى طيبًا بالتذكير وهي رواية الكُشْمِيهَنِيّ وفسر قوله حيث أصاب بقوله حيث شاء.

وفي آية أخرى: (ولسليمان الريح عاصفة) أي: شديدة الهبوب من حيث تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ وكانت رخاء في نفسها طيبة.

وقيل: كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى بحسب إرادته وقد وصل الفريابي التفسيرين المذكورين من طريق مجاهد المذكور.

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ أي: فذللناها لطاعته إجابة لدعوته حيث قَالَ هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ لينة من الرخاوة لا تزعزع أي: لا تحرك أو لا تخالف إرادته كالمأمور المنقاد فقد يعبر عن الانقياد باللين يقال فلان لين الجانب وهي لغة حمير ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36] أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على الريح ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: 37] بدل منه قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي: في البحار ويخرجون من نفائسه ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا﴾ دون ذلك ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص: 38] عطف على كل كأنه فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشاقة كالبناء والغوص. ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر.

ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والأقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالأقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء

﴿فَٱمْنُنْ﴾ [ص: 39]: أَعْطِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بِغَيْرِ حَرَجٍ».

لأنه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه عكس وعد وأوعد وفي الغريبة من المحاريب والتماثيل ذلك نكتة لطيفة وهي أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وقلته على قلته ففي تقليل حروف الوعد إشارة إلى انبغاء تقليل زمنه لأن أهنأ البر عاجله بخلاف الإيعاد فإن الذي ينبغي فيه هو التنفيس والتأخير بل قيل الخلف عن الوعيد كرم ويمكن مثل ذلك الاعتبار في الصفد والأصفاد فإن المناسب لجانب المضرة هو التقليل بخلاف جانب النفع والله أعلم.

(﴿فَٱمْنُنْ﴾ : **أَعْطِ** ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ : **بِغَيْرِ حَرَجٍ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: 39] وفسر قوله فامنن بقوله أعط والعرب تقول منّ عليّ برغيف أي: أعطانيه وقوله بغير حساب بقوله بغير حرج وقد وصله الفريابي من طريق مجاهد كذلك.

وَقَالَ أَبُو عبيد: وفي قوله بغير حساب أي: بغير ثواب ولا جزاء أو بغير منة ولا قلة قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ أي: هذا الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ فأعط من شئت وامنع من شئت ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حال من المستكن في الأمر غير محاسب على منه وإمساكه لتفويض التصرف فيه إليك أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى عطاؤهم لا يكاد يمكن حصره.

وقيل: الإشارة إلى تسخير الشياطين والمراد بالمن والإمساك إطلاقهم وإبقاؤهم في القيد.

وَقَالَ الحسن البَصْريّ: إن اللّه لم يعط أحدًا ما أعطاه إلا جعل فيه حسابًا إلا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فإن اللّه تَعَالَى أعطاه عطا هنيًا فَقَالَ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قَالَ إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة.

وَقَالَ مقاتل هو في أمر الشياطين أي: حل من شئت منهم وأوثق من شئت في وثاقك ولا تبعة فيما تتعاطاه. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ [ص: 40] في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ هو الجنة.

3423 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاتِي، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِيٓ﴾ [ص: 35] فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا» ....

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ) بكسر الزاي وتخفيف التحتية.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ) يجيء تفسيره من المصنف.

(تَفَلَّتَ) بتشديد اللام أي: تعرض لي بغتة من الفلتة بمعنى البغتة (البَارِحَةَ) أي: الليلة الخالية الزائلة والبارح الزائل ويقال من بعد الزوال إلى آخر النهار البارحة.

(لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاتِي، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رب ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِيٓ﴾ فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا) ذليلًا مطرودًا متحيرًا وفي هذه إشارة إلى أنه ﷺ كان يقدر على ذلك إلا أنه تركه رعاية لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحتمل أن يكون خصوصية سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ استخدام الجن في جميع ما يريده لا في هذا القدر فقط.

واستدل الْخَطَّابِيّ بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم قَالَ وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27] فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم.

وتعقب: بأن نفي رؤية الإنس الجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه يمكن فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ولا ينفى إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة ويحتمل العموم. وهذا الذي فهمه أكثر العلماء حتى قَالَ الشَّافِعِيّ من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته واستدل بهذه الآية واللَّه تَعَالَى أعلم.

عِفْرِيتٌ مُتَمَرِّدٌ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جَانٍّ، مِثْلُ زِبْنِيَةٍ جَمَاعَتُهَا الزَّبَانِيَةُ».

والحديث قد مضى في كتاب الصلاة في باب الأسير يربط في المسجد ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**عِفْرِيتٌ مُتَمَرِّدٌ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جَانٍّ**) فسر عفريتًا بقوله متمرد سواء كان من إنس أو من جان واشتقاقه من العفر.

وَقَالَ الزمخشري: العفر والعفرية والعفارية والعفريت القوي المتشيطن الذي يعفر أقرانه والتاء في العفرية والعفارية للإلحاق بشرذمة وعداوة والتاء فيها للمبالغة والتاء في عفريت للإلحاق بقنديل.

وفي الحديث: أن اللّه تَعَالَى يبغض العفرية النفرية.

قَالَ ابن الأثير: هو الداهي الخبيث الشرير ومنه العفريت.

(**مِثْلُ زِبْنِيَةٍ جَمَاعَتُهَا الزَّبَانِيَةُ**) الزبنية بكسر الزاي وسكون الموحدة وكسر النون وفتح التحتية وآخرها هاء تأنيث يجمع على زبانية وفي قوله عفريت مثل زبنية نظرًا لأن الزبنية العفرية لا العفريت.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: مراد المصنف بقوله مثل زبنية أنه قيل في عفريت عفرية وهي قراءة رويت في الشواذ عن أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ وأبي رجاء العطاردي وأبي السمال بالسين المهملة وباللام وَقَالَ ذو الرمة:

كأنه كوكب في أثر عفرية مصوت في ظلام الليل منتصب

ثم الزبانية في الأصل اسم صاحب الشرطة مشتق من الزبن وهو الدفع وأطلق ذلك على ملائكة النار لأنهم يدفعون الكفار في النار وواحد الزبانية زبنية.

وقيل: زابن.

وقيل: زباني.

وَقَالَ قوم: لا واحد له من لفظه وهو الذي تعرفه العرب.

وقيل: واحدها زبني كأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسبة كقولهم إمسيّ بكسر الهمزة.

3424 - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، ....

(حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ) بفتح الميم البجلي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) الحزامي وليس بالمخزومي واسم جد الحزامي عَبْد اللَّه بن خالد حزام واسم جد المخزومي الحارث بن عَبْد اللَّه.

(عَنْ أَبِي الزِّنَادِ) بكسر الزاي وتخفيف النون عَبْد اللَّه بن ذكوان، (عَنِ الأَعْرَجِ) عبد الرحمن بن هرمز، (عن أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ) عليهما السلام: (لأَطُوفَنَّ) وفي رواية الحموي والمستملي لأطيفن وهما لغتان يقال طاف بالشيء وأطاف به إذا دار حوله وتكرر عليه وهو هنا كناية عن الجماع واللام فيه جواب قسم محذوف أي: واللَّه لأطوفن ويؤيده قوله في آخره لم يحنث لأن الحنث لا يكون إلا عن قسم والقسم لا بدّ له من مقسم به.

(اللَّيْلَةَ) نصب على الظرفية.

(عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً) كذا هنا من رواية مغيرة وفي رواية شعيب كما سيأتي في الأيمان والنذور فَقَالَ تسعين وقد ذكر المصنف ذلك عقب هذا الحديث ورجح تسعين وذكر أن أبا الزناد رواه كذلك.

وقد رواه سُفْيَان بن عيينة عن ابن أَبِي سُفْيَان فَقَالَ سبعين بتقديم السين وكذا هو في مسند الحُمَيْدِيّ عن سُفْيَان وكذا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من رواية ورقاء عن أَبِي الزناد.

وَأَخْرَجَهُ الإسماعيلي وَالنَّسَائِيّ وابن حبان من طريق هشام بن عُرْوَة عن أَبِي الزناد وَقَالَ مائة امرأة وكذا قَالَ طاوس عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كما سيأتي في الأيمان والنذور من رواية معمر وكذا قَالَ أحمد عن عبد الرزاق من رواية هشام بن حجير عن طاوس تسعين وسيأتي في كفارة الأيمان ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق فَقَالَ سبعين.

وسيأتي في التوحيد من رواية أيوب عن ابن سيرين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه

تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ....

عَنْهُ كان لسليمان ستون امرأة.

ورواه أحمد وأبو عوانة من طريق هشام عن ابن سيرين فَقَالَ مائة امرأة وكذا قَالَ عمران بن خالد عن ابن سيرين عند ابن مردويه.

وتقدم في الجهاد من طريق جعفر ابن ربيعة عن الأعرج فَقَالَ مائة امرأة أو تسع وتسعين على الشك.

فمحصل الروايات ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، والجمع بينها أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس وأما السبعون فللمبالغة وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين فمن قَالَ تسعون ألغى الكسر ومن قَالَ مائة جبره ومن ثمة وقع التردد فِي رِوَايَةِ جعفر.

وأما قول بعض الشراح ليس في ذكر القليل نفي الكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجة عند الجمهور فليس بكاف في هذا المقام.

وحكى وهب بن منبه في المبتدأ أنه كان لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف امرأة ثلاثمائة ممهرة وسبعمائة سرية.

وروى الحاكم في المستدرك من طريق ابن معشر عن مُحَمَّد بن كعب قَالَ: بلغنا أنه كان لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية.

(تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ على سبيل التمني للخير وإنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء قصد به الخير وأمر الآخرة لا لغرض قَالَ بعض السلف: نبه ﷺ في هذا الحديث على أنه التمني والإعراض عن التفويض قَالَ ولذلك نسي الاستثناء ليمضي فيه القدر.

(فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ) وفي رواية قل إن شاء اللَّه.

وفي رواية معمر عن طاوس على ما سيأتي فَقَالَ له الملك.

وفي رواية هشام بن حجير فَقَالَ له صاحبه قَالَ سُفْيَان يعني الملك وهذا يدل على أن تفسير صاحبه بالملك ليس بمرفوع ووقع في مسند الحُمَيْدِيّ عن سُفْيَان فَقَالَ له صاحبه والملك بالشك ومثلها لمسلم وفي الجملة ففيه رد على من فسر

فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلا وَاحِدًا، سَاقِطًا إِحْدَى شِقَّيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ....

صاحبه بأنه الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بالمد وكسر المهملة وبالفاء ابن برخيا بفتح الموحدة وسكون الراء وكسر المعجمة بعدها تحتانية وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ فِي قَوْلِهِ فَقَالَ له صاحبه أو الملك إن كان صاحبه فيعني به وزيره من الإنس أو الجن وإن كان الملك فهو الذي يأتيه بالوحي قَالَ وأبعد من قَالَ المراد به خاطره.

وَقَالَ النووي: قيل المراد بصاحبه الملك وهو الظاهر من لفظه.

وقيل: القرين.

وقيل: صاحب له آدمي.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ليس بين قوله صاحبه والملك منافاة إلا أن لفظ صاحبه أعم فمن ثم نشأ لهم الاحتمال ولكن الشك لا يؤثر في الجزم فمن جزم بأن الملك حجة على من لم يجزم.

(**فَلَمْ يَقُلْ**) قَالَ القاضي عياض وفي رواية فنسي قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وهي رواية ابن عيينة عن شيخيه وفي رواية معمر قَالَ ونسي أن يقول إن شاء اللّه ومعنى قوله فلم يقل أي: بلسانه لا أنه أبى أن يفوض إلى اللّه بل كان ثابتًا في قلبه لكنه نسي أن يجريه على لسانه.

(**وَلَمْ تَحْمِلْ**) وزاد فِي رِوَايَةِ فطاف بهن وفي رواية ابن عيينة فطاف بهن.

(**شَيْئًا إِلا وَاحِدًا، سَاقِطًا**) أَحَدُ شِقَّيْهِ ويروى: (**إِحْدَى شِقَّيْهِ**).

وفي رواية شعيب: فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل.

وفي رواية أيوب عن ابن سيرين: ولدت شق غلام وفي رواية هشام عنه نصف إنسان وهي رواية معمر حكى النقاش في تفسيره أن الشق المذكور هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وقد تقدم قول غير واحد من المفسرين أن المراد بالجسد المذكور شيطان قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وهو المعتمد.

(**فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ قَالَهَا**) سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إن شاء اللّه.

(**لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) وفي رواية شعيب لو قَالَ إن شاء اللّه وزاد في آخره فرسانًا أجمعون.

وفي رواية ابن سيرين: لو استثنى لحملت كل امرأة منهن فولدت فارسًا يقاتل في سبيل اللَّه.

وفي رواية طاوس: لو قَالَ إن شاء اللّه لم يحنث وكان دركًا لحاجته كذا عند المصنف من رواية هشام بن حجير وعن مسلم مثله من رواية معمر وعن المصنف من طريق معمر وكان أرجى لحاجته.

وقوله: دركًا كالفتحتين من الإدراك وهو كقوله تَعَالَى: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ [طه: 77] أي: لحاقًا والمراد أنه كان يحصل له ما طلب ولا يلزم من إخباره ﷺ بذلك في حق سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه القصة أن يقع ذلك لكل من استثنى في أمنيته بل في الاستثناء رجاء الوقوع وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع واللّه تَعَالَى أعلم.

وفي الحديث: قصد فعل الخير وتعاطي أسبابه وأن كثيرًا من المباح والملاذ يصير مستحبًّا بالنية والقصد.

وفيه: استحباب الاستثناء لمن قَالَ سأفعل كذا وأن إتباع المشيئة اليمين يرفع حكمها وهو متفق عليه بشرط الاتصال وسيأتي بيان ذلك في الأيمان والنذور إن شاء اللّه تَعَالَى.

وقد استدل بهذا الحديث من قَالَ إن الاستثناء: «**إذا عقب اليمين ولو تخلل بينهما شيء يسير لا يضر**» فإن الحديث دل على أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لو قَالَ إن شاء اللّه عقب قول الملك له قل إن شاء اللّه لأفاد مع التخلل بين كلاميه بمقدار كلام الملك.

وأجاب الْقُرْطُبِيّ باحتمال أن يكون الملك قَالَ ذلك في أثناء كلام سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو احتمال ممكن وإن كان بعيدًا فسقط به الاستدلال المذكور.

وفيه: أن الاستثناء لا يكون إلا باللفظ ولا يكفي فيه النية وهو اتفاق إلا ما حكي عن بعض المالكية.

وفيه: ما خص به الْأَنْبِيَاء من القوة على الجماع الدال على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم وقد وقع

للنبي ﷺ من ذلك أبلغ المعجزة لأنه مع اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق وكان مقللًا من المأكل والمشارب وهو مقتض لضعف البدن على كثرة الجماع مع ذلك كان يطوف على نسائه في ليلة بغسل واحد وهن إحدى عشرة امرأة وقد تقدم في كتاب الغسل ويقال إن كل من كان أتقى لله فشهوته أشد لأن الذي لا يتقي يتفرح بالنظر ونحوه.

وفيه: جواز الإخبار عن الشيء ووقوعه في المستقبل بناء على غلبة الظن فإن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ جزم بما قَالَ ولم يكن ذلك عن وحي وإلا لوقع كذا قيل.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: لا يظن بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قطع بذلك على ربه إلا من جهل حال الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأدبهم مع اللّه تَعَالَى.

وَقَالَ ابن الجوزي: فإن قيل من أين لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يخلق من مائة هذا العدد في ليلة لا جائز أن يكون بوحي لأنه ما وقع ولا جائز أن يكون الأمر في ذلك إليه لأن الإرادة لله تَعَالَى والجواب أنه من جنس التمني على اللّه والسؤال له أن يفعل والقسم عليه كقول أنس بن النضر واللّه لا تكسر ثنيتهما.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: يحتمل أن يكون أوحى إليه بذلك مقيدًا بشرط الاستثناء فنسي الاستثناء فلم يقع ذلك لفقدان الشرط ومن ثمة ساغ له أولًا أن يحلف وأبعد من استدل له على جواز الحلف على غلبة الظن.

وفيه: جواز السهو على الْأَنْبِيَاء عليهم والسلام وأن ذلك لا يقدح في علو منصبهم.

وفيه: جواز إضمار المقسم به اليمين لقوله لأطوفن مع قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يحنث فدل على أن اسم اللّه فيه مقدر فإن قَالَ أحد بجواز ذلك فالحديث حجة له بناء على أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا ورد تقريره على لسان الشارع وإن وقع الاتفاق على عدم الجواز فيحتاج إلى تأويله كأن يقال التلفظ باسم اللّه وقع في الأصل وإن لم يقع في الحكاية وذلك ليس بممتنع فإن من قَالَ واللّه لأطوفن قَالَ لأطوفن لأن اللافظ بالمركب لافظ بالمفرد وفيه حجة لمن قَالَ لا يشترط التصريح بمقسم به معين فمن قَالَ أحلف أو أشهد أو نحو ذلك فهو يمين وهو

قَالَ شُعَيْبٌ وَابْنُ أَبِي الزِّنَادِ: «تِسْعِينَ» وَهُوَ أَصَحُّ.

3425 - حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: «ثُمَّ المَسْجِدُ الأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ»[1].

قول الحنفية وقيده المالكية بالنية وقالت الشافعية ليست بيمين مُطْلَقًا.

وفيه: جواز استعمال لو ولولا وسيأتي الكلام عليه في باب مفرد عقد له المصنف في أواخر الكتاب إن شاء اللّه تَعَالَى

وفيه: استعمال الكناية في اللفظ الذي يستقبح ذكره لقوله لأطوفن بدل قوله لأجامعن.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(قَالَ شُعَيْبٌ) هو شعيب بن أَبِي حمزة الحمصي، (وَابْنُ أَبِي الزِّنَادِ) هو عبد الرحمن بن عَبْد اللّه بن ذكوان قَالَ كلاهما في روايتهما.

(تِسْعِينَ) بدل سبعين على ما سيأتي في الأيمان والنذور.

(وَهُوَ أَصَحُّ) قَالَ الْبُخَارِيّ: وهو أصح أي: ما رواه من تسعين أصح من رواية سبعين.

(حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا أَبِي) قَالَ: (أَخْبَرَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ) هو يزيد بن شريك، (عَنْ أَبِي ذَرٍّ) الغفاري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟، قَالَ: «ثُمَّ المَسْجِدُ الأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ) أي: سنة كما وقع كذلك في باب قول اللّه تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125] والمطلق محمول على المقيد.

(ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ) وفيه: إشارة

---

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بثلاثة أحكام:

إلى المحافظة على الصلاة في أول وقتها ويتضمن ذلك الندب إلى معرفة الأوقات.

وفيه: إشارة إلى أن أفضل مكان العبادة إذا لم يحصل لا يترك المأمور به لفواته بل يفعل المأمور به في المفضول لأنه ﷺ كأنه فهم من أَبِي ذَرٍّ تخصيصه السؤال عن أول مسجد وضع أنه يريد تخصيص صلاته فيه فنبهه على أن إيقاع

=

الواحد منها: أن المسجد الحرام أول مسجد وضع للصلاة.

والثاني: أن المسجد الأقصى وضع بعده وبينهما أربعون.

والثالث: جعلت الأرض لنا مسجدًا وطهورًا وحيث ما أدركتنا الصلاة نصلي.

والكلام عليه من وجوه:

منها: الدليل على فضل سيدنا ﷺ وأمته على من تقدم يؤخذ ذلك من تيسير العبادة عليهم بأن جعلت لهم الأرض مسجدًا وطهورًا ولم يكن ذلك لمن تقدم.

ومنها: أن يقال ما معنى قوله مسجدًا أي: موضع إيقاع الصلاة لأن كل موضع يصلي فيه فهو مسجد أي: موضع السجود وكانت لأمم قبل لا يفعلون الصلاة إلا في المواضع التي بينت لها.

وفيه: دليل على أن تخصيص الأشياء ليست بالاستحقاق وإنما هي بحسب ما جرت حكمة الحكيم يؤخذ ذلك من أن الصلاة قبل هذه الأمة لم يكونوا يوقعونها إلا في مواضع مخصوصة وجعلت جميع الأرض لهذه الأمة محلًّا لفعلها فيه.

وفيه: دليل على أن حسن النية في السؤال تعقب زيادة خير على ما قصده يؤخذ ذلك من كون هذا الصحابي رضي اللّه عنه لما سأل سيدنا ﷺ أن يخبره عن أول مسجد وضع أولًا فزاده عليه الصلاة والسلام بأن أخبره بهذا الخبر العظيم وهو جعل الأرض لنا مسجدًا وطهورًا.

وفيه: دليل على أن للعالم أن يجاوب بأكثر مما سئل عنه يؤخذ ذلك من كون السائل سأل عن أي: المساجد وضع أولًا فجاوبه ﷺ على ذلك وزاده الإخبار بجعل الأرض مسجدًا وطهورًا.

وفيه: دليل على أن فصيح الكلام الاختصار في الألفاظ بشرط أن لا يخل بالمعنى يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**ثم حيث ما أدركتك الصلاة فصلّ**» والمقصود حيث ما أدركك وقت الصلاة فإن الصلاة فعل للمصلي فكيف يدركه فعله هذا مستحيل فلما لم يكن هذا الأمر يمكن فيه الناس اختصره ولعلمه أيضًا بأن المخاطب فهم عنه وإلا كان يزيده فيه بيانًا.

وفيه: دليل على المحافظة على أوقات الصلوات يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**حيث ما أدركتك الصلاة فصل**» أي: لا تؤخرها فيدل هذا بضمنه على المحافظة على الصلاة ويدل أيضًا على التخصيص على المعرفة بأوقات الصلوات لأنه من اللازم لأنه لا يعلم وقتها حتى يكون له بذلك علم.

وفيه: دليل على ما خص اللّه عز وجل به سيدنا ﷺ من الفصاحة يؤخذ ذلك من كون لفظة منه عليه السلام تحتوي على أحكام عديدة مثل ما نحن بسبيله من هذا الحديث.

3426 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الفَرَاشُ ....

الصلاة إذا حضرت لا يتوقف على المكان الأفضل.

وفيه: فضيلة الأمة المحمدية لما ذكر أن الأمم قبلهم كانوا لا يصلون إلا في مكان مخصوص وقد تقدم التنبيه عليه في كتاب التيمم.

وفيه: الزيادة على السؤال في الجواب لا سيما إذا كان للسائل في ذلك مزيد فائدة والحديث قد مضى في باب قول اللّه تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

ومطابقته للترجمة من حيث أن الذي بنى المسجد الأقصى هو سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ**) الحكم بن نافع قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ**) عَبْد اللّه بن ذكوان، (**عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ**) الأعرج هو ابن هرمز.

(**حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ**) بفتح الميم أي: صفتي وحالي وشأني في دعائهم إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما زينت لهم أنفسهم من التمادي على الباطل (**كَمَثَلِ رَجُلٍ**) إلى آخره والمراد تمثيل الجملة بالجملة لا تمثيل فرد بفرد والمراد من ضرب المثل الزيادة في الكشف والتنبيه للبيان.

(**اسْتَوْقَدَ نَارًا**) أي: أوقد نارًا ويؤيده ما وقع فِي رِوَايَةِ مسلم وأحمد من حديث جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا وزاد أحمد ومسلم من رواية همام عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ فلما أضاءت ما حوله وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وزيادة السين والتاء للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى في تحصيل آلاتها هذا والنار جوهر لطيف مضيء محرق حار والنور ضوؤها.

(**فَجَعَلَ الفَرَاشُ**) بفتح الفاء وتخفيف الراء وبالشين المعجمة جمع الفراشة وهي التي تطير وتتهافت في السراج.

وَهَذِهِ الدَّوَابُّ تَقَعُ فِي النَّارِ».

وَقَالَ الخليل: يطير كالبعوض.

وقيل: هو كصغار البق.

وَقَالَ الْفَرَّاء: هو غوغاء الجراد الذي ينفرش ويكثر ويتراكم ويتهافت في النار.

وَقَالَ في المحكم: الفراش دواب مثل البعوض واحدتها فراشة.

وشبه اللّه تعالى الناس في الحشر بالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والإسراع إلى الداعي.

(**وَهَذِهِ الدَّوَابُّ**) عطف على الفراش وهو جمع دابة وأراد بها هنا البرغش والبعوض والجندب ووقع في حديث جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فجعل الجنابد والفراش والجنابد جمع جنبد وهو على القلب والمعروف جمع جندب بفتح الدال وضمها والجيم مضمومة وقد تكسر وهو على خلقة الجرادة يصرُّ في الليل صرًّا شديدًا.

وقيل: أن ذكر الجراد يسمى أَيْضًا الجندب.

(**تَقَعُ فِي النَّارِ**) وتمام الحديث على ما أورده الحُمَيْدِيّ في الجمع يقعن في النار فجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها وقوله تقع في النار كذا في هذه الرواية وإنما هو في نسخة شعيب كما أَخْرَجَهُ أَبُو نعيم في المستخرج وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها.

ثم قوله تقع في النار خبر جعل لأنه من أفعال المقاربة.

وَقَالَ النووي: مقصود الحديث أنه ﷺ شبه المخالفين له بالفراش وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه.

وَقَالَ القاضي أَبُو بكر ابن العربي: هذا مثل كثير المعاني والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة وإنما يأتونه على قصد

....

المنفعة واتباع الشهوة كما أن الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء وقد قيل إنها لا تبصر بحال وهو بعيد وإنما قيل إنها تكون في ظلمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنه كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر وقيل إن ذلك لضعف بصرها فيظن أنها في بيت مظلم وأن السراج مثلًا كوة فترمي نفسها إليه وهي من شدة طيرانها تجاوزه فتقع في الظلمة فترجع إلى أن تحترق وقيل إنها تتضرر بشدة النور فتقصد إطفاءها فلشدة جهلها تورط نفسها فيما لا قدرة لها عليه ذكر مغلطاي أنه سمع بعض مشايخ الطب يقوله.

وَقَالَ الإمام الغزالي: التمثيل وقع على صورة الإكباب على الشهوات من الإنسان بإكباب الفراش على التهافت في النار ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش لأنها باغترارها بظاهر الضوء إذا احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبدًا والله المستعان.

تنبيه:

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ لم أر هذا الحديث تامًّا في صحيح الْبُخَارِيّ وقد أورده الحُمَيْدِيّ في الجمع من طرق شعيب هذه وساق المتن بتمامه وَقَالَ إنه لفظ الْبُخَارِيّ وأن مسلمًا أَخْرَجَهُ من طريق مغيرة وسفيان عن أَبِي الزناد به ومن طريق همام عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وكذلك أطلق المزي أن الْبُخَارِيّ أَخْرَجَهُ في أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء فإن كان عنى هذا الموضع فليس هو فيه بتمامه وإن كان عنى موضعا آخر فلم أره فيه انتهى.

فإن قيل ما وجه تعلق هذا الحديث بقصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فالجواب أن المقصود ما بعده وكأن ذكر ما قبله لكونه سمع شيخه يقدمه على الأخير وسمع الإسناد في السابق دون الذي يليه فاحتاج أن يذكر شَيْئًا من لفظ الحديث الأول لأجل الإسناد.

وقد تقدم في الطهارة للمصنف مثل هذا الصنيع وكذا في الجهاد وغيره حيث ذكر في هذه المواضع أَحَادِيث وذكر قبلها طرف من حديث آخر لأجل الإسناد وفي بعض المواضع لم يفعل هذا الصنيع فلم يطرد للمصنف في ذلك عمل وكأنه حيث

3427 - **وَقَالَ**: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ،

ضم إليه شَيْئًا أراد الاحتياط وحيث لم يضم نبه على الجواز والله تَعَالَى أعلم.

(**وَقَالَ: كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا**) ليس فيه تصريح برفعه وهو مرفوع في نسخة شعيب عند الطبراني وغيره.

وفي رواية النَّسَائِيّ من طريق علي بن عياش عن شعيب حَدَّثَنِي أَبُو الزناد مما حدثه عبد الرحمن الأعرج مما ذكر أنه سمع أبا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يحدث عن رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ بينما امرأتان معهما ابناهما.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولم أقف على اسم واحدة من هاتين المرأتين ولا على اسم واحد من ابنيهما في شيء من الطرق.

(**جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا**) وفي رواية الْكُشْمِيهَنِيّ: فتحاكمتا.

وفي نسخة شعيب: فاختصما (**إِلَى دَاوُدَ**) عَلَيْهِ السَّلامُ، (**فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى**) أي: للمرأة الكبرى، (**فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ**) عليهما السلام، (**فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ**) ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم والإسماعيلي من طريق ورقاء عن أَبِي الزناد لا يرحمك الله.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: ينبغي على هذه الرواية أن يقف على لا وقفة دقيقة حتى يتبين للسامع أن ما بعده كلام مستأنف لأنه إذا وصل مما بعده يتوهم السامع أنه دعاء عليه ما أنه دعاء له.

ويزول الإيهام في مثل هذا بزيادة واو وكأن يقول لا ويرحمك الله.

قيل: وهذه الواو أحسن من واوات الإصداغ.

هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى» ....

(هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى) قيل كان ذلك على سبيل الفتيا منها لا الحكم ولذلك ساغ لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينقضه.

وتعقبه الْقُرْطُبِيّ بأن في لفظ الحديث أنه قضى وبأنهما تحاكمتا وبأن فتيا النَّبِيّ وحكمه سواء في وجوب تنفيذ ذلك.

وَقَالَ الداوودي: إنما كان منهما على سبيل المشاورة فوضح لداود صحة رأي سليمان فأمضاه.

وَقَالَ ابن الجوزي: استويا عند داود في اليد فبدا الكبرى للسن.

وتعقبه الْقُرْطُبِيّ وحكى: أنه قيل كان من شرع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحكم للكبرى قَالَ وهو فاسد لأن الكبر والصغر وصف طردي محض لا يوجب شيء من ذلك ترجيحًا لأحد المتداعيين حتى يحكم له أو عليه وكذلك الطول والقصر والسواد والبياض قَالَ وهذا مما يكاد يقطع بفساده قَالَ والذي ينبغي أن يقال إن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قضى به للكبرى بسبب اقتضى عنده ترجيح قولها إذ لا بينة لواحدة منهما وكونه لم يعين في الحديث اختصارًا لا يلزم منه عدم وقوعه فيحتمل أن يقال إن الولد الباقي في يد الكبرى وعجزت الأخرى عن إقامة البينة قَالَ وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية وليس في السياق ما يأباه ولا يمنعه فإن قيل كيف ساغ لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ نقض حكمه؟

فالجواب: أنه لم يعمد إلى نقض الحكم وإنما احتال بالحيلة اللطيفة التي أظهرت ما في نفس الأمر وذلك أنهما لما أخبرتا سليمان بالقصة فدعا بالسكين ليشقه بينهما ولم يعزم على ذلك في الباطن وإنما قصد استكشاف الأمر فحصل مقصوده بذلك لجزع الصغرى الدال على عظم الشفقة ولم يلتفت إلى إقرارها بقولها إنه ابن الكبرى لأنه علم أنها آثرت حياته فظهر له من قرينة شفقة الصغرى وعدمها في الكبرى مع ما انضاف إلى ذلك من القرينة الدالة على صدقها ما هجم به على الحكم للصغرى.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ إِلا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلا المُدْيَةَ.

ويحتمل أن يكون سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن سوغ له أن يحكم بعلمه أو يكون الكبرى في تلك الحالة اعترفت بالحق لما رأت من سليمان الجد والعزم في ذلك.

ونظير هذه القصة ما لو حكم حاكم على مدع منكر فلما مضى ليحلف حضر من استخرج من المنكر ما اقتضى إقراره بما أراد أن يحلف على جحده فإنه والحالة هذه يحكم عليه بإقراره سواء كان ذلك قبل أو بعدها ولا يكون ذلك من نقض الحكم الأول ولكن من باب تبدل الأحكام بتبدل الأسباب.

وَقَالَ ابن الجوزي: استنبط سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى الأمر محتملًا فأجاد وكلاهما حكم بالاجتهاد لأنه لو كان حكم بالنص لما ساغ لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحكم بخلافه.

ودلت هذه القصة على أن الفطنة والفهم موهبة من اللّه تَعَالَى لا تتعلق بكبر السن ولا صغره.

وفيه: أن الحق في جهة واحدة وأن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد وإن كان وجود النص ممكنا لديهم بالوحي لكن في ذلك زيادة في أجورهم ولعصمتهم من الخطأ في ذلك لا يقرون على الباطل وفيه استعمال الحيل في الأحكام لاستخراج الحقوق ولا يتأتى إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال، واللّه أعلم بحقيقة الحال.

(**قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ صورته صورة تعليق وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ إنه موصول بالإسناد السابق ووصله الإسماعيلي من طريق ورقاء عن أَبِي الزناد.

(**وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ**) بكسر الهمزة وسكون النون للنفي أي: واللّه ما سمعت (**بِالسِّكِّينِ**) أي: بلفظ السكين (**إِلا يَوْمَئِذٍ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلا المُدْيَةَ**) بضم الميم وقيل: الميم مثلثة.

قيل: السكين ذلك لأنه يقطع مدى حياة الحيوان والسكين يذكر ويؤنث.

وقيل له ذلك: لأنه يسكن حركة الحيوان.

41 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: 12] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]

41 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: 12] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]

وهذه ست آيات في سورة لقمان قَالَ اللَّه تَعَالَى: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾).

اختلف في لقمان فقيل: كان حبشيًّا.

وقيل: كان نوبيًّا والنُّوب بالضم جبل من السودان والنُّوبة بالضم بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد منها بلال الحبشي.

واختلف أَيْضًا هل كان نبيًّ؟

قَالَ السهيلي: كان نوبيًّا من أهل أيلة بالموحدة وبالراء واسم أبيه عنقا بن سدون روي ذلك عن مقاتل ويقال ابن باران حكاه السهيلي أَيْضًا عن ابن جرير والقعنبي والصحيح أنه اسم ابنه لا اسم أبيه.

وَقَالَ ابن إِسْحَاق: هو ابن باعور بن باخر بن تارخ وهو آزر أبو إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو ابن ابن أخي إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ وهب بن منبه في المبتدأ: هو لقمان بن عبقر بن مرثد بن صادق بن التوت من أهل أيلة ولد على عشر سنين خلت من أيام داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ مقاتل: إنه كان ابن أخت أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل: ابن خالته وَقَالَ ابن إِسْحَاق عاش ألف سنة وأدرك داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فَقَالَ ألا أكتفي إذا كفيت.

قد أخرج الطَّبَرِيّ وغيره عن مجاهد أنه كان قاضيًا على بني إسرائيل زمن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي المستدرك بإسناد صحيح عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: كان لقمان عند داود وهو يسرد الدرع وقد ليّن اللَّه له الحديد كالطين فجعل لقمان يتعجب ويريد أن

يسأله عن فائدته فتمنعه حكمته أن يسأل فلما أتمها لبسها وَقَالَ نعم لبوس الحرب أنت فَقَالَ الصمت حكم أي: حكمة وقليل فاعله فَقَالَ له داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بحق ما سميت حكيمًا وهذا صريح في أنه عاصر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد ذكره ابن الجوزي في التلقيح بعد إِبْرَاهِيم قبل إِسْمَاعِيل وإسحاق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والصحيح أنه كان في زمن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ورد الحافظ العسقلاني قول من قال إنه عاش ألف سنة بأنه غلط ممن قاله وكأنه اختلط عليه بلقمان بن عاد.

وأغرب الواقدي فزعم أنه كان بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ونبينا ﷺ.

وروى الثَّوْرِيّ في تفسيره عن أشعث عن عِكْرِمَة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ كان لقمان عبدا حبشيًّا نجارًا وفي مصنف ابن أَبِي شيبة عن خالد بن ثابت الربعي التابعين مثله.

وحكى أَبُو عبيد البكري في شرح الأمالي: أنه كان مولى لقوم من الأزد.

وروى الطَّبَرِيّ من طريق يَحْيَى بن سَعِيد الأَنْصَارِيّ عن سَعِيد بن المسيب: كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه اللَّه الحكمة ومنعه النبوة وحكى الثعلبي عن ابن المسيب أَيْضًا أنه كان عبدًا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين من سودان مصر ذا مشافر وكان خياطًا.

وفي الكشاف وعن مجاهد: كان عبدًا أسود غليظ الشفتين متشقف القدمين وعنه أنه قَالَ لرجل ينظر إليه إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام دقيق وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض هذا وقال وهب بن منبه وكان رجلًا صالحًا أبيض القلب وليس يصطفي اللَّه عباده على الحسن والجمال وإنما يصطفيهم على ما يعلم من غرائب أمرهم.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا كان عبدًا حبشيًّا نجارًا.

وقيل: كان خياطًا وقيل كان راعيًا.

وقيل: كان يحتطب لمولاه حزمة.

وروي: أنه كان عبدًا لقصاب.

وَقَالَ الواقدي: كان قاضيًا لبني إسرائيل وكان يسكن ببلدة أيلة ومدين.

وَقَالَ مقاتل: كان اسم أمه تارات. وروي أن رجلًا وقف عليه في مجلسه فَقَالَ ألست الذي ترعى معي في مكان كذا قَالَ بلى قَالَ ما بلغ بك ما أرى قَالَ صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقال وهب بن منبه كان لقمان يعظ الناس يومًا وهم مجتمعون عليه إذ مرّ به عظيم من عظماء بني إسرائيل فقال ما هذه الجماعة؟

قيل: هذه جماعة اجتمعت على لقمان الحكيم فأقبل إليه فقال له: ألست عبد بني فلان فقال نعم. فقال: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وتركي ما لا يعنيني فانصرفَ عنه متعجبًا.

وأكثر الأقاويل: إنه كان صالحًا حكيمًا ولم يكن نبيًّا قَالَ شعبة عن الحكم عن مجاهد كان صالحًا ولم يكن نبيًّا.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: لم يكن نبيًّا ولا ملكًا ولكن كان راعيًا أسود فرزقه اللّه العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته. وقيل كان نبيًّا أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم وابن جرير من طريق إسرائيل عن جابر عن عِكْرِمَة وجابر هذا هو الجعفي وهو ضعيف.

وقيل: كان لرجل من بني إسرائيل فأعتقه وأعطاه ما يتجر فيه.

وروى ابن أَبِي حاتم من طريق سَعِيد بن بشير عن قَتَادَة: أن لقمان خير بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة فسئل عن ذلك فَقَالَ خفت أن أضعف عن حمل أعباء النبوة وفي سَعِيد بن بشير ضعف[1].

وقد روى سَعِيد بن أَبِي عروبة عن قَتَادَة فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان: 12] قَالَ: التفقه في الدين ولم يكن نبيًّا وعن سَعِيد بن المسيب أنه قَالَ لأسود لا تحزن فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ولقمان.

قَالَ الواقدي والسدي مات بأيلة وَقَالَ قَتَادَة بالرملة واللّه تَعَالَى أعلم.

(﴿ٱلۡحِكۡمَةَ﴾) والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتناء العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها

(1) كما أنه بعيدٌ جدًّا. فإن النبوة وهبية غير مكتسبة، ولو جعله نبيًّا لأقدره على حمل أعباء النبوة.

وقيل هي العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ما زهد عبدٌ في الدنيا إلا أنبت اللّه الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا وعيوب نفسه، وإذا رأيتم أخاكم قد زهد في الدنيا فاقتربوا إليه واستمعوا منه فإنه يلقّن الحكمة ومن حكمته أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ له يومًا كيف أصبحت فَقَالَ أصبحت في يدي غيري وروي أنه أمر مولاه بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أَيْضًا فسأله عن ذلك فَقَالَ هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا.

(﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾) أن هي المفسرة أي: قلنا له اشكر لله لأن إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه اللّه سبحانه على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة اللّه والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر أو المعنى لأن الشكر للّه.

وقيل: هو بدل من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن نفعه عائد إليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ [لقمان: 12] لا يحتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ بالحمد وإن لم يحمد أو محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ﴾ قيل: كان اسم ابنه أنعم وَقَالَ الكلبي أشكم وقيل: ماثان وَقَالَ السهيلي باران بموحدة وراء مهملة وقيل: بالدال في أوله ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى أسلما ومن وقف على لا تشرك جعل باللّه قسمًا ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13] لأن التسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه البتة ظلم لا يكتنه كنهه.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ذات وهن أو تهن وهنا على وهن أي: تضعف ضعفا فوق ضعف فإنه لا يزال يتضاعف ضعفها ويتزايد لأن الحمل كلما ازداد أو عظم ازداد ثقلًا وضعفًا والجملة في موضع الحال وهو كقولك رجع عودًا على بدء بمعنى يعود أعلى بدء. ﴿وَفِصَالُهُ فِي

عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14] أو وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة. وَقَالَ صاحب الكشاف فإن قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه ويدل عليه قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233] وبه استشهد الشَّافِعِيّ على أن مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب أَبِي يُوسُف ومحمد وأما عند أَبِي حَنِيفَةَ فمدة الرضاع ثلاثون شهرًا.

وعن أَبِي حَنِيفَةَ: إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعًا وإن أكل أكلًا ضعيفًا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: 14] تفسير لوصينا أو علة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال فإن قيل قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: 14] كيف اعترض به بين المفسر والمفسر فالجواب أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة إيجابا بالتوصية بالوالدة وتذكيرًا بحقها العظيم مفردًا ومن ثمة قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ لمن قَالَ له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول حُداءه بنفسه:

أحمل أمي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله
ولا يجازي والد فعاله

﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾، فأحاسبك على شكرك وكفرك ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك تقليدا لهما.

وَقَالَ الزمخشري أراد بنفي العلم به نفيه أي: لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام كقوله تَعَالَى: ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: 42]، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15] أو مصاحبًا معروفًا حسنًا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة عما يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروة وعن النبي ﷺ حسن المصاحبة أن تطعمهما إذا جاعا وأن

تكسوهما إذا عريا ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ بالتوحيد والإخلاص في الطاعة يعني واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأمورًا لحسن مصاحبتهما في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجعك ومرجعها ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: 15] بأن أجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما.

علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما في مراعاة حق الأبوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة.

وروي أنهما نزلتا في سعد بن أَبِي وقاص رَضِيَ اللّه عَنْهُ وأمه في القصة أنها مكثت لإسلامه ثلاثًا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا أي: فتحوا فاها بعود. وروي أنه قَالَ لو كان لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت.

قَالَ القاضي: والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدًا لما فيهما من النهي عن الإشراك كأنه قَالَ وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فإنهما مع أنهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة ولا يجوز أن يستحقا في الإشراك فما ظنك بغيرهما ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان: 16] أي: أن الخصلة والهنة من الإساءة أو من الإحسان والهنة كناية عن المعاني كفلان في الأشخاص، إن تكن مثلًا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على الهاء ضمير القصة وكان تامة وثانيهما لإضافة المثقال إلى الجنة كقوله:

كما شرقت صور القناة من الدم

أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كانت مع صغرها في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو حيث كانت في العالم العلوي كمحدب السماوات أو السفلي كمقعر الأرض وفي الخطط: في ذكر الصخرة إشارة إلى معنى الخفاء، وفي السماء والأرض إشارة

إلى معنى السعة ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ يوم القيامة أي: يحضرها فيحاسب بها عاملها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ [لقمان: 16] يصل علمه إلى كل خفي ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه وعن قَتَادَة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها.

وروي أن ابن لقمان قَالَ له أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي: مغاصه يعلمها الله وفي رواية أنه قال لأبيه يا أبت إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فَقَالَ إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء.

وقيل: الصخرة هي التي تحت الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار.

وقال الكلبي: السجين الصخرة التي عليها الأرضون ويقال إن تلك الصخرة أعظم من الأرضين وهي مجوفة فيها أعمال الكفار وأرواحهم فلا يفتح لهم أبواب السماء كما أن أرواح المؤمنين في عليين وهو فوق السماء السابعة.

وقرئ في الشواذ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تكميلًا لنفسك ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ تكميلًا لغيرك ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ يجوز أن يكون عامًّا في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصًّا بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ففيه تنبيه على أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي أن يصبر على ما يصيبه في ذلك، إن كان أمره ونهيه لوجه الله تعالى فإنه قد أصابه ذلك في ذات الله تعالى.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصبر أو إلى كل ما أمر به ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17] مما عزمه الله من الأمور أي: قطعه قطع إيجاب وإلزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أي: لم يقطعه بالنية ألا ترى إلى قوله لمن لم يبيّت الصيام ومنه أن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول لبعض من تحت يده عزمت عليك إلا فعلت كذا إذا قَالَ ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من

﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ [لقمان: 18]: الإِعْرَاضُ بِالوَجْهِ.

فعله ولا مندوحة في تركه.

وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أي: مقطوعاتها ومفروضاتها يجوز أن يكون مصدرًا في معنى الفاعل أصله من عازمات الأمور من قوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مُحَمَّد: 21] كقولك جد الأمر وصدق وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورًا بها في سائر الأمم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الأديان كلها.

(﴿وَلَا تُصَعِّرْ) خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون بل أقبل على الناس بوجهك تواضعًا من الصغر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه.

وقد فسره البخاري بقوله: (**الإِعْرَاضُ بِالوَجْهِ**) يعني أن التصعير المستفاد من تصعّر هو بمعنى الإعراض بالوجه وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: 18] أي: فرحًا مصدر وقع موقع الحال أو تمرح مرحًا أو لأجل المرح وهو البطر والأشر والكل لمعنى واحد وهو شدة الفرح والنشاط وأن يعجب بنفسه أي: لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي ونحوه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا﴾ [الأنفال: 47] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18] علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحًا لتوافق رؤوس الآي ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: 19] واعدل وتوسط فيه حتى يكون مشيًا بين مشيتين لا تدب دبيب المتماوت الذي يرى أنه ميت ولا تثب وثيب الشطار قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**» وأما قول عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا كان إذا مشى أسرع فإنما أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت.

وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية أي: سدد في

مشيك ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ وأنقص منه وأقصر من قولك فلان يغض عن فلان إذا وضع عنه ويقال واخفض من صوتك ومن صلة يعني لا تكن صيّتًا شديد الكلام ورفع الصوت في غير الأذان غير مندوب، فإن المندوب في غيره هو الاقتصاد كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، وقد روى أن أبا بكر رضي اللّه عنه كان يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي، وعمر رضي اللّه عنه كان يجهر ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فلما نزلت أمر رسول اللّه ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلًا، وعمر رضي اللّه عنهما أن يخفض قليلًا ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أي: أوحشها من قولك ﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19].

والحمار: مثل في الذم البليغ والشتيمة لا سيما نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردًا أو تفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الأذنين كما يكنى عن الأشياء المستقذرة وقد عد في مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروة ففي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهيق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وَأَخْرَجَهُ مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرًا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين. وإفراط في التثبيط والمنع عن رفع الصوت.

وتنبيه: أنه من كراهة اللّه بمكان فإن قيل لم وحد صوت ولم يجمع فالجواب أن ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب إفراده أو لأنه مصدر في الأصل وأما جمع الحمير قيل إنه للتتميم والمبالغة في النكير فإن الصوت إذا توافقت عليه الحمير كان أشد في التنكير وقد يمنع كونه جمعا بناء على أن الزمخشري وغيره من المحققين لم يذهبوا إلى أنه جمع وقالوا هو بمنزلة أسماء الأجناس.

ويجوز أن يقال الجمع المعرف باللام قد يزول عنه الجمعية ويراد به الجنس وفي اختياره على الحمار مراعاة الفواصل، واللّه تَعَالَى أعلم.

3428 - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] قَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]».

3429 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

(**حَدَّثَنَا أَبُو أَبُو الوَلِيدِ**) هشام بن عبد الملك قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ**) النخعي، (**عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه (**قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ**) آية (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟[1] إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾) وتمام الآية ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

(**قَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَنَزَلَتْ**) آية (﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾) يعني أن الظلم المذكور في الآية المذكورة هو الشرك وإن كان الظلم لفظًا عامًّا للشرك وغيره بقرينة قوله تَعَالَى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ والحديث قد مضى في كتاب الإيمان في باب ظلم دون ظلم ومر الكلام فيه هناك.

(**حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ**) هو ابن راهويه قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن مَسْعُود (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ**: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ **شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ**) ﷺ: (**لَيْسَ ذَلِكَ**) أي: الظلم المذكور في تلك الآية (**إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ** ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾) معنى اختلاط الإيمان

---

(1) أي: لم يخلطوا.

42 ـ باب ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [يس: 13] الآيَةَ ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ [يس: 14]:

بالشرك هو أن الإيمان التصديق بالله وهو لا ينافي جعل الأصنام آلهة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يُوسُف: 106].

ويقال: المراد بالظلم في الآية الفسق، والله أعلم.

ومطابقة الحديثين للترجمة ظاهرة.

42 ـ باب ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [يس: 13] الآيَةَ

(**باب** ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾) يعني الآيات بقرينة تفسير قوله: (﴿فَعَزَّزْنَا﴾) وقوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم﴾ كما سيأتي.

قَالَ اللَّه تَعَالَى في سورة يس ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ أي: ومثل لهم من قولهم هذه الأشياء على ضرب واحد أي: مثال واحد وهو يتعدى إلى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ على حذف مضاف أي: جعل لهم مثلًا مثل أصحاب القرية أي: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول ويجوز أن يقتصر على مفعول واحد ويجعل المقدر بدلًا من الملفوظ أو بيانًا له والقرية إنطاكية على ما ذكره ابن إسحاق ووهب في المبتدأ ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة الآن لأن اللّه تعالى أخبر أنه أهلك أهلها وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن.

قاله الحافظ العسقلاني: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13] بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان وأضافه إلى نفسه فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: 14] لأنه فعل رسوله وخليفته وهما يَحْيَى ويونس قاله وهب.

وَقَالَ مقاتل: ثومان وبالوس وَقَالَ كعب صادق وصدوق وَقَالَ ابن إِسْحَاق قاروص وماروص والأول هو المشهور ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾ [يس: 14] فقوينا يقال: المطر يعزّز الأرض إذا لبّدها وشدّها وتعزّز لحم الناقة إذا سمن وقوي وقرأه أَبُو بكر مخففًا من عزه إذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن

المقصود ذكر المعزز به ﴿بِثَالِثٍ﴾ هو شمعون رأس الحواريين وهو قول ابن كثير وَقَالَ كعب اسمه شلوم وَقَالَ مقاتل سمعان وقيل بولس ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: 14] وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخًا يرعى غنيمات وهو حبيب النجار صاحب يس أي: صاحب هذه السورة فسألهما فأخبراه فَقَالَ أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فبرأ فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق وبلغ حديثهما إلى الملك وَقَالَ لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال لا أؤمن من حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فضربوهما.

وقيل: حبسا ثم بعث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شمعون فدخل متنكرًا وعاشر حاشية الملك وأصحابه حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك وأوصلوه إليه فأنس به فَقَالَ له ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قَالَ لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فَقَالَ شمعون من أرسلكما قالا اللّه الذي خلق كل شيء وليس له شريك فَقَالَ صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قَالَ وما آتاكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا اللّه حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقيته فصارتا مقلتين ينظر بهما فَقَالَ له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف فَقَالَ ليس لي عنك سر إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قَالَ إن قدر إلهك على إحياء ميت آمنًا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فدعوا فقام وَقَالَ إني دخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وَقَالَ فتحت أبواب السماء فرأيت شابًّا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قَالَ الملك ومن هم قَالَ شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي إعمال ما بإلا ﴿وَمَآ

أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ [يس: 15] وحي ورسالة ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15] في دعوى رسالته ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس: 16] استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وزادوا اللام المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: 17] الظاهر البين المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فإنه لا يحسن إلا ببينة وإلا فلو قَالَ المدعِي والله إني لصادق فيما أدعي ولم يحضر البينة كان قبيحًا ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: 18] تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه إذ من عادة الجهال أن يتعينوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ وعن مشركي مكة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾.

وقيل: حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قَتَادَة إن أصابنا شيء كان من أجلكم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ [يس: 18] عن مقالتكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس: 18]. ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهي سوء عقيدتهم وأعمالهم.

وقرئ طيركم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بألف بين همزتين وبفتح أن والمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم.

وقرئ أن وإن بغير استفهام بمعنى الإخبار أي: طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ لأنه إذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس 19] أي: قوم عادتكم الإسراف في العصيان فمن ثمة جاءكم الشؤم لا من قبل رَسُول الله وتذكيره أو بل أنتم قوم مسرفون في الضلال متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب البركة ويجب الإكرام له ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: 20].

هو حبيب بن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول اللّه ﷺ وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره.

وقيل: كان في غار يعبد اللّه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا أو أنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه.

وقيل: توطؤوه بأرجلهم حتى خرج قصبه أي: أمعاؤه من دبره.

وقيل: رجموه وهو يقول اللّهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما قتل غضب اللّه عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعن رَسُول اللّه ﷺ سُبَّاقُ الأمة ثلاثة لم يكفروا باللّه طرفة عين علي بن أَبِي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون. قَالَ: أي: حبيب النجار: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ [يس: 20، 21] على النصح وتبليغ الرسالة ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: 21] إلى خير الدارين وهذه كلمة جامعة في الترغيب أي: لا تخسرون معهم شَيْئًا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا والآخرة. ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل فِي إمحاض النصح حيث لا يريد إلا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكان قوله ما لكم لا تعبدون الذي فطركم إذ المراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قَالَ: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: 22] مبالغة في التهديد ولم يقل وإليه أرجع ثم عاد إلى المساق الأول فَقَالَ: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ لا ينفعني شفاعتهم ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: 23] بالنصر والمظاهرة ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ [يس: 24].

فإن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرًّا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال مبين لا يخفى على عاقل ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥﴾ [يس: 25] أي: فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه وهو على ما أشير إليه أن العبادة لا تصح إلا لمن

منه مبدؤكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا وتؤثروا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز.

وقيل الخطاب للرسل فإنه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فَقَالَ إني آمنت بربكم فاسمعوني أي: فاسمعوا إيماني تشهدوا لي به ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ [يس: 26].

قيل له ذلك لما قتل بشرى بأنه من أهل الجنة أو إكرامًا وإذ نافى دخولها كسائر الشهداء قَالَ قَتَادَة أدخله اللّه الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تَعَالَى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: 169، 170] وعن الحسن لما هموا بقتله رفعه اللّه إلى الجنة وقوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ [يس: 26] خارج مخرج الاستئناف لأن هذا من مظانّ السؤال عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قَالَ كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلومًا وكذلك قوله: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: 26، 27].

جواب مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك القول العظيم له وإنما تمنى على قومه بحاله ليكون علمهم بها سببًا في اكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلها إلى الجنة. وفي حديث مرفوع نصح قومه حيًّا وميتًا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه ألا يرى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام وهذا هو دأب أولياء اللّه تَعَالَى ويجوز أن يتمنى ذلك

ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزًا ولم تعقبه إلا سعادة لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه وما خبرية ومصدرية والباء صلة يعلمون واستفهامية جاءت على الأصل والباء صلة غفر أي: بأي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلا أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزًا ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد إهلاكه على رأي الجمهور أو رفعه على قول الحسن ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لإهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق والمعنى أن اللّه كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندًا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق وفيه استحقار لهلاكهم وإيماء بتعظيم الرسول ﷺ ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يس: 28] وما صح في حكمنا أن ننزل جندًا لإهلاك قومه إذ قدرنا لكل شيء سببًا وجعلنا ذلك أي: إنزال الجند من السماء سببًا لانتصارك من قومك.

وَقَالَ الزمخشري وهو تفصيل ما ذكرنا آنفًا قَالَ فإن قلت ما معنى قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ قلت معناه وما كان يصح في حكمنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جندًا من السماء وذلك لأن اللّه عز وجل أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا يرى إلى قوله: «فمنهم من أرسلنا عليهم حاصبًا ومنهم أغرقنا» فإن قلت فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قَالَ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قلت إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن اللّه فضل محمدًا ﷺ بكل شيء على كبار الأَنْبِيَاء وأولي العزم من الرسل فضلًا على حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحدًا فمن ذلك أنه أنزل جنودًا من السماء، وكأنه أشار بقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ و﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعل بغيرك انتهى.

وقيل: ما موصولة معطوفة على جند أي: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ على من قبلهم

قَالَ مُجَاهِدٌ: شَدَّدْنَا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿طَٰٓئِرُكُم﴾ [يس: 19] مَصَائِبُكُمْ.

من حجارة وريح وأمطار شديدة ﴿إِن كَانَتْ﴾ أي: ما كانت الآخذة أو العقوبة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح بها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقرأ أَبُو جعفر بالرفع على أن كان تامة أي: ما وقعت إلا صيحة واحدة وقرأ ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ إلا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: 29] ميتون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادًا وفيه رمز إلى أن الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قَالَ لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا إذ هو ساطع

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعاليْ يا حسرة فهذه من الأحوال التي من حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: 30] أي: حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين. ويجوز أن يكون من اللّه عز وجل على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومنحوها به وفرط إنكاره له وتعجيبه منه. ونصبها لكونها شبه المضاف بالجار المتعلق بها وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول ويا حسرة على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف.

(قَالَ مُجَاهِدٌ) ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ **(شَدَّدْنَا)** أشار به إلى تفسير قوله: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ وحكي عن مجاهد أنه قَالَ معناه شددنا يعني قوينا الرسولين الأولين برسول ثالث وعلى يده كان الخلاص وقول مجاهد هذا وصله الفريابي من طريق ابن نجيح عنه.

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: (﴿طَٰٓئِرُكُم﴾ **مَصَائِبُكُمْ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ وفسره بقوله مصائبكم وقول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا هذا وصله ابن أَبِي من طريق علي بن أَبِي طلحة عنه ولم يذكر المصنف في هذا الباب حديثًا مَرْفُوعًا.

وقد روى الطبراني من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا السبّق ثلاثة يوشع إلى مُوسَى وصاحب يس إلى عيسى وعليٌّ إلى مُحَمَّد صلوات اللّه

43 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ **[مريم: 2، 7]**

وسلامه على نبينا وعليهما وفي إسناده حسين بن حسن الأشقر وهو ضعيف فإن ثبت دل على أن القصة كانت في زمن عيسى أو بعده وصنيع المصنف يقتضي أنها قبل عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ.

وروى ابن أَبِي إِسْحَاق عن أَبِي طوالة عن كعب الأحبار أن اسم صاحب يس حبيب وروى الثَّوْرِيّ في تفسيره عن عاصم عن أَبِي مجلز قَالَ كان اسمه حبيب بن مري وعن شبيب بن بشر عن عِكْرِمَة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا هو حبيب النجار. وعن السُّدِّيّ كان قصارًا وقيل كان إسكافيًّا.

43 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 2، 7]

قَوْلُهُ: (﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾) إِلَى قَوْلِهِ أي: اقرأ إلى قوله: ﴿سَمِيًّا﴾: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: 1].

فيه وجوه شتى وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: معناه بسم اللّه الكافي الهادي المبسوط اليد بالرزق العالم الصادق في وعده ووعيده.

وقيل: هو قسم أقسم اللّه تَعَالَى وهو اسم من أسمائه الحسنى.

وقيل: هو اسم السورة وقيل غير ذلك ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: 2] خبر ما قبله أن أول بالسورة أو القرآن فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي: هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره أي: فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي أي: هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وهي قراءة الحسن.

وقرئ ذكر على الأمر ﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بدل منه أو عطف بيان له (﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾) [مريم: 3].

راعى سنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أبان الكبر والشيخوخة أو أسره من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشَّيْخ صوته خفات وسمعه تارات، أي: تارة يسمع وتارة لا يسمع واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون. وقيل سبعون. وقيل خمس وسبعون. وقيل خمس وثمانون.

وقيل: تسع وتسعون ولامرأته ثمانٍ وتسعون.

(﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾) [مريم: 4] تفسير للنداء والوهن الضعف قرئ وهن بالحركات الثلاث ونظيره كمل في الحركات الثلاث وتخصيص العظم بالذكر لأنه عمود البدن ودعامته وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما يتركب منه الجسم قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدًا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها (﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾) شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كلَّ مأخذ باشتعال النار ثم أَخْرَجَهُ مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس مبالغة وأخرج الشيب مميزًا إيضاحًا للمقصود ولم يضف الرأس ولم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ فمن ثمة فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4] أي: بدعائي إياك خائبًا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف له معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعو له وإن لم يكن معتادًا فإجابته معتادة وأنه تَعَالَى عوده بالإجابة وأطمعه فيها ومن

حق الكريم أن لا يخيب من أطعمه قال الشاعر:

لقد أحسن اللّه فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي

وعن بعضهم أن محتاجًا سأله فَقَالَ أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا فَقَالَ مرحبا بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته قَالَ الشاعر:

أيا جود معن ناج معنًا بحاجتي وما لي إلى معن سواك دليل

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ وهم الذين يلونه في النسب والمراد بنو عمه والعصبة وكانوا شرار بني إسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحًا يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مر اسمه فيه ﴿مِن وَرَآءِى﴾ من بعدي وهو لا يتعلق بخفت لفساد المعنى لأن الخوف ثابت له في الحال إلا بعد موته ولكن بمحذوف وهو المضاف أي: خفت فعل الموالي من بعد موتي أو بمعنى الولاية في الموالي أي: خفت الذين يلون الأمر من بعد موتي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين ﴿خِفَّتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ وهذا على معنيين؛ أحدهما: أن يكون ورائي بمعنى خلفي فيتعلق الظرف بالموالي أي: قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني: أن يكون بمعنى قدامى فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا أي: مضوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد واللّه تَعَالَى أعلم ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ فإن مثله لا يرجى إلا من فضلك وكمال قدرتك فإني وامرأتي لا نصلح للولادة وَقَالَ صاحب الكشاف هو تأكيد لكونه وليًّا مرضيًّا بكونه مضافًا إلى اللّه وصادرًا من عنده وإلا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5] يرثني كافٍ ﴿وَلِيًّا﴾ من صلبي أي: ولدًا صالحًا يحمل أمر الدين بعدي ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 6]. صفتان له وجزمهما أَبُو عمر والكسائي على أنهما جواب الدعاء والمراد وراثة النبوة والشرع والعلم فإن الْأَنْبِيَاء لا يورثون المال.

وقيل: يرثني الحبورة فإنه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب ابن إِسْحَاق عليهما السلام وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما فأجابه اللّه إلى وراثة

العلم دون الملك فكلمة من للتبعيض لا للتعدية لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء.

وقيل: للتعدية ويعقوب هذا هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا.

وقيل: يعقوب هذا وعمران أَبُو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام.

وقد اختلف في نسب زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقيل: هو زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق بن نخشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن تاحور بن شلوم بن بهفاشاط بن أساس أفيا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام كذا ذكره الثعلبي.

وَقَالَ ابن عساكر في تاريخه: زكريا برخيا ويقال زكريا آذن ويقال زكريا بن ماثان. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**كان زكريا نجارًا**» انفرد بإخراجه مسلم ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: 6] مرضيًّا ترضاه قولًا وعملًا ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ جواب لندائه ووعدنا بإجابته وإنما تولى تسميته تشريفًا له (﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾) [مريم: 7] لم نسم أحدًا بيحيى قبله وهذا شاهد على أن الأسامي الشنع الغريبة جديرة بالأثرة وفي مثل هذه التسمية تنويه للمسمى وكانت العرب تنتحي في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قَالَ أَبُو نواس في مدح قوم:

شنع الأسامي مسبلي أُزُرْ حمر تمسّ الأرض بالهدب

وقيل: مثلًا وشبيهًا عن مجاهد كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ وإنما قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكلّ واحدٌ منهما سمي لصاحبه وقد فسره به الْبُخَارِيّ رواية عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كما سيجيء.

ونحو يَحْيَى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت أَيْضًا وهو يموت بن المزرع من المحدثين وقيل سمي به لأن اللّه أحيى عقر أمه فحيي به رحمها وكذا روى عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

وَقَالَ قَتَادَة: لأن اللّه تَعَالَى أحيى قلبه بالإيمان والنبوة وقيل أحياه بالطاعة حتى لم يعص أصلًا ولم يهم بمعصية وأما كونه لا مثل له فقيل لأنه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وأنه كان حصورًا، أي: مبالغًا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي.

وَقَالَ القاضي: الأظهر أنه أعجمي.

وَقَالَ الزمخشري: إن كان يَحْيَى أعجميًّا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيًّا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر واسم أم يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إيشاع بنت فاقوزا أخت حنة أم مريم كما سيأتي إن شاء اللّه تعالى. وَقَالَ ابن إِسْحَاق كان زكريا وابنه يَحْيَى عليهما السلام آخر من بعث في بني إسرائيل قبل عيسى عليه السلام من أنبيائهم. ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى[1] غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ [مريم: 8] أي: جساوة ويبسًا في المفاصل والعظام كالعود القاحل اليابس يقال عتا العود وعسا وقوله: ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾ أي: من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيًّا والمعنى كانت امرأتي على صفة العقر حين أنا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أفحين اختل السببان جميعًا أُرزَقه فإن قيل لم أطلب أولًا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما أسعف بطلبته استبعده واستعجب؟

فالجواب: أن ذلك ليجاب بما أجيب فيزداد المؤمن إيقانًا ويرتدع المبطلون وإلا فمعتقد زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ أولًا وآخرًا كان على منهاج واحد في أن اللّه غني عن الأسباب وأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة وقراءة حمزة والكسائي العين من غير إتباع ﴿قَالَ﴾ أي: اللّه أو الملك المبلغ للبشارة تصديقًا له ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف رفع أي: الأمر كذلك ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أو نصب يقال وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: 9]. ونحوه ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ويؤيد الأول قراءة الحسن وهو

(1) أي: من أين يكون.

علي هين أي: الأمر كما قلت وهو على ذلك يهون عليّ بأن أرد عليك قوتك حتى تقوم للجماع وأفتق رحم امرأتك أو كما وعدت وهو عليَّ هين لا أحتاج فيما أريد أن أفعله إلى الأسباب ومفعول قَالَ الثاني محذوف ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: أوجدتك من قبل يَحْيَى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: 9] بل كنت معدومًا صرف وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشيء أو شَيْئًا يعتد به فافهم ﴿قَالَ﴾ أي: زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرتني به من الحبل وحصول العلوق، وذلك لا يظهر في أول الأمر، وإنما طلب ذلك لثلاث فوائد: المسرة، والبشاشة بوصول العطية المبشر بها، وازدياد العبادة شكرًا لله تعالى على إنعامه، وزوال مشقة الانتظار إلى ظهور أمارات العلوق وعلائمه ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: 10] نصب على الحال من الضمير في تكلم أي: قَالَ علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سوي الخلق سليم الجوارح ما بك من خرس ولا بكم وإنما ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن.

وقيل: الحكمة في المنع عن الكلام في هذه الأيام هو التأديب من الله تعالى لتعجبه من كينونة الولد في كبره وعقر امرأته وتنبيه له من الله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من المصلى أو من الغرفة كان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذا خرج عليهم متغير اللون فأنكروه فقالوا له يا زكريا ما لك؟ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي: فأوحى أي: أشار بيده ورأسه قاله مجاهد ويشهد له إلا رمزًا وعن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما كتب لهم على الأرض وقيل كتب إليهم في كتاب ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ أي: صلوا أو نزهوا ربكم ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11] وأن هي المفسرة وروي أن هذا كان في صبيحة الليلة التي حملت امرأته والمراد طرف النهار ولعله كان مأمورا بأن يسبح ويأمر قومه بأن يوافقوه ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ على تقدير القول أي: فوهب له يحيى وقال له يا يَحْيَى ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد وكان مأمورًا بالتمسك بالتوراة والفقه في الدين.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِثْلًا، يُقَالُ: ﴿رَضِيًّا﴾ مَرْضِيًّا، ....

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]، أي: الحكم وفهم التوراة روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا.

وقيل: دعاه الصبيان إلى اللعب فقَالَ ما للعب خلقنا روي عن الضحاك.

وَقَالَ معمر: الحكم العقل.

وقيل: النبوة لأن اللّه أحكم عقله في صباه واستنباه وأوحى إليه. وهو ابن سبع سنين كما روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا عن النَّبِيّ ﷺ. وعن قَتَادَة ومقاتل ثلاث سنين وكان ذلك معجزة له.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قَالَ الزجاج وآتيناه حنانًا أي: رحمة منا عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل: من حنان كما قيل: رحيم على الاستعارة أو رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفًا وشفقة في قلبه ﴿وَزَكَوٰةً﴾ وطهارة من الذنوب أو صدقة أي: تصدق اللّه به على أبويه أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس أي: يتعطف ويتصدق عليهم وقيل: زيادة في الخير على ما وصف وقيل: عملًا صالحًا ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 13] مخلصًا مطيعًا متجنبًا عن المعاصي ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: وبارًّا بهما لطيفًا محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ [مريم: 14] متكبرا ﴿عَصِيًّا﴾ عاقًّا أو عاصيًا لربه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: 15] أي: وسلام من اللّه عليه يوم ولد من أن يناله الشيطان بما ينال بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيًّا من عذاب النار وهول القيامة سلام من اللّه عليه في هذه الأحوال قَالَ ابن عيينة إنها أوحش المواطن.

(**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**): مِثْل أي: قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65] مثلًا وصله ابن أَبِي حاتم من طريق علي بن أَبِي طلحة عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ قَالَ هل تعلم له (مِثْلًا) أو شبهًا ومن طريق سماك بن حرب عن عِكْرِمَة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 7] قَالَ لم يسم يَحْيَى قبله غيره أَخْرَجَهُ الحاكم في المستدرك.

(**يُقَالُ**: ﴿رَضِيًّا﴾ مَرْضِيًّا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ رَضِيًّا﴾

﴿عِتِيًّا﴾: عَصِيًّا، يَعْتُو، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [مريم: 8] - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: 10] وَيُقَالُ: صَحِيحًا، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: 11] فَأَوْحَى: فَأَشَارَ ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12] - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 15] ....

[مريم: 6] وفسره بقوله مرضيًّا حكاه الطَّبَرِيّ قَالَ مرضيًّا ترضاه أنت وعبادك.

(﴿عِتِيًّا﴾ عَصِيًّا)، عَتَا: (يَعْتُو) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8] وفسره بقوله عصيًّا وذكره بالصاد المهملة والصواب بالسين المهملة وروى الطَّبَرِيّ بإسناد صحيح عن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ ما أدري أكان رَسُول اللَّه ﷺ يقرأ عتيًّا أو عسيًّا فَقَالَ قرأ مجاهد عسيًّا بالسين.

وَقَالَ الْجوْهَرِيّ: عتا الشَّيْخ يعتو عتيا بضم العين وكسرها كبر وولى.

وَقَالَ الأصمعي: عسا الشَّيْخ يعسو عسيًّا ولى وكبر مثل عتا وَقَالَ العتو نحول العظم ويقال ملك عات إذا كان قاسي القلب غير لين وعن أَبِي عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ كل مبالغ من كبر أو كفر أو فساد فقد عتا يعتو عتوًّا وأشار به بقوله عتا يعتو إلى أنه من باب غزا يغزو.

(﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾) وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ (إِلَى قَوْلِهِ ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾) أي: اقرأ إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ وقد مر تفسير هذه الآيات.

(وَيُقَالُ: صَحِيحًا) هو إشارة إلى تفسير قوله سويًّا هو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم عنه قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ وأنت صحيح فحبس لسانه وكان لا يستطيع أن يتكلم وهو يقرأ التوراة ويسبح ولا يستطيع أن يكلم الناس وأخرج من طريق أَبِي عبد الرحمن السلمي قَالَ اعتقل لسانه من غير مرض.

(﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ فَأَوْحَى: فَأَشَارَ) هو قول مُحَمَّد بن كعب ومجاهد وغير واحد أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم عنهم.

(﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾) وقد مر تفسير

«﴿حَفِيًّا﴾ [مريم: 47]: لَطِيفًا، ﴿عَاقِرًا﴾ [مريم: 5] الذَّكَرُ وَالأُنْثَى سَوَاءٌ».

3430 - حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ، ....

هذه الآيات أَيْضًا، (﴿حَفِيًّا﴾ لَطِيفًا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ وفسره بقوله لطيفًا وهو قول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم من طريق علي أَبِي طلحة عنه وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فيه أي: محتفيًا يقال تحفيت بفلان.

(﴿عَاقِرًا﴾ الذَّكَرُ وَالأُنْثَى سَوَاءٌ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: 5] وَقَالَ الذكر والأنثى سواء.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: العاقر التي لا تلد والعاقر الذي لا يلد قَالَ عامر بن الطفيل:

لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا ... جبانا فما عذري لذي كل محضر

وَقَالَ أَيْضًا: لفظ الذكر فيه مثل لفظ الأنثى.

(حَدَّثَنَا هُدْبَةُ) بضم الهاء وسكون المهملة وبالموحدة (ابْنُ خَالِدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى) قَالَ: (حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ) بِهِ (ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا خَلَصْتُ) أي: للصعود إلى السماء الثانية ووصلت إليها، (فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ) أي: كل واحد منهما ابن خالة الآخر.

ولعل هذه القرابة هي سبب كونهما في سماء واحدة مجتمعين واسم أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مريم واسم أم يَحْيَى إيشاع أخت مريم وكان تزوجها زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان يَحْيَى وعيسى عليهما السلام ابني خالة.

قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

وقد روي أن حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند عمران بن ماثان وكانت عاقرًا عجوزًا فبينا هي في ظل شجرة إذ رأت طائرًا يطعم فرخه فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللَّهم إن لك عليَّ نذرًا شكرًا إن رزقتني ولدًا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم ومات عمران وهي حامل وكان هذا النذر مشروعًا عندهم في الغلمان فلعلها بنت الأمر على التقدير أو طلبت ذكرًا.

وروى ابن أَبِي حاتم من طريق عبد الرحمن بن القاسم: سمعت مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّه يقول بلغني أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا كان حملهما معًا فبلغني أن أم يَحْيَى قالت لمريم إني أرى في بطني يسجد لما في بطنك قَالَ مالك أراه لفضل عيسى على يَحْيَى عليهما السلام.

قَالَ ابن إِسْحَاق: أراد بنو إسرائيل قتل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ففر منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها فالتأمت عليه فأخذ الشيطان بهدبة ثوبه فرأوها فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه من وسطه في جوفها وأما يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقتل بسبب امرأة أراد ملكهم أن يتزوجها فَقَالَ له يَحْيَى إنها لا تحل لك لكونها كانت بنت امرأته فتوسلت إلى الملك حتى قتل يَحْيَى قَالَ ابن إِسْحَاق كان ذلك قبل أن يرفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وروى هذه القصة الحاكم في المستدرك من حديث عَبْد اللَّه بن الزبير رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وروى أَيْضًا من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أن دم يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يفور حتى قتل عليه سبعون ألفًا فسكن.

(قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ) وهذا قطعة من حديث طويل قد مضى في باب ذكر الملائكة ومر الكلام فيه.

ومطابقته للترجمة ظاهرة لأن يَحْيَى مذكور في قصة زكريا عليهما السلام.

44 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: 16]

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾ [آل عمران: 45]، ....

44 ـ باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: 16]

(**باب قَوْلِ اللّهِ تَعَالَى**: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾) أي: واذكر يا مُحَمَّد في القرآن مريم بنت عمران بن ماثان وكلمة إذ بدل من مريم بدل الاشتمال انتبذت أي: اعتزلت فانفردت وجلست وتخلصت للعبادة من أهلها مكانًا أي: مكان شرقي مما يلي المقدس أو شرقي من دارها وعن الحسن البَصْريّ اتخذت النصارى المشرق قبله لأن مريم انتبذت مكانًا شرقيًّا وسيجيء ما يتعلق بهذه الآية وما بعدها بعد بابين إن شاء اللّه تَعَالَى.

(و﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾) الواو ليست من التلاوة وكلمة إذ بدل من إذ قالت الأولى وما بينهما اعتراض أو من إذ يختصمون على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا، (منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) يعني يكون مشهورًا بهذا في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك والمسيح لقب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو من الألقاب المشرفة كالصديق.

وأصله بالعبرية مشيحا بالشين المعجمة ومعناه المبارك وعيسى معرب أيشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم صفته وإنما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيهًا على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى الآباء ولا تنسب إلى الأم إلا إذا أفقد الأب وقوله بكلمة أي: بولد يكون وجوده بكلمة من اللّه أي: بقوله كن فيكون ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ حال مقدرة من كلمة وهي إن كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها تذكير للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة.

وقيل: وجيهًا أي: شريفًا ذا وجاهة وقدر ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45] من اللّه وقيل: إشارة إلى علو درجته أو رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ....

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: اقرأ الآيات إلى قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قَالَ اللَّه تَعَالَى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾) أي: اختار.

(﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية وصفّاهم من الصفات الذميمة وزينهم بالخصائل الحميدة حتى قووا على ما لم يقو عليه غيرهم. وقيل اختار آدم لأنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجده ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته واصطفى نوحًا وجعله أول رسول بعث إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان واصطفى آل إِبْرَاهِيم وجعل منهم سيد البشر خاتم الْأَنْبِيَاء مُحَمَّد ﷺ وآل عمران وجعل منهم موسى وهارون عليهما السلام وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وآل إِبْرَاهِيم هم: إِسْمَاعِيل وإسحاق وأولادهما وآل عمران مُوسَى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. أو عيسى وأمه مريم بنت عمران ابن ماثان وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أي: أنهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض فموسى وهارون من عمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إِسْحَاق، وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن أيشى بن يهوذا بن يعقوب بن إِسْحَاق.

وقيل: بعضها من بعض في الدين.

والذرية: الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو فأدغمت ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 34] بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى﴾ [آل عمران: 35] فينتصب إذ بقوله سميع عليم.

وقيل: نصبه بإضمار اذكر وامرأة عمران هذه هي حنة بنت فاقوذا أم مريم البتول جدة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوله إذ قالت امرأة عمران على أثر قوله

وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والقول الآخر يرجحه أن مُوسَى يقرن بإبراهيم كثيرًا في الذكر فإن قيل كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من مُوسَى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران هذا هو أَبُو مريم البتول دون عمران أَبِي مريم التي هي أخت مُوسَى وهارون.

فالجواب أنه كفى بكفالة زكريا دليلًا على أن عمران أَبُو التبول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يَحْيَى وعيسى ابني خالة كما مر في الحديث السابق ﴿مُحَرَّرًا﴾ معتقًا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدامه ولا أشغله بشيء وكان هذا النذر مشروعًا عندهم وروي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وأن لا يفعل وعن الشعبي محررًا مخلصًا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرًا ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾ ما نذرته ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل: عمران 35] لقولي ونيتي ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾.

الضمير لما في بطنها وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم اللّه تَعَالَى أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة وجاز انتصاب أنثى حالًا عنه لأن ثانيها علم منه فإن الحال وصاحبها بالذات واحد والأصل وضعته أنثى وأنث لتأنيث الحال. أو على تأويل الحبلة أو النسمة كأنه قيل وضعت الحبلة أو النسمة أنثى وإنما قالت ذلك تحسرًا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرًا وكذلك نذرته محررًا للسدانة. ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: 36] تعظيمًا لموضوعها وتجهيلًا لها بقدر ما وهب لها ومعناه واللّه أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شَيْئًا ولذلك تحسرت وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت بضم التاء على أنه

من كلامها تسلية لنفسها بمعنى لعل لله فيه سرًّا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر. وفي قراءة ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا بما وضعت بكسر التاء على خطاب اللّه تَعَالَى لها أي: أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم اللّه من عظم شأنه وعلو قدره ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ بيان لما في قوله واللّه أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه أي: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها واللام فيها للعهد. ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والأنثى سيّين فيما نذرت فيكون اللام للجنس.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ عطف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان. وإنما ذكرت ذلك لربها تقربًا إليه وطلبًا لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقًا لاسمها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة ألا ترى أنه كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه فقالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ [آل عمران: 36] أجيرها بحفظك ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النَّبِيّ ﷺ ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن اللّه عصمهما ببركة هذه الاستعاذة قاله القاضي.

وسيأتي الحديث وما يتعلق به في هذا الباب إن شاء اللّه تَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ فرضي بها في النذر مكان الذكر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران: 37] القبول اسم ما يقبل به كالسعوط واللد. ولما يسعط به ويلدّ ومعناه بوجه حسن يقبل به النذائر وهو إقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة روي أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم فَقَالَ لهم زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم

ـ إِلَى قَوْلِهِ ـ ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: 33 - 37] ....

فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها.

ويجوز أن يكون القبول مصدرًا على تقدير مضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن وهو الاختصاص بذلك وأن يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضي وتعجل بمعنى استقضى واستعجل وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قَالَ القطامي:

وخير الأمر ما استبقت منه وليس بأن تتبعه اتباعا

ومنه المثل: «خذ الأمر بقوابله» أي: فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ شدد الفاء عاصم وحمزة والكسائي وقصروا زكريا غير أَبِي بكر عن عاصم على أن الفاعل هو اللّه وزكريا مفعول أي: جعله كافلًا لها وضامنًا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مَرْفُوعًا.

وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي: فاقبلها يا ربها وربِّها تربية حسنة واجعل زكريا كافلًا لها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ قيل: بنى لها زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ محرابًا في المسجد أي: غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس.

وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب وسميت بذلك لأنها محل محاربة الشيطان وروي أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديًا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت من غير أوان والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك وهو دليل جواز الكرامة للأولياء وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ (يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ **[آل عمران: 37])** بغير تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضلًا

«قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَآلُ عِمْرَانَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ[1]»،

به بغير محاسبة ومجازاة على عمل. وعن النَّبِيّ ﷺ أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة رَضِيَ اللّه عَنْهَا رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها إليها وَقَالَ هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوّ خبزًا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند اللّه فَقَالَ لها ﷺ: «**أنى لك هذا؟**» فقالت هو من عند اللّه إن اللّه يرزق من يشاء بغير حساب فَقَالَ ﷺ: «**الحمد للّه الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل**» ثم جمع رَسُول اللّه ﷺ عليًّا والحسن والحسين وجميع أهل بيته رضي اللّه عنهم عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت فاطمة على جيرانها ثم إن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام مريم عليها السلام أو من كلام رب العزة عزّ من قائل.

(وَقَالَ ابْن عَبَّاس) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا **(وَآلُ عِمْرَانَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ**

---

(1) قال صاحب الجمل: فإن قيل: آل عمران داخلون في آل إبراهيم فما وجه ذكرهم صريحًا بعد دخولهم في آل إبراهيم؟ قلنا: ذكرهم صريحًا ليعرف شرفهم بطريق التصريح وليس التخصيص بعد التعميم لزيادة الشرف، كيف ونبينا سيد العالمين ﷺ داخل في آل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، اهـ.

قلت: وهذا كله مبني على أن لفظ آل في معناه، ومال صاحب الجلالين إلى أنه زائد إذ قال: ﴿وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ بمعنى أنفسهما، قال صاحب الجمل: يعني أن لفظ آل كذا بمعنى نفس كذا، أو أنها مقحمة فكأنه قال «وإبراهيم وعمران» اهـ.

وقال العيني: قوله قال ابن عباس إلى قوله: «وهم المؤمنون» أشار بهذا إلى أن قوله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ عام وأريد به المخصوص، وهو أن المراد المؤمنون من ﴿وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ﴾ كما قال ابن عباس: «وآل ياسين» المراد منهم الذين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾ وقيل إدريس وقيل غيره، وقوله يقول: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ إلخ أي: يقول ابن عباس ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾وهم المؤمنون والذين لم يتبعوه لا يعدون من الآل، وحاصل هذا التأكيد بأن المراد من هذا العموم الخصوص كما ذكرنا، اهـ.

وقال الحافظ: قوله قال ابن عباس «وآل عمران» إلى قوله: «وهم المؤمنون» وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وحاصله أن المراد بالاصطفاء بعض آل عمران وإن كان اللفظ عامًّا فالمراد به الخصوص، اهـ.

وقال الرازي: ومن الناس من قال المراد بآل إبراهيم المؤمنون كما في قوله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ والصحيح أن المراد بهم الأولاد وهم المراد بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ =

وَآلِ عِمْرَانَ، وَآلِ يَاسِينَ، وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَقُولُ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: 68] وَهُمُ المُؤْمِنُونَ، وَيُقَالُ آلُ يَعْقُوبَ: أَهْلُ يَعْقُوبَ فَإِذَا صَغَّرُوا آلَ ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الأَصْلِ قَالُوا: أُهَيْلٌ».

3431 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ،

وَآلِ عِمْرَانَ، وَآلِ يَاسِينَ) المراد منهم الذين فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ وقيل إدريس وقيل غيره وإلياس هو ابن ياسين سبط هارون أخي موسى عليهم السلام.

(وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَقُولُ) أي: ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا: (﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾) أي: أن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب.

(﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾) من أمته (وَهُمُ المُؤْمِنُونَ) يعني أن المراد من آل إِبْرَاهِيم وآل غيره هم المؤمنون الذين اتبعوه فيما شرع له على الأصالة من الدين وأما الذين لم يتبعوه فلا يعدون من الآل وقد أكد ذلك بقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ وَقَالَ وهم المؤمنون والحاصل أن آل إِبْرَاهِيم وآل عمران وإن كان عامًّا لكنه أريد به الخصوص وهو أن المراد هم المؤمنون منهم وهذا الأثر وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه.

(وَيُقَالُ آلُ يَعْقُوبَ: أَهْلُ يَعْقُوبَ فَإِذَا صَغَّرُوا آلَ ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الأَصْلِ قَالُوا: أُهَيْلٌ) أشار بهذا إلى أن أصل آل أهل ألا ترى أنهم إذا صغروه يقولون أهيل لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ولكن فيه خلاف وهذا المذكور هو قول سيبويه والجمهور.

وقيل: أصله أَوَّل من آل يؤول إذا رجع لأن الإنسان يرجع إلى آله فقلبت الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها وتصغيره حينئذ على أويل.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم ابن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ) أنه

= إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وأما آل عمران فقد اختلفوا فيه، فمنهم من قال: المراد عمران والد موسى وهارون وهو من أولاد لاوي بن يعقوب فيكون المراد من آل عمران موسى وهارون وأتباعهما من الأنبياء، ومنهم من قال المراد عمران والد مريم وكان من نسل سليمان بن داود وكانوا من نسل يهودا بن يعقوب، قالوا وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة، انتهى مختصرًا.

قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]».

(**قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ**) كذا قَالَ أصحاب الزُّهْرِيّ وَقَالَ الزبيدي عن الزُّهْرِيّ عن أبي سلمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ**) وفي رواية معمر عن الزُّهْرِيّ عن مسلم إلا نخسه بنون وخاء معجمة ثم مهملة أي: سبب صراخ الصبي أول ما يولد ألمه من مس الشيطان إياه والاستهلال الصياح وفي رواية سَعِيد بن المسيب عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ الماضية في باب صفة إبليس بيان المس المذكور ولفظه كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم فذهب يطعن فطعن في الحجاب أي: في المشيمة التي فيها الولد قَالَ الْقُرْطُبِيّ هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط فحفظ اللّه مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا**) تقدم في باب صفة إبليس ذكر عيسى خاصة فيحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلى المس وذاك بالنسبة إلى الطعن في الجنب. ويحتمل أن يكون قبل الإعلام بما زاد وفيه بعد لأنه حديث واحد وقد رواه خلاس عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ بلفظ كل بني آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد غير عيسى وأمه جعل دون الطعنة حجابًا فأصاب الحجاب ولم يصبهما والذي يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر والزيادة من الْحَافِظ مقبولة وأما قول الْكِرْمَانِيّ يحتمل أن يكون من العطف التفسيري والمراد الابن كقولك أعجبني زيد وكرمه فهو تعسف.

(**ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾**) فيه بيان أن في رِوَايَةِ أَبِي صالح عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ إدراجًا وأن تلاوة الآية

45 ـ باب:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: 42 - 44]

موقوف على أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

45 ـ باب:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: 42 - 44]

باب (﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾) إلى قوله: (﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾) أي: اقرأ الآية إلى قوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إن شئت جعلته معطوفًا على الظرف قبله وهو قوله إذ قالت امرأة عمران وإن شئت جعلته منصوبًا بالمقدر وهذا إخبار من اللَّه تَعَالَى بما خاطب به الملائكة مريم من أمر اللَّه لهم بذلك قَالَ أهل التفسير المراد بالملائكة ههنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ الإمام والقول بأن القائل هو جبريل وإن كان عدولًا عن الظاهر إلا أنه يجب المصير إليه لأن سورة مريم دلت على أن المتكلم مع مريم هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: 17] ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ هذا الاصطفاء تقبلها من أمها ولم تقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي: عما يستقذر من النساء ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 42] وهذا الاصطفاء هدايتها وإرسال الملائكة إليها

وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفته اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين.

قَالَ القاضي: كلموها شفاها كرامة لها ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة زكريا أو إرهاصًا لنبوة عيسى فإن الإجماع على أنه تَعَالَى لم يستنبئ امرأة لقوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الأَنْبِيَاء: 7] انتهى.

وفيه كلام ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: 43] أمرت في الصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها وذلك لأن كل واحد من القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع من أركان الصلاة وتسميته الشيء باسم أشرف أجزائه مجاز مشهور فتكون الأجزاء الثلاثة وهي القيام والركوع والسجود مجازًا عن الصلاة فيكون مع الراكعين مجازًا عن المصلين واعتبر أركانها الثلاثة في جعل الركن مجازًا عن الكل مبالغة في المحافظة على أركانها.

وقدم السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب أو ليقترن اركعي بالراكعين للإيذان بأنّ من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: 9] وبالسجود الصلاة لقوله: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ وبالركوع الخضوع والإخبات ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أي: ما ذكرنا من القصص من حديث حنة وزكريا ويحيى ومريم وعيسى من أخبار الغيب لا يمكنك أن تعلمه إلا بوحي ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أي: أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركًا ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي: يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيهم يكفل مريم (﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾) [آل عمران: 44] تنافسًا في كفالة مريم فإن قيل لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم.

فالجواب: أنه كان معلوما عندهم علمًا يقينًا أنه ﷺ ليس من أهل السماع

يُقَالُ: يَكْفُلُ يَضُمُّ، (كَفَلَهَا) ضَمَّهَا، مُخَفَّفَةً، لَيْسَ من كَفَالَةِ الدُّيُونِ وَشِبْهِهَا.

3432 - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ،

والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع ولا قراءة.

والحاصل أن طرق العلم منحصرة في المشاهدة والاستماع من أهل العلم وقراءة أسفارهم والوحي وما عدا الوحي من طرق العلم منتف فتعين أنه ﷺ إنما أخبر بتلك الأنباء بالوحي وأنه نبي حقًّا فيكون ذلك تقدير كونه وحيًا وأنه نبي حقًّا.

(يُقَالُ: يَكْفُلُ يَضُمُّ، (كَفَلَهَا) ضَمَّهَا، مُخَفَّفَةً، لَيْسَ من كَفَالَةِ الدُّيُونِ وَشِبْهِهَا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: 44] إلى قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قَالَ أَبُو عبيد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: يضم انتهى أي: ضم زكريا مريم إلى نفسه وما ذاك إلا أنها يتيمة قاله ابن إِسْحَاق.

وَقَالَ غيره: أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب فكفل زكريا مريم لذلك ولا منافاة بين القولين وقوله مخففة أي: حال كون كلمة كفلها بتخفيف الفاء وهي قراءة أكثر القراء وقرأ الكوفيون بالتشديد أي: كفلها اللّه زكريا وفي قراءتهم زكريا بالقصر إلا أن أبا بكر راوي عاصم قرأه بالمد وفتح الهمزة.

قَالَ الْعَيْنِيّ: وفي قوله ليس من كفالة الديون وشبهها نظر لأن في كفالة الديون أَيْضًا معنى الضم لأن الكفالة ضم الذمة إلى الذمة في المطالبة.

(حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَجَاءٍ) بالجيم واسمه عَبْد اللّه بن أيوب أَبُو الوليد الحنفي الهروي قَالَ: **(حَدَّثَنَا النَّضْرُ)** أي: ابن شميل وقد مر غير مرة.

(عن هشام) هو ابن عُرْوَة أنه **(قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي)** عُرْوَة بن الزبير بن العوام.

(قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ) أي: ابن أَبِي طالب.

قال الدارقطني: رواه أصحاب هشام بن عروة هكذا، وخالفهم ابن جريج

قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ».

وإسحاق فروياه عن هشام عن أبيه عن عبد اللّه بن الزبير عن عبد اللّه بن جعفر، زادا في إسناد عبد اللّه بن الزبير، والصواب إسقاطه، واللّه أعلم.

(قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا) أي: ابن أَبِي طالب **(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ»)** أي: خير نساء أهل الدنيا في زمانها وليس المراد أن مريم خير نسائها لأنه يصير كقولهم زيد أفضل أخوته ويوسف أحسن أخوته وقد صرحوا بمنعه فهو كما لو قيل فلان أفضل أهل الدنيا وعن وكيع أي: خير نساء الأرض في عصرها وقد روى النَّسَائِيّ من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا بلفظ أفضل نساء أهل الجنة فعلى هذا فالمعنى خير نساء أهل الجنة مريم.

وفي رواية: خير نساء العالمين وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فظاهره أن مريم أفضل من جميع النساء وهذا لا يمتنع عن من يقول إنها نبية وأما من قَالَ إنها ليست بنبية فنحمله على عالمي زمانها وبالأول جزم الزجاج وجماعة واختاره الْقُرْطُبِيّ.

ويحتمل أَيْضًا أن يراد نساء بني إسرائيل أو نساء تلك الأمة أو من فيه مضمرة والمعنى أنها من جملة النساء الفاضلات ويدفع ذلك حديث أَبِي مُوسَى المتقدم بصيغة الحصر أنه لم يكمل من النساء غيرها وغير آسية وقوله وخير نسائها خديجة أي: خير نساء العرب أو هذه الأمة.

وَقَالَ القاضي أَبُو بكر ابن العربي: خديجة أفضل نساء الأمة مُطْلَقًا بهذا الحديث وقد تقدم في أواخر قصة مُوسَى حديث أَبِي مُوسَى في ذكر مريم وآسية وهو يقتضي فضلهما على غيرهما من النساء ودل على هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة فكأنه لم يتعرض في هذه الأمة حيث قَالَ ولم يكمل من النساء أي: من نساء الأمم الماضية إلا إن حملنا الكمال على النبوة فيكون على إطلاقه.

وعند النَّسَائِيّ بإسناد صحيح عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت مُحَمَّد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ورواه أَبُو يعلى أَيْضًا.

وعند التِّرْمِذِيّ بإسناد صحيح عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ حسبك من نساء العالمين فذكرهن وللحاكم بإسناد صحيح عن أنس وحذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن رَسُول اللّه ﷺ أتاه ملك الموت فبشره أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ ابنة عمران.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في فضل خديجة أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل، وَالتِّرْمِذِيّ في المناقب، وكذا النَّسَائِيّ فيه.

46 ـ باب قَوْله تَعَالَى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 45 - 47]

(باب قَوْله تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾) أي: اقرأ الآية إلى قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ووقع فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ بزيادة واو في أول هذه الآية وهو غلط وإنما وقعت الواو في أول الآية التي قبلها وأما هذه فبغير واو وقد مر تفسير هذه الآية قبل باب فلنفسر ما بعدها قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: 45، 46] أي: يكلمهم حال كونه طفلًا وكهلًا كلام الْأَنْبِيَاء من غير تفاوت وهو معطوف على قوله وجيهًا أي: يبشرك به وجيهًا ومكلمًا فإن الجملة الفعلية مقدرة بالاسم في مثل هذا المحل ليجوز عطفها على الاسم والمهد مصدر رسمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وروي عنها أنها قالت كنت إذا خلوت به أحادثه ويحادثني فإذا شغلني عنه إنسان يسبح في بطني وأنا أسمع.

يُبَشِّرُكِ وَيَبْشُرُكِ وَاحِدٌ، ﴿وَجِيهًا﴾ [آل عمران: 45]: شَرِيفًا،

وقيل: معنى في المهد صغيرًا في حجر أمه وقد اختلفوا هل كان نبيًّا وقت كلامه فقيل نعم لظهور المعجزة.

وقيل: لا وإنما جعل ذلك تأسيسًا لنبوته.

والكهل: الذي اجتمع قوته وتم شبابه قيل أول الكهولة ثلاثون.

وقيل: اثنان وثلاثون.

وقيل: أربعون وآخرها خمسون.

وقيل: ستون ويدخل في سن الشيخوخة.

وَقَالَ بعضهم: أنه رفع شابًّا والمراد كهلًا بعد نزوله. وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاد إلى أنه بمعزل عن الألوهية ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذي في يكلم والمعنى فِي قَوْلِهِ وعلمه فإن الصالح هو الذي صرف عمره في طاعة ربه، وماله في مرضاته ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران: 47] أي: لم يصبني رجل تعجب واستبعاد عادي على أن يكون أنّى بمعنى من أين فإن البشرية تقتضي التعجب فيما وقع على خلاف العادة ولم تجر عادة بأن يولد ولد بلا أب أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره على أن يكون أنّي بمعنى كيف ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ أي: الأمر كما قلت لم يمسسك بشر ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ القائل جبريل أو اللّه وجبريل حكى لها وقوله تَعَالَى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47] إشارة إلى أنه تَعَالَى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجا بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك.

ومعنى ذلك إذا أراد تكوينه يقول له كن فيكون ولا يتأخر من وقته بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة.

(يُبَشِّرُكِ وَيَبْشُرُكِ وَاحِدٌ) الأول من باب نصر وهو قراءة حمزة والكسائي ويحيى بن وثاب والثاني من باب التفعيل من التبشير وهو قراءة الباقين والبشير الذي يخبر المرء بما يسره من خير وقد يطلق في الشر مجازًا تهكمًا.

(﴿وَجِيهًا﴾: شَرِيفًا) فسر وجيهًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ بقوله شريفًا وقد مر تفسيره فيما سبق.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: المَسِيحُ: الصِّدِّيقُ[1].

(وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ) أي: النخعي: (المَسِيحُ: الصِّدِّيقُ) بكسر الصاد وتشديد الدال[2] وكذا فسره سُفْيَان الثَّوْرِيّ بإسناده إلى إِبْرَاهِيم قَالَ الطَّبَرِيّ مراد إِبْرَاهِيم بذلك أن اللّه تَعَالَى مسحه فطهره من الذنوب فهو فعيل بمعنى مفعول. وقد ذكر الْعَيْنِيّ في كتابه زين المجالس ثلاثة وعشرين قولًا في تسميته عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمسيح منها ما روي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كان لا يمسح ذا عاهة إلا

---

(1) قال العيني: فإن قلت الدجال أيضًا سمي بالمسيح، قلت: أما معناه في عيسى عليه السلام ففيه أقوال تبلغ ثلاثة وعشرين قولًا ذكرناها في كتابنا زين المجالس، منها ما قيل إن أصله مسيح على وزن مفعل فأسكنت الياء ونقلت حركتها إلى السين طلبا للخفة إلى آخر ما ذكر من بعض معانيه، وقال الرازي في تفسيره: المسيح هل هو اسم مشتق أو موضوع فيه قولان، **الأول**: قال أبو عبيدة والليث: أصله بالعبرانية مشيحا فعربته العرب وغيروا لفظه وعلى هذا لا يكون له اشتقاق، **والقول الثاني**: إنه مشتق وعليه الأكثرون، ثم ذكروا فيه وجوهًا، **الأول**: قال ابن عباس إنما سمي عيسى عليه السلام مسيحًا لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ، **الثاني**: قال أحمد بن يحيى سمي به لأنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها ومنه مساحة الأرض، وعلى هذا المعنى يجوز أن يقال لعيسى مسيح بالتشديد على المبالغة كما يقال للرجل فسيق وشريب، **الثالث**: أنه كان مسيحًا لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى فعلى هذه الأقوال هو فعيل بمعنى فاعل، **الرابع**: أنه مسح من الأوزار والآثام، **والخامس**: سمي به لأنه ما كان في قدمه خمص فكان ممسوح القدمين، **والسادس**: سمي به لأنه كان ممسوحًا بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء ولا يمسح به غيرهم، **السابع**: سمي به لأنه مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صونًا له عن مس الشيطان، **الثامن**: سمي به لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن وعلى هذه الأقوال يكون المسيح بمعنى الممسوح، فعيل بمعنى مفعول قال، أبو عمرو بن العلاء: المسيح الملك، وقال النخعي: المسيح الصديق ولعلهما قالا ذلك من جهة كونه مدحًا لا لدلالة اللغة عليه، انتهى مختصرًا. قلت ولا يبعد عندي أن مجاهدا استنبط ذلك مما ذكره شيخ مشايخنا الشاه ولي اللّه الدهلوي في إزالة الخفاء عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من فر بدينه من أرض إلى أرض مخافة الفتنة على نفسه ودينه كتب عند اللّه صديقًا فإذا مات قبضه اللّه شهيدًا وتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثم قال هذه فيهم ثم قال والفرارون بدينهم من أرض إلى أرض يوم القيامة مع عيسى ابن مريم في درجته في الجنة**»، اهـ. وتقدم نوع من الكلام على المسيح مبسوطًا في «باب الدعاء قبل السلام».

(2) الصديق الذي تقدم في تصديق النبي، وصدق في أقواله وأفعاله، وقيل هو الذي صعدت نفسه تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات، وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليه.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الكَهْلُ الحَلِيمُ، ....

برئ ولا ميتًا إلا حَيِيَ أنه كان أمسح الرجل ليس لها أخمص يمس الأرض من باطن الرجل وقيل: إنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح بالدهن وقيل: إن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ مسحه بدهن البركة وقيل: لأنه كان جميلًا إذ المسيح في اللغة جميل الوجه وقيل لأنه كان يمسح الأرض لأنه قد يكون تارة في البلدان وتارة في المفاوز والفلوات فعلى هذه الوجوه يكون على وزن فعيل وقيل: هو من السياحة فيكون على وزن مفعل وأما الدجال فإنما قيل له المسيح لأنه يمسح الأرض أي: يقطعها وقيل: لأنه ممسوح العين لا عين له ولا حاجب.

وَقَالَ ابن الفارس: لأن أحد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب وهو مختص به بهذا المعنى وقيل المسيح الكذاب وهو أكذب البشر فلذلك خصه اللّه تَعَالَى بالشوه والعور.

وقيل: المسيح المارد الخبيث وهو أَيْضًا مختص به بهذا المعنى ولا يلزم من اشتراكه بينهما بحسب اللفظ اشتراكه بحسب المعنى ويقال في الدجال مسيخ بالخاء المعجمة لأنه مشوه مثل الممسوخ.

ويقال فيه أَيْضًا: مسيح بكسر الميم وتشديد السين للفرق بينه وبين المسيح ابن مريم عليهما السلام.

وعن أَبِي عُبَيْدَةَ أظن أن هذه الكلمة مشيحا بالشين المعجمة فعربت وكذا ينطق به اليهود وأما قول الداوودي في تسميته عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمسيح أنه كان يلبس المسوح فهو غريب.

(**وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الكَهْلُ الحَلِيمُ**) وصله الفريابي من طريق ابن أَبِي نجيح عن مجاهد فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: 46] قَالَ الكهل الحليم انتهى.

وَقَالَ أَبُو جعفر النحاس: إن هذا لا يعرف في اللغة وإنما الكهل عندهم من ناهز الأربعين أو قاربهما.

وقيل: من جاوز الثلاثين.

وَالأَكْمَهُ من يُبْصِرُ بِالنَّهَارِ وَلا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: من يُولَدُ أَعْمَى.

3433 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُرَّةَ الهَمْدَانِيَّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وقيل: ابن ثلاث وثلاثين انتهى.

والذي يظهر أن مجاهد فسره بلازمه الغالب لأن الكهل غالبًا يكون فيه وقار وسكينة.

وقد اختلف أهل العربية فِي قَوْلِهِ وكهلًا هل هو معطوف على قوله وجيهًا أو هو حال من الضمير في يكلم وعلى الأول يتجه تفسير مجاهد واللّه تَعَالَى أعلم.

(وَالأَكْمَهُ من يُبْصِرُ بِالنَّهَارِ وَلا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ) أشار به إلى قوله تَعَالَى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ [آل عمران: 49] وقد وصله الفريابي عن مجاهد وهو قول شاذ تفرد به مجاهد والمعروف أن ذلك هو الأعشى.

(وَقَالَ غَيْرُهُ) أي: غير مجاهد: **(من يُولَدُ أَعْمَى)** وهو قول الجمهور وبه جزم أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَخْرَجَهُ الطبراني عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

وروى عبد بن حميد من طريق سَعِيد عن قَتَادَة كنا نتحدث أن الأكمه الذي يولد وهو مضموم العين ومن طريق عِكْرِمَة الأكمه الأعمى، كذا رواه الطَّبَرِيّ عن السُّدِّيّ وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أَيْضًا وعن الحسن ونحوهم.

قَالَ الطَّبَرِيّ: الأشبه بتفسير الآية قول قَتَادَة لأن علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد والآية سيقت لبيان معجزة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فالأشبه أن يحمل المراد عليها ويكون أبلغ في إثبات المعجزة واللّه تَعَالَى أعلم.

فائدة:

روي أنه ربما كان يجتمع على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وما يداوي إلا بدعاء.

(حَدَّثَنَا آدَمُ) أي: ابن أَبِي إياس قَالَ: **(حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ)** أنه **(قَالَ: سَمِعْتُ مُرَّةَ الهَمْدَانِيَّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)** أنه

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ، كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ».

3434 - وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ ابْنُ المُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «نِسَاءُ قُرَيْشٍ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ، أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ،

(قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ، كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ») قد مضى هذا الحديث في أواخر قصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ في باب قول اللّه تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ ومضى الكلام فيه هناك.

(وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ) هو عَبْد اللّه بن وهب المصري.

(أَخْبَرَنِي يُونُسُ) هو ابن يزيد الأيلي، **(عَنِ ابْنِ شِهَابٍ)** مُحَمَّد بن مسلم الزُّهْرِيّ، **(قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ)** رَضِيَ اللّه عَنْهُ، **(قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: نِسَاءُ قُرَيْشٍ)** مبتدأ **(خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ)** خبره وهو كناية عن نساء العرب.

(أَحْنَاهُ عَلَى طِفْلٍ) أي: أشفقه وأعطفه وكان القياس أن يقال أحناهن لكن قالوا العرب لا يتكلمون في مثله إلا مفردًا.

وَقَالَ ابن الأثير: إنما وحّد الضمير ذهابًا إلى المعنى تقديره أحنى من وجد أو وخلق أو من هناك ومثله قوله أحسن الناس وجها وأحسنه خلقًا يريد أحسنهم خلقًا وهو كثير في العربية ومن أفصح الكلام. ثم أحنى على لفظ التفضيل من حنا يحنو وحنى يحني ومنه الحانية وهي التي تقيم على ولدها ولا تتزوج شفقة وعطفًا ويقال حنت المرأة على ولدها تحنو إذا لم تتزوج بعد أبيهم وفي التوضيح وفي بعض الكتب أحنه بتشديد النون.

وَقَالَ ابن التين: ولعله مأخوذ من الحنان وهو الرحمة ومنه حنين المرأة وهو نزاعها إلى ولدها وإن لم يكن لها صوت عند ذلك وقد يكون حنينها صوتها على ما جاء في الحديث من حنين الجذع والأصل فيه ترجيع الناقة صوتها على أثر ولدها.

وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ: وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ. تَابَعَهُ ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ،

(وَأَرْعَاهُ) الكلام فيه كالكلام في أحناه وهو أفعل التفضيل أَيْضًا من رعى يرعى رعاية.

وفي بعض النسخ: أحناهن وأرعاهن على القياس.

(عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ) أي: في ماله المضاف إليه قَالَ الْقُرْطُبِيّ وهذا تفضيل نساء قريش على نساء العرب خاصة لأنهم هم أصحاب الإبل غالبًا وفي الحديث فضيلة هذه الخصال المذكورة من الحنو على الأولاد والشفقة عليهم وحسن تربيتهم ومراعاة حق الزوج في ماله وحفظه والأمانة فيه وحسن تدبيره في النفقة.

(يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ) أي: على عقبه.

(وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ) يريد بذلك أن مريم لم تدخل في النساء المذكورات لأنه قيدها بركوب الإبل ومريم لم تكن ممن تركب الإبل.

وَقَالَ صاحب التوضيح: يؤخذ من قول أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ هذا ومن ذكر الْبُخَارِيّ له في قصة مريم تفضيلها على خديجة وفاطمة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا لأنهما من العرب المخصوصين بركوب الإبل. ثم هذا التعليق وصله مسلم عن حرملة عن ابن وهب.

وكذلك أَخْرَجَهُ الإسماعيلي عن الحسن بن سُفْيَان عن حرملة وسيأتي للمصنف موصولًا من وجه آخر عن ابن وهب في النكاح.

ومطابقته للترجمة في قوله ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا قط.

(تَابَعَهُ) أي: تابع يُونُس بن يزيد.

(ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ) هو أَبُو عَبْد اللَّه مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه بن مسلم بن عُبَيْد اللَّه الزُّهْرِيّ القرشي المدني ابن أخي مُحَمَّد بن مسلم الزُّهْرِيّ.

قَالَ الواقدي: قتله غلمانه بأمر ابنه وكان سفيهًا شاطرًا للميراث في آخر خلافة أَبِي جعفر فوثب غلمانه عليه بعد سنين فقتلوه أَيْضًا.

وَإِسْحَاقُ الكَلْبِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ.

47 ـ باب قَوْله:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ
وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ
رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ
وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ
وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: 171]

(وَإِسْحَاقُ الكَلْبِيُّ) أي: وتابعه أَيْضًا: إِسْحَاق بن يَحْيَى الكلبي الحمصي روى له الْبُخَارِيّ مستشهدًا في مواضع.

(عَنِ الزُّهْرِيِّ) أما متابعة ابن أخي الزُّهْرِيّ فوصلها أَبُو أحمد بن عدي في الكامل من طريق الدراوردي عنه وأما متابعة إِسْحَاق الكلبي فوصلها الذهلي في الزهريات عن يَحْيَى بن صالح الوحاظي عنه.

47 ـ باب قَوْله:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ
وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ
رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ
وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ
وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: 171]

باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى وفي بعض النسخ: (**قوله**): عز وجل بدون ذكر باب.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ إلى (﴿وَكِيلٗا﴾) أي: اقرأ الآية إلى قوله: ﴿وَكِيلٗا﴾.

قَالَ القاضي عياض: وقع فِي رِوَايَةِ الأصيلي قل يا أهل الكتاب وفي رواية غيره بحذف قل وهو الصواب انتهى.

وأصاب في تصويبه لأنه لم يثبت قل في هذه الآية التي في سورة النساء

وإنما ثبت في آية سورة المائدة ومراد المصنف آية سورة النساء بدليل قوله إلى وكيلًا وبدليل تفسير بعض ما وقع فيها فالاعتراض متجه قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ من الغلو وهو الإفراط ومجاوزة الحد ومنه غلا السعر والخطاب للفريقين غلت اليهود في حط المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ عن منزلته حتى رموه بأنه ولد لغير رشدة فهموا بقتله. وغلت النصارى في رفعه حتى اتخذوه إلها وهم اليعقوبية منهم.

وَقَالَ بعضهم: هو ابن اللّه وهم النسطورية.

وَقَالَ بعضهم: ثالث ثلاثة وهم المرقوسية.

وأما الملكائية فقالوا: اللّه ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس يريدون بالأب الذات وبالابن العلم وروح القدس الحياة وقالوا في حق المسيح هو عبد اللّه ونبيه كما صرح به القاضي في تفسير سورة مريم وقيل الخطاب للنصارى خاصة فإنه أوفق بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ وهو تنزيهه عن الصاحبة والولد أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدًا ثم أخبر عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ فكيف يكون إلهًا والمسيح مبتدأ وعيسى بدل منه أو عطف بيان وقوله: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ عطف عليه ﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ أوصلها إليها وحصلها فيها ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ أي: وذو روح صدر منه وعبد من عباده وخلق من خلقه قَالَ له كن فكان فقيل لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمة اللّه وكلمة منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير توسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له من الأب والنطفة وقيل له روح اللّه وروح منه لذلك لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع اختراعًا من عند اللّه وقدرته خالصة وأضيف الروح إليه تَعَالَى للتشريف كما أضيف الناقة والبيت إلى اللّه تَعَالَى. وقيل سمي روحًا لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾ [النساء: 171] أي: آمنوا بهم جميعًا ولا تجعلوا عيسى إلهًا ولا ابنًا ولا ثالث ثلاثة أو لا تجعلوا اللّه ثلاثة أقانيم فقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ [النساء: 171] تقديره على الأول ولا تقولوا الآلهة

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: (كَلِمَتُهُ) كُنْ فَكَانَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أَحْيَاهُ فَجَعَلَهُ رُوحًا ....

ثلاثة اللّه والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تَعَالَى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116] وعلى الثاني تقديره اللّه ثلاثة أقانيم.

وَقَالَ الزمخشري: والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم وأن اتصاله باللّه عز وجل من حيث أنه رسول موجود بأمره وابتداعه جسدًا حيًّا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء ﴿ٱنتَهُوا۟﴾ عن التثليث ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ أي: اقصدوا خيرًا لكم ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أسبحه تسبيحًا من أن يكون له ولد فإنه يكون لمن كان له مثل ويتطرق إليه فناء.

وقرأ الحسن إن بكسر الهمزة ويكون برفع النون أي: سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه،ولدًا فهو بيان لتنزهه نسب إليه يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءًا منه على أن الجزء إنما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾، يكل إليه الخلق كله أمورهم فهو تنبيه على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلًا لأبيه واللّه سبحانه وتعالى قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه ويعينه واللّه الغني وأنتم الفقراء.

(قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ) هو القاسم بن سلام: (**(كَلِمَتُهُ) كُنْ فَكَانَ**) أراد أن أبا عبيد فسر قوله وكلمته بقوله فكان وعن قَتَادَة مثله رواه عبد الرزاق عن معمر عنه.

(وَقَالَ غيره) أي: غير أَبِي عبيد: (**﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أَحْيَاهُ فَجَعَلَهُ رُوحًا**) الظاهر أنه أَبُو عُبَيْدَةَ معمر بن المثنى فإنه قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ﴾ [النساء: 171] إلى مريم قوله كن فكان وروح منه أحياه فجعله روحًا وَقَالَ مجاهد وروح منه أي: ورسول منه.

﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ [النساء: 171]»(1).

3435 - حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾) أي: ولا تقولوا في حق اللّه تَعَالَى وعيسى وأمه ثلاثة آلهة بل الإله واحد هو اللّه منزه عن الولد والصاحبة وعيسى وأمه مخلوقان مربوبان وهو بقية الآية التي فسرها أَبُو عُبَيْدَةَ.

(حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ) قَالَ: (حَدَّثَنَا الوَلِيدُ) هو ابن مسلم الدمشقي، (عَنِ الأَوْزَاعِيِّ) هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي وفي رواية الإسماعيلي من طريق علي ابن المديني عن الوليد حَدَّثَنَا الأوزاعي.

(قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ عُبَادَةَ) هو ابن الصامت (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وفي رواية ابن المديني حَدَّثَنِي عبادة وفي رواية مسلم عن جنادة حَدَّثَنَا عبادة بن الصامت.

---

(1) يعني لا يتوهم من كون عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام روحا منه أنه جزء منه تعالى كما توهمه بعض النصارى، قال صاحب الجمل: قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ «من» ابتدائية لا تبعيضية كما زعمت النصارى وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح أي: كائنة من جهته تعالى وإن كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بأمره تعالى، حكي أن طبيبًا حاذقًا نصرانيًا جاء الرشيد فناظر علي بن الحسين الواقدي فقال في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من اللّه وتلا هذه الآية فقرأ له الواقدي: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ﴾ فقال إذا يلزم أن تكون جميع تلك الأشياء جزءًا منه سبحانه، فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيد فرحًا شديدًا وأعطى الواقدي صلة فاخرة. ثم لا يذهب عليك أن الإمام البخاري رضي اللّه تعالى عنه ترجم ههنا بعدة تراجم متقاربة ولم يفرق الشراح بينها إلا ما قالوا في دفع التكرار في باب قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ أن الأولى متعلقة بمريم، والثانية متعلقة بعيسى عليه السلام وهو كذلك عندي لكن ما قال الحافظ إن التراجم المتوسطة بين هذين الترجمتين متعلقة بمريم ليس بوجيه بل الأوجه عندي أن الترجمة الأولى معقودة لحال مريم كما قال الحافظ، ويدل عليه الحديث الوارد فيه من قوله غير مريم وابنها، والباب الثاني من قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية أيضًا متعلقة بمريم، والباب الثالث من قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ الآية متعلق ببشارة ولادة عيسى فهو مشترك بينه وبين أمه، ولذا أورد في الترجمة الأقوال المتعلقة بعيسى عليه السلام والروايات الواردة فيه متعلقة بأمه، وأما باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ الآية متعلقة بولادة عيسى من كونه مولودًا بكلمة بدون أب فمن ههنا بدأ ذكر عيسى عندي.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» قَالَ الوَلِيدُ، حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، عَنْ عُمَيْرٍ، ....

(**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**) وزاد ابن المديني في روايته: وابن أمته (**وَالجَنَّةُ**) بالنصب أو الرفع.

(**حَقٌّ، وَالنَّارُ**) هو أَيْضًا بالنصب أو الرفع.

(**حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**) جواب من وظاهره يقتضي دخوله من أي: باب شاء من أبواب الجنة كما صرح به في الرواية الآتية وهو بخلاف ظاهر حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ الماضي في بدء الخلق فإنه يقتضي أن لكل داخل الجنة بابًا معينًا يدخل منه ويجمع بينهما بأنه في الأصل مخير لكنه يرى أن الذي يختص به في حقه أفضل فيختاره فيدخله مختارًا لا مجبورًا ولا ممنوعًا من الدخول في غيره.

ويحتمل أن يكون فاعل شاء هو اللَّه تَعَالَى والمعنى أن اللَّه يوفقه لعمل يدخله برحمة اللَّه من الباب المعد لعامل ذلك العمل وقوله على ما كان من العمل أي: من صلاح أو فساد ولكن لا بدّ أن يكون من أهل التوحيد كما يدل عليه السباق ويحتمل أن يكون معناه يدخل أهل الجنةِ الجنة على حسب أعمال كلٍ منهم في الدرجات.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: المقصود من هذا الحديث التنبيه على ما وقع من النصارى من الضلال والفساد في عيسى وأمه عليهما السلام ويستفاد منه ما يلقنه النصراني إذا أسلم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الإيمان. وَالنَّسَائِيّ في التفسير وفي اليوم والليلة.

(**قَالَ الوَلِيدُ**) هو ابن مسلم المذكور وهو موصول بالإسناد السابق.

(**حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ**) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي أخو يزيد مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، (**عَنْ عُمَيْرٍ**) هو ابن هانئ المذكور وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ

عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ.

48 ـ باب

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: 16]

عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر وحده به ولم يذكر الأوزاعي وَأَخْرَجَهُ من وجه آخر عن الأوزاعي، (عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ) أي: عن جنادة عن عبادة بالحديث المذكور زاد في آخره.

(مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ) وكذا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بالزيادة ولفظه أدخله اللّه الجنة من أي: أبواب الجنة الثمانية شاء.

48 ـ باب

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: 16]

(باب) قول اللّه تَعَالَى: (﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾) هذه الترجمة قد تقدمت قبل هذا الباب ببابين لكن هذه معقودة لأخبار عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والأبواب التي قبلها لأخبار أمه مريم قاله الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ.

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: في القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ يعني قصتها ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ أي: اعتزلت وانفردت وتخلت للعبادة بدل من مريم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه أو بدل الكل لأن المراد بمريم قصتها وبالظرف الأمر الواقع فيه وهما واحد أو ظرف لمضاف مقدر أي: قصة مريم وقت كذا.

وقيل: إذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمك إذ لم تكرمني فيكون بدل اشتمال لا محالة والمعنى واذكر مريم انتباذها (﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾) متعلق بانتبذت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: 16] أي: في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة فقوله مكانًا ظرف ويجوز أن يكون مفعولًا لانتبذت متضمنة معنى أتت ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم: 17] سترا تستتر به منهم يعني ضربت وأرخت من دونهم حجابًا ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17] قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض

محتجبة بحائط أو شيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت أختها أم يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سويًّا سوي الخلق لم ينتقض من صورة الآدمية شَيْئًا أو حسن الصورة مستوي الخلق وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه. وأغرب القاضي حيث قَالَ ولعله لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها.

وتعقب عليه الإمام السيوطي بأنه في غنية عن هذا الكلام الفاسد ولكن هذه ثمرة التوغل في الفلسفة هذا ولقد أصاب في ذلك التعقب فإن ما قاله القاضي لا يليق بشأن مريم وكمال عفتها كما سيجيء ما يدل عليها ثم إنهم تكلموا في كيفية تمثله فَقَالَ إمام الحرمين يفني اللّه تَعَالَى الزائد من خلقه أو يزيله عنه ثم يعيده إليه يعني له أجزاء أصلية وأجزاء زائدة كما في الإنسان. وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء، وَقَالَ البلقيني يجوز أن ينضم ويتكاثف جميع أجزائه فيصير على قدر هيئة الإنسان ثم يعود على هيئته.

وَقَالَ ابن حجر: إن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفيه اللّه تَعَالَى على الرائي فقط وهو على كل شيء قدير ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾.

دل ذلك على كمال عفافها وورعها فإنها تعوذت باللّه من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرًا لعفتها ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18] أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي اللّه وتخشاه وتحتفل بالاستعاذة به، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله أي: فإني عائذة به منك، أو فتتعظ بتعويذي أو فلا تتعرض لي.

وقيل: إنما قالت إن كنت تقيًّا لأن التقي إذا وعظ باللّه تعالى فإنه يتعظ ويخاف، والفاسق يخوَّف بالسلطان، والمنافق يخوّف بالناس، ويجوز أن يكون للمبالغة أي: إن كنت تقيًّا متورعًا فإني أعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك. وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا

خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يُوسُف من خدم بيت المقدس.

ثم المراد بالروح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن الدين يُحيى به وبوحيه أو سماه لله روحه على المجاز محبة له وتقريبًا كما تقول لحبيبك أنت روحي.

وقيل: هو روح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثل على صورة أمرد وجاء إلى أمه ودخل في جوفها ثم خرج بإذن اللّه فهو من جملة قدرة اللّه تَعَالَى نقله الْقُرْطُبِيّ.

وقرأ أَبُو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند اللّه الذي هو عدة المقربين فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: 88، 89] أو لأنه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي: مقربنا وذا روحنا ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الذي استعذت به ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا﴾ [مريم: 19] أي: لأكون سببًا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون حكاية لقول اللّه سبحانه ويؤيده قراءة أَبِي عمرو وورش عن نافع وكذا قالون عن خلف ويعقوب بالياء وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك. ﴿زَكِيًّا﴾ طاهرا من الذنوب أو ناميًا على الخير أي: مترقبًا من سن إلى سن على الخير والصلاح ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: 20] أي: ولم يباشرني رجل بالحلال جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237] أو لمستم النساء وأما الزنا فليس كذلك إنما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20] البغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهو مفعول عند المبرد أصله بغوي فأدغمت الواو في الياء ثم كسرت الغين اتباعًا ولذلك لم تلحقه التاء.

وَقَالَ ابن جني في كتاب التمام: هو فعيل ولو كانت فعولًا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر، وإنما لم تلحقه التاء لأنه للمبالغة أو للنسبة كالطالق ﴿قَالَ

كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ الكلام في إعرابه كالكلام في ما قبله من قوله قَالَ كذلك قَالَ ربك هو عليّ هين وقد خلقتك. ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾، أي: ونفعل ذلك أو لنبين به قدرتنا ولنجعله فعلى الأول: هو تعليل معلله محذوف. وعلى الثاني: هو معطوف على تعليل مضمر هو لنبين به قدرتنا وهو متعلق لقوله ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ إذ هو متضمن لمعنى نخلقه وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات فتأمل.

وقوله: آية للناس أي: علامة لهم وعبرة لهم وبرهانًا على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ على العباد يهتدون بإرشاده.

وَقَالَ الزمخشري: والمراد بالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببًا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 21] أي: وكان خلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذا المنوال أمرًا تعلق به قضاء اللّه في الأزل أو قدر وسطر في اللوح أو كان أمرًا حقيقيًّا بأن يقضي ويفعل لكونه آية ورحمة ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ [مريم: 22] عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت.

قيل: كانت مدة حملها ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية سبعة أشهر.

وقيل: ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره فتلك آية.

وقيل: ثلاث ساعات.

وقيل: حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة.

وقيل: كانت بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ [مريم: 22] أي: اعتزلت وهو في بطنها والجار والمجرور في موضع الحال ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: 22] بعيدًا من أهلها وراء الجبل والقصيّ أشد بعدًا من القاصي وقيل أقصى الدور ﴿فَأَجَآءَهَا

﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ أي: فألجأها وهو في الأصل منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه كما تقول بلغته وأبلغنيه.

ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء ولم يقل أتيت المكان وأتانيه فلان وقرئ المخاض بكسر الميم أَيْضًا وهما مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأنّ تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم أي: مشهور معلوم عندهم فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل وإما أن يكون تعريف الجنس أي: جذع هذه الشجرة خاصة ولعله تَعَالَى ألهمها ذلك ليريها من آياته ما تسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرًا على البرد وثمارها إنما هي من جمّارها أي: شحمها فهي موافقة لها فلذلك اختارها لها وألجأها إليها ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم أو خوفًا على الناس أن يعصوا اللّه بسببه وقرئ: ﴿مِتُّ﴾ بالضم والكسر من مات يموت ومات يمات ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ [مريم: 23] أي: ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: 107] وعن يُونُس العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي: الشيء اليسير نحو العصا والقدح تمنت لو كانت شَيْئًا تافهًا لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نُسي واطّرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه.

وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمي به.

وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء لما ينسؤه أهله لقلته ونزارته ﴿مَّنسِيًّا﴾ منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم.

وقال قتادة: يعني لا أعرف ولا يُدرى من أنا، وقرأ الأَعْمَش بكسر الميم

على الاتباع كالمغيرة والمنخر﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾. وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على أن في نادى ضمير أحدهما وعن قَتَادَة الضمير من تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾ أي: فصاح بها لا تحزني أو بأن لا تحزني ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ[1] سَرِيًّا﴾ [مريم: 24] جدولا سئل النَّبِيّ ﷺ عن السري فَقَالَ هو الجدول أي: النهر الصغير.

وقيل: سيرا من السرو وهو الرفعة ومنه رجل سريّ أي: شريف وهو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعن الحسن كان واللّه عبدًا سريًّا ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: 25] أي: وأميليه إليك والباء مزيدة للتأكيد كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] أو على معنى افعلي الهز والإمالة كقوله مجرح في عراقيبها نصلي، أو هزي الثمرة بهزة والهز التحريك بجذب ودفع ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه:

توكل على الرحمن ثم اطلب الغنى فإني رأيتُ العجز في تركك الطلب
ألـم تـر أن الـلّـه قـال لـمـريـم وهزي إليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أمال الجذع من غير هزها إلـيـهـا ولـكـن الأمـور لـهـا

﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ﴾ أصله تتساقط فأدغمت التاء في السين وحذفها حمزة، وقرأ حفص تساقط من ساقطت بمعنى أسقطت وقرأ يعقوب يساقط بالياء وتشديد السين وقرئ تتساقط. وتُسقِط. ويَسقُط. فالتاء للنخلة والياء للجذع ﴿رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: 25] تميزًا أي: غضًا طريًّا تمييز أو مفعول على حسب القراءة فإن قرئ بفتح التاء أو الياء يكون تمييزًا كقولك تصبب الفرس عرقًا وإذا قرئ بالضم يكون مفعولا به أي: تساقط النخلة رطبًا فإن قيل ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب

(1) أي: بحيال قدميك.

حتى تسلى بالسريّ والرطب فالجواب أنه لم يقع التسلية بهما من حيث إنهما طعام وشراب بل من حيث إنهما معجزتان تريان للناس أنها من أهل العصمة والريبة فإنه روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل اللّه تَعَالَى لها رأسا وخوصًا ورطبًا فدل ذلك على براءة ساحتها فإن مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش ونبه لمن رآها عليه على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل وأنه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الأمرين فَقَالَ: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾ أي: من الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره.

قالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل القائل هو الربيع بن خيثم ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب فالحاصل أنه تَعَالَى جمع لها في السري والرطب فائدتين:

إحداهما: الأكل والشرب.

والثانية: سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهذا معنى قوله فكلي واشربي ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ أي: وطيبي نفسًا وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك. وقرئ وقِرّي بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسرّ النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره أو من القُر فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي: فإن تري آدميًا وقرئ ترئن بالهمزة على لغة من يقول لبّأتُ بالحج أي: لبّيتُ لتآخ بين الهمزة وحرف اللين في الإبدال ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتا وفي مصحف عَبْد اللّه صمتًا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صيامًا إلا أنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رَسُول اللّه ﷺ عن صوم الصمت لأنه نسخ في أمته ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26] بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي.

وقيل: أخبرتهم بنذرها بالإشارة وإنما أمرها اللّه بأن تنذر الصوم واللّه أعلم

لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين:

أحدهما: أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها.

والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾ مع ولدها ﴿قَوْمَهَا﴾ راجعة إليهم بعد ما طهرت من النفاس ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ حاملة إياه ﴿قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: 27] بديعًا منكرًا وهو من فرى الجلد إذا قطعه ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ قيل: كان أخاها من أبيها من أمثل بني إسرائيل.

وقيل: هو أخو مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعن النَّبِيّ ﷺ إنما عنوا هارون النَّبِيّ وكانت من أعقابه في طبقة الأخوة وبينها وبينه ألف سنة وأكثر وعن السُّدِّيّ كانت من أولاده وإنما قيل أخت هارون كما يقال يا أخا همدان أي: يا واحدًا منهم.

وقيل: رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به أي: كنتِ عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به ولم يرد أخوة النسب ذكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هارون تبركًا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهارون هذا ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28] أي: فاجرة تقرير لأن ما جاءت به فرى وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش وقيل احتمل يُوسُف النجار مريم وابنها إلى غار فلبثوا فيه أربعين يومًا حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فَقَالَ يا أماه أبشري فإني عَبْد اللّه ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك.

وقيل: هموا برجمها حتى تكلم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فتركوها ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عيسى أي: كلموه ليجيبكم فإنه هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه وعن السُّدِّيّ لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها أشد علينا من فعلها ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: 29]، ولم نعهد صبيًّا في المهد كلمه عاقل، وكان زائدة والظرف صلة من وصبيًّا حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أو بمعنى صار وروي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك

الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ أنطقه اللّه أولًا بأنه عَبْد اللّه لأنه أول المقامات وللرد على من يزعم بربوبيته ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: 30] هو الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم: 30، 31] نفاعًا معلمًا للخير.

والتعبير بلفظ المضيّ إما باعتبار ما سبق في قضائه أو يجعل المحقق وقوعه الآتي لا محالة كالواقع الذي وجد.

وقيل أكمل اللّه عقله واستنباه طفلًا نظرًا في ظاهر الآية ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: 30] حيث كنت ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾ وأمرني ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ زكاة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ [مريم: 31 - 32] وبارًّا بها عطف على مباركًا وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به جعل ذاته برًّا لفرط بره أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي: وكلفني برًّا لأن أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفًا على الصلاة ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32] عند اللّه من فرط تكبره أو لم يخذلني بمخالفته قيل الشقي من يذنب ولا يتوب ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝٣٣﴾ [مريم: 33].

قيل: أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله والمعنى وذلك السلام الموجه إلى يَحْيَى في المواطن الثلاثة موجه إليَّ والأظهر أنه للجنس تعريضًا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: 47] فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنّة لنحو هذا من التعريض واللّه تَعَالَى أعلم.

والتفويض إليه أسلم وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغًا يتكلم فيه الصبيان.

وفي الكشف: أن عيسى عليه السلام عاش في الدنيا ثلاثًا وثلاثين سنة فاجتهد في العبودية ليكون عاريًا عن العوائق وصعد إلى السماء.

نَبَذْنَاهُ: أَلْقَيْنَاهُ: اعْتَزَلَتْ ﴿شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم: 16]: مِمَّا يَلِي الشَّرْقَ، ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ [مريم: 23]: أَفْعَلْتُ من جِئْتُ، وَيُقَالُ: أَلْجَأَهَا اضْطَرَّهَا. ﴿تَسَّاقَطْ﴾: تَسْقُطْ[1]،

(نَبَذْنَاهُ: أَلْقَيْنَاهُ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى في قصة يُونُس عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ [الصافات: 145] وقد روى الطَّبَرِيّ من طريق علي ابن أَبِي طلحة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: فنبذناه قَالَ ألقيناه.

قَالَ الْعَيْنِيّ: وليس لذكره ههنا مناسبة لأن المذكور في قصة مريم لفظ انتبذت ومعنى انتبذت غير معنى نبذناه أقول نعم إلا أنه يمكن أن يكون ثَمَّ إشارة إلى أن انتبذت ونبذناه من أصل واحد.

(اعْتَزَلَتْ ﴿شَرۡقِيّٗا﴾: مِمَّا يَلِي الشَّرْقَ) أشار به إلى أن المعنى قوله انتبذت اعتزلت أي: تنحت وانفردت وتخلت للعبادة قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ إذ انتبذت أي: اعتزلت وتنحت. وقوله مما يلي الشرق إشارة إلى معنى قوله: ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ أي: في مكان شرقي مما يلي شرقي بيت المقدس أو في مكان شرقي من دارها قَالَ أَبُو عبيد فِي قَوْلِهِ: ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ مما يلي الشرق وهو عند العرب غير الغربي الذي يلي المغرب.

(﴿فَأَجَآءَهَا﴾ ٱلۡمَخَاضُ﴾: (أَفْعَلْتُ من جِئْتُ، وَيُقَالُ: أَلْجَأَهَا اضْطَرَّهَا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ وأشار بقوله: «أفعلت من جئت» إلى أن لفظ أجاء مزيد جاء تقول جئت إذا أخبرت عن نفسك ثم أردت أن تعدي به إلى غيرك تقول أجأت زيدًا وهنا كذلك بالتعدية لأن الضمير في أجاءها يرجع إلى مريم وفاعل أجاء هو قوله: ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾ وهو الطلق قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ﴾ أفعلها من جاءت وأجاءها غيرها قَالَ زهير:

وجاء وسار معتمدًا إليكم   أجاء به المخافة والرجاء

وَقَالَ الزمخشري: أن أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله تغير بعد النقل إلى الإلجاء وقد مر.

(﴿تَسَّاقَطْ﴾: تَسْقُطْ) هو قول أَبِي عُبَيْدَةَ وضبط تسقط بضم أوله من الرباعي

(1) قال العيني: قرأ حمزة بفتح التاء وتخفيف السين، وقرأ حفص عن عاصم بضم التاء وكسر القاف، وقرأ الباقون بتشديد السين أصله تتساقط أدغمت التاء في السين، اهـ. وقال الحافظ: =

﴿قَصِيًّا﴾ [مريم: 22]: قَاصِيًا، ﴿فَرِيًّا﴾ [مريم: 27]: عَظِيمًا «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «﴿نَسْيًا﴾ لَمْ أَكُنْ شَيْئًا، وَقَالَ غَيْرُهُ: النِّسْيُ: الحَقِيرُ» ....

والفاعل النخلة عند من قرأها بالمثناة أو الجذع عند من قرأها بالتحتانية وقد مر تفصيله أَيْضًا.

(﴿قَصِيًّا﴾ **قَاصِيًا**) أشار به إلى تفسير قوله: ﴿قَصِيًّا﴾ وهكذا فسره مجاهد أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيّ عنه وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: قصيًّا أي: بعيدًا. وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أقصى واد فرارًا من قومها أن يعيروا ولادتها من غير زوج. وقرأ ابن مَسْعُود وابن أَبِي عبلة قاصيًا وَقَالَ الْفَرَّاء القاصي والقصي بمعنى. وأصله من القصو وهو البعد والأقصى الأبعد.

(﴿فَرِيًّا﴾ **عَظِيمًا**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: 27] وفسر قوله: ﴿فَرِيًّا﴾ بقوله: ﴿عَظِيمًا﴾ وهو تفسير مجاهد أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيّ من طريق ابن أَبِي نجيح عنه ومن طريق سَعِيد عن قَتَادَة كذلك.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ كل فائق من عجب أو عمل فهو فري وقيل الفري الولد من الزنا كالشيء المفترى وَقَالَ قطرب الفري الجلد الجديد من الأسقية أي: جئت بأمر عجيب أو أمر جديد لم تُسبقي إليه.

و(**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: («﴿نَسْيًا﴾ **لَمْ أَكُنْ شَيْئًا، وَقَالَ غَيْرُهُ: النِّسْيُ: الحَقِيرُ**») أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حكاية عن مريم: ﴿قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: 23] وفسر ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قوله: ﴿نَسْيًا﴾ بقوله: «**لم أكن شَيْئًا**» وروى الطَّبَرِيّ من طريق ابن جريج عن

= قوله: ﴿تُسَـٰقِطْ﴾ تسقط هو قول أبي عبيدة وضبط تسقط بضم أوله من الرباعي والفاعل النخلة، اهـ.

قلت: والقراءات في قوله: ﴿تُسَـٰقِطْ﴾ كثيرة ذكر الرازي في تفسيره تسع قراءات. ثم قال القسطلاني: روي أنها كانت نخلة يابسة ولا رأس لها ولا ثمرة وكان الوقت شتاء فهزته فجعل اللّه له رأسا وخوصًا ورطبًا يسليها بذلك لما فيه من المعجزة الدالة على براءة ساحتها، اهـ.

قال الرازي: كأن اللّه أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو أشد الأشياء موافقة للنفساء ولأن النخلة أقل الأشياء صبرًا على البرد ولا تثمر إلا عند اللقاح وإذا قطعت رأسها لم تثمر إلا عند اللقاح، ثم إني أظهر الرطب من غير اللقاح ليدل ذلك على جواز ظهور الولد من غير ذكر، اهـ.

وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: عَلِمَتْ مَرْيَمُ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نُهْيَةٍ حِينَ قَالَتْ: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18] قَالَ وَكِيعٌ، عَن إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ: ....

عطاء عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي: لم أخلق ولم أكن شَيْئًا.

وَقَالَ غيره أي: غير ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا النسي الحقير وهو قول السُّدِّيّ. وقيل هو ما سقط في منازل المرتحلين من رذالة أمتعتهم. وروى الطَّبَرِيّ من طريق سَعِيد عن قَتَادَة قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ أي: شَيْئًا لا يذكر. وقرأ حمزة وحفص عن عاصم بفتح النون قيل وهما لغتان وَقَالَ أَبُو علي الفارسي الكسر أعلى اللغتين وَقَالَ ابن الأنباري من كسر النون قَالَ النسي اسم بمنزلة النقض اسم لما ينقض والنسي بالفتح اسم لما ينسى أَيْضًا على أنه مصدر ناب عن الاسم وقيل: نسيًّا لم أذكر فيما مضى ومنسيًّا لا أذكر فيما بقى.

(**وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ**) هو شقيق بن سلمة: (**عَلِمَتْ مَرْيَمُ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نُهْيَةٍ حِينَ قَالَتْ**: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾) وصله عبد بن حميد من طريق عاصم قَالَ قرأ أَبُو وائل قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًّا قَالَ لقد علمت مريم أن التقي ذو نهية.

وقيل: وإنما قالت مريم هذا حين رأت جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ تعني إن كنت تقيًّا فانته عني وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه كان في زمانها رجل يقال له تقي وكان فاجرًا فظنته إياه.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وأغرب من قَالَ إنه اسم رجل يقال له تقي كان مشهورًا بالفساد فاستعاذت منه.

وقيل: كان تقي رجلًا من أمثل الناس في ذلك الزمان فقالت إن كنت في الصلاح مثل تقي فإني أعوذ بالرحمن منك كيف يكون رجل أجنبي وامرأة أجنبية في حجاب واحد.

والنهية: بضم النون وسكون الهاء وقد تفتح النون وهي العقل لأنه ينهى صاحبه عن القبيح، وقوله ذو نهية أي: ذو عقل وانتهاء عن فعل القبيح.

(**وَقَالَ وَكِيعٌ**) هو ابن الجراح الرواسِي الكوفي، (**عَن إِسْرَائِيلَ**) هو ابن يُونُس ابن أَبِي إِسْحَاق، (**عَنْ**) جده (**أَبِي إِسْحَاقَ**) السبيعي واسمه عمرو، (**عَنِ البَرَاءِ**)

«﴿سَرِيًّا﴾ [مريم: 24]: نَهَرٌ صَغِيرٌ بِالسُّرْيَانِيَّةِ».

3436 - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلا ثَلاثَةٌ:

أي: ابن عازب رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه قَالَ: (﴿سَرِيًّا﴾) أي: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24].

(**نَهَرٌ صَغِيرٌ بِالسُّرْيَانِيَّةِ**) يعني أن السري بالسريانية هو النهر الصغير وكذا رواه الحاكم في المستدرك وابن أَبِي حاتم من طريق الثَّوْرِيّ والطبري من طريق شعيب كلاهما عن أَبِي إِسْحَاق عن البراء مثله وَأَخْرَجَهُ ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل به لكن لم يقل بالسريانية وإنما قَالَ البراء السري الجدول وهو النهر الصغير.

وقد ذكر أَبُو عُبَيْدَةَ: أن السري النهر الصغير بالعربية أَيْضًا.

وروى الطَّبَرِيّ من طريق حصين عن عمرو بن ميمون.

قَالَ السري: الجدول ومن طريق الحسن البَصْريّ قَالَ السري: هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وهو شاذ.

وقد روى ابن مردويه في تفسيره من حديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا السريّ في هذه الآية أَخْرَجَهُ اللّه لمريم لتشرب منه واللّه تَعَالَى أعلم.

(**حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إلا ثَلاثَةٌ**) قَالَ الْقُرْطُبِيّ في هذا الحصر نظر.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: ليس من الأدب أن يقال في كلام النَّبِيّ ﷺ نظر بل الذي يقال فيه أنه ﷺ ذكر الثلاثة قبل أن يعلم بالزائد عليها فكأن المعنى لم يتكلم إلا ثلاثة فيما أوحي إليَّ أو المعنى لم يتكلم بقيد المهد إلا ثلاثة وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد.

والسبب في ذلك ما وقع في حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا عن أحمد والبزار وابن حبان والحاكم لم يتكلم في المهد إلا أربعة فلم يذكر الثالث الذي هنا وذكر شاهد يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ والصبي الرضيع الذي قَالَ لأمه وهي ماشطة

عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، ....

بنت فرعون لما أراد فرعون إلقاء أمه في النار اصبري يا أماه فإنّا على الحق.

قال ابن الجوزي: أخبرت بنت فرعون أباها بأن ماشطتها أسلمت فأمر بإلقائها وإلقاء أولادها في النار، فلما بلغت النوبة إلى آخر ولدها وكان رضيعًا قال: اصبري يا أماه فإنك على الحق فألقيت مع ولدها وأخرج الحاكم نحوه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ فيجتمع من هذا خمسة ووقع ذكر شاهد يُوسُف أَيْضًا في حديث عمران بن حصين لكنه موقوف.

وروى ابن أَبِي شيبة من مرسل هلال بن يساف مثل حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا إلا أنه لم يذكر الماشطة.

وفي صحيح مسلم من حديث صهيب في قصة أصحاب الأخدود امرأة جيء بها لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي يرضع فتقاعست فَقَالَ لها يا أماه اصبري فإنك على الحق وزعم الضاحك في تفسيره أن يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تكلم في المهد أَخْرَجَهُ الثعلبي فإن ثبت صاروا سبعة.

وقد تكلم في زمن النَّبِيّ ﷺ مبارك اليمامة وقصته في دلائل النبوة للبيهقي من حديث معرض بالضاد المعجمة.

وقد اختلف في شاهد يُوسُف فقيل كان صغيرًا وهذا أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وسنده ضعيف وبه قَالَ الحسن وسعيد بن جُبَيْر وأما حكاية الماشطة فلم تنقل نقلًا يقوم بها الحجة وأخرج أَيْضًا عَنِ ابْن عَبَّاس ومجاهد أنه كان ذا لحية وعن قَتَادَة والحسن أَيْضًا كان حكيمًا من أهلها وفسر بأنه كان ابن خال لزليخا صبيًّا في المهد واللّه أعلم.

(عِيسَى) عَلَيْهِ السَّلَامُ (**وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ**) بجيمين مصغرًا وفي رواية حديث أَبِي سلمة كان رجل في بني إسرائيل تاجرًا وكان ينقص مرة ويزيد أخرى فَقَالَ ما في هذه التجارة خير لألتمس تجارة هي خير من هذه فبنى صومعة وترهَّب فيها وكان يقال فيه جريج فذكر الحديث.

ودل ذلك على أنه كان بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه كان من أتباعه لأنهم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النفس في الصوامع والصومعة بفتح المهملة

كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، ....

وسكون الواو هي البناء المرتفع المحدد أعلاه ووزنها فوعلة من صمعت إذا دققت لأنها دقيقة الرأس.

(كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ) فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنيّ: فجاءته أمه وفي رواية: أَبِي رافع كان جريج يتعبد في صومعته فأتته أمه.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولم أقف في شيء من الطرق على اسمها وفي حديث عمران بن حصين وكانت أمه تأتيه فتناديه فيشرف عليها فيكلمها فأتته يومًا وهو في صلاته.

وفي رواية أَبِي رافع عن أحمد: فأتته أمه ذات يوم فنادته فقالت أي: جريج أشرف عليَّ أكلمك أنا أمك.

(فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي) زاد المصنف في المظالم بالإسناد الذي ذكره هنا فأبى أن يجيبها.

وفي رواية أَبِي رافع: فصادفته يصلي فوضعت يدها على حاجبها فقالت يا جريج فَقَالَ يا رب أمي وصلاتي فاختار صلاته فرجعت ثم أتته فصادفته يصلي فقالت يا جريج أنا أمك فكلمني فَقَالَ مثله فذكره.

وفي حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أنها جاءته ثلاث مرات تناديه كل مرة ثلاث مرات.

وفي رواية الأعرج عن الإسماعيلي فَقَالَ: أمي وصلاتي لربي أوثر صلاتي على أمي ذكره ثلاثًا.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ومعنى قوله أمي وصلاتي اجتمع عليّ إجابة أمي وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما، وكل ذلك محمول على أنه قَالَ في نفسه لا أنه نطق به. ويحتمل أن يكون على ظاهره أنه نطق به فإن الكلام كان مباحًا في الصلاة في شرعهم وكذلك كان في صدر الإسلام.

(فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ) وفي رواية الأعرج حتى تنظر في وجوه المياميس ومثله فِي رِوَايَةِ أَبِي سلمة وفي رواية أَبِي رافع حتى تريه

وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ ....

الموسة بالإفراد وفي حديث عمران فغضبت فقالت اللّهم لا يموتن جريج حتى ينظر في وجوه المومسات وهي جمع مومسة بضم الميم وسكون الواو وكسر الميم بعدها وهي الزانية، ويجمع جمع التكسير على مواميس بالواو وجمع في الطريق المذكورة بالتحتانية وأنكره ابن الخشاب ووجهه غير ظاهر كما تقدم في أواخر الصلاة وجوز صاحب المطالع فيه الهمزة بدل الياء بل أثبتها رواية ووقع فِي رِوَايَةِ الأعرج فقالت أبيت أن نطلع إلى وجهك لا أماتك اللّه حتى تنظر في وجهك زواني المدينة.

(**وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا**) وفي رواية وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن أحمد وذكر بنو إسرائيل عبادة جريج فقالت بغيّ منهم لئن شئتم لأفتننه قالوا قد شئنا فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأمكنت نفسها من راع كان يؤوي غنمه إلى ظل صومعة جريج.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولم أقف على اسم هذه المرأة لكن في حديث عمران بن حصين أنها كانت بنت ملك القرية وفي رواية الأعرج وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم ونحوه.

وفي رواية أَبِي رافع عن أحمد.

وفي رواية أَبِي سلمة: وكان عند صومعته راعي ضأن وراعية معزى ويمكن الجمع بين هذه الروايات أنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة وكانت تفعل الفساد إلى أن ادعت أنها تستطيع أن تفتن جريجًا فاحتالت بأن خرجت في صورة راعية ليمكنها أن تأوي إلى ظل صومعته لتتوصل بذلك إلى فتنته.

(**فَوَلَدَتْ غُلامًا**) فيه حذف تقديره فحملت حتى انقضت أيامها فولدت غلامًا.

(**فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ**) فيه حذف أَيْضًا تقديره فسئلت ممن هذا فقالت هو من صاحب الدير.

وزاد فِي رِوَايَةِ أحمد فأخذت وكان من زنى منهم قتل فقيل لها ممن هذا؟

فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي،

قالت هو من صاحب الصومعة وزاد الأعرج نزل إليّ من صومعته فأصابني وفي رواية عنه فقيل لها من صاحبك قالت جريج الراهب نزل إليَّ فأصابني وزاد أَبُو سلمة وفي روايته فذهبوا إلى الملك فأخبروه قَالَ أدركوه فأتوني به.

(**فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ**) وفي رواية أَبِي رافع فأقبلوا بفؤوسهم ومساحيهم إلى الدير فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديره وفي حديث عمران فما شعر حتى سمع بالفؤوس في أصل صومعته فجعل يسألهم ويلكم ما لكم فلم يجيبوه فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى.

(وَسَبُّوهُ) زاد أحمد عن وهب ابن جرير وضربوه فَقَالَ ما شأنكم قالوا إنك زنيت بهذه وفي رواية أَبِي رافع فقالوا أي: جريج انزل فأبى يقبل على صلاته فأخذوا في هدم صومعته فجعلوا يطوفون بهما الناس.

وفي رواية أَبِي سلمة فَقَالَ له الملك ويحك يا جريج كنا نراك خير الناس فأحبلت هذه أذهبوا به فاصلبوه.

وفي حديث عمران فجعلوه يضربونه ويقولون ترائي تخادع الناس بعلمك.

وفي رواية الأعرج فلما مروا به نحو بيت الزواني خرجن ينظرن فتبسم فقالوا لم يضحك حتى مر بالزواني.

(**فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى**) وفي رواية وهب بن جرير فقام وصلى ودعا وفي رواية عمران قال فتولوا عنه فصلى ركعتين.

(**ثُمَّ أَتَى الغُلامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي**) وفي رواية فلان الراعي وزاد فِي رِوَايَةِ وهب بن جرير فطعنه بإصبعه فَقَالَ بالله من أبوك يا غلام قَالَ أنا ابن الراعي وفي رواية أَبِي رافع ثم مسح رأس الصبي فَقَالَ من أبوك؟ قَالَ راعي الضأن.

وفي رواية عن أحمد: فوضع إصبعه على بطنها.

وفي رواية أَبِي سلمة فأتى بالمرأة والصبي وفمه في ثديها فَقَالَ له جريج يا غلام من أبوك؟ فنزع الغلام فاه من الثدي وَقَالَ أَبِي راعي الضأن.

قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لا، إلا مِنْ طِينٍ.

وفي رواية الأعرج: فلما دخل على ملكهم قَالَ جريج: أين الصبي الذي ولدته فأتي به فَقَالَ له من أبوك قَالَ فلان سمى أباه.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولم أقف على اسم الراعي وأما الابن فقد تقدم في أواخر الصلاة بلفظ فَقَالَ يا بابوس فَقَالَ الداوودي هو اسم الغلام.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: إنه ليس اسمه كما زعم الداوودي وإنما المراد به الصغير. وفي حديث عمران ثم انتهى إلى شجرة فأخذ منها غصنًا ثم أتى الغلام وهو في مهده فضربه بذلك الغصن فَقَالَ من أبوك؟ ويجمع بين هذا الاختلاف بوقوع كل مما ذكر من مسح رأس الصبي ووضع إصبعه على بطن أمه وطعنه بإصبعه وضربه بطرف العصا التي كانت معه فكل روى بما سمع وأما ما قيل من تعدد القصة فبعيد جدًّا.

وفي رواية وهب بن جرير: فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه وزاد الأعرج في روايته فأبرأ اللّه جريجًا وأعظم الناس أمر جريج وفي رواية أَبِي سلمة فسبح الناس وعجبوا.

(قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لا، إلا مِنْ طِينٍ) وفي رواية وهب ابن جرير ابنوها من طين كما كانت وفي رواية أَبِي رافع فقالوا نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة؟ قَالَ لا ولكن أعيدوه كما كان ففعلوا وزاد فِي رِوَايَةِ أَبِي سلمة فردوها فرجع في صومعته فقالوا له باللَّه مم ضحكت؟ قَالَ ما ضحكت إلا من دعوة دعتها عليَّ أمي.

وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن إجابة الأم وبرها واجب فلا يترك لأجل التطوع الذي الاستمرار فيها نافلة.

وقد جاء في حديث يزيد بن حوشب عن أبيه أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**لو كان فقيها لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه**» أَخْرَجَهُ الحسن بن سُفْيَان لكن قَالَ الذهبي حوشب ابن يزيد الفهدي مجهول روى عنه ابنه يزيد في ذكر جريج الراهب. وتمسك بعض الشافعية بظاهر الحديث في جواز قطع الصلاة لإجابة الأم سواء كانت فرضًا أو نفلًا والأصح عندهم أنه على التفصيل وهو أن الصلاة إن كانت نفلًا وعلم تأذي الوالد أو الوالدة بالترك وجبت الإجابة وإلا فلا وإن

كانت فرضًا وضاق الوقت لم يجب الإجابة وإن لم يضق وجبت عند إمام الحرمين وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع وعند المالكية أن إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادي فيها وحكى القاضي أَبُو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب وبه قَالَ مكحول وقيل إنه لم يقل به من السلف غيره هذا.

وَقَالَ النووي: إنما دعت عليه فأجيبت لأنه كان يمكنه أن يخفف ويجيبها لكن لعله خشي أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها كذا قَالَ.

وفيه: نظر لما تقدم من أنها كانت تأتيه فيكلمها والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقتنع برؤيته وتكليمه وكان إنما لم يخفف لأنه خشي أن ينقطع خشوعه واللّه تَعَالَى أعلم.

وفي الحديث أَيْضًا: عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورًا لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد.

وفيه: الرفق بالتابع إذا جرى معه ما يقتضي التأديب لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل.

وفيه أَيْضًا: أن صاحب الصدق مع اللّه لا تضره الفتن.

وفيه: قوة يقين جريج وصحة رجائه لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق ولولا صحة رجائه بنطق ما استنطقه.

وفيه: أن الأمرين إذا تعارضا بدئ بأهمهما وأن اللّه يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبا وزيادة لهم في الثواب.

وفيه: إثبات الكرامة للأولياء ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم.

وَقَالَ ابن بطال: يحتمل أن يكون جريج نبيًا فتكون معجزة قَالَ وهذا الاحتمال لا يأتي في حق المرأة التي كلمها ولدها المرضع كما في بقية الحديث.

وفيه: جواز الأخذ بالأشد في العبادة لمن علم من نفسه قوة على ذلك.

وفيه: أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافًا لمن زعم ذلك وإنما الذي

وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، ـ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ ....

يختص بهذه الأمة الغرة والتحجيل في الآخرة.

وفيه: أن المفزع في الأمور المهمة إلى اللّه تَعَالَى يكون بالتوجه إليه في الصلاة.

وفيه: أن مرتكب الكبيرة لا يبقى له حرمة.

واستدل به بعضهم على أن بني إسرائيل كان من شرعهم أن المرأة تصدق فيما تدعيه على الرجال من الوطء ويلحق به الولد وأنه لا ينفع الرجل جحد ذلك إلا بحجة تدفع قولها واستدل بعض المالكية بقول جريج من أبوك يا غلام أن من زنا بامرأة فولدت بنتًا لا يحل له التزوج بتلك البنت خلافًا للشافعية ولابن الماجشون من المالكية ووجه الدلالة أن جريجًا نسب ابن الزنا للزاني وصدق اللّه نسبته بما خرق له من العادة في نطق المولود بشهادته له بذلك وقوله أَبِي فلان الراعي فكانت تلك النسبة صحيحة فيلزم أن يجري بينهما أحكام الأبوة والبنوة خرج التوارث والولاء بدليل فبقي ما عدا ذلك على حكمه.

(**وَكَانَتِ امْرَأَةٌ**) قضية أخرى تشبه قضية جريج وامرأة بالرفع فاعل كانت وهي تامة وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولم أقف على اسمها ولا على اسم ابنها ولا على اسم أحد ممن ذكر في القصة المذكورة.

(**تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ**) ويروى إذ مر بها راكب وفي رواية خلاس عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن أحمد فارس متنكر.

(**ذُو شَارَةٍ**) بالشين المعجمة وبالراء المخففة أي: ذو حسن وجمال.

وقيل: صاحب هيئة وملبس حسن يتعجب منه ويشار إليه وفي رواية خلاس: ذو شارة حسنة.

(**فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، ـ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ**) وهو موصول بالإسناد المذكور.

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ـ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ»[1].

(**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ**) وفيه المبالغة في إيضاح الخبر بتمثيله بالفعل.

(**ثُمَّ مُرَّ**) بضم الميم وتشديد الراء على بناء المجهول.

(**بِأَمَةٍ**) وزاد أحمد عن وهب بن جرير بأمة تضرب وفي رواية الأعرج عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ الآتية في ذكر بني إسرائيل تجرر وتلعب بها ولفظ تجرّر بجيم مفتوحة بعدها راء مشددة بعدها راء أخرى وفي رواية خلاس أنها كانت حبشية أو زنجية وأنها ماتت فجروها حتى ألقوها.

(**فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟**) أي: فقالت الأم لابنها لم قلت هكذا يعني أنها سألت عن سبب ذلك.

(**فَقَالَ**) أي: الابن: (**الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ**) وفي رواية أحمد فَقَالَ يا أمتاه أما الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة وفي رواية الأعرج فإنه كان جبارًا وفي رواية أخرى فإنه كافر.

(**وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ**) فيهما الوجهان أحدهما

---

(1) قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بكلام أولئك الثلاثة في المهد فيمن تقدم من الأمم.
والكلام عليه من وجوه:
أن فيه دليلًا على أن أفضل العبادات بر الوالدين يؤخذ ذلك من كون جريج ما شغله عن إجابة أمه إلا شغله بالعبادة ومع ذلك عوقب لذلك الهوان.
وفيه: دليل على إجابة دعاء الوالدين يؤخذ ذلك من ابتلائه بما دعت عليه أمه لما لم يجبها.
وفيه: دليل على أن صاحب الخدمة إن جرى منه أمر يرفق به ولا يكون عقابه مثل غيره يؤخذ ذلك من كون أم جريج لم ينطلق على لسانها في الدعاء بالعقاب إلا برؤية وجوه المومسات ولولا اللطف به لنطقت في الدعاء بوقوع الفاحشة أو سلب الإيمان أو الضرب أو القتل إلى غير ذلك.
وفيه: دليل على أن صاحب الصدق في معاملته مع اللّه تعالى إن ابتلي يلطف به ويجعل عاقبته =

كسر التاء لخطاب المؤنث والآخر سكونها على الخبر وفي رواية أحمد يقولون

= خيرًا يؤخذ ذلك من كون المولود نطق ببراءة.
وفيه: دليل على إجابة مولانا سبحانه وتعالى المضطر إذا دعاه يؤخذ ذلك من أنه لما اضطر جريج إليه عز وجل في تبرئته مما رمى به أنطق عز وجل له المولود بما يدل على ذلك.
وفيه: دليل على أن صاحب الصدق مع اللّه لا تضره إن جرت عليه لا تزيده إلا ترفيعًا وخيرًا يؤخذ ذلك من أنه لما تعرضت تلك المرأة إلى جريج والنساء أكبر الفتن على الرجال وقد قال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**» عصم منها ثم ادعت عليه حتى هدمت صومعته لم يضره ذلك وجعل اللّه عز وجل له خير مخرج حتى رغبوا أن يبنوا له صومعته من ذهب وما ذاك إلا لما كبر قدره عندهم.
وفيه: دليل على أن النساء في بني إسرائيل كن يصدقن فيما يدعين على الرجال من الوطء وتلحق به الولد بغير بينة ولولا ذلك ما كان يحتاج إلى تبرئته لكلام الطفل فإنه لو كان في شريعتنا حدت له ثمانين حد الفرية ولم تصدق عليه وقد جاء عن بني إسرائيل أن ذلك كان من شأنهم حتى إن الباغية منهم إذا حملت ادعت به على من شاءت ممن تعرف وتلحق به الود وتقول له يا فلان كان بيني وبينك كذا وكذا في اليوم الفلاني ومنك هذا المولود فيقبل قولها وتلحقه بنفسه.
وفيه: دليل على أن صاحب الصدق مع مولاه عند الضرورة يطلب النصر من مولاه بخرق العادة بصدق وإدلال على فضله تعالى وأن اللّه عز وجل يفعل معه ذلك يؤخذ ذلك من إتيان جريج بعد الركعتين الصبي يسأله من أبوه فأنطق اللّه عز وجل له المولود لكونه قصده موقنًا بقوة الرجاء في فضله تعالى وقد أوحى اللّه عز وجل في الزبور لداود عليه السلام: «قل لبني إسرائيل من ذا الذي سألني فلم أعطه».
وفيه: دليل على أن صاحب الصدق مع اللّه تعالى عند النوازل لا يجزع ولا يفزع بل يقوى يقينه لثقته بمولاه عز وجل يؤخذ ذلك من كون جريج لما فعل به ما فعل لم يهله قولهم ولا فعلهم وقرع باب مولاه وهو يجر ذيول فخر قوة رجائه في كشف ما به ابتلاه فأسرع عز وجل له بلطفه الجميل بنطق الطفل بكشف غمته «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» ولذلك قال موسى عليه السلام حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء: 61، 62] لقوة رجائه في مولاه ففلق له عز وجل من حينه البحر تصديقًا لدعواه لأنه جل جلاله وثناؤه يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3] أي: كافيه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87].
وفيه: دليل على أن حقيقة النصر في جميع الأمور إنما هي بفضل اللّه عز وجل لا تتوقف على سبب حكمة ولا غيرها فتارة تكون مغطاة بأثر الحكمة وتارة تكون بيد القدرة بارزة لا مغطاة بحكمة كمثل ما نحن بسبيله في قصة عيسى عليه السلام ومن ذكر معه في الحديث فجاء النصر لأم عيسى عليه السلام ولجريج بإبراز قدرة القادر لا غير.
وفيه: دليل على أن خرق العادة تكون للأنبياء عليهم السلام في ذلك ولغيرهم وقد تقدم =

سرقت ولم تسرق زنت ولم تزن وهي تقول حسبي اللّه.

وفي رواية الأعرج: يقولون لها تزني وهي تقول حسبي اللّه ويقولون لها تسرق وهي تقول حسبي اللّه.

وفي الحديث: أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فيعاف سوء الحال بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة

= الكلام على الفرق بينهما في ذلك يؤخذ ذلك مما جرى لعيسى عليه السلام من خرق العادة وهو من الأنبياء والرسل وخرق العادة التي جرت لجريج وجرت للمرأة التي ليست من الأنبياء ولا من العباد أعني أن خرق العادة كانت على صفة واحدة لكنها في حق الأنبياء تسمى معجزة وفي حق الأولياء كرامة.

وفيه: دليل على أن من أدب السنة الكناية عن الأمور الفاحشة يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «**أتته امرأة فكلمته فأبى**» والمعنى طلبت منه إيقاع الفاحشة فكنى ﷺ عن ذلك بقوله فكلمته.

وفيه: دليل على أن من آداب السنة إظهار أهل الخير وإن كانوا قد ماتوا والستر على أهل المخالفات يؤخذ ذلك من كونه ﷺ سمى العابد باسمه لتشهد فضيلته ولم يذكر اسم المرأة سترًا عليها فجاء له ﷺ بصدق مقاله لأن من مقاله عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه**» وكل منا يريد أن تستر عليه زلاته ويحب أن يكون قدوة لأهل الخير وقد نص الكتاب العزيز على ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74] ولا يكون إمامًا يؤتم به في الخير حتى يكون مشهورًا به فكذلك فعله ﷺ هنا أشهر صاحب الخير وستر على صاحب الشر وكذلك في قوله: «**فأتت راعيًا**» لم يسمه باسمه من أجل الستر عليه.

ويترتب على ذلك من الفقه أنه إذا علمت من أحد فعل شرًّا أن تخبر عن ذلك الفعل ولا تسمي صاحبه وإن ذلك ليس بغيبة وقد ذكر ذلك بعض العلماء إلا أن يكون صاحب بدعة فيتعين عليك شهرته لأن ذلك من باب النصح للمسلمين.

وفيه: دليل على أن صاحب المعاصي لا حرمة له يؤخذ ذلك من أنه لما نسبت المرأة الفاحشة إلى جريج لم يبق له عندهم حرمة وهدموا صومعته وسبوه.

وفيه: دليل على أن المؤمن عند المحن الصلاة جنته يؤخذ ذلك من أنه لما فعلوا به ما فعلوا لم يجاوبهم وتوضأ وأقبل يصلي فألهم لطريق الخلاص وقد قيل إن الصلاة كهف المؤمن.

وفيه: دليل على أن أبناء الدنيا وقوفهم مع الخيال الظاهر وإن أصحاب الاطلاع وقوفهم مع حقيقة الباطن يؤخذ ذلك من أن أم الصبي التي كانت ترضعه لما رأت صاحب البشارة تمنت أن يكون ابنها مثله ولما منّ على الطفل بمعرفة الباطن استعاذ منه كما أخبر سبحانه عن قارون بقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: 79، 80].

3437 - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، حَدَّثَنِي مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: «لَقِيتُ مُوسَى، قَالَ: فَنَعَتَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ ـ حَسِبْتُهُ قَالَ ـ مُضْطَرِبٌ ....

كما قَالَ تَعَالَى حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم فقالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: 79، 80]. وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ولم تذكر نفسها.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنها في قصة مريم.

وفي الحديث التعرض لميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه كان كلم الناس في المهد.

(حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى) قَالَ: (حَدَّثَنَا هِشَامٌ) أي: ابن يُوسُف، (عَنْ مَعْمَرٍ) هو ابن راشد.

(ح) تحويل من سند إلى آخر.

وَ(حَدَّثَنِي) بالإفراد (مَحْمُودٌ) هو ابن غيلان قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ) أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ) ويروى: قَالَ النَّبِيّ (ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ: لَقِيتُ مُوسَى) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(قَالَ: فَنَعَتَهُ) أي: وصفه (فَإِذَا رَجُلٌ ـ حَسِبْتُهُ قَالَ ـ) القائل حسبته هو عبد الرزاق وفاعل قَالَ هو النَّبِيّ ﷺ (مُضْطَرِبٌ) أي: طويل غير الشديد وقيل الخفيف اللحم وقد تقدم فِي رِوَايَةِ هشام بلفظ ضرب وفسر بالنحيف ولا منافاة بينهما وَقَالَ ابن التين هذا الوصف مغاير لقوله بعد هذا أنه جسيم يعني في الرواية التي بعد هذه قَالَ والذي وقع نعته بأنه جسيم إنما هو الدجال.

وَقَالَ القاضي عياض رواية من قَالَ ضرب أصح من رواية من قَالَ: مضطرب لما فيها من الشك قَالَ وقد وقع فِي رِوَايَةِ أخرى على ما يأتي الآن جسيم وهو ضد الضرب إلا أن يراد بالجسم الزيادة في الطول.

رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ ـ يَعْنِي الحَمَّامَ ـ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ، قَالَ: وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

وَقَالَ التَّيْمِيّ: لعل بعض هذا الحديث دخل في بعض لأن الجسيم ورد في صفة الدجال لا في صفة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ انتهى.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: والذي يتعين المصير إليه ما جوزه القاضي عياض من أن المراد بالجسم في صفة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الزيادة في الطول ويؤيده قوله في الرواية التي بعد هذه كان من رجال الزط وهم طوال غير غلاظ.

(**رَجِلُ الرَّأْسِ**) مسترسل الشعر (**كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى**) عَلَيْهِ السَّلَامُ (**فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: رَبْعَةٌ**) بفتح الراء وسكون الباء الموحدة ويجوز فتحها وهو المربوع والمراد أنه وسط لا طويل ولا قصير (**أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ**) هو بكسر المهملة وسكون التحتية وآخره مهملة (**يَعْنِي الحَمَّامَ**) هو تفسير عبد الرزاق ولم يقع ذلك فِي رِوَايَةِ هشام والديماس في اللغة السرب ويطلق أَيْضًا على الكنّ والحمام من جملة الكن والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كان في موضع كن فخرج منه وهو عرقان وسيأتي فِي رِوَايَةِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا بعد هذا ينطف رأسه ماء وهو محتمل لأن تراد الحقيقة وأنه عرق حتى قطر الماء من رأسه ويحتمل أن يكون كناية عن مزيد نضارة وجهه ويؤيده أن فِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن آدم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن أحمد وأبي داود يقطر رأسه ماء وإن لم يصبه بلل.

(**وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ، قَالَ: وَأُتِيتُ**) على البناء للمفعول.

(**بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لو أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ**) والحديث قد مضى عن قريب في باب قول اللّه تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: 9].

3438 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ....

ومطابقته للترجمة من حيث أن فيه التعرض لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ**) بالمثلثة قَالَ: (**أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ**) هو ابن يُونُس ابن أَبِي إِسْحَاق السبيعي قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ**) الثقفي الكوفي الأعشى ويقال له عثمان بن أَبِي زرعة وأبو زرعة هو كنية المغيرة وهو من أفراد الْبُخَارِيّ من صغار التابعين وليس له في الْبُخَارِيّ غير هذا الحديث الواحد.

(**عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) كذا وقع في جميع الروايات وقد تعقبه أَبُو ذر فَقَالَ وقع في جميع الروايات المسموعة عن الفربري عن مجاهد عَنِ ابْن عُمَر قَالَ ولا أدري أهكذا حدث به الْبُخَارِيّ أو غلط فيه الفربري لأني رأيته في جميع الطرق عن مُحَمَّد بن كثير وغيره عن مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ثم ساقه بإسناده إلى حنبل بن إِسْحَاق قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن كثير وَقَالَ فيه عَنِ ابْن عَبَّاس قَالَ وكذا رواه عثمان بن سَعِيد الدارمي عن مجاهد بن كثير قَالَ وتابعه نصر ابن علي عن أَبِي أحمد الزبيري عن إسرائيل وكذا رواه يَحْيَى بن زكريا بن أَبِي زائدة عن إسرائيل انتهى.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو نعيم في المستخرج عن الطبراني عن أحمد ابن مُحَمَّد الخزاعي عن مُحَمَّد بن كثير وَقَالَ رواه الْبُخَارِيّ عن مُحَمَّد بن كثير قَالَ مجاهد عَنِ ابْن عُمَر. ثم ساقه من طريق نصر بن علي عن أَبِي أحمد الزبيري عن إسرائيل فَقَالَ ابْن عَبَّاس انتهى.

وَأَخْرَجَهُ ابن مندة في كتاب الإيمان من طريق مُحَمَّد بن أيوب ابن الضريس وموسى بن سَعِيد الدنداني كلاهما عن مُحَمَّد بن كثير عَنِ ابْن عُمَر والصواب عَنِ ابْن عَبَّاس.

وَقَالَ مَسْعُود في الأطراف إنما رواه الناس عن مُحَمَّد بن كثير فَقَالَ مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس ووقع في الْبُخَارِيّ في سائر النسخ مجاهد عَنِ ابْن عُمَر قَالَ وقد رواه أصحاب إسرائيل منهم يَحْيَى بن أَبِي زائدة وإسحاق بن منصور والنضر بن شميل وآدم بن أَبِي إياس وغيرهم عن إسرائيل فقالوا ابْن عَبَّاس قَالَ وكذلك رواه

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى، فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ».

ابن عون عن مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس انتهى. ورواية ابن عون تقدمت في ترجمة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكن لا ذكر لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عن شيخ الْبُخَارِيّ فيها وليس لعيسى ذكر وإنما فيها ذكر إِبْرَاهِيم وموسى حسب وقال الغساني أخطأ البخاري فيما قال عن مجاهد عن ابن عمر والصواب عن مجاهد عن ابن عباس.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ويقع في خاطري أن الوهم فيه من غير الْبُخَارِيّ قَالَ الإسماعيلي أَخْرَجَهُ من طريق نصر بن علي عن أَبِي أحمد وَقَالَ فيه عَنِ ابْن عَبَّاس ولم ينبه على أن الْبُخَارِيّ قَالَ فيه عَنِ ابْن عُمَر فلو كان وقع له كذلك لنبه عليه كعادته.

والذي يرجح أن الحديث لابن عباس لا لابن عمر رضي اللّه عنهم ما سيأتي من إنكار ابْن عُمَر على من قَالَ إن عيسى أحمر وحلفه على ذلك وفي رواية مجاهد هذه فأما عيسى فأحمر جعد فهذا يؤيد أن الحديث لمجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس لا عَنِ ابْن عُمَر رضى اللّه عنهم.

(**قَالَ**:) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ويروى: (**قَالَ النَّبِيّ ﷺ: رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ**) أي: جعد الشعر وهو ضد السبط لأن السبط أكثر ما يكون في شعور العجم.

(**عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى، فَآدَمُ**) أي: أسمر (**جَسِيمٌ**) وقد مر فيما مضى أنه ضرب أي: خفيف اللحم وأنه مضطرب فهذا أَيْضًا وقوله جسيم ولهذا قَالَ التَّيْمِيّ كأن بعض لفظ الحديث دخل في بعض لأن الجسيم إنما ورد في صفة الدجال وقد مر الجواب عنه بأن الجسامة كما تكون في الشخص باعتبار السمن تكون فيه أَيْضًا باعتبار الطول كما يشير إليه تشبيهه برجال الزط.

(**سَبْطٌ**) بفتح المهملة وكسر الموحدة وسكونها أي: ليس بجعد وهذا نعت لشعر رأسه.

(**كَأَنَّهُ من رِجَالِ الزُّطِّ**) بضم الزاي وتشديد المهملة جنس من السودان.

3439 - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وقيل: هم نوع من الهنود وهم طوال الأجساد مع نحافة فيها.

ومطابقته للترجمة كالسابق.

(**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ**) بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم واسمه أنس بن عياض قَالَ: (**حَدَّثَنَا مُوسَى**) ابن عقبة بضم العين وسكون القاف وبالموحدة.

(**عَنْ نَافِعٍ**) أنه قَالَ: (**قَالَ عَبْدُ اللَّهِ**) أي: ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (**ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ**) بفتح الظاء المعجمة وسكون الهاء بلفظ التثنية ويروى بين ظهري الناس بدون النون أي: جالسًا في وسط الناس والمراد أنه جلس بينهم مستظهرًا لا مستخفيًا وزيدت فيه الألف والنون تأكيدًا أو معناه أن ظهرا منهم قدامه وظهرا خلفه فكأنهم حفوا به من جانبيه فهذا أصله ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مُطْلَقًا ولهذا زعم بعضهم أن لفظ ظهراني في مثل هذا الموضع مقحم.

(**الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلا**) للتنبيه كأنه نبه السامعين ليكونوا على تيقظ من كلامه.

(**إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى**) ويروى أعور عَيْنِ الْيُمْنَى أي: عين الجهة اليمنى.

وفي رواية ابن ماجة عن حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ الدجال أعور عين اليسرى والجمع بينهما أن يقال إن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء إذ الأصل في العور العيب ومنه العار.

(**كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**) أي: بارزة ناتئة عن حد أختها من طفا الشيء يطفو من غير همز إذ علا غيره، والطفو أن يعلو الماء ما وقع فيه وشبهها بالعنبة التي تقع في العنقود بارزة عن نظائرها.

ويقال طافئة بالهمز أي: ذاهب ضوؤها وبدون الهمزة ناتئة بارزة.

3440 - وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ فِي المَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، ....

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: العنبة الطافئة هي الحبة الكبيرة التي خرجت عن حد أخواتها. فإن قيل جاء فِي رِوَايَةِ أخرى أنه جاحظ العين كأنها كوكب وفي أخرى أنها ليست بناتئة ولا حجرًا بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم قَالَ الهروي: إن كانت اللفظة محفوظة فمعناها أنها ليست بصلبة متحجرة وقد روي جحرًا بتقديم الجيم أي: غائرة منحجرة في نقرتها.

وَقَالَ الأزهري: هو بالخاء المعجمة في أوله ومعناها الضيقة التي لها غمض ورمض.

وفي رواية أَبِي داود الطيالسي من حديث أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وعن ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا إحدى عينيه مطموسة والأخرى ممزوجة بالدم كأنها الزهرة.

فالجواب: أن يقال إن اختلاف الأوصاف بحسب اختلاف العينين.

(وَأَرَانِي) بفتح الهمزة أي: أرى نفسي وذكر بلفظ المضارع مبالغة في استحضار صورة الحال.

(اللَّيْلَةَ) أي: في الليلة (عِنْدَ الكَعْبَةِ فِي المَنَامِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ) بالمد لأنه أفعل من الأدمة وهي السمرة الشديدة.

(كَأَحْسَنِ مَا يُرَى) وفي رواية مالك عن نافع الآتية كأحسن ما أنت راء.

(مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ) بضم الهمزة جمع آدم.

(تَضْرِبُ لِمَّتُهُ) بكسر اللام أي: شعره الذي جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين فإذا بلغت المنكبين فهي جمة وإذا قصرت عنهما فهي وفرة.

(بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعَرِ) بكسر الجيم بمعنى مسرح الشعر ومحسنه ومنظفه وهو من الترجل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتدهينه وفي رواية مالك: له لمة قد رجلها فهى تقطر ماء.

(يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً) وهو الماء الذي رجلها به لقرب ترجيله ويحتمل أن يكون المراد الاستعارة من نضارته وجماله ومزيد نظافته.

وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى، ....

ووقع فِي رِوَايَةِ سالم الآتية في نعت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه آدم سبط الشعر وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى أنه جعّد.

والجعد: ضد البسط، ويمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر ووصفه بالجعودة في جسمه لا في شعره والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم أو أحمر والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة والآدم الأسمر ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر ويمكن أن يقال أيضًا إنه ليس أحمر صرفًا بل هو مائل إلى الأدمة وقد وافق أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ على أن عيسى أحمر فظهر أن ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنكر شَيْئًا حفظه غيره وأما قول الداوودي إن رواية من قَالَ آدم أثبت فلا أدري من أين وقع له ذلك مع اتفاق أَبِي هُرَيْرَةَ وابن عباس رضي اللّه عنهم على مخالفة ابْن عُمَر رضي اللّه عنهما وقد وقع فِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن آدم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ في نعت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه مربوع إلى الحمرة والبياض كذا قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ.

(**وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ**) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ لم أقف على اسميهما وفي رواية مالك متكئًا على عواتق رجلين والعواتق جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق.

(**وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا**) قد مر أن الجعودة تحتمل الذم والمدح بحسب الاستعمال وهي في صفة عيسى مدح وفي صفة الدجال ذم.

(**قَطِطًا**) بفتح القاف والطاءين المهملتين وقد تكسر الطاء الأولى والمراد به شدة جعودة الشعر ويطلق في وصف الرجل ويراد به الذم يقال جعد اليدين وجعد الأصابع أي: بخيل ويطلق على القصير أَيْضًا.

(**أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى**) من باب إضافة الموصوف إلى صفته وهو عند الكوفيين ظاهر وعند البصريين تقديره عين صفحة وجهه اليمنى.

كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المَسِيحُ الدَّجَّالُ تَابَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ.

3441 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ المَكِّيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَالِمٍ،

(**كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ**[1] **بِابْنِ قَطَنٍ**) بفتح القاف والطاء واسمه عبد العزى بن قطن ابْن عُمَرو بن جندب بن سعيد بن عايد بن مالك بن المصطلق الجاهلي الخزاعي وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد وكانت عند الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس فولدت له أبا العاص ثم خلف عليها بعده أخوه ربيعة ابن عبد العزى ثم خلف عليها وهب بن عبد فولدت له أولادًا ثم خلف عليها قطن ابْن عُمَرو المذكور فولدت له عبد العزى بن قطن وحكى الدمياطي عن ابن سعد أنه قَالَ يا رَسُول اللَّه هل يضرني شبهه قَالَ لا أنت مسلم وهو كافر. والمعروف في الذي شبهه به ﷺ هو أكتم بن عمرو بن كيّ جد خزاعة لا الدجال كذا أَخْرَجَهُ أحمد وغيره واللَّه تَعَالَى أعلم.

(**وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المَسِيحُ الدَّجَّالُ**)، مطابقته للترجمة ظاهرة.

(**تَابَعَهُ**) أي: تابع مُوسَى بن عقبة (**عُبَيْدُ اللَّهِ**) أي: ابْن عُمَر العمري، (**عَنْ نَافِعٍ**) عَنِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وصل هذه المتابعة أحمد ومسلم من طريق أَبِي أسامة ومحمد ابن بشر جميعًا عن عُبَيْد اللَّه بْن عُمَر في ذكر المسيح الدجال فقط إلى قوله عنبة طافئة ولم يذكر ما بعده وهذا يشعر بأنه يطلق المتابعة ويريد أصل الحديث لا جميع ما اشتمل عليه.

(**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ المَكِّيُّ**) هو الأزدي واسم جده الوليد بن عقبة وهو من أفراده ووهم من قَالَ إنه القواس واسم جد القواس عون.

(**قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ**) أي: ابن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف، (**قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ**) أي: ابن شهاب، (**عَنْ سَالِمٍ**) هو ابن عَبْد اللَّه بن عُمَر بن

---

(1) بضم التاء وفتحها.

عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لا وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِيسَى أَحْمَرُ، وَلَكِنْ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالكَعْبَةِ، ....

الخطاب رضي الله عنهم، (عَنْ أَبِيهِ) أنه (قَالَ: لا وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِيسَى أَحْمَرُ) اللام في لعيسى بمعنى عن كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العنكبوت: 12] يعني ليس الأمر كما زعمتم أنه ﷺ قَالَ في صفة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحمر» ولكن قَالَ إلى آخره.

وقد تقدم بيان الجمع بين ما أنكره ابْن عُمَر وأثبته غيره وفيه جواز اليمين على غلبة الظن لأن ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ظن أن الوصف اشتبه على الراوي وأن الموصوف بكونه أحمر إنما هو الدجال لا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقرب ذلك أن كلًّا منهما يقال له المسيح وهي صفة مدح لعيسى وصفة ذم للدجال كما تقدم وكان ابْن عُمَر قد تحقق سمعه في وصف عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه آدم فجوز الحلف على ذلك على غلبة الظن وأن من وصفه بأنه أحمر قد وهم فيه.

(وَلَكِنْ قَالَ:) بَيْنَا ويروي: (بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالكَعْبَةِ) هذا يدل على أن رؤية الْأَنْبِيَاء في هذه المرة غير الرؤية التي ذكرت في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ الذي مضى عن قريب في هذا الباب فإن تلك كانت ليلة الإسراء على الاختلاف في الإسراء هل كان في النوم أو في اليقظة قيل كان في المنام لكن الصحيح أنه كان في اليقظة وأن رؤيته ﷺ الْأَنْبِيَاء في ليلة الإسراء كانت بالأشخاص وإن ذهب بعضهم إلى أنها كانت بالأرواح.

قَالَ القاضي عياض: رؤيا النَّبِيّ ﷺ للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على ما ذكر في هذه الْأَحَادِيث إن كان منامًا فيه إشكال وإن كان في اليقظة ففيه إشكال ويزيد الإشكال ما تقدم في الحج ويأتي في اللباس من رواية ابن عون عن مجاهد عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا في حديث الباب من الزيادة وأما مُوسَى فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأني أنظر إليه إذا انحدر في الوادي. وقد تقدم في الحج أَيْضًا رؤيته ﷺ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة المعراج وهو يصلي في قبره. وقد أجيب عن ذلك بأجوبة:

أحدها: أن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أفضل من الشهداء والشهداء أحياء عند

فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبْطُ الشَّعَرِ، يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً، أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمْنَى،

ربهم فكذلك الْأَنْبِيَاء بالطريق الأولى فلا يبعد أن يصلوا ويحجوا ويتقربوا إلى اللّه تَعَالَى بما استطاعوا ما دامت الدنيا وهي دار التكليف باقية.

وثانيها: أنه ﷺ أري حالهم التي كانوا في حياتهم عليها فمثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وتلبيتهم ولهذا قَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي العالية عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا عن مسلم كأني أنظر إلى مُوسَى وكأني أنظر إلى يُونُس.

وثالثها: أن يكون أخبر عما أوحي إليه ﷺ من أمرهم وما كان منهم فلهذا أدخل حرف التشبيه في الرؤية وحيث أطلقها فهي محمولة على ذلك واللّه تَعَالَى أعلم.

(**فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ، سَبْطُ الشَّعَرِ**) تقدم ما فيه (**يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ**) أي: يمشي بينهما متمايلًا إلى حد الطرفين متكئًا عليهما (**يَنْطِفُ**) بكسر الطاء وضمها أي: يقطر ومنه النطفة كذا قَالَ الداوودي وَقَالَ غيره النطفة الماء الصافي وقوله: (**رَأْسُهُ**) بالرفع فاعله (**مَاءً**) تمييز، (**أَوْ يُهَرَاقُ**) بضم الياء وفتح الهاء وقيل: بسكون الهاء.

(**رَأْسُهُ مَاءً**) وهو شك من الراوي، (**فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ عَيْنِهِ اليُمْنَى**) كذا هو بإضافة أعور إلى عينيه فِي رِوَايَةِ الأكثر قال الحافظ العسقلاني وهو من إضافة الموصوف إلى صفته وهو جائز عند الكوفيين وتقديره عند البصريين عين صفحة وجهه اليمنى انتهى.

وفيه: أنه ليس من إضافة الموصوف إلى صفته كما ترى وكأنه ظن أن التركيب أعور عين اليمنى كما في الرواية السابقة وليس كذلك بل هو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها مثل الحسن وجهه فليتأمل.

وروى الأصيلي عينه بالرفع قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: كأنه وقف على وصفه بأنه أعور وابتدأ الخبر عن صفة عينه فَقَالَ: عينه اليمنى كأنها كذا، وأبرز

كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ، شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ» قَالَ الزُّهْرِيُّ: رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ، هَلَكَ فِي الجَاهِلِيَّةِ.

الضمير، قَالَ: وفيه نظر؛ لأنه يصير كأنه قَالَ عينه كأن عينه انتهى.

ويجوز أن يكون عينه بدلًا من قوله أعور ويجوز أَيْضًا أن يكون ارتفاعه على أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره عينه اليمنى عوراء ويكون هذه الجملة صفة كاشفة لقوله أعور.

(كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ) هكذا فِي رِوَايَةِ الأكثر على أن عينه نصب اسم كأن وقوله عنبة خبره وهو بكسر العين وفتح النون والباء الموحدة وطافئة صفتها أي: مرتفعة وعن الأصيلي كأن عينه طافئة ويروى كأن عنبة طافئة بالنصب على أنه اسم كأن والخبر محذوف تقديره كأن في وجهه عنبة طافئة والخبر مقدم على الاسم فِي قَوْلِهِ:

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرتَحِلًا

أي: إن لنا محلًّا وإن لنا مرتحلًا.

ويروى: «كأن عنبة طافئة» بتخفيف كأن.

(قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وفيه دلالة على أن قوله ﷺ: «**إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة**» أي: في زمن خروجه ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي.

(وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ، شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ) قد مر ضبطه ونسبه.

(قَالَ الزُّهْرِيُّ) أي: بالإسناد المذكور.

(رَجُلٌ) أي: ابن قطن رجل **(مِنْ خُزَاعَةَ، هَلَكَ فِي الجَاهِلِيَّةِ)** وخزاعة بضم الخاء المعجمة وتخفيف الزاي وبالعين المهملة قبيلة بني ربيعة قيل لهم خزاعة لأنهم تخزعوا من بني مازن الأزد في إقبالهم معهم من اليمن أي: انقطعوا عنهم والجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك والحديث من أفراد الْبُخَارِيّ.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

3442 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ،

(**حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ**) الحكم بن نافع قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ**) أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ**) أي: ابن عبد الرحمن بن عوف (**أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ**) وفي رواية عبد الرحمن بن أَبِي عمرة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة أي: أخص الناس وأقربهم إليه لأنه بشر بأنه يأتي من بعده اسمه أحمد.

وقيل: لأنه لا نبي بينهما قَالَ الْكِرْمَانِيّ التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ أن الحديث وارد في كونه ﷺ متبوعًا والآية واردة في كونه تابعًا وله الفضل تابعًا ومتبوعًا.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: مساق الحديث كمساق الآية ولا دليل على هذه التفرقة والحق أنه لا منافاة ليحتاج إلى الجمع فكما أنه أولى الناس بإبراهيم كذلك هو أولى الناس بعيسى ذاك من جهة قوة الاقتداء به وهذا من جهة قرب العهد به واللّه تَعَالَى أعلم.

(**وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ**) وفي رواية عبد الرحمن المذكورة وَالْأَنْبِيَاء أخوة لعلات والعلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام وآخره تاء مثناة من فوق الضرائر وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علّ منها والعلل الشرب بعد الشرب يقال علل نهل وفي التهذيب: هما أخوان من علة، وهما ابنا علة، وهم بنو علة، وهم من علات.

وفي المحكم جمع العلة العلائل وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى وقد بينه فِي رِوَايَةِ عبد الرحمن فَقَالَ أمهاتهم شتى ودينهم واحد وهو من باب التفسير كقوله تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: 19، 21] ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلف فروع الشرائع يعني أنهم متفقون فيما يتعلق بالاعتقاديات المسماة بأصول الدين كالتوحيد وسائر مسائل علم الكلام

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»[1].

مختلفون فيما يتعلق بالعمليات وهي الفقهيات هذا وأما الأخوة لأم فقط فيقال لهم بنو الأخياف والأخوة لأبوين يقال لهم بنو الأعيان.

(لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ) أورده كالشاهد لقوله أنا أولى الناس بابن مريم وفي رواية عبد الرحمن بن آدم وأنا أولى الناس بعيسى لأنه لم يكن بيني وبينه نبي واستدل به على أنه لم يبعث بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أحد إلا نبينا ﷺ.

قيل: وليس الاستدلال به قويًّا لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة في سورة يس كانوا من أتباع عيسى وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأجيب: أن هذا الحديث يضعف ما ورد في ذلك فإنه صحيح بلا تردد وفي غيره مقال ويمكن أن يقال المراد إنه لم يبعث بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي بشريعة مستقلة وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله بابن مريم.

---

(1) قال الحافظ: وفي رواية عبد الرحمن الأنبياء إخوة لعلات، والعلات بفتح المهملة الضرائر وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى وقد بينه في رواية عبد الرحمن فقال: أمهاتهم شتى ودينهم واحد وهو من باب التفسير كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة، اهـ.

وقال العيني: معناه أن أصولهم واحدة وفروعهم مختلفة يعني أنهم متفقون فيما يتعلق بالاعتقاديات المسمى بأصول الديانات كالتوحيد وسائر مسائل علم الكلام، مختلفون فيما يتعلق بالعمليات وهي الفقهيات، اهـ.

وقال القسطلاني: ومعنى الحديث أن حاصل أمر النبوة والغاية القصوى التي بعثوا جميعًا لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم فهم متفقون في هذا الأصل وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالوصلة المؤدية والأوعية الحافظة له فعبر عما هو الأصل المشترك بين الكل بالأب ونسبهم إليه، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الغرض بالأمهات وهو معنى قوله: أمهاتهم شتى، أو أن المراد أن الأنبياء وإن تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم فالأصل الذي هو السبب في إخراجهم وإبرازهم كلًا في عصره أمر واحد وهو الدين الحق، فعلى هذا فالمراد بالأمهات الأزمنة التي اشتملت عليها، اهـ.

3443 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِلالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

3444 - وحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ،

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ) بكسر السين المهملة وتخفيف النون الأولى أَبُو بكر الباهلي البَصْريّ قَالَ: أَخْبَرَنَا نافع بضم الفاء وفتح اللام وآخره حاء مهملة مصغرًا.

(حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ) وفليح لقبه واسمه عبد الملك قَالَ: (حَدَّثَنَا هِلالُ ابْنُ عَلِيٍّ) أي: ابن أسامة، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ) واسم أَبِي عمرة بشير ابن عمرو بن محصن قتل مع علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يوم صفين وله صحبة.

(عن أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ») أي: التوحيد دون الفروع للاختلاف فيها قَالَ تَعالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، ويقال: دينهم أي: أصول الدين أو أصول الطاعة واحد والكميات والكيفيات في الطاعة مختلفة وهذا طريق آخر في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ السابق.

(وَقَالَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ) بفتح المهملة وإسكان الحاء.

(عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ) بضم المهملة.

(عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) وهذا طريق آخر معلق في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ المذكور وصله النَّسَائِيّ عن أحمد بن حفص بن عَبْد اللَّه النيسابوري عن أبيه عن إِبْرَاهِيم وأحمد هذا من شيوخ الْبُخَارِيّ.

(وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ) هو المعروف بالمسندي قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ) بتشديد الميم هو ابن منبه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي».

(**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟**) قَالَ الْقُرْطُبِيّ: ظاهر هذا أنه خبر جازم بما فعل الرجل من السرقة لأنه رآه أنه أخذ مالًا من حرز في خفية وقيل يحتمل أن يكون مستفهمًا له عن تحقيق ذلك فحذف همزة الاستفهام.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: رأيت في بعض النسخ أسرقت بهمزة الاستفهام ورد بأنه بعيد مع جزم النَّبِيّ ﷺ بأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى رجلًا يسرق ويمكن أن يؤوّل بأن المراد رآه يسرق في ظنه.

وقيل: يحتمل حل الأخذ لهذا الرجل بوجه من الوجوه ورد بالجزم المذكور أَيْضًا.

(**قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ**) نفى السرقة ثم أكده بقوله: (**الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ**) هكذا فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيّ.

وفي رواية غيره: والذي لا إله إلا اللّه وفي رواية ابن طهمان عن النَّسَائِيّ قَالَ لا والذي لا إله إلا هو.

(**فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي**) وفي رواية مسلم وكذبت نفسي وفي رواية ابن طهمان وكذبت بصري قَالَ القاضي عياض أي: صدقت من حلف باللّه وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة فإنه يحتمل أن يكون أخذ ما له فيه حق أو ما أذن له صاحبه في أخذه أو أخذه لينقله وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء.

وَقَالَ ابن التين: قَالَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك على المبالغة في تصديق الحالف وأما قوله وكذبت عيني فلم يرد به حقيقة التكذيب وإنما أراد كذبت عيني في غير هذا قاله ابن الجوزي وفيه بعد.

وقيل: إنه أراد بالتصديق والتكذيب ظاهر الحكم لا باطن الأمر وإلا فالمشاهدة على اليقين فكيف يكذب عليه ويصدق قول المدعي.

ويحتمل أن يكون رآه مد يده إلى الشيء فظن أنه تناوله فلما حلف له رجع

3445 - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ».

عن ظنه، وقد استدل به على درء الحد بالشبهة وعلى منع القضاء بالعلم، والراجح عند المالكية والحنابلة منعه مُطْلَقًا.

وعند الشافعية جوازه إلا في الحدود وهذه الصورة من ذلك.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل.

(حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ) هو عَبْد اللّه بن الزبير بن عيسى ونسبته إلى أحد أجداده قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (قَالَ سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن عتبة بن مَسْعُود، (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه (سَمِعَ عُمَرَ) أي: ابن الخطاب (رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ) فهي من رواية الصحابي.

(يَقُولُ) وهو (عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لا تُطْرُونِي) بضم التاء من الإطراء وهو المدح بالباطل يقال أطريت فلانًا إذا مدحته فأفرطت في مدحه.

وقيل: الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وهو قريب من المعنى الأول.

(كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ) وذلك لأنهم اتخذوه إلهًا حيث قالوا إن اللّه هو المسيح ابن مريم وادعوه ولدًا له تَعَالَى وقالوا المسيح ابن اللّه سبحانه وتعالى عما يشركون وذلك من إفراطهم في مدحه.

(فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ) ولهذا المعنى واللّه أعلم هضم نفسه فِي قَوْلِهِ لا تفضلوني على يُونُس بن متى شفقا أن يطروه ويقولوا فيه باطلًا.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ ابن مريم وهو طرف من حديث السقيفة.

وقد ساقه الْبُخَارِيّ مطولًا في كتاب المحاربين وذكر منه قطعًا مفرقة فيما مضى وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ في الشمائل.

3446 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا صَالِحُ بْنُ حَيٍّ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، قَالَ لِلشَّعْبِيِّ: فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: أَخْبَرَنِي أَبُو بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَدَّبَ الرَّجُلُ أَمَتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا آمَنَ بِعِيسَى، ثُمَّ آمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالعَبْدُ إِذَا اتَّقَى رَبَّهُ وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ»[1].

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ**) هو ابن المبارك قَالَ: (**أَخْبَرَنَا صَالِحُ بْنُ حَيٍّ**) هو صالح بن صالح بن مسلم بن حيان الهمداني.

(**أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ**) وهو الإقليم العظيم المعروف موطن الكثير من علماء المسلمين.

(**قَالَ لِلشَّعْبِيِّ**) ويروى: سأل الشعبي وهو عامر بن شراحيل والسؤال فيه محذوف وقد تبينه فِي رِوَايَةِ حبان بن مُوسَى عن ابن المبارك فَقَالَ إن رجلًا من أهل خراسان قَالَ للشعبي: إنّا نقول عندنا إن الرجل إذا أعتق أم ولده ثم تزوجها فهو كالراكب بدنته.

(**فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: أَخْبَرَنِي أَبُو بُرْدَةَ**) بضم الموحدة واسمه الحارث وقيل غير ذلك، (**عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ**) عَبْد اللَّه بن قيس (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَدَّبَ الرَّجُلُ أَمَتَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا آمَنَ بِعِيسَى، ثُمَّ آمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالعَبْدُ إِذَا اتَّقَى رَبَّهُ وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ»**) ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

---

(1) قال الحافظ: قوله رجل من أهل الكتاب لفظ الكتاب عام ومعناه خاص والمراد به التوراة والإنجيل كما تظاهرت به نصوص الكتاب والسنة حيث يطلق أهل الكتاب، وقيل المراد به ههنا الإنجيل خاصة إن قلنا إن النصرانية ناسخة لليهودية كذا قرره، جماعة ولا يحتاج إلى اشتراط النسخ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام كان قد أرسل إلى بني إسرائيل بلا خلاف فمن أجابه منهم نسب إليه، ومن كذبه منهم واستمر على يهوديته لم يكن مؤمنًا فلا يتناوله الخبر إلى آخر ما بسطه الحافظ من البحث في ذلك، وكذا أطال البحث في ذلك العيني والقسطلاني والقاري وغيرهم، وما أفاده الشيخ قدس سره من قوله إلا أن يكون رجل لم تبلغه دعوته الخ ذكروا هذا التوجيه أيضًا فقد قال الحافظ في جملة البحث: ويمكن أن يقال في حق هؤلاء الذين كانوا بالمدينة أنه لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام لأنها لم تنتشر في أكثر البلاد فاستمروا على يهوديتهم مؤمنين بنبيهم موسى عليه السلام إلى أن جاء الإسلام فآمنوا =

3447 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104] فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، ....

وقد مر في كتاب العلم في باب تعليم الرجل أمته وفي العتق والجهاد ومضى الكلام فيه مستوفى.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: **(حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ)** النخعي الكوفي، **(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)** أنه **(قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تُحْشَرُونَ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا)** هو جمع الأغرل وهو الأقلف أي: غير المختون.

(ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ **فَأَوَّلُ من يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ من أَصْحَابِي ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي)** أي: هؤلاء أصحابي وهو إشارة إلى الذين هم في جهة الشمال أي: طريق جهنم.

= بمحمد ﷺ فبهذا يرتفع الإشكال، اهـ.

وقال القاري: قوله أهل الكتاب اختلف الشراح أن المراد به النصراني أو اليهودي أيضًا وإلى الأول جنح صاحب الأزهار وأيده بالدلائل العقلية والنقلية، ومال غيره إلى الثاني وأيده بمؤيدات نقلية والخلاف مبني على أن النصرانية ناسخة لليهودية أم لا، وعلى كل فمن كذبه منهم واستمر على يهوديته لم يكن مؤمنًا بنبيه، فإن قلت يؤيد إرادة الإنجيل وحده رواية البخاري فإذا آمن بعيسى ثم آمن بي، قلت لا يؤيده لأن النص على عيسى إنما هو لحكمة هي بعد بقاء مؤمن بموسى دون عيسى مع صحة إيمانه بأن لم تبلغه دعوة عيسى إلى بعثة نبينا فآمن به، وهذا وإن استبعد وجوده لكن في حمل أهل الكتاب على ما يشمله فائدة وهي أن اليهود من بني إسرائيل ومن دخل في اليهودية من غيرهم ولم يبلغه دعوة عيسى يصدق عليه أنه يهودي مؤمن بنبيه موسى ولم يكذب نبيًّا آخر بعده فإذا أدرك بعثة نبينا وآمن به تناوله الخبر المذكور، ومن هؤلاء عرب نحو اليمن متهودون ولم تبلغهم دعوة عيسى لاختصاص رسالته ببني إسرائيل إجماعًا فاتضح بهذا أن المراد التوراة والإنجيل كما هو معهود في نصوص الكتاب والسنة إلى آخر ما بسط.

فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: 117 ـ 118]، قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، ذُكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ قَبِيصَةَ، قَالَ: «هُمُ المُرْتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: أو معناه أنهم يأخذون من الطرفين ويشدون من جهة اليمين والشمال بحيث لا يتحركون يمينًا ولا شمالًا.

(**فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾) وقد مضى الحديث في باب قول اللّه تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125].

ومضى الكلام فيه هناك مستوفى والغرض من ذكره هنا ذكر عيسى ابن مريم عليهما السلام.

(**قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ**) الفَرَبْرِيُّ أحد رواة الصحيح من أَبِي عَبْد اللّه مُحَمَّد ابن إِسْمَاعِيل الْبُخَارِيّ.

(**ذُكِرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ**) هو الْبُخَارِيّ، (**عَنْ قَبِيصَةَ**) هو ابن عقبة أحد شيوخ الْبُخَارِيّ أنه (**قَالَ: هُمُ الْمُرْتَدُّونَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلَهُمْ أَبُو بَكرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ**) يعني أنه حمل قوله من أصحابي على أنه باعتبار ما كان قبل الردة لأنهم ماتوا على ذلك ولا شك أن من ارتد سلب اسم الصحبة عنه لأنها نسبة شريفة إسلامية فلا يستحقها من ارتد بعد أن اتصف بها.

وبهذا التعليق أسنده الإسماعيلي عن إِبْرَاهِيم بن مُوسَى الجرجاني عن إِسْحَاق عن قبيصة عن سُفْيَان الثَّوْرِيّ عن المغيرة عن سَعِيد بن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وصلى اللّه على سيدنا مُحَمَّد وآله أجمعين.

49 ـ باب نُزُول عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ

3448 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ ....

49 ـ باب نُزُول عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ

(باب نُزُول عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ) يعني من السماء إلى الأرض في آخر الزمان. كذا وقع بلفظ باب فِي رِوَايَةِ الأكثرين وسقط لفظ باب فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ[1].

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ) هو ابن راهويه كذا جزم به الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وإن جوز أَبُو علي الجياني أن يكون هو ابن راهويه وأن يكون ابن منصور.

قَالَ: وإنما جزمت بذلك لتعبيره بقوله أَخْبَرَنَا يعقوب بن إِبْرَاهِيم فإنه عرف بالاستقراء من عادته أنه لا يقول إلا أَخْبَرَنَا ولا يقول حَدَّثَنَا.

وقد أخرج أَبُو نعيم في المستخرج هذا الحديث من مسند إِسْحَاق بن راهويه وَقَالَ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ عن إِسْحَاق.

(أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) أي: ابن سَعِيد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) هو إِبْرَاهِيم بن سعد المذكور.

(عَنْ صَالِحٍ) هو ابن كيسان مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ (أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

(1) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إني أرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم، فإن عجل بي موتي، فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام**».
وفيه: تنبيه على أن الإيمان الإجمالي بنزول عيسى عليه السلام كافٍ في العقائد، وأنه ينبغي للمرء أن يتمنى رؤية الأنبياء والأصفياء لما يترتب عليها من الفوائد، ويتعين على من أدرك عيسى عليه السلام أن يبلّغه سلام نبينا ﷺ.
وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه: طوبى لمن يعيش بعد المسيح يعني بعد نزوله، يؤذن للسماء في القطر وللأرض في النبات، فلو بذرت حبة على الصفا لنبتت، ولا تباغض ولا تحاسد حتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، وفيه: دلالة على أن طيب العيش إنما هو برفع التباغض والتحاسد وأنه بكماله لا يحصل إلا في زمن عيسى عليه السلام، والله تعالى أعلم.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، ....

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) فيه الحلف في الخبر مبالغة في تأكيده.

(**لَيُوشِكَنَّ**) بكسر الشين المعجمة أي: ليقربن أي: لا بدّ من ذلك سريعًا.

(**أَنْ يَنْزِلَ فِيكُم**) أي: في هذه الأمة فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله (**ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا**) أي: حاكمًا بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ بل يكون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حاكمًا من حكام هذه الأمة وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم حكمًا مقسطًا وله من طريق ابن عيينة عن ابن شهاب إمامًا مقسطًا والمقسط العادل بخلاف القاسط فإنه الجائر.

(**فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ**) أي: يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في أواخر البيوع ووقع فِي رِوَايَةِ الطبراني في الأوسط من طريق أَبِي صالح عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فيكسر الصليب ويقتل الخنزير والقرد زاد فيه القرد وإسناده لا بأس به وعلى هذا فلا يصح الاستدلال به على نجاسة عين الخنزير لأن القرد ليس بنجس العين اتفاقًا ويستفاد منه أَيْضًا تغيير المنكرات وكسر آلة الباطل ووقع فِي رِوَايَةِ عطاء بن مينا عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن مسلم وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد.

(**وَيَضَعَ الجِزْيَةَ**) هذه رواية الكُشْمِيهَنِيّ.

وفي رواية غيره: ويضع الحرب والمعنى أن الدين يصير واحدًا لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يقبل إلا الإسلام فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية وقد روي أن الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام يختفون عند الأحجار والأشجار، وكان الحجر والشجر ينادي بلسان فصيح: يا نبي اللَّه هذا يهودي مخفي عندي فإما أن يسلم وإما أن يقتل.

وقيل: معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف الجزية إليه فتترك الجزية استغناء عنها.

وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، ....

وَقَالَ القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة ويكون كثرة المال بسبب ذلك.

وتعقبه النووي وَقَالَ: الصواب أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يقبل إلا الإسلام قَالَ النووي: ومعنى منع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن كونها مشروعة في هذه الشريعة مقيدة بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما دل عليه هذا الخبر وليس عيسى بناسخ حكم الجزية بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ بقوله هذا.

وَقَالَ ابن بطال: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى عليه للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد قَالَ ويحتمل أن يقال إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم فإذا أنزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ زالت شبهتهم بالكلية بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم والله تَعَالَى أعلم.

(**وَيَفِيضَ المَالُ**) بفتح أوله وكسر الفاء وبالضاد المعجمة أي: يكثر وأصله من فاض الماء إذا كثر.

(**حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**) وفي رواية عطاء بن مينا وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد وسبب كثرة المال نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة. وقد روى الطبراني في الكبير الأوسط وإسناد الكبير حسن عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحق يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحًا**»، وروى الأصبهاني من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**يا أبا هُرَيْرَةَ عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ويا أبا هُرَيْرَةَ جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند اللَّه عز وجل من معاصي ستين سنة**».

حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: 159]».

وروى ابن ماجة والبزار واللفظ له عَنِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا عن النَّبِيّ ﷺ قَالَ السلطان ظل اللّه في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر.

(**حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**) لأنهم حينئذ لا يتقربون إلى اللّه تَعَالَى إلا بالعبادات لا بالتصدق بالمال فإن قيل السجدة الواحدة دائمًا خير من الدنيا وما فيها لأن ثواب الآخرة خير وأبقى فالجواب أن الغرض أنها خير من كل مال الدنيا إذ حينئذ لا يتقرب إلى اللّه تَعَالَى بالمال.

وَقَالَ التوربشتي: يعني أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها وقد روى ابن مردويه من طريق مُحَمَّد بن أبي حفصة عن الزُّهْرِيّ بهذا الإسناد في هذا الحديث حتى تكون السجدة واحدة لله رب العالمين.

(**ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ**) هو موصول بالإسناد المذكور.

(«**وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾) قَالَ ابن الجوزي إنما تلا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ هذه الآية للإشارة إلى مناسبتها لقوله: «**حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**» فإنه يشير بذلك إلى صلاح الناس وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا والسجدة تطلق ويراد بها الركعة.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ معنى الحديث أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة لكثرة المال إذ ذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد. ثم هذه الآية في أواخر سورة النساء قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ كلمة إن نافية ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: 159] جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبأنه عبده ورسوله يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. فعلى هذا الضمير الأول لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والثاني للمحذوف المقدر وهذا هو قول بعض أهل التفسير.

وقد روى ابن جرير من طريق عِكْرِمَة عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: لا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ له عِكْرِمَة أرأيت إن أتاه رجل وضرب عنقه قَالَ لا تخرج نفسه حتى يحرك شفتيه بالإيمان بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ وإن خرّ من فوق بيت أو احترق أو أكله السبع قَالَ يتكلم به في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به.

وفي رواية فَقَالَ له عِكْرِمَة: أرأيت إن خر من بيت أو احترق أو أكله السبع قَالَ لا يموت حتى يحرك شفتيه بالإيمان بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي إسناده خصيف وفيه ضعف. ورجح جماعة ذلك المذهب بقراءة أُبَي بن كعب رَضِيَ اللّه عَنْهُ إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحدًا لا يصلح للجمع (1).

وعن شهر ابن حوشب قَالَ: قَالَ لي الحجاج آية ما قرأتها ألا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وَقَالَ إني أوتى الأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت

---

(1) قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإن عيسى عليه السلام ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ لأن حدوثه ونزوله من أشراط الساعة يعلم بها دنوها أو لأن إحياء الموتى يدل على قدرة اللّه عليه. وقرئ لعَلَم أي: علامة وقرئ لذكر على تسميته ما يذكر به ذكرًا.
وفي الحديث: «**ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وهي بين الحوران والغور وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرّب البِيَع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به**».
وقيل الضمير للقرآن فإن فيه الإعلام بالساعة والدلالة عليها ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: فلا تشكنّ فيها ﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي، وقيل هو قول الرسول أمر أن يقوله هذا أي: الذي أدعوكم إليه صراط مستقيم لا يضلّ سالكه.

الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو اللّه أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيًّا فزعمت أنه اللّه أو ابن اللّه فيؤمن أنه عَبْد اللّه ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قَالَ وكان متكئًا فاستوى جالسًا فنظر إلي وَقَالَ ممن قلت حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قَالَ لقد أخذتها من عين صافية أو من معدنها قَالَ الكلبي فقلت له ما أردت إلى أن تقول حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن علي ابن الحنفية قَالَ أردت أن أغيظه يعني بزيادة اسم علي لأنه مشهور بابن الحنفية هذا وكان الحجاج عاملًا من قبل معاوية معاديًا لعلي رَضِيَ اللّه عَنْهُ وكان مُحَمَّد بن علي مشهورًا بابن الحنفية فزاد اسم علي في هذا ليغيظ الحجاج به.

وَقَالَ النووي: معنى الآية على هذا ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى وأنه عَبْد اللّه وابن أمته ولكن لا ينفعه هذا الإيمان في تلك الحالة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔنَ﴾ [النساء: 18] قَالَ وهذا المذهب أظهر يعني من المذهب الآتي لأنه يخص الكتابي الذي يدرك نزول عيسى وظاهر القرآن عمومه في كل كتابي في زمن نزول عيسى وقبله.

فإن قيل: ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل موتهم.

فالجواب أن هذا كالوعيد لهم وليكون علمهم بأنه لا بدّ لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم بعثًا لهم وتحريضًا على معالجة الإيمان في أوان الانتفاع به قبل أن يضطروا إليه ولم ينفعهم إيمانهم واللّه تَعَالَى أعلم.

وقيل: الضمير أن في الآية لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعنى على هذا وإن منهم أحد إلا يؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله[1].

(1) وقد ورد أن أول الآيات ظهور المهدي ثم الدجال ثم عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج وآخر الآيات طلوع الشمس من مغربها ثم تكون النفخة الأولى على شرار الخلق من لم يقل لا إله إلا اللّه ثم تقع النفخة الثانية وبين النفختين أربعون سنة كما ثبت عنه ﷺ. ويقول الحق فيها: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيب بذاته ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ حيث لم يكن في الدار غيره ديّار. =

وقول أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: واقرؤوا إن شئتم هذه الآية مصير منه إليه وبهذا جزم ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فيما رواه ابن جرير من طريق سَعِيد بن جُبَيْر عنه بإسناد صحيح ومن طريق أَبِي رجاء عن الحسن قَالَ قبل موت عيسى واللَّه إنه الآن لحي ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون وذهب إليه أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وغيره.

وقد روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك اللَّه في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقد ورد أن أول الآيات ظهور المهدي ثم الدجال ثم عيسى عليه السلام ثم ظهور يأجوج ومأجوج وآخر الآيات طلوع الشمس من مغربها ثم تكون النفخة الأولى على شرار الخلق من لم يقل لا إله إلا اللَّه ثم تقع النفخة الثانية وبين النفختين أربعون سنة كما ثبت عنه ﷺ ويقول الحق فيها ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيب بذاته ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ حيث لم يكن في الدار.

وَقَالَ الزمخشري: ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به على أن اللَّه يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم إيمانهم. وقيل: الضمير في به يرجع إلى اللَّه تَعَالَى وقيل إلى مُحَمَّد ﷺ وفي موته يرجع إلى الكتابي على القولين واللَّه أعلم: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159] فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم غلوا في الدين.

= وروي عنه ﷺ: «**المهدي مني أجلى الجبهة وأقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين**»، رواه أبو داود في «سننه» والحاكم في «مستدركه» بقوله ﷺ: المهدي مني شهادة منه على أنه من ذريته، وقوله: «أجلى الجبهة»، أي: واسع الجبين إشارة إلى حسن صورته وسيرته واستحسان عشرته مع عشيرته، وقوله: «أقنى الأنف» إشارة إلى جمال أرنبته وإيماء إلى كمال أنفته وإشعار إلى مزية شجاعته وسخاوته وعدم الالتفات إلى أموال رعيته.

قَالَ العلماء: الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الْأَنْبِيَاء الرد على اليهود في زعمهم الباطل أنهم قتلوه وصلبوه فبين اللّه تَعَالَى كذبهم وأنه هو الذي يقتلهم ويقال الحكمة في نزوله دنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها.

وقيل: إنه دعا اللّه تَعَالَى لما رأى صفة مُحَمَّد ﷺ وأمته أن يجعله منهم فاستجاب اللّه دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله.

وقيل: نزوله لتكذيب النصارى وإظهار زيفهم في دعواهم الأباطيل وقتلهم(1).

وقيل: إن خصوصيته بالأمور المذكورة لقوله ﷺ: «**أنا أولى الناس بابن مريم ليس بيني وبينه نبي**» فهو أقرب إليه من غيره في الزمان فهو أولى بذلك.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: والأول أوجه، واللّه تَعَالَى أعلم.

وروى مسلم من حديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا في مدة إقامة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين.

وروى نعيم بن حماد في كتاب الفتن من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ ذاك يتزوج في الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة وبإسناد فيه مبهم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا يقيم بها أربعين سنة.

وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا مثله.

وفي هذا الحديث: ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل

---

(1) قد ورد أنه يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه على ما رواه الطيالسي في «مسنده». وروى غيره أنه يدفن ببيت النبي والصديق وروي أنه يدفن بعد الشيخين فهنيئًا للشيخين حيث اكتنفا بالنبيين وفي رواية أنه يمكث سبع سنين قيل وهي الأصح. والمراد بالأربعين في الرواية الأولى مدة مكثه قبل الرفع وبعد النزول فإنه رفع وله ثلاث وثلاثون سنة والأصح أن عيسى عليه اللام يصلي بالناس ويؤمّهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل وإمامته أولى، كذا في شرح العقائد.

الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك اللّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام وتقع الأمنة في الأرض، الحديث.

وعن كعب يمكث فيهم عيسى أربعًا وعشرين سنة منها عشر حجج يبشر المؤمنين بدرجاتهم في الجنة وفي لفظ أربعين سنة.

وعن ابْن عَبَّاس يتزوج إلى قوم شعيب وهو ختن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيولد له فيهم ويقيم تسع عشرة سنة لا يكون أمير ولا شرطي ولا ملك.

وعن يزيد بن أَبِي حبيب يتزوج امرأة من الأزد ليعلم الناس أنه ليس بإله.

وقيل: يتزوج ويولد له ويمكث خمسًا وأربعين سنة ويدفن مع النَّبِيّ ﷺ.

وقيل: يدفن في الأرض المقدسة وهو غريب.

وفي حديث عَبْد اللّه بن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا يمكث في الأرض سبعًا ويولد له ولدان مُحَمَّد وموسى وليس في أيامه إمام ولا قاض ولا مفت وقد قبض اللّه العلم وجلا الناس عنه فينزل وقد علم بأمر اللّه في السماء ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم بين الناس والعمل به في نفسه فيجتمع المؤمنون ويحكمونه على أنفسهم إذ لا يصلح لذلك غيره وقد ذهب قوم إلى أن بنزوله يرتفع التكليف لئلا يكون رسولًا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم وينهاهم وهو مردود لأنه لا ينزل بشريعة متجددة بل ينزل على شريعة نبينا ﷺ ويكون من أتباعه(1).

(1) روي أن المهدي وأتباعه وأشياعه يكونون في بيت المقدس فارغي البال إذ يظهر الأعور الدجال ومعه خلق كثير من ضلّال الرجال فيحاصر المهدي في بيت المقدس إذ نزل عيسى عليه السلام في المنارة الشرقية في مسجد الشام ويتوجه إلى القدس لنصرة أهل الإسلام فيراه الدجال وكاد أن يذوب كذوبان الملح في الماء ويصير كالطين فيصيبه بحربة ويقتله فيكون من الغازين ثم يقتل من لم يدخل في الإسلام ويرفع الجزية ولم يقبلها. ثم يظهر يأجوج ومأجوج فيهلكهم اللّه ببركة دعائه عليه السلام ثم يموت المؤمنون وتطلع الشمس من مغربها فيرفع القرآن كما روى ابن ماجة من حديث حذيفة رضي اللّه عنه يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يُدرى صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب اللّه في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية.
وفي الحديث أنه خارج خلة بفتح الخاء المعجمة واللام المشددة هو طريق في الرمل قال القاضي: والمشهور فيه فتح الحاء المهملة اسم موضع بين الشام والعراق. وقيل: يخرج من أرض خراسان وقيل: يخرج من سور أصفهان وقيل: يخرج من أرض الكوفة. =

3449 - حَدَّثَنَا ابْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ نَافِعٍ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، ....

تتمة:

وروى أحمد ومسلم من طريق حنظلة ابن الأسلمي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ليهلن ابن مريم بفج الروحاء بالحج والعمرة الحديث. وفي رواية لأحمد من هذا الوجه ينزل عيسى فيقتل الخنزير ويمحو الصليب ويجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما وتلا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: 159]. قَالَ حنظلة قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يؤمن به قبل موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(**حَدَّثَنَا ابْنُ بُكَيْرٍ**) هو يَحْيَى بن عَبْد اللَّه بن بكير أَبُو زكريا المخزومي المصري قَالَ: (**حَدَّثَنَا اللَّيْثُ**) أي: ابن سعد، (**عَنْ يُونُسَ**) هو ابن يزيد الأيلي، (**عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**) الزُّهْرِيّ، (**عَنْ نَافِعٍ، مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ**) هو أَبُو مُحَمَّد ابن عياش الأقرع وَقَالَ ابن حبان هو مولى امرأة من غفار وقيل له مولى أَبِي قَتَادَة لملازمته له وليس له عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ في الصحيح سوى هذا الحديث الواحد.

(**أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ**) سقط لفظ فيكم فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ وكيفية نزوله على ما روي أنه

= روي أن المهدي يظهر أولًا في الحرمين الشريفين ثم يأتي بيت المقدس فيأتي الدجال ويحصره في ذلك الحال فينزل عيسى عليه السلام من المنارة الشرقية في دمشق الشام ويجيء إلى قتال الدجال فيقتله بضربة في الحال فإنه يذوب كالملح في الحال عند نزول عيسى عليه السلام فيجتمع عيسى عليه السلام بالمهدي وقد أقيمت الصلاة فيشير المهدي إلى عيسى عليه السلام فيمتنع معللًا بأن هذه الصلاة أقيمت لك وأنت أولى بأن تكون الإمام في هذا المقام ويقتدي به ليظهر متابعته لنبينا ﷺ، وكذا في شرح الفقه الأكبر لعلي القاري.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف، في الصدور قال لئلا يُرفع من صدورهم فيصبحون يقولون كنا نعلم شيئًا ثم يقعون في الشعر. قال القرطبي وهذا يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة، كذا في شرح الفقه الأكبر لعلي القاري.

وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»،

ينزل وعليه ثوبان ممصران كذا رواه أحمد وأبو داود عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ مَرْفُوعًا والممصر من الثياب التي فيها صفرة خفيفة وفي كتاب الفتن لأبي نعيم ينزل عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقي تحمله غمامة واضعًا يديه على منكبي ملكين عليه ريطتان إذا أكب رأسه يقطر منه ماء الجمال فأتته اليهود فيقولون نحن فيقول كذبتم والنصارى كذلك إنما أصحابي المهاجرون بقية أصحاب الملحمة فيجد خليفتهم يصلي بهم فيتأخر فيقول له صلِّ فقد رضي اللّه عنك فإني إنما بعثت وزيرا ولم أبعث أميرًا قَالَ وبخروجه تنقطع الإمارة.

وفيه أَيْضًا: عن كعب يحاصر الدجال المؤمنين ببيت المقدس فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم فبينما هم كذلك إذ سمعوا صوتا في الغلس فإذا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويقام الصلاة فيرجع إمام المسلمين فيقول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تقدم فلك أقيمت الصلاة فيصلي بهم ذلك الرجل تلك الصلاة ثم يكون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الإمام.

وفيه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ وينزل بين أذانين وعن ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا المحاصرون ببيت المقدس إذ ذاك مائة ألف امرأة واثنان وعشرون ألفًا يقاتلون إذ غشيتهم بابة من غمام إذ تنكشف عنهم مع الصبح فإذا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بين ظهرانيهم واللّه تَعَالَى أعلم.

(**وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**) قيل معناه يصلي معكم بالجماعة والإمام من هذه الأمة. وقيل وضع المظهر موضع المضمر تعظيمًا له وتربية للمهابة يعني هو منكم والغرض أنه خليفتكم وعلى دينكم كما تقول لولد زيد والدك يأمرك بكذا ولا تقول هو أو فلان يأمرك.

وَقَالَ أَبُو زيد الهروي: ثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قَالَ معنى قوله وإمامكم يعني أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: الإنجيل ليس فيه حكم فلا حاجة إلى قوله لا بالإنجيل.

وَقَالَ ابن التين: معنى قوله وإمامكم منكم أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم وهذا والذي قبله لا يبين كون

تَابَعَهُ عُقَيْلٌ، وَالأَوْزَاعِيُّ.

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نزل يكون إمامًا أو مأمومًا وعلى تقدير أن يكون إمامًا فمعناه أنه يصير معكم بالجماعة من هذه الأمة.

وَقَالَ الطيبي: المعنى يؤمكم عيسى حال كونه في دينكم.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ويعكر عليه قوله في حديث آخر عن مسلم فيقال له صلِّ لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمة أقول ومما يؤيد ذلك قوله ﷺ: **«منّا الذي يصلي عيسى ابن مريم عليهما السلام خلفه»**.

رواه أبو نعيم في كتاب المهدي عن أبي سعيد رضي اللّه عنه، وظاهره الإطلاق ولكنه مقيد بأنه تكون الإمامة بعده لعيسى عليه السلام.

وَقَالَ ابن الجوزي: لو تقدم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إمامًا لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه تقدم نائبًا أو مبتدئًا شرعًا فيصلي مأمومًا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله ﷺ: «**لا نبي بعدي**» انتهى.

وفي صلاة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجحه واللّه تَعَالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أخرج الحديث الثاني مسلم في كتاب الإيمان.

(تَابَعَهُ) أي: تابع يُونُس (عُقَيْلٌ) أي: ابن خالد (وَالأَوْزَاعِيُّ) هو عبد الرحمن ابن عُمَرو الأوزاعي كلاهما عن ابن شهاب فِي رِوَايَةِ هذا الحديث فأما متابعة عقيل فوصلها ابن مندة في كتاب الإيمان من طريق الليث عنه ولفظه مثل رواية أَبِي ذَرٍّ سواء. وأما متابعة الأوزاعي فقد وصلها ابن مندة أَيْضًا وابن حبان والبيهقي في البعث وابن الأعرابي في معجمه من طرق عنه ولفظه مثل رواية يُونُس.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من طريق ابن أَبِي ذئب عن ابن شهاب بلفظ وأمّكم منكم قَالَ الوليد بن مسلم فقلت لابن أَبِي ذئب أن الأوزاعي حَدَّثَنَا عن الزُّهْرِيّ فَقَالَ وإمامكم منكم فَقَالَ ابن أَبِي ذئب ما تدري ما أمّكم منكم قلت تخبرني قَالَ فأمكم بكتاب ربكم.

50 ـ باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

3450 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو،

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من رواية ابن أخي الزُّهْرِيّ عن عمه بلفظ كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكم.

50 ـ باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أي: عن ذريته من العجائب والغرائب وإسرائيل هو لقب يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو بالعبرانية صفوة اللَّه، وقيل عبد اللَّه.

وقال العيني: وأصل تسميته يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بإسرائيل ما ذكره السُّدِّيّ أن إِسْحَاق أبا يعقوب عليهما السلام كان قد تزوج رفقا بنت بثويل بن ماحور بن آزر ابن إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فولدت لإسحاق عيصو ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولها قصة عجيبة وهي أنه لما قربت ولادتها اقتتلا في بطن أمهما فَقَالَ عيصو واللّه لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي لأقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيصو قبله فسمى عيصو لأنه عصى وسمي يعقوب لأنه أخذ بعقب عيصو وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصو خرج قبله فلما كبرا كان عيصو أحبهما إلى أبيه وكان يعقوب أحبهما إلى أمه فوقع بينهما ما يقع بين الأخوين في مثل ذلك فخافت أمه عليه من عيصو أن يوقع به فعلًا فقالت يا بني الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتله عيصو فانطلق يعقوب إلى خاله فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار ببابل وقيل بحران واللّه تَعَالَى أعلم.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) المنقري التبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ) الوضاح بن عَبْد اللَّه اليشكري قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ) ابن عمير الكوفي، (عَنْ رِبْعِيٍّ) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة.

(ابْنِ حِرَاشٍ) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وآخره شين معجمة الغطفاني وكان من العباد يقال إنه تكلم بعد الموت وقد مر في باب العلم.

(قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ) بضم المهملة وسكون القاف (ابْنُ عَمْرٍو) أي: ابن مَسْعُود

لِحُذَيْفَةَ: أَلا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ من رَسُولِ اللّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُم فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ»[1].

3451 - قَالَ حُذَيْفَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلاً كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ

الأَنْصَارِيّ المعروف بالبدري (**لِحُذَيْفَةَ**) هو ابن اليمان صاحب سر رَسُول اللّه ﷺ: (**أَلا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ**) ويروى: بما سمعت (**من رَسُولِ اللّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً**) نصب على خبرية أن قوله: (**وَنَارًا**) عطف عليه.

(**فَأَمَّا الَّذِي يَرَى**) بفتح الياء وضمها (**النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ**) وفي نسخة ماء برد (**مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُم فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ**) وهذا من جملة فتنته امتحن اللّه بها عباده فيحق الحق ويبطل الباطل ثم يفضحه ويظهر للناس عجزه. والغرض من إيراد هذا الحديث إيراد ما يليه وهو قصة الرجل الذي كان يبايع الناس وقد ذكر في كتاب البيوع في باب من أنظر معسرًا أيضًا وقصة الرجل الذي أوصى بنيه أن يحرقوه.

(**قَالَ حُذَيْفَةُ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**وَسَمِعْتُهُ**) ﷺ (**يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَازِيهِمْ**) أي: أتقاضى منهم الحق يقال جازيتهم أي: قاضيتهم وتجازيت ديني عن فلان أي: تقاضيته وحاصله أخذ منهم وأعطى وفي رواية الإسماعيلي وأجازفهم من المجازفة بالجيم والزاي والفاء وفي رواية أخرى وأحاربهم بالحاء المهملة والراء قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وكلاهما تصحيف لا يظهر وكذا قَالَ الْعَيْنِيّ.

(**فَأُنْظِرُ**) بضم الهمزة من الإنظار أي: أمهل (**المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ**

---

(1) طرفه 7130 - تحفة 9981، 3309.

أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه رقم 2934، 2935.

الْمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ»[1].

3452 - فَقَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ المَوْتُ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَامْتُحِشَتْ، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا فَاذْرُوهُ فِي اليَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ» قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو: وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَاكَ:

الْمُعْسِرِ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ **(الجَنَّةَ فَقَالَ)** أي: حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ شروع في القصة الثالثة ويروى: وَقَالَ وفي نسخة: فَقَالَ بالفاء: **(وَسَمِعْتُهُ)** ﷺ: **(يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ المَوْتُ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ)** بفتح اللام أي: وصلت **(إِلَى عَظْمِي فَامْتُحِشَتْ)** أي: احترقت ووصل الحرق العظام ضبطه الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ على البناء للمفعول وضبطه الْكِرْمَانِيّ على البناء للفاعل ولكل وجهة وهو من الامتحاش ومادته ميم وحاء مهملة وشين معجمة والمحش احتراق الجلد وظهور العظم وقيل: إحراق النار الجلد.

فَخُذُوا ويروى: **(فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا)** قَالَ الْجَوْهَرِيّ: يوم راح أي: شديد الريح وإذا كان طيب الريح يقال يوم ريّح بالتشديد.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: يوم راح أي: ذو ريح كما يقال رجل مال أي: ذو مال.

(فَاذْرُوهُ) أمر من الإذراء يقال ذرته الريح وأذرته تذروه وتذريه أي: أطارته.

(فِي اليَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ) ويروى: فجمعه اللَّه **(فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ، قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو)** هو أَبُو مَسْعُود البدري.

(وَأَنَا سَمِعْتُهُ) أي: النَّبِيّ ﷺ **(يَقُولُ ذَاكَ)** وظاهر الكلام يقتضي أن الذي سمعه أَبُو مَسْعُود هو الحديث الأخير فقط لكن رواية شعبة عن عبد الملك بن عمير بينت أنه سمع الجميع فإنه أورد في الفتن قصته الذي كان يبايع الناس من حديث حذيفة وَقَالَ في آخره قَالَ أَبُو مَسْعُود وأنا سمعته وكذلك قَالَ في الحديث

---

(1) أطرافه 2077، 2391 - تحفة 3310، 9983.

أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه رقم 2934، 2935.

وَكَانَ نَبَّاشًا[1].

3453، 3454 - حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ، وَيُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَائِشَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً ....

الذي أوصى بنيه كما سيأتي في أواخر هذا الباب.

(**وَكَانَ نَبَّاشًا**) ظاهره أنه من زيادة أَبِي مَسْعُود في الحديث لكن أورده ابن حبان من طريق ربعي عن حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ توفي رجل كان نباشًا فَقَالَ لولده أحرقوني فدل على أن قوله وكان نباشًا من رواية حذيفة وأبي مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا معًا واللَّه تَعَالَى أعلم.

(**حَدَّثَنِي بِشْرُ**) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (**ابْنُ مُحَمَّدٍ**) السَّخْتِيَانِيّ المروزي وهو من أفراده قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ**) هو ابن المبارك المروزي قَالَ: (**أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ، وَيُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ**) أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن عتبة (**أَنَّ عَائِشَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) يعني مرض الموت (**طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً**) أي: الكساء المعلم له

---

(1) طرفاه 3479، 6480 تحفة 3312، 9984 - 206/ 4.
أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه رقم 2934، 2935.
قال الحافظ: قال الخطابي قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى، والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية اللَّه، قال ابن قتيبة: قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك، ورده ابن الجوزي وقال: جحده صفة القدرة كفر اتفاقًا، وإنما قيل إن معنى قوله لئن قدر اللّه علي أي: ضيق وهي كقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي: ضيق، وأما قوله لعلي أضل اللّه فمعناه لعلي أفوته يقال: ضل الشيء إذا فات، وذهب وهو كقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ولعل هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه كما غلط ذلك في الآخر، فقال: أنت عبدي وأنا ربك، أو يكون قوله لئن قدر عليَّ بتشديد الدال أي: قدر على أن يعذبني أو على أنه كان مثبتًا للصانع وكان في زمن الفترة فلم تبلغه شرائط الإيمان، وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشة وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقول ولم يقله قاصدًا لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه، وأبعد الأقوال قول من قال: إنه كان في شرعهم جواز المغفرة للكافر، اهـ.

عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[1].

3455 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ، قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ،

(**عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ**) حال كونه ﷺ يحذر أمته (**مَا صَنَعُوا**) والحديث قد مضى في كتاب الصلاة في باب مجرد عقيب باب الصلاة في البيعة.

ومطابقته للترجمة من حيث إن فيه ذم اليهود وهم من بني إسرائيل.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ**) هو بندار قَالَ: (**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ**) هو غندر قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فُرَاتٍ**) بضم الفاء وتخفيف الراء وآخره تاء مثناة من فوق هو ابن أبي عبد الرحمن (**الْقَزَّازِ**) بفتح القاف وتشديد الزاي الأولى البَصْريّ ثم الكوفي أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ**) بالحاء المهملة والزاي هو سلمان الأشجعي، (**قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**خَمْسَ سِنِينَ**) إنما ذكر بباب المفاعلة ليدل على قعوده متعلقًا بأبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ ولأجل تعلقه بالآخر جاء متعديًا لأن أصله لازم كما في قولك كارمت زيدًا فإن أصله لازم.

(**فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ**) أي: يتولى أمورهم الأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه وذلك لأنهم كانوا إذا ظهر منهم فساد بعث اللّه إليهم نبيًّا يزيل الفساد عنهم ويقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة.

(**كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ**) بفتح اللام المخففة يعني يقوم مقام الأول

---

(1) أطرافه 435، 1330، 1390، 4441، 4443، 5815 - تحفة 16310 حديث 3454 أطرافه 436، 4444، 5816 - تحفة 5842.

وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[1].

والخَلَف بفتح اللام وسكونها كل من يجيء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك في الخير وبالسكون في الشر قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: 59].

(وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي) يعني لا يجيء بعدي نبي فيفعل ما كان أولئك يفعلون وفيه إشارة إلى أنه لا بدّ للرعية من يلمّ بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.

(وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ) جمع خليفة، (فَيَكْثُرُونَ) بالمثلثة من الكثرة وحكى القاضي عياض عن بعضهم بالموحدة وهو تصحيف ووجه بأن المراد إكبار قبيح فعلهم.

(قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟) يا رَسُول اللّه (قَالَ) ﷺ: (فُوا) بالضم أمر لجماعة من وفى يفي على وزن قوا بالقاف (بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ) والمعنى أنه إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها قَالَ النووي سواء عقدوا للثاني عالِمين بعقد الأول أو لا وسواء كانوا في بلد واحد أو أكثر وسواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا هذا هو الصواب الذي عليه الجمهور وقيل يكون لمن عقدت له في بلد الإمام دون غيره وقيل يقرع بينهما قَالَ وهما قولان فاسدان.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ في هذا الحديث: حكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها وسكت عن حكم بيعة الثاني وقد نص عليه في حديث عرفجة في صحيح مسلم حيث قَالَ: فاضربوا عنق الآخر وفي رواية أخرى: فاضربوه بالسيف كائنًا من كان.

(أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ) أي: أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة.

(فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ) أي: فإن اللّه يحاسبهم على ما يفعلون

---

(1) تحفة 13417.

أخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول رقم 1842.

بكم من الخير والشر وهو كحديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا المتقدم كلكم راع

= قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على ثلاثة أحكام الأول الإخبار بكثرة أنبياء بني إسرائيل وأنهم كانوا يسوسون بني إسرائيل كلما هلك نبي خلفه نبي والثاني الإخبار بأنه ﷺ آخر الأنبياء ولا نبي بعده والثالث الإخبار بكثرة الخلفاء والأمر بحفظ بيعة الأول والوفاء لهم بحقوقهم وترك الحقوق التي عليهم لله حتى يسألهم عنها.

والكلام عليه من وجوه:

أن يقال ما معنى تسوسهم وأي شيء هو المقصود من الإخبار بأن بني إسرائيل كانت الأنبياء عليهم السلام تسوسهم فإما معنى تسوسهم أي: تهديهم إلى طريق النجاة وتلطف بهم في الحمل عليها كما يسوس الرابض الدابة ويحملها على الطريق الحسنة ويعلمها الخلق الجميلة وأما الحكمة في الإخبار بهذا فهي إشارة أنكم بعدي ليس لكم من يسوسكم فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: «**تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي**» معناه أن هذين يقومان لكم مقام الأنبياء لبني إسرائيل وقوله عليه السلام في حديث آخر: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**» معناه أن علماء هذه الأمة تسوسهم وترشدهم إلى طريق الحق كما كانت أنبياء بني إسرائيل من هذا الوجه يكون الشبه بينهم لا أن أحدًا من بني آدم تكون درجته مثل درجة نبي من الأنبياء عليهم السلام فإن الأنبياء عليهم السلام أرفع الناس درجة وأعلاهم منزلة.

وفيه: دليل على حسن طريقة الأنبياء عليهم السلام إذ جعل الكل على حسن اللطف بقومهم يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام عن بني إسرائيل إن جميع أنبيائهم كانوا يسوسونهم والسياسة لا يمكن توفيقها لا ممن قد طبع على أحسن الخلق.

وفيه: دليل على قطع الوحي من الأرض وتكذيب من ادعى من ذلك شيئًا بعد وفاته ﷺ يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «**لا نبي بعدي**».

وفيه: دليل على فضل علماء أمة محمد ﷺ يؤخذ ذلك من الحديث الذي استدللنا به وهو قوله عليه السلام: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**» فالدليل منه على فضل علماء أمته عليه السلام أن جعلهم في الهدى والسياسة لأمته كأنبياء بني إسرائيل لبني إسرائيل.

وفيه: دليل على تقديم آكد الحقين إذا تعارضا يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**أعطوهم حقوقهم فإن اللّه سائلهم عما استرعاهم**» معناه لا تمنعوهم أنتم حقوقهم لكونهم يمنعونكم حقوقكم فأعطوهم ما لهم من الحقوق واتركوا أنتم حقوقكم فإن اللّه ينصفكم منهم لما تعارض حق الملك وحق المسترعي كان حق الملك آكد لأنه يترتب عليه حق متعد قدم على حق المسترعي لأن الخير فيه مقصور عليه وهو لا يفوته إما أن يأخذه في هذه الدار وإما أن يأخذه في الدار الآخرة فقدم الأهم وهذه قاعدة مطردة إذا تعارض قدم أيهما أنفع.

وفيه: دليل على أن اللّه سبحانه وتعالى لا يغادر من حقوق عباده صغيرًا ولا كبيرًا يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**فإن اللّه سائلهم عما استرعاهم**» يدخل تحت ذلك الدق والجل ومما يقوي ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ =

3456 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ....

وكلكم مسؤول عن رعيته وفي الحديث تقديم أمر الدين على أمر الدنيا لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر.

وتأخير المرء المطالبة بحق لا يسقطه وقد وعده اللّه أن يخلصه ويوفيه إياه ولو في الآخرة.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في المغازي. وابن ماجة في الجهاد.

(حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ) هو سَعِيد بن مُحَمَّد بن الحكم بن أَبِي مريم المصري قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ) بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة وبالنون مُحَمَّد ابن مطرف وقد مر في الصلاة (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ) سعد بن مالك الخدري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لَتَتَّبِعُنَّ) بضم العين وتشديد النون.

(سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ) بفتح السين المهملة أي: طريق من قبلكم أي: الذين كانوا قبلكم والسنن بالفتح السبيل والمنهاج وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: ويروى بالضم.

= [الأنبياء: 47] أي: لا يغادر ذرة ولا أقل ولا أكثر منها.

وفيه: دليل على أن كل من له حق يوفى له يوم القيامة وإن لم يكن هو يعلمه لأن كثيرًا من الناس لا يعلم قدر الحق الذي له على الخليفة فإذا كان اللّه سبحانه وتعالى يحاسبه عما استرعاه فلا شك أنه يوفي لصاحب الحق حقه وإن لم يكن يعلم صاحب الحق به.

وفيه: دليل على عظيم قدرة اللّه وأنه سبحانه ليس كمثله شيء يؤخذ ذلك من إخباره عليه السلام بأنه عز وجل يسأل جميع الخلفاء عن كل ما استرعاهم عليه واحدًا واحدًا وكم على كل خليفة من العالمين تداخل الحقوق بعضها على بعض فيما أخذوا فيه هذا في الخلفاء ليس إلا وفيما بين الناس ويكون الفراغ من هذا الحساب العظيم وهذه المناقشة العظيمة في قدر ما يفعل صلاة واحدة من المفروضات وقد جاء قدر ركعتي الفجر ولذلك كان سيدنا ﷺ يخففهما رجاء في تخفيف الحساب على أمته هذا لا تقدره العقول ولا تحيط به الأوهام ولا يمكن أن يكون هذا من صفة من يحد أو يكيف فإن هذا فلا يدخل تحت هذه الحدود ولا تحت حد محدود تعالى اللّه علوًّا كبيرًا.

شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ»[1].

(شِبْرًا بِشِبْرٍ) نصب بنزع الخافض تقديره لتتبعن سنن من قبلكم اتباع شبر ملتبس بشبر.

(وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ) هو كقوله شبرا بشبر وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا في الكفر وكذلك قوله: (حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ) الجحر بضم الجيم وسكون الحاء المهملة والضبُّ بفتح المعجمة وتشديد الموحدة دويبة معروفة يأكلها الأعراب والأنثى ضبة وتقول العرب هو قاضي الطير والبهائم يقولون اجتمعت إليه أول ما خلق اللّه الإنسان فوصفته له فَقَالَ الضب تصفين خلقا ينزل من السماء الطير ويخرج من الماء الحوت فمن له جناح فليطر ومن كان ذا مخلب فليحتفر ووجه التخصيص بجحر الضب شدة ضيقة ورداءته ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم.

(قُلْنَا) ويروى: فقلنا بالفاء: (يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى) أي: أهم اليهود والنصارى، (قَالَ) أي: النَّبِيّ ﷺ: («فَمَنْ») أي: ممن غيرهم وهذا

---

(1) طرفه 7320 - تحفة 4171.

قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على اتباع هذه الأمة سنن اليهود والنصارى.

والكلام عليه من وجوه:

أن يقال ما معنى اتباعهم وفي ماذا يكون الشبه من سننهم هل على العموم أو في بعضها وإن كان في بعضها فما هو وما معنى شبرًا بشبر وذراعًا بذراع فأما (الجواب) عن الأول فقد يكون سننهم بمعنى طريقهم لأن السنة بمعنى الطريقة كقوله تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: 85] أي: الطريقة التي عادته عز وجل لا يخلقها لهم ولا فيهم.

(وأما الجواب): على سنن من قبلكم هل على العموم في جميع طرقهم أو على الخصوص احتمل لكن الظاهر العموم بدليل الحديث نفسه بقوله عليه السلام: «**حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**» وأما من خارج فقد جاءت أحاديث كثيرة تبين ذلك فإن من طريق من تقدم اختلافهم كما أخبر بذلك ﷺ في أمته وهو قوله ﷺ: «**افترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**».

ومنها: أنهم بدلوا الأحكام وقد أخبر ﷺ بذلك في أمته حيث قال ﷺ: «**ويعود الحكم مغرمًا**» وقال عليه السلام: «**تحل عرى الإسلام عروة عروة كلما حلوا عروة تشبثوا بالتي تليها فأول**=

استفهام على وجه الإنكار أي: ليس المراد غيرهم.

= عروة تحلونها الأحكام وآخر عروة تحلونها الصلاة». أو قال ومنها التحاسد بينهم وقد أخبر ﷺ بذلك في أمته بقوله عليه السلام: «**يأتي في آخر الزمان أقوام أصدقاء العلانية أعداء السريرة**» وما كان فيهم من نقص الكيل والربا عمل قوم لوط والكذب والمكر فقد ظهرت في هذه الأمة وما كان من التكالب على الدنيا والفساد في الأرض فقد ظهر أيضًا وما كان فيهم من الارتداد بعد الهدى قد أخبر ﷺ أنه سيكون في هذه الأمة وهو قوله عليه السلام عند ذكر الفتن «**يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي كافرًا ويصبح مؤمنًا يبيع دينه بعرض من الدنيا**» ولو لم يكن فيهم إلا ردة الدجال لكانت كافية وهي واقعة حقًّا وكل ما كان فيهم مما يشبه هذا إذ تتبعتها تراها قد ظهرت وقد أخبر الصادق ﷺ فهي مستظهرة لا محالة أعاذنا اللّه من الجميع بجاهه عند اللّه ﷺ ما كان من المسخ فيهم فقد أخبر الصادق ﷺ أنه في هذه الأمة إلا أنه في القلوب فببركته ﷺ أنه ستر على أمته تشوه السورة الظاهرة ويبقى في القلوب كما أخبر عليه السلام فترى الشخص صورته باقية وهو قد مسخ قلبه صورة كلب وهم الشرط والجنادرة وشبههم تراهم طول يومهم يروعون الناس ويعيطون في وجوههم ومنهم من يمسخ قلبه صورة خنزير وهم أهل القذارة والبلادة فهكذا تتبع بنظرك صفة كل شخص في خلقه تستدل بذلك على مسخ قلبه ما هو وقد يبقى متحيرًا لا مسخ في قلبه إلا أن قلبه قد مات وقد أخبر بذلك الصادق ﷺ بأنه يأتي زمان يموت فيه قلب المرء كما يموت بدنه أو كما قال عليه السلام لأن القلب إذا لم تبق فيه تلك الحرارة الغريزية حتى يفقه مصالحه فهو ميت وقد يكون موته حقيقيًّا واللّه أعلم. والقدرة صالحة أن يكون حسيًّا أو يكون معنويًّا فإنه إذا لم ينتفع بقلبه في النوع الذي أريد منه وتوالت عليه الشهوات حتى لا يرى إلا هي فذلك موت لأن الفائدة التي في حياة القلب معدومة عنده ولذلك شبه ﷺ الذاكر لربه بالحي والغافل بالميت واحتمل أن يكون موته حسيًا كيف شاء القادر سبحانه وتعالى كما ييبس عضو من أعضاء الشخص مثل يده أو رجله أو غيرهما من الجوارح وباقي بدنه صحيح القدرة صالحة ومن سنن من قبلنا أنهم بدلوا بعض كتبهم كما أخبر اللّه عز وجل عنهم لقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: 41] وقد أخبر عن هذه الأمة بمثل هذا في قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: 7] والآي والأحاديث في هذا كثيرة فيكون فائدة الإخبار بهذا الحديث التحرز عن مثل هذا نصحًا منه ﷺ لأمته واختصارًا في اللفظ وإبلاغًا في الإنذار لأن الآي والأحاديث في هذا كثيرة كما قدمنا وكثير من الناس لا يعرفها وإن عرفها لا يقدر أن يحصيها فجاء هذا الحديث من إبداع البلاغة وفي الإنذار والتحزير عن كل ما تضمنته الآي والأحاديث فجزاه اللّه عنها أفضل ما جازى نبيًّا عن أمته وجعلنا من صالحي أمته بمنه وأما قوله عليه السلام: «**شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع**» فمعناه أنكم لا تتركون منها شيئًا إلا فعلتموه زيادة بيان كما ذكرناه آنفًا وكذلك قوله عليه السلام: «**حتى لو سلكوا جحر ضب**» مبالغة في الاتباع.

وفيه: دليل على الإخبار بالعام والمراد به الخاص يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم**) وهو عام ولم يرد ممن قبلنا إلا قومًا مخصوصين وهم اليهود والنصارى. =

3457 - حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «ذَكَرُوا النَّارَ وَالنَّاقُوسَ، فَذَكَرُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن من قبلكم يشمل بني إسرائيل وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الاعتصام أَيْضًا. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في القدر.

(**حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ**) ضد الميمنة قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ**) الثقفي قَالَ: (**حَدَّثَنَا خَالِدٌ**) هو ابن مهران الحذّاء (**عَنْ أَبِي قِلابَةَ**) بكسر القاف هو عَبْد اللَّه بن زيد، (**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: ذَكَرُوا النَّارَ وَالنَّاقُوسَ، فَذَكَرُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى**) وذلك أنه لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه فذكروا أن يوروا نارًا فقال ﷺ ذاك للمجوس، وذكروا ناقوسًا

= وفيه: دليل على مراجعة العالم إذا بقي في كلامه على السامع احتمال يؤخذ ذلك من قول الصحابة رضي اللّه عنهم له ﷺ اليهود والنصارى سؤال استرشاد وتثبت فإن حسن السؤال نصف العلم فاستفهموا لزوال الاحتمال.

وفيه: دليل على جواز مخاطبة البعض بلفظ الكل يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**لتتبعن سنن الذين من قبلكم**» وهو عليه السلام يخاطب الحاضرين وهم البعض من أمته وخطابه عليه السلام لجميع الأمة.

وفيه: دليل على جواز أن يضاف للشخص ما يفعله من هو مشترك معه في وصف ما من الأوصاف وإن كان المخاطب ليس فيه من ذلك الفعل شيئًا يؤخذ ذلك من خطابه ﷺ لهؤلاء السادة وهم بالقطع ليس فيهم من هذه الأوصاف التي ظهرت بعدهم ولا من التي لم تظهر لنا بعد شيء فلما كان اسم الأمة يقع عليهم خاطبهم بذلك من أجل من متضمن الاسم.

وفيه: دليل على أن من حسن الكلام والاختصار في اللفظ إذا فهم المعنى يؤخذ ذلك من جوابه ﷺ لهم حين قالوا اليهود والنصارى قال فمن ولم زيد على ذلك شيئًا لأنهم فهموا بهذه الإشارة أنه عليه الصلاة والسلام لم يرد غيرهم واختصر بهما طول الكلام والتطويل وفي ذلك من الحسن كل بديع.

وفيه: دليل على التحذير عن حال المجاهرين بالمناكر وليس ذكرهم بذلك على هذا الوجه بعينه يؤخذ ذلك من تحذيره عليه السلام عن عيوب أهل الكتاب وفيهم من المسلمين المتبعين بمقتضى شرعهم كثير فلما أظهروا المناكر ولم يكن ذكرهم بها والتحذير عنها غيبة ومما يؤيد ذلك ويقويه قوله عليه السلام: «**لا غيبة في فاسق**».

وفيه: دليل على كثرة شين المعاصي يؤخذ ذلك من سوء الثناء عليهم وتحذيره ﷺ عنهم وعن طريقهم بعد موتهم فشؤم المعصية أورثنا سوء الثناء كما أن بركة الطاعة أورثت حسن الثناء في الحياة وبعد الموت ولذلك قال أهل الخير وإن ماتوا أحياء بين الأنام فإن ذكرهم بحسن الثناء أحيى لتلك الرمم يحببهم قلبي والدعاء لهم في كل حين حسن.

فَأُمِرَ بِلالٌ: أَنْ يَشْفَعَ الأذَانَ وَأَنْ يُوتِرَ الإقَامَةَ»[1].

3458 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا، «كَانَتْ تَكْرَهُ أَنْ يَجْعَلَ المُصَلَّى يَدَهُ فِي خَاصِرَتِهِ وَتَقُولُ: إِنَّ اليَهُودَ تَفْعَلُهُ» ....

فقال: ذاك للنصارى، وذكروا بوقًا فقال: ذلك لليهود.

وقيل: يحتمل أن يكون النار والبوق كلاهما لليهود، وعن أنس رضي اللّه عنه كانت الصلاة إذا حضرت على عهد رسول اللّه ﷺ سعى رجل في الطريق فينادي الصلاة الصلاة فاشتد ذلك على الناس فقالوا لو اتخذنا ناقوسًا، الحديث.

(**فَأُمِرَ بِلالٌ**) بضم الهمزة على البناء للمفعول: (**أَنْ يَشْفَعَ الأذَانَ وَأَنْ يُوتِرَ الإقَامَةَ**) وبه قال الشافعي وأحمد ومالك إلا لفظة قد قامت الصلاة، فإنه يكرر عند الشافعي وأحمد.

وقال أبو حنيفة: يثني الإقامة أيضًا احتجاجًا بالأحاديث الصحيحة الدالة على تثنية الإقامة.

منها: ما رواه البيهقي عن عبد اللّه بن زيد بن عبد ربه وأبو عوانة في صحيحه عنه أيضًا ولفظه أذَّن مثنى وأقام مثنى.

ومنها: حديث أبي محذورة عند الترمذي وقد صححه علّمه الأذان مثنى مثنى والإقامة مثنى مثنى.

ومنها: غير ذلك والحديث قد مضى في باب الأذان مثنى مثنى والإقامة واحدة.

ومطابقته للترجمة في ذكر اليهود.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة (**عَنِ الأعْمَشِ**) سليمان بن مهران، (**عَنْ أَبِي الضُّحَى**) بضم المعجمة مقصورًا هو مسلم بن صبيح، (**عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا**) أنها (**كَانَتْ تَكْرَهُ أَنْ يَجْعَلَ**) أي: المصلي (**يَدَهُ فِي خَاصِرَتِهِ**) والخاصرة الشاكلة (**وَتَقُولُ: إِنَّ اليَهُودَ تَفْعَلُهُ**)

---

(1) أطرافه 603، 605، 606، 607 - تحفة 943.

تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ[1].

3459 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلا مِنَ الأُمَمِ، مَا بَيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ

وهذا وإن كان مُطْلَقًا لكنه مقيد بحال الصلاة ويدل على ذلك ما رواه أَبُو نعيم من طريق أحمد بن الفرات عن مُحَمَّد بن يُوسُف شيخ الْبُخَارِيّ فيه بلفظ أنها كرهت الاختصار في الصلاة وقالت إنما يفعل ذلك اليهود.

ووقع عند الإسماعيلي من طريق يزيد بن هارون عن سُفْيَان وهو الثَّوْرِيّ بهذا الإسناد تعني وضع اليد على الخاصرة في الصلاة.

ويقال: هو فعل الجبابرة.

ويقال: استراحة أهل النار.

ويقال: هو فعل من دهته مصيبة.

ويقال: لما طرد الشيطان نزل إلى الأرض مختصرًا.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(**تَابَعَهُ**) أي: تابع سُفْيَان (**شُعْبَةُ**) فِي رِوَايَةِ هذا الحديث، (**عَنِ الأَعْمَشِ**) وصل هذه المتابعة ابن أَبِي شيبة من طريقه.

(**حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا لَيْثٌ**) ويروى الليث معرفًا باللام.

(**عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) أنه (**قَالَ: إِنَّمَا أَجَلُكُمْ**) أي: زمانكم (**فِي أَجَلِ مَنْ خَلا**) أي: مضى (**مِنَ الأُمَمِ، مَا بَيْنَ**) ويروى: كما بين (**صَلاةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا**) بضم العين وتشديد الميم جمع عامل (**فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ**[2] **فَعَمِلَتِ**

---

(1) تحفة 17647 - 207/ 4.

(2) القيراط نصف الدانق، والدانق بفتح النون وكسرها سدسُ الدرهم، والمراد هنا مقدار معين =

اليَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟، أَلا، فَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلا لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ»[1].

3460 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَاتَلَ اللَّهُ فُلانًا، أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ ....

اليَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟، أَلا، فَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلاةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، عَلَى قِيرَاطَيْـــنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلا لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ) ومثل الحديث قد مر في كتاب الصلاة في باب من أدرك ركعة من العصر.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) المعروف بابن المديني قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة، (**عَنْ عَمْرٍو**) هو ابن دينار، (**عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ**) رَضِيَ اللّه عَنهُمَا أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَاتَلَ اللَّهُ**) أي: لعن اللّه (**فُلانًا**) وأخزاه (**أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ**

= من الثواب لا خصوص معنى القيراط.

(1) أطرافه 557، 2268، 2269، 5021، 7467، 7533 - تحفة 8304.

الشُّحُومُ فَجَمَّلُوهَا، فَبَاعُوهَا» تَابَعَهُ جَابِرٌ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[1].

3461 - حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، أَخْبَرَنَا الأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً،

الشُّحُومُ فَجَمَّلُوهَا) بالجيم أي: أذابوها، (**فَبَاعُوهَا**) وفيه أن الحيلة محرمة والحديث قد مضى في كتاب البيوع في باب لا يذاب شحم الميتة تامًّا وقد أورده هنا مختصرًا وقد مضى الكلام فيه هناك، ويقال المراد بفلان سمرة بن جندب قيل: إنه خلل الخمر وباعها وكان من مذهب عمر رضي اللّه عنه أن ذلك لا يحل كما هو قول أكثر الشافعية وغيرهم، واعتقد سمرة الجواز كما تأوّله غيرهم أنه يحل التخليل ولا ينحصر الحل في تخليلها لنفسه وقيل غير ذلك.

ومطابقته للترجمة في ذكر اليهود أَيْضًا.

(**تَابَعَهُ**) أي: تابع ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي رِوَايَةِ هذا الحديث.

(**جَابِرٌ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أما متابعة جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فقد وصلها الْبُخَارِيّ في أواخر البيوع في باب بيع الميتة والأصنام وأما متابعة أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ فقد وصلها الْبُخَارِيّ أَيْضًا في باب لا يذاب شحم الميتة.

(**حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ**) بفتح الميم واللام قَالَ: (**أَخْبَرَنَا الأَوْزَاعِيُّ**) عبد الرحمن بن عمرو قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ**) السامي وقد مر في الهبة (**عَنْ أَبِي كَبْشَةَ**) السلوني بفتح المهملة وضم اللام الأولى. واسمه كنيته، (**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو**) أي: ابن العاص رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**) أي: علامة ظاهرة فهو تتميم ومبالغة ولو كان المبلغ فعلا أو إشارة أو نحوهما وَقَالَ البيضاوي إنما قَالَ آية أي: من القرآن ولم يقل حديثًا فإن الآيات مع تكفل اللّه بحفظها واجبة التبليغ فوجوب تبليغ الحديث يفهم منه بالطريق الأولى وَقَالَ المعافى النهرواني في كتاب الجليس له الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معان:

العلاقة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة.

---

(1) طرفه 2223 - تحفة 10501.

وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، ....

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: 41].

ومن الثاني: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾.

ومن الثالث: جعل الأمير فلانا اليوم آية قَالَ ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها آية لدلالتها وفصلها وأمانتها وَقَالَ في الحديث ولو آية ليسارع كل سامع إلى تبليغ وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك إلى نقل ما جاء به ﷺ والله أعلم.

(**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ**) أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار.

وقيل: معنى قوله ولا حرج لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرًا.

وقيل: لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولًا حدثوا صيغة أمر يقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله ولا حرج أي: في ترك التحديث عنهم.

وقيل: المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ المستبشعة نحو قولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: 24] وقوله: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: 138].

وَقَالَ الكِرْمَانِيّ: الأمر فيه للإباحة إذ لا وجوب ولا ندب فيه بالإجماع أي: إذا بلغك عنهم حديث فلا حرج عليك في أدائه لا أنه يجوز الافتراء عليهم بخلاف حديث الرسول فإنه لا يجوز الإبلاغ إلا بالإسناد عن الثقات.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ ليس معناه إباحة الكذب عليهم وإنما معناه أنك إذا حدثت عنهم على البلاغ حقًّا أو غير حق لم يكن عليك حرج لأن شريعتهم لا تلزمنا وأما الحديث عن رَسُول اللَّه ﷺ فلا يجوز أن يحدث عن بلاغ بل لا بدّ أن يكون عن

وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

ثقة ليؤمن به الكذب على الرسول ﷺ.

وَقَالَ مالك: المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن أما ما علم كذبه فلا.

وقيل: المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح.

وقيل: المراد جواز التحديث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحديث عنهم بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحديث بها الاتصال ولا يتعذر ذلك لقرب العهد.

وَقَالَ الشَّافِعِيّ: من المعلوم أن النَّبِيّ ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**» ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه.

وقيل: المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا أبعد الوجه.

(**وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**) وقد تقدم ذكره في كتاب العلم في باب إثم من كذب على النَّبِيّ ﷺ وتقدم شرحه مستوفى هناك وذكر عدد من رواه. وقوله: (فليتبوأ) بكسر اللام هو الأصل وبالسكون هو المشهور وهو أمر من التبوؤ وهو اتخاذ المباءة أي: المنزل.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ تبوأت منزلًا أي: نزلته. وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رَسُول اللَّه ﷺ وأنه من الكبائر حتى بالغ الشَّيْخ أَبُو مُحَمَّد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك وكلام القاضي أَبِي بكر ابن العربي يميل إليه وجهل من قَالَ من الكرامية وبعض المتزهدة أن الكذب على النَّبِيّ ﷺ يجوز فيما يتعلق بأمر الدين وطريقة أهل السنة والترغيب والترهيب واعتلوا بأن الوعيد ورد في حق من كذب عليه لا في الكذب له وهو اعتلال باطل لأن المراد بالوعيد من يقول عنه الكذب واللَّه تَعَالَى أعلم.

---

(1) تحفة 8968.

3462 - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى لا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ»[1].

ومطابقة الحديث للترجمة غنية عن البيان.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) قَالَ: (**حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ**) هو ابن كيسان، (**عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**) الزُّهْرِيّ أنه (**قَالَ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى لا يَصْبُغُونَ**) بفتح الموحدة وضمها، (**فَخَالِفُوهُمْ**) أي: اصبغوا أنتم والمراد به صبغ شيب اللحية والرأس وهو مندوب إليه لأنه ﷺ أمر بمخالفتهم ولا يعارض ما ورد من النهي عن إزالة الشيب لأن الصبغ لا يقتضي الإزالة.

وقيل: المراد بالإزالة النتف وسئل مالك عن النتف فَقَالَ ما أعلمه حرامًا وتركه أحب إليَّ. ثم إن المأذون فيه مقيد بغير السواد لما أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من حديث جابر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه ﷺ قَالَ: «**غيروه وجنبوه السواد**».

وروى أَبُو دَاوُدَ وصححه ابن حبان من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا مَرْفُوعًا يكون قوم في آخر الزمان يخضبون كحواصل الحمام لا يجدون ريح الجنة وإسناده قوي ورواه الحاكم أيضًا وصححه فالحديث صحيح إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه وعلى تقدير ترجيح وقفه فمثله لا يقال بالرأي فحكمه الرفع ولهذا اختار النووي أن الصبغ بالسواد يكره كراهية تحريم. وعن الحليمي أن الكراهة خاصة بالرجال دون النساء فيجوز ذلك للمرأة لأجل زوجها.

وَقَالَ مالك: الحناء والكتم واسع والصبغ بغير السواد أحب إليَّ ويستثنى من ذلك المجاهد اتفاقًا.

وقد اختلف هل كان النَّبِيّ ﷺ يصبغ فَقَالَ ابْن عُمَر في الموطأ أما الصفرة

---

(1) طرفه 5899 - تحفة 15190.
أخرجه مسلم في اللباس والزينة باب في مخالفة اليهود في الصبغ رقم 2103.

3463 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الحَسَنِ، حَدَّثَنَا جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فِي هَذَا المَسْجِدِ، وَمَا نَسِينَا مُنْذُ حَدَّثَنَا، وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

فرأيت رَسُول اللَّه ﷺ يصبغ بها وأنا أحب أن أصبغ وقيل: كان يصفر لحيته وقيل: صبغ مرة وَقَالَ مالك لم يصبغ ﷺ ولا علي ولا أُبَي بن كعب ولا ابن المسيب ولا السائب بن يزيد ولا ابن شهاب قَالَ: والدليل على أنه ﷺ لم يصبغ أن عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قالت كان أَبُو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يصبغ فلو كان صبغ لبدأت به.

وَقَالَ مالك: والصبغ بالسواد ما سمعت فيه شَيْئًا وغيره من الصبغ أحب إليَّ والصبغ بالحناء والكتم واسع.

وقالت الشافعية: يستحب خضاب الشيب للرجل والمرأة بالحمرة والصفرة كالحناء والزعفران. وليس المراد بالصبغ في هذا الحديث صبغ الثياب ولا خضب اليدين والرجلين بالحناء مثلًا لأن اليهود والنصارى لا يتركون ذلك وقد صرح الشافعية بتحريم لبس الثياب المزعفر للرجل وبتحريم خضب الرجال أيديهم وأرجلهم إلا للتداوي وسيأتي بسط القول في ذلك في كتاب اللباس إن شاء اللَّه تَعَالَى.

ومطابقة الحديث للترجمة في ذكر اليهود وقد أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ في الزينة.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ**) قَالَ ابن السكن: هو مُحَمَّد بن معمر بن ربعي القيسي البَصْريّ وعليه الأكثر كذا نقله عن الفربري وَقَالَ أَبُو عَبْد اللَّه الحاكم هو مُحَمَّد ابن يَحْيَى الذهلي (**قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ**) هو ابن منهال قَالَ: (**حَدَّثَنَا جَرِيرٌ**) هو ابن حازم، (**عَنِ الحَسَنِ**) البَصْريّ أنه قَالَ: (**حَدَّثَنَا جُنْدَبُ**) بضم الجيم وسكون النون وفتح المهملة على الأصح.

(**ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فِي هَذَا المَسْجِدِ**) هو مسجد البصرة.

(**وَمَا نَسِينَا مُنْذُ حَدَّثَنَا**) بفتح الدال وأشار بذلك إلى تحقق لما حدث به وحسن ضبطه وكمال حفظه وقرب عهده به واستمرار ذكره له.

(**وَمَا نَخْشَى**) عَسَى (**أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ**) ويروي: على النَّبِيّ (ﷺ) فيه إشارة إلى أن الصحابة عدول وأن الكذب مأمون من قبلهم ولا

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[1].

سيما على النَّبِيّ ﷺ، (**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ**) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: لم أقف على اسمه (**بِهِ جُرْحٌ**) بضم الجيم وسكون الراء بعدها مهملة وتقدم في الجنائز بلفظ به جراح وهو بكسر الجيم وذكره بعضهم بضم المعجمة وآخره جيم وهو تصحيف قاله الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم أن رجلًا خرجت به قرحة بفتح القاف وسكون الراء وهي حبة تخرج في البدن وكان به جرح ثم صار قرحة وكان كلاهما.

(**فَجَزِعَ**) أي: لم يصبر على الألم (**فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ**) السكين يذكر ويؤنث وقوله فحزّ بالحاء المهملة وتشديد الزاي أي: قطع بغير إبانة ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم فلما آذته انتزع سهمًا من كنانته فنكأها وهو بالنون والهمز أي: نجس موضع الجرح ويمكن الجمع بأن يكون فجر الجرح بذبابة السهم فلم ينفعه فحزّ موضعه بالسكين ودلت رواية الْبُخَارِيّ على أن الجرح كان في يده.

(**فَمَا رَقَأَ**) بالقاف والهمز أي: لم ينقطع يقال رقأ (**الدَّمُ**) إذا سكن وانقطع (**حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ**) تبارك و(**تَعَالَى**) وفي نسخة: عز وجل (**بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ**) هو كناية عن استعجاله الموت (**حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**) فإنه لما استعجل الموت فتعاطى سببه عصى اللَّه تَعَالَى فناسب أن يعاقب ودل ذلك على أنه حزها لإرادة الموت لا للتداوي الذي يغلب على الظن الانتفاع به.

وقد استشكل قوله بادرني عبدي بنفسه وقوله حرمت عليه الجنة لأن **الأول**: يقتضي أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش لكنه بادر فتقدم.

والثاني: يقتضي تخليد الموحد في النار.

والجواب عن **الأول**: أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك القصد له والاختيار وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها وإنما استحق المعاقبة لأن اللَّه لم

---

(1) طرفه 1364 - تحفة 3254 - 208/ 4.

يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه.

وَقَالَ القاضي أَبُو بكر: قضاء اللّه مطلق ومقيد بصفة فالمطلق يمضي على الوجه بلا صارف والمقيد على وجهين مثاله أن يقدر لواحد أن يعيش عشرين إن قتل نفسه وثلاثين سنة إن لم يقتل وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كملك الموت مثلًا وأما بالنسبة إلى علم اللّه تَعَالَى فإنه لا يقع إلا ما علمه ونظير ذلك الواجب المخير والواقع منه معلوم عند اللّه والعبد المخير في أي: الخصال يفعل.

والجواب عن **الثاني**: من أوجه:

أحدها: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافرًا.

وثانيها: أنه كان كافرًا في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره.

وثالثها: أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون.

ورابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلًا.

وخامسها: أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد.

وسادسها: أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك.

وسابعها: قاله النووي يحتمل أن يكون ذلك شرع من معنى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها.

وفي الحديث تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أو غيره.

وقيل: الغير يؤخذ من تحريم قتله بطريق الأولى.

وفيه: الوقوف عند حقوق اللّه تَعَالَى.

وفيه: رحمته بخلقه حيث حرم عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك اللَّه.

وفيه: التحدث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها.

وفيه: تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس.

51 ـ باب: حَدِيثُ أَبْرَصَ، وَأَعْمَى، وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ

3464 - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، (ح) ....

وفيه: التنبيه على أن حكم السراية يترتب عليه ما يترتب على ابتداء القتل.

وفيه: الاحتياط في التحديث والضبط له والتحفظ فيه بذكر المكان والإشارة إلى حفظ المحدث وتوقيفه لمن حدثه ليركن إليه السامع بذلك والله تَعالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله كان فيمن كان قبلكم فإنه أعم من أن يكون من بني إسرائيل ومن غيرهم، والحديث قد مضى في كتاب الجنائز في باب ما جاء في قاتل النفس بإثم منه.

51 ـ باب: حَدِيثُ أَبْرَصَ، وَأَعْمَى، وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ

(**باب: حَدِيثُ أَبْرَصَ، وَأَعْمَى، وَأَقْرَعَ**) وهو الذي ذهب شعر رأسه من آفة، هكذا ترجم لهذا الحديث في أثناء ذكر بني إسرائيل.

(**حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ**) أي: ابن الحصين أَبُو إِسْحَاق السلمي السُّرَّماري بضم السين المهملة وتشديد الراء الأولى المفتوحة وقيل بسكونها نسبة إلى سرمارة قرى من قرى بخارى الزاهد المجاهد وهو من أقران الْبُخَارِيّ وأفراده مات يوم الاثنين لست ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين ومائتين قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَمْرُو**) بفتح العين (**ابْنُ عَاصِمٍ**) أي: ابن عُبَيْد اللَّه القيسي الكلابي البَصْريّ مات سنة ثلاث عشرة ومئتين قَالَ: (**حَدَّثَنَا هَمَّامٌ**) هو ابن يَحْيَى العودي الأزدي البَصْريّ قَالَ: (**حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن أَبِي طلحة ابن أخي أنس بن مالك رضي اللَّه عنهم مات سنة أربع وثلاثين ومائة وليس له في الْبُخَارِيّ عن عبد الرحمن ابن أَبِي عمرة سوى هذا الحديث وآخر في التوحيد (**قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ**) واسم أَبِي عمرة عمرو بن محصن الأَنْصَارِيّ النجاري قاضي أهل المدينة (**أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، (ح)**) تحويل من سند إلى آخر.

وحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، ....

(وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ) كذا وقع غير منسوب قَالَ الجياني لعله مُحَمَّد بن يَحْيَى الذهلي ويقال إنه الْبُخَارِيّ نفسه ويؤيد ذلك أنه روي عن عَبْد اللَّه بن رجاء في اللقطة وغيرها بغير واسطة لكن جزم أَبُو ذر بأنه عند المصنف عن مُحَمَّد غير منسوب عن عَبْد اللَّه بن رجاء وجوز أنه الذهلي وساقه عن الجوزقي عن مكي بن عبدان عن الذهلي بطوله وكذلك جزم أَبُو نعيم وساقه مُوسَى بن العباس عن مُحَمَّد بن يَحْيَى وسيأتي في التوحيد حديث آخر أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ بهذين السندين سواء إلى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ) أي: ابن المثنى أَبُو عمرو البَصْرِيّ مات سنة تسع عشر ومائتين قَالَ: (أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ) بتخفيف الدال المهملة بغير همز أي: سبق في علم اللَّه فأراد إظهاره وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيًا لأن ذلك محال في حق اللَّه تَعَالَى وقد أخرج مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بهذا الإسناد بلفظ أراد اللَّه.

(أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ) فلعل التغيير فيه من الرواة مع أن في الرواية نظرًا لأنه لم يزل مريدًا والمعنى أظهر اللَّه ذلك فيهم.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: معنى أراد قضى لأن القضاء سابق.

وَقَالَ صاحب المطالع: ضبطناه على متقني شيوخنا بالهمزة أي: ابتداء اللَّه أن يبتليهم قَالَ ورواه كثير من الشيوخ بغير همز وهو خطأ انتهى.

وسبق إلى التخطئة أَيْضًا الْخَطَّابِيّ وليس كما قَالَ لأنه موجه كما ترى. وأولى ما يحمل عليه أن المراد قضى اللَّه أن يبتليهم ويختبرهم وليس من البداء لأنه على اللَّه ممتنع.

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، ـ أَوْ قَالَ: البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ ـ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا. وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ:

(فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ) بكسر الذال المعجمة أي: كرهه الناس واشمأزّوا من رؤيته ويروى قد قذروني من باب أكلوني البراغيث قَالَ الْكِرْمَانِيّ.

(قَالَ: فَمَسَحَهُ) أي: مسح على جسمه (فَذَهَبَ عَنْهُ) أي: البرص، (فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا) على البناء للمفعول.

(فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟) هكذا فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيّ بلا واو.

وفي رواية غيره وأي مال بالواو.

(قَالَ: الإِبِلُ، ـ أَوْ قَالَ: البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ ـ) ووقع عن مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام التصريح بأن الذي شك في ذلك هو إِسْحَاق بن عَبْد اللَّه بن أَبِي طلحة راوي الحديث.

(فَأُعْطِيَ) على البناء للمفعول أي: أعطي الذي تمنى الإبل.

(نَاقَةً عُشَرَاءَ) بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة وبالمد هي الحامل التي أتى عليها في حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل وقيل يقال لها ذلك إلى أن تلد بعد ما تضع وهي من أنفس المال.

(فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا) كذا وقع يبارك بضم أوله وفي رواية شيبان بارك اللّه بلفظ الفعل الماضي وإظهار الفاعل.

(وَأَتَى الأَقْرَعَ) ويروى: قَالَ فأتى الأقرع، (فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ) أي: مسح على رأسه، (فَذَهَبَ) أي: هذا عنه، (وَأُعْطِيَ) على البناء للمفعول (شَعَرًا حَسَنًا قَالَ:

فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ الغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، ....

فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا) ويروى: بارك لك فيها.

(**وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ**) أي: مسح على عينيه، (**فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا**) أي: ذات ولد وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ: شاة والد أي: حامل والشاة يذكر ويؤنث ويقال فلان كثير الشاة وهو في معنى الجمع.

(**فَأُنْتِجَ هَذَانِ**) أي: صاحبا الإبل والبقر كذا وقع أنتج وهي لغة قليلة والفصيح عند أهل اللغة نتجت الناقة بضم النون ونتج الرجل الناقة أي: حمل عليها الفحل وقد سمع أنتجت الفرس أي: ولدت فهي نتوج ولا يقال منتج.

(**وَوَلَّدَ هَذَا**) بتشديد اللام المفتوحة أي: صاحب الشاة وراعى عرف الاستعمال حيث قَالَ في الإبل والبقر أنتج وفي الغنم ولد.

(**فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ**) مِنْ غَنَم ويروى: (**مِنْ الغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ**) أي: الملك (**أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ**) أي: في الصورة التي كان عليها لما اجتمع به وهو أبرص ليكون أبلغ في إقامة الحجة عليه.

(**فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ**) وزاد شيبان وابن سبيل.

(**تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ**) فِي سَفَرِهِ) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: تقطعت بي الحبال (فِي سَفَرِي) والحبال بكسر الحاء المهملة بعدها موحدة خفيفة جمع حبل أراد به الأسباب التي تقطعها في طلب الرزق وقيل: العقبات.

وقيل: الحبل هو المستطيل من الرمل ولبعض رواة مسلم الحيال بالمهملة

فَلا بَلاغَ اليَوْمَ إِلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا

والتحتية جمع حيلة وفي التوضيح ويروى الحيل أي: لم يبق لي حيلة ولبعض رواة الْبُخَارِيّ الجبال بالجيم والموحدة قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وهو تصحيف.

قَالَ ابن التين: قول الملك له رجل مسكين إلى آخره أراد أنك كنت هكذا وهو من المعاريض والمراد به ضرب المثل ليتيقظ المخاطب ويتعظ.

(**فَلا بَلاغَ اليَوْمَ إِلا بِاللَّهِ**) أي: لا كفاية اليوم إلا بالله.

(**ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي**) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: أتبلغ به وهو من البلغة بالغين المعجمة وهي الكفاية والمعنى أتوصل به إلى مرادي يقال تبلغ بكذا أي: اكتفى به.

(**فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ**) بفتح الذال لأنه من باب علم يعلم.

(**فَقِيرًا**) نصب على الحال.

(**فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ**) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ.

وفي رواية غيره: لكابر عن كابر وفي رواية شيبان إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر أي: كبيرًا عن كبير في العز والشرف والمعنى ورثت هذا المال من آبائي وأجدادي حال كون كل واحد منهم كابرًا أي: كبيرًا ورث عن كبير.

(**فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا**) ويروى فإن كنت كاذبًا (**فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ**) إنما أورده بلفظ الفعل الماضي لإرادة المبالغة في الدعاء عليه وإنما دخلت الفاء فيه لأنه دعاء.

(**وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا**

رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللّٰهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ اليَوْمَ إِلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللّٰهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْكَ،

رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللّٰهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ اليَوْمَ إِلا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللّٰهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ) زاد شيبان ودع ما شئت.

(**فَوَاللَّهِ لا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ لِشَيْءٍ**) ويروى بشيء (**أَخَذْتَهُ لِلهِ**) قَالَ القاضي عياض: إن رواية الْبُخَارِيّ لم تختلف أنه لا أحمدك بالحاء المهملة والميم من الحمد يعني لا أحمد على ترك شيء تحتاج إليه من مالي كما قَالَ الشاعر:

وليس على طول الحياة تندم

أي: على فوت طول الحياة انتهى.

وقوله: رواية الْبُخَارِيّ لم تختلف ليس بذاك فإن رواية كريمة لا أجهدك بالجيم والهاء وكذا في أكثر روايات مسلم أي: لا أشق عليك في رد شيء تطلبه مني أو تأخذه أو لا أبلغك غاية تفي لك بما تريد.

وَقَالَ القاضي عياض: لم يتضح هذا المعنى لبعض الناس فَقَالَ لعله لا أحدك بالمهملة وتشديد الدال بغير ميم أي: لا أمنعك قَالَ وهذا تكلف انتهى.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وفي بعض النسخ لأحمدك بلام القسم.

وفي بعضها: لا أحمدك بتشديد الميم أي: لا أطلب منك الحمد من قولهم فلان يتحمد على فلان أي: يمتنّ عليه أي: لا أمتن عليك يقال من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمد به على الناس.

(**فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ**) أي: امتحنتم، (**فَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْكَ،**

وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[1].

52 ـ باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: 9]

وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ) ويروى رضي عنك على البناء للمفعول وكذا سخط على صاحبيك.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ وكان هو خير الثلاثة ولا شك أن مزاجه أقرب إلى السلامة من مزاجهما فإن البرص مرض يحصل من فساد المزاج وكذلك ذهاب الشعر بخلاف العمى فإنه لا يستلزم فساده فقد يكون من أمر خارجي انتهى.

يعني فلهذا حسنت طباع الأعمى وساءت طباع الآخرين، وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم. ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قَالَ الملك كذا قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ.

وفيه التحذير من كفران النعمة والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد اللّه عليها وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم وفيه الزجر عن البخل لأنه يحمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة اللّه تَعَالَى.

ومطابقة الحديث للترجمة أظهر من أن يخفى وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الإيمان والنذور أَيْضًا. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في آخر الكتاب.

52 ـ باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: 9]

(باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾) وسقط فِي رِوَايَةِ أبي ذر عن المستملي والكشميهني لفظ باب وليس فِي رِوَايَةِ النسفي لا باب ولا غيره من الترجمة.

قَالَ الْعَيْنِيّ: وهو الصواب لأن الكتاب في الحديث لا في التفسير انتهى.

---

(1) طرفه 6653 - تحفة 13602 - 209/ 4.
أخرجه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق رقم 2964.

وفيه: أن من عادة الْبُخَارِيّ أن يذكر الترجمة ثم إن وجد حديثًا على شرطه ذكره وإلا اقتصر على تفسير بعض الكلمات القرآنية التي جعلها ترجمة فكذا هذا قَالَ اللّه تَعَالَى في أوائل سورة الكهف: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ [الكهف: 9] أم هنا بمعنى بل والهمزة الاستفهامية الإنكارية وهو يقتضي الاستفهام قبله لفظًا أو تقديرًا فتقديره هنا والله أعلم أحسبت أن ذلك المذكور من تزيين الأرض بما عليها من الحيوان والنبات والمعادن لاختبار الناظرين إليها أيهم أحسن عملًا بأنه يزهد فيه ولم يغتر به ويقنع بما يزجّى به أيامه ويصرفه على ما ينبغي ثم إزالة ذلك كله كأن لم يكن بأن يعيد ما عليها من الزينة ترابًا مستويًا[1] ويجعله كصعيد أملس لا نبات فيه من الآيات الكلية بل أحسبت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف: 9] في إبقاء حياتهم مدة طويلة ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: 9] أن ذلك المذكور أعظم من قصتهم وإبقاء حياتهم مدة مديدة بل قصتهم بالإضافة[2] إلى ذلك ليس بعجيب مع أن ذلك المذكور من آيات اللّه كالكنز الحقير. والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو اسم كلبهم قَالَ أمية بن أَبِي الصلت:

وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد

وقيل: هو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعلت على باب الكهف.

وقيل: مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين.

وقيل: أصحاب الرقيم كانوا قومًا آخرين وكانوا ثلاثة وهم المذكورون في

---

(1) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها أي: ما على الأرض مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهّد في الميل إليها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: 8] يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته وإماطة حسنة وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان ونحو ذلك. كذا في الكشاف.

(2) قوله: (بالإضافة إلى ذلك) أي: بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة للحصر على طبائع متعددة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم وردوها إليها.

الحديث الآتي بعد ذلك والله أعلم.

وقوله: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾ من قبيل الوصف بالمصدر أو التقدير ذات عجب ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك أي: أراد إكراههم عليه فأبوا وهربوا إلى الكهف ليجعلوه مأوى لهم خوفًا على دينهم من قومهم الكفرة وملكهم والفتية جمع فتى وهو الشاب الكامل ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والأمن العدو وقال الزمخشري أي: رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء فانظر في الفرق بين العبارتين .﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أصلح لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿رَشَدًا﴾ [الكهف: 10] نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدًا فعلى هذا كلمة من للتجريد وأصله الابتداء أَيْضًا والتجريد من المحسنات البديعية وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مماثل لذلك الأمر ذي الصفة في تلك الصفة لأجل المبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الأمر ذي الصفة حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة هذا.

وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجابًا يمنع السماع بمعنى أنمناهم[1] إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا ينتبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ﴾ [الكهف: 11] ظرفان لضربنا ﴿عَدَدًا﴾ ذوات عدد ويجوز أن يكون مصدرًا وصف به.

ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل لأن الكثير قليل عنده تَعَالَى كقوله تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: 35] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ﴾ أي: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: ليتعلق علمنا تعلقًا حاليًا مطابقًا لتعلقه أولًا تعلقًا

(1) قوله بمعنى أنمناهم بطريق الاستعارة التبعية بأن يشبّه الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان ثم يذكر المشبه به ويراد المشبه ثم يشتق منه الفعل.

استقباليًا ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: 12] المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك.

وذلك قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: 19] إلى آخره وكان الذين قالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول وأي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه. وقرئ ليعلم على البناء للمفعول وهو معلق عنه أَيْضًا لأن ارتفاعه بالابتداء بإسناد يعلم إليه وفاعل يعلم مضمون الجملة وخبر أي: قوله: ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: 12] أي: ضبط أمدًا لزمان لبثهم فأحصى فعل ماض وأمدًا مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعوله، وقيل: إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدًا تمييز، وقيل: أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدًا نصب بفعل دل عليه كقوله:

واضرب منا بالسيوف القوانسا

أي: يضرب القوانس جمع القونس وهي أعلى الرأس وهو على الرأس وقيل: على البيضة.

وَقَالَ الزمخشري: جعله أفعل من أفعل التفضيل ليس بالوجه السديد لأن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به انتهى.

قَالَ أَبُو حيان: الحكم بشذوذ ذلك إنما هو مذهب أَبِي علي وأما مذهب سيبويه فجواز بناء أفعل التفضيل من أفعل مُطْلَقًا وَقَالَ العلم العراقي ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ [البقرة: 282].

وقولهم: أفلس من ابن المذلق قَالَ الميداني يروى بالمعجمة والمهملة وهو رجل من بني عبد شمس وأبوه وأجداده يعرفون بالإفلاس قَالَ الشاعر في أبيه:

فإنك إذ ترجو تميما ونفعها كراجي الندى والعرف عند المذلق

قَالَ الزمخشري: فإن قلت: كيف جعل اللّه تَعَالَى العلم بإحصائهم المدد غرضًا في الضرب على آذانهم؟

قلت: اللّه تَعَالَى لم يزل عالمًا بذلك وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيمانًا واعتبارًا ويكون لطفًا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره واللّه تَعَالَى أعلم ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ أي: شبان جمع فتى كصبي وصبية ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13] بالتوفيق والتثبيت ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: 14] أي: وقويناهم بالصبر على هجر الأوطان والأهل والمال والنعيم وصبرناهم على القيام بكلمة الحق وإظهارها والتظاهر بالإسلام والرد على دقيانوس الجبار.

في الأساس ربطت الدابة شددتها برباط والمربط الحبل ومن المجاز ربط اللّه على قلبه صبره ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارّها قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10] قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكن وثبت وهو تمثيل شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرباط ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ من بين يدي الجبار وهو دقيانوس بكسر الدال من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم وقد كان أكره أهل الإنجيل على عبادة الأصنام حين دخل مدينة أفسوس بعسكره وتسلط عليهم فمن كفر باللّه واتبع دينه تركه ومن لم يتبعه قتله وأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا عنه وقاموا بإثبات الحجة وإظهار الإسلام بعد أن أمرهم بالسجود للأصنام والتشديد على عبادة غير اللّه تعالى وقول الكفر ﴿فَقَالُواْ﴾ بالإخلاص والتوكل على اللّه وتفويض أمرهم إليه ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ﴾ أي: لن نعبد ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14] أي: واللّه لقد قلنا قولًا ذا شطط أي: ذا بعد عن الحق وإفراط في الظلم.

والشطط: هو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شطط إذا بعد ومنه أشط في السوم وفي غيره ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان وفي التعبير باسم الإشارة تحقير لهم ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ خبر المبتدأ أو هو إخبار في معنى إنكار ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾ أي: هلا يأتون عليهم أي: على عبادتهم فحذف المضاف ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: 15] أي: ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ إلا به وهو

تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز لأنه لا بدّ في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 15] بنسبة الشريك إليه.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب بعضهم لبعض يعني قَالَ بعض الفتية لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وإذ تركتموهم أي: الكافرين ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: 16] عطف على الضمير المنصوب يعني وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا اللّه وهو يجوز أن يكون استثناء متصلًا على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويعبدونه ويعبدون الأصنام كسائر المشركين.

ويجوز أن يكون منقطعًا ثم يجوز أن تكون ما مصدرية أَيْضًا على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة اللّه. ويجوز أن تكون نافية على أن يكون إخبارًا من اللّه تَعَالَى عن الفتية بالتوحيد فيكون كلامًا معترضًا بين إذا وجوابه لتحقيق اعتزالهم فعلى هذا يستحسن وقوفه على قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ فهي من آداب القراءة ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ يبسط ويوسع لكم ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ في الدارين بإنقاذكم من عدوكم وإثابتكم بالجنة. ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: 16] بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به أي: ينتفع وجزمهم بذلك إما لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل اللّه تَعَالَى وإما لكون نبي في عصرهم أخبرهم بذلك وإما لكون بعضهم نبيًّا والأول هو الظاهر.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ أي: لو رأيتم والخطاب لرسول اللّه ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح أن يخاطب للمبالغة في إظهار هذه الحال ﴿إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: 17] تميل عنه ولا يقع شعاعها عليه فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبيًّا أي: كانت ساحته وداخله في جانب الجنوب وذلك إنما يكون بابه من جانب الشمال أو لأن اللّه زوّرها عنهم وأصل تزاور تتزاور فأدغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوارّ كتحمارّ وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾

جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين أي: الجهة المسماة باليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ أي: تقطعهم وتصرم منهم ولا تقربهم في معنى القطيعة والصرم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يعني يمين الكهف وشماله ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن اللّه يحجبها عنهم، وقيل في متفتح من غارهم وفي وسطه بحيث ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس.

قَالَ القاضي: وذلك لأن باب الكهف في مقابلة نبات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع عند مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذيه لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواه ولا يقع عليهم فتؤذى أجسادهم وتبلى ثيابهم ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما صنعه اللّه من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصًا لهم بالكرامة.

وقيل: أي: شأنهم وحديثهم أو إيواؤهم إلى الكهف كذلك أو إخبارك قصتهم من آيات اللّه. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ بالتوفيق والإرشاد ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الذي أصاب الفلاح ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ ومن يخذله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17] من يليه ويرشده والمراد به إما الثناء عليهم بأنهم جاهدوا في اللّه وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة أن كل من سلك طريقة المهديين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد له وليًّا يلي أمره ويرشده.

وأما التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه اللّه للتأمل والاستبصار.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد أو خطاب لرسول اللّه ﷺ ﴿أَيْقَاظًا﴾ [الكهف: 18] هو جمع يقظ ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي: نيام قيل كانت

عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر كذلك. وقيل لكثرة تقلبهم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ أي: في رقدتهم ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ لئلا تأكل الأرض من أبدانهم على طول الزمان. قيل لهم تقلبتان في السنة.

وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء.

وقرئ: ويقلبهم بالياء والضمير لله تَعَالَى.

وقرئ: وتقلبهم على المصدر منصوبًا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي: وترى تقلبهم وتشاهده ﴿وَكَلْبُهُم﴾ هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فأنطقه اللَّه فَقَالَ أنا أحب أحباء اللَّه فناموا وأنا أحرسكم أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة جعفر الصادق وكالبهم أي: وصاحب كلبهم روي أنهم مروا براعي غنم فقال لهم أين تذهبون؟ فقالوا: نفر بديننا من هذا الجبار، فقال الراعي: ما أنا أغنى منكم، فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبه ﴿بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي ﴿بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ بفناء باب الكهف. وقيل المراد العتبة وقيل الباب وأنشد:

بأرض فضاء لا يشد وصيدها   عليّ ومعروفي بها غير منكر

أي: بصحراء مكشوفة لا يشد بابها عليّ ولا ينكر بها أحد معروفي يعني يعرف أنسابي كل أحد. ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فنظرت إليهم يا مُحَمَّد وقرئ لو اطلعت بضم الواو ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ لهربت منهم فرارًا يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18] أي: خوفًا يملأ صدرك والرعب بالتخفيف والتثقيل هو الخوف الذي يرعب الصدر أي: يملؤه وذلك لما ألبسهم اللَّه من الهيئة وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وانقباح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم.

وعن معاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أنه غزا الروم فمر بالكهف فَقَالَ لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فَقَالَ له ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ليس لك ذلك فقد منع اللَّه تَعَالَى من هو خير منك فَقَالَ: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فَقَالَ معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسًا فَقَالَ لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا

فلما دخلوا الكهف بعث اللّه ريحًا فأحرقتهم وقرأ الحرميان ولملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب رعبا بالتثقيل يعني بالضم ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ أي: وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم أي: أيقظناهم من نومهم ليكون ذلك آية على كمال قدرتنا على الإمامة والبعث جميعًا ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضًا ويتعرفوا حالهم وما صنع اللّه بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة اللّه فيزدادوا يقينًا ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم به عليهم وكرموا به ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ قيل: وهو رئيسهم مكسلمينا ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ﴾ بناء على غالب ظنهم لأن النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى اللّه.

وفيه: دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا يكون كذبًا وإن جاز أن يكون خطأ ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ إحالة للعلم إلى اللّه.

ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكارًا عليهم من البعض الآخر كأنهم قد علموا بالأدلة أو بإلهام من اللّه أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا اللّه. وقد روي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم أو اليوم الذي بعده فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك.

ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يهمهم فكأنهم قَالَ ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه.

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الكهف: 19] والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وقرأ أَبُو بكر وأبو عمرو وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف أي: بسكون الراء وقيل المدينة طرسوس.

قالوا: وتزودهم ما كان معهم من الورق وحملهم له عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على اللّه دون المتكلين على الإنفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات.

ومنه قول عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أوثق

عليك نفقتك. وما حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت اللّه وتعولم منه[1] ذلك فكانت مياسر أهل بلده كلما عزم منهم فوج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم فإذا انفضوا عنه قَالَ لمن عنده ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان.

والتوكل على الرحمن ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾ أي: أهلها فحذف الأهل كما فِي قَوْلِهِ: واسأل القرية ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أحل وأطيب أو أكثر وأرخص ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي: بشيء منه يكون رزقكم ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتكلف اللطف فيما يباشره من المعاملة والمبالغة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي حتى لا يعرف ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19] يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بنا فسمّي ذلك إشعارًا منه بهم لأنه سبب فيه أنهم ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: إن يطلعوا عليكم أو يظفروا عليكم والضمير للأهل المقدر في أيها ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أو يدخلوكم في ملتهم بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها من العود بمعنى الصيرورة فإن العود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل وقيل كانوا أولًا على دينهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 20] إن دخلتم في ملتهم ودينهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا﴾ أي: وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة من ازدياد بصيرتهم أطلعنا عليهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: وعد اللّه بالبعث أو الموعود الذي هو البعث ثابت لا خلاف فيه لأن حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ وأن القيامة لا ريب في إمكانها فإن من توفّى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة حافظًا أبدانها عن التحلل والتفتيت ثم أرسلها إليها قدَر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكًا إياها إلى أن تحشر أبدانها إليها ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ [الكهف: 21] ظرف لأعثرنا أي: أعثرناهم عليهم حين يتنازعون أي: الناس

(1) تعالمه الجميع أي: علموه.

﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث وكان بعضهم يقولون: تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف ويتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت أو المراد بالأمر أمر الفتية حين أماتهم اللّه.

ثانيًا: بالموت فَقَالَ بعضهم ماتوا.

وَقَالَ آخرون: ناموا نومهم أول مرة أو قالت طائفة نبني عليهم بنيانًا يسكن الناس ويتخذونه قرية.

وَقَالَ آخرون: لنتخذن عليهم مسجدًا يصلي فيه كما قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي: المسلمون بعضهم لبعض حين توفى اللّه أصحاب الكهف ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم﴾ أي: على باب كهفهم ﴿بُنْيَـٰنًا﴾ يسكنه الناس كما تقدم.

وقيل: لئلا يتطرق إليهم الناس ضنًّا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رَسُول اللّه ﷺ بالحظيرة.

وقيل: إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي: يتذاكرون بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر اللّه من آلائه فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق إليهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا يسترهم عن العيون ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الكهف: 21] هو إما من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ولبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام اللّه تَعَالَى ردًّا لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رَسُول اللّه ﷺ من أهل الكتاب ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين الذين أطلعهم اللّه على حالهم وكانوا أولى بهم بالبناء عليهم ممن قالوا ابنوا عليهم بنيانًا وهم من المسلمين أَيْضًا.

وقيل: من الكافرين زعما منهم أنهم كانوا على دينهم والظاهر هو الأول ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: 21] يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وروي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام

وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه اللّه تَعَالَى فَقَالَ ما تريدون مني أنا أحب أحباء اللّه فناموا وأنا أحرسكم.

وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون فيه ثم ضرب اللّه على آذانهم وقبل أن يبعثهم اللّه ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحًا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى اللّه في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزًا فذهبوا به إلى الملك وكان نصرانيًّا موحدًا فقص عليه القصص.

فَقَالَ بعضهم إن آباءنا أخبرونا أن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة معه من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم وحمدوا اللّه على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك اللّه ونعيذك به من شر الإنس والجن ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى اللّه أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج.

وروي فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدًا.

وقيل لما انتهوا إلى الكهف قَالَ لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولًا لئلا يفزعوا فدخل وعمي عليهم المدخل وبنوا ثمة مسجدًا واللّه تَعَالَى أعلم.

هذا وقد روي عن عِكْرِمَة أن السبب فيما جرى لهم أنهم كانوا تذاكروا هل يبعث اللّه الروح والجسد أو الروح فقط فألقى اللّه عليهم النوم فناموا المدة المذكورة ثم بعثهم فعرفوا أن الجسد يبعث كما يبعث الروح.

ولا مانع من أن يكون ذلك التذاكر بعد أن دخلوا الكهف فارّين بدينهم واللّه تَعَالَى أعلم.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ [الكهف: 22] الضمير لمن خاض في قصتهم في عهد

رَسُول اللّه ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رَسُول اللّه ﷺ عنهم فأخّر الجواب أن يوحى إليه فيهم فنزلت الآية إخبارًا بما سيجري بينهم من تنازعهم في عدد الفتية بأن بعضهم يقولون: ثلاثة رابعهم كلبهم وبعضهم يقولون: خمسة سادسهم كلبهم وبعضهم يقولون سبعة وثامنهم كلبهم وأن المصيب، منهم من يقول: سبعة وثامنهم كلبهم وَقَالَ تَعَالَى سيقولون: ﴿ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ أي: هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه إليهم.

قيل: هو قول اليهود.

وقيل: هو قول السيد من نصارى بخران ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قاله النصارى.

وقيل: قاله العاقب منهم وكان نسطوريًا ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: 22]، يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه وإتيانًا به كقوله ويقذفون بالغيب أي: يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنًّا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين قَالَ زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم

أي: المظنون ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قاله المسلمون روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند رَسُول اللّه ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فَقَالَ السيد وكان يعقوبيًّا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وَقَالَ العاقب وكان نسطوريًّا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وَقَالَ المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق اللّه قول المسلمين.

وإنما عرفوا ذلك بإخبار رَسُول اللّه ﷺ لهم عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وإيماء اللّه تَعَالَى إليه بأن أتبعه بقوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وأنا من القليل وأتبع الأولين قوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: 22] وبأن أثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فإن عدم إيراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع أن الأصل ينفيه ثم

رد الأولين بأن أتبعهما قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ ليتعين الثالث، وبأن دخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيهًا لها بالواقعة حالًا عن المعرفة نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر. ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ [الحجر: 4] وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها أمر ثابت مستقر هذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم.

قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا: حين وقعت الواو انقطعت العدة أي: لم يبق عدة عادّ يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على الثبات والقطع.

إنما جيء بالسين في الأول دون الأخيرين أما لدخول الأخيرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعًا أو لإرادة معنى الاستقبال بيفعل لكونه صالحًا له هذا.

وقيل: قوله إلا قليل أي: من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا أهل الكتاب خاصة أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن أو تخمين.

وعن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ هم سبعة وثامنهم كلبهم أسماؤهم: يمليخا، ومكشلينيا، ومشلينيا، هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش، ودبرنوش، وشاذنوش، أصحاب يساره وكان يستشير هؤلاء الستة والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسمه على ما أورده الإمام الواحدي في الوسيط كفيشططنونس، وقيل: كشططيوش ذكره المولى سعدي.

واسم كلبهم: قطمير.

واسم مدينتهم: أفسوس ويقال هي اليوم طرسوس كذا في الوسيط.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن اسم الملك الأول دقيانوس. واسم الفتية: مكسلمينا، مخشلمينا، تمليخا، ميطونس، كشطونس، بيرونس، ديمونس، وفي النطق بها اختلاف كثير ولا يقع الوثوق من ضبطهما بشيء.

وأخرج أَيْضًا مجاهد أن اسم كلبهم: قطميروا.

وعن الحسن: قطمير.

وقيل: فرفين، وقيل: غير ذلك وأما لونه فَقَالَ مجاهد كان أصفر، وقيل: غير ذلك.

وقيل: أبلق.

وقيل: خلنج أي: لون رماد.

وروي: أنه كان معهم في الجنة وعن مجاهد أن دراهمهم كانت كخفاف الإبل وأن تمليخا هو الذي كان رسولهم ليشتري الطعام وقد ساق ابن إسْحَاق قصتهم في المبتدأ مطولة وأفاد أن اسم الملك الصالح الذي عاشوا في زمانه: تندردسيس.

وروى الطَّبَرِيّ من طريق عَبْد اللَّه بن عبيد بن عمير أن الكلب الذي كان معهم كان كلب صيد وعن وهب بن منبه أنه كان كلب حرث وعن مقاتل كان الكلب لكبيرهم وكان كلب غنم قَالَ وقيل: كان إنسانًا طباخًا تبعهم وليس بكلب حقيقة والأول هو المعتمد.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أي: فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي: إلا جدالًا ظاهرًا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحي اللَّه إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قَالَ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 22] أي: ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد لأن اللَّه قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم ففيما أوحى إليك مندوحة عن غيره مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد تفضيح المسؤول وتزييف ما عنده فإن ذلك يخلّ بمكارم الأخلاق وخلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة.

ثم إنه تبارك وتعالى بعد ما ذكر آية المشيئة للمناسبة بينها وبين تلك القصة كما لا يخفى على من ينظر فيها بين ما أجمله فِي قَوْلِهِ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: 11] حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ

الكَهْفُ: الفَتْحُ فِي الجَبَلِ،

ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: 25] يريد أن لبثهم فيه أحياء مضروبًا على آذانهم هذه المدة ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به. وفيه تفخيم لطول المدة حيث أبهم ثم بين. وعن قَتَادَة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فَقَالَ بعضهم ثلاثمائة وَقَالَ بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ [الكهف: 26] رد عليهم.

وَقَالَ قَتَادَة في حرف عَبْد اللّه أي: ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ وقالوا ولبثوا واللّه تَعَالَى أعلم.

فائدة: قَالَ النيسابوري عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب، والهرب، وإطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار، ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد، وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع، وللضربان، وللحمى الثلاث، والصداع، والغنى والجاه، والدخول على السلاطين، وللمعقود عن المرأة تشد على الفخذ اليمنى، ولعسر الولادة تشد على فخذها اليسرى، ولحفظ المال، والركوب على البحر، والنجاة من القتل، انتهى.

(الكَهْفُ: الفَتْحُ فِي الجَبَلِ) هو قول الضحاك أَخْرَجَهُ عنه ابن أَبِي حاتم واختلف في مكان الكهف فقيل: بين أيلة وفلسطين.

وقيل: بالقرب من أيلة رواه الطبري بإسناد ضعيف عن ابن عباس رضي اللّه عنهما.

وقيل: بأرض نينوى.

وقيل: بالبلقاء والذي تضافرت به الأخبار وتكاثرت أنه ببلاد الروم وهو الصحيح فقيل: بالقرب من طرسوس.

وقيل: بالقرب من أبلستين.

وكان اسم مدينتهم: أفسوس بالفاء واسم ملكهم: دقيانوس.

وَقَالَ السهيلي: ومدينتهم، يقال إنها على ستة فراسخ من القسطنطينية.

وَالرَّقِيمُ: الكِتَابُ، ﴿مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: 9]: مَكْتُوبٌ مِنَ الرَّقْمِ،

وكانت قصتهم قبل غلبة الروم على يونان وروي أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى ابن مريم عليهما السلام.

وذكر ابن مردويه في تفسيره من حديث حجاج بن أرطأة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أصحاب الكهف أعوان المهدي وذكر مقاتل في تفسيره اسم الكهف: مانجلوس.

وقد مر بعض ذلك في أثناء تفسير الآيات الكريمة وكذا ما بعد ذلك.

(**وَالرَّقِيمُ: الكِتَابُ، ﴿مَّرْقُومٌ﴾: مَكْتُوبٌ مِنَ الرَّقْمِ**) أشار به إلى تفسير الرقيم وهذا التفسير منقول عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا رواه الطَّبَرِيّ من طريق علي ابن أَبِي طلحة عنه أنه قَالَ الرقيم الكتاب.

وقوله: مرقوم مكتوب هو قول أَبِي عُبَيْدَةَ في تفسير قوله كتاب مرقوم.

وقوله: من الرقم إشارة إلى أن اشتقاق الرقيم والمرقوم من الرقم وهو الكتابة.

وفي الرقيم أقوال أخرى وراء ذلك.

فقد أخرج الطَّبَرِيّ من طريق سَعِيد عن قَتَادَة ومن طريق عطية العوفي وكذا قاله أَبُو عُبَيْدَةَ الرقيم الوادي الذي فيه الكهف.

وأخرج الطَّبَرِيّ أَيْضًا عن كعب الأحبار قَالَ هو اسم القرية.

وروى ابن أَبِي حاتم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ وكذا عن سَعِيد بن جُبَيْر أن الرقيم اسم الكلب.

وقيل: الرقيم هو الغار كما سيأتي في حديث الغار.

وقيل: اسم الصخرة التي أطبقت على الوادي الذي فيه الكهف.

وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا الرقيم لوح من رصاص كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف لما توجهوا عن قولهم ولم يدروا أين توجهوا.

وقيل: إن الذي كان مكتوبًا في الرقيم شرعهم الذي كانوا عليه.

وقيل: الرقيم الدواة.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أَلْهَمْنَاهُمْ صَبْرًا، ﴿شَطَطًا﴾ [الكهف: 14]: إِفْرَاطًا، الوَصِيدُ: الفِنَاءُ، وَجَمْعُهُ وَصَائِدُ وَوُصُدٌ، وَيُقَالُ: الوَصِيدُ: البَابُ، ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: 20]: مُطْبَقَةٌ،

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ قَالَ قوم أخبر اللَّه تَعَالَى عن قصة أصحاب الكهف ولم يخبر عن قصة أصحاب الرقيم وليس كذلك بل السياق يقتضي أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم واللَّه تَعَالَى أعلم.

(﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ **أَلْهَمْنَاهُمْ صَبْرًا**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إذ قاموا وفسره بقوله ألهمناهم صبرا وهكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ.

(﴿شَطَطًا﴾: **إِفْرَاطًا**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ وفسره بقوله إفراطا وقوله شططا منصوب على أنه صفة مصدر محذوف تقديره قولًا ﴿شَطَطًا﴾ أي: ذا شطط. وهو الإفراط في الظلم والإبعاد من شط إذا بعد.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿شَطَطًا﴾ أي: جورًا وغولًا قَالَ الشاعر:

ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي ويزعمن أن أودي بحقي باطلي

وروى الطَّبَرِيّ عن سَعِيد عن قَتَادَة فِي قَوْلِهِ: شططًا قَالَ: كذبًا.

(**الوَصِيدُ: الفِنَاءُ وَجَمْعُهُ وَصَائِدُ وَوُصُدٌ، وَيُقَالُ: الوَصِيدُ: البَابُ**) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: 18] وفسره بقوله الفناء بكسر الواو والمد. وهكذا فسره ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم عنه وكذا روي عن سَعِيد بن جُبَيْر أَخْرَجَهُ ابن جرير.

وقوله: وجمعه أي: جمع الوصيد وصائد ووصد بضم الواو وسكون الصاد. وقوله ويقال الوصيد الباب قَالَ أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي: على الباب ويقال أَيْضًا الوصيد عتبة الباب.

والأصيد كالوصيد ذكر الطَّبَرِيّ عن أَبِي عمرو بن العلاء أن أهل اليمن وتهامة يقولون الوصيد وأهل نجد يقولون: الأصيد.

(﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: **مُطْبَقَةٌ**) أشار إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: 20] وفسره بقوله مطبقة وهذا ذكره استطرادًا لأنه ليس في سورة الكهف

آصَدَ البَابَ وَأَوْصَدَ، ﴿بَعَثْنَهُمْ﴾ [الكهف: 12]: أَحْيَيْنَاهُمْ، ﴿أَزْكَى﴾ [البقرة: 232]: أَكْثَرُ رَيْعًا، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فَنَامُوا، ....

إلا أنه لما كان الاشتقاق بينهما من واد واحد ذكره هنا والذي فسره به هنا منقول عن أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مطبقة تقول أوصدت وأصدت أي: أطبقت وإليه أشار بقوله: (آصَدَ) بمد الهمزة على أنه المهموز ومنه الأصيد.

(البَابَ وَأَوْصَدَ) بالواو ومنه الوصيد أي: أطبقه وأغلقه أراد بذلك أنه يجيء من المهموز والمثال وقد روى بهما قوله تَعَالَى مؤصدة.

وقد أغرب الْعَيْنِيّ حيث قَالَ الْعَيْنِيّ: يقال بالثلاثي وبالمزيد فكأنه لم يمد الهمزة في أصد.

(﴿بَعَثْنَهُمْ﴾: أَحْيَيْنَاهُمْ) أشار به إلى تفسير قوله بعثناهم وهكذا فسره أَبُو عُبَيْدَةَ.

(﴿أَزْكَى﴾: أَكْثَرُ رَيْعًا) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أزكى طعامًا وفسره أكثر ريعًا أي: نماءً وزيادة وهو قول أَبِي عُبَيْدَةَ فيه أي: أكثر قَالَ الشاعر:

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وكالسبع أزكى من ثلاث وأطيب

وروى عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قَتَادَة فِي قَوْلِهِ أزكى طعامًا قَالَ خير طعامًا.

وروى الطَّبَرِيّ عن سَعِيد بن جُبَيْر أحل ورجحه الطَّبَرِيّ.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيّ: أَيهَا، أي أَيِّ أَهلهَا، كَمَا فِي قَوْله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يُوسُف: 28] أزكى طَعَامًا أحل، وَأطيب، أَو أَكثر وأرخص.

(فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فَنَامُوا) أشار به إلى تفسير قوله تَعَالَى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: 11] وهو قول ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وفي الحقيقة أخذ لازم القرآن وفسره بلازمه إذ الذي ذكره ليس لفظ القرآن ولا ذلك معناه.

وقيل: معنى فضربنا على آذانهم سددنا عن نفوذ الأصوات إليها وَقَالَ الزمخشري: ضربنا عليها حجابًا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم منها الأصوات.

﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [الكهف: 22]: لَمْ يَسْتَبِنْ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ [الكهف: 17]: تَتْرُكُهُمْ(1).

(﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾: لَمْ يَسْتَبِنْ) أشار به إلى ما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ وفسره بقوله لم يستبن قَالَ عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قَتَادَة فِي قَوْلِهِ رجما بالغيب ما لم تستيقنه من الظن وقيل معناه قذفا بالظن.

(وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ تَتْرُكُهُمْ) أي: قَالَ مجاهد في تفسير قوله: ﴿وتقرضهم﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: تتركهم وأصل القرض القطع والتفرقة من قولك قرضته بالمقراض أي: قطعته والمعنى هنا تعدل عنهم وتتركهم قَالَه الأخفش والزجاج.

وقيل: تصيبهم يسيرًا مأخوذ من قراضة الذهب والفضة وهو ما أخذ منها بالمقراض أي: تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها.

وقيل: معناه تحاذيهم وهو قول الكسائي والفراء.

---

(1) قال الكاندهلوي: اعلم أولًا أن الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه وذكر هذا اللفظ الذي هو في سورة البلد بمناسبة قوله الوصيد الذي في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ وهذا من دأبه المعروف أنه يذكر لفظا بمناسبة لفظ آخر وإن لم يكن متعلقًا بذلك المحل، قال الحافظ: قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ أي: على الباب وبفناء الباب، لأن الباب يوصد أي: يغلق تقول أرصد بابك وآصده، وعن أبي عمرو بن العلاء إن أهل اليمن وتهامة يقولون: الوصيد، وأهل نجد يقولون الأصيد قال أبو عبيدة في قوله: ﴿نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ أي: مطبقة تقول: أوصدت وآصدت أي: أطلقت، وهذا ذكره المصنف استطرادًا، اهـ مختصرًا.

وقال العيني: قوله أصد الباب أي: أغلقه ويقال فيه أوصد أيضًا بمعنى يقال بالثلاثي وبالمزيد، اهـ. كذا قال، والظاهر عندي أن آصد بالمد قال القسطلاني: يقال آصد الباب بالمد وفتح الصاد المهملة أي: أغلقه، ويقال أوصد أيضًا، اهـ.

وفي مختار الصحاح الأصيد لغة في الوصيد وهو الفناء، وآصدت الباب بالمد لغة في أوصدته إذا أغلقته، اهـ.

قال صاحب الجمل: في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾ قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمز، وباقون بغير همز بواو ساكنة وهما لغتان يقال: آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته، وقيل معنى المهموز المطبقة ومعنى غير المهموز المغلقة، والظاهر أن القراءتين من مادتين، الأولى: من أصد يؤصد كأكرم يكرم، والثانية: من أوصد يوصد كأوصل يوصل، اهـ.

اعلم أن المصنف رَحِمَهُ اللّٰه اقتصر في هذا الباب على تفسير بعض الكلمات الواقعة في القرآن ولم يذكر حديثًا مسندًا لأنه لم يجد حديثًا في ذلك على شرطه.

وقد روى عبد بن حميد بإسناد صحيح عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا قصة أصحاب الكهف بطوله غير مرفوعة وملخصها أن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا غزا مع معاوية الصائفة فمروا بالكهف الذي ذكر اللّٰه في القرآن فَقَالَ معاوية أريد أن أكشف عنهم فمنعه ابْن عَبَّاس فصمم وبعث ناسًا فبعث اللّٰه ريحًا فأخرجهم ويروى فأحرقهم قَالَ فبلغ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا فَقَالَ إنهم كانوا في محكمة جبار يعبد الأوثان فلما رأوا ذلك خرجوا منها فجمعهم اللّٰه على غير ميعاد فأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق فجاء أهاليهم يطلبونهم ففقدوهم فأخبروا الملك فأمر بكتابة أسمائهم في لوح من رصاص وجعله في خزائنه فدخل الفتية الكهف فضرب اللّٰه على آذانهم فناموا فأرسل اللّٰه من يقلّبهم وحوّل الشمس عنهم فلو اطلعت عليهم لأحرقتهم ولولا أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض ثم ذهب ذلك الملك وجاء آخر فكسر الأوثان وعبد اللّٰه وعدل فبعث اللّٰه أصحاب الكهف فأرسلوا واحدًا منهم يأتيهم بما يأكلون فدخل المدينة مستخفيًا فرأى هيئة وناسًا أنكرهم لطول المدة فدفع درهمًا إلى خباز فاستنكر ضربه وهم بأن يرفعه إلى الملك فَقَالَ أتخوفني بالملك وأبي دهقانه فَقَالَ من أبوك؟ قَالَ فلان فلم يعرفه فاجتمع الناس فدفعوه إلى الملك فسأله فَقَالَ عليَّ باللوح وكان قد سمع به فسمّى أصحابه فعرفهم من اللوح فكبر الناس وانطلقوا إلى الكهف وسبق الفتى لئلا يخافوا من الجيش فلما دخل عليهم عمى اللّٰه على الملك ومن معه المكان فلم يدر أين ذهب الفتى فاتفق رأيهم على أن يبنوا عليهم مسجدًا فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون لهم.

وذكر ابن أَبِي حاتم في تفسيره عن شهر بن حوشب قَالَ كان لي صاحب قوي النفس فمر بالكهف فأراد أن يدخله فنهي فأبى فأشرف عليهم فابيضت عيناه وتغير شعره.

53 ـ باب حَدِيث الغَارِ

3465 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ ....

---

53 ـ باب حَديثِ الغَارِ

(**باب حَدِيث الغَارِ**) عقب المصنف قصة أصحاب الكهف بحديث الغار إشارة إلى ما ورد أنه قد قيل إن الرقيم المذكور فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: 9] هو الغار الذي أصاب فيه الثلاثة ما أصابهم وذلك فيما أَخْرَجَهُ البزار والطبراني بإسناد حسن عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه سمع النَّبِيّ ﷺ يذكر الرقيم قَالَ انطلق ثلاثة فكانوا في كهف فوقع الجبل على باب الكهف فأوصد عليهم فذكر الحديث.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: يحتمل أنه ذكر هذا عقيب ذاك لأن هؤلاء الثلاثة كانوا في زمن من بني إسرائيل يدل عليه ما رواه الطبراني عنه عقبة بن عامر رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن ثلاثة نفر من بني إسرائيل الحديث ذكره في الدعاء.

(**حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ**) هو أَبُو عَبْد اللّه الخزاز الكوفي قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ**) بلفظ الفاعل من الإسهار بالمهملة وبالراء.

(**عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**) يعني من بني إسرائيل كما فِي رِوَايَةِ الطبراني عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: لم أقف على اسم واحد منهم.

(**يَمْشُونَ**) في محل الرفع لأنه خبر مبتدأ وهو قوله ثلاثة نفر وأضيف بينما هذه الجملة وفي حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن الطبراني والبزار أنهم خرجوا يرتادون لأهلهم.

(**إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ**) جواب بينما.

(**فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ**) بقصر الهمزة يقال أوى بنفسه مقصورًا وآويته إنا بالمد،

فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلاءِ، لا يُنْجِيكُمْ إلا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، ....

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: يجوز قصر ألف أووا ومدها أي: آووا أنفسهم.

وفي رواية أحمد والطبراني وأبي يعلى والبزار من حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ: فدخلوا غارًا فسقط عليهم حجر يتجافى حتى ما يرون منه خصاصة وفي رواية سالم بن عَبْد اللّه بن عُمَر عن أبيه عن الْبُخَارِيّ حتى أووا المبيت إلى غار بنصب المبيت على المفعولية وتوجيهه أن دخولهم الغار من فعلهم فحسن أن ينسب الإيواء إليهم.

وفي رواية مسلم من هذا الوجه: فآواهم المبيت برفع المبيت على الفاعلية وهو أشهر في الاستعمال.

(**فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ**) أي: باب الغار وفي رواية مُوسَى بن عقبة عن نافع في المزارعة فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم.

وفي رواية سالم: فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار.

وفي رواية الطبراني من حديث النعمان بن بشير: إذ وقع من الجبل مما يهبط من خشية اللّه حتى سد فم الغار.

(**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ**) أي: الشأن (**وَاللَّهِ يَا هَؤُلاءِ، لا يُنْجِيكُمْ إلا الصِّدْقُ**) قَالَ القشيري أقلّ الصدق استواء السر والعلانية وعن ذي النون قَالَ: ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال واقتضاء ثواب العمل في الآخرة وقيل أَيْضًا: الإخلاص إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى اللّه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة ومدح من الخلف أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى اللّه تَعَالَى.

(**فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ**) وفي رواية مُوسَى بن عقبة انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله ومثله فِي رِوَايَةِ مسلم.

وفي البيوع ادعوا اللّه بأفضل عمل عملتموه.

وفي رواية سالم أنه لا ينجيكم إلا أن تدعوا اللّه بصالح أعمالكم.

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ،

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فَقَالَ بعضهم لبعض: عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم إلا اللّه ادعوا اللّه بأوثق أعمالكم وفي حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن البزار تفكروا في أحسن أعمالكم فادعوا اللّه بها لعل اللّه يفرج عنكم.

وفي حديث النعمان بن بشير: أنكم لن تجدوا شَيْئًا خيرًا من أن يدعو كل امرئ منكم بخير عمل عمله قط.

فَقَالَ أَحَدَهُم: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ وفي رواية أَبِي ذَرٍّ والنسفي وأبي الوقت فَقَالَ: اللَّهم بدون ذكر القائل.

ويروى: فَقَالَ واحدهم اللَّهم.

ويروى: (**فَقَالَ: وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ**).

وقوله: إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فيه إشكال لأن المؤمن يعلم قطعًا أن اللّه يعلم فما معنى لحرف الشك وأجيب بأنه تردد في عمله ذلك هل له اعتبار عند اللّه أو لا فكأنه قَالَ إن كان عملي ذلك مقبولًا فأجب دعائي.

(**أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ**) بفتح الفاء والراء بعدها قاف وقد تسكن الراء وهو مكيال يسع ثلاثة آصع.

(**مِنْ أَرُزٍّ**) فيه ست لغات فتح الألف وضمها مع ضم الراء وبضم الألف مع سكون الراء وتشديد الراء وتخفيفها وقد تقدم في المزارعة أنه فرق ذرة ويحتمل أنه استأجر أكثر من واحد وكان بعضهم بفرق ذرة وبعضهم بفرق أرز ويؤيد ذلك أنه وقع فِي رِوَايَةِ سالم استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب.

وفي حديث النعمان بن بشير نحوه كما سيجيء. ووقع في حديث عَبْد اللّه ابن أَبِي أوفى رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند الطبراني في الدعاء استأجرت قومًا كل واحد منهم بنصف درهم فلما فرغوا أعطيتهم أجورهم فَقَالَ أحدهم واللّه لقد عملت عمل اثنين واللّه لا آخذ إلا درهمًا فذهب وتركه فبذرت من ذلك النصف درهم إلى آخره ويجمع بينهما بأن الفرق المذكور كانت قيمته نصف درهم إذ ذاك.

فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، ....

(**فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ**) وفي رواية مُوسَى بن عقبة فأعطيته فأبى ذاك أن تأخذ. وفي روايته في المزارعة فلما قضى عمله قَالَ أعطني حقي فعرضت عليه فرغب عنه. وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ فعمل له نصف النهار فأعطيته أجرًا فسخطه ولم يأخذه.

ووقع في حديث النعمان بن بشير بيان السبب في ترك الرجل أجرته ولفظه كان لي أجراء يعملون فجاء عمال فاستأجرت كل رجل منهم بأجر معلوم فجاء رجل ذات يوم نصف النهار فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في نصف نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله فرأيت عليّ في الذمام أن لا أنقصه مما استأجرت به أصحابه لما جهد في عمله فَقَالَ رجل منهم تعطي هذا مثل ما أعطيتني فقلت يا عَبْد اللّه لم أبخسك شَيْئًا من شرطك وإنما هو مالي أحكم فيه بما شئت قَالَ فغضب وذهب وترك أجره.

وأما ما في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ من قوله فأتاني يطلب أجره وأنا غضبان فزرته فانطلق وترك أجره، فلا ينافي ذلك وطريق الجمع أن الأجير لما حسد الذي عمل نصف النهار وعاتب المستأجر وغضب منه وَقَالَ له لم أبخسك شَيْئًا إلى آخره فغضب الأجير وذهب.

ووقع في حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ وترك واحد منهم أجره وزعم أن أجره أكثر من أجور أصحابه.

(**وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ**) أي: قصدت إليه.

(**فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ**) مِنْ أَمْرِي ويروى: (**مِنْ أَمْرِهِ**) أي: من أمر ذلك الفرق (**أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا**) قَالَ الْكِرْمَانِيّ فإن قلت فيه صحة بيع الفضولي قلت هذا شرع من قبلنا ثم ليس فيه أن الفرق كان معينًا ولم يكن في الذمة وقبضه الأجير ودخل في ملكه بل كان هذا تبرعًا منه له انتهى.

وتعقبه الْعَيْنِيّ بأنه لا حاجة إلى هذا السؤال لأن بيع الفضولي يجوز إذ أجازه صاحب المتاع فلا يقال من أول الأمر أنه غير صحيح.

وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ ....

(**وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ**) ويروى: (**فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا**) أمر من السوق وفي رواية مُوسَى بن عقبة فزرعته حتى اشتريت منه بقرًا وراعيها.

(**فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا**) وفي رواية مُوسَى بن عقبة فَقَالَ أتستهزئ بي قلت لا.

وفي رواية أَبِي ضمرة فأخذها.

وفي رواية سالم فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال وفيه فقلت له كل ما ترى من الإبل والبقر.

(والغنم والرقيق من أجرك).

وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ من ذلك وفيه فاستاقه فلم يترك منه شَيْئًا ودلت هذه الرواية على أن قوله فِي رِوَايَةِ نافع اشتريت بقرًا لم يرد أنه لم يشتر غيرها وإنما كان الأكثر الأغلب البقر فلذلك اقتصر عليها وفي حديث أنس وأبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فجمعته وثمرته حتى كان منه كل المال. وَقَالَ فيه فأعطيته ذلك كله ولو شئت لم أعطه إلا الأجر الأول ووقع في حديث عَبْد اللَّه بن أَبِي أوفى أنه دفع إليه عشرة آلاف درهم وهو محمول على أنها كانت قيمة الأشياء المذكورة. وفي حديث النعمان بن بشير فبذرته على حدة فأضعف ثم بذرته فأضعف حتى كثر الطعام وفيه فَقَالَ أتظلمني وتسخر بي. وفي رواية ثم مرت بي بقر فاشتريت منها فصيلة فبلغت ما شاء اللَّه والجمع بينهما ممكن بأن يكون زرع أولًا ثم اشترى من بعضه بقرة ثم نتجت واللَّه تَعَالَى أعلم.

(**فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ**) وفي رواية مُوسَى بن عقبة ابتغاء وجهك وكذا فِي رِوَايَةِ سالم والجمع بينهما ممكن وقد وقع في حديث علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن الطبراني من مخافتك وابتغاء مرضاتك وفي حديث النعمان رجاء رحمتك ومخافة عذابك.

فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ،

(**فَفَرِّجْ عَنَّا**) وفي رواية مُوسَى بن عقبة فافرج بوصل الهمزة وضم الراء من الثلاثي وضبطه بعضهم بهمزة قطع وكسر الراء من الرباعي وزاد في روايته فافرج عنا فرجة نرى منها السماء وفيه تقييد لإطلاق قوله فِي رِوَايَةِ سالم ففرج عنا ما نحن فيه وقوله ففرج عنهم.

وفي رواية أَبِي ضمرة: ففرج اللّه فرأوا السماء ولمسلم من هذا الوجه ففرج اللّه فرجة فرأوا منها السماء.

(**فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ**) أي: انشقت وأنكره الْخَطَّابِيّ لأن معنى انساخ بالمعجمة في الأرض ويقال انصاخ بالصاد المهملة بدل السين أي: انشق من قبل نفسه قَالَ والصواب انساخت بالحاء المهملة أي: اتسعت ومنه ساحة الدار وَقَالَ أيضًا وانصاح بالصاد المهملة بدل السين أي: تصدع يقال للبرق[1].

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ الرواية بالخاء المعجمة صحيحة وهي بمعنى انشقت وإن كان أصله بالصاد فالصاد قد تقلب سينا ولا سيما مع الخاء المعجمة كالصخر والسخر ووقع حديث سالم فانفرجت شَيْئًا لا يستطيعون الخروج وفي حديث النعمان بن بشير فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وفي حديث علي فانصدع الجبل حتى طمعوا في الخروج ولم يستطيعوا وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وأنس فزال ثبت الحجر.

(**فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي**) كذا فِي رِوَايَةِ الأكثر وفي رواية أَبِي ذَرٍّ بحذف أنه (**أَبَوَانِ**) هو من باب التغليب والمراد الأب والأم وصرح بذلك في حديث ابن أَبِي أوفى.

(**شَيْخَانِ كَبِيرَانِ**) وزاد فِي رِوَايَةِ أَبِي ضمرة عن مُوسَى بن عقبة ولي صبية صغار فكنت أرعى عليهم وحديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ أبوان ضعيفان فقيران ليس لهما خادم ولا راع ولا ولي غيري فكنت أرعى لهما بالنهار وآوي إليهما بالليل.

---

(1) قال الخطابي روي بالمهملة وبالمعجمة وإنما هي بإهمالها وأصله انصاحت أي: اتسعت، وقال الهيتمي انساح أي: جرى، وأما انساخ بالمعجمة فمعناه غاب.

فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا،

(**فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَنْهُمَا لَيْلَةً**) وفي رواية سالم فنأى بي طلب شيء يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما والشيء لم يفسر ما هو في هذه الرواية وقد بين مسلم من طريق أَبِي ضمرة ولفظه وإني نأى بي ذات يوم الشجر والمراد أنه بعد عن مكانه الذي يرعى فيه زيادة على العادة لأجل الكلأ فلذلك أبطأ ويفسره أَيْضًا حديث علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فإن الكلأ تناءى عليَّ أي: تباعد والكلأ العشب الذي ترعى الغنم منه.

(**فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا**) أي: ناما (**وَأَهْلِي وَعِيَالِي**) قَالَ الداوودي: يريد بذلك الزوجة والأولاد والرقيق والدواب واعترض عليه ابن التين بأن الدواب لا معنى لها ههنا.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: يدخل الدواب في العيال بالنظر إلى المعنى اللغوي لأن معنى قولهم عال فلانًا أي: أنفق عليه.

وفيه: أنه يأبى عن ذلك الجواب قوله لا معنى لها ههنا فتأمل.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلانِيّ: إنما قَالَ الداوودي ذلك فِي رِوَايَةِ مسلم وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا وهو متجه فإنه إذا كان لا يقدم عليهما أولاده فكذلك لا يقدم عليهما دوابه من باب الأولى.

(**يَتَضَاغَوْنَ**) بضاد وغين معجمتين من الضغاء بالمد وهو الصياح ببكاء.

(**مِنَ الجُوعِ**) أي: بسبب الجوع وفيه رد على من قَالَ لعل صياحهم كان بسبب غير الجوع وفي رواية مُوسَى بن عقبة والصبية يتضاغون.

(**فَكُنْتُ لا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا**) أما كراهته لإيقاظهما فظاهر لأن الإنسان يكره أن يوقظ من نومه وفي حديث علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ثم جلست عند رؤوسهما بإنائي كراهية أن أوقظهما أو أؤذيهما.

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كراهية أن أرد وسنهما.

فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، ....

وفي حديث ابن أَبِي أوفى وكرهت أن أوقظهما من نومهما فيشق ذلك عليهما وأما كراهته أن يدعهما فقد فسره بقوله فيستكنا بتشديد النون أي: يلبثا في كنّهما منتظرين لشربهما ويروى فيستكنا من الاستكانة أي: يضعفا لأنه عشاؤهما وترك العشاء يهرم وقوله لشربتهما أي: لأجل عدم شربتهما يعني فيصيران ضعيفين مسكينين والمسكين الذي لا شيء له.

(**فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ**) هو مقيد لإطلاق رواية سالم حيث قَالَ فيها كانت أحب الناس إليَّ وفي رواية مُوسَى بن عقبة كأشد ما يحب الرجل النساء والكاف زائدة أو أراد تشبيه محبته بأشد المحبات.

(**وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا**) أي: بسبب نفسها أو من جهة نفسها وفي رواية سالم فأردتها على نفسها أي: ليستعلي عليها.

(**فَأَبَتْ**) أي: امتنعت وفي رواية مُوسَى بن عقبة فقالت لا تنال ذلك منها.

(**إِلا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ**) وفي رواية سالم فأعطيتها عشرين ومائة دينار وتحمل على أنها طلبت منه المائة وزادها هو من قبل نفسه عشرين أو ألغى غير سالم بالكسر.

ووقع حديث النعمان وعقبة بن عامر مائة دينار وأبهم ذلك في حديث ابن أَبِي أوفى مالًا ضخمًا.

(**فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا**) وفي رواية سالم: حتى إذا قدرت عليها وزاد في حديث ابن أَبِي أوفى وجلست منها مجلس الرجل من المرأة وفي حديث النعمان بن بشير

فَقَالَتْ: اتَّقِ اللّٰهَ وَلا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللّٰهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[1].

فلما كشفتها وبيّن فِي رِوَايَةِ سالم سبب إجابتها بعد امتناعها قَالَ فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة أي: سنة قحط فجاءتني فأعطيتها. ويجمع بينه وبين رواية نافع بأنها امتنعت أولًا عفة عنه ودافعت طلب المال فلما احتاجت أجابت.

(**فَقَالَتْ: اتَّقِ اللّٰهَ وَلا تَفُضَّ الخَاتَمَ**) بالفاء والضاد المعجمة أي: لا تكسر الخاتم والخاتم كناية عن عذرتها وكانت بكرًا وكنّت الإفضاء بالكسر وعن الفرج بالخاتم فإن في حديث النعمان ما يدل على أنها لم تكن بكرًا ووقع فِي رِوَايَةِ أَبِي ضمرة ولا تفتح الخاتم والألف واللام بدل من الضمير أي: خاتمي ووقع كذلك فِي رِوَايَةِ أَبِي العالية عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ عن الطبراني في الدعاء بلفظ أنه لا يحل لك أن تفض خاتمي.

(**إِلا بِحَقِّهِ**) أراد بها الحلال أي: لا يحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح ووقع في حديث علي رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ فقالت أذكرك اللّٰه أن ترتكب مني ما حرم اللّٰه عليك قَالَ فقلت أنا أحق أن أخاف ربي وفي حديث النعمان ابن بشير فلما أمكنتني من نفسها بكت فقلت ما يبكيك قالت فعلت هذا من الحاجة فقلت انطلقي وفي رواية أخرى عن النعمان أنها ترددت إليه ثلاث مرات تطلب منه شَيْئًا من معروفه ويأبى عليها إلا أن يمكنه من نفسها فأجابت في الثالثة بعد أن استأذنت زوجها فأذن لها وَقَالَ لها أغني عيالك قَالَ فرجعت فناشدت باللّٰه فأبيت عليها فأسلمت إليَّ نفسها فلما كشفتها أرعدت من تحتي فقلت ما لك قالت أخاف اللّٰه رب العالمين فقلت خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها. وفي حديث ابن أَبِي أوفى فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأة ذكرت النار فقمت عنها. والجمع بين هذه الروايات ممكن والحديث يفسر بعضه بعضًا.

(**فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ من خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللّٰهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا**) وفي الحديث استحباب الدعاء في الكرب والتقرب إلى اللّٰه تَعَالَى بذكر صالح العمل واستنجاز وعده بسؤاله وفضل

(1) أطرافه 2215، 2272، 2333، 5974 - تحفة 8066 - 210/ 4.

الإخلاص في العمل وفضل بر الوالدين وخدمتهما وإيثارهما على الولد والأهل وتحمل المشقة لأجلهما.

وقد استشكل تركه أولاده الصغار يبكون من الجوع طول الليل مع قدرته على تسكين جوعهم فقيل كان في شرعهم تقديم نفقة الأصل على غيرهم وقيل يحتمل أن بكاءهم ليس من الجوع وقد تقدم ما يرده وقيل لعلهم كانوا يطلبون زيادة على سد الرمق وهذا أولى.

وفيه: العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها وأن التوبة تجبّ ما قبلها.

وفيه: جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتواجرين وفضل أداء الأمانة وإثبات كرامة الصالحين واستدل به على جواز بيع الفضولي وقد تقدم البحث فيه في البيوع.

وفيه: أن المستودع إذا اتجر في مال الوديعة كان الربح لصاحب الوديعة وقد تقدم نقل الخلاف فيه في البيوع أَيْضًا.

وفيه: الإخبار عما جرى في الأمم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعمل بحسنها ويترك قبيحها.

ومطابقة الحديث للترجمة.

وقد مضى الحديث في الإجارة في باب من استأجر أجيرًا فترك أجره.

ومضى أَيْضًا في البيوع في باب إذا اشترى شَيْئًا لغيره.

ومضى في البيوع أَيْضًا في باب إذا زرع بمال قوم.

ولم يخرج الْبُخَارِيّ هذا الحديث إلا من رواية ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وكذلك مسلم وفي الباب عن أنس عن الطبراني وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وكذلك مسلم وفي الباب عن أنس عن الطبراني وعن أَبِي هُرَيْرَةَ عن ابن حبان وعن النعمان بن بشير عن أحمد وعن علي وعقبة بن عامر وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص وعبد اللَّه بن أَبِي أوفى عن الطبراني رضي اللَّه عنهم.

تنبيه:

وقع فِي رِوَايَةِ الباب من طريق عُبَيْد اللّه العمري عن نافع تقديم الأجير ثم الأبوين ثم المرأة وخالف مُوسَى بن عقبة من الوجهين قدم الأبوين ثم المرأة ثم الأجير ووافقته رواية سالم وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ المرأة ثم الأبوين ثم الأجير.

وفي حديث أنس الأبوين ثم الأجير ثم المرأة وفي حديث النعمان الأجير ثم المرأة ثم الأبوين. وفي حديث علي وابن أَبِي أوفى معًا المرأة ثم الأجير ثم الأبوين وفي اختلافهم دلالة على أن الرواية بالمعنى عندهم كانت سائغة شائعة وأن لا أثر للتقديم والتأخير في مثل ذلك.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وأرجحها في نظري رواية مُوسَى بن عقبة لموافقة سالم لها فهي أصح طرق هذا الحديث وهذا من حيث الإسناد وأما من حديث المعنى فينظر أي: الثلاثة كان أنفع لأصحابه والذي يظهر أنه الثالث لأنه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه وإلا فالأول أفاد إخراجهم من الظلمة والثاني أفاد الزيادة في ذلك وإمكان التوسل إلى الخروج بأن يمر مثلًا هناك من يعالج لهم ذلك والثالث هو الذي تهيأ لهم الخروج بسببه فهو أنفعهم لهم فينبغي أن يكون عمل الثالث أكثر فضلًا من عمل الآخرين ويظهر ذلك من الأعمال الثلاثة فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه لأنه أفاد أنه كان بارًّا بأبويه وصاحب الأجير نفعه متعدٍّ وأفاد أنه كان عظيم الأمانة وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه وقد شهد اللّه لمن كان كذلك بأن له الجنة حيث قَالَ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 40 ـ 41] وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ولا سيما وقد قَالَ إنها كانت بنت عمه فتكون فيه صلة رحم أَيْضًا.

وقد تقدم أن ذلك كان في سنة قحط فتكون الحاجة إلى ذلك أجدى فيترجح على هذا رواية عُبَيْد اللّه عن نافع واللّه تَعَالَى أعلم.

54 ـ باب

3466 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «بَيْنَا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لا تُمِتِ ابْنِي، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْيِ، وَمُرَّ بِامْرَأَةٍ تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ أَمَّا الرَّاكِبُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَأَمَّا المَرْأَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا تَزْنِي، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ، وَيَقُولُونَ: تَسْرِقُ، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ»[1].

---

54 ـ باب

(باب) هو كالفصل لما قبله وقد سقط لفظ باب في أكثر النسخ.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا أَبُو الزِّنَادِ) عَبْد اللّه بن ذكوان، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) هو ابن هرمز الأعرج أنه (حَدَّثَهُ أَنَّهُ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: بَيْنَا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إذ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لا تُمِتِ ابْنِي، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْيِ، وَمُرَّ بِامْرَأَةٍ) على البناء للمفعول.

(تُجَرَّرُ) بالراء.

(وَيُلْعَبُ بِهَا، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ أَمَّا الرَّاكِبُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَأَمَّا المَرْأَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا تَزْنِي، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ، وَيَقُولُونَ: تَسْرِقُ، وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ) ويقولون تسرق وتقول حسبي اللّه وقد مضى الحديث آنفًا في باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ ومرّ الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة من حيث أن وقوع هذا كان في زمن بني إسرائيل.

---

(1) أطرافه 1206، 2482، 3436 - تحفة 13775 - 211/ 4.

3467 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»(1).

(**حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ**) بفتح المثناة الفوقية وكسر اللام هو أَبُو عثمان الرعيني المصري وهو من أفراده قَالَ: (**حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ**) هو عَبْد اللَّه بن وهب هو عَبْد اللَّه بن وهب المصري (**قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ:**) قَالَ رَسُولُ اللَّه ويروى: (**قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ**) بضم أوله من أطاف يطيف بمعنى طاف يطوف طوفًا وهو الدوران يقال أطفت بالشيء إذا أدمت المرور حوله (**بِرَكِيَّةٍ**) بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد المثناة التحتية وهي البئر مطوية كانت أو غير مطوية ويقال لها جب وقليب وقيل: الركية البئر قبل أن تطوى فإذا طويت فهي الطوي.

(**كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ**) بفتح الموحدة وكسر المعجمة وتشديد التحتية هي الزانية ويطلق على الأمة مُطْلَقًا أَيْضًا.

(**مِنْ بَغَايَا**) جمع بغي (**بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا**) بضم الميم وسكون الواو وآخره قاف هو الخف وقيل: ما يلبس فوق الخف ويقال له الجرموق أَيْضًا وهو فارسي معرب.

(**فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ وفي رواية غيره سقط لفظ به وقد مضى هذا الحديث في كتاب الشرب وكتاب الطهارة لكن وقع فيها أن الذي سقى الكلب رجل وأنه سقاه في خفه ويحتمل تعدد القصة.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخرجَهُ مُسْلِمٌ في الحيوان.

---

(1) طرفه 3321 - تحفة 14413.
أخرجه مسلم في السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها رقم 2245.

3468 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ، فَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ، وَكَانَتْ فِي يَدَيْ حَرَسِيٍّ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: ....

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَامَ حَجَّ**) وفي رواية سَعِيد بن المسيب الآتية آخر الباب آخر قدمة قدمها وكان ذلك في سنة إحدى وخمسين وهي آخر حجة حجها في خلافته.

(**عَلَى المِنْبَرِ**) حال من معاوية والمراد به منبر رَسُول اللَّه ﷺ.

(**فَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ**) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهي شعر الرأس من جهة الناصية وهنا المراد منه قطعة من الشعر من قصصت الشعر أي: قطعته.

(**وَكَانَتْ فِي يَدَيْ حَرَسِيٍّ**) منسوب إلى الحرس وأحد الحرس وهم الذين يحرسون السلطان.

قَالَ الْكِرْمَانِيّ: الواحد حرسي لأنه قد صار اسم فنسب إليه ولا تقل حارس إلا أن تذهب به إلى الحراسة دون الجنس ويطلق الحرسي ويراد به الجندي.

(**فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ**) ويروى بحذف حرف النداء (**أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟**) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: فيه إشارة إلى أن العلماء إذ ذاك كانوا قد قلوا وهو كذلك لأن غالب الصحابة رضي اللَّه عنهم كانوا يومئذ قد ماتوا وكأنه رأى جهال عوامهم صنعوا ذلك فأراد أن يذكر انتهى.

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأنه إن كان غالب الصحابة ماتوا في ذلك الوقت قام مقامهم أكثر منهم جماعة من التابعين الكبار والصغار وأتباعهم فالظاهر أن معاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لم يكن قصد هذا المعنى الذي ذكره هذا القائل وإنما قصد الإنكار عليهم بإهمالهم إنكار مثل هذا المنكر وغفلتهم عن تغييره وفي هذا اعتناء الولاة بإزالة المنكرات وتوبيخ من أهملها انتهى.

ولا يخفى عليك أنه لا ينافي ما ذكره الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ.

(**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ**) هو معطوف على ينهى وفاعله

«إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ»[1].

3469 - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، ....

النَّبِيّ ﷺ: (**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا**) أي: القصة (**نِسَاؤُهُمْ**) والغرض هو النهي تزيين الشعر بمثلها ولفّ البعض على البعض والوصل، وقد ورد لعن اللّه الواصلة والمستوصلة وفيه إشعار بأن ذلك كان حرامًا عليهم فلما فعلوه كان سببًا لهلاكهم ويحتمل أن الهلاك كان مع ما انضم إلى ذلك من ارتكابهم ما ارتكبوه من المعاصي وفيه معاقبة العامة بظهور المنكر فيهم وسيأتي بسط ذلك في كتاب اللباس إن شاء اللّه تَعَالَى.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ إنما هلكت بنو إسرائيل وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في اللباس أَيْضًا وكذا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فيه وأبو داود في الترجل وَالتِّرْمِذِيّ في الاستئذان وَالنَّسَائِيّ في الزينة.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن يَحْيَى القرشي الأموي الأويسي المدني، وهو من أفراده، قال: (**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ**) سعد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف، هذا هو المشهور عن إبراهيم بن سعد، وقيل: عنه عن أبيه عن أبي سلمة عن عائشة رضي اللّه عنها. وسعد هذا يروي عن عمه، (**عَنْ أَبِي سَلَمَةَ**) أي: ابن عبد الرحمن بن عوف، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) هذا هو المشهور عن إبراهيم بن سعد وقيل عنه عن أبيه عن أبي سلمة عن عائشة رضي اللّه عنها (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: إِنَّهُ**) أي: الشأن (**قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأَمَمِ**) أراد بني إسرائيل.

(**مُحَدَّثُونَ**) بفتح الدال المهملة المشددة جمع محدث.

قَالَ الْخَطَّابِيّ: المحدث الملهم يلقى الشيء في روعه فكأنه قد حدث به يظن فيصيب ويخطر الشيء بباله فيكون وهي منزلة جليلة من منازل الأولياء.

---

(1) أطرافه 3488، 5932، 5938 - تحفة 11407.
أخرجه مسلم في اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم 2127.

وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»[1].

وقيل: المحدث هو الذي يجري الصواب على لسانه.

وقيل: من يكلمه الملائكة وَقَالَ التِّرمِذِيّ أَخْبَرَنِي بعض أصحاب عيينة قَالَ محدثون: يعني مفهمون.

وَقَالَ ابن وهب: ملهمون.

وَقَالَ ابن قتيبة: يصيبون إذا ظنوا وحدثوا.

وَقَالَ ابن التين: يعني متفرسون.

وَقَالَ النووي حاكيًا عن الْبُخَارِيّ: يجري الصواب على ألسنتهم وهذه المعاني كلها متقاربة.

(وَإِنَّهُ) أي: وأن الشأن (إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ) وفي رواية أَبِي داود الطيالسي عن إِبْرَاهِيم بن سعد وأنه إن كان في أمتي أحد منهم.

(فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ) رَضِيَ اللّه عَنْهُ قاله ﷺ على سبيل التوقع فكأنه لم يوح إليه بعد أن ذلك كائن وقد وقع بحمد اللّه تَعَالَى ما توقعه رَسُول اللّه ﷺ في عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ووقع من ذلك لغيره أَيْضًا ما لا يحصى ذكره.

وفيه: منقبة لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

---

(1) طرفه 3689 - تحفة 14954.

اختلفت الشراح في وجه إيراده ﷺ ذلك على سبيل الشك قال القسطلاني: تبعًا للعيني: قاله ﷺ على سبيل التوقع وكأنه لم يكن اطلع على أن ذلك كائن وقد وقع، وقصة يا سارية الجبل معروفة مع غيرها، اهـ.

وقال الحافظ: قيل لم يورد هذا القول مورد الترويد فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وجد في غيرهم فإمكان وجودهم فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل إن يكن لى صديق فإنه فلان يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء، وقيل الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي، واحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبي، وقد وقع الأمر كذلك، حتى إن المحدث منهم إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له بل لا بد له من عرضه على القرآن، فإن وافقه أو وافق السنة عمل به وإلا تركه إلى آخر ما بسطه، وفي المرقاة وقيل: هو على ظاهره لأن الحكمة في كونهم في بني إسرائيل احتياجهم إلى ذلك حيث لا يكون بينهم نبي وكتبهم طرأ عليها التبديل، واحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن المأمون تبديله وتحريفه ذكره السيوطي، اهـ.

3470 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ ....

وفيه: كرامة الأولياء وأنها لا تنقطع إلى يوم الدين.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ فيما مضى من الأمم.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في فضل عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ في المناقب.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ**) بكسر المهملتين وتشديد الثانية بكر بن قيس أو بكر بن عمرو (**النَّاجِيِّ**) بالنون وتخفيف الجيم وتشديد الياء نسبة إلى ناجية بنت غزوان أخت عتبة بن لؤي وهي قبيلة كبيرة وليس له في الْبُخَارِيّ سوى هذا الحديث وزاد مسلم من طريق معاذ عن شعبة عن قتادة أنه سمع أبا الصديق الناجي، (**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ**) الخُدْرِيّ (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ**) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: لم أقف على اسمه ولا على اسم أحد من الرجال ممن ذكر في القصة.

(**قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ**) أي: عن التوبة والاستغفار وفي رواية مسلم من طريق هشام عن قَتَادَة يسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب.

(**فَأَتَى رَاهِبًا**) وهو واحد رهبان النصارى وهو الخائف والمتعبد قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه كما نص عليه القرآن.

(**فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ**) أي: الراهب: (**هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟**) أي: لي وفي بعض النسخ هل له من توبة وفي أخرى له توبة قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: حذف أداة الاستفهام وفيه تحرير لأن حق القياس أن يقول ألي توبة؟

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأنه ليس هذا بتجريد وإنما هو التفات وقوله لأن حق القياس غير موجه لأنه لا قياس هنا وإنما يقال في مثل هذا مقتضى الظاهر أن يقال كذا.

قَالَ: لا ، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا ، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، ....

(قَالَ: لا ، فَقَتَلَهُ) وفي رواية هشام عن مسلم أنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة وزاد ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم وَقَالَ فيه ومن يحول بينه وبين التوبة.

(فَجَعَلَ يَسْأَلُ) أي: ليدلّوه على من يأتي إليه فيسأله عن التوبة (فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا) وفي رواية هشام فإن بها أناسًا يعبدون اللّه فاعبد اللّه معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت.

(فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ) أي: من الطريق والفاء فيه فصيحة تقديره فذهب إلى تلك القرية فأدركه الموت والمراد إدراك أمارات الموت.

(فَنَاءَ) بنون ومد وبعد الألف همزة أي: مال أو نهض مع تثاقل.

(بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا) أي: إلى ناحية تلك القرية التي توجه إليها للتوبة والعبادة وهذا هو المعروف في هذا الحديث وحكى بعضهم فيه فنأى بغير مد قبل الهمزة وبإشباعها بوزن سعى تقول نأى ينأى نأيًا أي: بعد وعلى هذا فالمعنى فبعد عن الأرض التي خرج منها وقيل قوله فناء بصدره مدرج فإنه في آخر الحديث قَالَ قَتَادَة قَالَ الحسن ذكر لنا أنه أتاه الموت ناء بصدره.

(فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ العَذَابِ) وفي رواية هشام من الزيادة فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى اللّه وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرًا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فَقَالَ قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو لها.

(فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ) أي: إلى القرية المتوجه إليها أي: التي قصدها.

(أَنْ تَقَرَّبِي) أمر من التقرب وكلمة أن تفسيرية.

(وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ) أي: إلى القرية المتوجه منها أي: التي خرج منها (أَنْ تَبَاعَدِي).

وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ»[1].

(وَقَالَ) أي: اللّه تَعَالَى للملائكة: (قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ) وفي رواية هشام: فقاسوا فوجدوه أدنى الأرض التي أراد.

(إِلَى هَذِهِ) أي: التي أرادها (أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ) وفي رواية معاذ عن شعبة فجعل من أهلها وفي رواية هشام فقبضته ملائكة الرحمة.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ووقعت لي تسمية القريتين المذكورتين من طريق عَبْد اللّه بن عمرو بن العاص مَرْفُوعًا في المعجم الكبير للطبراني قَالَ فيه إن اسم القرية الصالحة نصرة واسم القرية الأخرى كفرة.

وقد ذكرهما أَيْضًا أَبُو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين فإن قيل حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة لا بدّ من الاسترضاء أجيب بأن اللّه تَعَالَى إذا قبل توبته يرضي خصمه. وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل النفس ويحمل على أن اللّه تَعَالَى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضى خصمه كما تقدم آنفا.

قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة أن التوبة تكفر القتل كسائر الذنوب وما روي عن بعضهم من تشديد في الزجر وتقنيط من التوبة فإنما روي ذلك لئلا يجترئ الناس على الدماء كما سيجيء تفصيله إن شاء اللّه وفيه أن المفتي قد يجيب ويخطئ وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول لكونه أفتاه بغير علم لأن السياق يقتضي أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستفتي وأن الذي أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حَق وأنه إنما قتله بناء على العمد بفتواه لأن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له فيئس من الرحمة ثم تداركه اللّه فندم على ما صنع فرجع يسأل

وفيه: إشارة إلى قلة فطنة الراهب لأنه كان من حقه أن يحترز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه هذا لو كان الحكم عنده صريحًا في عدم قبول توبة

---

(1) تحفة 3973 - 212/ 4.
أخرجه مسلم في التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم 2766.

التائب فضلًا عن الحكم بذلك لم يكن عنده إلا مظنونًا.

وفيه: أن الملائكة الموكلين ببني آدم قد يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعًا أو عاصيًا وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي اللّه بينهم.

وفيه: فضل التحول عن الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما بتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك وإما بوجود من يعينه على ذلك ويحضه عليه ولهذا قَالَ له الأخير لا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمان المعصية والتحول عنها كلها والاشتغال بغيرها.

وفيه: فضل العالم على العابد لأن الذي أفتاه أولًا بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة. ثم إنه كما تقدم أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب وهو وإن كان شرعًا لمن قبلنا وفي الاحتجاج به خلاف لكن هذا ليس من موضع الخلاف لأن موضع الخلاف ما لم يرد في شرعنا تقديره وموافقته أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف ومن الوارد في ذلك قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 48] فكل ما دون الشرك يجوز أن يغفر له وفي حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللّه عَنْهُ بعد قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: 151] وغير ذلك من المنهيات فمن أصاب من ذلك شَيْئًا فأمره إلى اللّه إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه متفق عليه.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ويؤخذ ذلك أَيْضًا من جهة تخفيف الآصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم فإذا شرع لهم قبول التوبة من القاتل فمشروعيتها لنا بطريق الأولى.

أما قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: 93] فمعناه جزاؤه إن جازاه وقد لا يجازى بل نعفو عنه فإن استحل قتله بغير حق ولا تأويل فهو كافر يخلد في النار إجماعًا عياذًا باللّه تَعَالَى.

3471 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ» ....

وفيه: جواز التحكيم إذا رضي الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم.

وفيه: خلاف سيأتي في الحديث الآتي.

وفيه: أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا.

وفيه: أن الحكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعذرت البينات له أن يستدل بالقرائن على الترجيح وفيه رجاء عظيم لأصحاب الكبائر غير الشرك والله هو الغفور الرحيم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التوبة أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ ابن ماجة في الديات.

(**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) هو ابن المديني قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ**) عَبْد الله بن ذكوان، (**عَنِ الأَعْرَجِ**) عبد الرحمن بن هرمز، (**عَنْ أَبِي سَلَمَةَ**) بفتح اللام هو ابن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وهو من رواية الأقران وذكر خلف وغيره أنه لم يسقط.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: والنسختان صحيحتان لأن ابن هرمز يروي عن أَبِي هُرَيْرَةَ وعن أَبِي سلمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ كليهما وقد رواه الزهري أيضًا عن أبي سلمة وسيأتي في المناقب.

(**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً**) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: لم أقف على اسمه.

(**إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا**) جواب بينما.

(**فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ**) استدل بذلك على أن الدواب لا تستعمل إلا فيما جرت العادة باستعمالها فيه ويحتمل أن يكون قولها

فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقَالَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ـ وَمَا هُمَا ثَمَّ ـ وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، ـ وَمَا هُمَا ثَمَّ ـ»،

إنما خلقنا للحرث الإشارة إلى تعظيم ما خلقت له ولم ترد الحصر في ذلك لأنه غير مراد اتفاقًا لأن من جملة ما خلقت له أنها تذبح وتؤكل بالاتفاق وقد تقدم قول ابن بطال في ذلك في كتاب المزارعة.

(**فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟، فَقَالَ**) ﷺ: (**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ**) وهو محمول على أنه كان أخبرهما بذلك فصدقاه أو أطلق ذلك لما اطلع عليه من أنهما يصدقان بذلك إذا سماه ولا يترددان لقوة إيقانهما.

(**وَمَا هُمَا ثَمَّ**) بفتح المثلثة أي: ليسا حاضرين هناك وهو من كلام الراوي ولم يقع فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيّ.

(**وَبَيْنَمَا**) ويروى وبينا بدون الميم (**رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ**) وهو معطوف على الخبر الذي قبله بالإسناد المذكور.

(**إِذْ عَدَا الذِّئْبُ**) بالعين المهملة من العدوان.

(**فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا**) أي: هذا الرجل قد (**اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي**) كذا فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيّ وفي رواية غيره هذا قد استنقذتها مني بالخطاب فيكون معنى هذا أي: هذا الذئب فيكون بيانًا له ويحتمل أن يكون منادى حذف حرف النداء منه.

(**فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي**) أي: من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هملًا لا راعي لها نهبة للسباع فيبقى السبع راعيًا لها وقيل هو يوم عيد كان لهم في الجاهلية وله وجوه أخر تقدمت في كتاب المزارعة.

(**فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ**) فقال ويروى (**قَالَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ»**) والحديث قد مضى في كتاب المزارعة في باب استعمال البقر للحراث.

وحَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: بِمِثْلِهِ[1].

3472 - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ،

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ بينما رجل لأنه كان من بني إسرائيل.

(وَحَدَّثَنَا عَلِيٌّ) قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ) بكسر الميم هو ابن كدام.

(عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: بِمِثْلِهِ) ويروى بمثله هذا طريق آخر أشار به إلى أنه سمعه من شيخه مفرقًا وأن لسفيان فيه إسنادًا من أحدهما أَبُو الزناد عن الأعرج والآخر مسعر عن سعد بن إِبْرَاهِيم كلاهما عن أَبِي سلمة وفي كل من الإسنادين رواية القرين عن قرينه لأن الأعرج قرين أَبِي سلمة لأنه شاركه في أكثر شيوخه ولا سيما أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وإن كان أَبُو سلمة أكثر سنًّا من الأعرج وسفيان بن عيينة قرين مسعر لأنه شاركه في أكثر شيوخه لا سيما سعد بن إِبْرَاهِيم وإن كان مسعر أكبر سنا من سُفْيَان.

(حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ) هو إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم بن نصر السعدي الْبُخَارِيّ قَالَ: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ) بن منبه (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: لم أقف على اسمهما ولا على اسم أحد ممن ذكر في هذه القصة لكن في المبتدأ لوهب بن منبه أن الذي تحاكما إليه هو داود النَّبِيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي المبتدأ لإسحاق بن بشر أن ذلك وقع في زمن ذي القرنين من بعض قضاته وصنيع الْبُخَارِيّ يقتضي ترجيح ما وقع عند وهب لكونه أورده في ذكر بني إسرائيل.

(عَقَارًا لَهُ) العقار بفتح العين في اللغة المنزل والضيعة وخصه بعضهم بالنخل ويقال للمتاع النفيس الذي للمنزل عقار أَيْضًا.

وَقَالَ القاضي عياض: العقار الأصل من المال أي: من الأرض وما يتصل

---

(1) أطرافه 2324، 3663، 3690 - تحفة 14972.

فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا،

بها وعقر الشيء أصله ومنه عقر الأرض بفتح العين وضمها.

وقيل: المنزل والضيعة وقيل متاع البيت فجعله خلافًا.

وَقَالَ ابن التين: العقار الضياع وعقار الرجل ضيعته والمعروف في اللغة أنه مقول على الجميع بالاشتراك والمراد به هنا الدار وقد صرح بذلك في حديث وهب ابن منبه.

(**فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً**) بفتح الجيم وهي من الفخار ما يصنع من المدر.

(**فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ**) ويروى: فَقَالَ له (**الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي**) أَنَا ويروى: (**إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ**) أي: ولم أشتر منك الذهب وهذا صريح في أن العقد إنما وقع بينهما على الأرض خاصة فاعتقد البائع دخولها فيها ضمنها واعتقد المشتري أنه لا يدخل وأما صورة الدعوى بينهما فوقعت على هذه الصورة وأنهما لم يختلفا في صورة العقد التي وقعت والحكم في شرعنا على هذا في مثل ذلك أن القول قول المشتري وأن الذهب باق على ملك البائع ويحتمل أنهما اختلفا في صورة العقد بأن يقول المشتري لم يقع تصريح ببيع الأرض خاصة والبائع يقول وقع التصريح بذلك والحكم في هذه الصورة أن يتخالفا ويسترد المبيع وهذا كله بناء على ظاهر اللفظ أنه وجد فيها جرة من ذهب لكن فِي رِوَايَةِ إِسْحَاق ابن بشر أن المشتري قَالَ إنه اشترى دارًا فعمرها فوجد فيها كنزًا وأن البائع قَالَ له لما دعاه إلى أخذه ما دفنت ولا علمت وأنهما قالا للقاضي ابعث من يقبضه ويدعه حيث رأيت فامتنع وعلى هذا فحكم هذا المال حكم الركاز في هذه الشريعة إن عرف أنه من دفين الجاهلية وإلا فإن عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة وإن جهل فحكمه حكم المال الضائع يوضع في بيت المال ولعله لم يكن في شرعهم هذا التفصيل فلهذا حكم القاضي بما حكم به.

(**وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا**) والمراد من الذي له

فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟

الأرض الذي كانت له وهو البائع ووقع فِي رِوَايَةِ أحمد عن عبد الرزاق بيان المراد من ذلك ولفظ فَقَالَ الذي باع الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها ووقع في نسخ مسلم اختلاف فالأكثر رووه بلفظ فَقَالَ الذي شرى الأرض والمراد باع الأرض كما قَالَ أحمد ولبعضهم فَقَالَ الذي اشترى الأرض ووهمها الْقُرْطُبِيّ قَالَ إلا إن ثبت أن لفظ اشترى من الأضداد كشرى فلا وهم.

(فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ) ظاهره أنهما حكّماه في ذلك لكن في حديث إِسْحَاق بن بشر التصريح بأنه كان حاكمًا منصوبًا للناس فإن ثبت ذلك فلا حجة فيه لمن جوز للمتداعيين أن يحكما بينهما رجلًا وينفذ حكمه وهي مسألة مختلف فيها فأجاز ذلك مالك وَالشَّافِعِيّ بشرط أن يكون فيه أهلية الحكم وأن يحكم بينهما بالحق سواء وافق ذلك رأي قاضي البلد أم لا استثنى الشَّافِعِيّ الحدود وشرط أَبُو حَنِيفَةَ أن لا يخالف ذلك رأي قاضي البلد. وجزم الْقُرْطُبِيّ بأنه لم يصدر منه حكم على أحد منهما وإنما أصلح بينهما لما ظهر له أن حكم المال المذكور حكم المال الضائع فرأى أنهما أحق بذلك من غيرهما لما ظهر من ورعهما وحسن حالهما ولما ارتجى منه طيب نسلهما وصلاح ذريتهما ووقع فِي رِوَايَةِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لقد رأيتنا يكثر تمارينا ومنازعتنا عند النَّبِيّ ﷺ أيهما أكثر أمانة. وحكى المازري خلافًا عندهم إذا ابتاع أرضًا فوجد فيها شَيْئًا مدفونًا هل يكون ذلك للبائع أو للمشتري فإن كان من أنواع الأرض كالحجارة والعمد والرخام فهو للمشتري وإن كان كالذهب والفضة فإن كان من دفين الجاهلية فهو ركاز وإن كان من دفين المسلمين فهو لقطة وإن جهل ذلك كان مالًا ضائعًا فإن كان هناك بيت مال يحفظ فيه وإلا صرف في الفقراء والمساكين وفيما يستعان به على أمور الدين وفيما أمكن من مصالح المسلمين.

وَقَالَ ابن التين: فإن كان من دفين الإسلام فهو لقطة وإن كان من دفين الجاهلية فَقَالَ مالك هو للبائع وخالفه ابن القاسم فَقَالَ إن ما في داخلها بمنزله ما في خارجها وقول مالك أحسن لأن من ملك أرضًا باختطاط ملك ما في بطنها وليس جهله به حين البيع يسقط ملكه فيه.

(فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟) بفتح الواو واللام والمراد به

قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلامٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلامَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»[1].

الجنس لأن يستحيل أن يكون للرجلين جميعًا ولد واحد. أو المعنى ألكل واحد منكما ولد.

ويجوز أن يكون ولد بضم الواو وسكون اللام وهي صيغة جمع أي: ألكما أولاد؟ ويجوز كسر الواو أَيْضًا في ذلك.

فَقَالَ ويروى: (قَالَ) بدون الواو (أَحَدُهُمَا: لِي غُلامٌ) بين فِي رِوَايَةِ إِسْحَاق ابن بشر أن الذي قَالَ لي غلام هو الذي اشترى العقار.

(وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ) أي: بنت مراهقة.

(قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلامَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا) هكذا وقع

---

(1) تحفة 14715.

أخرجه مسلم في الأقضية باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين رقم 1721.

قال العيني: فإن قلت جاء أنفقوا وأنكحوا بصيغة الجمع، وقوله: تصدقا بصيغة التثنية قلت لأن العقد لا بد فيه من شاهدين فيكونان مع الرجلين أربعة وهو جمع، والنفقة قد يحتاج فيها إلى المعين كالوكيل فيكون أيضًا جمعًا، وأما وجه التثنية في الصدقة فلأن الزوجين مخصوصان بذلك، اهـ.

وقال الحافظ: هكذا وقع بصيغة الجمع في الإنكاح والإنفاق، وبصيغة التثنية في النفسين وفي التصدق وكان السر في ذلك أن الزوجين كانا محجورين وإنكاحهما لا بد فيه ومع وليهما من غيرهما كالشاهدين، وكذلك الإنفاق قد يحتاج فيه إلى المعين كالوكيل، وأما تثنية النفسين فللإشارة إلى اختصاص الزوجين بذلك، وقد وقع في رواية إسحاق ما يشعر بذلك ولفظه: اذهبا فزوج ابنتك من ابن هذا وجهزوهما من هذا المال وادفعا إليهما ما بقي يعيشان به، وأما تثنية التصدق فللإشارة إلى أن تباشراها بغير واسطة لما في ذلك من الفضل، اهـ.

ثم قال الحافظ: في قوله اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب، هذا صريح في أن العقد إنما وقع بينهما على الأرض خاصة فاعتقد البائع دخول ما فيها ضمنًا واعتقد المشتري أنه لا يدخل فوقعت الدعوى على هذه الصورة وأنهما لم يختلفا في صورة العقد والحكم في شرعنا على هذا أن القول قول المشترى والذهب باق على ملك البائع ويحتمل أنهما اختلفا في صورة العقد بأن يقول المشتري: لم يقع تصريح ببيع الأرض وما فيها بل بيع الأرض خاصة، والبائع يقول: وقع التصريح بذلك والحكم في هذه الصورة أن يتحالفا ويسترد المبيع، وهذا كله بناء على ظاهر اللفظ، لكن في رواية إسحاق أن المشتري قال إنه اشترى دارًا فعمرها فوجد فيها كنزًا وأن البائع قال له لما دعاه إلى أخذه: ما دفنت ولا علمت، وأنهما قالا للقاضي: ابعث من يقبضه وتضعه حيث رأيت فامتنع، وعلى هذا فحكم هذا المال حكم =

3473 - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ، وَعَنْ أَبِي النَّضْرِ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ؟

بصيغة الجمع في الإنكاح والإنفاق وبصيغة التثنية في النفسين وفي التصدق وكان السر في ذلك أن الزوجين كانا محجورين وإنكاحهما لا بدّ فيه إلى المعين كالوكيل.

وأما تثنية النفسين فللإشارة إلى اختصاص الزوجين بذلك وقد وقع فِي رِوَايَةِ إِسْحَاق بن بشر ما يشعر بذلك ولفظه اذهبا فزوج ابنتك من ابن هذا وجهزوهما من هذا المال وأنفقوا عليهما ما بقي يعيشان به.

وأما تثنية التصدق فللإشارة إلى أن يباشراها بغير واسطة لما في ذلك من الفضل وَأَيْضًا فهي تبرع لا يصدر من غير الرشيد ولا سيما ممن ليس له فيها ملك.

ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم وأنفقا على أنفسكما والأول أوجه واللّه تَعَالَى أعلم.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وفي الحديث كمال تورعهم واحتياطهم عكس أهل زمان نحن فيه إلا من عصمه اللّه تَعَالَى.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن الرجلين المذكورين فيه من بني إسرائيل.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في القضاء.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**مَالِكٌ**) الإمام، (**عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ، وَعَنْ أَبِي النَّضْرِ**) بسكون الضاد المعجمة واسمه سالم وهو ابن أَبِي أمية (**مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ**) أي: ابن معمر القرشي التَّيْمِيّ المديني.

(**عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**) رضي اللّه عنهم (**مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ؟**) أي: في حال الطاعون وشأنه وهو على وزن فاعول من الطعن غير أنه عدل عن أصله ووضع

= الركاز في هذه الشريعة إن عرف أنه من دفين الجاهلية وإلا فإن عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة، وإن جهل فحكمه حكم المال الضائع يوضع في بيت المال ولعلهم لم يكن في شرعهم فلهذا حكم القاضي بما حكم به، اهـ.

فَقَالَ أُسَامَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ» ....

الأعلى الموت العام بالوباء وَقَالَ الخليل الوباء هو الطاعون.

وقيل: هو كل مرض عام يقع بكثير من الناس نوعًا واحدًا بخلاف سائر الأوقات فإن أمراضهم مختلفة. فقالوا كل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونًا.

وقيل: الطاعون هو الموت الكثير.

وقيل: هو بثر وورم مؤلم جدًّا يخرج مع لهيب ويسود ما حوله أو يخضر ويحصل معه خفقان القلب والقيء، ويخرج في المراقي والآباط غالبًا.

(**فَقَالَ أُسَامَةُ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الطَّاعُونُ رِجْسٌ**) أي: عذاب (**أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**) شك من الراوي أي: هو عذاب من كان قبلنا وهو رحمة لهذه الأمة كما صرح به في الحديث الآتي.

(**فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلا تَقْدَمُوا**) بفتح الدال (**عَلَيْهِ**) أي: على الطاعون الذي وقع بأرض وذلك لأن المقام بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن للقلوب من القلق والاضطراب.

(**وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ**) أي: لأجل الفرار من الطاعون وذكر ابن جرير الخلاف عن السلف في الفرار منه فذكر عن أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه كان يبعث بنيه إلى الأعراف من الطاعون.

وعن الأسود ابن هلال ومسروق: أنهما كانا يفران منه. وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه قَالَ تفرقوا في هذا الرجز في الشعاب والأودية ورؤوس الجبال فبلغ ذلك معاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فأنكره وَقَالَ بل هو شهادة ورحمة ودعوة نبيكم. وكان بالكوفة طاعون فخرج المغيرة منها فلما كان في حصار بني عوف طُعِنَ فمات.

وأما عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ رجع من سرغ ولم يقدم عليه حتى قدم الشام وذلك لدفع الأوهام المشوشة لنفس الإنسان وتأول من فر أنه لم ينه عن

قَالَ أَبُو النَّضْرِ: «لا يُخْرِجُكُمْ إِلا فِرَارًا مِنْهُ»(1).

الدخول والخروج مخافة أن يصيبه غير المقدور ولكن مخافة الفتنة أن يظنوا أن هلاك القادم إنما حصل بقدومه وسلامة الفار إنما كانت بفراره وهذا من نحو النهي عن الطيرة.

وعن ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ هو فتنة على المقيم والفار أما الفار فيقول فررت فنجوت وأما المقيم فيقول أقمت فأصبت وإنما فر من لم يأت أجله وأقام من حضر أجله.

وقالت عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: الفرار منه كالفرار من الزحف. ويقال قلما فر أحد من الوباء فسلم ويكفي من ذلك موعظة قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: 243] قَالَ الحسن خرجوا حذرًا من الطاعون فأماتهم اللَّه في ساعة واحدة وهم أربعون ألفًا.

وذكر أَبُو الفرج الأصبهاني في كتابه والعهدة عليه كانت العرب تقول إذا دخل أحد بلدًا وفيها وباء فإنه ينهق نهيق الحمار قبل دخوله فيها فإنه إذا فعل ذلك أمن من الوباء.

وَقَالَ ابن الجوزي: لما لم يؤمن على القادم عليه أن يظن إذا أصابه أن ذلك على سبيل العدوى التي لا صنع للقدر فيها نهي عن ذلك لما فيه من تزلزل البطن.

وقيل: إنما نهي عن الخروج لأنه إذا خرج الأصحاء هلك المرضى فلا يبقى من يقوم بأمرهم واللَّه تَعَالَى أعلم.

(**قَالَ أَبُو النَّضْرِ: «لا يُخْرِجُكُمْ إِلا فِرَارًا مِنْهُ»**) كذا هو بالنصب ويجوز رفعه

---

(1) طرفاه 5728، 6974 - تحفة 92 - 213/ 4.

أخرجه مسلم في السلام باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها رقم 2218.

قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار أن الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل ثم بعد ذلك يدل على حكمين، **أحدهما**: من سمع أن الطاعون بأرض فلا يدخلها، **والآخر**: النهي لمن كان بأرض ووقع الطاعون بها فلا يخرج فرارًا منه.

والكلام عليه من وجوه:

منها قوله: (على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم) الشك هنا من الراوي في أيهما قال سيدنا ﷺ وهذا دال على تحريهم في النقل وصدقهم قوله رجس أي: عذاب. =

واستشكلها النووي وكذا الْقُرْطُبِيّ لأن ظاهره المنع من الخروج لكل سبب إلا

=

(وهنا بحث): في قوله عليه السلام فلا تقدموا عليه ولا تخرجوا فرارًا منه هل هو تعبد لا يعقل له معنى أو له وجه من الحكمة يعقل أما قوله فلا تقدموا عليه فوجه الحكمة فيه قد نبه الكتاب العزيز عليها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] فإن الدخول إلى موضع النقم تعرض للهلكة فليجزع من ذلك وليتأدب بأدب الحكمة وهذا تنبيه منه ﷺ من أجل أن يأتي أحد ويستعمل هنا متضمن قوله تعالى: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51] فمنع عليه السلام أن يعارض هنا متضمن الحكمة وهو الفرار من المهالك بالقدر فإنه من باب التجربة والعبودية لا تجرب الموالية، ومثل ذلك قال عيسى عليه السلام حين لقيه اللعين وهو في سياحته على قنة جبل فقال له اللعين ترد من قنة هذا الجبل وما عليك لأنك تقول لن يصيبك إلا ما كتب الله لك، فقال له عيسى عليه السلام: إن المولى يجرب عبده وليس العبد يجرب مولاه.

(ويترتب على هذا من الفقه) التزام الأدب مع الربوبية واستعمال الحكمة حيث أمر بها واستعمال القدر حيث أمر به وفي هذا دليل لأهل السنة فإن هذه طريقهم خلافًا للقدرية والجبرية ولا يعارض أحوال القوم الذي علموا عليه السلام أن لا يلتفتوا في موضع المهالك إلى شيء من الأشياء ونجوا منها ولم تضرهم فإن الانفصال عنه أنهم لم يفعلوا ذلك إلا بغلبة الحال الذي ورد عليهم حتى لم يروا في الوجود إلا صاحب الوجود والحال حامل لا محمول ولهم في ذلك الاقتداء بسيدنا ﷺ حيث قال عليه السلام: **فر من المجذوم كما تفر من الأسد**» ثم أكل ﷺ مع المجذوم في صحفة واحدة وقال: «بسم الله ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾» فالأمر الأول سنته ﷺ والفعل بعده طريقته ﷺ فمن كان له حال صادق فهو متبع له عليه السلام في طريقته ومن لم يكن له حال صادق فليتبع سنته عليه السلام ولا يدخل في اتباعه في حاله لأنه عري عن الوصف الذي هو شرط فيه فيكون ألقى بيده إلى التهلكة لأنه أتى الشيء من غير وجهه ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ ثم قال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197] فإذا كان معك خير الزاد سر حيث شئت وإن لم يكن معك منه شيء يكفيك فلا تتحرك إلا بالزاد المحسوس المبلغ على العادة في ذلك وإلا كنت عاصيًا.

وفيه: دليل على الأخذ بسد الذريعة الذي تدل عليه قواعد الشريعة في غير ما موضع.

ويترتب عليه من الفقه أنك إذا أردت أن تقدم على موضع أن تسأل أولًا عن أخباره حتى تعلم على ماذا تقدم هل يجوز لك الإقدام عليه أم لا لأنه قد يكون بالقرب منه من حيث أن يكون بينك وبينه الميل أو الميلان فتسمع بمثل الطاعون فلا يجوز لك دخوله وقد يكون لك في الرجوع بنفسك في حالك أو دينك فتقع بين محذور ويكون سبب ذلك تفريطك في السؤال عن ذلك الموضع والمفرد نادم.

(وهنا بحث): وهو أن يقال هل هذا النهي يقصر على الطاعون ليس إلا أو يتعدى ذلك بالعلة وهي حيث يعلم موضع ضرر لا يقدم عليه لا سيما إذا كان متحققًا أو يكون غالبًا في الدين فالنظر يعطي تعديه من أجل وجود العلة كما عدوا بذلك أحكامًا كثيرة ويقويه قوله تعالى: =

للفرار وهو نقيض المقصود من الحديث فلذلك قيده بعض رواة الموطأ بكسر

= ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] وهو لفظ عام وأما الحكمة في قوله عليه السلام: «**وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**» فهو إعلام بأن القدر إذا نفذ لا ينفع أثر الحكمة فيه ولا يرده فإن اللّه عز وجل يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38] أي: أنه لا يرد وهو نافذ لا محالة فكما أمرنا قبل أن لا نعارض الحكمة بالقدر كما تقدم الكلام عليه أرشدنا هنا إلى أن لا نعارض القدر بأثر الحكمة وأن نلتزم الأدب في الطريقين والتسليم لما اختاره من له الخلق والأمر سبحانه وتعالى ولذلك قال ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا اللّه العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**» معناه التزموا في كل وقت الأدب فيما أقمتم فيه بحسب ما شرع لكم.

(وفي هذا دليل) لطريق القوم الذين يقولون: (اشغل وقتك بما وجب عليك فيه أو ندبت إليه ولا تلتفت إلى ما قبل ولا إلى ما بعد تفز بربح الدارين) أي: بخيرهما.

(وفيه وجه آخر) من طريق النظر والتحقيق وهو أنه إذا أرسل ذلك العذاب على تلك البقعة التي كان الناس بها فالمقصود بالعذاب أولئك الناس لا البقعة نفسها فمن كان قد نفذ حكم اللّه تعالى فيه بإصابة ذلك البلاء فأين ما فر فأمر اللّه لا يفارقه حيث كان فهروبه زيادة في التعب وإن كان ممن لم يقدر عليه شيء من ذلك فيحصل في قعوده إذا كان صابرًا محتسبًا أجر شهيد كما ذكر في الحديث بعد هذا وراحة بدنه وهو ﷺ بالمؤمنين رحيم فلما علم ما أشرنا إليه أرشدهم إلى ما فيه نفعهم وهو قعودهم حيث كانوا.

وفيه: دليل على تحقيق نصحه عليه الصلاة والسلام ورفقه بأمته يؤخذ ذلك من قوله فرارًا منه حتى يبقى الناس على تصرفهم الذي كانوا عليه قبل هذه النازلة بحسب ما يقتضيه ما عهدوا من عادتهم في مصالحهم وتصرفاتهم في ذلك بقدر ما يظهر لهم فيه فإنه لو لم يرد النهي بهذه الصفة لكان الناس إذا وقع لهم ذلك الأمر زادتهم الشدة لمنعهم من تصرفهم في منافعهم على عادتهم قبل.

وفيه: دليل لمذهب مالك في الذي يكون له مال تجب فيه الزكاة فيتصرف فيه قبل الحول تصرفا ينقله به عن الحالة التي تجب فيه الزكاة إن كان ذلك التصرف خوفًا من الزكاة لا ينفعه وتؤخذ منه الزكاة وإن كان لمصلحة في ماله سقطت عنه الزكاة أمثاله أن يكون له نصاب من المال فإذا قرب الحول اشترى به عرضًا أو حيوانًا مما تسقط الزكاة به عنده فإن كان فعل ذلك هروبًا من الزكاة أو خذ بالزكاة عند حلول حول النصاب وإن كان ذلك لمصلحة ظهرت له ولم يقصد الهروب من الزكاة عومل بحسب ما يقتضيه حال وقته من تأخير الزكاة أو غير ذلك على حسب ما هو مذكور في كتب الفروع.

وفيه: دليل على أن الأصل في الأعمال بحسب النية فيها يؤخذ ذلك من كون الخروج الذي ليس بنية الهروب مما نزل لم ينه عنه والذي هو بنية الهروب نهى عنه ويؤيد ذلك قوله عليه السلام: «**إنما الأعمال بالنيات**»... وبقي (هنا بحث) وهو أنه عليه السلام قد نهانا أن نتسبب في دفع ما قدر بالخروج وأمر بالتسبب في دفع البلاء بأسباب الطاعات وهو قوله: «**ادفعوا البلاء بالصدقة**» =

3474 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الفُرَاتِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، ....

الهمزة وسكون الفاء ورد هذا بأنه لا يقال أفرّ إفرارًا وإنما يقال فر فرارًا إلا ههنا غلط من الراوي والصواب حذفها. وقيل إنها زائدة.

وفي ثبوت زيادة إلا في كلام العرب كلام ووجه طائفة النصب على الحال وجعلوا لا للإيجاب لا للاستثناء وتقديره لا تخرجوا إذا لم يكن خروجكم إلا فرارًا منه وأباح الخروج لغرض آخر كالتجارة ونحوها.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: إن أبا النضر فسر قوله ﷺ: «**فلا تخرجوا فرارًا منه**» بأن المراد منه الحصر يعني أن الخروج المنهي عنه هو الذي يكون لمجرد الفرار لا لغرض آخر فهو تفسير للمعلل المنهي لا للنهي أو أنه زاد بعد رواية لا تخرجوا فرارًا قوله: «**لا يخرجكم إلا فرارًا**» فيكون أَيْضًا تفسيره نقلا من رَسُول اللَّه ﷺ لا من تلقاء نفسه.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في ترك الحيل أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الطب، وَالتِّرْمِذِيّ في الجنائز، وَالنَّسَائِيّ في الطب.

(**حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ**) التبوذكي قَالَ: (**حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الفُرَاتِ**) بضم الفاء وتخفيف الراء وبالمثناة الفوقية المروزي ثم البَصْريّ مات سنة سبع وستين ومائة قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ**) بضم الموحدة مصغر بردة أي: ابن الحصيب بالمهملتين قاضي مرو وتقدم في الحيض.

(**عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ**) بفتح الياء وسكون العين المهملة وفتح الميم وبالراء البَصْريّ النحوي القاضي أَيْضًا بمرو التابعي الجليل.

= وقوله جل جلاله: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: 43] فدل أنهم لو تسببوا بالدعاء والضراعة عند نزول البلاء لرفع عنهم والجمع بينهم بقوله عليه السلام: «**لا ينال ما عند اللَّه إلا بطاعة اللَّه**» وما عند اللَّه للعبيد إما خير يطلبونه منه أو شر يدفعه عنهم فلا ينال واحد منهما إلا بطاعته عز وجل فإن التسبب في ذلك بغيرهما لا ينفع ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [الذاريات: 50] أي: إن أردتم الخير والسلامة من الشر ففروا إلي والفرار إلى اللَّه سبحانه وتعالى وإنما هو بامتثال أمره واجتناب نهيه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَنِي: «أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ»[1].

(عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ) أنها (قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَنِي: أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ) كلمة من زائدة.

(يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ) أي: يستقر فيه ولا يخرج (صَابِرًا) حال وكذا قوله: (مُحْتَسِبًا) إما مترادفة أو متداخلة وكذا قوله: (يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ) استثناء من أعم

---

(1) طرفاه 5734، 6619 - تحفة 17685. قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على ثلاثة أحكام؛ **الأول**: أن الطاعون عذاب يصيب الله به من يشاء، **الثاني**: أنه رحمة للمؤمنين وإن كان في نفسه بلاء لكن بما يترتب عليه للمؤمن من الرحمة إذا أرسل عليه عاد الأمر رحمة، لأن الحكم للعاقبة ولذلك «إذا كان يوم القيامة يؤتى بأكثر الناس بلاء في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة، فيقال له هل رأيت بؤسًا قط فيقول لم أر بؤسًا قط» ولذلك لما نظر أهل العقول والسلوك إلى عواقب الأمور هانت عليهم أنفسهم وحلالهم ما حملوه من التعب والمجاهدات عرفوا فصبروا فربحوا هنا هم من أعطاهم وألحق في الخير العاجز منا ما جاراهم وحباه وأدناه لا رب سواه، **والوجه الثالث**: الإخبار بأنه ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد.
والكلام عليه من وجوه:
أن يقال ما معنى قوله: (صابرًا محتسبًا) فمعناه أن يوطن نفسه على الصبر على ذلك البلاء إن لحقه منه شيء، ومعنى محتسبًا نفسه على الله تعالى ومع ذلك فيكون موقنًا بأن لا يصيبه من ذلك إلا ما كتب عليه وإن كان لم يكتب عليه منه شيء فلا يصير منه شيء.
ويترتب على ذلك من الفقه وجوه:
أن الأسباب وإن ظهر لها تأثير أنها لا تضر ولا تنفع إلا بحسب ما سبق في علم الله تعالى من نفي أو إثبات.
العلم بأن كل كائنة تقع في الوجود من خير أو شر دقت أو جلت عمت أو خصت أنها في كتاب مسطور ومما يقويه قوله عز وجل: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: 22] فتكون فائدة تلك قوة الإيمان وهو أعلى المراتب وعدم الفزع من الحوادث فإنه لا يندفع به ما يلحقه منه.
ومنها: الصبر على ذلك وهو مأجور عليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ =

الأحوال أي: ليس أحد من الأحوال إلا حال كان كذا.

= [الزمر: 10].
ما يحصل من الثناء الجميل عليه وربما يهون عليه الأمر أكثر ما يكون على غيره.
(وفيه بحث) وهو أن يقال لم قال في هذا الحديث: «**أنه بلاء يرسله اللّه على من يشاء**» وقال في الذي قبله: «**إنه أرسل على من كان قبلكم**».
(فالجواب): إن فائدة الحديث الذي قبل في المعنى التسلي والتأنيس لأنه بإخباره عليه السلام أنه أرسل على من كان قبل ذهب من القلوب خوف عظيم وهو أن يكونوا هم قد خصوا بهذا البلاء العظيم فيكونون يخافون أنهم ممن غضب عليهم ولعله يؤول إلى الخسارة الدائمة فلما علموا أنهم لم يكونوا مخصوصين وقد تقدم لغيرهم ذهب ذلك الخوف العظيم وبقي من جملة بلايا الدنيا يصيب به من يشاء وهذا الحديث الذي نحن بسبيله فيه وجوه من البشارة: أنه من أصابه منه شيء من هذه الأمة فهو رحمة له فيهون عليه ما يحمله منه لما يرجو فيه من رحمة اللّه تعالى ولذلك ذكر عن سعد رضي اللّه عنه أنه مات بالطاعون فكان إذا اشتد عليه يغمى عليه فإذا أفاق يقول اللّهم اشدد عليَّ خنقك فإنك تعلم أن قلبي يحبك هكذا حتى قضي رحمه اللّه.
(**والوجه الثاني**) الإعلام بتفضيل هذه الأمة على من تقدمها يؤخذ ذلك من أن الطاعون كان لمن قبلهم بلاء وهو لهم رحمة.
(**والوجه الثالث**) وهو أن الذي يصيبه اللّه به من هذه الأمة ليس من أجل ذنب وقع منه يؤخذ ذلك من قوله يصيب به من يشاء لا عن شيء يوجب إرساله عليه بل بتخصيص المخصص له بذلك فيدخل به في قوله ﷺ: «**إن من أمتي لمن يساق إلى الجنة بسلاسل**» وهم أهل المصائب في الدنيا منَّ اللّه علينا بدار كرامته بلا محنة بفضله.
وفيه: إرشاد إلى التأدب مع القدرة وهو أن لا يتحكم عليها بتفضيل العباد عندها من أجل ما يرى عليهم من النعمة ولا لتحقير العباد عندها بما يرى عليهم من النقمة يؤخذ ذلك من جعل هذا البلاء العظيم رحمة فمن باب أولى ما هو أقل منه وقد أثنى اللّه عز وجل على أهل البلاء وعلى أهل النعماء إذا وفى كل واحد منهما ما أمر به فقال في أهل البلاء: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: 155، 157] وقال عز وجل في أهل النعماء: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: 7] وقال: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] وذم عز وجل من رجح الحالة الحسنة عنده من أجل إظهار نعمائه وذم ضدها بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: 15، 16].
وفيه: دليل على كثرة الأجور في الأعمال إنما هي بقدرة قوة اليقين والإيمان يؤخذ ذلك من أنه عليه السلام أول الحديث جعله رحمة ثم قال في آخره «**صابرًا محتسبًا أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللّه له إلا كان له مثل أجر شهيد**» فالزيادة التي بين الدرجتين إنما هي من أجل قوة =

3475 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، ....

وفي الحديث بيان عناية اللّه تَعَالَى بهذه الأمة المكرمة حيث جعل ما جعله عذابا لغيرهم رحمة لهم ولطفًا بهم وهذا الحديث مثل الحديث السابق في المطابقة للترجمة.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا لَيْثٌ) هو ابن سعد، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ)

= الإيمان الذي وصل به إلى أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللّه له يشهد لذلك قوله عليه السلام: «**ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلة ولكن بشيء وقر في صدره**».

(وهنا بحث): وهو أن يقال لم قال مثل أجر شهيد ولم يقل له شهادة فإن الشهادة ما أعظم قدرها إلا من أجل ما نال صاحبها من الأجر والشهادة أمر آخر زائد على الأجر فظاهر الأمر أن الشهادة شيئان كثرة الأجر وأمور أخر زائد على ذلك.

منها: أنهم لا يحاسبون وإنما يقومون من قبورهم إلى قصورهم.

ومنها: أنهم يشفعون في غيرهم وأشياء من أنواع الإكرام عديدة وقد جاء أن الطاعون شهادة إلا أنه إذا وقع بشخص وهو على الحالة المتقدم ذكرها من الصبر والاحتساب فيكون الجمع بينهما بأنه من صبر واحتسب ولم يصبه منه شيء كان له مثل أجر شهيد فإن أصابه منه شيء وهو صابر محتسب كان شهيدًا واللّه أعلم كما جاء أنه من طلب الشهادة من اللّه تعالى صادقًا ولم يقض له بها أنه يكون له أجر شهيد فليس وقوع الحال كتمنيه بينهما.

(وهنا بحث): وهو أن يقال في قوله له (مثل أجر شهيد) هل ذلك تفضل من المولى سبحانه وتعالى على العبيد لا يعقل له معنى من الحكمة أو بينهما مناسبة من جهة الحكمة أما النسبة التي بينهما من أجل الحكمة فظاهرة وهي أن الذي يخرج للجهاد إنما فعل فعلًا شأنه إذهاب النفوس والسلامة فيه إنما هي بالقدرة التي لا يغلبها غالب وهو يخرج لذلك الأمر صابرًا محتسبًا موقنًا أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللّه عليه فأشبه الذي يجلس في بلده بعد وقوع الطاعون محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب اللّه له فإن الطاعون أمر معه الموت لمن أصابه لا محالة ولا ينجو منه إلا بالقدرة التي ليس لها مثال فالشبه واقع من الأجر في الوجهين جميعًا بمجرد الفضل لكن لا تنظر حكمة الحكيم الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] إلا بعد وقوع الفعل وإثبات الحكم فيه منه وإلا القياس هناك ممنوع.

وهنا دليل: على أن الحق في الأمور الطريق الوسط حال بين حالين وأصله التأدب وعدم الاعتراض يؤخذ ذلك مما تقدم في هذا الحديث وغيره فتارة يؤمر بالنظر والتدبير وحمل الأمور على ما جرت به العادة غالبًا وتارة يؤمر بالتسليم وعدم الالتفات إلى شيء من الأشياء إلا مجرد التسليم وعبودية محضة فالذين أرادوا أن يحملوا الأمر على طريق واحد ويتسلطوا بعقولهم إلا مجرد في غاية الحمق والجهل لأنه من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ كذلك حكمته ليس مثلها حكمة حكيم ولا نسبة بينهما لكن شأن ما أخذ به أهل السنة وهو الوقوف مع الأمر والنهي على ما هو بلا اعتراض ولا زيادة ولا نقص وهو الذي يعطيه طريق العقل لمن حققه جعلنا اللّه منهم بلا محنة بمنه وكرمه.

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأَيْمُ اللَّهِ ....

الزُّهْرِيّ، (**عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ**) أي: حزنهم (**شَأْنُ الْمَرْأَةِ**) أي: حال المرأة (**الْمَخْزُومِيَّةِ**) بالمعجمة وبالزاي وهي فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسود بنت أخي أَبِي سلمة عَبْد اللَّه بن عبد الأسود (**الَّتِي سَرَقَتْ**) وكانت سرقت حليًّا وكان ذلك في غزوة الفتح وقتل أبوها كافرًا يوم بدر وكان حلف ليكسرن حوض رَسُول اللَّه ﷺ فقاتل حتى وصل إليه فأدركه حمزة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وهو يكسره فقتله فاختلط دمه بالماء.

(**فَقَالَ**) أي: قريش: (**وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا**) أي: في المرأة المخزومية أي: لأجلها (**رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ**) أي: من يتجاسر عليه.

(**إِلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) بكسر المهملة وتشديد الموحدة بمعنى المحبوب.

(**فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟**) الهمزة فيه للاستفهام الإنكاري.

(**ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ**) ويروى إنما هلك الذين بدون الهمزة.

(**أَنَّهُمْ**) بفتح الهمزة (**كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأَيْمُ اللَّهِ**) اختلف في همزته هل هي للوصل أو للقطع وهو من ألفاظ القسم نحو لعمر اللَّه وعهد اللَّه وفيه لغات كثيرة وتفتح همزته وتكسر.

قَالَ ابن الأثير: وهمزتها وصل وقد تقطع وأهل الكوفة من النحاة يزعمون أنه جمع يمين حذفت نونه لكثرة الاستعمال، وغيرهم يقولون هو اسم موضوع للقسم.

لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(1).

(**لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**) وفيه النهي عن الشفاعة في

---

(1) أطرافه 2648، 3732، 3733، 4304، 6787، 6788، 6800 - تحفة 16578.
أخرجه مسلم في الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره رقم 1688.
قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على منع الشفاعة في حد من حدود الله تعالى.
والكلام عليه من وجوه:
أنه ينبغي أن يختار في الشفاعة من له إدلال على الذي يشفع عنده وحرمة يؤخذ ذلك من قولهم من يكلم فيها رسول الله ﷺ فلم يرجحوا جميعهم إلا من كان أكثرهم إدلالًا عليه ﷺ وله عنده حرمة وهو أسامة بن زيد لأنه كان ابن مولاه عليه السلام وبالقطع أن أبا بكر وعمر وجميع الخلفاء وأعمامه عليه السلام أرفع عنده من أسامة بن زيد وأكثر حرمة لكن الإدلال له خصوصية أخرى.
وفيه: دليل على أن الخديم أكثر إدلالًا على مخدومه من غيره وله حرمة الخدمة أيضًا ولذلك كان أهل الصوفية أكثر إدلالًا لدوام خدمتهم وكثرة وقوفهم بالبال ومن هناك الربح الحقيقي وقد روي عن بعضهم أنه كل ليلة كان يأتي باب الملك الذي كان في بلده مقيمًا وكان من عادة ذلك الملك أن كل من يخدم له وجه من وجوه مصالحه وضرورياته يأتي بابه ويدفع له خازنه أجرته يومًا بيوم على قدر عمله فكان ذلك السيد يأتي خازن الملك كل ليلة مع أولئك الخدم فيقول له أعطني أجرتي فيقول له الخازن لو خدمت كنت تأخذ كما يأخذ من خدم فيقول له فما يأخذ الأجرة إلا من يخدم فيقول بذلك أمرت فيقول لنفسه اسمعي من يخدم يأخذ ومن لا يخدم لا يأخذ فإن خدمت أخذت وإلا يأخذ غيرك ولا تأخذي أنت شيئًا فكان يؤدب نفسه كل ليلة بهذا ويحملها على دوام الخدمة وفهموا ففهموا وعرفوا فعرفوا.
وفيه: دليل على أن ترك الحدود سبب للهلاك يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه**».
وفيه: دليل على أن لا يكون المأمور مطيعًا لأمره حتى يوفي في جميع ما به أمر وإن ترك البعض كانوا يقيمون بعض الحدود فإنهم إذا سرق عندهم الضعيف أقاموا الحد فتراهم فعلوا بعض ما به أمروا فلما لم يقيموه على الغنى أسقطوا بعضه فوقع العقاب عليهم فأهلكوا.
وفيه: دليل على أن الحدود على جميع الناس كلهم على حد سواء يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».
وفيه: دليل على فضل فاطمة على غيرها من أهل البيت يؤخذ ذلك من أنه عليه السلام لم يذكر اسمها في التمثيل إلا على وجه الترفيع ولو كان فيهم رضي الله عنهم أرفع لذكره يشهد لذلك قوله عليه السلام في حقها: «**فاطمة بضعة مني**» وهذا لم يخص به غيرها.
وفيه: دليل على أن القدر جار على الرفيع والوضيع يؤخذ ذلك من أنه عليه السلام أخبر عن من كان قبلنا أن ذلك كان فيهم في الشريف والضعيف وهذا أيضًا متعارف إلى هلم جرًّا أن المعاصي يجري القدر بها على من شاء من رفيع ووضيع. =

الحدود ولكن ذلك بعد بلوغه إلى الإمام وفيه منقبة ظاهرة لأسامة رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

ومطابقة للترجمة فِي قَوْلِهِ: «**إنما أهلك الذين من قبلكم**» فإن المراد منهم بنو إسرائيل كما يدل عليه قوله في بعض طرقه أن بني إسرائيل كانوا، الحديث.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في فضل أسامة، وفي الحدود أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الحدود، وكذا أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيّ فيه، وَالنَّسَائِيّ في القطع، وابن ماجة في الحدود.

= وفيه: دليل على أن وجوب الحكم في الشيء يسقطه عن ضده يؤخذ ذلك من أن الهلاك فيمن تقدم كان بتركهم الحدود فبتوفيتها تكون النجاة وقد جاء في ذلك صريحًا في الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: 66] والآي في هذا كثيرة وأما السنة فقوله ﷺ: «**لأن يقام حد من حدود اللّه تعالى في بقعة خير من أن تمطر عليهم السماء ثلاثين يومًا**» ومن طريق آخر أربعين يومًا والآثار فيه كثيرة أيضًا.

وفيه: دليل على هيبة النبي ﷺ عند الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين وكثرة حيائهم منه يؤخذ ذلك من قولهم: (ومن يجترئ عليه) وقد روي عنهم رضوان اللّه عليهم أنهم كانوا يتمنون أن يسألوا النبي ﷺ فلا يقدرون على ذلك مع كثرة تواضعه ﷺ لهم ورحمته بهم حتى كانوا يتمنون أن يجيء من البادية من يسأله فيسمعون جوابه عليه السلام للسائل.

(وفي هذا دليل) على قوة إيمانهم وكثرة تقواهم رضي اللّه عنه لأن اللّه عز وجل يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: 32] وأي شعائر أعظم من إكرامه ﷺ وترفيعه.

وفيه: دليل على جواز القسم من السيد لمن هو دونه تأكيدًا في التصديق فإن كان صادقًا في نفسه فإنه لا يقطع بالصدق قسمه إلا من هو صادق في قوله حسن في حاله يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**وأيم اللّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

وفيه: دليل على أن حكاية حال المعصية أن لو كانت تقع ممن ليس لها أهلًا ويسمى باسمه إن ذلك ليس بنقص فيه ولا يلحقه منه شؤم ولا معرة يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» فلو كان في ذلك شيء مما ذكرنا أو مما يشبهه لم يقله ﷺ في أحد من الخلق فكيف في هذه السيدة التي قال عليه السلام في فضلها: «**يريبني ما رابها**».

وفيه: دليل على أن تعليقك فلا يؤلم شخصًا بشرط أن يقع منه موجب له ليس بقبيح ولا فيه تغيير للنفوس يؤخذ ذلك من قوله ﷺ: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**» لأن قطع اليد مما يؤلم لكن لما جعل الشرط فيه وقوع شيء من الشخص يوجبه له وهي السرقة لم يضره ذلك ولا يشوش عليه وإنما التشويش بالحقيقة المخالفة إذا وقعت ولذلك قال لا تبكين لوقوع ذنبك وإنما يبكيك موجبه وعليه فاندم.

3476 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَيْسَرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّزَّالَ بْنَ سَبْرَةَ الهِلالِيَّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»(1).

3477 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»(2).

(**حَدَّثَنَا آدَمُ**) هو ابن أَبِي إياس قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ ابْنُ مَيْسَرَةَ**) ضد الميمنة.

(**قَالَ: سَمِعْتُ النَّزَّالَ**) بفتح النون وتشديد الزاي وباللام.

(**ابْنَ سَبْرَةَ الهِلالِيَّ**) وقد مر في الخصومات مع الحديث.

(**عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ**) آيَةً، (**وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ**) ويروى: الكراهة.

(**وَقَالَ: «كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»**) ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ فإن من كان قبلكم اختلفوا وقد مضى الكلام فيه في الخصومات.

(**حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبِي**) حفص بن غياث بن طلق النخعي الكوفي قاضيها قَالَ: (**حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**شَقِيقٌ**) هو ابن سلمة أبو وائل قَالَ: (**قَالَ عَبْدُ اللَّهِ**) أي: ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»**) قَالَ الْعَيْنِيّ: والظاهر أنه كان من أنبياء بني إسرائيل فيطابق الحديث الترجمة.

---

(1) طرفاه 2410، 5062 - تحفة 9591.

(2) طرفه 6929 - تحفة 9260 - 214/ 4.

أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم 1792.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ لم أقف على اسم هذا النَّبِيّ صريحًا ويحتمل أن يكون هو نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد ذكر ابن إِسْحَاق في المبتدأ وَأَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم في سورة الشعراء من طريق ابن إِسْحَاق قَالَ حَدَّثَنِي من لا أتهم عن عبيد بن عُمَر اللَّيْثِيّ أنه بلغه أن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قَالَ اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وإن صح ذلك فكان ذلك كان في ابتداء الأمر ثم لما يئس منهم قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26] وقد ذكر مسلم بعد تخريج هذا الحديث حديث أنه ﷺ قَالَ في قصة أحد «**كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم**» فأنزل اللّه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ومن ثمة قَالَ الْقُرْطُبِيّ أن النَّبِيّ ﷺ هو الحاكي والمحكي كما سيأتي.

وأما النووي فَقَالَ هذا النَّبِيّ الذي جرى له ما حكاه النَّبِيّ ﷺ من المتقدمين وقد جرى لنبينا ﷺ نحو ذلك يوم أحد انتهى.

وذلك أنه يحتمل أنه لما وقع للنبي ﷺ ذكر لأصحابه أنه وقع لنبي آخر قبله يعني أنه لما شج وجهه يوم أحد وجرى الدم منه استحضر في تلك الحالة قصة ذلك النَّبِيّ الذي قبله فذكر قصته لأصحابه تطييبًا لقلوبهم.

وقد أغرب الْقُرْطُبِيّ حيث قَالَ إن النَّبِيّ ﷺ هو الحاكي وهو المحكي عنه قَالَ وكأنه أوحى إليه بذلك قبل وقوع القصة ولم يسم ذلك النَّبِيّ ﷺ فلما وقع له ذلك تعين أنه هو المعنيّ بذلك وغرابته لا تخفى.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ ما حاصله أنه على تقدير كونه نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يحصل المطابقة بين الحديث والترجمة فإن الترجمة في بني إسرائيل ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قبل بني إسرائيل بمدة متطاولة وكذا على تقدير كونه نبينا ﷺ كما لا يخفى.

فائدة:

وفي صحيح ابن حبان من حديث سهل بن سعد أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، قَالَ ابن حبان: معنى هذا الدعاء أنه قاله يوم أحد لما شج وجهه أي: اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا أنه أراد الدعاء لهم

3478 - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا

بالمغفرة مُطْلَقًا إذ لو كان كذلك لأجيب ولأسلموا كلهم كذا قَالَ فليتأمل.

وهذا الحديث قد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في استتابة المرتدين أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في المغازي وابن ماجة في الفتن.

(**حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ**) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ**) بفتح المهملة الوضاح بن عَبْد اللّه اليشكري.

(**عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عُقْبَةَ**) بضم المهملة وسكون القاف.

(**ابْنِ عَبْدِ الغَافِرِ**) أَبُو نهار الأزدي الكوفي ليس له في الْبُخَارِيّ سوى هذا الحديث وحديث آخر تقدم في الوكالة وقد بين في الرواية الآتية المعلقة سماع قَتَادَة من عقبة المذكور.

(**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ**) الخدري (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلا كَانَ قَبْلَكُمْ، رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا**) بفتح الراء والغين المعجمة والسين المهملة أي: أعطاه اللّه مالًا.

وقيل: أكثر له وبارك فيه وهو من الرغس وهو البركة والنماء والخير ورجل مرغوس كثير المال والخير.

وقيل: رغس كل شيء أصله فكأنه قَالَ هل له أصل من مال.

ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم رأسه اللّه بهمزة بدل الغين المعجمة.

قَالَ ابن التين: وهو غلط فإن صح من جهة الرواية فكأنه كان راشه يعني بألف ساكنة بغير همز وشين معجمة من الريش والرياش وهو المال انتهى.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ويحتمل في توجيه رواية مسلم أن يقال رأسه جعله رأسًا فيكون بتشديد الهمزة وقوله مالًا أي: بسبب المال.

(**فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ**) على البناء للمفعول أي: لما حضره الموت.

(**أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا**

مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ وَقَالَ مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الغَافِرِ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[1].

مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي) وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ ثم أذروني بزيادة همزة مفتوحة أوله فالأول بمعنى دعوني أي: اتركوني والثاني من قوله أذرت الريح الشيء إذا فرقته بهبوبها.

(**فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**) أي: شديد ريحه، (**فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟**) أي: أي: شيء حملك على هذه الوصية.

(**قَالَ: مَخَافَتُكَ**) أي: حملتني مخافتك أي: لأجل الخوف منك فعلت ذلك فيكون ارتفاع مخافتك بالفعل المحذوف.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: مرفوع بأنه مبتدأ محذوف الخبر أو بالعكس ويروى بالنصب على نزع الخافض أي: لمخافتك هذا. والذي ذكر سابقًا أوجه وأنسب على ما لا يخفى على من يعرف كلام العرب.

(**فَتَلَقَّاهُ**) بالقاف (**بِرَحْمَتِهِ**) كذا عند أَبِي ذَرٍّ بالقاف أي: استقبله.

وفي رواية: فتلفّاه بالفاء برحمته.

وَقَالَ ابن التين: لا أعلم للفاء وجهًا إلا أن يكون أصله فتلففته رحمته أي: غشته فلما اجتمعت الفاآت الثلاث أبدلت الأخيرة ألفًا فصارت فتلفاه.

ويروي: فتلافاه وهي رواية الكُشْمِيهَنِيّ.

(**وَقَالَ مُعَاذٌ**) العنبري: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ**) أنه (**سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الغَافِرِ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) وهذا التعليق وصله مسلم عن عُبَيْد اللّه بن معاذ العنبري عن أبيه أنا شعبة عن قَتَادَة سمع عقبة ابن عبد الغافر يقول سمعت أبا سَعِيد الخدري رَضِيَ اللّه عَنْهُ يحدث عن النَّبِيّ ﷺ: «**أن رجلًا فيمن كان قبلكم راشه اللّه تَعَالَى مالًا وولدًا فَقَالَ لولده لتفعلن ما آمركم به أو لأولين ميراثي غيركم إذا أنا مت فأحرقوني وأكبر علمي أنه**

---

(1) طرفاه 6481، 7508 - تحفة 4247.
أخرجه مسلم في التوبة باب في سعة رحمة اللّه تعالى وأنها سبقت غضبه رقم 2757.

3479 – حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيِّ ابْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ لِحُذَيْفَةَ: أَلا تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ المَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي فِي اليَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ، ....

قَالَ ثم اسحقوني وأذروني في الريح فإني لم أبتهر عند اللّه خيرًا وأن اللّه يقدر على أن يعذبني قَالَ فأخذ منهم ميثاقًا ففعلوا ذلك به وربي فَقَالَ اللّه تَعَالَى: ما حملك على ما فعلت؟ قَالَ مخافتك قَالَ: فما تلافاه وعندها غفر له» كذا في نسخة وفي أكثر النسخ فما تلافاه غيرها أمر غير المخافة يعني أن غفر له وأما النسخة الأولى فلا أعرف لها وجهًا.

(**حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ**) الوضاح اليشكري، (**عَنْ عَبْدِ المَلِكِ ابْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ**) بكسر الراء.

(**ابن حراش**) بكسر المهملة أنه (**قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ**) هو عقبة بن عُمَر وأبو مَسْعُود الأَنْصَارِيّ البدري لا عقبة بن عبد الغافر المذكور آنفًا فلا يلتبس عليك.

(**لِحُذَيْفَةَ**) أي: ابن اليمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**أَلا تُحَدِّثُنَا**) كلمة ألا للعرض والتحضيض ومعناها طلب الشيء ولكن العرض طلب بلين والتحضيض طلب بحث وألا هذه تختص بالفعلية.

(**مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ**) أي: حذيفة: (**سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ المَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ**) وفي نسخة: يئس (**مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ**) ويروى: أوصى أهله: (**إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا**) بفتح الهمزة وسكون الواو وضم الراء أمر من أورى يوري يقال ورى الزند يري إذا خرجت ناره وأوراه غيره إذا استخرج ناره أي: أقدحوا وأشعلوا نارًا (**حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ**) بفتح اللام أي: وصلت (**إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي**) بضم الذال وتشديد الراء من ذررت الشيء أذرّه ذرًّا إذا فرقته.

(**فِي اليَمِّ**) أي: في البحر (**فِي يَوْمٍ حَارٍّ**) أي: شديد الحر.

قَالَ الْجَوْهَرِيّ: حر النهار فيه لغتان تقول حررت يا يوم بالفتح وحررت

أَوْ رَاحٍ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتَكَ، فَغَفَرَ لَهُ قَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ: حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ، وَقَالَ: «فِي يَوْمٍ رَاحٍ»(1).

بالكسر وأحر النهار لغة فيه سمعها الكسائي(2).

(**أَوْ رَاحٍ فَجَمَعَهُ اللَّهُ**) أي: جمع جسده لأن التحريق والتفريق إنما وقع عليه وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث وفي حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن أَبِي عوانة في صحيحه فَقَالَ اللَّه كن فكان كأسرع من طرف العين.

(**فَقَالَ**) أي: اللَّه تَعَالَى: (**لِمَ فَعَلْتَ؟**) أي: هذا، (**فَقَالَ: خَشْيَتَكَ**) أي: من أجل خشيتي منك ويروى خشيتك بدون من فيقال مرفوع بأنه مبتدأ محذوف الخبر أو بالعكس أو منصوب بنزع الخافض أي: لخشيتك ويروى بلفظ الفعل.

(**فَغَفَرَ لَهُ قَالَ عُقْبَةُ**) أي: عقبة بن عمرو البدري: (**وَأَنَا سَمِعْتُهُ**) أي: النَّبِيّ ﷺ (**يَقُولُ**) أي: ذلك: (**حَدَّثَنَا مُوسَى**) هو ابن إِسْمَاعِيل التبوذكي.

وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: حَدَّثَنَا مسدد وصوب أَبُو ذر رواية الأكثرين أي: حَدَّثَنَا مُوسَى وجزم أَبُو نعيم في المستخرج أنه عن مُوسَى ومسدد جميعًا فإنهما قد سمعا من أَبِي عوانة لكن الصواب هنا مُوسَى لأن المصنف ساق الحديث عن مسدد ثم بين أن مُوسَى خالفه في لفظه منه وهي قوله في يوم راح فإنه فِي رِوَايَةِ مسدد يوم حار وقد تقدم سياق مُوسَى في أول باب ذكر بني إسرائيل وَقَالَ فيه ثم انظروا يومًا راحًا.

(**حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ المَلِكِ**) هو ابن عمير المذكور.

(**وَقَالَ: «فِي يَوْمٍ رَاحٍ»**) أي: ذي ريح شديدة ويقال ذلك للموضع الذي

---

(1) قال الحافظ العسقلاني قوله في يوم حار بتخفيف الراء قال ابن فارس: الحور ريح تحنّ كحنين الإبل، وقال العيني وفي رواية المروزي حاز بحاء مهملة وزاي مشددة، ومعناه يحزّ ببرده أو حرّه، وكذا قيّده الأصيلي، وفي رواية القابسي في يوم حان بالنون، واقتصر ابن التين على هذه الرواية ثم نقل عن ابن فارس الحون ريح تحنّ كحنين الإبل، قال: فعلى هذا ينبغي أن يقرأ في يوم حان بتشديد النون يريد حانّ ريحه فليتأمل.

(2) طرفاه 3452، 6480 - تحفة 3312، 9984.

قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث يدل على أن الخشية لله من موجبات المغفرة. والكلام عليه من وجوه؛ منها: أن يقال كيف فعل هذا بنفسه ما فعل وظن أن ذلك منج له =

تخترقه الرياح أَيْضًا قَالَ الْجَوْهَرِيّ يوم راح شديد الريح وإذا كان طيب الريح

= من اللّه عز وجل فإن كان هذا الشخص غير مؤمن فليس تناله الرحمة وقد نالها وإن كان مؤمنًا فكيف يجتمع هذا الذي فعل مع الإيمان وقد جاء في رواية أخرى لئن قدر اللّه عليَّ ليعذبني عذابًا شديدًا.

(فالجواب): عن ذلك إما أن يكون غير مؤمن فلا لأن الحديث يدل على إيمانه لأنه أيقن بالحساب وإن السيئات يعاقب عليها وهذا علامة المؤمن وإما كونه فعل ذلك بنفسه فلعله كان في شريعتهم جائزًا ومثله لمن أراد التوبة مثل ما فعل بنو إسرائيل الذين لم تقبل توبتهم حتى قتلوا أنفسهم واحتمل أن يكون ذلك جهلًا منه ببعض الصفات وقد قال العلماء إن الجهل ببعض الصفات لا يخرج صاحبه عن الإيمان وقد يكون ذلك عن حال خوف عليهم حتى أخرجه عن حال التمييز وهو الأظهر واللّه أعلم لأن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه الذي سماه سيدنا الفاروق الذي فرق اللّه به بين الحق والباطل من أجل أن يوم إسلامه أظهر اللّه تعالى الإسلام وعبد اللّه جهرًا كان إذا ورد عليه الخوف يأتي باب حذيفة في الليل ويقول ناشدتك اللّه أنا ممن عدني النبي ﷺ في المنافقين فيقول حذيفة واللّه ما أنت منهم فيقول له إنك عندي لصادق ولكن عملي يشبه عملهم فيرجع إلى بيته فيبكي على نفسه حتى يصبح وربما التزم من ذلك الفراش حتى يعوده أصحابه وهو ممن يشهد له سيدنا ﷺ بالجنة لكن عند الخوف وقوته كان لا يلهم لشيء من ذلك ويخاف على نفسه أشد الأشياء وهو النفاق وآخر الحديث يصدق ذلك لكونه حين سأله جل جلاله: «**لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب**» فصدق اللّه تعالى مقالته وغفر له.

وفيه: دليل لأهل الأحوال الذين يقولون الحال حامل لا محمول لأن صاحبه لا يبقى له معه اختيار ولذلك قال ﷺ: «**لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاستويا**» فمن أحد وجوهه أنه بأيهما اتصف المؤمن بلغ مثل ما بلغ به صاحب القسم الآخر وقد قيل لبعض الفقراء في بعض أحواله إن جئتنا بالخوف أمنك وإن جئتنا بالرجاء بلغناك ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «**لئن قدر اللّه عليَّ**» بمعنى ضيق اللّه عليَّ بإقامة عدله سبحانه وتعالى فكون مثل قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: 87] معناه أن لن نضيق عليه وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر: 16] أي: ضيق عليه وهذا هو الظاهر واللّه عز وجل أعلم.

وفيه: دليل على عظيم قدرة اللّه تعالى يؤخذ ذلك من جمع ذلك الشخص بعد ما فعل بنفسه مثل ذلك الأمر وأظن أنه قد جاء من طريق آخر أن جمعه كان في مثل لمحة الطرف فسبحان من لا تعجز قدرته عن شيء أراده.

وفيه: دليل على جواز تسمية الشيء بما قرب منه يؤخذ ذلك من قوله حضره الموت ولم يعن بذلك إلا قرب ذلك بالعلامات الدالة عليه لأن عند حضوره الذي هو وقوعه لا يمكن ذلك الوقت وصية ولا غير ذلك وقوله يومًا راحًا أي: كثير الريح وقوله في اليم أي: في البحر وقد جاء من طريق آخر فنصفه في اليم ونصفه في البر.

وفيه: دليل على فضل هذه الأمة يؤخذ ذلك من كونها أطلعت على أخبار من قبلها مثل هذا وأمثاله ولم يطلع أحد على أخبارها لأنها آخر الأمم ومن فوائدها يترتب على الإخبار بهذا =

3480 - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»(1).

3481 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ،

يقال ريح بتشديد الياء.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: يوم راح أي: ذو ريح كما يقال مال أي: ذو مال والمراد من ذلك أن عبد الملك رواه بالإسناد المذكور مثل الرواية التي قبله إلا في هذه اللفظة وهذا يقتضي خطأ من أورده في الرواية الأولى بلفظ راح وهي رواية السرخسي وقد رواه أَبُو الوليد عن أَبِي عوانة وَقَالَ فيه ريح عاصف أَخْرَجَهُ المصنف في الرقاق.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا**) حَدَّثَنِي بالإفراد (**إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**) الزُّهْرِيّ، (**عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»**) قد مضى الحديث في البيوع في باب من أنظر معسرًا غير أن فيه كان تاجر يداين الناس، ولا يذهب أنه لو أخذ هذا الحديث عن الحديث الآتي لكان أنسب.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ**) المعروف بالمسندي قَالَ: (**حَدَّثَنَا هِشَامٌ**) هو ابن يُوسُف الصنعاني وكان قاضيا قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ**) هو ابن راشد، (**عَنِ الزُّهْرِيِّ**

= الحديث أن تعلم قدر ما منَّ اللّه تعالى علينا به من قبول التوبة في مثل هذا الوقت الذي فعل هذا الشخص هذا الأمر العظيم فيه بنفسه من تلك الوصية لقوله ﷺ: «**إن اللّه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» أي: تبلغ الروح إلى الحلقوم وهو عند معاينة ملك الموت من اللّه علينا بشكرها من نعمة ومن علينا بقبول التوبة قبل الغرغرة بفضله وقد قال: «**داو بمراهم التوبة جرح دينك فبرؤها أسرع من طرفة العين**» واحتمل في جميع أسبابها فلعل ميسر الأمور بفضله ييسرها.

(1) طرفه 2078 - تحفة 14108.

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ» ....

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ) تقدم في حديث حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه كان نبّاشًا وفي الرواية التي في الرقاق أنه كان يسيء الظن بعمله وفيه أنه لم يبتهر خيرًا وفي حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ: «**أن رجلًا كان قبلكم رغسه اللّه مالًا**» كما تقدم.

(**فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي**) بضم المعجمة وتشديد الراء فرقوني (**فِي الرِّيحِ**) وفي حديث معاذ عن شعبة عن مسلم في ريح عاصف.

(**فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي**) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ.

ووقع فِي رِوَايَةِ غيره لئن قدر اللّه عليَّ.

(**لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ**) على البناء للمفعول أي: فعل بذلك الرجل الذي أوصى به.

(**فَأَمَرَ اللّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ**) وفي حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن أَبِي عوانة في صحيحه فَقَالَ اللّه له كن فكان كأسرع من طرف العين.

(**فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ:**) مَخَافَتُكَ (**يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ**) وهذا جميعه كما قَالَ ابن عقيل إخبار عما سيقع له يوم القيامة وليس كما قَالَ بعضهم إنه خاطب روحه فإن ذلك لا يناسب قوله فجمعه اللّه لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد وهو الذي يجمع ويعاد عند البعث.

وَقَالَ غَيْرُهُ: «مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ»[1].

(وَقَالَ غَيْرُهُ: مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ) المراد منه هو عبد الرزاق فإن هشامًا روى عن معمر عن الزُّهْرِيّ بلفظ.

وروى عبد الرزاق عن معمر بلفظ: خشيتك بدل مخافتك وَأَخْرَجَهُ أحمد عن عبد الرزاق بهذا.

وقد وقع في حديث أَبِي سَعِيد: مخافتك.

وفي حديث حذيفة: خشيتك.

قَالَ الْخَطَّابِيّ: قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على الإحياء ويجاب بأنه لم ينكر البعث والقدرة على الإحياء وإنما جهل فظن أنه إذا أفعل ذلك لا يعاد فلا يعذب وأن تلك الحيلة تنجيه وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه فعل ذلك من خشية اللّه ومعنى قدر مخففًا ومشددًا حكم وقضى أو ضيق كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: 7] أي: ضيق.

وأما ما قاله ابن قتيبة من أنه قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك فرده ابن الجوزي وَقَالَ جحده صفة القدرة كفر اتفاقًا والجهل ليس بعذر.

وَقَالَ النووي: لعل هذا الرجل قَالَ ذلك وهو على ظاهر غير ضابط لنفسه وغير قاصد لمعناه من شدة جزعه وخوفه ودهشه بحيث ذهب مدبره فيما يقوله كما غلط الآخر فَقَالَ أنت عبدي وأنا ربك فصار كالغافل والناسي الذي لا يؤاخذ بما صدر منه.

وقيل: إنه كان في زمان ينفعه مجرد التوحيد وإثبات الصانع.

أو أنه كان في زمان الفترة فلم يبلغه شرائط الإيمان. وأظهر الأقوال ما قاله الإمام النووي.

وأبعدها بقول من قَالَ إنه كان في شرعه جواز المغفرة للكافر.

ومطابقة تلك الْأَحَادِيث للترجمة ظاهرة.

(1) طرفه 7506 - تحفة 12280 - 215/ 4.
أخرجه مسلم في التوبة باب في سعة رحمة اللّه تعالى وأنها سبقت غضبه رقم 2756.

3482 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ ابْنُ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلا سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[1].

3483 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ زُهَيْرٍ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ،

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ**) أي: ابن عبيد محراق الضبعي البَصْريّ ابن أخي جويرية ابن أسماء وهو شيخ مسلم أَيْضًا قَالَ: (**حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ ابْنُ أَسْمَاءَ**) مصغر جارية بالجيم على وزن حمراء من الأسماء المشتركة بين الذكور والإناث.

(**عَنْ نَافِعٍ**)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وفي نسخة (**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) وتلك النسخة أولى لأن عَبْد اللَّه إذا أطلق يتبادر الذهن إلى ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ**) أي: لأجل هرة (**سَجَنَتْهَا**) أي: حبستها (**حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا**) أي: بسببها فكلمة في في الموضوعين للسببية كما فِي قَوْلِهِ: «**في النفس المؤمنة مائة إبل**».

(**النَّارَ، لا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلا سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**) بفتح الخاء المعجمة وتخفيف الشين المعجمة الأولى أي: حشرات الأرض وهوامها وقد مر الحديث في أواخر بدء الخلق ومر أَيْضًا نحوه في الصلاة في باب ما يقرأ بعد التكبير ومر الكلام فيه هناك، وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الحيوان والأدب ومطابقته للترجمة من حيث إن تلك المرأة من بني إسرائيل.

(**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ**) هو أحمد بن عَبْد اللَّه بن يُونُس اليربوعي الكوفي.

(**عَنْ زُهَيْرٍ**) هو ابن معاوية الكوفي أنه قَالَ: (**حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ**) هو ابن معتمر الكوفي، (**عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ**) قد مر عن قريب أنه قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ**) أي: عمرو الأَنْصَارِيّ كذا وقع في النسخ وهو المعتمد. ووقع في نسخة حَدَّثَنَا آدم

---

(1) طرفاه 2365، 3318 - تحفة 7616.

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ»[1].

3484 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رِبْعِيَّ بْنَ حِرَاشٍ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[2].

قَالَ أَخْبَرَنَا شعبة عن منصور قَالَ سمعت ربعي ابن حراش يحدث عن أَبِي مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ والحديث محفوظ من رواية أَبِي مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وحكى الدارقطني في العلل أنه رواه إِبْرَاهِيم بن سعد عن منصور عن عبد الملك فَقَالَ عن ربعي عن حذيفة قَالَ ورواه أَيْضًا أَبُو مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة ولا يبعد أن يكون ربعي سمعه من أَبِي مَسْعُود ومن حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا جميعًا.

(قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ) بالرفع في جميع الطرق أي: مما أدركه الناس وجوز النصب أي: مما بلغ الناس.

(مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ) أي: مما اتفق عليه الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أي: مما ندب إليه الْأَنْبِيَاء ولَم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم لأنه أمر أطبقت عليه العقول.

وزاد أَبُو دَاوُدَ وأحمد وغيرهما وقالوا من كلام النبوة الأولى التي قبل نبينا ﷺ. وكذا وقع في بعض نسخ الْبُخَارِيّ.

(إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ) ويروى فافعل ما شئت والجملة الشرطية اسم أن أي: أن من ذلك هذا القول أو خبرها على أن كلمة من اسم بمعنى البعض وفيه وجوه:

أحدها: إذا لم تستحي من العتب ولم تخش العار فافعل ما تحدثك به نفسك حسنًا كان أو قبيحًا ولفظه أمر ومعناه توبيخ.

والثاني: أن يحمل الأمر على بابه أي: إذا كنت آمنًا في فعلك أن تستحيي منه لجريك فيه على الصواب وليس من الأفعال التي يستحيي منها فاصنع ما شئت من ذلك.

---

(1) طرفاه 3484، 6120 - تحفة 9982. (2) طرفاه 3483، 6120 - تحفة 9982.

3485 - حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ ....

الثالث: أن معناه الوعيد، أي: افعل شئت تجازي به كقوله تعَالَى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: 40].

الرابع: لا يمنعك الحياء من فعل الخير.

الخامس: انظر ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يستحيى منه فافعله وإن كان مما يستحيى منه فدعه.

السادس: أنك إذا لم تستحى من اللّه من شيء يجب أن لا يستحيى منه من أمر الدين فافعله ولا تبال بالخلق.

السابع: أن المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله أي: لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الاستحياء كما قال الحياء من الإيمان.

الثامن: أنه أمر تهديدي أي: اصنع ما شئت فإن اللّه يجزيك.

التاسع: أنه للمبالغة في ذم ترك الحياء أي: تركك الحياء أعظم مما تفعله والكل متقاربة المعاني.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله إن مما أدرك الناس من كلام النبوة فإنه يشمل بني إسرائيل وغيرهم، وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأدب أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فيه أَيْضًا، وابن ماجة في الزهد.

(**حَدَّثَنَا بِشْرُ**) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (**ابْنُ مُحَمَّدٍ**) أَبُو مُحَمَّد السَّخْتِيَانِيّ المروزي قَالَ: (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ**) هو ابن يزيد الأيلي، (**عن الزُّهْرِيِّ**) ابن شهاب أنه قَالَ: (**أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**سَالِمٌ**) هو ابن عَبْد اللّه بن عُمَر.

(**أَنَّ ابْنَ عُمَرَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (**حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاءِ**) هو التكبر الناشئ عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه.

(**خُسِفَ بِهِ**) جواب بينما بدون إذ وإذا (**فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ**) بالجيمين أي: يتزلزل ويتحرك (**فِي الأَرْضِ**) مضطربًا متدافعًا والجلجلة ببعض الحركة مع صوت وَقَالَ

إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» تَابَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ[1].

ابن دريد كل شيء خلطت بعضه ببعض فقد جلجلته وعن ابن فارس هو أن يسيح في الأرض مع اضطراب شديد وتدافع من شق إلى شق.

(إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن الرجل المذكور فيه كان من بني إسرائيل. وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ في الزينة أَيْضًا.

(تَابَعَهُ) أي: تابع يُونُس **(عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ)** أي: ابن مسافر هو أَبُو خالد الفهمي المصري مولى الليث بن سعد من فوق روى عن الليث وكان واليًا لهشام على مصر سنة ثماني عشرة ومائة، وعزل سنة تسع عشرة، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة.

(عَنِ الزُّهْرِيِّ) أي: في روايته عن ابن شهاب الزُّهْرِيّ ووصل هذه المتابعة

(1) طرفه 5790 - تحفة 6998، 6868.
قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث الإخبار بخسف الذي جر إزاره خيلاء وأنه في جوف الأرض لا يستقر له قرار إلى يوم القيامة.
والكلام عليه من وجوه: أن يقال ما الفائدة لنا بالإخبار بحاله فيه وجوه:
التحذير عن ارتكاب هذا الأمر الخطر.
بيان فضل هذه الأمة على من تقدم يؤخذ ذلك من أن من تقدم كانوا إذا وقعوا في الذنوب لم يؤخر لهم عقاب مثل ما فعل بهذا الأحاديث في هذا المعنى كثيرة وكان إذ أذنب أحد منهم ذنبًا أصبح على باب داره تسمية الذنب الذي فعله وما هو المخرج منه وهذا جزاء عظيم وقد منَّ اللّه بفضله على هذه الأمة ببركة نبيها ﷺ أن عافاهم من هاتين الخصلتين أما الكتب فما وقع منه في هذه الأمة شيء وأما الخسف فعوفوا منه إلا قليل من بعض المتمردين في بعض الأزمان وذلك نصرة للدين وقد قال ﷺ في شأن جر الإزار خيلاء: «**من جر إزاره خيلاء لا ينظر اللّه إليه يوم القيامة**».
وفيه: دليل على عظيم قدرة اللّه تعالى وأنها لا تجري إلا على قياس يؤخذ ذلك من كون الذي خسف به لا يستقر له قرار إلى يوم القيامة وهذا الزمان وطوله في مقدار الأرض وهو خمسمائة عام.
وفيه: دليل على حسن طريق القويم يؤخذ ذلك من أن كبر نفس هذا الشقي هو الذي رمى به إلى هذا الأمر العظيم وأهل الطريق قد عملوا على ذلها وهوانها لأن ضد المذموم هو مشكور فلما ذم اللّه تعالى كبر النفس وجعل من أجل ذلك لصاحب الخيلاء هذا العقاب الأليم فضد ذلك محمود عنده وقد نص الشارع ﷺ على ذلك بقوله: «**أوحي إليَّ أن تتواضعوا ولا يفخر بعضكم على بعض**» وقال عليه السلام: «**المؤمن هين لين**» وقال عليه السلام: «**ألا أخبركم بمن تحرم النار عليه تحرم النار على كل قريب هين سهل**» والأخبار في هذا كثيرة. =

3486 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ، يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْدَ كُلِّ أُمَّةٍ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا اليَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا، فَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»[1].

3487 - عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَوْمٌ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»[2].

الذهلي في الزهريات عن أَبِي صالح عن الليث عن عبد الرحمن.

(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) التبوذكي قَالَ: (حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ طَاوُسٍ) هو عَبْد اللّه بن طاوس، (عَنْ أَبِيهِ) طاوس بن كيسان، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: نَحْنُ الآخِرُونَ) أي: في الدنيا.

(السَّابِقُونَ) في الآخرة (يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْدَ) بفتح الموحدة وسكون المثناة التحتية وفتح الدال المهملة ومعناه غير يقال فلان كثير المال بيد أنه بخيل ويجيء بمعنى إلا وبمعنى لكن، وَقَالَ المالكي المختار عندي في بيد أن يجعل حرف استثناء بمعنى لكن لأن معنى إلا مفهوم منها ولا دليل على اسميتها والمشهور استعمالها متلوة بأن كما في الحديث الآخر أنا أفصح العرب بيد أني من قريش فالأصل فيه بيد أن كل أمة فحذف أن وبطل عملها وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وفيه لغة أخرى ميد بالميم.

وَقَالَ الطيبي: قيل معنى بيد على أنه وعن المزني سمعت الشَّافِعِيّ يقول بيد أي: من أجل (كُلِّ أُمَّةٍ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَا) ويروى وأوتينا (مِنْ بَعْدِهِمْ فَهَذَا اليَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا) فِيهِ معنى الاختلاف فيه أن فرض يوم للجمع للعبادة ووكل إلى اختيارهم فمالت اليهود إلى السبت والنصارى إلى الأحد وهدانا اللّه إلى يوم الجمعة الذي هو أفضل الأيام وهذا معنى قوله: (فَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَوْمٌ) هو يوم الجمعة (يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ) أشار

= وفي هذا دليل على أن هذا الذنب من أكبر الذنوب يؤخذ ذلك من أنه إذا كان يفعل به هذا الأمر العظيم حتى إلى يوم القيامة كيف يكون حاله يوم القيامة لا تقدره العقول من شدته ولا توهمه الأذهان.

(1) أطرافه 238، 876، 896، 2956، 6624، 6887، 7036، 7495 - تحفة 13522.

(2) طرفاه 897، 898 - تحفة 13522.

3488 - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ المُسَيَّبِ، قَالَ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ المَدِينَةَ آخِرَ قَدْمَةٍ، قَدِمَهَا فَخَطَبَنَا، فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ اليَهُودِ، «وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ الزُّورَ يَعْنِي الوِصَالَ فِي الشَّعَرِ» تَابَعَهُ غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ[1].

به إلى الاغتسال يوم الجمعة فإن له فضلًا عظيمًا حتى صرح في حديث صحيح أنه واجب وإليه ذهب مالك وآخرون.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد مضى في أول كتاب الجمعة من وجه آخر وزاد هنا قوله على كل مسلم إلى آخره.

(**حَدَّثَنَا آدَمُ**) أي: ابن أَبِي إياس قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ**) قَالَ: (**سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ المُسَيَّبِ، قَالَ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ المَدِينَةَ آخِرَ قَدْمَةٍ، قَدِمَهَا**) قدمها بفتح القاف وكان ذلك في سنة إحدى وخمسين.

(**فَخَطَبَنَا، فَأَخْرَجَ كُبَّةً**) بضم الكاف وتشديد الموحدة قَالَ الْجَوْهَرِيّ: الكبة الجر دهق من الغزل تقول كببت الغزل أي: جعلته كببًا وفي الحديث الذي مضى قصته.

(**مِنْ شَعَرٍ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ اليَهُودِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ الزُّورَ**) الزور الكذب والتزين بالباطل، (**يَعْنِي الوِصَالَ فِي الشَّعَرِ**) ولا شك أنه من الزور.

وفي الحديث: طهارة شعر الآدمي.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**تَابَعَهُ**) أي: تابع آدم (**غُنْدَرٌ**) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وآخره راء وهو لقب مُحَمَّد بن جعفر.

(**عَنْ شُعْبَةَ**) في روايته عنه وقد وصل هذه المتابعة مسلم وَالنَّسَائِيّ من طريقه وَأَخْرَجَهُ أحمد وابن أَبِي شيبة عن غندر.

---

(1) أطرافه 3468، 5932، 5938 - تحفة 11418 - 216/ 4.

وفي رواية مسلم: أن رَسُول اللّه ﷺ بلغه فسماه الزور.

خاتمة:

اشتمل كتاب أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء وما بعده من ذكر بني إسرائيل من الْأَحَادِيث المرفوعة على مائتي حديث وسبعة أَحَادِيث المكرر منها فيه وفيما مضى مائة سبعة وعشرون حديثًا والخالص اثنان وثمانون حديثًا المعلق منها ثلاثون طريقًا وسائرها موصول. وافقه مسلم على تخريجها سوى حديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا الأرواح جنود وحديث قَالَ رجل رأيت السدّ وهذان معلقان.

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ يلقى إِبْرَاهِيم أباه.

وحديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُ في قصة زمزم وبناء البيت بطوله.

وحديثه في تعويذ الحسن والحسين رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

وحديث سبرة بن معبد.

وحديث أَبِي الشموس.

وحديث أَبِي ذَرٍّ وهذه الثلاثة معلقات.

وحديث أم رومان في قصة الإفك.

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ خفف على داود القرآن.

وحديث عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ لا تطروني.

وحديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا في كراهية الاتكاء على الخاصرة.

وحديث عَبْد اللّه بن عمرو رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا بلغوا عني.

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن اليهود لا يصبغون.

وحديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا في الطاعون.

وحديث أَبِي مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ في الحياء. وفيه من الآثار عن الصحابة رضي اللّه عنهم فمن بعدهم ستة وثمانون أثرًا. واللّه تَعَالَى أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

61 ـ كِتَابُ المَنَاقِبِ

1 ـ باب قَوْل اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ **[الحجرات: 13]**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

61 ـ كِتَابُ المَنَاقِبِ

1 ـ باب قَوْل اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ **[الحجرات: 13]**

(**بِسْمِ اللّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيم باب المَنَاقِب**) قال الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: كذا في الأصول التي وقفت عليها من كتاب الْبُخَارِيّ وذكر صاحب الأطراف وكذا في بعض الشروح أنه قَالَ كتاب المناقب فعلى **الأول**: هو من جملة كتاب أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعلى **الثاني**: هو كتاب مستقل قَالَ والأول أولى فإن الذي يظهر من تصرفه أنه قصد به سياق الترجمة النبوية بأن يجمع فيه أمور النَّبِيّ ﷺ من المبتدأ إلى المنتهى فبدأ بمقدمتها من ذكر ما يتعلق بالنسب الشريف فذكر أشياء تتعلق بالأنساب ومن ثمة ذكر أمورًا تتعلق بالقبائل ثم النهي عن دعوى الجاهلية لأن معظم فخرهم كان بالأنساب ثم ذكره صفة النَّبِيّ ﷺ وشمائله ومعجزاته واستطرد منها لفضائل أصحابه ثم أتبعها بأحواله قبل الهجرة وما جرى له بمكة فذكر المبعث ثم إسلام الصحابة وهجرة الحبشة والمعراج ووفود الأنصار والهجرة إلى المدينة ثم ساق المغازي على ترتيبها عنده ثم الوفاة فهذا آخر هذا الباب وهو من جملة

تراجم الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وختمها بخاتم الْأَنْبِيَاء ﷺ انتهى.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: والأولى هو ما وقع في بعض النسخ من قوله كتاب المناقب لأن الكتاب يجمع الأبواب وفيه أبواب كثيرة تتعلق بأشياء كثيرة انتهى.

ولعل ما ذكره أولى فإنه حينئذ يكون ذكر مناقب نبينا ﷺ في كتاب مستقل تنبيهًا على كونه أفضل الْأَنْبِيَاء عليه وعليهم الصلاة والسلام واللّه تَعَالَى أعلم والمناقب جمع المنقبة وهي ضد المثلبة.

(**قَوْل اللّهِ تَعَالَى**) وفي بعض النسخ: باب قول اللّه تَعَالَى: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ **الآية**) أي: اقرأ الآية بتمامها وهي من سورة الحجرات قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد إلا وهو يدلي بما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل بالنسب.

ويجوز أن يكون تقريرًا للأخوة المانعة من الاغتياب (﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾) [الحجرات: 13] الشعوب رؤوس القبائل.

قيل: وهي ربيعة، ومضر، والأوس، والخزرج، وأحدها شعب بفتح الشين المعجمة في الموهب الشعب مثال كعب.

وعن ابن الكلبي بالكسر وفي نوادر الهجري لم يسمع فصيحًا بكسر الشين.

والشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة، والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ يجمع الفصائل، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهشام فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب لأن القبائل تتشعب منها.

وَقَالَ صاحب المنتهى: الشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم والشعوب الأمم المختلفة فالعرب شعب، وفارس شعب، والروم شعب، والترك شعب.

وفي المحكم الشعب هو القبيلة نفسها وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم والقبائل على جيل العرب.

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية: ثبت أنساب العرب ست مراتب وهي: شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخد ثم فصيلة، فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان سمي شعبًا لأن القبائل منه تشعّبت، ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيه أنساب الشعب مثل ربيعة ومضر، سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، ثم العمارة وهي ما انقسمت فيه أنساب القبائل كقريش وكنانة، ثم البطن وهي ما انقسمت فيه أنساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم ثم الفخد وهي ما انقسمت فيه أنساب البطن مثل بني هاشم وبني أمية ثم الفصيلة وهي ما انقسمت فيه أنساب الفخذ مثل بني العباس وبني أبي طالب، فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاد، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمائر، والشعب تجمع القبائل، فإذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبًا والعمائر قبائل وهكذا.

وفي تهذيب الأزهري: أخذت القبائل من قبائل الرأس لاجتماعها.

وفي الصحاح: قبائل الرأس هي القطع المشعوب بعضها إلى بعض فصل بها الشؤون.

وَقَالَ الزجاج: القبيلة من ولد إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كالسبط من ولد إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَامُ سموا بذلك ليفرق بينهما ومعنى القبيلة من ولد إِسْمَاعِيل معنى الجماعة يقال لكل جماعة قبيلة إذا كانت من واحد ويقال لكل جمع على شيء واحد قبيل آخذ من قبائل الشجرة وأغصانها.

وذكر ابن الهبارية في كتابه فلك المعاني: أن القبائل من ولد عدنان مائتان وسبع وأربعون قبيلة والبطون من ولده مائتان وأربعة وأربعون بطنًا والأفخاذ خمسة عشر فخذًا غير أولاد أَبِي طالب.

وذكر أهل اللغة أن الشعوب على مضر وربيعة، والقبائل دون ذلك مثل قريش وتميم، ثم العمائر، ثم البطون، ثم الأفخاذ.

وقسم الجواني العرب إلى عشر طبقات: الجذم، ثم الجمهور، ثم الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم العشيرة، ثم الفصيلة، ثم الرهط فيصل أرحامه (﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾) أي: ليعرف بعضكم بعضًا في قرب النسب وبعده وقال مجاهد لتعارفوا ليقال فلان بن فلان، أخرجه الطبري عنه فلا يعتزى إلى غير آبائه لا أن يتفاخروا بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل والتفاوت في الأنساب والقبائل وسيجيء ما يتعلق بذلك أيضًا فيما بعد، ثم بين الفضيلة التي بها يفضل الإنسان على غيره ويكتسب الشرف والكرم عند اللّه تَعَالَى فَقَالَ: (﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾) إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13] خبير ببواطنكم.

أشار الْبُخَارِيّ رَحِمَهُ اللّه بهذه الآية ما تضمنت من أن المناقب عند اللّه إنما هي بالتقوى فإن بها تكمل النفوس وتتفاضل الأشخاص فمن أراد شرفا فليلتمس منها وذلك بأن يعمل بطاعته ويكف عن معصيته.

وقد ورد في الحديث ما يوضح ذلك ففي صحيحي ابن خزيمة وابن حبان وتفسير ابن مردويه من رواية عَبْد اللّه بن دينار عَنِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ خطب النَّبِيّ ﷺ يوم الفتح فَقَالَ: «**أما بعد يا أيها الناس فإن اللّه تَعَالَى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بآبائها الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على اللّه وفاجر شقي هين على اللّه ثم تلا** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾» ورجاله ثقات إلا أن ابن مردويه ذكر أن مُحَمَّد بن المقري راويه عن عَبْد اللّه بن رجاء عن مُوسَى بن عقبة وهم فِي قَوْلِهِ مُوسَى بن عقبة وإنما هو مُوسَى بن عبيدة وابن عقبة ثقة وابن عبيدة ضعيف وهو معروف برواية مُوسَى بن عبيدة.

كذلك أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حاتم وغيره وزاد بعضهم في أول الحديث «**من سره أن يكون أكرم الناس فليتق اللّه يا أيها الناس إنما الناس رجلان**»، الحديث.

وروى أحمد والحارث وابن أَبِي حاتم من طريق أَبِي نضرة حَدَّثَنِي من شهد خطبة النَّبِيّ ﷺ بمنى وهو على بعير يقول: «**يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى خيركم عند اللّه أتقاكم**» وقد ورد أن هذه الآية نزلت في ثابت بن قيس وقوله

للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**من الذاكر فلانة**» فقام ثابت بن قيس فقَالَ أنا يا رَسُول اللّه قَالَ: **انظر في وجوه القوم**» فنظر إليها فقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**ما رأيت يا ثابت**» قَالَ رأيت أبيض وأسود وأحمر قَالَ: «**فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى**» فأنزل اللّه هذه الآية وأخرج الواحدي عن ابن أبي مليكة أنها نزلت بمكة يوم الفتح لما رقي بلال على ظهر الكعبة وأذّن فقال بعض الناس أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة واللّه تَعَالَى أعلم.

(**وَقَوْلِهِ**) تَعَالَى: (﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾) والآية أول سورة النساء قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب يعم بني آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف على خلقكم أي: خلقكم من شخص واحد وخلق منها أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ بيان لكيفية تولدهم منها والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرات واكتفى بوضع الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكنّ أكثر وذكر كثيرًا حملًا على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها ولأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات بعدها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ [النساء: 1] أي: يسأل بعضكم بعضًا فيقول أسألك باللّه قاله إِبْرَاهِيم ومجاهد والحسن والضحاك والربيع وغيرهم قالوا كما يقال أسألك باللّه وبالرحم والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور نحو مررت بزيد وعمر أي: وتسألون بالأرحام وتقولون أسألك باللّه والرحم كما تقدم أو عطف على اللّه أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها كما روي عن الضحاك في تفسير الآية واتقوا اللّه الذي تعاقدون به وتعاهدون واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن زوروها وصلوها وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أي: اتقوا الأرحام وصلوها والأرحام جمع رحم وذوو الرحم الأقارب يطلق على كل من يجمع بينه وبين الآخر نسب.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] ....

والقراءة المشهورة والأرحام نصبًا، وقرأ حمزة الأرحام بالجر عطفًا على الضمير المجرور في به من غير إعادة الجار وفيه خلاف فأجازه الكوفيون ومنعه البصريون لأنه لا يجوز عندهم العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار فيؤولون قراءة حمزة بأن الواو واو القسم لا واو العطف.

وقراءة عَبْد اللّه بن مَسْعُود فيما قيل: والأرحام بالضم على الابتداء والخبر محذوف أي: الأرحام مما يتقي أو يتساءل به.

وقد نبه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمقام منه وعنه ﷺ الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله اللّه ومن قطعني قطعه اللّه.

وعن الحسن: إذا سألك باللّه فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه، وللرحم حجنة عند العرش أي: تعلق ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما: الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشَّت وكلّمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه (﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾) [النساء: 1] حافظًا مطلعًا مراقبًا على جميع أعمالكم وأحوالكم.

والمراد بذكره هذه الآية هنا الإشارة إلى الاحتياج إلى معرفة النسب أَيْضًا لأنه يعرف ذوو الأرحام المأمور بصلتهم. وذكر ابن حزم في مقدمة كتاب النسب له فصلًا في الرد على من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر بأن في علم النسب ما هو فرض على كل واحد وما هو فرض على الكفاية وما هو مستحب قَالَ فمن ذلك أن يعلم أن محمدًا رَسُول اللّه ﷺ هو ابن عَبْد اللّه بن عبد المطلب الهاشمي فمن زعم أنه لم يكن هاشميًّا فهو كافر وأن يعلم أن الخليفة من قريش. وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمه ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم. وأن يعرف من يتصل به ممن يجب عليه بره من صلة أو نفقة أو معاونة وأن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام على المؤمنين وأن يعرف الصحابة وأن حبهم مطلوب وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق قَالَ ومن الفقهاء من يفرق في الحرية وفي

وَمَا يُنْهَى عَنْ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، الشُّعُوبُ: النَّسَبُ البَعِيدُ، وَالقَبَائِلُ: دُونَ ذَلِكَ.

3489 - حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الكَاهِلِيُّ،

الاسترقاق بين العرب والعجم فحاجته إلى علم النسب آكد وكذا من يفرق بين نصارى بني تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة قَالَ وما فرض عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ الديوان إلا على القبائل ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك وقد تبعه على ذلك عثمان وعلى غيرهما رضي اللّه عنهم.

وَقَالَ ابن عبد البر في أول كتاب النسب: ولعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر انتهى.

وهذا الكلام قد روي مَرْفُوعًا ولا يثبت وروي عن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ أَيْضًا ولا يثبت بل ورد في المرفوع تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وله طرق أقواها ما أَخْرَجَهُ الطبراني من حديث العلاء بن خارجة وجاء هذا أَيْضًا عن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ساق ابن حزم ورجاله موثقون إلا أن فيه انقطاعًا.

والذي يظهر حمل ما ورد من ذمه على التعمق فيه حتى يشتغل عما هو أهم منه وحمل ما ورد في استحبابه على ما تقدم من الوجوه التي أوردها ابن حزم.

ولا يخفى أن بعض ذلك لا يختص بعلم النسب واللّه تَعَالَى أعلم.

(**وَمَا يُنْهَى عَنْ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**) عطف على قوله وقوله الذي هو عطف على قول اللّه المجرور بإضافة الباب إليه ودعوى الجاهلية الندب على الميت والنياحة وقيل: قولهم: يا لفلان ونحوه.

وقيل: الانتساب إلى غير أبيه قَالَ الْكِرْمَانِيّ وهو المناسب للمقام، وقد عقد له بابًا يأتي عن قريب إن شاء اللّه تَعَالَى.

(**الشُّعُوبُ: النَّسَبُ البَعِيدُ، وَالقَبَائِلُ: دُونَ ذَلِكَ**) هذا قول مجاهد أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيّ عنه. وذكر أَبُو عُبَيْدَةَ مثال الشعب وتميم وأنشد لعمرو بن أحمر:

من شَعْب همدانَ أو سعدِ العشيرةِ أو خولانَ أو مَذْحِجٍ هاجوا له طَرَبَا

(**حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ**) من الزيادة هو أَبُو الهيثم المقري (**الكَاهِلِيُّ**) الكوفي وهو من أفراده وقد مر في بدء الخلق والكاهلي نسبة إلى كاهل بكسر الهاء ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بطن من هذيل

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: 13]، قَالَ: «الشُّعُوبُ: القَبَائِلُ العِظَامُ، وَالقَبَائِلُ: البُطُونُ»[1].

والظاهر أنه منسوب إلى كاهل بن أسد بن خزيمة بن مدركة لأن جماعة كثيرة من أهل الكوفة ينتسبون إليه قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ) هو ابن عياش بالتحتانية وبالمعجمة ابن سالم الأسدي الكوفي من رواة عاصم من القراء السبعة وقد مر في آخر الجنائز.

(عَنْ أَبِي حَصِينٍ) بفتح الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة واسمه عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي الكوفي وقد مر في الجهاد.

(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ قَالَ: «الشُّعُوبُ: القَبَائِلُ العِظَامُ، وَالقَبَائِلُ: البُطُونُ») يعني أنه قد فسر ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا الشعوب بالقبائل العظام وفسر القبائل بالبطون وذلك لأن الشعوب تجمع القبائل.

وذكر عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَيْضًا أن القبائل الأفخاذ فعلى هذا أن القبائل التي فسرها بالبطون تجمع الأفخاذ.

وقد روى الطَّبَرِيّ عن خلاد بن أسلم وأبي كريب كلاهما عن أَبِي بكر بن عياش بهذا الإسناد لكن قَالَ في المتن الشعوب الجماع الذي يجمع متفرقات البطون قَالَ خلاد قَالَ أَبُو بكر القبائل مثل بني تميم ودونها الأفخاذ انتهى.

وقد قسمها الزبير بن بكار في كتاب النسب إلى: شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة بكسر العين، ثم بطن، ثم فخذ، ثم فصيلة، وزاد غيره قبل الشعب الجذم، وبعد الفصيلة العشيرة، ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة، ثم العترة فمثال الجذم عدنان ومثال الشعب مضر ومثال القبيلة كنانة ومثال العمارة قريش وأمثلة ما دون ذلك لا تخفى، ووقع في عباراتهم أشياء مرادفة لما تقدم كقولهم حي، وبيت، وعقيلة، وأرومة، وجرثومة، ورهط، وغير ذلك وقد يقال المراد بالشعوب في الآية بطون العجم وبالقبائل بطون العرب والله أعلم.

---

(1) تحفة 5555.

3490 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ»(1).

3491 - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، حَدَّثَنَا كُلَيْبُ بْنُ وَائِلٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، زَيْنَبُ ابْنَةُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لَهَا: «أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ) القطان، (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ) هو ابْن عُمَر العمري أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ) أَبِي سَعِيد كيسان المقبري، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ»)(2) هكذا أورده هنا مختصرًا وقد مضى في باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 133] فإنه أَخْرَجَهُ هناك بأتم منه ومر الكلام فيه هناك وإنما أطلق على يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرم الناس لكونه رابع نبي في نسق واحد ولم يقع ذلك لغيره.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ) هو أَبُو مُحَمَّد الدارمي البَصْرِيّ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ) هو ابن زياد قَالَ: (حَدَّثَنَا كُلَيْبُ بْنُ وَائِلٍ) وكليب بصيغة التصغير ووائل بالهمز هو تابعي وسط كوفي وأصله من المدينة وهو ثقة عند الجميع إلا أن أبا زرعة ضعّفه بغير قادح وليس له في الْبُخَارِيّ غير هذا الحديث وهذا هو المحفوظ ورواه عفان عن عبد الواحد فَقَالَ عن عاصم بن كليب أَخْرَجَهُ الإسماعيلي وهو خطأ من عفان (قَالَ: حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، زَيْنَبُ ابْنَةُ أَبِي سَلَمَةَ) وهي بنت أم سلمة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا زوج النَّبِيّ ﷺ.

(قَالَ: قُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ) أي: أخبريني (النَّبِيَّ ﷺ أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟)

---

(1) أطرافه 3353، 3374، 3383، 4689 - تحفة 14307.

(2) تتمة الحديث، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: أفعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا نعم، =

قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ إِلا مِنْ مُضَرَ؟، ....

الهمزة فيه للاستفهام.

(قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ. وفي رواية غيره ممن بدون الفاء (إِلا مِنْ مُضَرَ) أي: لم يكن إلا من مضر والاستفهام للإنكار ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان والنسب ما بين عدنان إلى إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ مختلف كما سيأتي وأما من النَّبِيّ ﷺ إلى عدنان فمتفق عليه.

وَقَالَ ابن سعد في الطبقات: حدثنا هشام بن الكلبي قَالَ علمني أَبِي وأنا غلام نسب النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ مُحَمَّد بن عَبْد اللّه بن عبد المطلب وهو شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وإليه جماع قريش وما كان فوق فهو فليس بقرشي بل هو كناني بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عمرو بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. وروى الطبراني بإسناد حسن عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا قالت استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان ومضر بضم الميم وفتح الضاد المعجمة واشتقاقه من المضيرة وهي شيء يصنع من اللبن سمي به لبياض لونه والعرب تسمي الأبيض أحمر فلذلك قيل مضر الحمراء.

وَقَالَ ابن سيدة: سمي مضر لأنه كان مولعًا بشرب اللبن الماضر أي: الحامض.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وفيه نظر لأنه يستدعي أن يكون له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ولا يلزم أن يكون متصفًا به حالة التسمية.

وقيل: إنما قيل له مضر الحمراء.

وقيل لأخيه: ربيعة الفرس لأنهما لما اقتسما الميراث أعطي مضر الذهب وهو يؤنث وأعطي ربيعة الخيل، وهو أول من سَنَّ للعرب الحداء للإبل لأنه كان حسن الصوت فسقط يومًا من بعيره فوثبت يده فجعل يقول وا يدياه وا يدياه فأعتقت له الإبل وأمه سودة بنت عك وقيل حبيبة بنت عك وكان على دين إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

= قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا.

مِنْ بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ»[1].

وروى ابن حبيب في تاريخه قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو جعفر عن ابن جريج عن عطاء عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ مات أدد والد عدنان وعدنان ومعد وربيعة ومضر وقيس غيلان وتميم وأسد وضبة على الإسلام على ملة إِبْرَاهِيم عليه الصلاة والسلام فلا تذكروهم إلا ما يذكر به المسلمون. وعن سَعِيد بن المسيب أن رَسُول اللّه ﷺ قَالَ: «**لا تسبوا مضر فإنه كان مسلمًا على ملة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ**».

وعند الزبير بن بكار من حديث ميمون بن مهران عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا يرفعه ولا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين.

وَقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**إذا اختلف الناس فالحق مع مضر**».

وروي أنه ﷺ قَالَ: «**إن اللّه عز وجل اختار هذا الحي من مضر ولابن سعد من مرسل عَبْد اللّه بن خالد رفعه لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم**».

(**مِنْ بَنِي النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ**) النضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة هو ابن كنانة بكسر الكاف ابن خزيمة بن مدركة بلفظ الفاعل بن إياس بن مضر فهذا بيان له لأن مضر قبائل وهذا بطن منه.

والنضر اسمه قيس سمي به لوضاءة وجهه وجماله وإشراقه والنضر هو الذهب الأحمر وهو النضار أَيْضًا.

وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة وكنيته النضر أَبُو يخلد كني بابنه يخلد.

وروى أحمد وابن سعد من حديث الأشعث بن قيس الكندي قَالَ قلت يا رَسُول اللّه إنّا نزعم أنكم منا يعني من اليمن فَقَالَ: «**نحن بنو النضر بن كنانة**».

وروى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا بإسناد فيه ضعف مَرْفُوعًا أنا مُحَمَّد بن عَبْد اللّه وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة قَالَ فمن قَالَ غير ذلك فقد كذب انتهى.

وإلى النضر ينتهي أنساب قريش وسيأتي بيان ذلك في الباب الذي يليه إن شاء اللّه تَعَالَى وإلى كنانة يجتمع أنساب أهل الحجاز.

---

(1) طرفه 3492 - تحفة 15885.

3492 - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، حَدَّثَنَا كُلَيْبٌ، حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَظُنُّهَا زَيْنَبَ قَالَتْ: «نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالحَنْتَمِ، وَالمقيِّرِ، وَالمُزَفَّتِ»(1).

وَقُلْتُ لَهَا: أَخْبِرِينِي النَّبِيُّ ﷺ مِمَّنْ كَانَ؟

وروى مسلم من حديث واثلة مَرْفُوعًا: إن اللّه اصطفى كنانة من ولد إِسْمَاعِيل واصطفى من كنانة قريشًا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاه من بني هاشم.

(**حَدَّثَنَا مُوسَى**) هو ابن إِسْمَاعِيل التبوذكي قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا كُلَيْبٌ**) ابن وائل قَالَ: (**حَدَّثَتْنِي رَبِيبَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَظُنُّهَا زَيْنَبَ**) الظاهر أن قائله مُوسَى لأن قيس بن حفص في الرواية السابقة قد جزم بأنها زينب وشيخهما واحد لكن أَخْرَجَهُ الإسماعيلي من رواية حبان بن هلال عن عبد الواحد وَقَالَ ولا أعلمها إلا لزينب فعلى هذا كان الشك فيه من شيخهما عبد الواحد كما يجزم بها تارة ويشك فيها أخرى.

(**قَالَتْ: نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ**) إنما أورد هذا النهي هنا مع أن الغرض منه سياق آخر الحديث لكونه سمع الحديث على هذه الصورة فلم ير حذفه من السياق على أنه لم يطرد له في ذلك عمل فإنه تارة يأتي بالحديث على وجهه كما صنع هنا وتارة يقتصر على موضع حاجته منه كما تقدم في عدة مواطن.

(**عَنِ الدُّبَّاءِ**) بضم الدال المهملة وتشديد الباء الموحدة وبالمد القرع واحدها دباءة، (**وَالحَنْتَمِ**) بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وآخره ميم وهي جرار مدهونة خضر كانت تحمل فيها الخمر إلى المدينة واحدها حنتمة، (**وَالمقيّرِ**) المطليّ بالقار وهو الزفت، (**وَالمُزَفَّتِ**) ثم لقط المقير كذا وقع هنا بالميم والقاف المفتوحة قَالَ أَبُو ذر هو خطأ صوابه والنقير يعني بالنون وكسر القاف وهو واضح لئلا يلزم منه التكرار.

(**وَقُلْتُ لَهَا**) القائل قلت هو كليب: (**أَخْبَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ**) هو بالرفع مبتدأ وخبره قوله: (**مِمَّنْ كَانَ**) يعني من أي: قبيلة كان.

---

(1) طرفه 3491 - تحفة 15885.

من مُضَرَ كَانَ؟ قَالَتْ: «فَمِمَّنْ كَانَ إلا من مُضَرَ؟ كَانَ من وَلَدِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ».

(من مُضَرَ) كأن همزة الاستفهام فيه مقدرة أي: أمن مضر كان.

(قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ إلا من مُضَرَ) قيل كلمة إلا استثناء منقطع أي: لكن كان من مضر أو استثناء من محذوف أي: لم يكن إلا من مضر. أو الهمزة محذوفة من كان وممن كان كلمة مستقلة أو الاستفهام فِي قَوْلِهِ فممن كان للإنكار وهو الظاهر كما تقدم منا تقريره كذلك.

(كَانَ من وَلَدِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ) وقد تقدم تفصيل ذلك آنفًا. وعلم من هذين الحديثين أن معرفة الأنساب لا يستغنى عنها وقد جاء الأمر بتعليمها وهو ما رواه أَبُو نعيم من حديث العلاء بن خارجة المدني قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم**» وقد تقدم.

وروى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن النَّبِيّ ﷺ أنه قَالَ: «**كفر باللّه ادعاء نسب لا يعرف وكفر باللّه تبرٌّ من نسب وإن دق**».

وروي عن أَبِي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ مثله وَقَالَ ﷺ: «**من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة اللّه**».

وقد روي من الوجوه الصحاح عن رَسُول اللّه ﷺ ما يدل على معرفته بأنساب العرب. وروى التِّرْمِذِيّ مصححًا من حديث عَبْد اللّه بن عمرو رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا خرج رَسُول اللّه ﷺ وفي يده اليمنى كتاب وفي اليسرى كتاب فَقَالَ هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم.

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّد الرشاطي: الحض على معرفة الأنساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وبالغ ابن حزم في ذلك وَقَالَ لا ينكر حق معرفة النسب إلا جاهل أو معاند وفرض أن يعلم المرء أن سيدنا ﷺ هو مُحَمَّد بن عَبْد اللّه القرشي الهاشمي الذي كان بمكة ورحل منها إلى المدينة فمن يشك فيه أهو قرشي أو يماني أو تميمي أو أعجمي فهو كافر غير عارف بدينه إلا أن يعذر بشدة ظلمة الجهل فيلزمه أن يتعلم ذلك ويلزم من بحضرته تعليمه قَالَ ومن الفرض في علم النسب أن يعرف المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

وأن يعرف كل من يلقاه بنسب في رحم محرمه ليتجنب ما حرم عليه.

3493 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ، إِذَا فَقِهُوا،

وأن يعرف كل من يتصل به برحم توجب ميراثًا أو صلة أو نفقة أو عقدًا أو حكما فمن جهل هذا فقد أضاع فرضا واجبا عليه لازمًا له من دينه.

وأما الذي يكون معرفته من النسب فضلًا وفرضًا على الكفاية فمعرفة أسماء أمهات المؤمنين وأكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين حبهم فرض فقد صح أنه ﷺ قَالَ: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية المنافق بغض الأنصار**» هذا وقد تقدم لك البحث آنفًا.

ومطابقة الحديثين للترجمة فِي قَوْلِهِ إلا من مضر فإنها من الشعوب.

(**حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ**) المعروف براهويه قَالَ: (**أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ**) هو ابن عبد الحميد، (**عَنْ عُمَارَةَ**) بضم العين المهملة وتخفيف الميم هو ابن القعقاع، (**عَنْ أَبِي زُرْعَةَ**) بضم الزاي واسمه هرم وقيل: عمرو، (**عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) أنه (**قَالَ: تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ**) أي: أصولًا مختلفة فإن المعدن هو الشيء المستقر في الأرض فتارة يكون نفيسًا وتارة يكون خسيسًا فكذلك الناس.

وفي حديث آخر: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة.

(**خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ**) يعني أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى فيه ولا يتغير صفة فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها فمن كان شريفًا في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شرفًا وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية.

(**إِذَا فَقِهُوا**) أي: إذا فهموا أمور الدين والفقه في الأصل الفهم يقال فقه الرجل بكسر القاف يفقه بفتحها إذا فهم وعلم وفقه يفقه بضم القاف فيهما إذا صار فقيهًا عالمًا وقد جعله العرف خاصًّا بعلم الشريعة وتخصصًا بعلم الفروع منها وفيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين.

وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً[1].

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وعلى هذا ينقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها:

الأول: شريف في الجاهلية أسلم وتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه.

الثاني: شريف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه، ويقابله مشروف لم يسلم وتفقه.

الثالث: مشروف في الجاهلية أسلم وتفقه، ويقابله شريف فيها لم يسلم ولم يتفقه.

الرابع: مشروف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه ويقابله شريف لم يسلم ولم يتفقه.

فأرفع الأقسام شريف في الجاهلية أسلم وتفقه ويليه مشروف أسلم وتفقه ثم يليه شريف أسلم ولم يتفقه ثم يليه مشروف أسلم ولم يتفقه.

وأما من لم يسلم فلا اعتبار به سواء كان شريفًا أو مشروفًا تفقه أم لم يتفقه. ثم المراد بالخيار والشرف الاتصاف بمحاسن الأخلاق كالكرم والعفة والحلم وغيرها والتوقي عن مساوئها كالبخل والفجور والظلم وغيرها واللّه تَعَالَى أعلم.

(وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ) أي: في الخلافة والولاية والإمرة.

(أَشَدَّهُمْ) بالنصب على أنه مفعول ثان لتجدون (لَهُ) أي: لهذا الشأن (كَرَاهِيَةً) نصب على التميز ويروى كراهته فإن قيل كيف يصير خير الناس بمجرد كراهته له.

فالجواب: أن المراد إذا تساووا في سائر الفضائل، أو يراد من الناس الخلفاء والأمراء، أو معناه من خيرهم بقرينة الحديث الذي بعده فإن فيه تجدون من خير الناس بزيادة كلمة من كأنه قَالَ تجدون أكره الناس في هذا الأمر من خيارهم فيكون الحديث الآتي مقيدًا لإطلاق الحديث السابق.

والمراد أن الدخول في عهدة الإمرة من جهة تحمل المشقة فيه وتشتد الكراهية له ممن يتصف بالعقل والدين لما فيه من صعوبة العمل بالعدل والإحسان

(1) طرفاه 3496، 3588 - تحفة 14908 - 217/ 4.

3494 - وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»[1].

3495 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا المُغِيرَةُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ»[2].

فيها وحمل الناس على رفع الظلم ولما يترتب عليها من مطالبة اللّه تَعَالَى للقائم بها من حقوقه وحقوق عباده ولا يخفى خيرية من خاف مقام ربه وهذا في الذي ينال الخلافة والإمارة أو القضاء من غير مسألة فإذا نالها بمسألة فأمره أعظم لأنه لا يعان عليها وهذا القسم هو أكثر ما في هذا الزمان واللّه المستعان.

(**وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ**) وذو الوجهين هو المنافق وهو الذي يمشي بين الطائفتين بوجهين يأتي إحداهما بوجه ويأتي الأخرى بخلاف ذلك كما قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: 143] قَالَ المفسرون مذبذبين يعني المنافقين مترددين بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا ولا هم مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء.

وروى مسلم من حديث عَبْد اللّه بن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا عن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لا تدري أيتهما تتبع**».

(**حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا المُغِيرَةُ**) هو ابن عبد الرحمن الحزامي المديني، (**عَنْ أَبِي الزِّنَادِ**) عَبْد اللّه بن ذكوان، (**عَنِ الأَعْرَجِ**) عبد الرحمن بن هرمز، (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ**) ويروى: أن رَسُول اللّه (ﷺ **قَالَ: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ**)

---

(1) طرفاه 6058، 7179 - تحفة 14908.
أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب خيار الناس رقم 2526.

(2) تحفة 13878.

وقيل: هو خبر بمعنى الأمر ويدل عليه قوله ﷺ: «**قدموا قريشًا ولا تقدموها**» أَخْرَجَهُ عبد الرزاق بإسناد صحيح لكنه مرسل وله شواهد.

وقيل: هو خبر على ظاهره والمراد بالناس بعض الناس وهم سائر العرب والعجم من غير قريش.

وقوله: «**مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم**» مصداق أن العرب كانت تعظم قريشا في الجاهلية لسكناها الحرم فلما بعث النَّبِيّ ﷺ ودعا إلى اللّه توقف غالب العرب عن اتباعه وقالوا ننظر ما يصنع قومه فلما فتح النَّبِيّ ﷺ مكة وأسلمت قريش تبعتهم العرب ودخلوا في دين اللّه أفواجًا واستمرت خلافة النبوة في قريش فصدق أن كافرهم كان تبعًا لكافرهم وصار مسلمهم تبعًا لمسلمهم.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: يريد بقوله تبع لقريش تفضيلهم على سائر العرب وتقديمها في الإمارة وبقوله مسلمهم تبع لمسلمهم الأمر بطاعتهم أي: من كان مسلمًا فليتبعهم ولا يخرج عليهم وأما معنى كافرهم تبع لكافرهم فهو إخبار عن حالهم في متقدم الزمان يعني أنهم لم يزالوا متبوعين في زمان الكفر وكانت العرب تقدم قريشًا وتعظمهم وكانت دارهم موسمًا ولهم السدانة والسقاية والرفادة يسقون

= قال الحافظ: قوله الناس تبع لقريش، قيل هو خبر بمعنى الأمر ويدل عليه قوله في رواية أخرى: «**قدموا قريشًا ولا تقدموها**» أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح لكنه مرسل، وله شواهد، وقيل هو خبر على ظاهره والمراد بالناس بعض الناس وهم سائر العرب من غير قريش، اهـ. قلت: وقد قال الصديق الأكبر في قصة بني ساعدة: ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، أخرجه البخاري منه وخرج أيضًا عن معاوية رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه اللّه على وجهه، فهموا الدين**»، قال القاري: قوله الناس تبع لقريش في هذا الشأن أي في الدين والطاعة أو في الخلافة، ويؤيد المعنى الأول قوله مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم، قال شارح: وإذ قد علمنا أن أحدًا من قريش لم يبق بعده على الكفر علمنا أن المراد منه أن الإسلام لم ينقصهم مما كانوا عليه في الجاهلية من الشرف فهم سادة في الإسلام كما كانوا قادة في الجاهلية، وقيل معناه إن كانوا خيارا سلط اللّه عليهم أخيارًا منهم وإن كانوا أشرارًا سلط اللّه عليهم أشرارًا منهم كما قيل أعمالكم عمالكم، وكما روي كما تكونوا يولي عليكم، وفي شرح السنة معناه تفضيل قريش على قبائل العرب وتقديمها في الإمامة والإمارة، اهـ.

3496 - وَالنَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ، إِذَا فَقِهُوا تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ»[1].

الحجيج ويطعمونهم فحازوا به الشرف والرياسة عليهم. ويريد بقوله:

(**وَالنَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ، إِذَا فَقِهُوا**) أن من كانت له مأثرة وشرف في الجاهلية فأسلم وفقه في الدين فقد أحرز مأثرته القديمة وشرفه الثابت إلى ما استفاده من المزية بحق الدين ومن لم يسلم فقد هدم شرفه وضيع قديمه. ثم أخبر بقوله: (**تَجِدُونَ من خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ**) أن خيار الناس هم الذين يجدون الإمارة ويكرهون الولاية حتى يقعوا فيها وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم إذا وقعوا فيها عن رغبة وحرص زالت عنهم محاسن الأخيار أي: صفة الخيرية كقوله ﷺ: «**من ولي قاضيًا فقد ذبح بغير سكين**».

والآخر: أن خيار الناس هم الذين يكرهون الإمارة حتى يقعوا فيها فإذا وقعوا فيها وتقلدوها زال معنى الكراهية فلم يجز لهم أن يكرهوها ولم يقوموا بالواجب من أمورها بل عليهم أن يجتهدوا في القيام بحقها فعلى الراغب فيها غير كاره لها هذا كلام الْخَطَّابِيّ.

وَقَالَ بعضهم: معناه إن من لم يكن حريصًا على الإمرة غير راغب فيها إذا جعلت له بغير سؤال تزول عنه الكراهة لما يرى من إعانة اللّه له عليها فيأمن على دينه مما كان يخاف عليه منها قبل أن يقع فيها ومن ثمة أحب من أحب استمرار الولاية من السلف الصالح حتى قاتل عليها وصرح بعض من عزل منهم بأنه لم تسره الولاية ولكن ساءه العزل.

وقيل: معناه أن العادة جرت بذلك فإن من حرص على الشيء ورغب في طلبه قل أن يحصل له ذلك ومن أعرض عن الشيء وقلت رغبته فيه يحصل له غالبًا واللّه تَعَالَى أعلم.

---

(1) طرفاه 3493، 3588 - تحفة 13878.
أخرجه مسلم في الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش رقم 1818.

1م ـ باب

3497 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ المَلِكِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23]،

وَقَالَ القاضي عياض: استدل الشافعية بهذا الحديث على إمامة الشَّافِعِيّ وتقديمه على غيره ولا حجة فيه لأن المراد به هنا الخلفاء.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: صحبت المستدل بهذا غفلة مقارنة لصمم التقليد. وتعقب بأن مراد المستدل أن القرشية من أسباب الفضل والتقدم كما أن من أسباب التقدم الورع مثلًا فالمستويان في خصال الفضل إذا تميز أحدهما بالورع مثلًا كان مقدمًا على رفيقه فكذلك القرشية فثبت الاستدلال به على تقدم الشَّافِعِيّ ومزيته على من ساواه في العلم والدين لمشاركته في الصفتين وتميزه عنه بالقرشية وهذا واضح.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولعل الغفلة والعصبية صحبت الْقُرْطُبِيّ فلله الأمر ومطابقة الحديثين للترجمة ظاهرة.

والحديث الأول قد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل بتمامه، وفي الأدب بقصة ذي الوجهين.

والحديث الثاني أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في المغازي. والفضائل.

1م ـ باب

(**حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى**) هو القطان قَالَ: (**عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ المَلِكِ**) هو ابن ميسرة أَبُو زيد، (**عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) أنه قَالَ: (﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾) وهذا الحديث ذكره في التفسير في حم عسق حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن بشار نا مُحَمَّد بن جعفرنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قَالَ: سمعت طاوسًا عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أنه سئل عن قوله إلا المودة في القربى فَقَالَ سَعِيد بن جُبَيْر قربى آل مُحَمَّد ﷺ فَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا عجلت أن النَّبِيّ ﷺ لم يكن بطن قريش إلا كان له فيهم قرابة فَقَالَ إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وهذا الحديث يفسر حديث الباب ويوضحه.

قَالَ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلا وَلَهُ فِيهِ قَرَابَةٌ، فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: إِلا أَنْ تَصِلُوا قَرَابَةً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»[1].

(قَالَ) أي: الراوي وهو طاوس: (فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) أي: أجاب قبل ابن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنهُمَا فقال: (قُرْبَى مُحَمَّدٍ ﷺ) يعني أن المعنى قل لا أسألكم أجرًا إلا أن تودوا قرابتي ولا تؤذوهم والمراد أهل قرابتي.

(فَقَالَ) أي: ابن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنهُمَا ردًّا لقول سَعِيد بن جُبَيْر: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلا وَلَهُ فِيهِ قَرَابَةٌ)، فَنَزَلَتْ فِيهِ ويروى: (فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ) ﷺ.

(إِلا أَنْ تَصِلُوا قَرَابَةً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) يعني أن المودة المطلوبة في الآية صلة

---

(1) طرفه 4818 - تحفة 5731. اختلف الشراح والمفسرون في تفسير الآية على أقوال كثيرة من أن الاستثناء متصل أو منقطع، ومن أن المراد بالقربى معنى مصدري أو الأقرباء، بسطت في الشروح والتفاسير، قال الحافظ في التفسير في «باب قوله إلا المودة في القربى» ذكر فيه حديث طاوس عن ابن عباس سئل عن تفسيرهما فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت في التفسير، وهذا الذي جزم سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعًا وإسناده ضعيف وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح، والمعنى إلا أن تودونى لقرابتي فتحفظوني، والخطاب لقريش خاصة والقربى قرابة العصوبة والرحم، فكأنه قال احفظوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة، وقد جزم بهذا التفسير جماعة من المفسرين، ورده الزجاج بما صح عن ابن عباس من رواية طاوس في حديث الباب وهو المعتمد، وجزم بأن الاستثناء منقطع، والحاصل أن سعيد بن جبير ومن وافقه حملوا الآية على أمر المخاطبين بأن يوادوا أقارب النبي ﷺ، وابن عباس رضي اللّه عنهما حملها على أن يوادوا النبي ﷺ من أجل القرابة التي بينهم وبينه، فعلى الأول الخطاب عام لجميع المكلفين، وعلى الثاني الخطاب خاص بقريش، إلى آخر ما بسطه، وقال العيني: يجوز أن يكون استثناء متصلًا أي: لا أسألكم أجرًا إلا هذا، وهو أن لا تؤذوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرًا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم وكانت صلتهم لازمة لهم في المودة، ويجوز أن يكون استثناء منقطعًا أي: لا أسألكم أجرًا قط ولكن أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتك ولا تؤذوهم، اهـ.

وفي الفيض: وحاصل ما جرى بين سعيد وابن عباس رضي اللّه عنهما في تلك الآية أن سعيدًا حملها على أن في الآية تأكيدًا لمراعاة أقربائه ﷺ، ورده ابن عباس بأن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كانت له قرابة فيهم فكان يقول لهم إني لا أسألكم شيئًا إلا أن تراعوا قرابتي فيكم فتستجيبوا لدعوتي، اهـ.

وفي حاشية البخاري عن الكرماني: وحاصل كلام ابن عباس أن جميع قريش أقارب رسول اللّه ﷺ، وليس المراد من الآية بنو هاشم ونحوهم كما يتبادر إلى الذهن من قول سعيد بن جبير.

الرحم التي بينه وبين قريش وهم الذين خوطبوا بذلك قَالَ عِكْرِمَة كانت قريش تصل الأرحام فلما بعث مُحَمَّد ﷺ ودعاهم إلى اللّه خالفوه وقطعوه فأمرهم بصلة الرحم التي بينه وبينهم يعني أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذا أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا عليّ فإن قيل لم ينزل إلا أن تصلوا قرابة بيني وبينكم فكيف قيل فنزلت.

فالجواب: أن المراد نزل معناه وهو قوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ويمكن أن يقال الضمير في فنزلت للآية فافهم.

والآية في سورة الشورى قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لما بشر اللّه عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنات لهم ما يشتهونه ثابتًا عند ربهم بلسان نبيه ﷺ وبلّغه إليهم أمره أن يقول لهم أي: لقريش ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة ﴿أَجْرًا﴾ أي: لا أطلب منكم على هذا التبليغ والبشارة المال والجاه ولا نفعًا عاجلًا ولا مطلوبًا حاضرًا لئلا يتوهم أنه ﷺ يطلب على هذا التبليغ حظًّا من الحظوظ. وعن قَتَادَة اجتمع المشركون في مجمع لهم فَقَالَ بعضهم لبعض أترون أن محمدًا يسأل على ما يتعاطاه أجرًا فأنزل اللّه هذه الآية يحثهم على مودته ومودة أقربائه.

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] يجوز أن يكون استثناء متصلًا أي: لا أسألكم أجرًا إلا هذا وهو أن تودوني لقرابتي منكم أو أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرًا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم وكانت صلتهم لازمة لهم في المودّة.

ويجوز أن يكون استثناء منقطعًا أي: لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة وفي القربى حال منها أي: إلا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة أو من أجلها كما جاء في الحديث الحب في اللّه والبغض في اللَّه. ولم يقل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى إشعارًا بأن المراد بالمودة المودة الأكيدة المتمكنة كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله فليست في بصلة للمودة وإنما هي متعلقة بمحذوف حال من المودة.

وقد اختلف المفسرون في أهل بيته من آل هاشم فمن بعدهم من أهل البيت.

وعن النبي ﷺ: «**حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب، ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدًا إذا لقيني يوم القيامة**».

والثاني: مودة قريش.

والثالث: أن المراد علي وفاطمة وابناهما روي أنها لما نزلت قيل: يا رَسُول اللّه من قرابتك؟ قَالَ: «**علي وفاطمة وابناهما**» وروي أَيْضًا عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ شكوت إلى رَسُول اللّه ﷺ حسد الناس لي فَقَالَ: «**أما ترضي أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا**».

الرابع: ما قاله عِكْرِمَة وقد تقدم آنفًا.

الخامس: مودة من يتقرب إلى اللّه عز وجل أي: إلا أن تودوا اللّه ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وهو رأي الصوفية.

وقيل في سبب نزولها: إن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فَقَالَ عباس أو ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رَسُول اللّه ﷺ فأتاهم في مجالسهم فَقَالَ: «**يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم اللّه بي؟**» قالوا بلى يا رَسُول اللّه قَالَ: «**ألم تكونوا ضلالًا فهداكم اللّه بي؟**» قالوا: بلى يا رَسُول اللّه قَالَ: «**أفلا تجيبونني؟**» قالوا: ما نقول يا رَسُول اللّه؟ قَالَ: «**ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك**» قَالَ ما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية.

وقيل: أتت الأنصار رَسُول اللّه ﷺ بمال جمعوه وقالوا يا رَسُول اللّه قد هدانا اللّه بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت وردة واللّه تَعَالَى أعلم.

وقد روي في فضيلة حب آل مُحَمَّد ﷺ آثار كثيرة منها ما روي عنه ﷺ من

3498 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الفِتَنُ، نَحْوَ المَشْرِقِ،

مات على حب آل مُحَمَّد مات شهيدًا ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد مات مغفورًا له ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد مات تائبًا ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد جعل اللّه قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل مُحَمَّد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل مُحَمَّد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة اللّه ألا ومن مات على بغض آل مُحَمَّد مات كافرًا ألا ومن مات على بغض آل مُحَمَّد لم يشم رائحة الجنة ذكره صاحب الكشاف واللّه أعلم بصحته.

ثم مطابقة الحديث للترجمة من حيث أن صلة الرحم تحتاج إلى معرفة النسب التي يتحقق بها صلة الرحم على أن مطابقته لجزء الترجمة الثاني أعني قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾. ولعله لذلك فضله عما قبله بلفظ باب وعلى ما في بعض النسخ.

ووجه ذكره عقيب الحديث السابق أن المذكور فيه أنه لم يكن بطن من قريش إلا وللنبي ﷺ فيه قرابة فيقتضي هذا تفضيل قريش على غيرهم.

والحديث قد أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيّ أَيْضًا في التفسير وَقَالَ حسن صحيح وكذا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ فيه.

(**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) هو ابن المديني قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة، (**عَنْ إِسْمَاعِيلَ**) هو ابن أَبِي خالد، (**عَنْ قَيْسٍ**) هو ابن أَبِي حازم البجلي، (**عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ**) هو عقبة بن عمرو الأَنْصَارِيّ البدري.

(**يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ**) يعني يرفعه إلى النَّبِيّ ﷺ وهو أعم من أنه سمع من النَّبِيّ ﷺ أو من غيره عنه.

(**قَالَ: مِنْ هَا هُنَا**) أي: من جهة المشرق (**جَاءَتِ الفِتَنُ، نَحْوَ المَشْرِقِ**) هو

وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ وَالبَقَرِ، فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ»[1].

بيان أو بدل لقوله ههنا أي: وأشار إلى جهة المشرق وذكر الفعل بلفظ الماضي مبالغة في تحقق وقوعه وإن كان المراد أن ذلك سيجيء.

وقد تقدم في بدء الخلق من وجه آخر عن إِسْمَاعِيل حَدَّثَنِي قيس عن عقبة ابْن عُمَر وأبي مَسْعُود قَالَ أشار النَّبِيّ ﷺ بيده فذكر الحديث.

(**وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ**) قَالَ الْقُرْطُبِيّ: هما شيئان لمعنى واحد كقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86] البث هو الحزن.

ويحتمل أن يقال إن المراد بالجفاء أن القلب لا يلين لموعظة ولا يخشع لتذكرة والمراد بالغلظ أنها لا تفهم المراد ولا تعقل المعنى.

وقد مضى في الرواية التي في بدء الخلق بلفظ القسوة بدل الجفاء.

(**فِي الفَدَّادِينَ**) بالتشديد وهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم وهي بالتخفيف هي البقر التي تحرث واحدها فدان مشددًا.

وَقَالَ ابن الأثير: يقال فدّ الرجل يفدّ فديدًا إذا اشتد صوته.

وقيل: الفدادون هم المكثرون من الإبل.

وقيل لهم: الجمالون، والبقارون، والحمارون، والرعيان.

(**أَهْلِ الوَبَرِ**) أي: أهل البوادي والوبر بفتح الواو والباء الموحدة وآخره راء هو وبر الإبل سمي بذلك لأنهم يتخذون بيوتهم منه.

(**عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ وَالبَقَرِ**) هو عبارة عن جلبتهم عند سوقها.

(**فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ**) بدل من الفدادين.

والحديث قد مضى في بدء الخلق.

ومطابقة هذا الحديث وما بعده للترجمة من حيث اشتمالها على ذكر القبائل.

وقال الكرماني: وجه مناسبتهما باعتبار الصفات كالقبائل وكون الأتقى منهم أكرم فافهم.

---

(1) أطرافه 3302، 4387، 5303 - تحفة 10005.

3499 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «الفَخْرُ، وَالخُيَلاءُ فِي الفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ،

(**حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ**) الحكم بن نافع قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ**) أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: الفَخْرُ، وَالخُيَلاءُ**) بضم الخاء وكسرها الكبر والعجب يقال فيه خيلاء ومخيلة أي: كبر ومنه اختال فهو مختال (**فِي الفَدَّادِينَ أَهْلِ الوَبَرِ**) قَالَ الداوودي قوله الفخر والخيلاء في الفدادين وهم وإنما نسب إليهم الجفاء وغلظ القلوب وأما الفخر والخيلاء فهما في أصحاب الخيل، (**وَالسَّكِينَةُ**) أي: السكون والوقار (**فِي أَهْلِ الغَنَمِ، وَالإِيمَانُ يَمَانٍ**) ظاهره نسبة الإيمان إلى اليمن وأصله يمني حذف إحدى الياءين وعوض منها الألف فصار يمان وهي اللغة الفصحى ثم يمني ثم يماني بزيادة الألف ذكرها سيبويه وحكى الْجَوْهَرِيّ وصاحب المطالع وغيرها عن سيبويه أنه حكى عن بعض العرب أنهم يقولون اليماني بالياء المشددة وأنشد:

يمانيًّا يظلّ يشد كيرًا ... وينفخ دائمًا لهب الشواظ

وَقَالَ القاضي وغيره: قد صرفوا قوله الإيمان يمان عن ظاهره من حيث إن مبدأ الإيمان من مكة ثم من المدينة ومكة يمانية بالنسبة إلى المدينة والمدينة يمانية بالنسبة إلى الشام. وحكى أَبُو عبيد فيه أقوالًا:

أحدها: أنه أراد بذلك مكة فإنه يقال إن مكة من تهامة وتهامة من أرض اليمن.

الثاني: المراد مكة والمدينة فإنه يروى في الحديث أنه ﷺ قَالَ ذلك وهو بتبوك ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فأشار إلى ناحية اليمن كما قالوا الركن اليماني وهو بمكة لكونه في ناحية اليمن ويؤيده قوله ﷺ في حديث جابر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عند مسلم «**والإيمان في أهل الحجاز**».

الثالث: ما ذهب إليه كثير من الناس وهو أحسنها أن المراد بذلك الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل فنسب الإيمان إليهم لأنهم كانوا الأصل في نصر ما جاء به النَّبِيّ ﷺ.

وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ»، «سُمِّيَتِ اليَمَنَ لأَنَّهَا عَنْ يَمِينِ الكَعْبَةِ، ....

واعترض عليه الشَّيْخ أَبُو عمرو بن الصلاح بأنه لو نظر إلى طرق الْأَحَادِيث لما ترك ظاهر الحديث منها قوله ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبًا وأرقّ أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية ورأس الكفر قبل المشرق**» والأنصار من جملة المخاطبين فهم إذًا غيرهم ومنها قوله ﷺ: «**جاء أهل اليمن**» وإنما جاء حينئذ غير الأنصار. فحينئذ لا مانع من إجراء الكلام على ظاهره وحمله على الحقيقة وأن المراد تفضيل أهل اليمن على غيرهم من أهل المشرق والسبب في ذلك إذعانهم بالإيمان من غير كبير مشقة على المسلمين بخلاف أهل المشرق وغيرهم ومن اتصف بشيء وقوي قيامه به نسب إليه إشعارًا بكمال حاله فيه ولا يلزم من ذلك نفي الإيمان عن غيرهم فلا منافاة بينه وبين قوله ﷺ: «**إن الإيمان ليأرز إلى الحجاز**» ويروى: «**الإيمان في أهل الحجاز**» ثم المراد بذلك الموجود منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان فإن اللفظ لا يقتضيه بل في لفظ الحديث أنه أراد بهم أقوامًا بأعيانهم فأشار إلى من جاء منهم لا إلى بلد معين حيث قَالَ ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن**»، الحديث.

(**وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**) الحكمة عبارة عن العلم المشتمل على المعرفة باللَّه المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصدّ عن اتباع الهوى والباطل والحكيم من يتصف بذلك.

وَقَالَ ابن دريد: كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح حكمة وحكم ومنه قوله ﷺ: «**إن من الشعر حكمة**» وفي بعض الروايات حكمًا.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هو الْبُخَارِيّ نفسه وسقط هذا اللفظ في بعض النسخ.

(**سُمِّيَتِ اليَمَنَ لأَنَّهَا عَنْ يَمِينِ الكَعْبَةِ**) هذا قول الجمهور وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة أَيْضًا في تفسير الواقعة وَقَالَ الرشاطي: سمي بذلك قبل أن يعرف الكعبة لأنها عن يمين الشمس.

وقيل: سمي بيمن بن قحطان وهو يعرب بن قحطان لأن يعرب اسمه يمن فلذلك، قيل: أرض يمن.

وروي عن قطرب قَالَ: إنما سمي اليمن يمنًا ليمنه والشام شامًا لشؤمه.

وَالشَّأْمَ لأَنَّهَا عَنْ يَسَارِ الكَعْبَةِ، وَالمَشْأَمَةُ المَيْسَرَةُ، وَاليَدُ اليُسْرَى الشُّؤْمَى، وَالجَانِبُ الأَيْسَرُ الأَشْأَمُ»[1].

وَقَالَ الهمداني في الأنساب: لما طغت العرب العاربة أقبل بنو قطن بن عامر فتيامنوا فقالت العرب تيامنت بنو قطن فسموا اليمن وتشاءم الآخرون فسموا شامًا.

وقيل: إن الناس لما تفرقت ألسنتهم حين تبلبلت بلابل أخذ بعضهم عن يمين اليمن فسموا يمنا وأخذ بعضهم عن شمالها فسموا شامًا.

(وَالشَّأْمَ لأَنَّهَا عَنْ يَسَارِ الكَعْبَةِ) وقيل: سمي بشامات هناك حمر وسود.

وقيل: سمي بسام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه أول من احتطه وكان اسمه شام بالمعجمة فعرب فقيل سام بالمهملة.

وقيل: شام اسم أعجمي من لغة بني حام وتفسيره بالعربي خبز طيب وَقَالَ البكري الشام مهموز وقد لا يهمز.

وفي المطالع قَالَ أَبُو الحسين ابن سراج: الشآم بهمزة ممدودة وأباه أكثرهم منه إلا في النسب أعني فتح الهمزة كما اختلف في إثبات الياء مع الهمزة الممدودة فأجازه سيبويه ومنعه غيره لأن الهمزة عوض عن ياء النسب فعلى هذا يقال شامي وشآم كما يقال: يمني ويمان.

(وَالمَشْأَمَةُ المَيْسَرَةُ) الميم فيهما زائدة لأن اشتقاقهما يدل على ذلك لأنهما من الشؤم واليسار.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ: المشأمة الميسرة وكذلك الشأمة والشؤم نقيض اليمن.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الواقعة: 9] أي: أصحاب الميسرة.

وَقَالَ: المراد بأصحاب المشأمة أصحاب النار لأنهم يذهبون بهم إليها وهي على ناحية الشمال، ويقال قيل لهم ذلك لأنهم يتناولون كتبهم بالشمال.

(وَاليَدُ اليُسْرَى الشُّؤْمَى) يعني تسمّى بالشؤمى.

(وَالجَانِبُ الأَيْسَرُ الأَشْأَمُ) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ويقال لليد اليسرى الشؤمى ويقال

---

(1) أطرافه 3301، 4388، 4389، 4390 - تحفة 15160.

للجانب الأيسر الأشأم انتهى. ومادة الكل من الشؤم وهو نقيض اليمن.

2 ـ باب مَنَاقِب قُرَيْشٍ

(باب مَنَاقِب قُرَيْشٍ) اختلفوا في الذي سمي بقريش من أجداد النَّبِيّ ﷺ روي عن هشام بن الكلبي عن أبيه أن قريشًا هو النضر بن كنانة فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي قال كان سكان مكة يزعمون أنهم قريش دون سائر بني النضر حتى رحلوا إلى النبي ﷺ فسألوه من قريش؟ قال: من ولد النضر بن كنانة. وبه حزم أبو عبيدة.

قَالَ الْعَيْنِيّ: وهذا قول الجمهور لحديث الأشعث بن قيس أنه قَالَ أتيت رَسُول اللّه ﷺ في وفد من كندة قَالَ فقلت يا رَسُول اللّه إنّا نزعم أنكم منا قَالَ فَقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**نحن بنو النضر بن كنانة لا تقفوا منا ولا تنتفي من أبينا**» قَالَ الأشعث بن قيس فواللّه لا أسمع أحدًا نفى قريشيًّا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد. رواه الإمام أحمد وابن ماجة وقوله لا تقفوا منا من قولهم قفوت الرجل إذا قذفته صريحًا وقفوت الرجل أقفوه قفوا إذا رميته باسم قبيح، وَقَالَ الزبير قالوا قريش اسم بهر بن مالك وما لم يلد فهر فليس من قريش. قَالَ الزبير قَالَ عمي فهر هو قريش اسمه وفهر لقبه وعن ابن شهاب اسم فهر الذي سمته أمه قريش وإنما نبذته بهذا كما يسمى الصبي غرارة وشملة وأشباه ذلك وَقَالَ ابن دريد الفهر الحجر الأملس يملأ الكف وهو مؤنث.

وَقَالَ أَبُو ذر الهروي: يذكر ويؤنث.

وَقَالَ السهيلي: الفهر من الحجارة الطويل وكنيته فهر أَبُو غالب وهو جماع قريش.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: قيل إن قريشا هم ولد فهر بن مالك بن النضر وهذا قول الأكثر وبه جزم مصعب قَالَ ومن لم يلده فهر فهو ليس قرشيًّا وقيل أول من نسب إلى قريش هو قصي بن كلاب روى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل مُحَمَّد بن جُبَيْر متى سميت قريش قريشًا قَالَ حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها

فَقَالَ ما سمعت بهذا ولكن سمعت أن قصيًّا كان يقال له القرشي ولم يسم أحد قرشيًّا قبله وروى ابن سعد من طريق المقداد قَالَ لما فرغ قصي من نفي خزاعة من الحرم تجمعت إليه قريش فسميت يومئذ قريشًا لحال تجمعها والتقريش التجميع.

والقولان الأولان حكاهما غير واحد من أئمة النسب كأبي عمر بن عبد البر والزبير بن بكار ومصعب وأبي عبيدة.

قَالَ الْعَيْنِيّ: والصحيح الذي عليه الجمهور هو النضر وقيل الصحيح هو فهر هذا. وقد أكثر ابن دحية من نقل الخلاف في سبب تسميته قريش قريشًا ومن أول من سمي به وأنا أذكر من ذلك ما اشتهر.

1 - فقيل إنه من التقرش وهو التكسب والتجارة وكانت قريش يتقرشون في البياعات قَالَ تَعَالَى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ قاله ابن هشام.

2 - وقيل إنما سميت قريشًا لتجمعها بعد تفرقها والتقرش التجمع قاله ابن إسْحَاق.

3 - وقيل كان النضر يسمى قريشًا لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجاتهم فيسدها وكان بنوه يقرشون أهل الموسم أي: يفتشون عن حاجاتهم فيرفدونهم بما يبلغهم إلى بلادهم والتقريش هو التفتيش قاله ابن الكلبي.

4 - وقيل سميت قريش بدابة في البحر هي سيدة الدواب البحرية لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته قاله ابْن عَبَّاس رواه البيهقي. قال المطرزي وذلك لأن قريشًا قادة الناس وسادتهم قَالَ الشعر:

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا ... تترك فيه لذي جناحين ريشا

هكذا في البلاد حيّ قريش ... يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا

وَقَالَ صاحب المحكم: قريش دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها وأنشد البيت الأول.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: والذي سمعته من أفواه أهل البحر القرش بكسر

القاف وسكون الراء لكن البيت المذكور شاهد صحيح فلعله من تغيير العامة فإن البيت الأخير من الأبيات المذكورة يدل على أنه من شعر الجاهلية والتصغير للتعظيم.

5 - وقيل: سموا بذلك لمعرفتهم بالطعان والتقرش وقع الأسنة يقال تقارشت الرماح إذا تداخلت في الحرب.

6 - وقيل: التقرش التنزه عن رذائل الأمور ومدانسها وهم كذلك.

7 - وقيل: جاء النضر بن كنانة في ثوب له متجمعًا فقالوا قد تقرش في ثوبه.

8 - وقيل: إنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أي: شديد.

9 - وقيل: أول من تسمى قريشًا قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني كنانة في تجارتهم وحروبهم وكان يقال قدمت قريش فسميت قريش وأبوه صاحب بدر الموضع المعروف حكاه الزبير بن بكار عن عمه مصعب.

10 - وقيل: هو من أقرش به إذا سعى.

11 - وقيل: هو من أقرشت الشجة إذا صدعت العظم ولم تهشمه.

12 - وقيل: هو من تقرش فلان الشيء إذا أخذه أولًا فأولًا ومناسبة الكل لهم لا تخفى.

وقد ورد في فضيلتهم أشياء كثيرة منها ما روي عن سعد بن أَبِي وقاص رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن النَّبِيّ ﷺ عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**إن اللّه اصطفى كنانة من ولد إِسْمَاعِيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشمًا من قريش واصطفاني من بني هاشم**» رواه مسلم.

وكانت لقريش في الجاهلية مكارم منها: السقاية، والعمارة، والرفادة، والحجابة، والندوة، واللواء، والمشورة، والقبة، والأعنة، والسفارة، والإيسار، والحكومة، والأموال المحجرة، وكانوا يسمون آل اللّه وجيران اللّه، والنسبة إلى قريش قرشي.

وعن الخليل: قريشي أَيْضًا فإن أردت بقريش الحمّى صرفته وإن أردت به القبيلة لم تصرفه.

3500 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ، فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلا تُؤْثَرُ ....

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ) أنه (قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ) جُبَيْر بصيغة التصغير ومطعم بلفظ اسم الفاعل من الإطعام.

(يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، (وَهُوَ عِنْدَهُ) حال من مُحَمَّد بن جُبَيْر (فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ) هو حال أَيْضًا (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ) بفتح همزة أن والعامل فيه قوله بلغ.

(يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ) هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ واسمه مهزم على ما قاله ابن ماكولا. وقيل: قحطان بن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل: هو هود عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقيل: أخوه وقيل من ذريته. وقيل: هو من سلالة إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ حكاه ابن إِسْحَاق وغيره.

وَقَالَ بعضهم: هو قحطان بن الهميسع بن نمير بن قيذار بن نبت بن إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقحطان هو أَبُو اليمن.

وبنو قحطان هم العرب العاربة وعرب اليمن وهم حمير المشهور أنهم من قحطان. والتحقيق أن العرب ثلاث فرق عرب عاربة وعرب متعربة وعرب مستعربة فأما العرب العاربة فهم تسع قبائل من ولد أرم بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: عاد، وثمود، وأميم، وعتيل، وجشم، وجديس، وعمليق، وجرهم، ووبار.

وأما العرب المتعربة هم بنو إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وزعمت العرب أن قحطان ولد يعرب وسميت به وهو أول من تكلم بالعربية ونزل بأرض اليمن، وأول من قيل له: أبيْت اللعن، وأول من قيل له: عم صباحًا.

(فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ، فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلا تُؤْثَرُ) على

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ، إِلا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ»[1].

البناء للمفعول أي: ولا يروى: (**عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا**) الأماني جمع الأمنية.

وَقَالَ ابن الجوزي: الأماني بمعنى التلاوة كأن المعنى إياكم وقراءة ما في الصحف التي تؤثر عن أهل الكتاب ما لم يأت به الرسول ﷺ وكان ابن عمرو وقرأ التوراة أو حكى عن أهلها لا أنه حدث به عن رَسُول اللَّه ﷺ إذ لو حدث عنه لما استطاع أحد رده لأنه لم يكن متهمًا.

وَقَالَ ابن التين: إنكار معاوية عليه لأن حمل حديثه على ظاهره وقد يخرج القطاني في ناحية من نواحي الإسلام ويحمل حديث معاوية على الأكثر.

(**فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الأَمْرَ**) أي: أمر الخلافة (**فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ، إِلا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ**) هذا الفعل من الشواذ لأن الأصل أن يتعدى الفعل بالهمز وهذا الفعل ثلاثيه متعد ورباعيه لازم قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ [الملك: 22].

(**مَا أَقَامُوا الدِّينَ**) أي: مدة إقامتهم الدين.

---

(1) طرفه 7139 - تحفة 11438 - 218/ 4.

اختلفوا في القحطاني هل يكون من الخلفاء الصالحين العادلين كما تدل عليه الروايات الواردة الدالة على كون القحطاني بعد المهدي يسير بسيرة المهدي، والروايات في هذا المعنى متعددة، ذكرها صاحب الإشاعة، وقيل غير ذلك كما يشير إليه كلام الحافظ، فقد ترجم البخاري في صحيحه في كتاب الفتن «باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان» وذكر فيه حديث القحطاني هذا، وحديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس» الحديث، قال الحافظ بعد حديث القحطاني: قال الإسماعيلي هذا الحديث ليس من ترجمة الباب في شيء، وذكر ابن بطال أن المهلب أجاب بأن وجهه أن القحطاني إذا قام وليس من بيت النبوة ولا من قريش الذين جعل اللّه فيهم الخلافة فهو من أكبر تغير الزمان وتبديل الأحكام بأن يطاع في الدين من ليس أهلًا لذلك، وحاصله أنه مطابق لصدر الترجمة وهو تغير الزمان، وتغيره أعم من أن يكون فيما يرجع إلى الفسق أو الكفر، فقصة القحطاني مطابقة للتغير بالفسق مثلًا، وقصة ذي الخلصة للتغير بالكفر، اهـ مختصرًا.

3501 - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ»[1].

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وفي إنكار معاوية ذلك نظر لأن الحديث الذي استدل به مقيد بإقامة الدين فيحتمل أن يكون خروج القحطاني إذا لم تقم قريش أمر الدين وقد وجد ذلك فإن الخلافة لم تزل في قريش والناس في طاعتهم إلى أن استخفوا بأمر الدين فضعف أمرهم وتلاشى إلى أن لم يبق من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الأقطار دون أكثرها هذا وقد أجمعوا على أنه إذا دعا إلى الكفر أو بدعة يقام عليه وإن غصب الأموال وانتهك الحرم فاختلف فيه هل يقام عليه أو لا؟ فَقَالَ الأشعري مرة نعم ومرة لا.

وسيأتي مصداق قول عَبْد اللّه بن عُمَر وبعد قليل من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ. وقول عَبْد اللّه بن عمرو سيكون ملك من قحطان بين نعيم بن حماد في كتاب الفتن من وجه قوي عن عمرو بن عقبة بن أوس عن عَبْد اللّه بن عمرو رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه ذكر الخلفاء ثم قَالَ ورجل من قحطان وَأَخْرَجَهُ بإسناد جيد أَيْضًا من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ فيه ورجل من قحطان كلهم صالح. وروى أحمد والطبراني من حديث ذي مخبر الحبشي مَرْفُوعًا كان الملك قبل قريش في حمير وسيعود الملك إليهم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأحكام أَيْضًا. وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ في التفسير.

(**حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ**) هشام بن عبد الملك قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي**) هو مُحَمَّد بن زيد بن عُمَر بن الخطاب رضي اللّه عنهم.

(**عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ**) أي: الخلافة (**فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ**) وفي رواية مسلم ما بقي من الناس ولما كان الناس تبعًا لقريش في الجاهلية كانوا أَيْضًا تبعًا لهم في الإسلام

---

(1) طرفه 7140 - تحفة 7420.
أخرجه مسلم في الإمارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش رقم 1820.

وهم أصحاب الخلافة وهي مستمرة لهم إلى آخر الدنيا ما بقي من الناس اثنان.

وقد ظهر ما قاله ﷺ فمن زمنه إلى الآن الخلافة في قريش من غير مزاحمة لهم فيها وإن كان المتغلبون ملكوا البلاد ومعظم الأقطار وإن كانوا من غير قريش إلا أنهم معترفون بأن الخلافة في قريش فاسم الخلافة باق فيهم ولو كان مجرد التسمية لا الاستبداد بالحكم.

ويحتمل أن يكون هذا خبرًا بمعنى الأمر على أنه خرج هذا الأمر من قريش في أكثر البلاد وقد حكم الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ بأظهرية هذا الاحتمال، واللّه أعلم بحقيقة الحال.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: فإن قلت فما قولك في زماننا حيث ليس الحكومة لقريش قلت في بلاد العرب الخلافة فيهم وكذا في مصر خليفة انتهى.

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأن هذا الذي ذكره ليس بشيء فمن قَالَ إن في العرب خليفة ومن هو هذا الخليفة وليس في مصر إلا من يسمى خليفة وليس له لا حل ولا عقد ولئن سلمنا صحة ما قاله فيلزم منه تعدد الخلافة ولا يجوز إلا خليفة واحد لأن الشارع أمر ببيعة الإمام الأول والوفاء ببيعته ثم من نازعه أمر بضرب عنقه. وروى الإمام أحمد وأبو داود والتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ عن سفينة مولى رَسُول اللّه ﷺ أن رَسُول اللّه ﷺ قَالَ: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكًا**» **وفي رواية ثم يؤتي اللّه ملكه من يشاء وهكذا وقع فإن خلافة أَبِي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ سنتان وأربعة أشهر إلا عشر ليال وخلافة عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وخلافة عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ اثنتا عشرة سنة إلا اثنا عشر يومًا وخلافة علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ خمس سنين إلا شهرين وتكملة الثلاثين بخلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ نحوًا من ستة أشهر حتى نزل عنها لمعاوية رَضِيَ اللّه عَنْهُ عام أربعين من الهجرة.**

فإن قيل: يعارض حديث سفينة ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللّه عَنْهُ لا يزال هذا الدين قائمًا ما كان اثنا عشر خليفة كلهم من قريش الحديث.

فالجواب أن الدين لم يزل قائمًا حتى ولي اثنا عشر خليفة فأراد بهذا خلافة النبوة ولم يرد أنه لا يوجد غيرهم.

3502 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ بَنِي المُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ»[1].

وقيل: هذا الحديث فيه إشارة بوجود اثني عشر خليفة عادلين من قريش وإن لم يوجدوا على الولاء وإنما اتفق وقوع الخلافة المتتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة ثم قد كان بعد ذلك خلفاء راشدون:

منهم: عمر بن عبد العزيز.

ومنهم: المهتدي بأمر اللّه العباسي.

ومنهم: المهدي المبشر بوجوده في آخر الزمان.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة أَيْضًا.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأحكام أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في المغازي.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ بَنِي المُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا) أي: ما أعطيتنا.

(وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟) أي: في كون كلهم أولاد عم جد رَسُول اللّه ﷺ فإن لعبد مناف أربعة: أبناء عبد شمس، والمطلب، وهاشم، ونوفل، وعثمان بن عفان رضي اللّه عنه هو ابن عفان بن أَبِي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ومطعم هو ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف.

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ») أي: سواء كان بينهما اتفاق في الكفر والإسلام أو لا ولهذا لما كتب الكفار الصحيفة المشهورة حين حصروا الهاشمية في الشعب ذكروا فيها المطلبية أَيْضًا ولم يذكروا النوفلية والعبشمية ثم قوله واحد فِي رِوَايَةِ الأكثر بالشين المعجمة واحد الأشياء.

ووقع فِي رِوَايَةِ الحموي سِيّ واحد بكسر المهملة وتشديد التحتية.

---

(1) طرفاه 3140، 4229 - تحفة 3185.

3503 - وَقَالَ اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي أَبُو الأَسْوَدِ مُحَمَّدٌ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: ذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَعَ أُنَاسٍ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ إِلَى عَائِشَةَ، «وَكَانَتْ أَرَقَّ شَيْءٍ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[1].

وحكى ابن التين: أن أكثر الروايات بالمعجمة وأن فيها أحد بدل واحد واستشكله بأن لفظ أحد إنما يستعمل في النفي تقول ما جاءني أحد وأما في الإثبات تقول جاءني واحد.

والحديث قد مضى في الخمس في باب ومن الدليل على أن الخمس للإمام وقد مر الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ هو الْبُخَارِيّ نفسه وقد سقط ذلك في أكثر النسخ.

(**وَقَالَ اللَّيْثُ**) أي: ابن سعد، (**حَدَّثَنِي أَبُو الأَسْوَدِ مُحَمَّدٌ**) أي: ابن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود بن خويلد بن أسد بن العزى القرشي الأسدي المديني يتيم عُرْوَة بن الزبير لأن أباه أوصى به إليه فقيل له: يتيم عُرْوَة لذلك.

(**عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ**) أي: ابن العوام أنه (**قَالَ: ذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مَعَ أُنَاسٍ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ**) بضم الزاي وسكون الهاء واسمه المغيرة بن كلاب بن مرة فيما ذكره الكلبي.

ووقع في الصحاح ومعارف ابن قتيبة أن زهرة امرأة نسب إليها ولدها دون الأب وهو غريب لاجتماع أهل النسب على خلافه.

قال الحافظ العسقلاني: قَالَ إمام أهل النسب هشام بن الكلبي إن اسم زهرة المغيرة فإن ثبت قول ابن قتيبة فالمغيرة اسم الأب وزهرة اسم امرأته.

وَقَالَ ابن دريد: وزهرة فعلة من الزهر وهو زهر الأرض وما أشبهه ويطلق على الشيء الزاهر المضيء من قولهم أزهر النهار إذا أضاء.

(**إِلَى عَائِشَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهَا (**وَكَانَتْ**) أي: عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا (**أَرَقَّ شَيْءٍ**) أي: أرأفه وأشفقه عَلَيْهِمْ أي: على بني زهرة (**لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) وقرابة

---

(1) طرفاه 3505، 6073 - تحفة 16397.

3504 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدٍ، (ح) قَالَ: يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمُزَ الأَعْرَجُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ،

بني زهرة من رَسُول اللّه ﷺ من وجهين:

أحدهما: أنهم أقارب أمه لأنها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

والثاني: أنهم أخوة قصي بن كلاب بن مرة وهو جد والد جد النَّبِيّ ﷺ. ثم هذا التعليق طرف من الحديث الذي أورده موصولًا بعد حديث واحد عن عَبْد اللّه ابن يُوسُف عن الليث وفيه بيان السبب في ذلك، وقد وقع في بعض النسخ الحديث الموصول بعد المعلق بلا فصل بينهما بحديث آخر.

(**حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ**) الفضل بن دكين قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو الثَّوْرِيّ، (**عَنْ سَعْدٍ**) هو ابن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهْرِيّ القرشي المدني.

(ح) تحويل من سند إلى آخر، وفي بعض النسخ: وَقَالَ أَبُو عَبْد اللّه أي: الْبُخَارِيّ نفسه من غير ذكر حاء التحويل.

(**قَالَ: يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي**) هو إِبْرَاهِيم بن سعد، (**عَنْ أَبِيهِ**) سعد ابن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف قَالَ أَبُو مَسْعُود الدمشقي رواية يعقوب بن إِبْرَاهِيم لهذا الحديث تخالف رواية سُفْيَان الثَّوْرِيّ في المتن والإسناد لأن الثَّوْرِيّ يرويه عن سعد بن إِبْرَاهِيم عن الأعرج عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ ويعقوب يرويه عن أبيه إِبْرَاهِيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الأعرج باللفظ الذي يأتي بعد هذه الترجمة ولا يرويه عن جده سعد بن إِبْرَاهِيم الأعرج، ولا ضير فيه لأن إِبْرَاهِيم بن سعد والد يعقوب معروف بالرواية عن صالح بن كيسان وعن سعد بن إِبْرَاهِيم فيحتمل أنه رواه تارة عن هذا وتارة عن هذا واللّه تَعَالَى أعلم.

حَدَّثَنِي أي: أنه (**قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هُرْمُزَ الأَعْرَجُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه قَالَ: (**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُرَيْشٌ**) قد مر الكلام فيه عن قريب.

(**وَالأَنْصَارُ**) يريد بالأنصار الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقا بن

وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، ....

عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن وهو جماع غسان بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشحب بن يعرب بن قحطان واسم الأزد درا بكسر الدال وبالمد والقصر، وقد يفتح الدال من قولهم أزدي إليَّ درايدا وكان معطاء فكثر استعمالهم إياه حتى جعلوه اسمًا والأصل أَسْدَ فقلبوا السين زايا ليطابق الدال في الجهر وعن يعقوب وأبي عبيد أسد أفصح من الأزد وَقَالَ يَحْيَى بن معين: هما سواء.

وَقَالَ الرشاطي: الأزد جرثومة من جراثيم قحطان وبابهم واسع وفيهم قبائل وعمائر وبطون وأفخاذ لخزاعة وغسان وبارق والعتيك وغامد ومنهم الأنصار.

(**وَجُهَيْنَةُ**) بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتانية وهو ابن زيد بن ليث بن سود بضم السين المهملة وسكون الواو وآخره دال مهملة ابن أسلم بضم اللام ابن الحاف بالمهملة والفاء على وزن إلياس ويقال الحافي ابن قضاعة واسمه عمرو بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ.

وَقَالَ ابن دريد: جهينة من الجهن وهو الغلظ في الوجه والجسم وبه سمي جهينة وبنو جهينة سمنهم مشهورون من الصحابة كعقبة بن عامر الجهني وغيره.

واختلف في قضاعة فالأكثر أنهم من حمير وقيل: هم من ولد معد بن عدنان.

(**وَمُزَيْنَةُ**) بضم الميم وفتح الزاي وسكون التحتية وهي بنت كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة وهي امرأة عمرو بن أد بن طابخة بالموحدة ثم المعجمة بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهي أم عثمان وأوس ابني عمرو بن أد. فولد هذين يقال لهم بنو مزينة والمزينون. ومنهم: من قدماء الصحابة عَبْد اللَّه بن مغفل بن عبد مهم المزني. وعمه خزاعة بن عبد مهم. وإياس ابن هلال. وابنه قرة بن إياس. وهو جد القاضي إياس بن معاوية بن قرة وآخرون.

وَقَالَ ابن دريد مزينة تصغير مزنة وهي السحابة البيضاء والجمع مزن.

(**وَأَسْلَمُ**) في خزاعة وهو ابن أفصى بفتح الهمزة وسكون الفاء بعدها مهملة مقصورًا ووقع فِي رِوَايَةِ الجرجاني أفعى بعين مهملة بدل الصاد وهو تصحيف.

وَأَشْجَعُ، وَغِفَارُ مَوَالِيَّ،

وأفصى هو خزاعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن ملكان بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشحب بن يعرب بن قحطان.

وفي مذحج أسلم بن أوس اللّه بن سعد العشيرة بن مذحج. وفي بجيلة أسلم ابن عمرو بن لؤي بن رهم بن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغوث، فاللَّه تَعَالَى أعلم بمراده ﷺ بقوله هذا.

(وَأَشْجَعُ) هو ابن ريث بفتح الراء وسكون التحتية وبالمثلثة. ابن غطفان بن سعد بن قيس غيلان بن مضر ومن مشاهير الصحابة فيهم نعيم بن مسعود بن عامر ابن أنيف، وأشجع من الشجع وهو الطول يقال رجل أشجع وامرأة شجعاء.

والأشجع أَيْضًا المعقد الثاني من الأصابع والجمع أشاجع.

(وَغِفَارُ) بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء وآخره راء وهو ابن مليل بميم ولامين مصغرًا ابن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

وسبق إلى الإسلام منهم أَبُو ذر الغفاري وأخوه أنيس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ورجع أَبُو ذر إلى قومه فأسلم الكثير منهم وأما الحكم بن عمرو الغفاري الصحابي رَضِيَ اللّه عَنْهُ فهو من ولد نفيلة ابن مليل أخي غفار فنسب إلى أخي جده وكثيرًا ما تصنع العرب ذلك إذا كان أشهر من جده.

وَقَالَ ابن دريد: هو من غفر إذا ستر ومنه قولهم يغفر اللّه لك. وهذه القبائل الخمس من مضر أما مزينة وغفار وأشجع فبالاتفاق وأما أسلم وجهينة فعلى قول ويرجحه أن الذين ذكروا في مقابلهم وهم بنو تميم وأسد وغطفان وهوازن جميعهم من مضر بالاتفاق. ثم هذه القبائل الخمس كانت في الجاهلية في القوة والمكانة دون بني عامر بن صعصعة وبني تميم بن مرة وغيرهما من القبائل فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولًا فيه من أولئك فانقلب الشرف إليهم بسبب ذلك فلذلك قَالَ ﷺ: (مَوَالِيَّ) بتشديد الياء التحتانية أضافهم النَّبِيّ ﷺ إلى نفسه أي: أنصاري والمختصون بي وهو خبر المبتدأ وهو قريش وما بعده عطف عليه وَقَالَ أَبُو الحسن روي بالتشديد والتخفيف وَقَالَ ابن التين والتخفيف إما أن يكون بغير

لَيسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللّهِ وَرَسُولِهِ»[1].

3505 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ البَشَرِ إِلَى عَائِشَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِهَا، وَكَانَتْ لا تُمْسِكُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللّهِ إِلا تَصَدَّقَتْ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهَا،

ياء أو يضيفهم إلى نفسه بتخفيف الياء وعلى الأول يكون المضاف إليه محذوفًا أي: موالي اللّه ورسوله ويدل عليه قوله.

(**لَيسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللّهِ وَرَسُولِهِ**) أي: غير اللّه ورسوله والمولى وإن كان له معان كثيرة لكن المناسب هنا الناصر والولي والمتكفل بمصالحهم والمتولي لأمورهم وقال يونس: هم أولياء اللّه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: 11] وهذه فضيلة ظاهرة لهؤلاء القبائل والمراد من آمن منهم والشرف يحصل للشيء إذا حصل لبعضه قيل إنما خصوا بذلك لأنهم بادروا إلى الإسلام فلم يسبوا كما سبي غيرهم وهذا إذا أسلم يحمل على الغالب.

وقيل: المراد بهذا الخبر النهي عن استرقاقهم وأنهم لا يدخلون تحت الرق قَالَ الداوودي من أسر من هذه القبائل لم يجر عليه رق ولا ولاء.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ يُوسُفَ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**أَبُو الأَسْوَدِ**) يتيم عُرْوَة، (**عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ**) أنه (**قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ البَشَرِ إِلَى عَائِشَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهَا (**بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِهَا، وَكَانَتْ لا تُمْسِكُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللّهِ إِلا تَصَدَّقَتْ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهَا**) أي: تمنع من الإعطاء ويحجر عليها وفي رواية للبخاري تأتي في الأدب واللّه لتنتهين عَائِشَة أو لأحجرن عليها.

وحاصل القصة: أن عَبْد اللّه بن الزبير بن العوام هو ابن أخت عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا لأن أمه أسماء بنت أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهَا وأمها أم العزى قيلة

---

(1) طرفه 3512 - تحفة 13648.
أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة. رقم 2520.

فَقَالَتْ: «أَيُؤْخَذُ عَلَى يَدَيَّ عَلَيَّ نَذْرٌ إِنْ كَلَّمْتُهُ؟»، فَاسْتَشْفَعَ إِلَيْهَا بِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَبِأَخْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً فَامْتَنَعَتْ، فَقَالَ لَهُ الزُّهْرِيُّونَ أَخْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ: إِذَا اسْتَأْذَنَّا فَاقْتَحِمِ الحِجَابَ،

أو قتيلة بنت عبد العزى وأم عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا أم رومان بنت عامر فأسماء أخت عَائِشَة من الأب وكانت عَائِشَة تحب عَبْد اللّه بن الزبير غاية المحبة وكان أحب الناس إليها بعد النَّبِيّ ﷺ وأبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ وكان عَبْد اللّه يبر إليها كثيرًا وكانت عَائِشَة كريمة جدًّا لا تمسك شَيْئًا وبلغها أن عَبْد اللّه قَالَ واللّه لتنتهين عَائِشَة أو لأحجرن عليها.

(فَقَالَتْ: أَيُؤْخَذُ عَلَى يَدَيَّ) فيه حذف تقديره فبلغ ذلك عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا فقالت أيؤخذ على يدي أي: أيحجر عَبْد اللّه عليَّ فغضبت من ذلك فقالت: (عَلَيَّ نَذْرٌ إِنْ كَلَّمْتُهُ، فَاسْتَشْفَعَ) فيه حذف أَيْضًا تقديره فبلغ عَبْد اللّه بن الزبير غضب عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا وبلغه نذرها بترك الكلام له وخاف على نفسه من غضبها فاستشفع (إِلَيْهَا) لترضى عليه (بِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَبِأَخْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً فَامْتَنَعَتْ) عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا ولم ترض.

(فَقَالَ لَهُ) أي: فلما امتنعت عن قبول الشفاعة قَالَ لعبد اللّه: (الزُّهْرِيُّونَ) المنسوبون إلى زهرة وقد مر فيما قبل أن اسمه المغيرة بن كلاب.

(أَخْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ) لأن أمه ﷺ كانت من بني زهرة لأنها بنت وهب بن عبد مناف بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة.

(مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ) ابن وهب بن عبد مناف القرشي الزُّهْرِيّ وأمه آمنة بنت نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال النَّبِيّ ﷺ أدرك النَّبِيّ ﷺ ولا يصح له رواية ولا صحبة ذكره ابن حبان في الثقات.

(وَالمِسْوَرُ) بكسر الميم (ابْنُ مَخْرَمَةَ) بفتح الميم والراء ابن نوفل بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزُّهْرِيّ له ولأبيه صحبة رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

(إِذَا اسْتَأْذَنَّا) يعني إذا استأذنا عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا في الدخول عليها، (فَاقْتَحِمِ الحِجَابَ) أي: ارم نفسك فيه من غير استئذان ولا روية يقال اقتحم

فَفَعَلَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِعَشْرِ رِقَابٍ فَأَعْتَقَتْهُمْ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تُعْتِقُهُمْ حَتَّى بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ، فَقَالَتْ: «وَدِدْتُ أَنِّي جَعَلْتُ حِينَ حَلَفْتُ عَمَلًا أَعْمَلُهُ فَأَفْرُغَ مِنْهُ»[1].

فلان الأمر العظيم ويقتحمه إذا رمى نفسه فيه من غير تثبيت ولا روية وأراد بالحجاب الستارة التي تضرب بين عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا وبين المستأذنين للدخول عليها.

(**فَفَعَلَ**) أي: فعل عَبْد اللّه بن الزبير رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ما قَالَ له الزهريون من اقتحام الباب.

(**فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِعَشْرِ رِقَابٍ**) فيه حذف تقديره لما شفع الزهريون في عَبْد اللّه عند عَائِشَة رضيت عليه ثم أرسل عَبْد اللّه بعشر عبيد أو جوار إليها لأجل أن تعتق ما أرادت منهم كفارة ليمينها.

(**فَأَعْتَقَتْهُمْ**) أي: فأعتقت عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا جميعهم، (**ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تُعْتِقُهُمْ**) أي: ثم لم تزل عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا تعتق من الرقاب (**حَتَّى بَلَغَتْ**) الرقاب المعتقات (**أَرْبَعِينَ**) رقبة للاحتياط في نذرها.

(**فَقَالَتْ: وَدِدْتُ**) أي: تمنيت (**أَنِّي جَعَلْتُ حِينَ حَلَفْتُ عَمَلًا**) نصب على أنه مفعول جعلت (**أَعْمَلُهُ فَأَفْرُغَ مِنْهُ**) بالرفع والنصب لأن الودادة هنا بمعنى التمني فينتصب المضارع في جوابه بتقدير أن وحاصله أني نذرت مبهمًا وهو يحتمل أن يطلق على أكثر مما فعلت فلو كنت نذرت نذرًا معينًا كنت تيقنت أني إذا أديته برئت ذمتي والحاصل أنها تمنت لو كانت قالت بدل قولها عليّ نذر على إعتاق رقبة أو صوم شهر أو نحو ذلك من الأعمال المعينة حتى يكون كفارتها معلومة معينة ويفرغ منها بالإتيان بها بخلاف لفظ عليَّ نذر فإنه مبهم لم يطمئن قلبها بإعتاق رقبة أو رقبتين وأرادت الزيادة عليه في كفارتها.

وقد أبدى الْكِرْمَانِيّ هنا وجهين آخرين:

أحدهما: أنها تمنت أن يدوم لها العمل الذي عملته للكفارة يعني تمنت أن تكون دائمًا ممن أعتق العبيد لها أو نحوه وهذا بعيد كما لا يخفى.

والآخر: أنها تمنت لو كفرت حين حلفت ولم يقع الهجر والمفارقة في هذه

---

(1) طرفاه 3503، 6073 - تحفة 16397 - 219/ 4.

3 ـ باب نَزَلَ القُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ

3506 - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُثْمَانَ، دَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، ....

المدة وهو هو الأنسب بقوة دين عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا وغاية ورعها لكن يأبى عنه نوع إباء قوله فأفرغ منه إذ هو ظاهر في المعنى الذي ذكر أولًا.

وقد اختلف الفقهاء في النذر المبهم المجهول فذهب مالك أنه ينعقد يمينًا ويلزم به كفارة اليمين، وبه قَالَ الحنفية كما في النوازل.

وَقَالَ الشَّافِعِيّ: مرة يلزمه أقل ما يقع عليه الاسم وَقَالَ مرة لا ينعقد يمينًا وصح في مسلم كفارة النذر كفارة يمين وفي لفظ له من نذر نذرًا ولم يسم فعليه كفارة يمين ولعل عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا لم يبلغها هذا الحديث ولو كانت بلغها لم تقل هكذا ولم تعتق أربعين رقبة أو تأولت كذا قَالَ الْعَيْنِيّ.

وَقَالَ ابن التين: ويحتمل أن يكون هذا قبل تمام الثلاث أي: ثلاثة أيام في الهجر وكيف وقع الحنث عليها بمجرد دخول عَبْد اللّه بن الزبير عليها دون الكلام إلا أن يكون لما سلم الزهريون عليها ردت السلام وعبد اللّه في جملتهم فوقع الحنث قبل أن اقتحم الحجاب.

وقيل: فيه نظر؛ لأنه كان يجوز لها رد السلام عليهم إذا نوت إخراج عَبْد اللّه في تحنث بذلك فليتأمل.

وقد عرفت أن هذا الحديث الموصول هو الذي يوضح المعلق المذكور قبل الحديث السابق على هذا الحديث كما لا يخفى.

3 ـ باب نَزَلَ القُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ

(باب نَزَلَ القُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ) أي: بلغتهم.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) ابن يَحْيَى القرشي الأويسي المدني وهو من أفراده قَالَ: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ) أي: ابن عبد الرحمن بن عوف، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ، (عَنْ أَنَسٍ) ويروي: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ (أَنَّ عُثْمَانَ) أي: ابن عفان رَضِيَ اللّه عَنْهُ (دَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ

وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ ....

وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ) أي: ابن أجنحة القرشي الأموي المديني، (**وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ**) ابن المغيرة بن مخزوم القرشي المخزومي قَالَ الواقدي: كان ابن عشر سنين حين قبض النَّبِيّ ﷺ.

(**فَنَسَخُوهَا**) الضمير المنسوب فيه إلى الصحف التي كانت عند حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ولا يقال إنه إضمار قبل الذكر لأن هذا الحديث قطعة من حديث آخر طويل أَخْرَجَهُ في الفضائل وفيه فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد اللّه بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها (**فِي المَصَاحِفِ**) جمع مصحف وهو الكراسة وحقيقتها مجمع الصحف.

(**وَقَالَ عُثْمَانُ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ**) هم عَبْد اللّه بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث وأما زيد بن ثابت فهو ليس بقرشي بل هو أنصاري خزرجي.

(**إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ**) قَالَ الداوودي: يعني إذا اختلفتم فيه من الهجاء ليس الإعراب.

وَقَالَ أَبُو الحسن: أراد إذا اختلفتم في إعرابه ولا يبعد أنه أراد الوجهين ألا ترى أن لغة أهل الحجاز ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: 31] ولغة تميم بشر.

(**فَاكْتُبُوهُ**) أي: الذي اختلفتم فيه (**بِلِسَانِ قُرَيْشٍ**) لقوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: 4] وقوم النَّبِيّ ﷺ قريش فيكتب بلسانهم.

(**فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ**) أي: فإنما نزل القرآن بلسان قريش وَقَالَ الداوودي ولما اختلفوا في التابوت فَقَالَ زيد بن ثابت التابوه وَقَالَ أولئك الثلاثة التابوت أمرهم عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ بأن يكتبوه بلسان قريش التابوت.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ»[1].

4 ـ باب نِسْبَةِ اليَمَنِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ

مِنْهُمْ أَسْلَمُ بْنُ أَفْصَى بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ من خُزَاعَةَ.

3507 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَسْلَمَ يَتَنَاضَلُونَ ....

(فَفَعَلُوا ذَلِكَ) أي: ما أمر عثمان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في فضائل القرآن أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ في التفسير. وَالنَّسَائِيّ في فضائل القرآن.

4 ـ باب نِسْبَةِ اليَمَنِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ

(باب نِسْبَةِ اليَمَنِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ أي: نسبة أهل اليمن إلى إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم عليهما السلام ونسبة ربيعة ومضر إلى إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ متفق عليها وأما أهل اليمن فجماع نسبتهم ينتهي إلى قحطان.

وقد مر الكلام في قحطان في باب مناقب قريش.

(مِنْهُمْ أَسْلَمُ بْنُ أَفْصَى بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ من خُزَاعَةَ) وقوله من خزاعة في محل النصب على الحالية من أسلم بن أفصى.

وفي بعض النسخ عامر بن خزاعة وهو سهو وأفصى هو خزاعة أشار بهذا إلى الاحتراز عن أسلم الذي في مذحج وفي بجيلة وقد مر تفصيله فيما سبق آنفًا.

(حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو القطان، (عَنْ يَزِيدَ) من الزيادة (ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ) مولى سلمة بن الأكوع أنه قَالَ: (حَدَّثَنَا سَلَمَةُ) ابن الأكوع وفي نسخة: سقط لفظ ابن الأكوع.

(قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَسْلَمَ يَتَنَاضَلُونَ) أي: يترامون

---

(1) طرفاه 4984، 4987 - تحفة 9783.

بِالسُّوقِ، فَقَالَ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلانٍ» لأَحَدِ الفَرِيقَيْنِ، فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: «مَا لَهُمْ؟» قَالُوا: وَكَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَ بَنِي فُلانٍ؟ قَالَ: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[1].

(بِالسُّوقِ، فَقَالَ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلانٍ» لأَحَدِ الفَرِيقَيْنِ، فَأَمْسَكُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: «مَا لَهُمْ») أي: ما لهم لا يرمون، **(قَالُوا: وَكَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَ بَنِي فُلانٍ؟ قَالَ: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»)** والحديث قد مضى في باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [مريم: 54] وقد مضى الكلام فيه هناك. وأراد المصنف بإيراده هنا أن نسب حارثة بن عمرو متصل باليمن وقد خاطب النَّبِيّ ﷺ بأنهم من بني إِسْمَاعِيل حيث قَالَ لهم: «**ارموا بني إِسْمَاعِيل**» فدل على أن اليمن من بني إِسْمَاعِيل.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وفي الاستدلال نظر لأنه لا يلزم من كون بني أسلم من بني إِسْمَاعِيل أن يكون جميع من ينسب إلى قحطان من بني إِسْمَاعِيل لاحتمال

---

(1) طرفاه 2899، 3373 - تحفة 4550.

قال الحافظ: قوله وأنا مع بني فلان في حديث أبي هريرة في نحو هذه القصة عند ابن حبان والبزار وأنا مع ابن الأدرع، واسم ابن الأدرع محجن وقع ذلك من حديث حمزة بن عمرو الأسلمي في هذا الحديث عن الطبراني قال فيه: وأنا مع محجن بن الأدرع، وقوله قالوا: كيف نرمي اسم قائل ذلك منهم نضلة الأسلمي، ذكره ابن إسحاق في المغازي عن سفيان بن فروة الأسلمي عن أشياخ من قومه من الصحابة قالوا: بينا محجن بن الأدرع يناضل رجلًا من أسلم يقال به نضلة فذكر الحديث، وفيه فقال نضلة وألقى قوسه من يده والله لا أرمي معه وأنت معه، وقوله معكم كلكم بكسر اللام، والمراد بالمعية معية القصد إلى الخير، ويحتمل أن يكون قام مقام المحلل فيخرج السبق من عنده، قال المهلب: يستفاد منه أن من صار السلطان عليه في جملة المناضلة له أن لا يتعرض لذلك كما فعل هؤلاء القوم حيث أمسكوا لكون النبي ﷺ مع الفريق الآخر خشية أن يغلبوهم فيكون النبي ﷺ مع من وقع عليه الغلب فأمسكوا عن ذلك تأدبًا معه، وتعقب بأن المعنى الذي أمسكوا له لم ينحصر في هذا بل الظاهر أنهم أمسكوا لما استشعروا من قوة قلوب أصحابهم بالغلبة حيث صار النبي ﷺ معهم، وذلك من أعظم الوجوه المشعرة بالنصر، وقد وقع في رواية حمزة بن عمرو عند الطبراني فقالوا من كنت معه فقد غلب، وكذا في رواية ابن إسحاق فقال نضلة: لا نغلب من كنت معه، اهـ.

قال القسطلاني: واستشكل كونه ﷺ مع الفريقين وأحدهما مغلوب، وأجاب الكرماني بأن المراد بالمعية معية القصد إلى الخير وإصلاح النية والتدرب فيه للقتال، اهـ.

5 ـ باب

3508 - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، عَنِ الحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، أَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ ....

أن يكون وقع في أسلم ما وقع في أخواتهم خزاعة من الخلاف بل هو من بني قحطان أو من بني إِسْمَاعِيل.

وقد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع ابن أَبِي حدرد في حديث الباب أن النَّبِيّ ﷺ مر بناس من أسلم وخزاعة وهم يتناضلون فَقَالَ: «**ارموا بني إِسْمَاعِيل**» فعلى هذا فلعل من كان هناك من خزاعة كانوا أكثر فَقَالَ ذلك على سبيل التغليب.

وأجاب الهمداني النسابة عن ذلك بأن قوله لهم يا بني إِسْمَاعِيل لا يدل على أنهم من ولد إِسْمَاعِيل من جهة الآباء بل يحتمل أن يكون ذلك لكونهم بني إِسْمَاعِيل من جهة الأمهات لأن القحطانية والعدنانية قد اختلطوا بالصهورة فالقحطانية من بني إِسْمَاعِيل من جهة الأمهات. وقد تقدمت مباحث هذا الحديث في كتاب الجهاد أَيْضًا.

5 ـ باب

(**باب**) كذا هو بلا ترجمة كالفصل من الباب الذي قبله وليس هو بموجود في كثير من النسخ ووجه تعلق الْأَحَادِيث المذكورة فيه بما قبله سيبين إن شاء اللّٰه تَعَالَى.

(**حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ**) بفتح الميمين هو عَبْد اللّٰه بن عمرو بن أَبِي الحجاج المنقري المقعد قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ**) أي: ابن سَعِيد، (**عَنِ الحُسَيْنِ**) هو ابن واقد المعلم ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم: حَدَّثَنَا حسين المعلم.

(**عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ بُرَيْدَةَ**) بضم الباء الموحدة وفتح الراء مصغر البردة وقد مر في الحيض أنه (**قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ**) بفتح المثناة التحتية وسكون العين وضم الميم وفتحها وآخره راء (**أَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ**) ظالم بن عمرو، ويقال عمرو بن ظالم.

وَقَالَ الواقدي: اسمه عويمر بن ظويلم.

وقيل غير ذلك قاضي البصرة وهو أول من تكلم في النحو.

الدِّيلِيِّ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ ـ وَهُوَ يَعْلَمُهُ ـ إِلا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

(الدِّيلِيِّ) بكسر الدال المهملة وسكون المثناة التحتية وبفتح الهمزة ويقال بضم الدال وإسكان الواو وبفتح الهمزة أربع لغات وقد مر في الجنائز وهؤلاء الثلاثة تابعيون على نسق واحد.

(حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ) جندب بن جنادة الغفاري وفي رواية الإسماعيلي حَدَّثَنِي أَبُو ذر (أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ) كلمة من زائدة وذكر الرجل باعتبار الغالب وإلا فالمرأة كذلك.

(ادَّعَى) أي: انتسب (لِغَيْرِ أَبِيهِ) ويروى إلى غير أبيه.

(وَهُوَ يَعْلَمُهُ) جملة حالية أي: والحال أنه يعلم أنه غير أبيه وإنما قيد بذلك لأن الإثم يتبع العلم.

(إِلا كَفَرَ) وفي بعض النسخ إلا كفر باللَّه ولم يقع لفظه باللَّه فِي رِوَايَةِ مسلم ولا في غير رواية أَبِي ذَرٍّ ولا فِي رِوَايَةِ الإسماعيلي فالوجه على عدم هذه اللفظة وهو أولى أن المراد أنه فعل فعلًا يشبه فعل أهل الكفر أو المراد كفر أن النعمة أو أن ظاهر اللفظ غير مراد وإنما ورد على سبيل التغليظ لزجر فاعل ذلك.

والوجه على تقدير وجودها أن يحمل على أن المراد من استحل ذلك مع علمه بالتحريم.

(وَمَنِ ادَّعَى قَوْمًا) أي: ومن انتسب إلى قوم (لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ) نسب كذا فِي رِوَايَةِ الكشميهني وسقط فِي رِوَايَةِ غيره لفظ نسب فيحتاج إلى تقدير في اللفظ نسب أولى ما يقدر لوروده في بعض الروايات.

وفي رواية مسلم من ادعى ما ليس له فليس منا وهذه أعلم مما يدل عليه رواية الْبُخَارِيّ.

(فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) أي: ليتنزل منزله من النار أو ليتخذ منزلًا بها وهو

---

(1) طرفه 6045 - تحفة 11929.
أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم رقم 61.

3509 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ، حَدَّثَنَا حَرِيزٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيُّ، ....

إما دعاء وإما خبر بلفظ الأمر ومعناه هذا إجزاؤه إن جوزي وقد يعفى عنه وقد يتوب فيسقط عنه.

وقد تقدم تقرير ذلك في كتاب الإيمان في حديث من كذب عليَّ. ثم ذلك في الآخرة وأما في الدنيا فَقَالَ جماعة إذا كذب على النَّبِيّ ﷺ يقتل فلا يقبل توبته منهم أحمد بن حنبل وعبد اللّه بن الزبير الحُمَيْدِيّ وأبو بكر الصيرفي وأبو المظفر السمعاني هذا.

وفي الحديث تحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى غيره وقيد في الحديث بالعلم ولا بدّ منه في حالتي الإثبات والنفي لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشيء المتعمد له.

وفيه: جواز إطلاق الكفر على المعاصي لقصد الزجر والتغليظ.

ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى بشيء ليس هو للمدعي ويدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها مالًا وعلمًا ونسبًا وحالًا وصلاحًا ونعمة وولاء وغير ذلك.

ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على ذلك.

ومطابقة الحديث للباب المترجم من حيث أن الترجمة متعلقة بالنسب الحقيقي الصحيح.

وفي الحديث ذكر النسب الباطل والزجر والتوبيخ لمدعيه فتطابقا.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ) بفتح المهملة وتشديد التحتية وبالمعجمة الألهاني الحمصي وهو من أفراده وقد مر في الصلاة قَالَ: (حَدَّثَنَا حَرِيزٌ) بفتح المهملة وكسر الراء وآخره زاي ابن عثمان الحمصي من صغار التابعين مات سنة ثلاث وستين ومائة (قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد وفي نسخة: حَدَّثَنَا (عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيُّ) بفتح النون وسكون الصاد المهملة منسوب إلى نصر بن معاوية بن بكر ابن هوازن وهو دمشقي وجده كعب بن عمير ويقال بشر بن كعب وهو أَيْضًا من صغار التابعين فيكون من رواية القرين عن القرين وعبد الواحد هذا قد ولي إمرة الطائف لعمر بن عبد العزيز ثم ولي إمرة المدينة ليزيد بن عبد الملك وكان

قَالَ: سَمِعْتُ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ»[1].

محمود السيرة ومات وعمره مائة وبضع سنين وليس له في الْبُخَارِيّ سوى هذا الحديث الواحد وقد رواه عنه أَيْضًا زيد بن أسلم وهو أكبر منه سنًّا ولقاء للمشايخ لكنه دخل بين عبد الواحد وواثلة عبد الوهاب بن بخت أَخْرَجَهُ ابن عبدان في مستخرجه على الصحيحين من رواية هشام بن سعد عن زيد وهشام فيه مقال.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وهذا عندي من المزيد في متصل الأسانيد أو هو مقلوب كأنه عن زيد بن أسلم عن عبد الوهاب بن بخت عن عبد الواحد واللَّه تَعَالَى أعلم.

(قَالَ: سَمِعْتُ وَاثِلَةَ) بكسر المثلثة (ابْنَ الأَسْقَعِ) بفتح الهمزة وسكون المهملة وفتح القاف وآخره مهملة الكناني المقدسي مات سنة خمس وثمانين.

(يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى) بكسر الفاء مقصور وممدود جمع فرية وهي الكذب والبهت تقول فرى بفتح الراء فلان كذا إذا اختلق يفري بفتح أوله فرى بالفتح وافترى اختلق.

(أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ) أي: ينتسب (إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ) بضم الياء وكسر الراء من الإراءة (عَيْنَهُ) منصوب بقوله يري.

(مَا لَمْ تَرَ) مفعول ثان والضمير المنصوب محذوف أي: ما لم تره.

وحاصله أنه يدعي أن عينيه رأتا في المنام شَيْئًا ما رأتاه.

وفي رواية أحمد وابن حبان والحاكم من وجه آخر عن واثلة أن يفتري الرجل على عينيه فيقول رأيت ولم ير في المنام شَيْئًا.

(أَوْ يَقُولُ) مضارع قَالَ وفي رواية المستملي أو تقول على وزن الماضي من التقول من باب التفعل ومعناه افترى.

(عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ) أي: ما لم يقل الرسول ﷺ.

---

(1) تحفة ﷺ 11745 - 220/ 4.

3510 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا مِنْ هَذَا الحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ، قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلا فِي كُلِّ شَهْرٍ حَرَامٍ، فَلَوْ أَمَرْتَنَا بِأَمْرٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ وَنُبَلِّغُهُ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللَّهِ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَى اللَّهِ خُمُسَ ....

وفي الحديث تشديد الكذب في هذه الأمور الثلاثة وهي الادعاء إلى غير أبيه، والإخبار عن شيء بأنه رآه في المنام ولم يكن رآه، والكذب على النَّبِيِّ ﷺ فأما الأخير فقد تقدم البحث فيه في كتاب الإيمان وأما الادعاء إلى غير الأب فقد تقدم قريبًا وأما المنام فكون الكذب فيه أشد من الكذب في اليقظة لأنه لما كان جزءا من الوحي لأنه جزء من النبوة والنبوة لا تكون إلا وحيًا كان المخبر به كاذبا كالمخبر عن اللّه بما لم يلقه إليه فيكون كاذبًا على اللّه تَعَالَى والكاذب على اللّه أعظم فرية ممن كذب على غيره.

ويقال إن اللّه تَعَالَى يرسل الرؤيا فيرى النائم ما شاء فإذا أخبر عن ذلك بالكذب يكون كاذبًا على اللّه وعلى الملك كما أن الذي يكذب على النَّبِيِّ ﷺ ينسب إليه شرعا لم يقله والشرع غالبًا إنما تلقاه النَّبِيّ ﷺ من اللّه تَعَالَى على لسان الملك فيكون الكاذب في ذلك كاذبًا على اللّه وعلى الملك.

ومطابقة الحديث للترجمة مثل مطابقة الحديث السابق.

(**حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ**) بفتح الجيم أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا مِنْ هَذَا الحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ، قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلا فِي كُلِّ شَهْرٍ حَرَامٍ، فَلَوْ أَمَرْتَنَا بِأَمْرٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ وَنُبَلِّغُهُ مَنْ وَرَاءَنَا**)، فَقَالَ ويروى: (**قَالَ**) بدون الفاء: (**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ**) كذا في رواية الكشميهني، وفي رواية غير بأربعة وعن أربعة، واسم العدد إذا لم يذكر مميزه يجوز تذكيره وتأنيثه (**الإِيمَانِ بِاللَّهِ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَى اللَّهِ خُمُسَ**

مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ، وَالمُزَفَّتِ»[1].

3511 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: «أَلا إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[2].

6 ـ باب ذِكْر أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ

مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ، وَالمُزَفَّتِ) وقد مر الحديث في كتاب الإيمان في باب أداء الخمس من الإيمان ومطابقته للترجمة من حيث إنه ذكر فيه ربيعة ومضر ولا شك في نسبتهما إلى إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) هو ابن أَبِي حمزة، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) أنه قال: حدَّثني (عَنْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: «أَلا إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ من حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ») قرن الشيطان يحتمل الحقيقة والمجاز وقد مضى الحديث في باب صفة إبليس.

ومطابقته للترجمة باعتبار ما في بعض طرقه من ذكر ربيعة ومضر.

6 ـ باب ذِكْر أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ

(باب ذِكْر أَسْلَمَ وَغِفَارَ) بكسر الغين وتخفيف الفاء يصرف باعتبار الحي ولا يصرف باعتبار القبيلة.

(وَمُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ) وهذه خمس قبائل كانت في الجاهلية في القوة والمكانة دون غيرها من القبائل فلما جاء الإسلام كانوا أسرع دخولًا فيه فصار الشرف إليهم بسبب ذلك وقد مر الكلام فيه تفصيلًا قريبًا.

---

(1) أطرافه 53، 87، 523، 1398، 3095، 4368، 4369، 6176، 7266، 7556 تحفة 6524.

(2) أطرافه 3104، 3279، 5296، 7092، 7093 - تحفة 6850.

3512 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْد، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ هُرْمُزَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ، لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»[1].

3513 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غُرَيْرٍ الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَلَى المِنْبَرِ: «غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، ....

(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم) الفضل بن دكين قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو الثَّوْرِيّ، (عَنْ سَعْدِ) ابْن إِبْرَاهِيمَ، (عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ) الأعرج، (عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، وَجُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ») قد مضى الحديث في باب مناقب قريش ومر الكلام فيه هناك مستوفى ومطابقته للترجمة أظهر من أن يخفى.

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غُرَيْرٍ) بضم الغين المعجمة وفتح الراء الأولى مصغرًا ابن الوليد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي.

(الزُّهْرِيُّ) المدني وهو من أفراد الْبُخَارِيّ وقد مر في العلم قَالَ: (حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ) إِبْرَاهِيم بن سعد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف، (عَنْ صَالِحٍ) هو ابن كيسان أنه قَالَ: (حَدَّثَنَا نَافِعٌ) مولى ابْن عُمَر (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ) يعني ابْنَ عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَلَى المِنْبَرِ: غِفَارُ) يصرف ولا يصرف على ما سبق.

(غَفَرَ اللَّهُ لَهَا) هو لفظ خبر يراد به الدعاء ويحتمل أن يكون خبرًا على بابه ويؤيده قوله في آخره وعصية عصت اللَّه ورسوله.

(وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ) من المسالمة وترك الحرب وهو دعاء بأن اللَّه يصنع بهم ما يوافقهم أو سالمها بمعنى سلمها نحو قاتله اللَّه بمعنى قتله اللَّه وفيها من جناس الاشتقاق ما يلذ على السمع لسهولته وانسجامه وهو من الاتفاقات اللطيفة.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: يقال إن النَّبِيّ ﷺ دعا لهاتين القبيلتين لأن دخولهما في

---

(1) طرفه 3504 - تحفة 13648.

وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»[1].

3514 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَسْلَمُ ....

الإسلام كان من غير حرب وكانت غفارتهم بسرقة الحاج في الجاهلية فأحب رَسُول اللَّه ﷺ أن يمحو عنهم تلك السبة والعار بعد أن أسلموا وأن يعلم أن ما سلف منها مغفور لهم.

(**وَعُصَيَّةُ**) بضم العين المهملة وفتح الصاد المهملة وتشديد التحتية وهي قبيلة من بني سليم ينسبون إلى عصية بن خفاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء وآخره فاء أخرى ابن امرئ القيس بن بهثة بضم الموحدة وسكون الهاء وبالمثلثة ابن سليم بضم السين.

(**عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**) إنما قَالَ ﷺ فيهم ذلك لأنهم الذين قتلوا القراء ببئر معونة بعثهم رَسُول اللَّه ﷺ فغدروا بعدما عاهدوا كما سيأتي بيان ذلك في كتاب المغازي في غزوة بئر معونة وقد تقدمت له طرق في الاستسقاء فكان رَسُول اللَّه ﷺ يقنت في صلاته ويلعن رعلًا وذكوان ويقول عصية عصت اللَّه ورسوله ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ**) هو ابن سلام كذا ثبت عند علي بن السكن في غير هذا الحديث.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وقرأت بخط مغلطاي قيل هو ابن سلام وقيل ابن يَحْيَى الذهلي وهذا الثاني وهم فإن الذهلي لم يدرك عبد الوهاب الثقفي والصواب أنه ابن سلام ويحتمل أن يكون ابن حوشب فقد أخرج الْبُخَارِيّ في تفسير اقتربت وفي الإكراه عن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه بن حوشب عن عبد الوهاب فيحتمل أن يكون هو فإنه من شيوخ الْبُخَارِيّ أَيْضًا.

(**أَخْبَرَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ**) هو السَّخْتِيَانِيّ، (**عَنْ مُحَمَّدٍ**) هو ابن سيرين، (**عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: «أَسْلَمُ**

---

(1) تحفة 7682.

أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم رقم 2518.

سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا»[1].

3515 - حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَغِفَارُ، خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي أَسَدٍ، وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ، ....

سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا») وذكر الإسماعيلي عن المنيفي أن عبد الوهاب الثقفي تفرد برواية هذا الحديث عن أيوب وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل.

(**حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ**) بفتح القاف وكسر الموحدة هو ابن عقبة قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو الثَّوْرِيّ (ح) تحويل من سند إلى آخر.

(**وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ**) هو الثَّوْرِيّ أَيْضًا، (**عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْر**) أي: ابن سويد بن حارثة الكوفي كان على قضاء الكوفة بعد الشعبي.

(**عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ**) أَبِي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة أنه قَالَ: (**قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَأَيْتُمْ**) أي: أخبروني، وفي نسخة: أرأيت والخطاب للأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كما في الرواية التي بعدها.

(**إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ، وَمُزَيْنَةُ، وَأَسْلَمُ، وَغِفَارُ، خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ**) هو ابن مر بضم الميم وتشديد الراء ابن أد بضم الهمزة وتشديد الدال ابن طانجة بن إلياس بن مضر. ومنهم بطون كثيرة جدًّا (**وَبَنِي أَسَدٍ**) أي: ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وكانوا عددًا كثيرًا وارتدوا بعد وفاة النَّبِيّ ﷺ مع طلحة بن خويلد وارتد بنو تميم أَيْضًا قبلهم مع سجاح التي ادعت النبوة فقد ظهر مصداق قول رَسُول اللَّه ﷺ.

(**وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ**) بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة وتخفيف الفاء هو ابن سعد بن قيس غيلان بن مضر وكان اسم عَبْد اللَّه بن غطفان في الجاهلية عبد العزى فصيره النَّبِيّ ﷺ عَبْد اللَّه وبنوه يعرفون ببني المحولة لتحويل اسم أبيهم.

---

(1) تحفة 14445.

وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: خَابُوا وَخَسِرُوا، فَقَالَ: «هُمْ خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ، وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ، وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ»(1).

3516 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّمَا بَايَعَكَ ....

(وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ؟) أي: ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عِكْرِمَة بن خصفة بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة والفاء ابن قيس غيلان وَقَالَ ابن دريد هوازن ضرب من الطير وفيه بطون كثيرة وأفخاذ.

(فَقَالَ رَجُلٌ) هو الأقرع بن حابس التميمي كما في الرواية الآتية وفي بعض النسخ لم يوجد لفظ: فقال، فهو مقدر كما أن الجزاء مقدر بدلالة السياق عليه، تقديره أخابوا وخسروا بهمزة الاستفهام.

(خَابُوا وَخَسِرُوا فَقَالَ) ﷺ: (هُمْ) أي: جهينة ومزينة وأسلم وغفار (خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيم، وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ، وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ، وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ) وخيريتهم بسبقهم في الإسلام وبما كان فيهم من مكارم الأخلاق ورقة القلوب والمراد الأكثر الأغلب.

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ) هو محمد بن جعفر قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ) هو مُحَمَّد بن عَبْد اللَّه بن أَبِي يعقوب نسب إلى جده وهو بصري من بني تميم. وقيل: إنه ضبي من بني ضبة بفتح المعجمة وهو سيد بني تميم.

(قَالَ) أي: أنه قَالَ: (سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ) هو نفيع بالتصغير.

(عَنْ أَبِيهِ) أَبِي بكرة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ) بمهملة وموحدة مكسورة وسين مهملة.

(قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّمَا بَايَعَكَ) بالباء الموحدة وبعد الألف مثناة تحتية ويروى تابعك بالمثناة الفوقية وبعد الألف باء موحدة.

---

(1) طرفاه 3516، 6635 - تحفة 11680 - 221/ 4.
أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم، رقم 2514.

سُرَّاقُ الحَجِيجِ، مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ، ـ وَأَحْسِبُهُ ـ وَجُهَيْنَةَ ـ ابْنُ أَبِي يَعْقُوبَ شَكَّ ـ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ، ـ وَأَحْسِبُهُ ـ وَجُهَيْنَةُ، خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي عَامِرٍ، وَأَسَدٍ، وَغَطَفَانَ خَابُوا وَخَسِرُوا» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَخَيْرٌ مِنْهُمْ»[1].

7 ـ باب ذِكْرِ قَحْطَانَ

(سُرَّاقُ الحَجِيجِ، مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ، وَأَحْسِبُهُ وَجُهَيْنَةَ) أي: وأحسبه قال وجهينة (ابْنُ أَبِي يَعْقُوبَ شَكَّ) هو مقول شعبة أي: مُحَمَّد بن أَبِي يعقوب هو الذي شك فِي قَوْلِهِ وجهينة وقد ظهر من هذا أن الرواية الأولى بلا شك ولا أثر لشكه وأن ذلك ثابت في الخبر.

(قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَأَيْتَ) أي: أَخْبَرَنِي والخطاب للأقرع بن حابس.

(إِنْ كَانَ أَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ، ـ وَأَحْسِبُهُ ـ وَجُهَيْنَةُ، خَيْرًا من بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي عَامِرٍ، وَأَسَدٍ، وَغَطَفَانَ خَابُوا وَخَسِرُوا) قوله خابوا وخسروا بتقدير همزة الاستفهام جزاء إن أي: إن كانوا خيرًا منهم خابوا وخسروا، وفي رواية مسلم ثبتت همزة الاستفهام.

(قَالَ) أي: الأقرع بن حابس ويروى: فَقَالَ: (نَعَمْ، قَالَ) أي: النَّبِيّ ﷺ: («وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لخيرٌ مِنْهُمْ») لأخير[2] كذا بوزن أفعل وهي لغة قليلة والمشهور لخير منهم وثبت كذا فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيّ وفي رواية مسلم أنهم خير منهم بدون لام التأكيد ولفظ خير على أصله وهذا طريق آخر في الحديث السابق وأتم منه كما لا يخفى.

7 ـ باب ذِكْرِ قَحْطَانَ

(باب ذِكْرِ قَحْطَانَ) تقدم القول فيه وهل هو من ذرية إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أم لا وإلى قحطان ينتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان وغيرهم.

---

(1) طرفاه 3515، 6635 - تحفة 11680.

(2) بحسب النسخة التي شرحها المصنف.

3517 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي الْغَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»[1].

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ عَنْ ثَوْرٍ) بلفظ الحيوان المعروف (ابْنِ زَيْدٍ) الدئلي وقد مر في الجمعة.

(عَنْ أَبِي الْغَيْثِ) هو المطر واسمه سالم مولى عَبْد اللّه بن مطيع بن الأسود القرشي العدوي المدني وقد مر في الاستقراض.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ) قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ لم أقف على اسمه ولكن جوز الْقُرْطُبِيّ أنه جهجاه الذي وقع ذكره في صحيح مسلم من طريق آخر عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ بلفظ لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه أَخْرَجَهُ عقيب حديث القحطاني.

(يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ) هو كناية عن تسخير الناس واسترعائهم كأنه شبهه بالراعي والناس بالغنم فهو يسوقهم ويملكهم ويرعاهم كسوق الراعي الغنم بعصاه.

وفي التوضيح: حديث القحطاني يدل على أنه خليفة ولكنه يحمل على تغلبه. ثم هذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به النَّبِيّ ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد.

وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطأة بن المنذر أحد التابعين من أهل الشام أن القحطان يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي وأخرج أَيْضًا من طريق عبد الرحمن بن قبس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده مَرْفُوعًا يكون بعد المهدي القحطاني والذي بعثني بالحق ما هو دونه.

وهذا الثاني مع كونه مَرْفُوعًا ضعيف الإسناد والأول مع كونه مَوْقُوفًا أصلح إسنادًا منه فإن ثبت ذلك فهو في زمن عيسى ابن مريم عليهما السلام لأن عيسى

---

(1) طرفه 7117 - تحفة 12918.

8 ـ باب مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ

3518 – حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ أَخبرَنَا مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرُو ابْنُ دِينَارٍ ....

عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نزل يجد المهدي إمام المسلمين.

وفي رواية أرطأة بن المنذر: أن القحطاني في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف يسوق الناس بعصاه وكيف يملك مع وجود عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي كتاب البدء لأبي زيد البلخي روي عن أَبِي سَعِيد المقبري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ لا تقوم الساعة حتى تقفل القوافل من رومية ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس رجل من قحطان.

اختلفوا فيه من هو فروي عن ابن سيرين أنه قَالَ القحطاني رجل صالح وهو الذي يصلي خلفه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو المهدي وروى ابن كعب أنه قَالَ يموت المهدي ويبايع بعده القحطاني وروي عن عَبْد اللَّه بْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أنه قَالَ رجل يخرج من ولد العباس واللَّه تَعَالَى أعلم.

8 ـ باب مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ

(باب مَا يُنْهَى من دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ) كلمة ما موصولة ويجوز أن تكون مصدرية وينهى على البناء للمفعول ودعوى الجاهلية هي الاستغاثة عند إرادة الحرب كانوا يقولون يا لفلان فيجتمعون وينصرون القائل ولو كان ظالمًا فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ) كذا وقع غير منسوب عن جميع الرواة وَقَالَ أَبُو نعيم هو مُحَمَّد ابن سلام نص عليه في المستخرج وكذا قَالَ أَبُو علي الجياني وجزم به الدمياطي أَيْضًا ويؤيد ذلك ما وقع في الوصايا بمثل هذه الطريق فعند الأكثر ثنا مُحَمَّد غير منسوب وعن أَبِي ذَرٍّ ثنا مُحَمَّد بن سلام قَالَ: **(أَخْبَرَنَا مَخْلَدُ)** بفتح الميم واللام **(ابْنُ يَزِيدَ)** من الزيادة أَبُو الحسن الحراني الجزري مات سنة ثلاث وتسعين ومائة قَالَ: **(أخبرنا ابْنُ جُرَيْجٍ)** هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي وقد تكرر ذكره **(قَالَ: أَخْبَرَنِي)** بالإفراد **(عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ)** القرشي الأثرم المكي.

أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِي غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِي يَا لَلأَنْصَارِ.

(أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا) أي: ابن عَبْد اللَّه الأَنْصَارِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا.

(يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ) هذه الغزوة هي غزوة المريسيع وفي صحيح مسلم قَالَ سُفْيَان يرون أن هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع وكانت في سنة ست من الهجرة.

(وَقَدْ ثَابَ) بالثاء المثلثة أي: اجتمع كذا قَالَ الْكِرْمَانِيّ والعسقلاني وَقَالَ الداوودي: معناه خرج والذي عليه أهل اللغة أن معنى ثاب رجع.

(مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ) قيل معناه بطال وقيل كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة وقيل مزّاح واسمه جهجاه بالجيمين ابن قيس الغفاري وكان أجير عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(فَكَسَعَ) بفتح الكاف والسين المهملة والعين المهملة والكسع أن تضرب بيدك أو برجلك دبر إنسان ويقال هو أن تضرب عجز إنسان بقدمك وقيل هو ضربك بالسيف على مؤخره.

وفي الموعب كسعته بما ساءه إذا تكلمه فرميته على أثر قوله بكلمة تسوؤه بها **(أَنْصَارِيًّا)** أي: رجلًا أنصاريًّا وهو سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي وسيأتي بيان ذلك في تفسير سورة المنافقين.

(فَغَضِبَ الأَنْصَارِي غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى تَدَاعَوْا) أي: حتى استغاثوا بالقبائل يستنصرون بهم في ذلك الدعوى والانتماء وكان أهل الجاهلية ينتمون بالاستغاثة إلى الآباء وتداعوا بصيغة الجمع وعن أَبِي ذَرٍّ تداعوا بالتثنية قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ والمشهور في هذا تداعيًا بالياء عوض الواو وَقَالَ الْعَيْنِيّ والذي قَالَ بالواو أَخْرَجَهُ على الأصل.

(وَقَالَ الأَنْصَارِي يَا لَلأَنْصَارِ) ويروى يا آلَ الأنصار. قَالَ النووي كذا في معظم نسخ الْبُخَارِيّ بلام مفصولة في الموضعين وفي بعضها بوصلها وفي بعضها يا آل بهمزة ثم لام مفصولة واللام في الجميع مفتوحة وهي لام الاستغاثة قَالَ

وَقَالَ الْمُهَاجِرِي: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟»، ثُمَّ قَالَ «مَا شَأْنُهُمْ؟»، فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ: فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ».

والصحيح بلام موصولة ومعناه أدعوا الأنصار أستغيث بهم.

(**وَقَالَ الْمُهَاجِرِي يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ**: «**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟**») يعني لا تداعوا بالقبائل بل تداعوا بدعوة واحدة بالإسلام.

(**ثُمَّ قَالَ «مَا شَأْنُهُمْ»**) أي: ما جرى لهم وما الباعث لذلك.

(**فَأُخْبِرَ**) على البناء للمفعول (**بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ**) أي: جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (**فَقَالَ النَّبِي ﷺ: دَعُوهَا**) أي: اتركوا هذه المقالة أو هذه الدعوى وقيل الكسعة الأولى وهو المعتمد ثم بين حكمة الترك بقوله: (**فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ**) أي: فإن هذه الدعوة خبيثة أي: قبيحة منكرة كريهة مؤذية لأنها تثير الغضب على غير الحق والتقاتل على الباطل وتؤدي إلى النار كما جاء في الحديث من دعا بدعوى الجاهلية فليس منا وليتبوأ مقعده من النار وتسميتها دعوى الجاهلية لأنها كانت من شعارهم وكانت تأخذ حقها بالعصبية فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضاء بالأحكام الشرعية إذا تعدى إنسان على آخر حكم الحاكم بينهما وألزم كلامًا لزمه.

وَقَالَ السهيلي: من دعا بدعوى الجاهلية فيه للفقهاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطا اقتداء بأبي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللّه عَنْهُ في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطًا حين سمع يا لعامر.

الثاني: فيه الجلد دون العشرة الأسواط لنهيه ﷺ أن يجلد أحد فوق عشرة أسواط.

الثالث: يوكل إلى اجتهاد الإمام على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر إما بالوعيد وإما بالسجن وإما بالجلد. قيل في القول الأول الذي ذكره السهيلي نظر لأن أبا الفرج الأصبهاني وغيره ذكروا أن النابغة لما سمع يا لعامر أخذ عصاه وجاء مغيثًا والعصا لا يعد سلاحًا يقتل.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَي ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ «لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ....

(وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَي ابْنُ سَلُولَ أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا) وإنما قَالَ ذلك عَبْد اللَّه لأنه كان مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أجير له من غفار يقال له جعال بكسر الجيم وتخفيف المهملة كان معه فرس يقوده فحوض لعمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ حوضًا فبينما هو قائم على الحوض إذ أقبل رجل من الأنصار يقال له وبرة بن سنان وسماه أَبُو عمر سنان ابن تيم وكان حليفًا لعبد اللَّه بن أبي فقاتله فتداعيا بقبائلهما فَقَالَ عَبْد اللَّه بن أَبِي لقد تداعوا علينا.

وفي الكشاف: روي أن النَّبِيّ ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهزمهم وازدحم على الماء جهجاه بن سَعِيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لابن أَبِي سلول واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار فأعان جعال جهجاه ولطم سنانًا فَقَالَ ابن أبي سلول أما واللَّه، (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) قَالَ النسفي في تفسيره: يقولون أي: المنافقون عَبْد اللَّه بن أبي وأصحابه واللَّه لئن رجعنا من غزاة بني لحيان ثم بني المصطلق وهو حي من هذيل إلى المدينة ليخرجن الأعز عنى به نفسه منها أي: من المدينة الأذل يعني به محمدًا ﷺ ولقد كذب عدوّ اللَّه.

(فَقَالَ عُمَرُ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (أَلا نَقْتُلُ) بالنون ويروى بالمثناة الفوقية.

(يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ) أراد به عَبْد اللَّه بن أُبيّ وقد بينه بقوله: (لِعَبْدِ اللَّهِ) واللام فيه فيتعلق بقوله قَالَ عمر أي: قَالَ لأجل عَبْد اللَّه.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: أو اللام للبيان نحو هيت لك وفي بعضها يعني عَبْد اللَّه.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: اللام بمعنى كما قَالَ بعضهم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ورده ابن مالك وغيره وقالوا اللام هنا للتعليل وقيل: غير ذلك.

(فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: لا) أي: لا نقتل وقوله: (يَتَحَدَّثُ النَّاسُ) إلى آخره كلام مستأنف ليس له تعلق بكلمة لا.

أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[1].

3519 - حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ سُفْيَانَ، عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا

(أَنَّهُ) أي: النَّبِيّ ﷺ (كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) ويتنفر الناس عن الدخول في الإسلام ويقول بعضهم لبعض ما يؤمنكم إذا دخلتم في دينه أن يدعي عليكم كفر الباطن فيستبيح بذلك دماءكم وأموالكم فلا تسلموا أنفسكم إليه للهلاك فيكون ذلك سببًا لنفور الناس عن الدين.

وَقَالَ الْخَطَّابِيّ: فيه بيان باب عظيم من سياسة أمر الدين والنظر في العواقب وذلك أن الناس إنما يدخلون في الدين ظاهرًا ولا سبيل إلى معرفة ما في نفوسهم فلو عوقب المنافق على باطن كفره لوجد أعداء الدين سبيلًا إلى تنفير الناس عن الدخول فيه انتهى. وقد عرفت ذلك الآن ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ ما بال دعوى الجاهلية. والحديث من أفراد الْبُخَارِيّ.

(حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ) أَبُو إِسْمَاعِيل العابد الشيباني الكوفي وهو من أفراد الْبُخَارِيّ قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو الثَّوْرِيّ، (عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ) هو ابن الأجدع (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن مَسْعُود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

(عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَنْ سُفْيَانَ) هذا معطوف على قوله حَدَّثَنَا سُفْيَان عن الأَعْمَش فيكون موصولًا وليس بمعلق وقد تقدم في الجنائز من رواية أَبِي نعيم عن سُفْيَان عن زبيد ومن رواية عبد الرحمن بن مهدي عن الأَعْمَش فكأنه كان عند ثابت بن مُحَمَّد عن سُفْيَان عن شيخه وكان سمعه منه مفرقًا فحدث به فنقل عنه كذلك.

(عَنْ زُبَيْدٍ) بضم الزاي وفتح الموحدة وسكون المثناة التحتية وبالدال المهملة ابن الحارث بن عبد الكريم اليامي بالمثناة التحتية الكوفي، (عَنْ إِبْرَاهِيمَ) هو النخعي، (عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه قَالَ (لَيْسَ مِنَّا) أي: ليس

---

(1) طرفاه 4905، 4907 - تحفة 2559.

مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»[1].

9 ـ باب قِصَّة خُزَاعَة

مقتديًا بنا ولا متسننًا بسنتنا أو هو للتغليظ إلا أن يفسر دعوى الجاهلية بما يوجب الكفر نحو تحليل الحرام وتحريم الحلال وعدم التسليم لقضاء اللّه والتكلم بكلمة الكفر عند النياحة والندبة على الميت.

(**مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**) قد مضى في كتاب الجنائز في باب من ليس منا من شق الجيوب ومعنى الكلام فيه ومطابقته للترجمة ظاهرة.

9 ـ باب قِصَّة خُزَاعَة

(**باب قِصَّة خُزَاعَةَ**) خُزاعَة بضم الخاء المعجمة وبالزاي المخففة وفتح العين المهملة اختلف في نسبهم مع الاتفاق على أنهم من ولد عمرو بن لحيّ باللام والمهملة مصغرًا.

قَالَ الرشاطي: هو عمر بن ربيعة فربيعة هذا هو لحيّ بن حارثة بن عمرو بن ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد وقد تقدم نسبه في أسلم وأسلم هو عم عمرو بن لحيّ وهذا مذهب من يرى أن خزاعة من اليمن. ومن يرى أن خزاعة من مضر يقول هو عمرو بن ربيعة بن قمعة ويحتج بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ لأكتم بن أَبِي الجون الخزاعي: «**رأيت عمرو بن لحيّ بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار**». وجمع بعضهم بين القولين أعني نسبة خزاعة إلى اليمن وإلى مصغر فزعم أن حارثة بن عمرو لما مات قمعة بن خندف كانت امرأته حاملًا بلحيّ فولدت وهي عند حارثة فتبناه فنسبت إليه فعلى هذا هو من مضر بالولادة ومن اليمن بالتبني.

ويقال لخزاعة بنو كعب نسبوا إلى جدهم كعب بن عمرو بن لحيّ.

وَقَالَ صاحب الموعب: خزاعة اسمه عمرو بن لحيّ ولحي اسمه ربيعة سمي

---

(1) أطرافه 1294، 1297، 1298 - تحفة 9559، 9569.

خزاعة، لأنه انخزع فلم يتبع عمرو بن عامر حين ظعن عن اليمن بولده وسمي عمرو مزيقيًا لأنه مزق الأزد في البلاد وقتل لأنه كان يمزق كل يوم حلة.

وفي التيجان لابن هشام: انخزعت خزاعة في أيام ثعلبة العنقاء ابْن عمرو بعد وفاة عمرو.

وفي التلويح: قيل لهم ذلك لأنهم تخزعوا من بني مازن بن الأزد في إقبالهم معهم أيام سيل العرم لما صاروا إلى الحجاز فافترقوا فصار قوم إلى عمان وآخرون إلى الشام.

وَقَالَ ابن الكلبي: لما تفرق أهل سبأ بسبب سيل العرم نزل بنو مازن على ماء عند زبيد يقال له غسان فمن أقام منهم يقال له غساني وانخزعت منهم بنو عمرو ابن لحيّ من فوقهم فنزلوا مكة وما حولها، ثم أقبل بنو أسلم فانخزعوا أَيْضًا فسموا خزاعة وتفرقت سائر الأزد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رَضِيَ اللّه عَنْهُ:

ولما نزلت لنا بطن مر تخزّعت ... خزاعة منا في جموع كراكر

وأول من سماهم بهذا الاسم جدع بن سنان الذي يقال فيه خذ من جدع ما أعطاك وذلك أنه لما رآهم تفرقوا قَالَ: أيها الناس إن كنتم كلما أعجبتكم بلدة أقامت منكم طائفة كيما انخزعت خزاعبكم هذه أوشكتم أن يأكلكم أقل حي وأذل قبيل هذا.

وفي المثل: ذهبوا أيدي سبأ.

وتفرقوا أيادي سبأ في طرق شتى.

واليد في كلام العرب الطريق يقال سلك بهم يد البحر.

وقيل الأيادي: أولاد سبأ لأنه كان يعتضد بهم كما يعتضد الناس بالأيدي أي: تفرقوا تفرق أولاد سبأ.

قَالَ كثير:

أيادي سبأ ما عز ما كنت بعدكم ... فلم يحل بالعينين بعدك منظر

وقد لحق غسان بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان، كذا في الكشاف.

وفي المستقصى: سبأ رجل من العرب ولد عشرة: الأزد، وكندة ومَذْحِج، والأشعر، وأنمار، وبجيلة، وعاملة، وغسان، ولخم، وجذام، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن، فردموا ردمًا بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الباب الثاني ثم من الباب الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم فلما طغوا بعث الله جرذًا نقبت ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتيهم فغرقهما ودفن السيل بيوتهم فذلك قوله تَعَالَى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ: 16].

وفي الكشاف: العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار، فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقًا على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم فلما طغوا.

وقيل: بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًّا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم نعمته عليهم، وقالوا: ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم.

وقيل: العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة والمراد المسناة التي عقدوها سكرًا.

وقيل: العرم اسم الوادي.

وقيل: العرم المطر الشديد وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

وفي الكشاف أَيْضًا: سبأ هو بن يشحب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسمًا للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسمًا للحي أو الأب الأكبر صرف قَالَ الشعر:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيله العرما

3520 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي حَصِينٍ،

وَقَالَ الآخر:

الـواردون وتـيـم فـي ذرى سـبـأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث، كما سميت معافر بمعافر بن أد.

وفي المستقصى عن الكلبي عن أَبِي صالح قَالَ: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيًا ابن ماء السماء وكانت قد رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى فدعوا طريفة، فشكوا إليها الذي أصابهم فقالت من كان منكم ذا هم بعيد، وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد، فكانت أزد عمان، ثم قالت من كان منكم ذا جلد وقسر، وصبر على أزمات الدهر، فعليه بالإدراك من بطن مَرّ، فكانت خزاعة، ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات في الوحل، المطعمات في المجل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج، ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير، والملك والتأمير، ويلبس الديباج والحرير، فليلحق ببصرى وغوير، وهما من أرض الشام فكان الذي سكنوها آل جفنة من غسان، ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأرزاق، فليلحق بأرض العراق، فكان الذي سكنوها آل جذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق ولما أرادوا أن يتفرقوا في البلاد اجتمعوا وتصافحوا ثم تشتتوا في البلاد فضرب بهم المثل في التفرق، فقيل: تفرقوا أيدي سبأ.

(**حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ**) هو المشهور بابن راهويه قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ**) أي: ابن سليمان أَبُو زكريا القرشي الكوفي صاحب الثَّوْرِيّ قَالَ: (**أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ**) هو ابن يُونُس بن أَبِي إِسْحَاق السبيعي.

(**عَنْ أَبِي حَصِينٍ**) بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين عثمان بن عاصم

عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عَمْرُو بْنُ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبُو خُزَاعَةَ»(1).

الأسدي، (عَنْ أَبِي صَالِحٍ) ذكوان الزيات، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عَمْرُوُ بْنُ لُحَيّ) مبتدأ ولحي بضم اللام وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء.

(ابْنِ قَمَعَةَ) بفتح القاف والميم وتخفيفها وبالعين المهملة وقيل بكسر القاف وتشديد الميم بفتحها وكسرها وقيل بفتح القاف وسكون الميم.

(ابْنِ خِنْدِفَ) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة وفتحها وبالفاء اسم امرأة إلياس بن مضر، فهي أم القبيلة وقمعة منسوب إلى الأم وأبوه إلياس بن مضر قَالَ قائلهم(2):

أُمَّهَتِي خِنْدِفُ وَإِلْيَاسُ أَبِي

وَاسم خندف: ليلى بنت حلوان بن عمرَان بن الحاف بن قضاعة، لقبت بخندف لمشيتها بالخندفة وَهِي الهرولة، واشتهر بنوها بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا دون أَبِيهِم.

لأن إلياس لما مات حزنت عليه حزنًا شديدًا بحيث هجرت أهلها ودارها وساحت في الأرض حتى ماتت فكان من رأى أولادها الصغار يقول من هؤلاء فيقال: بنو خندف إشارة إلى أنها ضيعتهم.

(أَبُو خُزَاعَةَ) هو خبر المبتدأ وهو أَبُو حي من الأزد، وهذا الحديث يؤيد قول من يقول: إن خزاعة من مضر لأن خندف اسم امرأة إلياس بن مضر كما عرفت، وقد تقدم القول في ذلك والحديث من إفراد البخاري.

ثم إنه روى أَبُو الحصين هذا الحديث عن أَبِي صالح مختصرًا هكذا وأورد ابن إِسْحَاق في السيرة عن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ عن أَبِي صالح أتم من هذا

---

(1) تحفة 12833 - 224/ 4.

(2) لقصي بن كلاب في تذكرة النحاة 660 واللسان (أمه)1/ 145 و (سلل)3/ 2076 والخزانة 7/ 379 وشرح شواهد الشافية 301 وبلا نسبة في المحتسب 2/ 224 وشرح المفصل 10/ 4 والمزهر 1/ 179.

أخرجه مسلم في الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها أن يأتي الذي هو خير. وفي الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها رقم 1652.

ولفظه سمعت رَسُول اللّه ﷺ يقول الأكتم بن أَبِي الجون رأيت عمرو بن لحيّ يجر قصبه في النار أنه أول من غير دين إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فنصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي.

وعند ابن مردويه من طريق سهيل بن أَبِي صالح عن أبيه نحوه، وللحاكم من طريق مُحَمَّد بن عمرو عن أَبِي سلمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ نحوه لكنه قَالَ عمرو بن قمعة فنسبه إلى جده. وروى الطبراني من حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا برفعه أول من غير دين إِبْرَاهِيم عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندف أبو خزاعة.

مطلب:

بدء عبادة الأوثان في مكة.

وذكر الفاكهي من طريق عِكْرِمَة نحوه مرسلًا وفيه فَقَالَ المقداد: يا رَسُول اللّه من عمرو بن لحيّ؟ قَالَ: أَبُو هؤلاء الحي من خزاعة، وَقَالَ ابن إِسْحَاق وَحَدَّثَنِي بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من بكة إلى الشام فلما قدم آب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق فرآهم يعبدون الأصنام فَقَالَ لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه نعبدها ونستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فَقَالَ لهم: فلا تعطوني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنمًا يقال له هبل، فقدم مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وكان قبل ذلك في زمان جرهم قد فجر رجل يقال له أساف بامرأة يقال لها نائلة في الكعبة، فمسخهما اللّه حجرين فأخذهما عمرو بن لحيّ فنصبهما حول الكعبة فصار من يطوف يتمسح بهما يبدأ بإساف ويختم بنائلة.

وذكر مُحَمَّد بن حبيب عن ابن الكلبي أن سبب عبادة الأصنام أن عمرو بن لحيّ كان له تابع من الجن يقال له أَبُو ثمامة، فأتاه ليلة فَقَالَ أجب أبا ثمامة، فَقَالَ: لبيك من تهامة، فَقَالَ ادخل بلا ملامة، فَقَالَ ايت سيف جدة، تجد آلهة معدة، فخذها ولا تهب، وادع إلى عبادتها تجب، قَالَ فتوجه إلى جدة فوجد الأصنام التي كانت تعبد في زمان نوح وإدريس عليهما السلام وهو: ود،

وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فحملها إلى مكة ودعا إلى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب، وذلك معنى قوله ﷺ فنصب الأوثان.

وكان عمرو بن لحيّ حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة جعلته العرب ربًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسبهم في الموسم فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة، حتى إنه اللات الذي يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات، ويقال: إن اللات كان من ثقيف فلما مات قَالَ لهم عمرو: إنه لم يمت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى اللات ودام أمر عمرو وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة.

وذكر أَبُو الوليد الأزرقي في أخبار مكة: أن عمرًا فقأ أعين عشرين بعيرًا وكانوا من بلغت إبله ألفًا فقأ عين بعير وإذا بلغت ألفين فقأ العين الأخرى وهذا الذي زاد في التلبية إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، وذلك أن الشيطان تمثل في صورة شيخ يلبي معه فَقَالَ عمرو: لبيك لا شريك لك قَالَ الشَّيْخ: إلا شريكًا هو لك فأنكر ذلك عمرو بن لحيّ فَقَالَ ما هذا فَقَالَ الشَّيْخ تملكه وما ملك فإنه لا بأس به فقالها عمرو وقد أتت بها العرب.

وذكر ابن الكلبي: أن سبب قيام عمرو بن لحيّ بأمر الكعبة أن أمه هي فهيرة بنت عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي وكان أبوها آخر من ولي أمر مكة من جرهم فقام بأمر البيت سبطه عمرو بن لحيّ فصار ذلك في خزاعة بعد جرهم ووقع بينهم في ذلك حروب إلى أن انحلت جرهم عن مكة ثم تولت خزاعة أمر البيت ثلاثمائة سنة إلى أن كان آخرهم يدعى أبا غبشان بضم المعجمة وسكون الموحدة بعدها معجمة أَيْضًا واسمه المحترش بمهملة وآخره معجمة ابن حليل بمهملة ولامين مصغرًا ابن حبشة بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها معجمة ثم ناسب ابن سلول بفتح المهملة ولامين الأولى مضمومة ابن عمرو بن لحي وهو خال قصي بن كلاب أخو أمه حبيّ بضم المهملة وتشديد الموحدة مع الإمالة وكان في عقله شيء فخدعه قصي فاشترى منه أمر البيت بأذواد من الإبل ويقال

3521 - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ وَلا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، ....

بزق خمر فغلب قصي حينئذ على أمر البيت وجمع بطون بني فهر وحارب خزاعة حتى أخرجهم من مكة وفيه يقول الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعي مجمعا ... به جمع اللّه القبائل من فهره

وشرع قصي لقريش السقاية والرفادة وكان يصنع الطعام أيام منى والحياض للماء، فيطعم الحجيج ويسقيهم وهو الذي عمر دار الندوة بمكة فإذا وقع لقريش شيء اجتمعوا فيها وعقدوه بها.

هذا وتفسير البحيرة والسائبة سيجيء في الحديث الآتي إن شاء اللّه تَعَالَى.

وأما تفسير الوصاية فهي فِي رِوَايَةِ ابن إِسْحَاق أن الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرًا ذبحوه وأهدوه للآلهة وإن كان أنثى استحيوها وإن كان ذكرًا وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا وصلت أخاها فلم يذبحوهما، وَقَالَ مقاتل: وكانت المنفعة للرجال دون النساء فإن وضعت ميتًا اشترك في أكله الرجال والنساء قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الأنعام: 139].

وأما الحامي فهو الفحل إذا ركب ولد ولده فبلغ ذلك عشرة أو أقل من ذلك قيل حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ولا ينحر أبدًا إلى أن يموت فتأكله الرجال والنساء.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم بن نافع الحمصي قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) هو ابن حمزة، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) ابن شهاب أنه (قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: الْبَحِيرَةُ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا) أي: لبنها (لِلطَّوَاغِيتِ) أي: لأجلها وهي جمع طاغوت وهو الشيطان وكل رأس في الضلال.

(وَلا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ) وكان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي: شقوها وحرموا ركوبها ودرها فلا تطرد عن ماء ولا مرعى لتعظيم الطواغيت وتسمى تلك الناقة البحيرة.

وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لآلِهَتِهِمْ فَلا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شيْءٌ، قَالَ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ،

(وَالسَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لآلِهَتِهِمْ فَلا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شيْءٌ) وقصتها أن الرجل كان يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرض فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها هذا هو المشهور. وقد خصّه الْبُخَارِيّ بقوله: والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم أي: لأصنامهم التي كانوا يعبدونها، وبعد ذلك لا يحمل عليها شيء. وفي التلويح والسائبة: هي الأنثى من أولاد الأنعام كلها، كان الرجل يسيب لآلهته ما شاء من إبله وبقره وغنمه ولا يسيب إلا أنثى، وظهورها وأصوافها وأوبارها للآلهة وألبانها ومنافعها للرجال دون النساء قاله مقاتل. وقيل: هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناثًا لم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها في الإبل فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها، إلا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة.

وَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا هي أنهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكرًا نحروه وأكله الرجال والنساء جميعًا، وإن كانت أنثى شقوا أذنها فتلك البحيرة لا يجز لها وبر ولا يذكر عليها اسم اللّه، وإنما يذكرون عليها اسم أسماء الأصنام إن ركبت عليها أو حمل عليها وحرمت على النساء فلا يذقن لبنها شَيْئًا ولا ينتفعن بها وكان لبنها ومنافعها خاصة للرجال دون النساء حتى تموت، فإذا ماتت اشترك الرجال والنساء في أكلها واللّه تَعَالَى أعلم.

(قَالَ) أي: سَعِيد بن المسيب بالإسناد الأول: (وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ) وكذا وقع نسبه في حديث ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند أحمد ولفظه أول من سيب السوائب وعبد الأصنام عمرو بن عامر أَبُو خزاعة، وهذا مغاير لما تقدم من نسبة عمرو بن لحيّ إلى مضر فإن عامرًا هو ابن ماء السماء بن سبأ وهو جد عمرو بن لحي عند من نسبه إلى اليمن، ويحتمل أن يكون نسب إليه بطريق التبني كما تقدم.

(يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ) القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة هي

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[1].

10 ـ باب قِصَّة إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

11 ـ باب قِصَّة زَمْزَمَ[2]

3522 - حَدَّثَنَا زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَخْرَمَ، قَالَ: أَبُو قُتَيْبَةَ سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنِي مُثَنَّى ابْنُ سَعِيدٍ القَصِيرُ، ....

الأمعاء وَقَالَ ابن الأثير: القصب بالضم الأمعاء وجمعه أقصاب.

وقيل: القصب اسم للأمعاء كلها.

وقيل: هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء.

(وَكَانَ) أي: عمرو بن عامر (أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ) وهي جمع سائبة وقد مر تفسيرها آنفًا.

10 ـ باب قِصَّة إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

11 ـ باب قِصَّة زَمْزَمَ

باب قِصَّةِ زَمْزَمَ وَفِيهِ قِصَّةُ إِسْلَام أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هكذا وقع فِي رِوَايَةِ الأكثرين ووقع فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عن الحموي وحده (بَاب قِصَّة زَمْزَمَ) فقط ووقع هذا الباب أَيْضًا عن أَبِي ذَرٍّ بعد قصة خزاعة.

(حَدَّثَنَا زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَخْرَمَ) بسكون الخاء المعجمة وفتح الزاي أَبُو طالب الطائي الْحَافِظ البَصْريّ قتلته الزنج زمان خروجهم في البصرة سنة سبع وخمسين ومائتين وهو من أفراد الْبُخَارِيّ (قَالَ: أَبُو قُتَيْبَةَ سَلْمُ) بفتح السين المهملة وسكون اللام (ابْنُ قُتَيْبَةَ) مصغر القتبة بالقاف والتاء المثناة الفوقية والباء الموحدة الشعيري الخراساني سكن بصرة ومات بعد المائتين وقد مر في الجمعة قَالَ: (حَدَّثَنِي) بالإفراد (مُثَنَّى) ضد المفرد (ابْنُ سَعِيدٍ القَصِيرُ) ضد الطويل القسام الضُّبَعي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة وبالعين المهملة البَصْريّ

---

(1) طرفه 4623 - تحفة 18726، 13166.

(2) من الأصل المخطوط حديث رقم (3523) جاء بعد حديث رقم (3517).

قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو جَمْرَةَ، قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلامِ أَبِي ذَرٍّ؟ قَالَ: قُلْنَا بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لأَخِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، ....

(قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد أَيْضًا (أَبُو جَمْرَةَ) بفتح الجيم واسمه نصر بن عمران الضبعي البَصْريّ.

قَالَ: (قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: (أَلا أُخْبِرُكُمْ) كلمة ألا للتنبيه على شيء يقال: (بِإِسْلامِ أَبِي ذَرٍّ؟) بتشديد الراء واسمه جندب بن جنادة الغفاري وهو أول من حيّى رَسُولَ اللَّه ﷺ بتحية الإسلام وهو خامس خمسة في الإسلام وكان متعبدًا لله قبل البعثة وقد مر في كتاب الإيمان.

(قَالَ: قُلْنَا بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ) قد سبق أنه إذا أريد به الحي ينصرف وإذا أريد به القبيلة لا ينصرف.

(فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ) وفي رواية مسلم لما بلغ أبا ذر مبعث النَّبِيّ ﷺ بمكة قَالَ لأخيه: (يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لأَخِي) واسمه أنيس مصغرًا أسلم مع أَبِي ذَرٍّ وأسلمت أمهما وكان شاعرًا: (انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ) وفي رواية مسلم قَالَ لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء واسمع قوله ثم ائتني.

(كَلِّمْهُ) فيه حذف تقديره فإذا رأيته أو اجتمعت به كلمه.

(وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ) ويروى فانطلق الأخ وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ فانطلق الآخر وهو أخوه أنيس.

قَالَ القاضي عياض ووقع عند بعضهم: فانطلق الآخر والآخر والصواب الاقتصار على أحدهما إذ لا يعرف لأبي ذر إلا أخ واحد وهو أنيس.

(فَلَقِيَهُ) أي: فلقي النَّبِيّ ﷺ، (ثُمَّ رَجَعَ) أي: إلى أخيه وفي رواية مسلم فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع إلى أَبِي ذَرٍّ.

(فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ)

فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي المَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلا أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى المَسْجِدِ لأَسْأَلَ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ،

وفي رواية مسلم رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلامًا ما هو بالشعر.

(**فَقُلْتُ لَهُ**) أي: لأخي: (**لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ**) من الشفاء أي: لم تجئني بجواب يشفيني من مرض الجهل.

(**فَأَخَذْتُ**) ويروى: فأخذ (**جِرَابًا**) بكسر الجيم، (**وَعَصًا**) وفي رواية مسلم: ما شفيتني فيما أردت فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة.

(**ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ**) وفي رواية مسلم: فأتى المسجد فالتمس النَّبِيّ ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه يعني الليل فاضطجع.

(**وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي المَسْجِدِ**) أي: في المسجد الحرام.

(**قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ**) هو علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟**) وفي رواية مسلم: فرآه علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ فعرف أنه غريب.

(**قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ**) أي: قَالَ له علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ انطلق معي إلى منزلنا، (**قَالَ**) أي: أَبُو ذر رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (**فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلا أُخْبِرُهُ**) وفي رواية مسلم فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح.

(**فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى المَسْجِدِ لأَسْأَلَ عَنْهُ**) أي: عن النَّبِيّ ﷺ.

(**وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ**) وفي رواية مسلم بعد قوله حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد فظل ذلك اليوم ولا يرى النَّبِيّ ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه.

قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ البَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ، ....

(**قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟**) يقال نال له إذا آن له ويروى ما أنى وفي رواية مسلم ما آن أن يعلم منزله ويروى بدون همزة الاستفهام في اللفظ أي: أما جاء الوقت الذي يعرف به منزل الرجل بأن يكون له مسكن معين يسكنه؟ ويروى يعرف بلفظ المبني للفاعل.

ويحتمل أن يريد علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ بهذا القول دعوته إلى بيته للضيافة ويكون إضافة المنزل إليه بملابسة إضافته له فيه، أو يريد إرشاده إلى ما قدم له وقصده يعني أما جاء وقت إظهار المقصود والاشتغال به كالاجتماع برسول اللّه ﷺ وكالدخول في منزله ونحوه.

(**قَالَ: قُلْتُ: لا**) وإنما قَالَ لا على التقدير الأول إذ لم يكن قصده التوطن ثمة وعلى الثاني إذ كان عنده أمر أهم من ذلك وهو التفتيش عن مقصوده وعلى الثالث إذ خاف عن الإظهار.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: ماذا فاعل نال وأجاب بأنه يعرف منزله في تقدير المصدر نحو تسمع بالمعيدي خير من أن تراه يعني أن التقدير أن تسمع أي: سماعك بالمعيدي خير من رؤيته وهنا التقدير أما نال للرجل أن يعرف منزله.

(**قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ البَلْدَةَ؟**) وفي رواية مسلم ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد، (**قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ**) وفي رواية مسلم إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني فعلت، (**قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ**) أي: قَالَ علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ فإني أفعل ما ذكرته وفي رواية مسلم: ففعل.

(**قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ**) من باب علم يعلم رشدًا بفتحتين ورشد يرشد من باب نصر ينصر رشدًا

هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلامَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لأَمُوتَ،

بضم الراء وسكون الشين وأرشدته أنا والرشد خلاف الغي.

(**هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ**) أي: هذا توجهي إلى رَسُول اللّه ﷺ (**فَاتَّبِعْنِي**) وفي رواية مسلم أنه حق وهو رَسُول اللّه ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني (**ادْخُلْ**) أمر من الدخول (**حَيْثُ أَدْخُلُ**) مضارع، (**فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ**) وفي رواية مسلم: فإني إن رأيت شَيْئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي.

(**فَمَضَى**) أي: علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ، (**وَمَضَيْتُ مَعَهُ**) ويروى: فمضيت معه (**حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلامَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي**) فإن قيل: كيف أسلم في الحال ولم ير ما يدل على نبوته من المعجزات؟

فالجواب: أن الروايات الأخر دلت على أنه كان بعد ظهور المعجزات له.

(**فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا**) أي: لأرفعن صوتي بها (**بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ**) وفي رواية مسلم بين ظهرانيهم (**فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ**) أي: في المسجد وهي جملة حالية.

(**فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ**) من صبا يصبو إذا انتقل من شيء إلى شيء وكانوا يسمون من أسلم صابيًا.

(**فَقَامُوا فَضُرِبْتُ**) على البناء للمفعول (**لأَمُوتَ**) أي: لأن أموت يعني ضربوه

فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ، قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ»[1].

ضرب الموت وفي رواية مسلم فضربوه حتى أضجعوه، (**فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ**) أي: رمى نفسه عليَّ، (**ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي**) أي: كفوا عني.

(**فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ، قَالَ**) أي: ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

(**فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلامِ أَبِي ذَرٍّ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ فإن قيل: لم أخالف أمر رَسُول اللَّه ﷺ؟ فالجواب: أنه علم بالقرائن أنه ليس للإيجاب لهذا لما قَالَ ذلك سكت رَسُول اللَّه ﷺ.

وفي الحديث: دلالة على تقدم إسلام أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ لكن الظاهر أنه بعد البعث بمدة طويلة لما فيه من الحكاية عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ من مخاطبته لأبي ذر وتضييفه إياه والأصح أن سنه حين البعث كان عشر سنين، وقيل: أقل من ذلك فيظهر من ذلك أن إسلام أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ بعد المبعث بمدة بأكثر من سنتين بحيث يتهيأ لعلي رَضِيَ اللّه عَنْهُ ما فعل.

وروى عَبْد اللّه بن الصامت إسلام أَبِي ذَرٍّ عن نفس أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مطولًا جدًّا.

وفيه: مغايرات كثيرة لسياق ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ولكن الجمع بينهما ممكن باعتبار أن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا اقتصر في حكايته عن ذلك.

---

(1) تحفة 6528، 11958 - 222/ 4.

3523 - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ، وَشَيْءٌ مِنْ مَزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ، أَوْ قَالَ: شَيءٌ مِنْ جُهَيْنَةَ أَوْ مُزَيْنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ ـ أَوْ قَالَ: يَوْمَ القِيَامَةِ ـ ....

فائدة:

أول من أسلم من الصبيان علي بن أَبِي طالب رَضِيَ اللّه عَنْهُ وأول من أسلم من النساء خديجة الكبرى رَضِيَ اللّه عَنْهَا وأول من أسلم من العبيد بلال الحبشي رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، أما قصة زمزم فلأن فيه ذكر زمزم واكتفاء أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ في المدة التي أقام فيها بمكة وأما قصة إسلامه فأظهر من أن يخفى، والحديث أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل.

(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ) الواشحي قَالَ: (عَنْ حَمَّادٍ) بن زيد[1] وفي نسخة: حماد بدون النسبة (عَنْ أَيُّوبَ) السختياني، (عَنْ مُحَمَّدٍ) هو ابن سيرين.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ ﷺ) الظاهر أن فاعل قَالَ الأول أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ وفاعل قَالَ الثاني هو النَّبِيّ ﷺ ولكن لم يذكره أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ ومن ثمة جاء في صورة الموقوف.

وقد قَالَ الخطيب وتبعه ابن الصلاح اصطلاح مُحَمَّد ابن سيرين إذ قَالَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ ولم يسم فاعل قَالَ الثاني فالمراد به النَّبِيّ ﷺ فحينئذ يكون الحديث مَرْفُوعًا كما فِي رِوَايَةِ مسلم فإنه صرح بذلك.

(أَسْلَمُ) مبتدأ، (وَغِفَارُ) عطف عليه وكذا قوله: (وَشَيْءٌ مِنْ مُزَيْنَةَ، وَجُهَيْنَةَ) يعني وبعض منهم وهذا تقييد لما أطلق في حديث أَبِي بكرة الذي قبله. (أَوْ قَالَ: شَيْءٌ مِنْ جُهَيْنَةَ أَوْ مُزَيْنَةَ) شك من الراوي يعني قَالَ شيء منهما أو قَالَ شيء إما من هذا أو إما من ذلك أي: شك في أنه جمع بينهما أو اقتصر على أحدهما.

(خَيْرٌ عِنْدَ اللَّه ـ أَوْ قَالَ: يَوْمَ القِيَامَةِ) شك من الراوي أَيْضًا هل هي خير عند اللّه أو قَالَ خير يوم القيامة وهذا أَيْضًا تقييد لما أطلق في حديث أَبِي بكرة لأن ظهور الخيرية إنما يكون يوم القيامة.

(1) بحسب النسخة التي شرحها المصنف.

مِنْ أَسَدٍ، وَتَمِيمٍ، وَهُوَازِنَ، وَغَطَفَانَ».

12 ـ باب قِصَّة زَمْزَمَ وَجَهْلِ الْعَرَبِ

3524 - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ، فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ

(مِنْ أَسَدٍ، وَتَمِيمٍ، وَهَوَازِنَ، وَغَطَفَانَ) أما أسد وتميم وغطفان فقد تم ذكرهم في حديث أَبِي بكرة، وأما هوازن فقد ذكر في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بدل بني عامر بن صعصعة وبنو عامر بن صعصعة من بني هوازن من غير عكس فذكر هوازن أشمل من ذكر بني عامر.

ومن قبائل هوازن غير بني عامر بنو نصر بن معاوية وبنو سعد بن بكر بن هوازن وثقيف وهو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن والجميع يجمعهم هوازن بن منصور بن عِكْرِمَة بن حفصة بن قيس.

ومطابقة الْأَحَادِيث الثلاثة للترجمة ظاهرة.

12 ـ باب قِصَّة زَمْزَمَ وَجَهْلِ الْعَرَبِ

(باب قِصَّة زَمْزَمَ وَجَهْلِ الْعَرَبِ) كذا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ وأما فِي رِوَايَةِ غيره فقد سقط قصة زمزم واقتصر على باب جهل العرب وهو الصواب لأنه لم يذكر فيه زمزم أصلًا وأما الإسماعيلي فجمع هذه الْأَحَادِيث في ترجمة واحدة وهو متجه.

وقد وقع في بعض النسخ باب قصة إسلام أَبِي ذَرٍّ قبل قبل هذا الباب.

(حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ) مُحَمَّد بن الفضل السدوسي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ) بفتح المهملة الوضاح اليشكري، (عَنْ أَبِي بِشْرٍ) بكسر الموحدة وسكون المعجمة جعفر بن أَبِي وحشية واسم وحشية إياس اليشكري البَصْرِيّ.

(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ) من سره الأمر سرورًا إذا فرح به.

(فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ) يعني اقرؤوا الآية التي بعد الثلاثين ومائة آية وهو قوله تعالى: (﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ

عِلْمٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140]»[1].

13 ـ باب مَنِ انْتَسَبَ إِلَى آبَائِهِ فِي الإِسْلامِ وَالجَاهِلِيَّةِ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الكَرِيمَ،

عِلْمٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾) قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ يريد بهم ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون ويقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفة عقلهم وجهلهم بأن اللّه رازق أولادهم لا هم. ويجوز نصبه على الحال أو المصدر ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من البحائر والسوائب والحرث ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ حيث قالوا إن اللّه أمركم بهذا: ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ [الأنعام: 140] في ذلك وخسروا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم وضيعوا عليهم أموالهم وحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم. وأما في الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على اللّه تَعَالَى وافترائهم.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق والصواب. وعن ابْن عَبَّاس رضي اللّه عنهم نزلت هذه الآية في ربيعة ومضر والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء في الجاهلية من العرب، وَقَالَ قَتَادَة: كان أهل الجاهلية يقتلون بناتهم مخافة السبي والفاقة إلا ما كان من بني كنانة فإنهم كانوا لا يفعلون كذلك واللّه تَعَالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ: إن تعلم جهل العرب.

13 ـ باب مَنِ انْتَسَبَ إِلَى آبَائِهِ فِي الإِسْلامِ وَالجَاهِلِيَّةِ

(باب) جواز انتساب (مَنِ انْتَسَبَ إِلَى آبَائِهِ) الذين مضوا (فِي الإِسْلامِ وَالجَاهِلِيَّةِ) وكرهه بعضهم ذلك مُطْلَقًا ومحل الكراهة ما إذا أورده على طريق المفاخرة والمشاجرة وقد روى الإمام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما بإسناد حسن من حديث أَبِي ريحانة رفعه من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزًّا أو كرامة فهو عاشرهم في النار.

(وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ) رضي اللّه عنهم، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ الكَرِيمَ،

---

(1) تحفة 5461.

ابْنَ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللّهِ، وَقَالَ البَرَاءُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ».

3525 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214]، جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ[1].

ابْنَ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللّهِ) صلوات اللّه عليهم وسلامه ومطابقته للترجمة ظاهرة باعتبار الجزء الأول منها فإنه ﷺ لما نسب يُوسُف إلى آبائه كان ذلك دليلًا على جواز ذلك لغيره في غيره، وقد تقدم حديث كل منهما موصولًا في أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء.

(وَقَالَ البَرَاءُ) أي: ابن عازب رَضِيَ اللّه عَنْهُ، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ») وهذا طرف من حديث تقدم موصولًا في الجهاد في قصة غزوة حنين في باب من صف أصحابه عند الهزيمة.

ومطابقته للركن الثاني من الترجمة من حيث إنه ﷺ انتسب إلى جده عبد المطلب.

(حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبِي) هو حفص بن غياث بن طلق أَبُو عمر النخعي الكوفي قاضيها قَالَ: (حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ) سليمان بن مهران قَالَ: (حَدَّثَنَا) بالإفراد (عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾) الأقرب فالأقرب.

(جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ) بكسر الفاء وسكون الهاء ابن مالك بن النضر بن كنانة بطن من قريش.

(يَا بَنِي عَدِيٍّ) بفتح العين وكسر الدال المهملتين هو ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر رهط عمر بن الخطاب رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

بِبُطُونِ قُرَيْشٍ وفي رواية الكُشْمِيهَنِيّ: (لِبُطُونِ قُرَيْشٍ) باللام وقد أمر اللّه

---

(1) أطرافه 1394، 3526، 4770، 4801، 4971، 4972، 4973 ـ تحفة 5594.

3526 - وَقَالَ لَنَا قَبِيصَةُ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214]، جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ قَبَائِلَ قَبَائِلَ»[1].

3527 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ،

تَعَالَى نبيه ﷺ بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه وبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبدء ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم وهذا الحديث من مرسلات ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا، لأن الآية نزلت في مكة وابن عباس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين. وروي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذًا فخذًا حتى اجتمعوا إليه فَقَالَ لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلًا أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم قَالَ: فإني نذيركم بين يدي عذاب شديد.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه ذكر النَّبِيّ ﷺ وعشيرته بنسبة كل قبيلة إلى آبائها.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الإيمان، وَالتِّرْمِذِيّ في التفسير، وَالنَّسَائِيّ فيه، وفي اليوم والليلة.

(وَقَالَ لَنَا قَبِيصَةُ) بفتح القاف هو ابن عقبة وقد تكرر ذكره وهو موصول وليس بمعلق وإنما قَالَ وَقَالَ لنا قبيصة لأنه سمعه منه في المذاكرة.

(أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ) هو الثَّوْرِيّ، (عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ) قيس بن دينار أَبُو يَحْيَى الكوفي، (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا، أنه (قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ قَبَائِلَ قَبَائِلَ») بأن قال يا بني فلان يا بني فلان بما يعرف به كل قبيلة كما يأتي توضيحه في الحديث الآتي وقد أخرج هذا الحديث النَّسَائِيّ في التفسير وفي اليوم والليلة.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ،

---

(1) أطرافه 1394، 3525، 4770، 4801، 4971، 4972، 4973 ـ تحفة 5476.

اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ ابْنِ العَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ لا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا»[1].

اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ) وإنما قَالَ: اشتروا أنفسكم مع أنهم البائعون قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: 111] لأنهم مشترون أنفسهم باعتبار التخليص من العذاب بائعون باعتبار تحصيل الثواب.

(**يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ)** عطف بيان لقوله: «**أم الزبير**» واسمها صفية بنت عبد المطلب.

(**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللّهِ لا أَمْلِكُ لَكُمَا مِنَ اللّهِ شَيْئًا، سَلانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا**) وفي الحديث أنه ﷺ ناداهم طبقة بعد طبقة إلى أن انتهى إلى عمته صفية بنت عبد المطلب وهي أم الزبير بن العوام وإلى ابنته فاطمة رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وفيه أن قريشًا كلهم من الأقربين وفيه بداءته ﷺ بقومه فإذا قامت حجته عليهم قامت على من سواهم ممن أمر بتبليغه وفيه فضل صفية رَضِيَ اللّه عَنْهَا وفيه تكنية المرأة حيث قَالَ يا أم الزبير.

ثم هذه القصة إن كانت وقعت في صدر الإسلام بمكة فلم يدركها ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين.

وفي نداء فاطمة رَضِيَ اللّه عَنْهَا يومئذ ما يقتضي تأخر القصة وإن كان أَبُو هُرَيْرَةَ حضرها فلا يناسب الترجمة لأنه إنما أسلم بعد الهجرة بمدة.

قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: والذي يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة في صدر الإسلام ورواية ابْن عَبَّاس وأبي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنهم لها من مراسيل الصحابة وهذا هو الموافق للترجمة من جهة دخولها في مسند السيرة النبوية ويؤيد ذلك ما سيأتي أن أبا لهب كان حاضرًا لذلك ومرة بعد ذلك حيث يمكن أن تدعى فيها فاطمة رَضِيَ اللّه عَنْهَا أو يحضر ذلك أَبُو هُرَيْرَةَ وابن عباس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا واللّه تَعَالَى أعلم.

---

(1) طرفاه 2753، 4771 - تحفة 13769 - 225/ 4.

14 ـ باب: ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ وَمَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ[1][2]

3528 - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الأَنْصَارَ فَقَالَ: «هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» قَالُوا: لا، إِلا ابْنُ أُخْتٍ لَنَا،

---

14 ـ باب: ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ وَمَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ

(باب: ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ وَمَوْلَى القَوْمِ مِنهُمْ) قال الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: أي: فيما يرجع إلى المناصرة والتعاون ونحو ذلك وأما بالنسبة إلى الميراث ففيه نزاع سيأتي بسطه في كتاب الفرائض انتهى.

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأن ظاهر الكلام مطلق يتناول الكل. وأنت خبير بأن تعقبه ليس على ما ينبغي.

ثم هذا الباب وقع هنا فِي رِوَايَةِ كريمة وغيره وعليه شرح العيني ووقع عند أَبِي ذَرٍّ قبل باب قصة الحبش وعليه شرح الْعَسْقَلَانِيّ.

(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الأَنْصَارَ) خاصة.

وفي رواية: سقط لفظ خاصة.

(فَقَالَ: «هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» قَالُوا: لا، إِلا ابْنُ أُخْتٍ لَنَا) وهو

---

(1) قال الحافظ رحمه اللّه تعالى: أي فيما يرجع إلى المناظرة والتعاون ونحو ذلك، وأما بالنسبة إلى الميراث ففيه نزاع كما سيأتي بسطه في كتاب الفرائض، اهـ.
وتعقب عليه العيني فقال ظاهر الكلام مطلق يتناول الكل، وقال أيضًا: استدلت به الحنفية في توريث الخال وذوي الأرحام إذا لم تكن عصبة ولا صاحب فرض مسمى به، وقال أحمد أيضًا: وهو حجة على مالك والشافعي في تحريمهما الخال وذوي الأرحام، وللحنفية أحاديث أخر ذكرها العيني، وقال الحافظ في كتاب الفرائض اختلف الفقهاء في توريث ذوي الأرحام فذهب أهل الحجاز والشام إلى منعهم الميراث، وذهب الكوفيون وأحمد وإسحاق إلى توريثهم، اهـ.
وبسط العيني في ذكر أسماء الصحابة والتابعين القائلين بالتوريث، وترجم البخاري في صحيحه في كتاب الفرائض باب مولى القوم من أنفسهم الخ قال العيني: وتبعه القسطلاني هذا باب في بيان أن مولى القوم أي: عتيقهم منهم في النسبة إليهم والميراث منه، اهـ. وبسط الكلام في الأوجز في بيان ذوي الأرحام من هم وفي اختلاف الأئمة في توريثهم ودلائلهم.

(2) من الأصل المخطوط حديث رقم (3528) جاء قبل حديث رقم (3523).

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ مِنْهُمْ»[1].

النعمان بن مقرن المزني كما أَخْرَجَهُ أحمد من طريق شعبة عن معاوية بن قرة في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ هذا.

(**فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ مِنْهُمْ»**) استدلت به الحنفية في توريث الخال وذوي الأرحام إذا لم يكن عصبةَ ولا صاحب فرض مسمى وبه قَالَ أحمد وهو حجة على مالك وَالشَّافِعِيّ في تحريمهما الخال وذوي الأرحام.

وللحنفية أَحَادِيث أخر: منها ما أَخْرَجَهُ الطبراني من حديث عتبة بن غزوان أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ يومًا لقريش: «**هل فيكم من ليس منكم؟**» قالوا لا إلا ابن أختنا عتبة بن غزوان فَقَالَ: «**ابن أخت القوم منهم**».

ومنها ما أَخْرَجَهُ الطبراني أَيْضًا من حديث عمرو بن عوف أن النَّبِيّ ﷺ دخل بيته قَالَ ادخلوا عليَّ ولا يدخل عليَّ إلا قرشي فَقَالَ لهم هل معكم أحد غيركم قالوا معنا ابن الأخت والمولى قَالَ حليف القوم منهم ومولى القوم منهم وأخرج أحمد نحوه من حديث أَبِي مُوسَى والطبراني نحوه من حديث أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

ومنها: حديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا الخال وارث من لا وارث له أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ.

ومطابقة الحديث للجزء الأول من الترجمة ظاهرة.

ولم يذكر حديث مولى القوم منهم مع ذكره في الترجمة فزعم بعضهم أنه لم يقع له حديث على شرطه فأشار إليه.

وفيه: نظر لأنه قد أورده في الفرائض من حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ ولفظه مولى القوم من أنفسهم ولعله لم يذكره هنا اكتفاء بذكره هناك والمراد به المولى الأسفل لا الأعلى أو المراد الحليف. وقد وقع في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن البزار مضمون الترجمة وزيادة عليها بلفظ مولى القوم منهم وحليف القوم منهم وابن أخت القوم منهم.

والحديث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في المغازي أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الزكاة، وَالتِّرْمِذِيّ في المناقب، وَالنَّسَائِيّ في الزكاة.

---

(1) أطرافه 3146، 3147، 3778، 3793، 4331، 4332، 4333، 4334، 4337، 5860، 6762، 7441 - تحفة 1244.

15 ـ باب قِصَّة الحَبَشِ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يَا بَنِي أَرْفِدَةَ

3529 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ عَلَيْهَا، ....

---

15 ـ باب قِصَّة الحَبَشِ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يَا بَنِي أَرْفِدَةَ

(باب قِصَّة الحَبَشِ) ولم يذكر فيه إلا شَيْئًا نزرًا من قصة الحبش وذكر ابن إسْحَاق قصتهم مطولة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى كتابه.

والحَبَش والحَبَشَة جنس من السودان، والجمع الحُبْشَان، مثل: جَمَل وجُمْلَان قاله الْجَوْهَرِيّ، وهم من ولد كوش بن حام ابن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم مجاورون لأهل اليمن يقطع بينهم البحر وقد غلبوا على اليمن قبل الإسلام وملوكها وقصد أبرهة من ملوكهم الكعبة ومعه الفيل.

وقد ذكر ابن إسْحَاق قصتها مطولة وأخرجها الحاكم ثم البيهقي من طريق قابوس بن أَبِي ظبيان عن أبيه عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا ملخصها.

وقيل: إن أولاد حام كانوا سبعة إخوة السند، والهند، والزنج، والقبط، والحبش، والنوبة، وكنعان.

والحبش على أنواع: الدهلك، والناصع، والزيلع، والكوكو، والقافور، واللابة، والقوماطين، ودرقلة، والقرنة.

(وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ) بالجر عطفًا على قوله قصة الحبشة: (يَا بَنِي أَرْفِدَةَ) بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الفاء وفتحها اسم جد لهم وقيل أرفدة اسم أمه. وقيل معنى أرفدة الأمة وقد مضى هذا اللفظ في حديث طويل في كتاب العيدين في باب الحراب والدرق يوم العيد وبنو أرفدة جنس من الحبشة يرقصون وفيه كان يوم عيد يلعب فيه السودان فلما سألت يعني عَائِشَة رَسُول اللّه ﷺ قَالَ: «**تشتهين تنظرين؟**» فقلت نعم فاقضي وراءه خدي على خده وهو يقول: «**دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت**» قَالَ: حسبك قلت: نعم قَالَ: «**فاذهبي**».

(**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ**) رَضِيَ اللّه عَنْهَا: (**أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ عَلَيْهَا،**

وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى تُدَفِّفَانِ، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ». وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى(1).

3530 - وَقَالَتْ عَائِشَةُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُمْ، أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ» يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ(2).

وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى) تُغَنِّيَانِ، وَ**(تُدَفِّفَانِ، وَتَضْرِبَانِ)** ويروى في أيام منى تدففان وتضربان وليس فيه تغنيان.

(وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ) من قولهم تغشى بثوبه أي: تغطى به، **(فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ)** رَضِيَ اللّه عَنْهُ، **(فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: دَعْهُمَا)** أي: اتركهما.

(يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا) أي: تلك الأيام **(أَيَّامُ عِيدٍ)** أي: أيام فرح وسرور، **(وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى)** قيل هذا يدل على أن أيام العيد أربعة أيام ورد بأنه يحتمل أن يكون ذلك اليوم ثاني أيام العيد وثالثهما فإذا كان كذلك فهو من أيام منى.

(وَقَالَتْ عَائِشَةُ) رَضِيَ اللّه عَنْهَا: **(رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ)** أي: يرقصون فيه، **(فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ)** أي: أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ، **(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعْهُمْ، أَمْنًا)** أي: اتركهم آمنين وقوله: **(بَنِي أَرْفِدَةَ)** أي: دونكم يا بني أرفدة كما في الرواية الماضية في العيدين ويجوز أن يكون أمنًا مفعولًا مُطْلَقًا أي: ايمنوا أمنًا ليس لأحد أن يمنعكم وهو الأظهر.

(يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ) قَالَ الْكِرْمَانِيّ: الغرض من ذكر لفظ يعني من الأمن أنه من الأمن الذي هو ضد الخوف لا من الإيمان أو أن التنوين فيه للتعظيم أو أنه منصوب بأنه مفعول له أو بنزع الخافض أو أنه مشتق من الأمن لا مصدر يعني أنه جمع أمن كصحب وصاحب.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

---

(1) أطرافه 454، 455، 950، 988، 2906، 5190، 5236 - تحفة 16562.

(2) أطرافه 949، 952، 987، 2907 - تحفة 16562.

16 ـ باب مَنْ أَحَبَّ أَنْ لا يُسَبَّ نَسَبُهُ

3531 - حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ المُشْرِكِينَ قَالَ: «كَيْفَ بِنَسَبِي؟» فَقَالَ حَسَّانُ: لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ العَجِينِ، ....

غريبة:

استدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص وسماع آلات المناهي في المسجد ورده العلماء باختلاف القصدين فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتدريب على الحرب فلا يحتج به في الرقص للهو على أن دعوى العموم في الأفعال غير صحيحة عند الأكثرين لأنها واقعة عين كما حقق في محله.

16 ـ باب مَنْ أَحَبَّ أَنْ لا يُسَبَّ نَسَبُهُ

(حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدَةُ) هو ابن سليمان، (عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ) عُرْوَة، (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أنها (قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ) أي: ابن ثابت رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ المُشْرِكِينَ، قَالَ) ﷺ: («كَيْفَ بِنَسَبِي؟») أي: كيف بنسبي مجتمعًا بنسبهم يعني كيف تهجو قريشًا مع اجتماعي معهم في النسب وفي هذا إشارة إلى أن معظم طرق الهجو النقص من الآباء.

(فَقَالَ حَسَّانُ: لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ) أي: لأخلصن نسبك من نسبهم بحيث يختص الهجو بهم دونك، وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: أي: لأتلطفن في تخليص نسبك من هجوهم بحيث لا يبقى جزء من نسبك فيما ناله الهجو.

(كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ العَجِينِ) ويروى الشعر وإنما عين الشعر والعجين لأنه إذا سل من العجين لا تتعلق به شيء ولا ينقطع لنعومته بخلاف ما إذا سل من شيء صلب أو لزج فإنه ربما ينقطع أو يبقى منه بقية كما إذا سلت من العسل مثلًا فإنه قد يتعلق بها شيء منه وإذا سلت من الخبز فإنه ربما ينقطع قبل أن يتخلص وروي أنه لما استأذن النبي ﷺ في هجاء المشركين قال: «**ائت أبا بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال له: قد خلّص لي نسبك**».

وَعَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: «لا تَسُبُّهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»[1].

(وَعَنْ أَبِيهِ) وهو موصول بالإسناد السابق إلى عُرْوَة وليس بمعلق وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأدب عن مُحَمَّد بن سلام عن عبدة بهذا الإسناد فَقَالَ فيه وعن هشام عن أبيه فذكر الزيادة وكذلك أَخْرَجَهُ فِي الأدب المفرد.

(قَالَ: ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهَا يعني بسبب ما وافق أهل الإفك.

(فَقَالَتْ: «لا تَسُبُّهُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ») قوله ينافح بكسر الفاء بعدها حاء مهملة ومعناه يدافع أو يرامي يقال نافحت عن فلان أي: خاصمت عنه ويقال نفحت الدابة إذا رمحت بحوافرها ونافحه السيف إذا تناوله من بعيد وأصل النفح بالمهملة الضرب وقيل للعطاء نفح كان المعطي يضرب السائل به ووقع فِي رِوَايَةِ أَبِي سلمة قالت عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا فسمعت النَّبِيّ ﷺ يقول لحسان: «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن اللّه ورسوله**» وقد تقدم في أوائل الصلاة ما يدل على أن المراد بروح القدس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا آخر القطعة الخامسة عشرة من شرح صحيح الإمام الْبُخَارِيّ وقد وقع الفراغ منها على يد جامعها الفقير عَبْد اللّه بن مُحَمَّد الشهير بيوسف أفندي زاده. كتب اللّه لهم الحسنى وزيادة ليلة الاثنين الثانية من ليالي شهر رجب المرجب المنسلك في سلك شهور السنة الرابعة والأربعين بعد المائة والألف من هجرة من يأخذ العفو ويأمر بالعرف، ويتلوها القطعة السادسة عشرة المبتدأة بقوله باب ما جاء في أسماء النَّبِيّ ﷺ إن شاء اللّه تَعَالَى نسأل اللّه تَعَالَى العافية في الدين والدنيا وأسأله التوفيق لإتمام هذا الكتاب بحرمة النَّبِيّ والآل والأصحاب صلوات اللّه وسلام عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(1) طرفاه 4145، 6150 - تحفة 17055، 17054.
أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت رضي اللّه عنه رقم 2487، 2489.

17 ـ باب مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ

وَقَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29] ....

---

17 ـ باب مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ

(باب مَا جَاءَ) فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ وفي بعض النسخ: (فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ) المراد بالأسماء هنا ألفاظ تطلق على رسول اللّه ﷺ أعم من كونه عَلَمًا أو وصفًا.

وقد نقل أبو بكر ابن العربي في كتاب الأحوذي في شرح جامع الترمذي عن بعضهم: أن لله عز وجل ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم، ثم ذكر منها على سبيل التفصيل بضعًا وستين.

وسيأتي بقية الكلام فيه إن شاء اللّه تعالى.

(وَقَوْلِ اللَّهِ) عَزَّ وَجَلَّ بالجر عطفًا عَلَى قَوْلِهِ: ما جاء.

(﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾) هذا بعض آية من آيات سورة الفتح قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن أو المعجزة أي: ملتبسًا أو بسببه أو لأجله ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: وبدين الإسلام والملة الحنيفية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: 28] أي: ليعليه على جنس الدين كله من الأديان المختلفة، من أديان المشركين والجاحدين وأهل الكتاب بنسخ ما كان حقًّا وإظهار فساد ما كان باطلًا، أو بتسليط المؤمنين على أهله، ولقد حقق ذلك سبحانه وتعالى؛ فإنك لا ترى دينًا قط إلا وللإسلام دونه العز والغلبة.

وقيل: هو عند نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين لا يبقى على وجه الأرض كافر.

وقيل: هو إظهاره بالحجج والآيات.

وفي هذه الآية توكيد لما وعد في الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن اللّه سيفتح لهم في البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون بالنسبة إليه فتح مكة.

ويقال: إن الضمير المرفوع في: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ إلى اللّه سبحانه وتعالى،

والمنصوب راجع إلى الرسول ﷺ، والمضاف محذوف، أي: ليعلي دينه، أو باعتبار أن إعلاءه كناية عن إعلاء دينه، وإما إلى الدين، ويجوز أن يكون الضمير المرفوع راجعًا إلى الرسول ﷺ، وضمير المفعول إلى دينه.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أن ما وعده كائن أو على نبوته بإظهار المعجزات.

وعن الحسن: «شهد على نفسه أنه سيظهر دين مُحَمَّد ﷺ».

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ جملة مبينة للمشهود به، فقوله: مُحَمَّد مبتدأ ورسول اللّه خبره، أو قوله مُحَمَّد خبر مبتدأ محذوف، أي: هو مُحَمَّد لتقدم قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ ورسول اللّه عطف بيان له، ويجوز أن يكون قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: أصحابه عطفًا على المبتدأ، ورسول اللّه عطف بيان له، والخبر قوله تَعَالَى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ جمع شديد، ومعناه: يغلظون على الكفار وعلى من خالف دينهم وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم.

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ جمع رحيم أي: يتراحمون فيما بينهم كقوله تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54] وعن الحسن: بلغ في تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرّزون من ثيابهم أن تُلْزَق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم.

وبلغ في ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنًا إلا صافحه وعانقه، والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء[1]، وأما المعانقة فقد كرهها أَبُو حَنِيفَةَ وكذلك التقبيل، قَالَ: لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئًا من جسده.

وقد رخص أَبُو يُوسُف في المعانقة، ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم

(1) قال ﷺ: من صافح أخاه المسلم وحرك يده تناثرت ذنوبه، وهي إلصاق صفحة الكف بالكف وإقبال الوجه بالوجه وأخذ الأصابع ليس بمصافحة، والسنة فيها أن تكون بكلتا يديه وبغير حائل من ثوب وعند اللقاء بعد السلام وأن يأخذ الإبهام، قال ﷺ: «**إذا صافحتم فخذوا الإبهام فإن فيه عرقًا ينشعب منه المحبة**»، كذا ذكره القهستاني.

وَقَوْلِهِ: ﴿مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: 6].

ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة والاحتمال والأخلاق السميحة.

﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ فإنهم مشغولون بالصلاة في أكثر أوقاتهم.

﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ يطلبون الثواب والرضى.

﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: 29] يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود، وقوله: ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ يفسرها فهو صفة موضحة لها، ويجوز أن يكون حالًا من المنوي في الخبر، وقيل: المراد بسيماهم نور وبياض في وجوههم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: 106] فإنه قيل: يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر.

وقيل: هي استنارة وجوههم في الدنيا من كثرة صلاتهم بالليل كما روي أن من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

وقيل: هي السمة الحسنة من الخشوع والتواضع، يعني: أن كثرة السجود أورثهم الخشوع والتواضع.

(وَقَوْلِهِ) بالجر عطفًا عَلَى قَوْلِهِ الأول: (﴿مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾) وهذا أَيْضًا بعض آية في آيات سورة الصف قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الصف: 6] ولعله لم يقل: يا قوم كما قَالَ مُوسَى؛ لأنه لا نسب له فيهم.

﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا﴾ في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري.

﴿بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي﴾ والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الإرسال لا الجار؛ لأنه لغو إذ هو صلة للرسول فلا يعمل.

﴿ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، والمعنى ديني التصديق بكتب اللّه وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون، والنبي الذي خاتم المرسلين.

وعن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا روح اللّه؛ فهل بعدنا من أمة؟ قَالَ: نعم، أمة أَحْمَد، حكماء علماء أبرار أتقياء.

3532 - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْنٌ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، ....

وكأنه أشار بهاتين الآيتين إلى أن أشهر أسماء النَّبِيّ ﷺ مُحَمَّد وأحمد، فمحمد في باب التفعيل للمبالغة، وأحمد في باب التفضيل.

وقيل: معناهما إذا حمدني أحد فأنت أَحْمَد وإذا حمدت أحدًا فأنت مُحَمَّد.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: أما أَحْمَد فإنه عَلَم منقول في صفته وهي أفعل التفضيل، ومعناه أَحْمَد الحامدين، وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله، وأما مُحَمَّد فهو منقول في صفته أَيْضًا وهو بمعنى محمود، وفيه معنى المبالغة، والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدّح، قَالَ الأعشى:

إِليكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كانَ وجيفها ... إلى المَاجِدِ القَرْمِ الجَوَادِ المُحمَّدِ

أي: الذي حمد مرة بعد مرة، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة.

وَقَال الْقَاضِي عِيَاضٌ: كان رَسُول اللّه ﷺ أَحْمَد قبل أن يكون محمدًا كما وقع في الوجود؛ لأن تسميته أَحْمَد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمدًا وقعت في القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس، وقد خص بسورة الحمد، ولواء الحمد، والمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحمّادين فجُمِعَتْ له معاني الحمد وأنواعه. وقيل: اسمه في السماوات أَحْمَد، وفي الأرضين محمود، وفي الدنيا مُحَمَّد.

وقيل: الأنبياء كلهم حمّادون تَعَالَى ونبينا ﷺ أَحْمَد، أي: أكثر حمدًا لله تَعَالَى منهم.

وقيل: الأنبياء كلهم محمودون ونبينا ﷺ محمد، أي: أكثر مناقبًا وأجمع للفضائل.

(حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ: حَدَّثَنِي) بالإفراد (مَعْنٌ) بفتح الميم وسكون العين المهملة وآخره نون هو ابن عيسى القزاز وقد مرَّ في الوضوء.

(عَنْ مَالِكٍ) الإمام، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ

عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: ....

عَنْ أَبِيهِ) كذا وقع موصولًا عن معن بن عيسى عن مالك.

وَقَالَ الأكثر: عن مالك عن الزُّهْرِيّ عن مُحَمَّد بن جُبَيْر مرسلًا، ووافق معنى على وصله عن مالك جويرية بن أسماء عند الإِسْمَاعِيلِيّ.

ومحمد بن المبارك وعبد اللّه بن نافع عند أبي عوانة.

وَأَخْرَجَهُ الدارقطني في الغرائب عن آخرين عن مالك، وَقَالَ: إن أكثر أصحاب مالك أرسلوه.

ورواه مسلم موصولًا فِي رِوَايَةِ يُونُس بن يزيد وعقيل ومعمر.

ورواه الْبُخَارِيّ أَيْضًا موصولًا في التفسير من رِوَايَةِ شُعْبَة.

ورواه التِّرْمِذِيّ أَيْضًا موصولًا من رواية ابن عبد ربه، كلهم عن الزُّهْرِيّ، وفي بعض الروايات: عن الزُّهْرِيّ أخبرني مُحَمَّد بن جُبَيْر.

ورواه عن جبير بن مطعم أيضًا ولده الآخر نافع، وفي حديثه زيادة.

وفي الباب عن أبي موسى الأشعري عند مسلم، وعن حذيفة عند الترمذي وابن سعد، وعن ابن عباس وأبي الطفيل عند ابن عدي، ومن مرسل مجاهد عند ابن سعد، وسيذكر ما في رواياتهم من زيادة فائدة.

(**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ**) وَفِي رِوَايَةِ نافع بن جُبَيْر عند ابن سعد: أنه دخل على عبد الملك بن مروان فَقَالَ له: أتحصي أسماء رَسُول اللّه ﷺ التي كان جُبَيْر بن مطعم يعدها؟ قَالَ: نعم، هي ست. فذكر الخمسة التي ذكرها مُحَمَّد بن جبير، وزاد: الخاتم.

لكن روى البيهقي: وأنا العاقب، قَالَ يعني الخاتم.

وفي حديث حذيفة: أَحْمَد، ومحمد، والحاشر، والمُقَفّى ونبي الرحمة.

وكذا في حديث أبي مُوسَى إلا أنه لم يذكر الحاشر.

وَفِي رِوَايَةِ: «**لي في القرآن سبعة أسماء: مُحَمَّد، وأحمد، وياسين، وطه والمزمل، والمدثر، وعبد اللّه**».

وزعم بعضهم أن العدد ليس في قول النَّبِيّ ﷺ وإنما ذكره الراوي بالمعنى.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: فيه نظر؛ لتصريحه في الحديث بقوله: "لي خمسة أسماء" والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء اختصصت بها لم يتسم بها أحد قبلي، أو هي معظمها، أو هي موجودة في الكتب القديمة ومعلومة للأمم السالفة؛ لا أنه أراد الحصر فيها، والحصر الذي أفاده تقديم الجار والمجرور إضافي لا حقيقي، على أن من قواعد الأصول أن مفهوم العدد لا اعتبار له، فلا ينفي الزيادة، وكم جاء في حديث ذكر عدد ولم يقصد به الحصر كخبر: «**سبعة يظلهم اللّه في ظله**» وغيره.

وقَال الْقَاضِي عِيَاضٌ: حمى اللّه هذه الأسماء أن سمي بها أحد قبله وإنما سمى بعض العرب محمدًا قرب ميلاده لما سمعوا من الكهان والأحبار أن نبيًّا سيبعث في ذلك الزمان يُسمى محمدًا، فرجوا أن يكونوا هم، فسموا أبناءهم بذلك، قَالَ: وهم ستة لا سابع لهم، فذكر مُحَمَّد بن سُفْيَان بن مجاشع، ومحمد ابن أحيحة بن الحلاج، ومحمد بن حمران بن ربيعة، ومحمد بن خزاعي السلمي، ومحمد بن مسلمة الأَنْصَارِيّ، ومحمد بن براء البكري.

ثم قال: ثم حمى اللّه تعالى كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها له أحد أو يظهر عليه سبب يشكك أحدًا في أمره حتى تحققت السمتان له، ولم يُنَازَع ﷺ فيهما.

وَقَالَ السهيلي في الروض الأنف: لا يعرف في العرب من تسمى محمدًا قبل النَّبِيّ ﷺ إلا ثلاثة، وهم الثلاثة الذين ذكروا أولًا.

وسبق السهيلي إلى هذا القول أَبُو عَبْدِ اللّه ابن خالويه في «كتاب ليس».

وهو حق مردود؛ فقد تسمى بذلك جماعة، وأشهرهم مُحَمَّد بن عدي بن ربيعة السعدي الساعدي، روى حديثه البغوي وابن سعد وابن شاهين وابن السكن وغيرهم من طريق العلاء بن الفضل عَنْ أَبِيهِ عن جده عبد الملك بن أبي سوية عن أبيه خليفة بن عبدة المنقري، قَالَ: سألت محمد بن عدي بن ربيعة: كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدًا؟ قال: سألت أبي عما سألتني فَقَالَ: خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا أحدهم، وسفيان بن مجاشع، ويزيد بن عمرو بن ربيعة،

وأسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر، نريد ابن جفنة بالشام، فنزلنا على غدير عند دير، فأشرف علينا الديراني فَقَالَ لنا: إنه يُبعث منكم وشيكًا نبي، فسارعوا إليه، فقلنا: ما اسمه؟ قَالَ: مُحَمَّد، فلما انصرفنا وُلِدَ لكل منا ولد فسماه محمدًا لذلك، ويقال: إن أول من سمي بمحمد: محمد بن سفيان، انتهى.

فهؤلاء أربعة ليس في السياق ما يشعر بأن فيهم من له صحبة إلا مُحَمَّد بن عدي.

وذكر عبدان المَرْوَزِيّ: أن مُحَمَّد بن أحيحة بن الحلاج أول من تسمى في الجاهلية محمدًا، وكان تلقى ذلك في قصة تُبّع لما حاصر المدينة وخرج إليه أحيحة المذكور هو والحبر الذي كان عندهم بيثرب، فأخبره الخبر، أن هذا بلد نبي يُبعث يسمى محمدًا فسمى ابنه محمدًا.

وذكر البلاذري منهم مُحَمَّد بن عقبة بن أحيحة، قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: فلا أدري أهما واحد نُسِبَ مرة إلى جده، أم هما اثنان.

ومنهم: مُحَمَّد بن البراء البكري، ذكره ابن حبيب وضبط البلاذري إياه فَقَالَ: مُحَمَّد بن بر، بتشديد الراء ليس بعدها ألف، وساق نسبه إلى عتوار بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ولهذا نسبوه أَيْضًا العتواري.

وغفل ابن دحية فعدّ منهم مُحَمَّد بن عتوار، وهو نسب لجده الأعلى.

ومنهم: مُحَمَّد بن اليحمد الأزدي، ذكره المحب البصري في كتابه المنقذ.

ومحمد بن خولي الهمداني، ذكره ابن دريد.

ومحمد بن جرماز بن مالك العمري، ذكره أَبُو مُوسَى في الذيل.

ومنهم: مُحَمَّد بن حمران بن أبي حمران الجعفي المعروف بالشويعر، ذكره المرزباني.

ومنهم: مُحَمَّد بن خزاعي بن علقمة، ذكر الطَّبَرِيّ: أن أبرهة الحبشي توجه وأمره أن يغزو بني كنانة فقتلوه، فكان ذلك من أسباب قصة الفيل، وذكره مُحَمَّد ابن أَحْمَد بن سليمان الهَرَوِيّ في كتاب الدلائل فيمن يُسمى محمدًا في الجاهلية.

ومنهم: مُحَمَّد بن عمرو بن مُغْفِل، بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الفاء

أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ ....

ثم لام، وهو والد هبيب بموحدتين مصغرًا وهو على شرط المذكورين، فإن لولده صحبة، ومات هو في الجاهلية، فعُرِفَ بذلك وجه الرد على الحصر الذي ذكره السهيلي، وكذا الذي ذكره القاضي عياض.

وعجب من السهيلي كيف لم يقف على ما ذكره القاضي عياض مع كونه كان قبله، وقع تحرر من أسمائهم قدر الذي ذكره القاضي عياض مرتين بل أكثر، كذا قرره الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ.

(أَنَا مُحَمَّدٌ) قد مرّ أنه اسم مفعول من التحميد، مبالغة نقل من الوصفية إلى الاسمية، سُمّي به لكثرة خصاله المحمودة، أو لأنه حمد مرة بعد مرة، أو لأن اللّه تَعَالَى حمده حمدًا كثيرًا بالغًا غاية الكمال، وكذا الملائكة والأنبياء والأولياء، أو تفاؤلًا لأن يكثر حمده كما وقع لأنه يحمده الأولون والآخرون وهم تحت لواء حمده، فألهم اللّه أهله أن سموه بهذا الاسم.

روي: أنه سماه به جده عبد المطلب بإلهام من اللّه تَعَالَى له بذلك رجاء أن يحمده أهل السماء وأهل الأرض وقد حقق اللّه تَعَالَى رجاءه ولرؤيا رآها وهي أن سلسلة بيضاء من فضة خرجت من ظهره لها طرف بالسماء وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فعبرت بمولود يتبعه أهلهما ويحمده أهل السماء والأرض.

وروى البيهقي في الدلائل أن عبد المطلب لما ولد المصطفى ﷺ عمل له مأدبة فلما أكلوا سألوا ما سميته قَالَ محمدًا قالوا فلم رغبت فيه عن أسماء أهل بيته قَالَ رجاء أن يحمده اللّه في السماء وأهل بيته في الأرض.

وَقَالَ ابن القيم: اسم مُحَمَّد علم وصفة اجتمعا في حقه ﷺ وإن كان علمًا محضًا في حق من تسمى به غيره وهذا شأن أسماء اللّه تَعَالَى، وفي ذلك إيماء إلى أن الأسماء تنزل من السماء.

(وَ) أنا (أَحْمَدُ) أي: أَحْمَد الحامدين أو أَحْمَد المحمودين فهو أفعل بمعنى الفاعل كأعلم أو بمعنى المفعول كأشهر، والمعنى الأول أكثر وهو في هذا

المقام أنسب لئلا يتكرر، قَالَ السهيلي: وتبعه غيره أن معناه أَحْمَد الحامدين لربه لأنه على ما ثبت في الصحيح يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ويخص بالمقام المحمود كما اختص بسورة الحمد ثم لم يكن محمدًا حتى كان أَحْمَد حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك ورد في قول مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهم اجعلني من أمة مُحَمَّد وفي قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أَحْمَد لأن حمده ربه كان قبل حمد الناس له فلما بعث كان محمدًا بالفعل فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه أولًا بتلك المحامد التي لم يفتح بها على أحد قبله فيكون أَحْمَد الحامدين لربه ثم يشفع فيشفع فيحمد على شفاعته فيكون أَحْمَد المحمودين فتقدم أَحْمَد ذكرًا ووجودًا ودينًا وأخرى انتهى.

وهو أبلغ من الحماد خلافًا لما فهمه ابن القيم فإنه مبالغ الحامد فأين هو من الأحمد المطلق مع أن صيغة الفعال قد تأتي لغير المبالغة كما لا يخفى بل من صفة أمته الحمادون كما تقدم.

وإنما ابتدأ بهذين الاسمين الشريفين لإنبائهما عن كمال الحمد المنبئ عن كمال ذاته، والراجع إليه سائر صفاته إذ صيغة التفعيل تنبئ عن التضعيف والتكثير إلى غير نهاية وصيغة التفضيل تنبئ عن الوصول إلى غاية ليس وراءها غاية أخرى ولعله قدم اسم مُحَمَّد في هذا الحديث لكونه أشهر في أَحْمَد وأظهر بل ورد عند أبي نعيم أنه سمي بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام وورد عن كعب أن اسم مُحَمَّد مكتوب على ساق العرش وفي السماوات السبع وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قصب آجام الجنة وورق طوبى وسدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة وقيل وجد مكتوبًا على ورق بالهند وعلى جنب سمكة وأذن أخرى، وأخرج الخطيب في تاريخه عن عبد الرحمن بن هارون قَالَ كنا بالبحرين سائرين إلى إفريقية فصاد صبي سمكة طول شبر فكان على صفحتها اليمنى مكتوبًا لا إله إلا اللّه وعلى قذالها وجنبة أذنها اليسرى مُحَمَّد رَسُول اللّه وكان أبين من نقش على حجر والسمكة بيضاء والكتابة سوداء

وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، ....

كأنها حبر[1]، ومن مزايا هذا الاسم الشريف موافقته لمحمود من أسمائه تَعَالَى قَالَ حسان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ:

وشقَّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا مُحَمَّد

ومن مزاياه أَيْضًا أنه لا يصح إسلام كافر حتى يتلفظ به فلا يكفي أَحْمَد رَسُول اللَّه خلافًا للحلبي وأنه يتعين الإتيان به في التشهد والخطبة فلا يكفي فيهما أَحْمَد ومنها: أنه يخرج من بالبسط عدد المرسلين وهو ثلاثمائة وثلاثة عشر وأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يكنى به في الجنة دون جميع بنيه وأن الشياطين سخرت لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بذكره كما كشف الأسرار. وروى النهرواني من طريق عمرو ابن دينار عن جابر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مرفوعًا أن نقش خاتم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لا إله إلا اللَّه مُحَمَّد رَسُول اللَّه ففي الجملة للاسمين الكريمين مزية تامة على سائر أسمائه ﷺ فينبغي تحري التسمية بهما في خبر أبي نعيم قَالَ اللَّه تَعَالَى وعزتي وجلالي لا عذبت أحدًا يسمى باسمك في النار.

وورد أني آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه أَحْمَد أو مُحَمَّد.

وروى الديلمي عن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو مُحَمَّد إلا قدس اللَّه ذلك المنزل كل يوم مرتين.

وفي مستدرك الحاكم عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أوحى اللَّه إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا مُحَمَّد ما خلقت الجنة والنار.

(**وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ**) هذا هو الثالث من الخمسة قَالَ الْكِرْمَانِيّ: ومحو الكفر إما من بلاد العرب ونحوها مما وعد له أن يبلغ ملك أمته، وإما بمعنى الغلبة بالحجة وظهور دليله كقوله تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾.

قَالَ العَسْقَلَانِيّ: وفيه نظر؛ لأنه وقع فِي رِوَايَةِ عقيل ومعمر يمحو اللَّه بي الكفر انتهى.

(1) أخرج الديلمي عن علي رضي اللَّه عنه مرفوعًا: أول ما في التوراة مكتوب محمد رسول اللَّه ووجد مكتوبًا على ورد بالهند محمد رسول اللَّه.

وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي،

وهو غريب لأنه لا فرق بين الروايتين، والظاهر أن هذا عام يتناول كفر كل واحد في كل أرض وإنما حمل على العهد لا على الاستغراق لعدم تحققه في الوجود وقيل إنه محمول على الأغلب أو أنه يمحى به لكن بالتدريج إلى أن يضمحل في زمن عيسى ابن مريم عليهما السلام لأنه يرفع الخبرية ولا يقبل إلا الإسلام وفيه نظر لأن كفر يأجوج ومأجوج موجود حينئذ ويجاب بأنه وجد في الجملة وأما عدم الاستمرار فأمر آخر بل إيماء إلى أنه لما وصل إلى الكمال تعقبه الزوال ولذا لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله.

وقال الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وَفِي رِوَايَةِ نافع بن جُبَيْر عن ابن سعد وأنا الماحي فإن الله يمحو به سيئات من اتبعه وهذا يشبه أن يكون من قول الراوي انتهى.

ويوضحه أنه قَالَ يمحو به لا يمحو بي إلا أنه يمكن الجمع بأن يقال وجه التسمية قد يكون متعددًا، ثم قوله يمحو به سيئات من اتبعه أي: من آمن به فيمحو عنه ذنب كفره وسائر ما عمله فيه قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38].

وَقَالَ ﷺ: «**الإسلام يهدم ما قبله**»، وخص ﷺ بهذا الاسم لأنه لم يمح الكفر بأحد مثل ما محا ﷺ وبعثه وقد عم الكفر الأرض وأكثرهم لا يعرفون ربًّا ولا معادًا بل منهم من يعبد الحجر أو الكواكب أو النار فمحا ذلك كله وظهر دينه على كل دين وبلغ مبلغ الجديدين وسار مسير القمرين، ثم إن الظاهر في الحديث أن يقال الذي يمحو الله به الكفر اعتبار الموصول إلا أنه اعتبر المعنى المدلول للفظ أنا كقول علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنا الذي سمتني أمي حيدرة.

(**وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ**) على البناء للمفعول (**عَلَى قَدَمِي**) أي: على أثري أي: أنه يحشر قبل الناس وهو أول من يحشر كما جاء في حديث آخر أنا أول من تشق عنه الأرض فالمعنى أنهم يحشرون بعدي أو يتبعونني.

وَقَالَ ابن الجزري: أي: يحشر الناس على أثر زمان نبوتي ليس بعدي نبي فالمراد بالقدم الزمان أي: وقت قيامي على القدم بظهور علامات الحشر ويرجحه ما وقع فِي رِوَايَةِ نافع أنا حاشر بعثت مع الساعة وقيل معنى القدم السبب

وَأَنَا العَاقِبُ»[1]

وقد روي على قدمي بالتشديد على التثنية وبتخفيف الياء على الإفراد وجاء فِي رِوَايَةِ أخرى على عقبي بالتخفيف والتشديد أَيْضًا أي: على أثري ثم كل من الماحي والحاشر في الحقيقة هو اللّه سبحانه فإطلاقهما عليه لكونه سببًا لهما.

(**وَأَنَا العَاقِبُ**) وبهذا هو الخامس من الخمسة أي: الذي جاء عقب الأنبياء قاله القسطلاني وذلك أن العاقب هو الآخر. ولو كان نبي بعده لكان هو العاقب دونه فثبت أنه عقب الأنبياء أي: آخرهم.

وفي النهاية هو الذي يخلف من كان قبله في الخير، وزاد يُونُس بن يزيد في روايته عن الزُّهْرِيّ الذي ليس بعده أحد وقد سماه اللّه رؤوفًا رحيمًا وقال بعضهم: أعطاه اللّه تعالى اسمين من أسمائه رؤوف رحيم. قَالَ البيهقي في الدلائل قوله وقد سماه اللّه إلى آخره مدرج في قول الزُّهْرِيّ.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وهو كذلك في الظاهر وكأنه أشار إلى ما في آخر سورة براءة، وأما قوله الذي ليس بعده أحد فالظاهر أنه مدرج أَيْضًا لكنه وقع فِي رِوَايَةِ سُفْيَان بن عيينة عند التِّرْمِذِيّ في الجامع بلفظ الذي ليس بعده نبي ووقع فِي رِوَايَةِ نافع بن جُبَيْر فإنه عقب الأنبياء وهو يحتمل الرفع والوقف.

وَقَالَ البيهقي: العاقب يعني الخاتم وفي لفظ الماحي والخاتم وفي لفظ وأنا حاشر فبعثت مع الساعة نذيرًا لكم بين يدي عذاب شديد هذا ومما وقع في أسمائه ﷺ في القرآن الطاهر المبشر النذير المبين، الداعي إلى اللّه السراج المنير.

وفيه أَيْضًا المذكر والرحمة والنعمة والهادي والشهيد.

والأمين، والمزمل، والمدثر، وفي حديث أبي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللّه عَنْهُ نبي التوبة ونبي الملحمة، وعن أبي صالح قَالَ ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**».

وَقَالَ أَبُو زكريا العنبري لنبينا ﷺ خمسة أسماء في القرآن العظيم قَالَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾.

---

(1) طرفه 4896 - تحفة 3191.
أخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ. رقم 2354.

وَقَالَ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

وَقَالَ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ يعني النَّبِيّ ﷺ ليلة الجن.

وَقَالَ: ﴿طه ۝١﴾.

وَقَالَ: ﴿يس ۝١﴾، يعني يا إنسان والإنسان هنا العاقل وهو مُحَمَّد ﷺ.

وَقَالَ البيهقي: زاد عبده، وسماه في القرآن رسولًا نبيًّا أميًّا وسمّاه شاهدًا، وبشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللّه بإذنه، وسراجًا منيرًا، وسماه مذكرًا، ورحمة وجعله نعمة وهاديًا.

وعن كعب قَالَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ لمحمد عبدي المتوكل المختار.

وعن حذيفة بسند صحيح يرفعه أنا المقفي[1]، ونبي الرحمة.

وعن مجاهد قَالَ ﷺ: «**أنا رسول الرحمة، أنا رسول الملحمة بعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراع**»، وفي كتاب الشفاء: «**وأنا رسول الرحمة ورسول الملاحم**»، وفي القرآن والسنة المزمل، والمدثر، والنور، والمنذر، والبشير، والشاهد، والشهيد، وبالحق المبين، والأمين، وقدم الصدق، ونعمة اللَّه، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، والنجم الثاقب، والكريم، وداعي اللَّه، والمصطفى والمجتبى، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع والمشفع والمتقي والصالح، والطاهر والمهيمن، والصادق، والمصدوق، والهادي، وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وحبيب اللَّه، وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود، والشفاعة، والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج، والمعراج واللواء، والقضيب، وراكب البراق، والناقة، والنجيب، وصاحب الحجر والسلطان، والعلامة، والبرهان، وصاحب الهراوة، والنعلين، والمختار، ومقيم السنة، والمقدس، وروح الحق، وهو معنى الفارقليط في الإنجيل.

---

(1) المقفّى أي: الذي قفى آثار من سبقه من الأنبياء وتبع أطوار من تقدمه من الأصفياء في أصل التوحيد ومكارم الأخلاق.

وَقَالَ ثعلب: الفارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل وماذ ماذ ومعناه طيب طيب والبرقليطس بالرومية.

وَقَالَ ثعلب: الخاتم الذي ختم به الأنبياء والخاتم أحسن الأنبياء خَلقًا وخُلقًا وفي التوراة أحيد ذكره ابن دحية بمد الألف وكسر الحاء ومعناه أحيد أمتي عن النار وقيل معناه الواحد.

وَقَالَ القاضي: ومعناه صاحب القضيب أي: السيف وقع ذلك مفسرًا في الإنجيل. قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك، وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه ﷺ.

وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا، وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ للعرب والعمائم تيجان العرب وفي الدر المنظم في أسمائه المصدق، والمسلم، الإمام، المهاجر، العامل، أذن خير، الآمر، الناهي، المحلل المحرم، الواضع، الرافع، المخبر.

وَقَالَ ابن دحية: قَالَ بعضهم أسماء النَّبِيّ ﷺ عدد أسماء اللّه الحسنى تسعة وتسعون اسمًا قَالَ ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم وقد نقل ابن العربي في شرح التِّرْمِذِيّ عن بعض الصوفية أن لله تَعَالَى ألف اسم ولرسوله ﷺ ألف اسم فائدة نقل السيوطي عن البارزي أن أسماء ﷺ توقيفية كأسمائه تَعَالَى وقد نقل الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ عن بعض شيوخه أن المصطفى ﷺ وإن كان ذا أسماء كثيرة لكن لا ينبغي أن ينادى بشيء منها بل يقال يا رَسُول اللّه يا نبي اللّه.

تنبيه:

كما أن له ﷺ أسماء كثيرة فله كنى كثيرة كذلك فأشرفها وأعرفها أَبُو القاسم روى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ مرفوعًا: «**أنا أَبُو القاسم**» قَالَ الإشبيلي في الذخائر: كني به لأنه يقسم الجنة بين الخلق يوم القيامة انتهى.

والأشهر أنه إنما كني به لكون القاسم أكبر أولاده ويحرم على غيره التكني به وإن لم يكن اسمه محمدًا كما قاله النَّوَوِيّ مخالفًا للرافعي في تخصيصه التحريم بمن يسمى محمدًا ولا يختص التحريم بزمنه كما صححه النَّوَوِيّ أَيْضًا لكن يختار

3533 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا ....

من جهة الدليل الاختصاص ومن كناه أَبُو إِبْرَاهِيم.

روى الحاكم عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ لما ولد إِبْرَاهِيم بن المصطفى ﷺ أتاه جبريل فَقَالَ السلام عليك يا أبا إِبْرَاهِيم، ومنها أَبُو المؤمنين كما ذكره بعض المفسرين ومنها أَبُو الأرامل ذكره في الذخائر ولم يقطع عليه ابن جماعة فعزاه في شرح الْبُخَارِيّ لبعض مشايخه.

فائدة:

قَالَ ابن القيم: أسماؤه ﷺ إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم لكن ينبغي أن لا يشتق الاسم إلا من وصف يختص به أو غالب عليه ولما كانت الأسماء قوالب المعاني اقتضت الحكمة أن يكون بينهما ارتباط وتناسب فللأسماء تأثير في المسميات وللمسميات تأثير في الأسماء في الحسن والقبح واللطافة والكثافة كما قيل، وقل إن أبصرت عيناك ذا لقب، إلا ومعناه إن فكرت في لقبه، فاشتق للمصطفى ﷺ من صفاته أسماء مطابقة للمعنى واللّه تَعَالَى أعلم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل النَّبِيّ ﷺ، والتِّرْمِذِيّ في الاستئذان، وفي الشمائل، وَالنَّسَائِيّ في التفسير.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو ابن عيينة، (عن أبي الزناد) بالزاي والنون عَبْد اللّه بن ذكوان.

(عَنْ أَبِي الزِّنَادِ) عبد الرحمن بن هرمز، (عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلا تَعْجَبُونَ) الهمزة للاستفهام الإنكاري وكلمة لا للنفي فهو من قبيل قوله تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: 36] وقد أغرب الْعَيْنِيّ حيث قَالَ كلمة ألا للتنبيه.

(كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا

وَأَنَا مُحَمَّدٌ»[1].

18 ـ باب خَاتِم النَّبِيِّيـنَ ﷺ

3534 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا ....

(وَأَنَا مُحَمَّدٌ) كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النَّبِيّ ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمم ومذمم ليس باسمه ولا يعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلى غيره وأنا اسمي محمدًا كثير الخصال الحميدة وألهم اللّه أهله أن يسموه به لما علم من حميد صفاته وفي المثل المشهور الألقاب تنزل من السماء.

وَقَالَ ابن التين: استدل بهذا الحديث من أسقط حد القذف بالتعريض وهم الأكثرون خلافًا لمالك وأجاب بأنه لم يقع في الحديث أنه لا شيء عليهم في ذلك بل الواقع أنهم عوقبوا على ذلك بالقتل وغيره ورد عليه بأنه لا يدل على النفي ولا على الإثبات فلا يتم الاستدلال به.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ وأنا مُحَمَّد.

18 ـ باب خَاتِم النَّبِيِّيـنَ ﷺ

(باب خَاتِم النَّبِيِّنَ) يعني أن المراد بالخاتم في أسمائه ﷺ أنه خاتم النبيين.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ) بكسر السين المهملة وتخفيف النون وبعد الألف نون أخرى هو أَبُو بكر العوفي الباهلي الأعمى وهو من أفراده قَالَ: (حَدَّثَنَا سَلِيمُ) بفتح السين المهملة وكسر اللام ابن حيان بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية قَالَ: (حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية وبالنون ممدودًا ومقصورًا وقد وكلاهما في التكبير على الجنائز.

(عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) الأَنْصَارِيّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: قَالَ النَّبِيّ ﷺ مَثَلِي، وَمَثَلُ الأَنبِيَاءِ) ويروى: ومثل النبيين (كَـ) مثل (رَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا

---

(1) تحفة 13697.

وَأَحْسَنَهَا إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ»[1]

وَأَحْسَنَهَا إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ) بفتح اللام وكسر الموحدة وجاز إسكانها مع فتح اللام وكسرها وهي القطعة من الطين تعجن وتيبس ويبنى بها فإذا أحرقت تسمى آجرة.

(**فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ**) بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف أي: لولا موضع اللبنة يوهم النقص لكان بناء الدار كاملا كما في قولك لولا زيد لكان كذا أي: لولا زيد موجود لكان كذا ويجوز أن يكون لولا تخفيفية لا امتناعية وفعله محذوف أي: لولا أكمل موضع اللبنة.

ووقع فِي رِوَايَةِ همام عند أَحْمَد: إلا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك فإن قيل المشبه به رجل واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه.

فالجواب: أنه جعل جماعة الأنبياء كلهم كرجل واحد فيما قصد بالتشبيه وهو أن المقصود من بعثهم ما تم إلا باعتبار الكل وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان واللبنات ويحتمل أن يكون من التشبيه التمثيلي وهو أن ينتزع وصف من جميع أوصاف المشبه وأحواله ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق بدار أسس قواعدها ورفع بنيانها وبقي منه موضع لبنة يتم صلاح ملك الدار بها فنبينا ﷺ بعث لتتميم مكارم الأخلاق كأنه هو تلك اللبنة التي بها صلاح الدار بهذا.

وزعم ابن العربي: أن اللبنة المشار إليها كانت في أس الدار المذكورة وإنها لولا وضعها لانقضت تلك الدار قَالَ وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور انتهى.

وهذا إن كان منقولًا فهو حسن وإلا فليس بلازم نعم ظاهر السياق أن تكون اللبنة في مكان يظهر عدم الكمال في الدار بفقدها وقد وقع فِي رِوَايَةِ همام عند مسلم إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فظهر أن المراد أنها مكملة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها ناقصًا وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة فالمراد هنا حصول الأكمل بالشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع والله تَعَالَى أعلم.

---

(1) تحفة 2260 - 226/ 4. أخرجه مسلم في الفضائل باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين رقم 2287.

3535 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[1].

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه إشارة إلى أنه خاتم النبيين كما صرح به في الحديث الآتي.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل النَّبِيّ ﷺ والتِّرمِذِيّ في الأمثال.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ) هو ذكوان الزيات، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ) من الجمال.

(إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ) قَالَ الراوي: هي الركن.

وَفِي رِوَايَةِ همام: من زاوية من زواياها.

(فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) الكلام في هذا الحديث كالكلام في الحديث السابق لكن سياق هذا الحديث أتم من سياقه كما ترى.

ووقع في آخر حديث جابر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عند الإِسْمَاعِيلِيّ من طريق عفان عن سليم بن حيان فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء.

وفي الحديثين ضرب الأمثال للتقريب إلى الأفهام وفضل النَّبِيّ ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام وأن اللَّه تَعَالَى ختم به النبيين والمرسلين وأكمل به شرائع الدين.

وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل النَّبِيّ ﷺ وَالنَّسَائِيّ في التفسير.

---

(1) تحفة 12817.

19 ـ باب وَفَاة النَّبِيِّ ﷺ

3536 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «تُوُفِّيَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ»، ....

19 ـ باب وَفَاة النَّبِيِّ ﷺ

(باب وَفَاة النَّبِيِّ ﷺ) هكذا وقعت هذه الترجمة عند أَبِي ذَرٍّ وسقطت من رواية النسفي ولم يذكرها الْإِسْمَاعِيلِيّ وفي ثبوتها ههنا نظر فإن محلها آخر المغازي والذي يظهر أن مراد المصنف بإيراد حديث عَائِشَة ههنا بيان مقدار عمر النَّبِيّ ﷺ فقط لا خصوص زمن وفاته.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أي: ابن سعد، (عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزُّهْرِيّ، (عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تُوُفِّيَ) على البناء للمفعول (وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَسِتِّينَ) هذا هو الأرجح في سنه ﷺ وقد ذكره الْبُخَارِيّ في آخر الغزوات وترجم عليه بهذه الترجمة أَيْضًا وروي أَيْضًا هذا عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا ومعاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

وَقَالَ البيهقي: وهو قول سَعِيد بن المسيب والشعبي وأبي جعفر مُحَمَّد بن علي وإحدى الروايتين عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وروي عنه أنه توفي على رأس ستين وصححه الحاكم في الإكليل، وأسنده ابن سعد من طريقين عنه وبه قَالَ عُرْوَة ويحيى بن جعدة والنخعي.

وروى مسلم من حديث عمار بن أبي عمار عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أنه توفي وهو ابن خمس وستين وصححه أَبُو حاتم الرازي أَيْضًا في تاريخه وأما الْبُخَارِيّ فذكره في تاريخه الصغير عن عمار ثم قَالَ ولا يتابع عليه وكان شُعْبَة يتكلم في عمار، لكن ذكره ابن أبي خيثمة من حديث علي بن زيد عن يُوسُف بن مهران عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَيْضًا ورواه أَيْضًا ابن سعد عن سَعِيد بن سليمان عن هشيم ثنا علي فذكره ولو أعلّ الْبُخَارِيّ ما ذكره البيهقي من حديث حماد عن عمار عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا لكان صوابًا لأن شُعْبَة وإن تكلم فيه فقد أثنى عليه غير واحد، وفي تاريخ ابن عساكر ثنتان وستون سنة ونصف،

وفي كتاب عمر بن شبة إحدى أو اثنتان لا أراه بلغ ثلاثًا وستين سنة وروى البزار من حديث ابن مَسْعُود رضي اللّه عنه توفي إحدى وعشرين من رمضان ولما ذكر الطَّبَرِيّ قول الكلبي وأبي مخنف أنه ﷺ توفي ثامن ربيع الأول قَالَ هذا القول وإن كان خلاف قول الجمهور فإنه لا يبعد إن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كانت تسعة وعشرين يومًا، وفي التوضيح: وهو قول أنس بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ ومحمد بن عمرو والأسلمي والمعتمر بن سليمان عَنْ أَبِيهِ وأبي معشر عن مُحَمَّد ابن قيس قالوا ذلك أَيْضًا حكاه البيهقي والقاضي أَبُو بكر كامل في البرهان.

وَقَالَ السهيلي في الروض الأنف: اتفقوا أنه توفي ﷺ يوم الاثنين وقالوا كلهم في ربيع الأول غير أنهم قالوا أو قَالَ أكثرهم في الثاني عشر من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة وهو التاسع من ذي الحجة فدخل ذو الحجة يوم الخميس فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد فإن كان السبت فقد كان الربيع إما الأحد وإما الاثنين وكيف ما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثالث عشر من ربيع الأول يوم الاثنين بوجه، وعن الخوارزمي توفي ﷺ في أول ليلة يوم من ربيع الأول. قال هذا أقرب إلى القياس، وعن معتمر بن سليمان عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ مرض يوم السبت الاثنين ولاثنين عشرين من صفر بدأ به وجعه عند وليدته ريحانة، وتوفي في اليوم العاشر، وعند أبي معشر عن مُحَمَّد بن قيس اشتكى ﷺ يوم الأربعاء لإحدى عشرة بقيت من صفر في بيت زينب بنت جحش رضي اللّه عنها فمكث ثلاثة عشر يومًا، وعند الواقدي عن أم سلمة رَضِيَ اللّه عَنْهَا زوج النَّبِيّ ﷺ أنه بدئ به ﷺ وجعه في بيت ميمونة رَضِيَ اللّه عَنْهَا زوجته ﷺ.

وقال أهل الصحيح بالإجماع: إنه ﷺ توفي يوم الاثنين، وَقَالَ أهل السير: في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة وذلك حين ارتفع الضحى.

وَقَالَ الواقدي كانت مدة علته اثني عشر يومًا وقيل أربعة عشر يومًا واللّه سبحانه أعلم، ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل.

وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ مِثْلَهُ[1]

20 ـ باب كُنْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ

3537 - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ ....

(وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ) هو مُحَمَّد بن مسلم الزُّهْرِيّ، (وَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ مِثْلَهُ) أي: مثل ما أخبر عُرْوَة عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا وهو موصول بالإسناد الأول المذكور وقد أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق مُوسَى بن عقبة عن ابن شهاب بالإسنادين معًا مفرقًا وهو من مرسل سَعِيد بن المسيب، ويحتمل أن يكون سَعِيد أَيْضًا سمعه من عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا أَيْضًا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

20 ـ باب كُنْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ

(باب كُنْيَة النَّبِيِّ ﷺ) الكنية بضم الكاف وسكون النون مأخوذة من الكناية تقول كنيت عن الأمر بكذا إذا ذكرته بغير ما يستدل به عليه صريحًا، وقد شاعت الكنى بين العرب حتى ربما غلبت على الأسماء كأبي طالب وأبي لهب ونحوهما وقد يكون للواحد كنيتان فأكثر ومنهم من يشتهر باسمه وكنيته جميعًا فالاسم والكنية واللقب يجمعها كلها العلم بفتحتين وتتغاير بأن اللقب ما يشعر بمدح أو ذم والكنية ما يصدر بأب أو أم وما عدا ذلك فهو الاسم وكان النَّبِيّ ﷺ يكنى بأبي القاسم لولده القاسم وهو أكبر أولاده واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها، وعن ابن دحية كني رَسُول اللّه ﷺ بأبي القاسم لأنه يقسم الجنة بين الخلق يوم القيامة ويكنى أَيْضًا بأبي إِبْرَاهِيم باسم ولده إِبْرَاهِيم الذي ولد في المدينة من مارية القبطية وروى البيهقي من حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه لما ولد إِبْرَاهِيم ابن رَسُول اللّه ﷺ من مارية جاريته كاد يقع في نفس رَسُول اللّه ﷺ منه حتى أتاه جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ السلام عليك أبا إِبْرَاهِيم، وَفِي رِوَايَةٍ يا أبا إِبْرَاهِيم، وذكره ابن سعد أَيْضًا وفي التوضيح وله كنية ثالثة وهي أَبُو الأرامل.

(حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ) أي: ابن

---

(1) طرفه 4466 - تحفة 16541، 18731.
أخرجه مسلم في الفضائل باب كم سن النبي ﷺ يوم قبض رقم 2349.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا القَاسِمِ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي»(1).

3538 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي»(2).

3539 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي»(3)

مالك (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا القَاسِمِ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: سَمُّوا) بفتح السين وتشديد الميم أمر للجماعة من التسمية.

(بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي) وهذا الحديث قد مضى في كتاب البيوع في باب ما ذكر في الأسواق بأتم منه وفيه أن الرجل قال لم أعنك، وحينئذ نهى عن التكني بكنيته ومضى الكلام فيه هناك، ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ) هو ابن المعتمر، (عَنْ سَالِمٍ) هو ابن أبي الجعد، (عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي») والحديث قد مضى بأتم منه أَيْضًا في الخمس في باب قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: 41].

ومطابقته للترجمة ظاهرة أَيْضًا.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) هو الثَّوْرِيّ، (عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ) أنه (قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (يَقُولُ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ) ﷺ وفيه نكتة لطيفة لا تخفى على الفطن وقد تقدم في العلم بلفظ قال رسول اللَّه ﷺ: («سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي»).

---

(1) أطرافه 2120، 2121 - تحفة 693.

(2) أطرافه 3114، 3115، 6186، 6187، 6189، 6196 - تحفة 2244.

(3) أطرافه 110، 6188، 6197، 6993 - تحفة 14434.

أخرجه مسلم في الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم. رقم 2134.

21 ـ باب

3540 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا الفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنِ الجُعَيْدِ ....

ومطابقته للترجمة أَيْضًا ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأدب أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الاستئذان وأبو داود في الأدب.

تتمة:

قد اختلف في التكني بكنيته ﷺ فالمشهور عن الشافعي المنع على ظاهر هذه الأحاديث، وقيل: يختص ذلك بزمانه ﷺ، وقيل: بمن سمى باسمه وسيأتي بسط ذلك في كتاب الأدب إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى، وقد تقدم نبذ من ذلك أَيْضًا فيما تقدم.

21 ـ باب

(باب) كذا وقع هنا فِي رِوَايَةِ الأكثر بغير ترجمة.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ولا يصلح أن يكون فصلًا من الذي قبله بل هو طرف من الحديث الذي بعده ولعل هذا من تصرف الرواة.

وتعقبه الْعَيْنِيّ بأنّا لا نسلم أنه لا يصلح أن يكون فصلًا من الذي قبله بل هو صالح لذلك لأن الألفاظ التي كان النَّبِيّ ﷺ يخاطب بها: يا مُحَمَّد يا أبا القاسم يا رَسُول اللَّه، والأدب الأحسن أن يخاطب بيا رَسُول اللّه وهذا الحديث يتضمن هذا فله تعلق بما قبله من هذا الوجه هذا ثم قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: نعم وجهه بعض شيوخنا فإنه أشار إلى أن النَّبِيّ ﷺ وإن كان ذا أسماء وكنى لكن لا ينبغي أن ينادى بشيء منها بل يقال يا رَسُول اللّه كما خاطبته خالة السائب لما أتته به إليه قَالَ ولا يخفى تكلفه انتهى.

أراد ببعض شيوخه صاحب التوضيح الشَّيْخ سراج الدين ابن الملقن وأنت خبير بأن ما ذكره توجيه حسن بل هو أولى من نسبته إلى تصرف الرواة.

(حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ) ابْنُ إِبْرَاهِيمَ المعروف بابن راهويه قَالَ: (**أَخْبَرَنَا الفَضْلُ**) بسكون المعجمة (ابْنُ مُوسَى) الشيباني وشيبان قرية من قرى مرو والمروزي.

(عَنِ الجُعَيْدِ) بضم الجيم وفتح العين المهملة وآخره دال مصغر الجعد.

ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، جَلْدًا مُعْتَدِلًا، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ: مَا مُتِّعْتُ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي، إِلا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنَّ خَالَتِي ذَهَبَتْ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي شَاكٍ، فَادْعُ اللَّهَ، قَالَ: «فَدَعَا لِي»[1].

(ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) الكندي المدني ويقال له الجعد أيضًا أنه قَالَ: (رَأَيْتُ السَّائِبَ) فاعل من السيب بالمهملة (ابْنَ يَزِيدَ) من الزيادة ابن سعد الكندي، ويقال: الأسدي ويقال: اللَّيْثِيّ ويقال: الهذلي.

وَقَالَ الزُّهْرِيّ: هو من الأزد وعداده في كنانة وله ولأبيه صحبة توفي بالمدينة سنة إحدى وتسعين وهو ابن ست وتسعين.

(ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ) هذا مشعر بأنه رآه سنة اثنتين وتسعين لأنه كان له يوم مات ﷺ ثماني سنين كما ثبت من حديثه فيكون عاش بعد ذلك سنتين وهو الأشهر ففيه رد لقول الواقدي أنه مات سنة إحدى وتسعين وأبعد منه قول من قَالَ: مات قبل التسعين والأشبه كما مر أنه مات سنة ست وتسعين.

وَقَالَ ابن أبي داود: وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة.

(جَلْدًا) بفتح الجيم وسكون اللام أي: قويًّا صلبًا، (مُعْتَدِلًا) أي: معتدل القامة مع كونه معمرًا في العشرة العاشرة.

(فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ: مَا مُتِّعْتُ بِهِ) على البناء للمفعول.

(سَمْعِي وَبَصَرِي) بدل من الضمير الذي في به وبصري معطوف عليه.

(إِلا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ خَالَتِي ذَهَبَتْ بِي إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي شَاكٍ) فاعل من الشكو وهو المرض (فَادْعُ اللَّهَ) لَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ سقط لفظ له (قَالَ: «فَدَعَا لِي»).

وقال عطاء مولى السائب: كان مقدم رأسه أسود وهو لأنه ﷺ مسحه، وأمه علبة بضم المهملة وسكون المهملة وسكون اللام بعدها موحدة بنت شريح الحضرمية، ومخرمة بن شريح خاله.

وقد تقدم وجه المطابقة بينه وبين الباب المترجم الذي قبله.

---

(1) أطرافه 190، 3541، 5670، 6352 - تحفة 3794 - 227/ 4.

22 ـ باب خَاتِمِ النُّبُوَّةِ

3541 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، عَنِ الجُعَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، قَالَ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقَعَ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، وَتَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، «فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتِمٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ»، قَالَ: ابْنُ عُبَيْدِ اللّهِ «الحُجْلَةُ مِنْ حُجَلِ الفَرَسِ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ»،

---

22 ـ باب خَاتِمِ النُّبُوَّةِ

(**باب خَاتِمِ النُّبُوَّةِ**) وهو الذي كان بين كتفي النَّبِيّ ﷺ كان من علامة التي كان أهل الكتاب يعرفونها.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ**) بالتصغير أَبُو ثابت المدني مشهور بكنيته وهو من أفراده قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَاتِمٌ**) بالحاء المهملة وبالمثناة الفوقية المكسورة بعد الألف هو ابن إِسْمَاعِيل أَبُو إِسْمَاعِيل الكوفي سكن المدينة.

(**عَنِ الجُعَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ**) أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، قَالَ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي**) قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: لم أقف على اسمها.

(**إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقِعَ**) بفتح الواو وكسر القاف أي: وجع وقيل يشتكي رجله ويروى بلفظ الماضي أي: وقع في المرض وقد مضى في كتاب الطهارة بلفظ وجع.

(**فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، وَتَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، «فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتِمٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ»**) وفي حديث عبد اللّه بن سرجس عند مسلم أنه كان إلى جهة كتفه اليسرى.

والحديث قد مضى في كتاب الطهارة في باب استعمال فضل وضوء الناس.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ فنظرت إلى خاتم بين كتفيه.

(**قَالَ: ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ**) هو شيخه مُحَمَّد بن عُبَيْد اللّه المذكور آنفًا.

(**الحُجْلَةِ**) بضم المهملة وسكون الجيم (**مِنْ حُجَلِ الفَرَسِ الَّذِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ**) وأشار به إلى أنه فسر الحجلة التي وقع في هذا الحديث فإن فيه فنظرت إلى

قَالَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ: مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ»[1]

خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة على ما يأتي في باب الدعاء للصبيان من كتاب الدعاء فإن قيل لم يقع هذه اللفظة هنا في الحديث فما وجه تفسيرها هنا.

فالجواب: أن الظاهر أنه لما روى هذا الحديث من شيخه مُحَمَّد بن عُبَيْد اللَّه وقع السؤال في المجلس عن كيفيته الخاتم فقيل مثل الحجلة فسئل هو عن معنى الحجلة، فَقَالَ من حجل الفرس الذي بين عينيه كذا قَالَ الْعَيْنِيّ.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: هكذا وقع وكان سقط منه شيء لأنه يبعد من شيخه مُحَمَّد بن عُبَيْد اللّه أن يفسر الحجلة ولم يقع لها في سياق ذكر وكأنه كان فيه مثل زر الحجلة ثم فسرها وكذلك وقع في أصل النسفي تضبيب بين قوله كتفيه وبين قوله قَالَ ابن عُبَيْد اللَّه.

(وَقَالَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ) بالمهملة والزاي هو أَبُو إسحاق الزبيري الأسدي المديني وهو أَيْضًا من مشايخ الْبُخَارِيّ روي عنه في غير موضع مات سنة ثلاثين ومائتين.

(مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ) وأشار بهذا التعليق إلى أنه روى هذا الحديث كما رواه مُحَمَّد بن عُبَيْد اللّه المذكور إلا أنه خالفه في هذه اللفظة وسيأتي في الحديث عنه موصولًا بتمامه في الطب إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وقد زعم ابن التين: أنها فِي رِوَايَةِ ابن عُبَيْد اللّه بضم المهملة وسكون الجيم وَفِي رِوَايَةِ ابن حمزة بفتحهما.

وحكى ابن دحية مثله وزاد في الأول كسر المهملة مع ضمها وقيل: الفرق بين رواية ابن حمزة وبين رواية ابن عُبَيْد اللّه أن رواية ابن عُبَيْد اللّه بتقديم الزاي على الراء على المشهور ورواية ابن حمزة بالعكس بتقديم الراء على الزاي وهو مأخوذ من ارْمَزَّ الشيء إذا دخل في الأرض ومنه الرزة والمراد بها هنا البيضة يقال ارتزت الجرادة إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتبيض وعلى هذا فالمراد بالحجلة الطير المعروف أي: القبجة ورزها بيضها.

---

(1) أطرافه 190، 3540، 5670، 6352 - تحفة 3794.

وَقَالَ الْبُخَارِيّ: هذا هو الصحيح وهو رواية إِبْرَاهِيم بن حمزة.

وَقَالَ الخطابي: روى إِبْرَاهِيم رز يعني الراء قبل الزاي وقد جزم التِّرْمِذِيّ بأن المراد بالحجلة الطير المعروف وأن المراد برزها بيضها.

وجزم السهيلي بأن المراد بالحجلة هنا الكلة التي تعلق على السرير وهي القبضة التي تزين بالثياب والأسرة والستور للعروس كالبشخانات ولها أزرار كبار والزر على هذا حقيقة، لأنها تكون ذات أزرار وعرى وقد استبعد السهيلي قول ابن عُبَيْد اللّه بأنها من حجل الفرس الذي بين عينيه، بأن التحجيل إنما يكون في القوائم وأما الذي في الوجه فهو الغرة وهو كما قَالَ إلا أن منهم من يطلقه على ذلك مجازًا، وكأنه أراد أنها قدر الزر وإلا فالغرة لا زر لها.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: قَالَ الخطابي: ولست أدري معنى الكلام الذي ذكره أَبُو عَبْدِ اللّه في تفسير الحجلة وما الفرس وما بين عينيه من ذلك.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وفائدة ذكره الإشعار بأنه روى هذه الكلمة لا مُحَمَّد بن عُبَيْد اللّه فإنه لم يروها وعليه أكثر النسخ فليتأمل.

وقد وردت في صفة خاتم النبوة أحاديث مقاربة لما ذكر هنا منها عند مسلم عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللّه عَنْهُ كأنه بيضة حمامة، وعن عَبْدِ اللّه سرجس نظرت إلى خاتم النبوة جمعًا عليه خيلان.

وعند ابن حبان من حديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا مثل البندقة من اللحم.

وعند التِّرْمِذِيّ كبضعة ناشزة من اللحم.

وعند قاسم بن ثابت من حديث قرة بن إياس مثل السلعة وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها مُحَمَّد رَسُول اللّه أو سر فأنت المنصور ونحو ذلك فلم يثبت منها شيء كذا قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وقد مر الكلام في هذا الباب في كتاب الطهارة أَيْضًا.

23 ـ باب صِفَة النَّبِيِّ ﷺ

3542 - حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ: «بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لا شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ» وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ(1).

---

23 ـ باب صِفَة النَّبِيِّ ﷺ

(باب صِفَة النَّبِيِّ ﷺ) أي: في خَلقه وخُلقه.

(حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ) الضحاك بن مخلد المشهور بالنبيل.

(عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ) النوفلي القرشي، (عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ) بضم الميم واسمه عَبْدِ اللَّه، (عَنْ عُقْبَةَ) بضم المهملة وسكون القاف.

(ابْنِ الحَارِثِ) ابن عامر القرشي النوفلي أَبُو سروعة المكي وقد مر في العلم في باب الرحلة إنه (قَالَ) وفي رواية الإسماعيلي: أخبرني عقبة بن الحارث قال: (صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي) وزاد الْإِسْمَاعِيلِيّ فِي رِوَايَةِ بعد وفاة النَّبِيّ ﷺ بليالي وعلي رَضِيَ اللّه عَنْهُ يمشي إلى جنبه.

(فَرَأَى الحَسَنَ) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَقَالَ) أي: أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (بِأَبِي) أي: أفديه بأبي أو هو مفدى بأبي.

وَقَالَ الكرماني: لفظ بأبي قسم وفيه نظر.

(شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لا شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ) وَفِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ وعلي يتبسم أي: رضي بقول أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ قصد تصديقًا له في ذلك وقد وافق أبا بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن الحسن كان يشبه النَّبِيّ ﷺ أَبُو جحيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ كما سيأتي في الحديث الذي بعده.

وَقَالَ أَبُو عمر: كان المشبهون برسول اللّه ﷺ خمسة وهم جعفر بن أبي طالب والحسن بن علي وقثم بن العباس وأبو سُفْيَان بن الحارث والسائب بن عبيد

---

(1) طرفه 3750 - تحفة 6609.

3543 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ الحَسَنُ يُشْبِهُهُ»[1]

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقيل في ذلك شعر:

بخمسة شبه المختار من مضر يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن

بجعفر وابن عم المصطفى قثم وسائب وأبي سُفْيَان والحسن

وفي عيون الأثر: وممن كان يشبهه ﷺ عَبْدِ اللّه بن عامر بن كعب بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس رآه رَسُول اللّه ﷺ صغيرًا فَقَالَ يشبهنا وذكر في المرآة فيهم مسلم بن معتب وأنس بن ربيعة بن مالك البياضي البصري من بني سامة بن لؤي وكان أشبه الناس برسول اللّه ﷺ في خَلقه وخُلقه وكان أنس بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ إذا رآه عانقه وبكى وَقَالَ من أراد أن ينظر إلى رَسُول اللّه ﷺ فلينظر إلى هذا، وبلغ معاوية بن أبي سُفْيَان خبره فاستقدمه فلما دخل عليه قام واعتنقه وقبل ما بين عينيه وأقطعه مالًا وأرضًا فرد المال وقبل الأرض.

وفي الحديث فضيلة أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ومحبته لقرابة النَّبِيّ ﷺ وسيأتي في المناقب قوله لقرابة رَسُول اللّه ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي وفيه ترك الصبي المميز يلعب لأن الحسن رَضِيَ اللّه عَنْهُ كان إذ ذاك ابن سبع سنين وقد سمع من النَّبِيّ ﷺ وحفظ عنه ولعبه محمول على ما يليق بمثله في ذلك الزمان في الأشياء المباحة بل على ما فيه تمرين وتنشيط ونحو ذلك وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ**) هو ابن معاوية قَالَ: (**حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ**) هو ابن أبي خالد الأحمسي الكوفي البجلي، (**عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ**) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة واسمه وهب بن عَبْدِ اللّه وبالفاء السوائي بضم السين المهملة وبالواو وبالهمزة بعد الألف نسبة إلى بني سواءة بن عامر (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ الحَسَنُ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**يُشْبِهُهُ**) والحديث أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في صفة النَّبِيّ ﷺ وفي فضائله والتِّرمِذِيّ في الاستئذان وَالنَّسَائِيّ في المناقب.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

---

(1) طرفه 3544 - تحفة 11798.

3544 - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ الحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُشْبِهُهُ، قُلْتُ لأَبِي جُحَيْفَةَ: صِفْهُ لِي، قَالَ: «كَانَ أَبْيَضَ، قَدْ شَمِطَ، وَأَمَرَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِثَلاثَ عَشْرَةَ قَلُوصًا، قَالَ: فَقُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ نَقْبِضَهَا»[1]

(حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ) أي: ابن بحر أبي حفص الباهلي البصري الصيرفي قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ) هو مُحَمَّد بن فضيل بالتصغير، وقد مر في الإيمان قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (يُشْبِهُهُ، قُلْتُ) القائل هو إِسْمَاعِيل (لأَبِي جُحَيْفَةَ: صِفْهُ لِي، قَالَ: كَانَ أَبْيَضَ، قَدْ شَمِطَ) بفتح المعجمة وكسر الميم أي: صار شعر رأسه السواد مخالطًا لبياض كذا قَالَ الْعَيْنِيّ.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: أي: صار سواد شعره مخالطًا بالبياض وقد بين في الرواية التي تلي هذا أن موضع الشمط كان في العنفقة ويؤيد ذلك حديث عَبْدِ اللَّه بن بسر المذكور بعده والعنفقة ما بين الذقن والشفة السفلى سواء كان عليها شعر أم لا ويطلق على الشعر أَيْضًا كما سيجيء وعند مسلم من رواية زهير عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ رأيت رَسُول اللَّه ﷺ وهذه منه بيضاء وأشار إلى عنفقته قيل مثل من أنت يومئذ قَالَ أبري النبل وأريشها.

(وَأَمَرَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ) يعني أمر له ولقومه من بني سواءة على سبيل جائزة الوفد (بِثَلاثَ عَشْرَةَ قَلُوصًا) ويروى: بثلاث عشرة.

وَقَالَ ابن التين: حقه أن يقال ثلاث عشرة وهو ظاهر، والقلوص بفتح القاف هي الأنثى من الإبل وقيل الشابة وقيل الطويلة القوائم.

وَقَالَ الداوودي: هي الثنية من الإبل.

(قَالَ: فَقُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ نَقْبِضَهَا) أي: قبل أن نقبض تلك القلائص وفيه إشعار بأن ذلك كان قرب وفاته ﷺ وقد شهد أَبُو جحيفة ومن معه من قومه حجة الوداع وقد روى الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق مُحَمَّد بن فضيل بالإسناد المذكور

---

(1) طرفه 3543 - تحفة 11798.
أخرجه مسلم في الفضائل باب شيبه ﷺ رقم 2343.

3545 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ وَهْبٍ أَبِي جُحَيْفَةَ السُّوَائِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «وَرَأَيْتُ بَيَاضًا مِنْ تَحْتِ شَفَتِهِ السُّفْلَى العَنْفَقَةَ»(1).

فذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شَيْئًا فلما قام أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ من كانت له عند رَسُول اللّه ﷺ عدة فليجئ فقمت إليه فأخبرته فأمر لنا بها.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ) أي: ابن المثنى الغداني البصري قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ) أي: ابن يُونُس، (عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ) عمرو بن عَبْدِ اللّه السبيعي الكوفي.

(عَنْ وَهْبٍ أَبِي جُحَيْفَةَ) ووهب اسم أبي جحيفة كما تقدم وهو مشهور بكنيته أكثر من اسمه وكان يقال له أَيْضًا وهب اللّه ووهب الخير.

(السُّوَائِيِّ) أنه (قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ) ويروى: رَسُول اللّه (ﷺ: «وَرَأَيْتُ بَيَاضًا مِنْ تَحْتِ شَفَتِهِ السُّفْلَى العَنْفَقَةَ») بالجر على أنه بدل من الشفة وبالنصب على أنه بدل من بياضًا ووقع عند الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق عَبْدِ اللّه بن مُوسَى عن إسرائيل بهذا الإسناد ومن تحت شفته السفلى موضع أصبع العنفقة وأصبع في هذه الرواية بالتنوين وإعراب العنفقة كالذي قبله وَفِي رِوَايَةِ شبابة عن سوار عن إسرائيل عنده رأيت النَّبِيّ ﷺ شابت عنفقته.

قَالَ ابن سيده في المخصص: هي ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى كان عليها شعر أو لم يكن وقيل هي ما كان نبت على الشفة السفلى من الشعر.

وَقَالَ القزاز: هي تلك الهمزة التي بين الشفة السفلى والذقن.

وَقَالَ الخليل: هي الشعيرات بينهما ولذلك يقولون في التحلية نقي العنفقة إذا لم يكن بها شعر.

وَقَالَ أَبُو بكر: العنفق خفة الشيء وقلته ومنه اشتقاق العنفقة فدل هذا على أن العنفقة الشعر وأنه سمي بذلك لقلته وخفته وفي هذا الحديث بيان موضع البياض والشمط.

---

(1) تحفة 11802.

أخرجه مسلم في الفضائل باب شيبه ﷺ رقم 2342.

3546 - حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: أَرَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ شَيْخًا؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»(1)

(حَدَّثَنَا عِصَامُ) بكسر المهملة (ابْنُ خَالِدٍ) أبو إسحاق الحمصي الحضرمي مات سنة بضع عشرة ومائتين من كبار شيوخ الْبُخَارِيّ وليس له عنه في الصحيح غيره وهو من أفراده قَالَ: (حَدَّثَنَا حَرِيزُ) بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وسكون التحتية وآخره زاي (ابْنُ عُثْمَانَ) الشامي مات سنة ثلاث وستين ومائة.

(أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ) بضم الموحدة وسكون المهملة وآخره راء أَبُو صفوان المازني مات سنة ثمان وثمانين وهو آخر من مات من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالشام وهذا الحديث من ثلاثيات الْبُخَارِيّ الثالث عشر منها ومن إفراده.

(قَالَ: أَرَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ شَيْخًا؟) فيه وجهان؛ **أحدهما**: أن يكون أرأيت بمعنى أخبرني ويكون لفظ النَّبِيّ مرفوعًا على الابتداء وقوله كان شيخًا بتقدير أداة الاستفهام خبره على تأويل هل يقال فيه كان شيخًا وأعربه بعضهم بأن النَّبِيّ مرفوع على أنه اسم كان وفيه ما فيه، **والوجه الآخر**: أن يكون أرأيت استفهامًا تقديره هل رأيت النَّبِيّ ﷺ أكان شيخًا فيكون النَّبِيّ منصوبًا على المفعولية وقوله كان شيخًا استفهام ثان حذفت منه أداة الاستفهام ويؤيد هذا الوجه ما رواه الْإِسْمَاعِيلِيّ من وجه آخر عن حريز بن عثمان قَالَ رأيت عَبْدِ اللَّه بن بسر صاحب النَّبِيّ ﷺ بحمص والناس يسألونه فدنوت منه وأنا غلام فقلت أنت رأيت رَسُول اللَّه ﷺ؟ قَالَ: نعم، قلت: شيخ كان رَسُول اللَّه ﷺ أم شاب؟ قَالَ فتبسم وَفِي رِوَايَةِ فقلت له كان رَسُول اللَّه ﷺ صبغ قَالَ يا ابن أخي لم يبلغ ذلك.

(قَالَ: «كَانَ فِي عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ») الشعرات جمع شعرة والبيض بكسر الموحدة جمع أبيض.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: شعرات جمع قلة فلا يكون زائدًا على عشرة.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: سمعت بعض الأساتذة الكبار أن عدد الشعرات البيض التي كانت على عنفقته ﷺ سبع عشرة شعرة وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(1) تحفة 5189.

3547 - حَدَّثَنِي ابْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلا بِالقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ، أَمْهَقَ

وَفِي رِوَايَةِ الإِسْمَاعِيلِيّ: إنما كانت شعرات بيض وأشار إلى عنفقته وسيأتي بعد حديثين قول أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ إنما كان شيء في صدغيه ويأتي وجه الجمع بينهما إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى.

(**حَدَّثَنِي ابْنُ بُكَيْرٍ**) هو يَحْيَى بن بُكَيْر مصغر بكر وهو منسوب إلى جده لأنه يَحْيَى بن عَبْدِ اللّه بن بُكَيْر أَبُو زكريا المخزومي المصري (**قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ**) هو ابن سعد المصري، (**عَنْ خَالِدٍ**) هو ابن يزيد الجمحي الأسكندراني أَبُو عبد الرحيم الفقيه المفتي وكان من أقران الليث بن سعد لكنه مات قبله وقد أكثر عنه الليث.

(**عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ**) الليث المدني، (**عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ**) ابن فروخ الفقيه المدني المعروف بربيعة الرأي أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ**) بفتح الراء وسكون الموحدة أي: مربوعًا والتأنيث باعتبار النفس يقال رجل ربعة وامرأة ربعة وقد فسره في الحديث بقوله: (**لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلا بِالقَصِيرِ**) والمراد بالطويل البائن المفرط مع اضطراب القامة وسيأتي في حديث البراء رَضِيَ اللّه عَنْهُ بعد قليل أنه كان النَّبِيّ ﷺ مربوعًا ووقع في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند الذهلي في الزهريات بإسناد حسن كان ربعة وهو إلى الطول أقرب.

(**أَزْهَرَ اللَّوْنِ**) أي: أبيض مشرب بحمرة وقد وقع ذلك صريحًا في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ من وجه آخر عند مسلم وعن سَعِيد بن منصور والطيالسي والتِّرْمِذِيّ والحاكم من حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ كان النَّبِيّ ﷺ أبيض مشربًا ببياضه حمرة وهو عند ابن سعد أَيْضًا عن علي وعن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وعند البيهقي من طرق عن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

وقيل: الأزهر أبيض اللون ناصعه.

(**لَيْسَ بِأَبْيَضَ، أَمْهَقَ**) كذا وقع في الأصول ووقع عند الدَّاوُدِيّ تبعًا لرواية المَرْوَزِيّ أمهق ليس بأبيض.

وَلا آدَمَ، ....

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: أبيض لا في الغاية وهو معنى ليس بأبيض.

وَقَالَ رؤبة: المهق خضرة الماء ولم يوجد لفظ مهق في بعض النسخ وهو الأظهر وفي الموعب الأمهق البياض الجصي وكذلك الأمقه، وقيل هو بياض في زرقة وامرأة مهقاء ومقهاء.

وَقَالَ بعضهم: هما الشديد البياض وعن ابن دريد هو بياض سمج لا يخالطه حمرة ولا صفرة وفي التهذيب بياض ليس بنير، وفي الجامع بياض شديد مقبح وقيل هو شدة الخضرة.

وَقَال الْقَاضِي عِيَاضٌ: إنه وهم قَالَ وكذلك رواية من روى أنه ليس الأبيض ولا الآدم ليس بصواب كذا قَالَ وليس بجيد في هذا لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض **(وَلا آدَمَ)** الشديد الأدمة وإنما يخالط بياضه الحمرة والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر ولهذا جاء في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند أَحْمَد والبزار وابن منده بإسناد صحيح أن النَّبِيّ ﷺ كان أسمر وَأَخْرَجَهُ البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ فذكر الصفة النبوية قَالَ كان رَسُول اللّه ﷺ أبيض بياضه إلى السمرة وفي حديث يزيد الفارسي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا في صفة النَّبِيّ ﷺ رجل بين رجلين جسمه ولحمه أحمر إلى البياض، أَخْرَجَهُ أَحْمَد وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة والمنفي ما لا تخالطه وهو الذي يكره العرب لونه وتسميه أمهق وبهذا يتبين أن رواية المَرْوَزِيّ أمهق ليس بأبيض مقلوبة وَاللَّهُ أَعْلَمُ على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي لا بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته على ما نقل عن رؤبة أن المهق خضرة الماء فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم في حديث أبي جحيفة إطلاق كونه كان أبيض وكذا في حديث أبي الطفيل عند مسلم، وَفِي رِوَايَةِ عنه للطبراني ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وكذا في شعر أبي طالب المتقدم في الاستسقاء:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ، وَلا سَبْطٍ رَجِلٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، ....

وفي حديث سراقة عند ابن إسحاق: فجعلت أنظر إلى ساقه كأنها جمارة ولأحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قَالَ فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

وعن سَعِيد بن المسيب أنه سمع أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ يصف النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ كان شديد البياض أَخْرَجَهُ يعقوب بن سُفْيَان والبزار بإسناد قوي والجمع بينها بما تقدم.

وَقَالَ البيهقي: يقال إن المشرب منه حمرة وإلى السمرة ما ضحى للشمس والريح وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر وهذا ذكره ابن أبي خيثمة عقب حديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا في صفته ﷺ بأبسط من هذا وزاد فلونه بالذي لا يشكك فيه الأبيض الأزهر وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(**لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ، وَلا سَبْطٍ**) بفتح المهملة وكسر الموحدة والجعودة في الشعر أن لا ينكسر ولا يسترسل والسبوطة ضده فكأنه أراد أنه وسط بينهما ووقع في حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند التِّرْمِذِيّ وابن أبي خيثمة ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط وكان جعدًا رجلًا.

(**رَجِلٍ**) بفتح الراء وكسر الجيم وقيل بفتحها وقيل بسكونها أي: متسرّح وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هو رجل ووقع عند الأصيلي بالجر وهو وهم لأنه يصير معطوفًا على المنفيّ وقد يوجه على أنه جر بالمجاورة ويروى في بعض الروايات بفتح اللام وتشديد الجيم على أنه فعل ماض فإن صحت هذه الرواية فلا يظهر وجه وقوعه هكذا إلا بتعسف.

(**أُنْزِلَ عَلَيْهِ**) يعني أوحي إليه وَفِي رِوَايَةِ مالك بعثه اللّه (**وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ**) أي: سنة جملة حالية يعني وعمره أربعون سنة وَفِي رِوَايَةِ مالك على رأس أربعين سنة وهذا يتم على القول بأنه بعث في الشهر الذي ولد فيه والمشهور عند الجمهور أنه ولد في شهر ربيع الأول وأنه بعث في شهر رمضان فعلى هذا تكون له حين بعث أربعون سنة ونصف أو تسع وثلاثون ونصف فمن قَالَ أربعين ألغى الكسر أو جبر لكن قَالَ المسعودي وابن عبد البر: إنه بعث في شهر ربيع الأول فعلى هذا يكون

له أربعون سنة سواء قَالَ بعضهم: إنه بعث وله أربعون سنة وعشرة أيام.

وعند الجعاني أربعون سنة وعشرون يومًا وعن الزبير بن بكار أنه ولد في شهر رمضان وهو شاذ فإن كان محفوظًا وضم إلى المشهور أن المبعث في رمضان فيصح أنه بعث عند إكمال الأربعين أَيْضًا وأبعد منه قول من قَالَ بعث في رمضان وهو ابن أربعين سنة وشهرين فإنه يقتضي أنه ولد في شهر رجب.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ولم أر من صرح به ثم رأيته كذلك مصرحًا به في تاريخ أبي عبد الرحمن العنفي وعزاه للحسين بن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وزاد لسبع وعشرين من رجب وهو شاذ كذا قَالَ لكن قَالَ الْعَيْنِيّ وفي تاريخ أبي عبد الرحمن العنفي: بعث وهو ابن خمس وأربعين سنة لسبع وعشرين من رجب قاله الحسين ابن علي رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فانظر إلى التفاوت بين المنقولين فتأمل.

ومن الشاذ أَيْضًا ما رواه الحاكم من طريق يَحْيَى بن سَعِيد عن سَعِيد بن المسيب قَالَ أنزل على النَّبِيّ ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين وهو قول الواقدي وتبعه البلادري وابن أبي عاصم وفي تاريخ يعقوب بن سُفْيَان الفسوي وغيره عن مكحول أنه بعث بعد ثنتين وأربعين.

وفيه أَيْضًا: على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة والجمهور على أنه بعث يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل سبع وقيل: لأربع وعشرين ليلة منه فيما ذكره ابن عساكر وعن أبي قلابة نزل عليه الوحي لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان وعند المسعودي يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول وعند إسحاق ابتدأ بالتنزيل يوم الجمعة من رمضان بغتة وعمره أربعون سنة وعشرون يومًا وهو تاسع شباط سبعمائة وأربعة وعشرون عامًا من سني ذي القرنين.

وَقَالَ ابن عبد البر: يوم الاثنين لثمان خلون في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل وقيل في أول ربيع وجمع بين هذه الأقوال والأول بأن ذلك حين حمي الوحي وتتابع وعند الحاكم مصححًا أن إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكل به ثلاث سنين قبل جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنكر ذلك الواقدي.

فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ»

وَقَالَ أهل العلم: ببلدنا ينكرون أن يكون وكل به غير جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وزعم السهيلي أن إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكل به ﷺ تدربًا وتدريجًا لجبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ كما كان أول نبوته الرؤيا الصادقة وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ) مقتضى هذا أنه عاش ستين سنة وأخرج مسلم من وجه آخر عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ ﷺ وعاش ثلاث وستين وهو موافق لحديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا الماضي قريبًا وبه قَالَ الجمهور قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيّ لا بد أن يكون الصحيح أحدهما وجمع غيره بإلغاء الكسر وسيأتي بقية الكلام على هذا الموضع في الوفاة آخر المغازي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ)، وَقُبِضَ (وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ) أي: بل دون ذلك لابن أبي خيثمة من طريق أبي بكر بن عياش قلت لربيعة جالست أنسًا قَالَ نعم وسمعته يقول شاب رَسُول اللّه ﷺ عشرين شعرة ههنا العنفقة ولإسحاق بن راهويه وابن حبان والبيهقي من حديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كان شيب رَسُول اللّه ﷺ نحوًا من عشرين شعرة بيضاء في مقدمه.

وحديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ: يقتضي أن يكون أكثر من عشر إلى ما دون عشرين.

وحديث عَبْدِ اللّه بن بسر رَضِيَ اللّه عَنْهُ: يدل على أنها كانت عشرًا لأنه قَالَ شعرات بصيغة جمع القلة لكن خص ذلك بعنفقته فيحتمل الزائد على ذلك في صدغيه كما في حديث البراء رَضِيَ اللّه عَنْهُ لكن وقع عند ابن سعد بإسناد صحيح عن حميد عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ في أثناء حديث قَالَ لم يبلغ ما في لحيته من الشعر عشرين شعرة قَالَ حميد وأومأ إلى عنفقته سبع عشرة وروي أَيْضًا بإسناد صحيح عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ ما كان في رأس النَّبِيّ ﷺ ولحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة وروى ابن أبي خيثمة من حديث حميد عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ لم يكن في لحية رَسُول اللّه ﷺ عشرون شعرة بيضاء قَالَ حميد كن سبع عشرة.

قَالَ رَبِيعَةُ: «فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ، فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ فَقِيلَ احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ»[1]

وروى الحاكم في المستدرك من طريق عَبْدِ اللّه بن مُحَمَّد بن عقيل عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ لو عددت ما أقبل من شيبه في رأسه ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة شعرة فهذه أربع روايات عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ: كلها يدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة.

والرواية الثانية: توضح بأن ما دون العشرين كان سبع عشرة أو ثماني عشرة فيكون كما مر العشر على عنفقته والزائد عليها يكون في بقية لحيته لأنه قَالَ في **الرواية الثالثة**: لم يكن في لحية رَسُول اللّه ﷺ عشرون شعرة بيضاء واللحية تشمل العنفقة وغيرها وكون العشر على العنفقة بحديث عَبْدِ اللّه بن بسر والبقية بالأحاديث الأخر في بقية لحيته ﷺ وكون حميد أشار إلى عنفقته سبع عشرة ليس يفهم ذلك من نفس الحديث والحديث لا يدل إلا على ما ذكر من التوفيق وأما **الرواية الرابعة**: التي رواها الحاكم فلا تنافي كون العشر على العنفقة والواحدة على غيرها واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

(**قَالَ رَبِيعَةُ**) هو موصول بالإسناد المذكور.

(**«فَرَأَيْتُ شَعَرًا مِنْ شَعَرِهِ، فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ فَقِيلَ احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ»**) قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: لم أعرف المسؤول المجيب بذلك إلا أن فِي رِوَايَةِ ابن عقيل المذكورة من قبل أن عمر بن عبد العزيز قَالَ لأنس رض اللّه عنه هل خضب النَّبِيّ ﷺ فإني رأيت شعرًا من شعره قد لون فَقَالَ إنما هذا الذي لون من الطيب الذي كان يطيب به شعر رَسُول اللّه ﷺ فهو الذي غير لونه فيحتمل أن يكون ربيعة سأل أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عن ذلك فأجابه بقوله أحمر من الطيب يعني لم يخضب.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في اللباس أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل النَّبِيّ ﷺ والتِّرْمِذِيّ في المناقب، وَالنَّسَائِيّ في الزينة مختصرًا.

---

(1) طرفاه 3548، 5900 - تحفة 833 - 228/ 4.
أخرجه مسلم في الفضائل باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه رقم 2347.

3548 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلا بِالقَصِيرِ، وَلا بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالآدَمِ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ القَطَطِ، وَلا بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، فَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ»(1)

3549 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ، يَقُولُ: كَانَ

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، عَنْ أَنَسٍ وَفِي رِوَايَةٍ: (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ) أي: المفرط في الطول مع اضطراب القامة قَالَ الأخفش وهو عيب في الرجال والنساء والبائن بالموحدة من بان أي: ظهر على غيره أو فارق من سواه.

(وَلا بِالقَصِيرِ، وَلا بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ، وَلَيْسَ بِالآدَمِ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ القَطَطِ، وَلا بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، فَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ) وهذا طريق آخر في حديث أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ من رواية ربيعة بن أبي عبد الرحمن والكلام فيه قد مر عن قريب.

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ) أي: ابن إِبْرَاهِيم (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) المَرْوَزِيّ المعروف بالرباطي مات يوم عاشوراء أو النصف من محرم سنة ست وأربعين ومائتين وروي عن مسلم أَيْضًا قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ) أَبُو عَبْدِ اللَّه السلولي الكوفي قَالَ: (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ) ابن إسحاق، (عَنْ أَبِيهِ) يُوسُف بن إسحاق، (عَنْ) جده (أَبِي إِسْحَاقَ) السبيعي واسمه عمرو بن عَبْدِ اللَّه وإسحاق يقال إنه مات قبل أبيه أبي إسحاق أنه (قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ) أي: ابن عازب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (يَقُولُ: كَانَ

---

(1) طرفاه 5347، 5900 - تحفة 833.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلا بِالقَصِيرِ»[1]

3550 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا هَلْ خَضَبَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ «لا إِنَّمَا كَانَ شَيْءٌ فِي صُدْغَيْهِ»[2]

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ) ويروى وأحسنهم (خَلْقًا) بفتح الخاء المعجمة فِي رِوَايَةِ الأكثرين وضبطه ابن التين بضم أوله واستشهد بقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4] ووقع فِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ وأحسنه خلقًا وخلقًا بالشك.

(لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلا بِالقَصِيرِ) تقدم في حديث أنس رضي اللّه عنه أنه كان ربعة، ووقع في حديث عائشة رضي اللّه عنها عند ابن خثيمة لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول اللّه ﷺ وربما اكتفاه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب رسول اللّه ﷺ إلى الربعة.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل النَّبِيّ ﷺ.

(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم) الفضل بن دكين قَالَ: (حَدَّثَنَا هَمَّامٌ) هو ابن يَحْيَى العوذي البصري، (عَنْ قَتَادَةَ) أنه (قَالَ:) سَأَلْتُ أَنَس بْنُ مَالِك ويروى: (سَأَلْتُ أنسًا) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (هَلْ خَضَبَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: لا إِنَّمَا كَانَ شَيْءٌ) أي: من الشيب (فِي صُدْغَيْهِ) الصدغ بضم المهملة وإسكان الدال بعدها معجمة ما بين الأذن والعين ويقال ذلك أَيْضًا للشعر المتدلي عليه فإن قيل قدمه في الحديث السابق أن الشعر الأبيض كان في عنفقته فالجواب أنه يجمع بينهما بما وقع عند مسلم من طريق سَعِيد عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قال لم يخضب رَسُول اللّه ﷺ وإنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الرأس نبذ أي: متفرق وعرف من مجموع ذلك أن الذي شاب من عنفقته أكثر مما شاب من غيرها ومراد أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه لم يكن من شعره ما يحتاج إلى الخضاب وقد صرح بذلك فِي رِوَايَةِ

---

(1) تحفة 1893.
أخرجه مسلم في الفضائل باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهًا رقم 2337.

(2) طرفاه 5894، 5895 - تحفة 1398. أخرجه مسلم في الفضائل باب شيبه ﷺ رقم 2341.

3551 - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ»

مُحَمَّد بن سيرين قَالَ سألت أنس بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ أكان رَسُول اللّه ﷺ خضب؟ قَالَ لم يبلغ الخضاب ولمسلم من طريق حماد عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه ﷺ لفعلت، زاد ابن سعد والحاكم ما شانه اللّه بالشيب يعني أن تلك الشعرات البيض لم يتغير بها شيء من حسنه ﷺ ولمسلم أَيْضًا من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللّه عَنْهُ قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان إذا ادهن لم يتبين فإذا لم يدهن تبين وأما ما رواه الحاكم وأصحاب السنن من حديث أبي رمثة رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ أتيت النَّبِيّ ﷺ وعليه بردان أخضران وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر مخضوب بالحناء وهو موافق لقول ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا رأيت رَسُول اللّه ﷺ يخضب بالصفرة وقد تقدم في الحج وغيره فالجمع بينه وبين حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن يحمل نفي أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ على غلبة الشيب حتى يحتاج إلى خضابه ولم يتفق له أنه رآه وهو يخضب ويحمل حديث من أثبت الخضاب على أنه فعله لإرادة بيان الجواز ولم يواظب عليه والحاصل أنه قد صبغ في وقت وتركه في معظم الأوقات فأخبر كلٌّ بما رآه، وكلٌّ منهما صادق وأما ما أَخْرَجَهُ الحاكم من حديث عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا أنها قالت ما شانه اللّه ببيضاء فقد مر الجواب عنه آنفًا أنه محمول على أن ذلك لم يتغير به شيء من حسنه ﷺ.

ومطابقة الحديث للمترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ في الشمائل وَالنَّسَائِيّ في الزينة.

(حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ) السبيعي، (عَنِ البَرَاءِ) أي: (ابْنِ عَازِبٍ) رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنه (قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ) أي: عريض أعلى الظهر ووقع في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند ابن سعد رحب الصدر.

(لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ) بالإفراد، وَفِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ: أذنيه بالتثنية

رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ». قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ: «إِلَى مَنْكِبَيْهِ»[1].

وَفِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ: تكاد جمته تصيب شحمة أذنيه.

(**رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ**) وَ(**قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ**) هو يُوسُف بن إسحاق بن أبي إسحاق نسبه إلى جده عَنْ جَدِّهِ هو أبو إسحاق ذكر الأب وأراد الجد مجازًا أن يُوسُف يروي عنه لا (**عَنْ أَبِيهِ**) إسحاق.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ الضمير في أبيه راجع إلى إسحاق وفيه ما فيه.

(«**إِلَى مَنْكِبَيْهِ**») أي: زاد في روايته عن جده أبي إسحاق عن البراء في هذا الحديث له شعر يبلغ شحمة أذنيه إلى منكبيه وطريق يُوسُف هذه أوردها المصنف قبل هذا الحديث لكنه اختصرها.

وَقَالَ ابن التين تبعًا للداوودي قوله: يبلغ شحمة أذنيه مغاير لقوله إلى منكبيه أجيب بأن المراد أن معظم شعره كان عند شحمة أذنيه وما استرسل منه متصل إلى المنكب أو يحمل على حالتين وقد وقع نظير ذلك في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند مسلم فعنده من رواية قتادة عنه أن شعره كان بين أذنه وعاتقه وفي حديث حميد عنه إلى أنصاف أذنيه ومثله عند التِّرْمِذِيّ من رواية ثابت عنه وعند ابن سعد من رواية حماد عن ثابت عنه لا يجاوز شعره أذنيه وهو محمول على ما تقدم.

وروى أَبُو داود من طريق هشام بن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا قالت كان شعر رَسُول اللّه ﷺ فوق الوفرة ودون الجمة وفي حديث هند بن أبي هالة في صفة النَّبِيّ ﷺ عند الترمذي وغيره فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفرة أي: جعله وفرة فهذا القيد يؤيد الجمع المتقدم وروى أَبُو داود والتِّرْمِذِيّ من حديث أم هانئ رَضِيَ اللّه عَنْهَا قالت رأيت رَسُول اللّه ﷺ وله أربع غدائر ورجاله ثقات.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في اللباس أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل،

---

(1) طرفاه 5848، 5901 - تحفة 1869، 1893.

3552 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: «سُئِلَ البَرَاءُ: أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لا بَلْ مِثْلَ القَمَرِ»[1]

وأبو داود في اللباس، والتِّرْمِذِيّ في الاستئذان، والأدب، وفي الشمائل وَالنَّسَائِيّ في الزينة.

(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم) الفضل بن دكين قَالَ: (حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ) هو ابن معاوية، (عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ) السبيعي أنه (قَالَ: سُئِلَ البَرَاءُ) وَفِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق أَحْمَد بن يُونُس عن زهير ثنا أَبُو إسحاق عن البراء قَالَ له رجل: (أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ) الهمزة في الاستفهام على سبيل الاستخبار.

(مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لا بَلْ مِثْلَ القَمَرِ) كأن السائل أراد أنه مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فَقَالَ لا بل مثل القمر أي: التدوير ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والإشراق والصقال فَقَالَ بل فوق ذلك وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان ووقع فِي رِوَايَةِ زهير المذكورة أكان وجه رَسُول اللَّه ﷺ حديدًا مثل السيف وهو يؤيد الأول وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن رجلًا قَالَ له أكان وجه رَسُول اللَّه ﷺ مثل السيف قَالَ لا بل مثل الشمس والقمر مستديرًا وإنما قَالَ مستديرًا للتنبيه على أنه جمع الصفتين لأن قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به الطول واللمعان فرده المسؤول ردًّا بليغًا ولما جرى التعارف في أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالبًا الإشراق والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة والحسن أشار بقوله وكان مستديرًا إلى أنه أراد التشبيه بالصفتين معًا الحسن والاستدارة ولأحمد وابن سعد وابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ ما رأيت شيئًا أحسن من رَسُول اللَّه ﷺ كأن الشمس تجري في جبهته.

قَالَ الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ فيه عكس التشبيه للمبالغة قَالَ ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه جعل وجهه مقرًّا ومكانًا للشمس.

وروى يعقوب بن سُفْيَان في تاريخه من طريق يُونُس بن أبي يعقوب عن أبي

---

(1) تحفة 1839.

3553 - حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ مَنْصُورٍ أَبُو عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَعْوَرُ، بِالْمَصِّيصَةِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالهَاجِرَةِ إِلَى البَطْحَاءِ،

إسحاق السبيعي عن امرأة من همدان قالت حججت مع رَسُول اللّه ﷺ فقلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله وفي حديث الربيع بنت معوذ لو رأيته لرأيت الشمس طالعةً أخرجه الطبراني والدارمي وفي حديث يزيد الفارسي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا جميل دوائر الوجه قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره وروى الذهلي في الزهريات من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ في صفته ﷺ كان أسيل الخدين شديد سواد الشعر أكحل العينين أهدب الأشفار، الحديث، وكان قوله أسيل الخدين هو الحامل على من قَالَ أكان وجهه مثل السيف ووقع في حديث علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند أبي عبيد في الغريب وكان في وجهه تدوير.

قَالَ أَبُو عبيد في شرحه: يريد أنه لم يكن في غاية التدوير كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، وقد أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيّ في المناقب.

(**حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ مَنْصُورٍ أَبُو عَلِيٍّ**) الصوفي البغدادي الشطوي بفتح المعجمة ثم المهملة وهو من أفراده ولم يخرج عنه غير هذا الحديث قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَعْوَرُ، بِالْمَصِّيصَةِ**) بكسر الميم وتشديد الصاد المهملة وكسرها وهي مدينة مشهورة بناها أَبُو جعفر المنصور على نهر جيحان وهو الذي يسميه العوام جاهان.

وَقَالَ البكري: ثغر من ثغور الشام.

قَالَ الْعَيْنِيّ: رأيتها في سفري إلى بلاد الروم وغالبها خراب وهي في بلاد الأرمن بالقرب من مدينة تسمى أدنه وإنما قَالَ بالمصيصة لأن حجاج بن مُحَمَّد سكن المصيصة وأصله ترمذي ومات ببغداد سنة ست ومائتين.

(**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الحَكَمِ**) بفتحتين ابن عتيبة بضم المهملة وفتح المثناة الفوقية وسكون التحتية وقد مر غير مرة أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالهَاجِرَةِ**) وهي نصف النهار عند اشتداد الحر (**إِلَى البَطْحَاءِ**) وهو

فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ» قَالَ شُعْبَةُ، وَزَادَ فِيهِ عَوْنٌ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: «كَانَ يَمُرُّ مِنْ وَرَائِهَا المَرْأَةُ، وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ»[1]

المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى.

(فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ) بفتح المهملة والنون أطول من العصا وأقصر من الرمح وفيه زج.

(قَالَ شُعْبَةُ) هو متصل بالإسناد المذكور.

(وَزَادَ فِيهِ) أي: وزاد الحكم في إسناد هذا الحديث حَدَّثَنَا (عَوْنٌ) بفتح المهملة بالنون، (عَنْ أَبِيهِ) وهب (أَبِي جُحَيْفَةَ) ويأتي هذا في آخر الباب.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وما وقع في بعض النسخ عون عَنْ أَبِيهِ عن أبي جحيفة سهو لأن عونًا هو ابن أبي جحيفة والصواب نقص الأب.

قَالَ الْعَيْنِيّ: وفي كتاب الصلاة قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَة قَالَ حَدَّثَنَا عون بن أبي جحيفة عَنْ أَبِيهِ قَالَ سمعت أبي قَالَ خرج رَسُول اللَّه ﷺ الحديث، وهنا عون عَنْ أَبِيهِ عن أبي جحيفة فلفظ عَنْ أَبِيهِ حشو والصواب تركه.

(قَالَ: كَانَ يَمُرُّ مِنْ وَرَائِهَا المَرْأَةُ) أي: تمر من وراء العنزة ولا تمنع من المرور.

(وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ) يَدِهِ ويروى: (يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ) والحكمة فيه أن برودة يده ﷺ تدل على سلامة جسده من العلل والعوارض.

(وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ) قَالَ العلماء كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيبًا ومع هذا كان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين وقد وقع مثل الحديث المذكور عن جابر بن يزيد بن الأسود عَنْ أَبِيهِ عند الطبراني بإسناد

---

(1) أطرافه 187، 376، 495، 499، 501، 633، 634، 3566، 5786، 5859 ـ تحفة 11799، 11809 ـ 229/ 4.

3554 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ....

قوي وفي حديث جابر بن سمرة عند مسلم في أثناء حديث قَالَ فمسح صدري فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جونة عطار وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي لقد كنت أصافح رَسُول اللَّه ﷺ ويمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك وروى أَحْمَد في مسنده من حديث وائل بن حجر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أيضًا أتى رَسُول اللَّه ﷺ بدلو من ماء فشرب منه ثم مج في الدلو ثم في البئر ففاح منها ريح المسك وروى مسلم حديث أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ في جمع أم سليم رَضِيَ اللَّه عَنْهَا عرقه ﷺ وجعلها إياه في الطيب وفي بعض طرقه وهو أطيب الطيب، وأخرج أَبُو يعلى والطبراني من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قصته الذي استعان به ﷺ على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه.

وَقَالَ: مرها فلتطيب به فكانت إذا تطيب به شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وروى أَبُو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كان رَسُول اللَّه ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك فيقال مر رَسُول اللَّه ﷺ والحديث قد مضى في كتاب الطهارة في باب استعمال فضل وضوء الناس ومر أَيْضًا في كتاب الصلاة في باب الصلاة إلى العنزة ومر الكلام فيه هناك ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ) هو عَبْدُ اللَّه بن عثمان بن جبلة المَرْوَزِيّ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو ابن المبارك المَرْوَزِيّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي وفي نسخة: (أَخْبَرَنَا يُونُسُ) هو ابن يزيد الإيلي، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) مُحَمَّد بن مسلم بن شهاب أن (قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) أي: ابن عتبة بن مَسْعُود أحد الفقهاء السبعة.

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ) أي: أعطاهم وأكرمهم (وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ من رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ

أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[1]

3555 - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ المُدْلِجِيُّ ....

أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ) أي: المبعوثة لنفع الناس والحديث قد مضى في أوائل باب كيف كان بدء الوحي وقد مر أَيْضًا في كتاب الصيام في باب أجود ما يكون النَّبِيّ ﷺ يكون في رمضان ومطابقته للترجمة ظاهرة أَيْضًا فإن الغرض منه وصفه ﷺ بالجود.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى) هو إما ابْنُ مُوسَى ابن عبد ربه السختياني البلخي الذي يقال له خت بفتح الخاء المعجمة وتشديد المثناة الفوقية وإما يَحْيَى بن جعفر بن أعين البيكندي وكلاهما من أفراد الْبُخَارِيّ وكلاهما رويا عن عبد الرزاق.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) هو ابن همام قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ) هو عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج (قَالَ: أَخْبَرَنِي) بالإفراد (ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا) أي: فرحان وهو حال.

(تَبْرُقُ) بضم الراء أي: تضيء وتستنير من الفرح (أَسَارِيرُ وَجْهِهِ) الأسارير جمع الأسرار وهو جمع السر وهي الخطوط التي تكون في الجبهة وبرقانها يكون عند الفرح.

(فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِي) أي: فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ لعائشة رضي الله عنها ألم تسمعي (مَا قَالَ المُدْلِجِيُّ) بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وبالجيم واسمه مجزز بضم الميم وفتح الجيم وكسر الزاي الأولى المشددة ونسبته إلى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بطن من كنانة كبير مشهور بالقيافة والقائف هو الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة، يقال فلان يقوف الأثر ويقتافه قيافة مثل قفى الأثر اقتفاه.

---

(1) أطرافه 6، 1902، 3220، 4997 - تحفة 5840.

لِزَيْدٍ، وَأُسَامَةَ، وَرَأَى أَقْدَامَهُمَا: إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ»(1).

3556 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ،

(لِزَيْدٍ، وَأُسَامَةَ) رضي اللّه عنهما، (وَرَأَى أَقْدَامَهُمَا: إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ) وكانت الجاهلية تقدم في نسب أسامة بن زيد رضي اللّه عنهما لكونه أسود وزيد أبيض فمر بهما مجزز وهما تحت قطيفة قد بدت أقدامهما من تحتها فَقَالَ إن هذه الأقدام بعضها من بعض فلما قضى هذا القائف بإلحاق نسبه وكانت العرب تعتمد قول القائف ويعترفون بحقيقة القيافة فرح رَسُول اللّه ﷺ لكونه زجرًا لهم عن الطعن في النسب وكانت أم أسامة بركة حبشية سوداء وكان أسامة بن زيد ابن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى وأمه أم أيمن حاضنة النَّبِيّ ﷺ وكان يسمى حب النَّبِيّ ﷺ قد اختلفوا في العمل بقول القائف فأثبته الشافعي واستدل بهذا الحديث والمشهور عن مالك إثباته في الإماء ونفيه في الحرائر ونفاه أَبُو حَنِيفَةَ مطلقًا لقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36] وليس في حديث المدلجي دليل على وجوب الحكم بقول القافة لأن أسامة رضي اللّه عنه كان نسبه ثابتًا من زيد قبل ذلك ولم يحتج النَّبِيّ ﷺ في ذلك إلى قول أحد وإنما تعجب النَّبِيّ ﷺ من إصابة مجزز كما يتعجب من ظن الرجل الذي يصيب ظنه حقيقة الشيء الذي ظنه ولا يثبت الحكم بذلك وترك رَسُول اللّه ﷺ الإنكار عليه لأنه لم يتعاط في ذلك إثبات ما لم يكن ثابتًا ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ تبرق أسارير وجهه فإن ذلك من جملة صفاته ﷺ وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في النكاح.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ) يكنى عبد الرحمن أبا الخطاب فهو يروي عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّه بن كعب بن مالك وهو يروي عَنْ أَبِيهِ كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الخزرجي الأَنْصَارِيّ المدني.

وفيه: رواية الابن عن الأب عن الجد.

---

(1) أطرافه 3731، 6770، 6771 - تحفة 16529.

يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ، قَالَ: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ»(1)

3557 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بُعِثْتُ مِنْ

وفيه: ثلاثة من التابعين على نسق وهم: مُحَمَّد بن مسلم بن شهاب، وعبد الرحمن بن عَبْدِ اللَّه وعبد اللَّه بن كعب.

(**يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ، قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) جواب لما محذوف وتقديره قال رسول اللَّه ﷺ أبشروا (**وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ**) جملة حالية ومعنى يبرق يلمع.

(**مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ**) على البناء للمفعول من السرور.

(**اسْتَنَارَ وَجْهُهُ**) أي: أضاء وتنور (**حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ**) أي: الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه ولذلك قَالَ قطعة قمر ويحتمل أن يكون يريد بقوله قطعة قمر القمر نفسه ووقع في حديث جُبَيْر بن مطعم رضي اللَّه عنه عند الطبراني التفت إلينا النَّبِيّ ﷺ بوجهه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها كأنه دارة قمر.

(**وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ**) ثم حديث كعب هذا قطعة من توبته سيأتي مطولًا في المغازي وَأَخْرَجَهُ في مواضع مختصرًا ومطولًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في التوبة وكذا النَّسَائِيّ فيه.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ استنار وجهه إلى آخره.

(**حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ**) أي: ابن مُحَمَّد ابن عَبْدِ اللَّه بن عبد القاري من القارة حليف بني زهرة مدني سكن الإسكندرية.

(**عَنْ عَمْرٍو**) هو ابن أبي عمرو اسمه ميسرة مولى المطلب، (**عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بُعِثْتُ مِنْ**

---

(1) أطرافه 2757، 2947، 2948، 2949، 2950، 3088، 3889، 3951، 4418، 4673، 4676، 4677، 4678، 6255، 6690، 7225 - تحفة 11131.

خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ»[1].

3558 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ،

خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا) أي: نقيت من خير القرون وأفضلها أو اعتبرت قرنًا فقرنًا من أوله إلى آخره فهو حال للتفصيل والقرن هو الناس المجتمعون في عصر واحد، ومنهم من حدّه بمائة عام، وقيل تسعين سنة، وقيل سبعين سنة، وقيل ثمانين سنة، حكى الحربي الاختلاف فيه من عشرة إلى مائة وعشرين. ثم تعقب الجميع وقال: الذي أراه أن القرن كل أمة.

(**حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**) ويروى كنت منه وفي رواية الإسماعيلي حتى بعثت في الذي كنت فيه، وسيأتي في أول مناقب الصحابة حديث عمران بن حصين رضي اللّه عنه خير الناس قرني.

والكلام عليه مستوفى إن شاء اللّه تعالى فخير القرون قرنه ثم قرن الصحابة ثم قرن التابعين والحديث من إفراد الْبُخَارِيّ.

ومطابقته للترجمة فيه كونه من خير القرون وهو صفة من صفاته.

(**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**) أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) هذا هو المشهور عن ابن شهاب وعنه فيه إسناد آخر أخرجه الحاكم من طريق مالك عن زياد بن سعد عنه عن أنس رضي اللّه عنه سدل رسول اللّه ﷺ ناصيته ما شاء اللّه ثم فرق بعد، وأخرجه أيضًا أحمد وقال تفرد به حماد بن خالد عن مالك وأخطأ فيه، والصواب عن عبيد اللّه بن عبد اللّه، وقال ابن عبد البر: الصواب عن مالك فيه عن الزهري مرسلًا كما في الموطأ (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَسْدِلُ**) بفتح الياء وسكون المهملة وكسر الدال ويجوز ضمها.

(**شَعَرَهُ**) أي: يترك شعر ناصيته على جبينه.

---

(1) تحفة 13003.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُؤوسَهُمْ، فَكَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُؤوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ»[1]

وَقَالَ النَّوَوِيّ: قَالَ العلماء المراد إرساله على الجبين واتخاذه كالقصة بضم القاف وبالصاد المهملة ويقال سدل شعره إذا أرسله ولم يضم جوانبه.

(وَكَانَ المُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ) بضم الراء وكسرها.

(رُؤوسَهُمْ) أي: يلقون شعر رؤوسهم إلى جانبيه ولا يتركون منه شَيْئًا على جبهتهم.

(فَكَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُؤوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الكِتَابِ) لأنهم أقرب إلى الحق من عبدة الأوثان فإنهم كانوا متمسكين ببقايا من شرائع الرسل فكانت موافقتهم أحب إليه من موافقة عباد الأوثان وقيل لأنه كان مأمورًا باتباع شريعتهم فيما لم يوح إليه فيه شيء.

(فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ).

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: احتج به بعضهم على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يجئ في شرعنا ما يخالفه وهو ضعيف لأنه قَالَ كان يحب من المحبة ولو كان شرعهم شرعه لكانت الموافقة واجبة وعلى التسليم ففي نفس الحديث أنه رجع عن ذلك آخرًا.

وقال الْعَيْنِيّ: إن المحققين من العلماء قالوا شرع من قبلنا يلزمنا إلا إذا قصّ اللّه بالإنكار.

(ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ رَأْسَهُ) بفتح الفاء والراء أي: ألقى شعر رأسه إلى

---

(1) طرفاه 3944، 5917 - تحفة 5836 - 230/ 4.

أخرجه مسلم في الفضائل باب في سدل النبي ﷺ شعر رأسه إلى جانبيه رقم 2336.

قال المناوي في شرح الشمائل: قال القرطبي حبه لموافقتهم كان في أول الأمر عند قدومه المدينة في الوقت الذي كان يستقبل قبلتهم ليتألفوا حتى يصغوا إلى ما جاء به فلما تألفهم ولم يدخلوا في الدين وغلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك أمر بمخالفتهم في أمور كثيرة، كقوله إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم، اهـ.

وقال القاري: قوله يحب إلخ هو إما لمناسبة قرب الجنسية في مشاركة التوحيد والنبوة وسائر القواعد الحنيفية، وإما لإرداة الفهم وتقريبهم إلى الحق فإنهم أقرب إلى الإيمان فهم بالألفة =

3559 - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا

جانبي رأسه فلم يترك منه شَيْئًا على جبهته وقد روى ابن إسحاق عن مُحَمَّد بن جعفر عن عُرْوَة عَنْ عَائِشَة رضي اللّه عنها قالت أنا فرقت لرسول اللّه ﷺ رأسه أي: شعر رأسه على يافوخه، ومن طريقه أَخْرَجَهُ أَبُو داود وفي حديث هند بن أبي هالة في صفة النَّبِيّ ﷺ أن تفرقت عقيصته أي: شعر رأسه الذي على ناصيته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه.

قَالَ ابن قُتَيْبَة في غريبه: العقيصة شعر رأس الصبي قبل أن يحلق وقد يطلق عليه بعد الحلق مجازًا وأما ما روي أنه كان لا يفرق شعره إلا إذا انفرق محمول على ما كان أولًا لما بينه حديث ابْن عَبَّاس رضي اللّه عنهما ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه في الأخير فرق رأسه وهو صفة من صفاته ﷺ وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الهجرة، واللباس أَيْضًا.

وأخرجه مسلم في الفضائل وأبو داود في الترجل، والترمذي في الشمائل، والنسائي في الزينة، وابن ماجة في اللباس.

(**حَدَّثَنَا عَبْدَانُ**) هو عَبْدُ اللّه بن عثمان الـمَرْوَزِيّ، (**عَنْ أَبِي حَمْزَةَ**) بالحاء المهملة والزاي اسمه مُحَمَّد بن ميمون السكري الـمَرْوَزِيّ، (**عَنِ الأَعْمَشِ**) سليمان بن مهران، (**عَنْ أَبِي وَائِلٍ**) شقيق بن سلمة، (**عَنْ مَسْرُوقٍ**) هو ابن الأجدع، (**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو**) أي: ابن العاص (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) وفي رواية مسلم عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن الأعمش بسنده: دخلنا على عبد اللّه ابن عمرو حين قدم مع معاوية رضي اللّه عنه فذكر رسول اللّه ﷺ فقال (**قَالَ: لَمْ يَكُنِ**) رَسُولُ اللَّهِ ويروى: (**النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا**) من الفحش وأصله بالخروج عن الحد في الكلام السيّئ.

= أحق وأليق. قال النووي: اختلفوا في تأويل موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه شيء فقيل فعله ائتلافًا لهم في أول الإسلام وموافقة لهم على مخالفة عبدة الأوثان، فلما أغناه اللّه تعالى عن ذلك وأظهر الإسلام خالفهم في أمور، كصبغ الشيب وغير ذلك، اهـ.

زاد القاري: ومنها صوم يوم عاشوراء ثم أمر بنوع مخالفة لهم فيه بصوم يوم قبله أو بعده، ومنها استقبال القبلة ومخالفتهم في مخالطة الحائض، ومنها النهي عن صوم يوم السبت، اهـ.

وَلا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا»[1].

3560 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ

(**وَلا مُتَفَحِّشًا**) أي: ولا متكلفًا في الفحش وحاصله أنه لم يكن الفحش له لاجبليًّا ولا كسبيًّا وروى التِّرْمِذِيّ من طريق أبي عَبْدِ اللّه الجدلي.

قال سألت عَائِشَة رضي اللّه عنها عن خلق النَّبِيّ ﷺ فقالت لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخّابًا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد روى المصنف في الأدب من حديث أنس رضي اللّه عنه لم يكن رَسُول اللّه ﷺ سبّابًا ولا فحاشًا ولا لعانًا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه ولأحمد من حديث أنس رضي اللّه عنه أن النَّبِيّ ﷺ كان إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول ولكن يقول ما بال أقوام يقولون.

(**وَكَانَ يَقُولُ**) أي: النبي ﷺ: (**«إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا»**) وَفِي رِوَايَةِ مسلم أحاسنكم أخلاقًا والخلق ملكة تصدر بها الأفعال بسهولة من غير روية وحسن الخلق اختيار الفضائل وترك الرذائل وأمهاته داخلة تحت قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: 199] وهو صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي اللّه عنهم، وقد أخرج أَحْمَد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه رفعه إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق، وأخرجه البزار من هذا الوجه بلفظ مكارم بدل صالح، وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن صفية بنت حيي رَضِيَ اللّه عَنْهَا قالت ما رأيت أحدًا أحسن خلقًا من رَسُول اللّه ﷺ، وعند مسلم من حديث عَائِشَة رضي اللّه عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأدب أَيْضًا، وأخرجه مسلم من الفضائل، والتِّرْمِذِيّ في البر.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ**

---

(1) أطرافه 3759، 6029، 6035 - تحفة 8933.

أخرجه مسلم في الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ رقم 2321.

ابْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ....

ابْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ) على البناء للمفعول.

(رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ) أي: من أمور الدنيا يدل عليه قوله ما لم يكن إثمًا فإن أمور الدين لا إثم فيها دأبهم فاعل خير ليكون أعم من أن يكون من قبل اللّه أو من قبل المخلوقين.

(إِلا أَخَذَ) ويروي: إلا اختار (أَيْسَرَهُمَا) أي: أسهلهما (مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا) أي: ما لم يكن الأيسر إثمًا أي: مقتضيًا للإثم فإنه حينئذ يختار الأشق وفي حديث أنس رضي اللّه عنه عند الطبراني في الأوسط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن لله فيه سخط. ووقوع التخيير بين ما فيه إثم وما لا إثم فيه من قبل المخلوقين واضح وأما من قبل اللّه ففيه إشكال لأن التخيير إنما يكون بين جائزين لكن إذا حملناه على ما يفضي إلى الإثم أمكن ذلك بأن يخيره اللّه تَعَالَى بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى من الاشتغال به أن لا يتفرغ للعبادة وبين أن يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف وإن كانت السعة أسهل منه والإثم على هذا أمر نسبي لا يراد منه الخطيئة لثبوت العصمة.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: فإن قلت كيف يخير رَسُول اللّه ﷺ في أمرين أحدهما إثم قلت التخيير إن كان من الكفار فهو ظاهر وإن كان من اللّه أو من المسلمين فمعناه ما لم يؤد إلى إثم كالتخيير في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيها فإن المجاهدة بحيث تنجر إلى الهلاك لا تجوز وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ) أي: خاصة فلا يرد أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد اللّه بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات اللّه تَعَالَى وقيل أراد أنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه وعن الآخر الذي جبذ بردائه حتى أثر في كتفه وحمل الدَّاوُودِيّ عدم الانتقام على ما يختص بالمال وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه.

إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلهِ بِهَا»[1].

(إِلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ) وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل (فَيَنْتَقِمَ لِلهِ بِهَا)

---

(1) أطرافه 6126، 6786، 6853 - تحفة 16595.

أخرجه مسلم في الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام. رقم 2327.

قال ابن أبي جمرة في البهجة: ظاهر الحديث أخذه عليه السلام بأيسر الأمرين إذا خير بينهما وبعده عليه السلام من الإثم وهل هذا التخير على عمومه أعني تفضيله عليه السلام إلا يسر من الأمرين أم لا؟

(والجواب): أن أخذه عليه السلام الأيسر من الأمرين إذا خير على العموم موجود بما استقرئ من سنته عليه السلام ويحتاج إلى تقسيم لأنه لا يخلو أن يكون ما يخبر فيه من أمور الدنيا أو أمور الآخرة فإن كان من أمور الدنيا فاللفظ على عمومه فما خير ﷺ بين شيئين من أمور الدنيا إلا أخذ أيسرهما وكفى في ذلك أن خير ﷺ أن يكون ملكًا نبيًّا ويكون له مثل جبال تهامة فضة وذهب تسير معه حيث سار أو يكون نبيًّا عبدًا فاختار عليه السلام أن يكون نبيًّا عبدًا فقال: «**أجوع يومًا فأضرع وأشبع يومًا فأشكر**» وقد جاء عنه ﷺ أنه أوتي يومًا بثوب يلبسه فطالت كماه على يديه الكريمتين فأخذ يقطعهما فلم يجد في الوقت إلا سكينا فجمعهما وقطعهما بالسكين ولم يكلف أحدًا أن يأتيه بمقص وبقي دور الأكمام داخلات وخارجات وربما تساقطت الخيوط من بعضها ولم يعد لها بعد ولا عمل لها عطفا حتى تقطع الثوب وهو على ذلك الحال وأما أمره الآخرة فما كان يختار فيه فيما يخصه عليه السلام إلا الأرفع والأقرب إلى اللّه تعالى كما فعل عليه السلام في تعبده الذي قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول اللّه تفعل ذلك واللّه قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» وإذا كان الأمر في حق أمته أخذ عليه السلام لهم ما هو الأيسر والأقرب رحمة بهم كما فعل ﷺ في قيام رمضان حين كثر الناس فقاموا معه فجعل يتخلف ثم قال لهم: «**إنما تخلفت لئلا يكتب عليكم فلا تطيقون**» أو كما قال عليه السلام وكما فعل عليه السلام معهم في شأن الوصال الذي كان ينهاهم عنه ويواصل عليه السلام حتى كان يربط على بطنه ثلاثة أحجار من شدة الجوع والمجاهدة فقيل له تنهانا عن الوصال وأنت تفعله فقال: «**إني ليس كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**» وكان عليه السلام يقول لهم: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون فإن اللّه لا يمل حتى تملوا**» والأحاديث في هذا الشأن كثيرة فعلى هذا فيكون عامًّا فيما كان من أمور الدنيا ويكون خاصًّا فيما كان من أمور الآخرة وقد يحتمل أن يكون عامًّا في أمور الآخرة بوجه ما وهو مثل أن يخير بين عملين أحدهما يكون في الوقت الوصول إليه قريب الذي الوصول إليه أبعد يكون أرفع فيختار الأيسر اعتناء منه عليه السلام للطاعة والمبادرة للخدمة وخوف الفوت أنه لا يدرك الذي هو أرفع فإن أدركه لم يتركه كما كان أبو بكر رضي اللّه عنه يفعل في وتره يقدمه أول الليل وقد صح من السنة أن الأفضل في الوتر آخر الليل فكان أبو بكر رضي اللّه عنه فهم عن النبي ﷺ هذا الذي أشرنا إليه فعمل عليه فأقره النبي ﷺ على ذلك وقال له أخذت بالحزم وهي المبادرة.

(وفي هذا إشارة) إلى طريق القوم الذين يقولون: «الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك» معناه =

هذا استثناء منقطع أي: لكن إذا انتهكت حرمة اللّه تَعَالَى انتصر لله تَعَالَى وانتقم ممن ارتكب ذلك وقد أخرج هذا الحديث من طريق معمر عن الزُّهْرِيّ بهذا الإسناد مطولًا وأوله ما لعن رَسُول اللّه ﷺ مسلمًا بذكر أي: بصريح اسمه ولا ضرب بيده شَيْئًا قط إلا أن يضرب بها في سبيل اللّه ولا سئل عن شيء قط فمنعه إلا أن يسأل مأثمًا ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات اللّه فيكون لله ينتقم، الحديث وهذا السياق سوى صدر الحديث عن مسلم من طريق هشام بن عُرْوَة عَنْ أَبِيهِ به وَأَخْرَجَهُ الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي اللّه عنه وفيه ما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة اللّه فإن انتهك حرمة اللّه كان أشد الناس غضبًا لله تَعَالَى، وفي الحديث الأخذ بالأسهل والاقتناع باليسير وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه والحث على العفو والانتصار للدين والندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ والندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحل ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه.

وفيه: أنه يستحب للحكام التخلق بالخلق الكريم وترك الحكم للنفس فلا ينتقم لنفسه وإن كان الحاكم متمكنًا من ذلك بحيث وإن كان الحاكم متمكنًا من ذلك بحيث يؤمن منه الحيف على المحكوم عليه لكنه يتركه لحسم المادة ولا يهمل حق اللّه تَعَالَى.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأدب أَيْضًا، وأخرجه مسلم في الفضائل، وأبو داود في الأدب مختصرًا.

= عندهم إذا لم تقطعه بالعمل قطعك بالتسويف والاشتغال بتعمير الوقت وترك الالتفات إلى الماضي والمستقبل فائدته ربح الدنيا والآخرة منَّ اللّه علينا بفضله.

وفيه: دليل على حسن فهم هذه السيدة لأنها فهمت مع صغر سنها من حقيقة طريقته عليه السلام ما فهم أبوها على كبر سنه ورفعته في قوة إيمانه وصدقه حتى قال عنه ﷺ: «**ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره**» فبحسن أصلها نجح فرع فهمها.

(وفيه من الفقه) أن كلام المرء عنوان على عقله وأفعاله دالة على تحقيق حاله ولذلك قال علي رضي اللّه عنه حين قيل له في كم تعلم حال الشخص فقال: «**إن تكلم فمن حينه وإن صمت فمن يومه**» فمن اشتغل بتخليص صحة حسن حاله فعله ومقاله.

3561 - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَلا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ، أَوْ عَرْفًا قَطُّ، أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ ﷺ»[1].

(**حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ**) الواشحي قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَمَّادٌ**) هو ابن زيد وفي بعض النسخ وقع هكذا.

(**عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: مَا مَسِسْتُ**) بمهملتين الأولى مكسورة ويجوز فتحها والثانية ساكنة وكذا القول في ميم شممت.

(**حَرِيرًا وَلا دِيبَاجًا**) في المغرب الديباج الثوب الذي سداه ولحمته إبريسم وقيل اسم للمنقش منه فهو من عطف الخاص على العام ثم هو بكسر الدال ويجوز فتحها، وَقَالَ أَبُو عبيد الفتح مولد أي: ليس بعربي.

(**أَلْيَنَ**) أي: أنعم (**مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ**) قيل هذا يخالف ما وقع في حديث هند ابن أبي هالة الذي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ في صفة النَّبِيّ ﷺ فإن فيه أنه كان شثن الكفين والقدمين أي: غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي رضي اللّه عنه من عدة طرق عند التِّرْمِذِيّ والحاكم وابن أبي خيثمة وغيرهم وكذا في وصف عَائِشَة رضي اللّه عنها له ﷺ عند أبي خيثمة والجمع بينهما أن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته ويؤيده ما رواه الطبراني والبزار من حديث معاذ رضي اللّه عنه أردفني النَّبِيّ ﷺ خلفه في سفر فما مسست شَيْئًا قط ألين من جلده ﷺ.

(**وَلا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا قَطُّ**) بفتح المهملة وسكون الراء بعدها فاء وهو شك من الراوي ويدل عليه قوله بعد.

(**أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ**) بكسر الحاء بلا تنوين لأنه في حكم المضاف تقديره من ريح النَّبِيّ ﷺ.

(**أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ ﷺ**) كقول الشاعر بين ذراعي وجبهة الأسد تقديره بين ذراعي الأسد وجبهته فقد أدخل بين المضاف والمضاف إليه شَيْئًا والأصل عدمه

---

(1) أطرافه 1141، 1972، 1973 - تحفة 304.

أخرجه مسلم في الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه. رقم 2330.

3562 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا».

وهو أَيْضًا شك من الراوي ووقع في بعض الروايات بفتح الراء وبالقاف وأو على هذا للتنويع والأول هو المعروف فقد تقدم في الصيام من طريق حميد عن أنس رضي اللّه عنه مسكة ولا عنبرة أطيب رائحة من ريح رَسُول اللّه ﷺ وقوله عنبرة ضبط بوجهين:

أحدهما: بسكون النون بعدها موحدة والآخر بكسر الموحدة بعدها تحتانية والأول معروف.

والثاني: طيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران وقيل هو الزعفران نفسه ووقع عند السهيلي ولا شممت مسكًا ولا عنبرًا ولا عبيرًا ذكرهما جميعًا، ووقع في أول الحديث عند مسلم كان رَسُول اللّه ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ وما مسست إلى آخره.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وهو من إفراده وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بمعناه.

(**حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى**) هو القطان، (**عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عُتْبَةَ**) بضم المهملة وسكون المثناة الفوقية بعدها موحدة مولى أنس بن مالك رضي اللّه عنه وقد مر في الحج.

(**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً**) ونصب على التميز وهو تغير وانكسار يعتري الإنسان عند خوف ما يعاب أو يذم.

(**مِنَ العَذْرَاءِ**) أي: البكر لأن عذرتها هي جلدة البكارة باقية.

(**فِي خِدْرِهَا**) بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة أي: في سترها ويقال الخدر ستر يجعل للبكر في جنب البيت وهو من باب التتميم للمبالغة لأن العذراء في الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر أن المراد تقييده إذا دخل عليها في خدرها لا حيث يكون منفردة فيه ثم محل وجود الحياء فيه ﷺ في غير حدود اللّه ولهذا قَالَ للذي اعترف بالزنا أنكتها ولم يكن سيأتي بيانه في الحدود إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وأخرج

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، وَابْنُ مَهْدِيٍّ، قَالا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ مِثْلَهُ، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ[1]

البزار هذا الحديث وزاد في آخره وكان يقول الحياء خير كله وأخرج من حديث ابْن عَبَّاس رضى اللّه عنهما قَالَ كان رَسُول اللّه ﷺ يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد قط عورته وإسناده حسن.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة لأن فيه صفة من صفاته العظمى.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأدب أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل النَّبِيّ ﷺ والتِّرْمِذِيّ في الشمائل وابن ماجة في الزهد.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ**) هو بندار قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى**) أي: القطان، (**وَابْنُ مَهْدِيٍّ**) هو عبد الرحمن (**قَالا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ مِثْلَهُ**) أي: مثل الحديث المذكور سندًا ومتنًا وقد أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ من رواية أبي مُوسَى مُحَمَّد بن المثنى عن عبد الرحمن ابن مهدي بسنده.

وَقَالَ فيه: سمعت عَبْدَ اللّه بن أبي عتبة يقول سمعت أبا سَعِيد الخدري رَضِيَ اللّه عَنْهُ يقول إلى آخره وَأَخْرَجَهُ ابن حبان من طريق أَحْمَد بن سنان القطان قَالَ قلت لعبد الرحمن بن مهدي يا أبا سَعِيد كان رَسُول اللّه ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها قَالَ نعم عن مثل هذا فسل أَخْبَرَنَا شُعْبَة فذكره بتمامه.

(**وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ**) أي: زاد مُحَمَّد بن بشار على رواية مُسَدَّد هذه الزيادة ومعنى عرف في وجهه أنه لا يواجه أحدًا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيعرف أصحابه كراهته لذلك.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: يحتمل أن يكون هذا فِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن مهدي وحده ويحتمل أن يكون فِي رِوَايَةِ يَحْيَى أَيْضًا ولم يقع لمسدد والأول المعتمد فقد أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ من رواية المقدمي وابن أبي خيثمة وابن خلاد وعن يَحْيَى بن سَعِيد ليس فيه هذه الزيادة وَأَخْرَجَهُ من رواية أبي مُوسَى عن عبد الرحمن بن مهدي فذكرها وكذا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عن زهير بن حرب وأبي مُوسَى

(1) طرفاه 6102، 6119 - تحفة 4107.
أخرجه مسلم في الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ رقم 2320.

3563 - حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلا تَرَكَهُ»[1].

3564 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ابْنِ بُحَيْنَةَ ....

مُحَمَّد بن المثنى وأحمد بن سنان القطان كلهم عن ابن مهدي وَأَخْرَجَهُ من حديث معاذ والإسماعيلي من حديث علي بن الجعد كلاهما عن شُعْبَة كذلك وَأَخْرَجَهُ ابن حبان من طريق عَبْدِ اللَّه بن المبارك عن شُعْبَة كذلك. وثم إن هذا طريق آخر في الحديث السابق ومع زيادة في متنه.

(حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ) بفتح الجيم وإسكان العين المهملة وآخره دال مهملة قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ) بالحاء المهملة والزاي واسمه سلمان الأشجعي وليس هو أبا حازم سلمة بن دينار صاحب سهل بن سعد رضي اللَّه عنه، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: مَا عَابَ النَّبِيُّ) ويروى: رَسُول اللَّه (ﷺ طَعَامًا قَطُّ) ورواية غندر عن شُعْبَة عن الْإِسْمَاعِيلِيّ ما رأيت رَسُول اللَّه ﷺ عاب طعامًا قط وهو محمول على الطعام المباح كما سيأتي تقرير ذلك في كتاب الأطعمة إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلا) أي: وإن لم يشتهه (تَرَكَهُ) وهو من جملة خصاله الشريفة فمطابقته للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأطعمة أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الأطعمة وأبو داود فيه أَيْضًا والتِّرْمِذِيّ في البر وابن ماجة في الأطعمة.

(حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ) بضم الميم وفتح المعجمة القرشي البصري وقد مر في الصلاة (عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ الأَعْرَجِ) هو عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ) بالتنوين (ابْنِ بُحَيْنَةَ) صفة لعبد اللَّه لا لمالك بحينة بضم الموحدة وفتح المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح النون وهو اسم أم عَبْدِ اللَّه فجمع في نسبه بين الأب والأم.

---

(1) طرفه 5409 - تحفة 13403.
أخرجه مسلم في الأشربة باب لا يعيب الطعام رقم 2064.

الأَسْدِيِّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «إِذَا سَجَدَ فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى نَرَى إِبْطَيْهِ»، قَالَ: وَقَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ[1]

3565 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلا فِي الاسْتِسْقَاءِ، ....

(**الأَسْدِيِّ**) بسكون المهملة، ويقال فيه الأزدي بسكون الزاي هذا مشهور في هذه النسبة يقال بالزاي والسين غفل الدَّاوُودِيّ فقرأ بفتح السين ثم أنكره أنه (**قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سَجَدَ فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ**) يعني فتح ولم يضم مرفقيه إلى اليد وهذه سنة السجود (**حَتَّى نَرَى إِبْطَيْهِ**) بنون المتكلم مع الغير وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الصلاة.

(**قَالَ: وَقَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ**) أي: يَحْيَى بن عَبْدِ اللَّه بن بُكَيْر، (**حَدَّثَنَا بَكْرٌ**) أي: ابن مضر بالإسناد المذكور.

(**بَيَاضَ إِبْطَيْهِ**) أراد أن يَحْيَى بن بُكَيْر زاد لفظ بياض على لفظة إبطيه لأن فِي رِوَايَةِ قُتَيْبَة حتى نرى إبطيه بدون لفظة بياض واختلف في المراد بوصف إبطيه بالبياض فقيل لم يكن تحتها شعر فكانا كلون جسده ثم قيل لم يكن تحت إبطيه شعر البتة، وقيل كان لدوام تعاهده له لا يبقى فيه شعر ووقع عند مسلم في حديثه حتى رأينا عفرة إبطيه ولا تنافي بينهما لأن العفرة هي البياض ليس بالناصع وهذا شأن المغابن يكون لونها في البياض دون لون بقية الجسد.

ومطابقة الحديث للترجمة فِي قَوْلِهِ بياض إبطيه لأن هذا أَيْضًا من صفاته الجميلة، وقد مضى الحديث في كتاب الصلاة في باب يبدي ضبعيه ويجافي في السجود.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا سَعِيدٌ**) هو ابن أبي عروبة، (**عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلا فِي الاسْتِسْقَاءِ**) ظاهره أنه

---

(1) طرفاه 390، 807 - تحفة 9157 - 231/ 4.

فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ»[1].

3566 - حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ، حَدَّثنا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَوْنَ بْنَ أَبِي جُحَيْفَةَ، ذَكَرَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دُفِعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

لم يرفع إلا في الاستسقاء وليس كذلك بل قد ثبت الرفع في الدعاء في مواطن، فيؤوّل على أنه لم يرفع الرفع البليغ في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء وكما يشهد عليه السياق وهو قوله: (فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ) والحديث قد مر في الاستسقاء.

وَقَالَ أَبُو مُوسَى هو مُحَمَّد بن المثنى يعرف بالزمن العنبري شيخ الْبُخَارِيّ ومسلم: «دَعَا النَّبِيُّ ﷺ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ» وهذا طرف من حديث سيأتي موصولًا في المناقب في ترجمة أبي عامر الأشعري وقد علق طرفًا منه في الوضوء أَيْضًا.

(حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ) بتشديد الموحدة وفي غالب النسخ الحسن بن الصباح البزار بتقديم الزاي على الراء وهو واسطي سكن بغداد. وهو الذي أخرج عنه الحديث الذي بعده، وقيل بل هذا هو الزعفراني نسب إلى جده لأنه الحسن ابن محمد بن الصباح وَقَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ) بالمهملة والموحدة التميمي البغدادي من شيوخ الْبُخَارِيّ روى عنه هنا بالواسطة وروى عنه بدون الواسطة في الوصايا حيث قَالَ حَدَّثنَا مُحَمَّد بن سابق أو الفضل بن يعقوب عنه.

(حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ) بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الواو وباللام ابن عاصم أَبُو عَبْدِ اللّه البجلي الكوفي مات سنة سبع وخمسين ومائة (قَالَ: سَمِعْتُ عَوْنَ بْنَ أَبِي جُحَيْفَةَ) اسم واسم أبي جحيفة وهب.

(ذَكَرَ عَنْ أَبِيهِ) أبي جحيفة وفي رواية شعبة عن عون سمعت أبي كما تقدم في أوائل الصلاة.

(قَالَ: دُفِعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ) على البناء للمفعول أي: أنه وصل إليه عن غير قصد.

---

(1) طرفاه 1031، 6341 - تحفة 1168.

وَهُوَ بِالأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ كَانَ بِالهَاجِرَةِ، خَرَجَ بِلالٌ فَنَادَى بِالصَّلاةِ ثُمَّ دَخَلَ، فَأَخْرَجَ فَضْلَ وَضُوءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَقَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَأْخُذُونَ مِنْهُ، ثُمَّ دَخَلَ فَأَخْرَجَ العَنَزَةَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ سَاقَيْهِ، فَرَكَزَ العَنَزَةَ، ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الحِمَارُ وَالمَرْأَةُ»(1).

3567 - حَدَّثَنِي الحَسَنُ بْنُ صَبَّاحٍ البَزَّارُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ،

(**وَهُوَ بِالأَبْطَحِ**) جملة حالية والأبطح أبطح مكة وهو مسيل واديها ينزل فيه الحاج إذا رجع من منى.

(**فِي قُبَّةٍ**) حال أيضًا (**كَانَ بِالهَاجِرَةِ**) وهي نصف النهار عند اشتداد الحر وهو استئناف أو حال أَيْضًا.

(**خَرَجَ بِلالٌ فَنَادَى بِالصَّلاةِ ثُمَّ دَخَلَ، فَأَخْرَجَ**) من الإخراج.

(**فَضْلَ وَضُوءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضأ به.

(**فَوَقَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَأْخُذُونَ مِنْهُ، ثُمَّ دَخَلَ**) أي: بلال رضى اللّه عنه (**فَأَخْرَجَ العَنَزَةَ**) وهي مثل نصف الرمح أو أكبر شَيْئًا وفيه سنان مثل سنان الرمح والعكازة قريب منها (**وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ سَاقَيْهِ**) بفتح الواو وكسر الموحدة وآخره صاد مهملة وهو البريق وزنًا ومعنى (**فَرَكَزَ العَنَزَةَ**).

(**ثُمَّ صَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الحِمَارُ وَالمَرْأَةُ**) وقد مر الحديث في كتاب الوضوء في باب استعمال فضل وضوء الناس.

ومطابقته للترجمة فِي قَوْلِهِ كأني أنظر إلى وبيض ساقيه.

(**حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**الحَسَنُ بْنُ صَبَّاحٍ البَزَّارُ**) قَالَ الْعَيْنِيّ: هذا هو الذي مضى في الحديث السابق وقيل بل غيره لأن الحسن بن الصباح الذي قبله هو الحسن ابن مُحَمَّد بن الصباح الزعفراني نسب إلى جده والأول هو المعتمد قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة فإن الحسن بن الصباح ما لحق الثَّوْرِيّ والثوري ولا يروي عن الزُّهْرِيّ إلا بواسطة.

---

(1) أطرافه 187، 376، 495، 499، 501، 633، 634، 3553، 5786، 5859 ـ تحفة 11818.

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ «يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ»[1].

3568 - وَقَالَ اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «أَلا يُعْجِبُكَ أَبُو فُلانٍ،

(**عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ**) أي: لو عدَّ العاد كلماته أو مفرداته أو حروفه لقدر على ذلك أو لأطاق ذلك وبلغ آخرها فالشرط والجزاء متحدان ظاهرًا ولكنه من قبيل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إِبْرَاهِيم: 34] وقد فسر بلا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها والمراد بذلك المبالغة في التمثيل والتفهيم وهذا الحديث هو الحديث الذي بعده اختلف الرواة في سياقه.

ومطابقته للترجمة من حيث إن من صفات النَّبِيّ ﷺ أن من سمع كلماته لقدر على عدها.

(**وَقَالَ اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**) الزُّهْرِيّ (**أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ**) رضي اللّه عنها (**أَنَّهَا قَالَتْ: أَلا يُعْجِبُكَ**) بضم أوله وإسكان ثانيه من الإعجاب بفتح ثانيه والتشديد من التعجيب.

(**أَبُو فُلانٍ**) كذا فِي رِوَايَةِ الأكثرين قَال الْقَاضِي عِيَاضٌ هو منادى بكنيته.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وليس كذلك وإنما خاطبت عَائِشَة رضي اللّه عنها عُرْوَة بقولها ألا يعجبك ثم ذكرت له المتعجب منه فقالت أبا فلان وحق السياق أن يقال أَبُو فلان بالرفع لأنه الفاعل ولكنه جاء هكذا على اللغة القليلة كقول القائل رماه بأبا قيس ثم حكت وجه التعجب فقالت جاء فجلس إلى آخره ووقع فِي رِوَايَةِ الأصيلي وكريمة أَبُو فلان ولا أشكال فيها وتبين من رواية مسلم وأبي داود أنه أَبُو هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه فأخرجه مسلم عن هارون بن معروف وأبو داود عن مُحَمَّد بن منصور الطوسي كلاهما عن سُفْيَان عن الزُّهْرِيّ، وكذا أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ عن ابن أبي عمر عن سُفْيَان عن هشام، وعن أبي يعلى عن أبي معمر

---

(1) طرفه 3568 - تحفة 16445.

جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُسْمِعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أُسَبِّحُ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»(1)

عن سُفْيَان عن الزُّهْرِيّ وكذا أَخْرَجَهُ أَبُو نعيم من طريق القعنبي عن سُفْيَان عن الزُّهْرِيّ، وكان فيه لسفيان شيخين وَفِي رِوَايَةِ الجميع أنه أَبُو هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه ووقع فِي رِوَايَةِ ابن وهب عند الْإِسْمَاعِيلِيّ بهذا الإسناد ألا يعجبك أبو هُرَيْرَةَ جاء فجلس ولأحمد ومسلم وأبي داود من هذا الوجه ألا أعجبك من أَبِي هُرَيْرَةَ ووقع للقابسي بفتح الهمزة بعدها مثناة مفتوحة فعل ماض من الإتيان وفلان بالرفع والتنوين وهو تصحيف لأنه تبين من الرواية الأخرى أنه بصيغة الكنية لا بلفظ الاسم المجرد عنها والعجب أن القابسي أنكر غير روايته.

وَقَال الْقَاضِي عِيَاضٌ: هي الصواب لولا قوله بعده جاء.

(**جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ**) أي: أصلي نافلة أو على ظاهره أي: أذكر اللّه فعلى الأول يكون مجازًا وعلى الثاني حقيقة والأول أوجه.

(**فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ**) أي: لأنكرت عليه وبينت له أن الترتيل من التحديث أولى من السرد.

(**إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ**) أي: لم يكن يتابع الحديث استعجالًا بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع وكان يتكلم بكلام واضح مفهوم على سبيل التأني وزاد الْإِسْمَاعِيلِيّ من رواية ابن المبارك عن يُونُس إنما كان حديث رَسُول اللّه ﷺ فصلًا يفهمه القلوب واعتذر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه بأنه كان واسع الرواية كثير المحفوظ فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث كما قَالَ بعض البلغاء أريد أن اقتصر فتتزاحم القوافي عليَّ، وهذا التعليق وصله الذهلي في الزهريات عن أبي صالح عن الليث.

---

(1) طرفه 3567 - تحفة 16698.
أخرجه مسلم في الفضائل باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي اللّه عنه رقم 2493.

24 ـ باب: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ

رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

3569 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلا يَنَامُ قَلْبِي»[1]

---

24 ـ باب: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ

(باب) هو كالفصل لما قبله.

(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية وبالنون مقصورًا هو أَبُو الوليد المكي، (عَنْ جَابِرٍ) رضي اللّه عنه، (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) وَفِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ تنام عيناه بالتثنية وقد وصله الْبُخَارِيّ في كتاب الاعتصام مطولًا.

وقد مر الكلام فيه في كتاب التهجد في باب قيام النَّبِيّ ﷺ بالليل.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الباب أَيْضًا من حديث عَائِشَة رضى اللّه عنها حيث قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ) القعنبي، (عَنْ مَالِكٍ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلا) فِي (غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلا يَنَامُ قَلْبِي») فإن قيل هذا مشعر بأن الإحدى عشرة هي غير الوتر فالجواب أن الفاء في فقلت لتعقيب هذه الأخبار بالخبر السابق وقد مر الحديث في كتاب التهجد في الباب المذكور.

---

(1) طرفاه 1147، 2013 - تحفة 17719 - 232/ 4.

3570 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُنَا عَنْ «لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ: جَاءَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فَكَانَتْ تِلْكَ،

ومطابقته للترجمة ظاهرة لأن نوم عينه وعدم نوم قلبه من الصفات العظيمة والخصال الجميلة.

(**حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ**) هو ابن أبي أويس (**قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**أَخِي**) هو أَبُو بكر عبد الحميد، (**عَنْ سُلَيْمَانَ**) هو ابن بلال، (**عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي نَمِرٍ**) بلفظ الحيوان المشهور.

(**سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ: جَاءَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ**) هم ملائكة قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ولم أتحقق أسماءهم.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: الذي يظهر لي أن هذه الثلاثة كانوا جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام لأنه وجد في كتب كثيرة متعلقة بالمعراج أنهم نزلوا عليه والبراق معهم.

(**قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ**) قيل ليس في أكثر الروايات هذه اللفظة وإن كانت محفوظة فلم يأته عقيب تلك الليلة بل بعدها بسنين لأنه إنما أسري به قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل: بسنتين وقيل: بسنة.

(**وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟**) أي: أيُّ الثلاثة مُحَمَّد ﷺ وكان ﷺ نائمًا بين اثنين أو أكثر وقد قيل إنه كان نائمًا بين عمه حمزة وابن عمه جعفر بن أبي طالب.

(**فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ**) أي: النَّبِيّ ﷺ (**خَيْرُهُمْ، وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ**) أي: لأجل أن يعرج به إلى السماء.

(**فَكَانَتْ تِلْكَ**) أي: القصة تلك الحكاية أي: لم يقع في تلك الليلة غير ما ذكر من الكلام.

فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاؤوا لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ»(1)

(**فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاؤوا لَيْلَةً أُخْرَى**) ويروى حتى جاؤوا إليه ليلة أخرى بعد ذلك ومن هنا يحصل رفع الإشكال فِي قَوْلِهِ قبل أن يوحى إليه كما سيأتي في بيانه في مكانه إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(**فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ**) أي: بين النائم واليقظان فإن قيل ثبت في الروايات الأخرى أنه كان في اليقظة فالجواب أنه إن قلنا بتعدده فالأمر ظاهر وإن قلنا باتحاده فيمكن أن يقال كان ذلك أول وصول الملك إليه وليس فيه ما يدل على كونه نائمًا في القصة كلها.

(**وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ**) عليهم السلام (**تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ**) وقد تقدم مثل هذا من قول عبيد بن عمير في أوائل الطهارة ومثله لا يقال من قبل الرأي وهو ظاهر في أن ذلك من خصائصه ﷺ.

(**فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ**) ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد

---

(1) أطرافه 4964، 5610، 6581، 7517 - تحفة 909.

أخرجه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول اللّه ﷺ إلى السموات. رقم 162.

قال الحافظ رحمه اللّه: قد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة، فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليله واحدة في «اليقظة» بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل، نعم جاء في بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم إلى أن ذلك كله وقع مرتين مرة في المنام توطئة وتمهيدًا، ومرة ثانية في اليقظة إلى آخر ما بسطه الحافظ، وبسط مولانا محمد حسن المكي الكلام على حديث الباب فقال قوله: (قبل أن يوحى) فيه أن المعراج كان بعد الوحي لا قبله قوله، وهو نائم، فيه أنه كان نائمًا في بيته بيت أم هانىء لا في المسجد وهو قوله (أيهم هو) فيه أنه كان نائمًا وحده ما كان معه غيره ليلة المعراج قوله (حتى جاؤوا ليلة أخرى) فيه أن معراجه كان تلك الليلة لا في الليلة الثانية وقوله (نائم عيناه) يدل على أن معراجه كان في النوم وليس كذلك بل كان في اليقظة، فهذا الحديث قد أخطأ فيه شريك في خمسة مواضع ويمكن تصحيحه بأن قوله (جاء ثلاثة نفر) إلى قوله (فكانت تلك) قصة أخرى غير قصة المعراج فكان النبي ﷺ في تلك الليلة نائمًا في المسجد بين علي وحمزة وكانت تلك القصة قبل الوحي أي: قبل تتابع الوحي أو قبل مطلق الوحي، وقوله: خذوا خيرهم ليس لأن يعرج به إلى السماء بل لتكريمه وقوله (حتى جاؤوا) =

25 ـ باب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإسْلامِ[1]

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الإيمان.

تتمة:

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: قد جاء فِي رِوَايَةِ شريك أوهام أنكرها العلماء منها أنه قَالَ قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه وشريك ليس بالحافظ وهو منفرد به عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ وسائر الحفاظ لم يرووا عنه ذلك كذا قَالَ الْكِرْمَانِيّ وقد تقدم ما يتعلق بذلك. واللّه سبحانه أعلم.

25 ـ باب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإسْلامِ

(باب عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإسْلامِ) العلامات جمع علامة والمراد المعجزات

= إلى آخره قصة المعراج وكان هذا المجيء بعد ست سنين قد أوحي إليه وقوله: (نائم عيناه) أي: أنه كان نائمًا في بيت أم هانئ فأخذه الملك نائما ولم يستيقظ حتى ذهب به الملك إلى بئر زمزم في المسجد الحرام فشق صدره هناك، ثم عرج به جبريل إلى السماء، وانفصل عنه الملكان الآخران اللذان كانا معه فمضيا لسبيلهما وانفرد به جبريل، وفي الحاشية بعض هذا التفصيل، اهـ. أي: حاشية المطبوعة الهندية.

(1) قال الحافظ: العلامات جمع علامة، عبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن، وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها، والهاء فيه للمبالغة، وأشهر معجزاته ﷺ القرآن لأنه ﷺ تحدى به العرب وهم أفصح الناس لسانًا، وأشدهم اقتدارًا على الكلام، بأن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا مع شدة عداوتهم له، حتى قال بعض العلماء: أقصر سورة في القرآن، ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾، فكل قرآن من سورة أخرى كان قدر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾، سواء كان آية أو أكثر أو بعض آية فهو داخل فيما تحداهم به، وعلى هذا فتحصل معجزات القرآن من هذه الحيثية إلى عدد كثير جدًّا، ثم بسط الكلام على وجوه إعجاز القرآن وذكر معجزات أخر غير القرآن، ثم قال: ذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين، وقال البيهقي في المدخل: بلغت ألفًا، وقال الزاهدي من الحنفية: ظهر على يديه ألف معجزة، وقيل ثلاثة آلاف، وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة كأبي نعيم والبيهقي وغيرهما، انتهى مختصرًا.

قلت: وكذا بسطها السيوطي في الخصائص، والقسطلاني في المواهب، ثم قال الحافظ: قوله في الإسلام أي: من حين المبعث، وهلم جرا، دون ما وقع قبل ذلك، وقد جمع ما وقع =

الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ الظاهرة في زمان الاسلام وإنما لم يقل معجزات النبوة ليكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة فإن العلامة أعم منها ومن الكرامة والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النَّبِيّ ﷺ من يكذبه بأن يقول إن فعلت كذلك أتُصدق بأني صادق أو يقول من يتحداه لا أصدقك حتى تفعل كذا ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن وسميت المعجزة لعجز من يقع عند ذلك عن معارضته والهاء فيها للمبالغة أو هي صفة محذوف.

وأشهر معجزات النَّبِيّ ﷺ القرآن لأنه ﷺ تحدى به العرب وهم أفصح الناس لسانًا وأشدهم اقتدارًا على أساليب الكلام بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه حتى قَالَ بعض العلماء: أقصر سورة في القرآن ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1] فكل قرآن من سورة أخرى كان قدر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ سواء كان آية أو أكثر أو بعض آية فهو داخل فيما تحداهم به وعلى هذا فتصل معجزات القرآن من هذه الحيثية إلى عدد كثير جدًّا ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز وبلاغة ظاهرة جدًّا مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ولم يعلم أن النَّبِيّ ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم وبما سيقع فوقع على وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سامعه وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه مع تيسر حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه ولا ينكر شَيْئًا من ذلك إلا جاهل أو معاند ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبي ﷺ القرآن ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه

= من ذلك قبل المبعث بل قبل المولد «الحاكم» في الإكليل، وأبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى، وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة، ثم بسط الحافظ في ذكر بعض علامات النبوة الواردة عند مولده ﷺ وقبله وبعده.

مع استمرار الإعجاز وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه فكان في ذلك أوضح معجزة.

(وأما) ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالًّا على صدقه من غير سبق تحد ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع أن كثيرًا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظري لما كان مستبعدًا وهو أنه لا مرية أن رواة الأخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة ولا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الإنكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لأن مجموعهم محفوظ من الإغضاء على الباطل وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم إنكار أو طعن على بعض من روى شَيْئًا من ذلك فإنما هو من جهة توقف في صدق الراوي أو تهمته بكذب أو توقف في ضبطه ونسبته إلى سوء الحفظ أو جواز الغلط إذ لا يوجد أحد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الأحكام والآداب وحروف القرآن ونحو ذلك وقد قرر القاضي عياض ما تقدم من وجود إفادة القطع في بعض الأخبار عند بعض العلماء دون بعض تقريرًا حسنًا ومثل ذلك بأن الفقهاء من أصحاب مالك قد تواتر عندهم النقل أن مذهبه إجزاء النية من أول رمضان خلافًا للشافعي في إيجابه لها في كل ليلة وكذا إيجاب مسح جميع الرأس في الوضوء خلافًا للشافعي في إجزاء بعضه وأن مذهبهما معًا إيجاب النية في أول الوضوء واشتراط الولي في النكاح خلافا لأبي حنيفة ونجد العدد الكثير والجم الغفير من الفقهاء من لا يعرف ذلك من خلافهم فضلًا عمن لم ينظر في الفقه وهو أمر واضح وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثم قوله (في الإسلام) أي: من حين المبعث وهلم جرًّا دون ما وقع قبل ذلك وقد جمع ما وقع من ذلك قبل المبعث بل قبل المولد الحاكم في الإكليل وأبو سَعِيد النيسابوري في شرف المصطفى وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة.

وسيأتي منه في هذا الكتاب في قصة زيد بن عمرو بن نفيل في خروجه في ابتغاء الدين.

ومضى منه قصة ورقة بن نوفل وسلمان الفارسي.

ومن مشهور ذلك قصة بحيرا الراهب وهي في السيرة لابن إسحاق.

وروى أَبُو نعيم في الدلائل من طريق شعيب أي: ابن مُحَمَّد بن عَبْد اللّه بن عمرو بن العاص عَنْ أَبِيهِ عن جده قَالَ: كان بمر الظهران راهب يدعى عيصا فذكر الحديث.

وفيه: أنه أعلم عَبْد اللّه بن عبد المطلب ليلة ولد له النَّبِيّ ﷺ بأنه نبي هذه الأمة وذكر له أشياء من صفته.

وروى الطبراني من حديث معاوية بن أبي سُفْيَان عَنْ أَبِيهِ: أن أمية بن أبي الصلت قَالَ له إني أجد في الكتب صفة نبي يبعث من بلادنا وكنت أظن أني هو ثم ظهر لي أنه من بني عبد مناف قَالَ فنظرت فلم أجد فيهم من هو متصف بأخلاقه إلا عتبة بن ربيعة إلا أنه جاوز الأربعين ولم يوح إليه فعرفت أنه غيره قَالَ أَبُو سُفْيَان فلما بعث مُحَمَّد ﷺ قلت لأمية عنه فَقَالَ أما إنه حق فاتبعه فقلت له فأنت ما يمنعك قَالَ الحياء من نساء ثقيف أني كنت أخبرهن أني هو ثم أصير تبعًا لفتى من بني عبد مناف.

وروى ابن أبي إسحاق من حديث سلمى بن سلامة بن وقش وَأَخْرَجَهُ أَحْمَد وصححه ابن حبان من طريقه قَالَ كان لنا جار من اليهود بالمدينة فخرج علينا قبل البعثة بزمان فذكر الحشر والجنة والنار فقلنا له وما آية ذلك قَالَ خروج نبي يبعث من هذه البلاد وأشار إلى مكة فقالوا متى يقع ذلك قَالَ فرمى بطرفه إليَّ وأنا أصغر القوم إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قَالَ فما ذهبت الأيام والليالي حتى بعث اللّه نبيه ﷺ وهو حي فآمنا به وكفر هو بغيًا وحسدًا.

وروى يعقوب بن سُفْيَان بإسناد حسن عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها النَّبِيّ ﷺ قَالَ يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قَالَ انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة لا يرضع ليلتين لأن عفريتًا من الجن وضع يده على فمه فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد اللَّه بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم إلى أمه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خرَّ مغشيًّا عليه.

وَقَالَ: ذهبت النبوة من بني إسرائيل يا معشر قريش أما واللَّه ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب ومما ظهر من علامات نبوته عند مولده وبعده ما أخرج الطبراني عن عثمان بن أبي العاص الثقفي عن أمه أنها حضرت آمنة أم النَّبِيّ ﷺ فلما ضربها المخاض قالت فجعلت أنظر إلى النجوم تدلى حتى أقول لتقعن عليَّ فلما ولدت خرج منها نور أضاء البيت والدار وشاهده حديث العرباض بن سارية قَالَ سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول: «**إني عَبْد اللَّه وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبي إِبْرَاهِيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت**» وكذلك أمهات النبيين يرين وإن أم رَسُول اللَّه ﷺ رأت حين وضعت نورًا أضاءت له قصور الشام أَخْرَجَهُ أَحْمَد وصححه ابن حبان والحاكم وفي حديث أبي أسامة عند أَحْمَد نحوه وأخرج ابن أبي إسحاق عن ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رَسُول اللَّه ﷺ نحوه وقالت أضاءت له بصرى من أرض الشام.

وروى ابن حبان والحاكم في قصة رضاعه ﷺ من طريق ابن إسحاق بإسناده إلى حليمة السعدية الحديث بطوله وفيه من العلامات كثرة اللبن في ثدييها ووجود اللبن في شارفها بعد الهزال الشديد وسرعة مشي حمارها وكثرة اللبن في شياهها بعد ذلك وخصب أرضها وسرعة نباته وشق الملكين صدره وهذا الأخير أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من حديث أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن النَّبِيّ ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فَقَالَ هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم جمعه فأعاده مكانه

3571 - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ زَرِيرٍ، سَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَأَدْلَجُوا لَيْلَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ عَرَّسُوا، فَغَلَبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ لا يُوقَظُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ، فَقَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ،

الحديث وفي حديث مخزوم بن هانئ المخزومي عَنْ أَبِيهِ وكان قد أتت عليه خمسون ومائة سنة قَالَ لما كانت الليلة التي ولد فيها رَسُول اللَّه ﷺ انكسر إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان إبلًا صعابًا تقود خيلًا عرابًا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى أفزعه ما وقع فسأل علماء أهل مملكته عن ذلك فأرسلوا إلى سطيح فذكر القصة بطولها أخرجها ابن السكن وغيره في معرفة الصحابة.

(**حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ**) هشام بن عبد الملك الطيالسي قَالَ: (**حَدَّثَنَا سَلْمُ**) بفتح السين المهملة وسكون اللام.

(**ابْنُ زَرِيرٍ**) بفتح الزاي وكسر الراء الأولى وقد مر في بدء الخلق قَالَ: (**سَمِعْتُ أَبَا رَجَاءٍ**) ضد الخوف وهو عمران بن لمحان العطاردي البصري أدرك زمان النَّبِيّ ﷺ بعد الفتح ولم ير النَّبِيّ ﷺ ولم يهاجر إليه.

(**قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَأَدْلَجُوا**) من الإدلاج يقال أدلج القوم إذا ساروا أول الليل وإذا ساروا يقال ادّلجوا بتشديد الدال.

(**لَيْلَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ وَجْهُ الصُّبْحِ**) ويروى: حتى إذا كان وجه الصبح (**عَرَّسُوا**) من التعريس وهو نزول القوم آخر الليل يقفون فيه وقفة للاستراحة.

(**فَغَلَبَتْهُمْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَبُو بَكْرٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**وَكَانَ لا يُوقَظُ**) على البناء للمفعول (**رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، فَاسْتَيْقَظَ عُمَرُ، فَقَعَدَ أَبُو بَكْرٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**عِنْدَ رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ حَتَّى اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ**) وقد تقدم في كتاب التيمم أن

فَنَزَلَ وَصَلَّى بِنَا الغَدَاةَ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا فُلانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا؟» قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ، ثُمَّ صَلَّى، وَجَعَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَكُوبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ، إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ رِجْلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ، فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ المَاءُ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ لا مَاءَ، فَقُلْنَا: كَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ المَاءِ؟ قَالَتْ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، فَقُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا حَتَّى اسْتَقْبَلْنَا بِهَا النَّبِيَّ ﷺ، فَحَدَّثَتْهُ بِمِثْلِ الَّذِي حَدَّثَتْنَا، غَيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤْتِمَةٌ،

عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ هو الذي كان يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النَّبِيّ ﷺ وكذا وقع في مسلم في الصلاة من حديث عوف الأعرابي عن أبي رجاء أن عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كان رجلًا جليدًا فكبر ورفع صوته بالتكبير حتى استيقظ رَسُول اللَّه ﷺ ولا منافاة للجمع بينهما لاحتمال أن كلًّا منهما فعل ذلك.

(**فَنَزَلَ وَصَلَّى بِنَا الغَدَاةَ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا فُلانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا؟» قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ، ثُمَّ صَلَّى، وَجَعَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَكُوبٍ**) بالضم جمع راكب وبفتحها ما يركب.

(**بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ**) وَفِي رِوَايَةٍ: مع رَسُول اللَّه ﷺ (**إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ**) أي: مرسلة (**رِجْلَيْهَا**) يقال سدل الرجل ثوبه إذا أرخاه (**بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ**) تثنية مزادة بفتح الميم وتخفيف الزاي وهي الراوية وسميت بها لأنها يزاد فيها جلد آخر من غيرها ولهذا قيل إنها أكبر من القربة.

(**فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ المَاءُ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ**) بلفظ الحروف المشبهة بالفعل ويروى أيها.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيّ: ومن العرب من يقول أيها بفتح الهمزة بمعنى هيهات ويروى أيهات على وزن هيهات ومعناه.

(**لا مَاءَ، فَقُلْنَا: كَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ المَاءِ؟ قَالَتْ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، فَقُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا حَتَّى اسْتَقْبَلْنَا بِهَا النَّبِيَّ ﷺ، فَحَدَّثَتْهُ بِمِثْلِ الَّذِي حَدَّثَتْنَا، غَيْرَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا مُؤْتِمَةٌ**) أي: ذات

فَأَمَرَ بِمَزَادَتَيْهَا، فَمَسَحَ فِي العَزْلاوَيْنِ، فَشَرِبْنَا عِطَاشًا أَرْبَعِينَ رَجُلًا حَتَّى رَوِينَا، فَمَلأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا، وَهِيَ تَكَادُ تَنِضُّ مِنَ المِلْءِ، .....

أيتام من أيتمت المرأة إذا صار أولادها أيتامًا فهي مؤتِمة بكسر التاء ويروى بفتحها.

(**فَأَمَرَ بِمَزَادَتَيْهَا، فَمَسَحَ فِي العَزْلاوَيْنِ**) تثنية عزلاء بسكون الزاي وبالمد وهو فم القربة والجمع عزالى بكسر اللام الخفيفة كذا قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: العزلاء فم المزادة الأسفل كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ في العزلاوين وَفِي رِوَايَةِ غيره في العزلاوتين.

(**فَشَرِبْنَا عِطَاشًا**) أي: حال كوننا عطاشًا.

(**أَرْبَعِينَ رَجُلًا**) بالنصب فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ وتوجيهها أنه بيان لقوله عطاشًا ويروى أربعون أي: ونحن حينئذ أربعون رجلًا.

(**حَتَّى رَوِينَا**) بكسر الواو من الري ويجوز فتحها.

(**فَمَلأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا، وَهِيَ تَكَادُ تَنِضُّ مِنَ المِلْءِ**) بكسر الموحدة بعدها معجمة ثقيلة أي: تسيل.

وَقَالَ ابن التين: تبض أي: تنشق فيخرج منه الماء يقال بض الماء من العين إذا نبع وكذا بض العرق وحكى القاضي عياض عن بعض الرواة بالصاد المهملة من البصيص وهو اللمعان.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ومعناه مستبعد هنا فإن في نفس الحديث تكاد تبض من الملء بكسر الميم وسكون اللام بعدها همزة فكونها تكاد تسيل من الملء ظاهر وأما كونها تلمع من الملء فبعيد أقول هو كناية عن شدة ملائها فلا بعد وروى تنض بالنون عوض الموحدة وروى أَبُو ذر عن الكُشْمِيْهَنِيّ تنصب من الانصباب ويروى تنضرج بالضاد المعجمة والراء والجيم أي: تنشق ويروى تيصر بمثناة مفتوحة بعدها تحتانية ساكنة وصاد مهملة ثم راء.

وذكر الشَّيْخ أَبُو الحسن أن معناه تنشق قَالَ ومنه صير الباب أي: شقه ورده ابن التين بأن صير عينه حرف علة فكان يلزم أن يقال تصير وليس هذا في شيء من الروايات.

ثُمَّ قَالَ: «هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ» فَجُمِعَ لَهَا مِنَ الكِسَرِ وَالتَّمْرِ، حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا، قَالَتْ: لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ، أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا زَعَمُوا، فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرْمَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ، فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا.

3572 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ، وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ، ....

(ثُمَّ قَالَ) أي: النَّبِيّ ﷺ: («هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ» فَجُمِعَ لَهَا مِنَ الكِسَرِ وَالتَّمْرِ، حَتَّى أَتَتْ أَهْلَهَا، قَالَتْ: لَقِيتُ أَسْحَرَ النَّاسِ، أَوْ هُوَ نَبِيٌّ كَمَا زَعَمُوا، فَهَدَى اللَّهُ ذَاكَ الصِّرْمَ) بكسر الصاد المهملة وسكون الراء وهو أبيات مجتمعة على الماء قال الخطابي: وفي الحديث أن آنية أهل الشرك طاهرة وأن الضرورة تبيح الماء المملوك لغيره على عوض وفيه بركة دعاء رَسُول اللّه ﷺ وبذلك يطابق الترجمة وقد مر الحديث في كتاب التيمم في باب الصعيد الطيب وضوء المسلم بأتم منه وأطول ومضى الكلام فيه هناك.

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قال: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ) هو مُحَمَّد بن أبي عدي واسم أبي عدي إِبْرَاهِيم البصري، (عَنْ سَعِيدٍ) هو ابن أبي عروبة، (عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: لم أره في رواية قتادة إلا معنعنًا لكن بقية الخبر تدل على أنه سمعه من أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ لقوله قلت كم كنتم لكن أَخْرَجَهُ أَبُو نعيم في الدلائل من طريق مكي بن إِبْرَاهِيم عن سَعِيد عن قتادة عن الحسن عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ فإن كان هذا محفوظًا اقتضى أن فِي رِوَايَةِ الصحيح انقطاعًا وليس كذلك لأن مكي بن إِبْرَاهِيم ممن سمع من سَعِيد بن أبي عروبة بعد الاختلاط.

(قَالَ: أُتِيَ) على البناء للمفعول (النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ، وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ) جملة حالية والزوراء بتقديم الزاي على الراء وبالمد موضع معروف بالمدينة عند السوق وزعم الدَّاوُودِيّ أنه كان مرتفعًا كالمنارة وكأنه أخذه من أمر عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ بالتأذين على الزوراء وليس ذلك بلازم بل الواقع أن المكان الذي أمر عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ بالتأذين فيه كان بالزوراء لا أنه الزوراء نفسها ووقع فِي رِوَايَةِ همام عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ شهدت النَّبِيّ ﷺ مع أصحابه عند الزوراء أو عند

فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، «فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ» قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلاثَمِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلاثِمِائَةٍ.

3573 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاةُ العَصْرِ، فَالْتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ، «فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ».

بيوت المدينة أَخْرَجَهُ أَبُو نعيم وعند أبي نعيم من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه هو الذي أحضر الماء وأنه أحضره إلى النَّبِيّ ﷺ من بيت أم سلمة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا وأنه رده بعد فراغهم إلى أم سلمة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا وفيه قدر ما كان أولًا.

(فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ) إما أنه يخرج من نفس الأصابع وينبع من ذاتها وإما أنه يكثر في ذاته فيفور من بين أصابعه وهو أعظم في الإعجاز من نبعه من الحجر لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروجه من بين اللحم والدم ويجوز في باء ينبع الضم والفتح والكسر.

(فَتَوَضَّأَ القَوْمُ قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنَسٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَلاثَمِائَةٍ، أَوْ زُهَاءَ ثَلاثِمِائَةٍ) بضم الزاي وبالمد أي: قدر ثلاثمائة مأخوذ من زهوت الشيء إذا حصرته ووقع عند الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق خالد بن الحارث عن سَعِيد قَالَ ثلاثمائة بالجزم بدون قوله زهاء.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاةُ العَصْرِ، فَالْتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ) على البناء للمفعول.

(رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ، «فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ») كلمة من ههنا بمعنى إلى وهي لغة.

3574 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُبَارَكٍ، حَدَّثَنَا حَزْمٌ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْضِ مَخَارِجِهِ، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَانْطَلَقُوا يَسِيرُونَ، فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً يَتَوَضَّؤُونَ، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَجَاءَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ يَسِيرٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَدَّ أَصَابِعَهُ الأَرْبَعَ عَلَى القَدَحِ ثُمَّ قَالَ: «قُومُوا فَتَوَضَّؤُوا» فَتَوَضَّأَ القَوْمُ حَتَّى بَلَغُوا فِيمَا يُرِيدُونَ مِنَ الوَضُوءِ، وَكَانُوا سَبْعِينَ أَوْ نَحْوَهُ».

3575 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ يَزِيدَ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ مِنَ ....

وَقَالَ الكوفيون: يجوز مُطْلَقًا وضع حروف الجر بعضها مقام بعض وهذا طريق آخر في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ، وقد مضى في كتاب الطهارة في باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُبَارَكٍ) أي: ابن عَبْدِ اللّه العبسي وهو من أفراده قَالَ: (حَدَّثَنَا حَزْمٌ) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي ابن أبي حزم واسمه مهران وقد وقع في بعض النسخ حزم بن مهران مات سنة خمس وسبعين ومائة.

(قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ) أي: البصري رَحِمَهُ اللّه، (قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ) ويروى: رَسُول اللّه (ﷺ فِي بَعْضِ مَخَارِجِهِ) أي: بعض أسفاره (وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ) جملة حالية.

(فَانْطَلَقُوا يَسِيرُونَ، فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً يَتَوَضَّؤُونَ، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَجَاءَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ يَسِيرٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَدَّ أَصَابِعَهُ الأَرْبَعَ عَلَى القَدَحِ ثُمَّ قَالَ: «قُومُوا فَتَوَضَّؤُوا» فَتَوَضَّأَ القَوْمُ حَتَّى بَلَغُوا فِيمَا يُرِيدُونَ مِنَ الوَضُوءِ، وَكَانُوا سَبْعِينَ أَوْ نَحْوَهُ) وهذا طريق ثالث من حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ والحديث من إفراده.

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ مُنِيرٍ) بضم الميم وكسر النون المَرْوَزِيّ أنه (سَمِعَ يَزِيدَ) من الزيادة هو ابن هارون بن مراد أن أبا خالد الواسطي قَالَ: (أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ مِنَ

الْمَسْجِدِ يَتَوَضَّأُ، وَبَقِيَ قَوْمٌ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ مَاءٌ، «فَوَضَعَ كَفَّهُ، فَصَغُرَ الْمِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَضَمَّ أَصَابِعَهُ فَوَضَعَهَا فِي الْمِخْضَبِ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ جَمِيعًا» قُلْتُ: كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: ثَمَانُونَ رَجُلًا.

الْمَسْجِدِ يَتَوَضَّأُ، وَبَقِيَ قَوْمٌ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِخْضَبٍ) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمية وفتح الضاد المعجمية المركن وهو إناء من حجارة يغسل فيها ويسمى الإجانة أَيْضًا.

(**مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ مَاءٌ، «فَوَضَعَ كَفَّهُ، فَصَغُرَ الْمِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَضَمَّ أَصَابِعَهُ فَوَضَعَهَا فِي الْمِخْضَبِ فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ جَمِيعًا» قُلْتُ: كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: ثَمَانُونَ رَجُلًا**) وهذا طريق رابع في حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ الأول عن قتادة والثاني عن إسحاق والثالث عن الحسن والرابع عن حميد وقد تقدم عنده في الطهارة من رواية ثابت كلهم عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ وعند بعضهم ما ليس عند بعض ففيها مغايرة واضحة في المتن وتعيين المكان وعدد من حضر وغير ذلك يبعد الجمع بينها فالظاهر تعدد القصة وسيأتي إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى في غير حديث أنس أنها كانت في مواطن أخرى.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: قصة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد ومن التواتر المعنوي قَالَ ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قَالَ نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضرب مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى.

وقد تقدم الإشارة إليه أَيْضًا آنفًا فظاهر كلام الْقُرْطُبِيّ والمزني أن الماء نبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع ويؤيده قوله في حديث جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ الآتي فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه ويحتمل أن يكون المراد كما تقدم أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة إليه رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه ﷺ في الماء فيراه الرائي نابعًا من بين أصابعه والأول أبلغ في

3576 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ ....

المعجزة وليس في الأخبار ما يرده فهو أولى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا وقد وقع عند أبي نعيم فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الله بن عمر عن ثابت عن أنس رَضِيَ الله عَنْهُ أن النَّبِيّ ﷺ خرج إلى قبا فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير ووقع في حديث جابر رَضِيَ الله عَنْهُ الآتي التصريح بأن ذلك كان في سفر ففي رواية نبيح العزي عند أَحْمَد عن جابر رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ سافرنا مع رَسُول الله ﷺ فحضرت الصلاة فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**ما في القوم من طهور**» فجاء بفضلة في إداوة فصبه في قدح فتوضأ رَسُول الله ﷺ ثم إن القوم أتوا ببقية الطهور فقالوا تمسحوا تمسحًا فسمعه رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: «**على رسلكم**» فضرب يده في القدح في جوف الماء ثم قَالَ: «**أسبغوا الطهور**» قَالَ جابر رَضِيَ الله عَنْهُ فوالذي أذهب بصري لقد رأيت الماء يخرج من بين أصابع رَسُول الله ﷺ حتى توضؤوا أجمعون قَالَ حسبته قَالَ كنا مائتين وزيادة وجاء عن جابر رَضِيَ الله عَنْهُ قصة أخرى أخرجها مسلم من وجه آخر عنه في أواخر الكتاب في حديث طويل فيه أن الماء الذي أحضروه له كان قطرة في إناء من جلد لو أفرغها لشربها يابس الإناء والذي أحضروه له هنا كان قطرة ماء غيرها قَالَ فأخذه النَّبِيّ ﷺ فتكلم وغمز بيده ثم قَالَ ناد بجفنة الركب فَقَالَ بيده في الجفنة فبسطها ثم فرق أصابعه ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فأتى الناس فاستسقوا حتى رووا فرفع يده من الجفنة وهي ملأى وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استبقى منه.

(**حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ**) التبوذكي قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ**) أَبُو زيد القسملي المَرْوَزِيّ سكن البصرة قَالَ: (**حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ**) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ابن عبد الرحمن السلمي الكوفي، (**عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الجَعْدِ**) بفتح الجيم وسكون العين المهملة واسم أبي جعد أرفع الأشجعي الكوفي، (**عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) أنه (**قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ**) وهي

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلا نَشْرَبُ إِلا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مائَةً.

غزوة الحديبية وكانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف والحديبية بضم الحاء المهملة مثال دويهية وهي بئر على مرحلة من مكة مما يلي المدينة.

وَقَالَ الخطابي: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت هناك.

وَقَالَ ابن إسحاق: خرج رَسُول اللّه ﷺ في ذي القعدة معتمرًا لا يريد حربًا وخرج معه ناس من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وكان معه من الهدي سبعون بدنة وكانوا خمس عشرة مائة على ما ذكره جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ وعن البراء كنا مع النَّبِيّ ﷺ أربع عشرة مائة رواه الْبُخَارِيّ أَيْضًا كما سيأتي في الحديث الآتي.

وَقَالَ ابن إسحاق: كانوا سبعمائة وإنما قَالَ كذلك تفقها من تلقاء نفسه من حيث إن البدن كانت سبعين بدنة.

(**وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ**) بفتح الراء وهي إناء صغير من جلد يشرب منها الماء والجمع ركى.

(**فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ**) بفتح الجيم والهاء بعدها شين معجمة وهو فعل ماض والناس فاعله ومعناه أسرعوا (**نَحْوَهُ**) لأخذ الماء والفاء في أوله رواية الْكُشْمِيْهَنِيّ وَفِي رِوَايَةِ غيره بدون الفاء.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وجهش من الجهش وهو أن يفزع الإنسان إلى غيره ويريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء.

(**فَقَالَ «مَا لَكُمْ؟» قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلا نَشْرَبُ إِلا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ**) بالمثلثة فِي رِوَايَةِ الأكثرين وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيْهَنِيّ بالفاء وهما بمعنى واحد.

(**بَيْنَ أَصَابِعِهِ، كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: لو كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مائَةً**) كان القياس أن يقال ألفًا وخمسائة لكن قد

3577 - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا، حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ البِئْرِ «فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي البِئْرِ» فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا، وَرَوَتْ، أَوْ صَدَرَتْ رَكَائِبُنَا.

يستعمل بترك الألف واعتبار المئات أَيْضًا وكذا الكلام فِي رِوَايَةِ البراء كنا بالحديبية أربع عشرة مائة ثم إنه وقع في الأشربة من طريق الأَعْمَش عن سالم أن ذلك لما حضرت صلاة العصر.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في المغازي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فيه وَالنَّسَائِيّ في الطهارة والتفسير.

(**حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ**) قال: (**أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ**) هو ابن يُونُس بن أبي إسحاق، (**عَنْ**) جده (**أَبِي إِسْحَاقَ**) عمرو بن عبد اللَّه السبيعي، (**عَنِ البَرَاءِ**) أي: ابن عازب (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً**) قال ابن المسيب وعلى هذا مالك وأكثر الرواة ورواية كنا خمس عشرة مائة وهم فإذا كان أكثر الرواة على أربع عشرة مائة يحمل قول من يزيد مائة وكذا يحمل قول من قَالَ كانوا ثلاث عشرة مائة بنقص مائة على عدد من انضم إلى المهاجرين والأنصار من العرب فمنهم من جعل المضافين إليهم مائة ومنهم من جعل المهاجرين والأنصار ثلاث عشرة مائة ولم يعدوا المضافين إليهم لكونهم أتباعًا، واللَّه سبحانه وتعالى اعلم.

(**وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا، حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ البِئْرِ**) أي: حد وطرفه (**«فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي البِئْرِ» فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا**) بكسر الواو ويجوز فتحها.

(**وَرَوِيتْ**) ويروى: وروت (**أَوْ صَدَرَتْ**) أي: رجعت شك من الراوي.

(**رَكَائِبُنَا**) بكسر الراء وهي الإبل التي تحمل القوم.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

3578 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَن إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، ....

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مَالِكٌ**) الإمام، (**عَن إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**يَقُولُ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ**) هو زيد بن سهل الأَنْصَارِيّ زوج أم سليم والدة أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد اتفقت الطرق على أن الحديث المذكور من مسند أنس رضي اللَّه تَعَالَى عنه وقد وافقه على ذلك أخوه لأمه عَبْدُ اللَّه بن أبي طلحة فرواه مطولاً عَنْ أَبِيهِ أَخْرَجَهُ أَبُو يعلى من طريقه بإسناد حسن وأوله عن أبي طلحة قَالَ دخلت المسجد فعرفت في وجه رَسُول اللَّه ﷺ الجوع، الحديث.

والمراد بالمسجد الموضع الذي أعده النَّبِيّ ﷺ للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق.

(**لأُمِّ سُلَيْمٍ**) واسمها سهلة أو غيرها على اختلاف فيه (**لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ**) فيه العمل على القرائن وعند أَحْمَد من رواية مبارك بن فضالة عن بكر بن عَبْدِ اللَّه وثابت عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن أبا طلحة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ رأى رَسُول اللَّه ﷺ طاويًا وعند أبي يعلى من طريق مُحَمَّد ابن سيرين عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رَسُول اللَّه ﷺ طعام فذهب فأجر نفسه بصاع من شعير بعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به الحديث وَفِي رِوَايَةِ مسلم وأبي يعلى من رواية عمرو بن عَبْدِ اللَّه بن أبي طلحة وهو أخو إسحاق راوي الحديث عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ رأى أَبُو طلحة رَسُول اللَّه ﷺ مضطجعًا يتقلب ظهر البطن.

وَفِي رِوَايَةِ لمسلم من طريق يعقوب بن عَبْدِ اللَّه بن أبي طلحة عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ جئت رَسُول اللَّه ﷺ فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة فأخبرته فدخل على أم سليم فَقَالَ هل من شيء، الحديث.

وعند أبي نعيم من رواية مُحَمَّد بن كعب عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ جاء

فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلاثَتْنِي بِبَعْضِهِ،

أَبُو طلحة إلى أم سليم فَقَالَ أعندك شيء فإني مررت على رَسُول اللّه ﷺ وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرًا من الجوع.

(فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ) وعند أَحْمَد من رواية مُحَمَّد بن سيرين عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ عمدت أم سليم إلى نصف مد من شعير فطحنته وَفِي رِوَايَةِ للبخاري تأتي من هذا الوجه ومن غيره عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن أمه أم سليم رَضِيَ اللّه عَنْهَا عمدت إلى مد من شعير جرشته ثم عملته وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَد ومسلم من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عنه أتى أَبُو طلحة بمد من شعير فأمر به فصنع طعامًا ولا منافاة بين ذلك لاحتمال تعدد القصة أو أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ويمكن الجمع بأن يكون الشعير في الأصل كان صاعا فردت بعضه لعيالهم وبعضه للنبي ﷺ قَالَ ويدل على التعدد ما بين العصيدة والخبز المفتوت الملتوت بالسمن من المغايرة وقد وقع لأم سليم رَضِيَ اللّه عَنْهَا في شيء صنعته للنبي ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش رَضِيَ اللّه عَنْهَا قريب من هذه القصة من تكثير الطعام وإدخال عشرة عشرة كما سيأتي في مكانه في الوليمة من كتاب النكاح إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ووقع عند أَحْمَد فِي رِوَايَةِ ابن سيرين عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عمدت أم سليم رَضِيَ اللّه عَنْهَا إلى نصف مد من شعير فطحنته ثم عمدت إلى عكة فيها شيء من سمن فاتخذت منه خطيفة، الحديث والخطيفة هي العصيدة وزنًا ومعنى.

(ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي) قَالَ الْعَيْنِيّ: يقال دس الشيء يدسه دسًا إذا أدخله في الشيء بقهر وقوة.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: يقال دسست الشيء أخبيته.

(وَلاثَتْنِي بِبَعْضِهِ) أي: لفتني به يقال لاث العمامة على رأسه أي: عصبها وأصله من اللوث بالمثلثة وهو اللف ومنه لاث به الناس إذا استداروا حوله وأحاطوا به والمراد أنها لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه ووقع في

ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، ....

الأطعمة للبخاري عن إِسْمَاعِيل بن أبي أويس عن مالك في هذا الحديث فلفت الخبز ببعضه ودست الخبز تحت ثوبي وردتني ببعضه.

(**ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ**) أي: قال أنس رضي اللّه عنه: فذهبت بالخبز الذي أرسله أبو طلحة وأم سليم رضي اللّه عنهما (**فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آرْسَلَكَ**) بهمزة ممدودة لاستفهام على سبيل الاستخبار.

(**أَبُو طَلْحَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِطَعَامٍ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ**) ظاهره أن النَّبِيّ ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله فلذلك قَالَ لمن عنده قوموا وأول الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس فيجمع بأنهما أرادا بإرسال الخبز مع أنس أن يأخذه النَّبِيّ ﷺ فيأكله، فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حول النَّبِيّ ﷺ استحيى وظهر له أن يدعو النَّبِيّ ﷺ ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه ويحتمل أن يكون ذلك عن رأي من أرسله عهد إليه إذا رأى كثرة الناس أن يستدعي النَّبِيّ ﷺ وحده خشية أن لا يكفيهم ذلك الشيء إياه ومن معه وقد عرفوا إيثار النَّبِيّ ﷺ وأنه لا يأكل وحده وقد وجد أكثر الروايات يقتضي أن أبا طلحة استدعى النَّبِيّ ﷺ في هذه الواقعة ففي رواية سعد بن سَعِيد عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بعثني أَبُو طلحة إلى النَّبِيّ ﷺ لأدعوه وقد جعل له طعامًا.

وَفِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: أمر أَبُو طلحة أم سليم أن تصنع للنبي ﷺ لنفسه خاصة ثم أرسلتني إليه.

وَفِي رِوَايَةِ يعقوب بن عَبْدِ اللَّه بن أبي طلحة عن أنس: فدخل أَبُو طلحة على أمي فَقَالَ هل من شيء فقالت نعم عندي كسر من خبز فإن جاءنا رَسُول اللَّه ﷺ

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْم قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، ....

وحده أشبعناه وإن جاء أحد معه قل عنهم وجميع ذلك عند مسلم.

وَفِي رِوَايَةِ مبارك بن فضالة المذكورة أن أبا طلحة رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ أعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعو رَسُول اللّه ﷺ فيأكل عندنا ففعلت فقالت ادع رَسُول اللّه ﷺ.

وَفِي رِوَايَةِ يعقوب بن عَبْدِ اللّه بن أبي طلحة عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند أبي نعيم وأصله عند مسلم فَقَالَ لي أَبُو طلحة يا أنس اذهب فقم قريبًا من رَسُول اللّه ﷺ فإذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه فقل له إن أبي يدعوك.

وفي رواية عمرو بن عَبْدِ اللّه بن أبي طلحة عند أبي يعلى عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ لي أَبُو طلحة اذهب فادع رَسُول اللّه ﷺ وعند الْبُخَارِيّ في الأطعمة من رواية ابن سيرين عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ ثم بعثني إلى رَسُول اللّه ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فدعوته وعند أَحْمَد من رواية النضر بن أنس عَنْ أَبِيهِ قالت لي أم سليم اذهب إلى رَسُول اللّه ﷺ فقل له إن رأيت أن تغدى عندنا فافعل.

وَفِي رِوَايَةِ عمرو بن يَحْيَى المازني عَنْ أَبِيهِ عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند البغوي فَقَالَ أَبُو طلحة اذهب يا بني إلى النَّبِيّ ﷺ فادعه قَالَ فجئته فقلت له إن أبي يدعوك، الحديث.

وَفِي رِوَايَةِ مُحَمَّد بن كعب فَقَالَ يا بني اذهب إلى رَسُول اللّه ﷺ فادعه ولا تدع معه غيره ولا تفضحني.

ثم فِي رِوَايَةِ مُحَمَّد بن كعب فَقَالَ للقوم انطلقوا فانطلقوا وهم ثمانون رجلًا وَفِي رِوَايَةِ يعقوب فلما قلت له إن أبي يدعوك قَالَ لأصحابه يا هؤلاء تعالوا ثم أخذ بيدي فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى إذا دنوا أرسل يدي فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء معه.

(فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟) أي: قدر ما يكفيهم (فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) كأنها عرفت أنه

فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْم، مَا عِنْدَكِ» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً ....

فعل ذلك عمدًا ليظهر الكرامة والمعجزة في تكثير ذلك الطعام ودل ذلك على فطنة أم سليم ورجحان عقلها.

(**فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ**) وفي رواية مبارك بن فضالة فاستقبله أَبُو طلحة فَقَالَ يا رَسُول اللّه ما عندنا إلا قرص عملته أم سليم.

وَفِي رِوَايَةِ سعد بن سَعِيد فَقَالَ أَبُو طلحة إنما صنعت لك شَيْئًا ونحوه فِي رِوَايَةِ ابن سيرين.

وَفِي رِوَايَةِ عمرو بن عَبْدِ اللَّه فقال أبو طلحة: إنما هو قرص، فقال: إن اللّه سيبارك به.

وفي رواية يعقوب فقال أبو طلحة: يا رسول اللّه إنما أرسلت أنسًا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فَقَالَ ادخل فإن اللّه سيبارك فيما عندك.

وَفِي رِوَايَةِ النضر بن أنس عن أنس فدخلت على أم سليم وأنا مندهش وَفِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن أبي ليلى أن أبا طلحة قَالَ يا أنس فضحتنا وللطبراني في الأوسط فجعل يرميني بالحجارة.

(**فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْم، مَا عِنْدَكِ»**) كذا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عن الكُشْمِيْهَنِيّ وَفِي رِوَايَةِ غيره: هلم وهي لغة حجازية فإن عندهم لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَالْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: 18] والمراد بذلك طلب ما عندهما.

(**فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً**) بضم العين المهملة وتشديد الكاف إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبًا والعسل.

وَفِي رِوَايَةِ مبارك بن فضالة فَقَالَ هل من سمن فَقَالَ أَبُو طلحة قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رَسُول اللّه ﷺ به سبابته ثم مسح القرص فانتفخ وَقَالَ بسم اللّه فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى

فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ:

رأيت القرص في الجفنة يتميع.

وَفِي رِوَايَةِ سعد بن سَعِيد فمسها رَسُول اللّه ﷺ ودعا فيها بالبركة.

وَفِي رِوَايَةِ النضر بن أنس فجئت بها ففتح رباطها ثم قَالَ بسم اللّه اللّهم أعظم فيها البركة وعرف بهذا المراد بقوله: فقال فيها ما شاء اللّه أن يقول: (**فَأَدَمَتْهُ**) أي: صيرت ما خرج من العكة للمفتوت إداما يقال أدم فلان الخبز باللحم يأدمه بالكسر.

وَقَالَ الخطابي: أدمته أي: أصلحته بالإدام.

(**ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»**) أي: ائذن بالدخول لعشرة أنفس.

(**فَأَذِنَ لَهُمْ**) إنما الإذن لعشرة ليكون أرفق بهم وظاهره أنه ﷺ دخل منزل أبي طلحة وحده وجاء ذلك صريحًا فِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن أبي ليلى ولفظه فلما انتهى رَسُول اللّه ﷺ إلى الباب فَقَالَ لهم اقعدوا ودخل الحديث فإن قيل فِي رِوَايَةِ يعقوب أدخل عليَّ ثمانية فما زال حتى دخل عليه ثمانون رجلًا ثم دعاني ودعا أمي وأبا طلحة فأكلنا حتى شبعنا.

فالجواب أنه يحمل على تعدد القصة وأكثر الروايات عشرة فيها أنه أدخلهم عشرة عشرة سوى هذه فَقَالَ إنه أدخلهم ثمانية ثمانية وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(**فَأَكَلُوا حَتَّى**) شَبِعُوا وَفِي رِوَايَةِ مبارك بن فضالة فوضع يده وسط القرص.

وَقَالَ كلوا بسم اللّه فأكلوا من حوالي القصعة حتى (**شَبِعُوا**).

وَفِي رِوَايَةِ بكر بن عَبْدِ اللّه فَقَالَ لهم: كلوا من بين أصابعي.

ثُمَّ (**خَرَجُوا**) وَفِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم قَالَ لهم قوموا وليدخل عشرة مكانكم.

(**ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ:**

«ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا».

«ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا) كذا وقع بالشك هنا وفي غير هذا الموضع الجزم بالثمانين كما تقدم من رواية مُحَمَّد بن كعب وغيره.

وَفِي رِوَايَةِ مبارك بن فضالة: حتى أكل منه بضعة وثمانون رجلًا.

وَفِي رِوَايَةِ عبد الرحمن بن أبي ليلى: حتى فعل ذلك بثمانين رجلًا ثم أكل النَّبِيّ ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا أي: فضلًا وفي روايته عند أَحْمَد قلت كم كانوا قَالَ كانوا نيفًا وثمانين قَالَ وأفضل لأهل البيت ما يشبعهم ولا منافاة بينهما لاحتمال أن يكون ألغي الكسر ولكن وقع فِي رِوَايَةِ ابن سيرين عند أَحْمَد حتى أكل منها أربعون رجلًا وبقيت كما هي وهذا يؤيد التغاير الذي أشرت إليه وأن القصة التي رواها ابن سيرين غير القصة التي رواها غيره وزاد مسلم فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللّه بن عَبْدِ اللّه بن أبي طلحة وأفضلوا ما بلغوا جيرانهم.

وَفِي رِوَايَةِ عمرو بن عَبْدِ اللّه وفضلت فضلة فأهديناها لجيراننا ونحوه عند أبي نعيم من رواية عمارة بن غزية عن ربيعة عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ بلفظ حتى أهدت أم سليم لجيرانها.

وَفِي رِوَايَةِ لمسلم من حديث سعد بن سَعِيد حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل يأكل حتى شبع.

وَفِي رِوَايَةِ له من هذا الوجه ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان وقد تقدم الكلام على شيء من فوائد هذا الحديث في أبواب المساجد من أوائل كتاب الصلاة.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأطعمة والنذر أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الأطعمة والتِّرْمِذِيّ في المناقب وَالنَّسَائِيّ في الوليمة.

3579 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً[1]، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا،

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ) بضم الزاي وفتح الموحدة هو مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّه بن الزبير الأسدي الكوفي وقد مر في الصلاة قَالَ: (حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ) هو ابن يُونُس بن أبي إسحاق السبيعي، (عَنْ مَنْصُورٍ) هو ابن المعتمر، (عَنِ إِبْرَاهِيمَ) هو النخعي، (عَنْ عَلْقَمَةَ) هو ابن القيس، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) هو ابن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه (قَالَ كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ) أي: الأمور الخارقة للعادات.

(بَرَكَةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا) قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ الذي يظهر أن ابن

---

(1) قال الكاندهلوي: وهذا واضح فإن العدد يتعلق بالمعدود فإن كان المعدود فلوسًا فيكون العدد متعلقًا بالفلوس، وإن كان المعدود ركعات الصلاة، فيكون العدد متعلقا بها، والمراد كثرة آيات البركة حتى يحتاج إلى العدد، ويدل عليه تمام الحديث من ذكر نبع الماء وتسبيح الطعام، ولا ينافيه وجود بعض آيات التخويف، وما أفاده الشيخ أجود بل أصح عندي مما قاله الشراح، قال الحافظ: قوله الآيات أي: الأمور الخارقة للعادات، والذي يظهر أنه أنكر عليهم عد جميع الخوارق تخويفًا وإلا فليس جميع الخوارق بركة فإن التحقيق يقتضي عد بعضها بركة من اللَّه كشبع الخلق الكثير من الطعام القليل، وبعضها تخويفًا من اللَّه ككسوف الشمس والقمر. وكان القوم الذين خاطبهم عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه بذلك تمسكوا بظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: 59]، ووقع عند الإسماعيلي من طريق الوليد بن القاسم عن إسرائيل في أول هذا الحديث: «**سمع عبد اللَّه بن مسعود بخسف فقال كنا أصحاب محمد نعد الآيات بركة**» الحديث، اهـ.
وهكذا قاله العيني والقسطلاني ورواية الإسماعيلي أيضًا يؤيد كلام الشيخ، فإن ابن مسعود لما سمع بالخسف تذكر بركات زمان رسول اللَّه ﷺ وآياته، وذكر القاري في المرقاة معنى ثالثًا فقال: قوله «**كنا نعد الآيات**» أي: المعجزات والكرامات، قال الشارح وسميت آية لأنها علامة نبوته، فقيل أراد ابن مسعود رضي اللَّه عنه بذلك أن عامة الناس لا ينفع فيهم إلا الآيات التي نزلت بالعذاب والتخويف، وخاصتهم ـ يعني الصحابة ـ كان الذي ينفع فيهم الآيات المقتضية للبركة، وحاصله أن طريق الخواص مبنيّ على غلبة المحبة والرجاء، وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والعناء وقال الطيبي: قوله وأنتم تعدونها تخويفًا هو من قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ والآيات إما أن يراد بها المعجزات، أو آيات الكتاب وكلاهما بالنسبة إلى المؤمن الموافق بركة، وازدياد في إيمانه، وبالنسبة إلى المخالف المعاند إنذار وتخويف، وفيه مدح للصحابة الذين سعدوا بصحبة خير البرية ولزموا طريقته، وذم لمن =

كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاؤوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ....

مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنكر عليهم عدّ جميع الخوارق تخويفا وإلا فليس جميع الخوارق بركة فإن التحقيق يقتضي عدّ بعضها بركة من اللّه كشبع الخلق الكثير من الطعام القليل وبعضها بتخويف من اللّه ككسوف الشمس والقمر كما قَالَ ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه يخوف اللّه بهما عباده**» وكأن القوم الذين خاطبهم عَبْدُ اللّه بن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ بذلك تمسكوا بظاهر قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: 59] ووقع عند الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق الوليد بن القاسم عن إسرائيل في أول هذا الحديث سمع عَبْدُ اللّه بن مَسْعُود بخسف فَقَالَ كنا أصحاب مُحَمَّد ﷺ نعد الآيات بركة، الحديث.

(**كُنَّا**) مَعَ النَّبِيِّ ويروى: (**مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ**) هذا السفر يشبه أن يكون غزوة الحديبية لثبوت نبع الماء فيها وقد وقع مثل ذلك في تبوك وقد جزم البيهقي في الدلائل بالأول لكن لم يخرج ما يصرح وعند أبي نعيم في الدلائل أن ذلك كان في غزوة خيبر فأخرج من طريق يَحْيَى بن سلمة بن كهيل عَنْ أَبِيهِ عن إِبْرَاهِيم في هذا الحديث قَالَ كنا مع رَسُول اللّه ﷺ في غزوة خيبر فأصاب الناس عطش شديد فَقَالَ يا عَبْدَ اللّه التمس لي ماء فأتيته بفضل ماء في إداوة، الحديث فهذا أولى ودل على تكرر وقوع ذلك حضرًا أو سفرًا.

(**فَقَلَّ المَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاؤوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ**) ووقع عند أبي نعيم في الدلائل من طريق أبي الضحى عن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ دعا النَّبِيّ ﷺ بلالًا بماء فطلبه فلم يجده فأتاه بشن فيه ماء، الحديث.

= عدل عن الطريق المستقيم، ثم رد القاري على الطيبي بأن ذكر الآية غير مناسب للمقام، ثم قال: والأظهر أن يقال معناه كنا نعد خوارق العادات الواقعة من غير سابقة طلب مما يترتب عليه البركة آيات ومعجزات، وأنتم تحصرون خوارق العادات على الآيات المقترحة التي يترتب عليها مخافة العقوبة، ويدل عليه بيانه بقوله: كنا مع رسول اللّه ﷺ إلخ، انتهى مختصرًا. وذكر الشيخ قدس سره في الكوكب هذا الذي ذكره ههنا، وذكر أيضًا معنى آخر فقال: قوله تعدون الآيات عذابًا يعني أنها كانت في عصره ﷺ توجب زيادة في الإيمان مبشرات كانت أو منذرات، وأما فيكم فلا تفيد تلك الفائدة فلم تبق إلا تخويفات وتهويلات أو المعنى أن الأكثر فينا كانت مبشرات، والأكثر فيكم منذرات، اهـ.

فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ.

وفي آخره: فجعل ابن مَسْعُود يشرب ويكثر وهذا يشعر بأن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا حمله عن ابن مَسْعُود وأن القصة واحدة ويحتمل أن يكون كل من ابن مَسْعُود وبلال أحضرا الإداوة فإن الشن بفتح المعجمة وبالنون هو الإداوة اليابسة.

(**فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ**) أي: هلموا إلى الطهور وهو بفتح الطاء والمراد به الماء ويجوز ضمها والمراد الفعل أي: تطهروا.

(**وَالبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ**) البركة مبتدأ والخبر من اللّه وهو إشارة إلى أن الإيجاد من اللّه تعالى ووقع فِي رِوَايَةِ عمار بن زريق عن إِبْرَاهِيم في هذا الحديث فجعلت أبادرهم إلى الماء أدخله في جوفي لقوله البركة من اللّه.

وفي حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فبسط كفه فيه فنبعت تحت يده عين فجعل ابن مَسْعُود يشرب ويكثر والحكمة في طلبه ﷺ في هذه المواطن فضلة الماء وَاللَّهُ أَعْلَمُ أن لا يظن أنه الموجد للماء ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن اللّه تَعَالَى أجرى العادة في الدنيا غالبًا بالتوالد وأن بعض الأشياء يقع بينها التوالد وبعضها لا يقع ومن جملة ذلك ما يشاهد من فوران بعض المائعات إذا خمرت وتركت ولم تجر العادة في الماء الصرف بذلك فكانت المعجزة بذلك ظاهرة جدًا.

قَالَ: (**فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ**) أي: في حالة الأكل وذلك في عهد رَسُول اللّه ﷺ ووقع ذلك عند الْإِسْمَاعِيلِيّ صريحًا أَخْرَجَهُ عن الحسن بن سُفْيَان عن بندار عن أبي أَحْمَد الزبيري في هذا الحديث كنا نأكل مع النَّبِيّ ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وله شاهد أورده البيهقي في الدلائل من طريق قيس بن أبي حازم قَالَ كان أَبُو الدرداء وسليمان رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا إذا كتب أحدهما إلى الآخر قَالَ لبيان الصحفة وذلك أنهما بينا هما يأكلان في صحفة إذ سبحت وما فيها وذكر القاضي عياض عن جعفر بن مُحَمَّد عَنْ أَبِيهِ قَالَ مرض النَّبِيّ ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه عنب ورطب فأكل منه فسبح.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وقد اشتهر تسبيح الحصى ففي حديث أَبِي ذَرٍّ قَالَ

3580 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

تناول النَّبِيّ ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فسبحن ثم وضعهن في يد عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ فسبحن أَخْرَجَهُ البـزار والطبراني في الأوسط.

وَفِي رِوَايَةِ الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة وفيه ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا قَالَ البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح بن أبي الأخضر ولم يكن بالحافظ عن الزُّهْرِيّ عن سويد بن يزيد السلمي عن أَبِي ذَرٍّ والمحفوظ ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزُّهْرِيّ قَالَ ذكر الوليد بن سويد أن رجلًا من بني سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر رَضِيَ اللّه عَنْهُ بالربذة ذكر له عن أَبِي ذَرٍّ بهذا.

فائدة:

ذكر ابن الحاجب عن بعض الشيعة أن انشقاق القمر وتسبيح الحصى وحنين الجذع وتسليم الغزالة مما نقل آحادًا مع توفر الدواعي على نقله ومع ذلك لم يكذب رواتها وأجاب بأنه استغنى عن نقلها تواترا بالقرآن وأجاب غيره بمنع نقلها آحادًا وعلى تسليمه فمجموعها يفيد القطع كما تقدم في أول هذا الفصل.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: والذي أقول إنها كلها مشتهرة عند الناس وأما من حيث الرواية فليست على حد سواء فإن حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلًا مستفيضًا يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريقة الواحدة مع ضعفها وأما تسليم الغزالة فلم أجد له إسنادًا لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(**حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم**) هو الفضل بن دكين قَالَ: (**حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا**) هو ابن أبي زائدة (**قَالَ: حَدَّثَنَا عَامِرٌ**) هو الشَّعْبِيّ (**قَالَ: حَدَّثَنِي جَابِرٌ**) أي: ابن عَبْدِ اللّه الأَنْصَارِيّ رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا، وَلَيْسَ عِنْدِي إِلا مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ، وَلا يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ مَا عَلَيْهِ، فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْ لا يُفْحِشَ عَلَيَّ الغُرَمَاءُ،

(**أَنَّ أَبَاهُ**) هو عَبْدُ اللّه بن عمرو بن حرام بمهملتين (**تُوُفِّيَ**) على البناء للمفعول (**وَعَلَيْهِ دَيْنٌ**) وفي رواية مغيرة عن الشَّعْبِيّ في البيوع: توفي عَبْدِ اللّه بن عمرو بن حرام وعليه دين.

وَفِي رِوَايَةِ فراس عن الشَّعْبِيّ في الوصايا: أن أباه استشهد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبى أن ينظره فكلم جابر رَسُول اللّه ﷺ ليشفع له فكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى.

وَفِي رِوَايَةِ ابن كعب بن مالك عن جابر في الاستقراض والهبة: أن أباه قتل يوم أحد شهيدًا وعليه دين فاشتد الغرماء في حقوقهم فأتيت النَّبِيّ ﷺ فكلمته فسألهم أن يقبلوا تمر حائطي ويحللوا أبي فأبوا.

ووقع عند أَحْمَد من طريق نبيح العنزي عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ قال لي يا جابر لا عليك أن يكون في نظّاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا فذكر قصة قتل أبيه ودفنه قَالَ وترك أبي عليه دينا من التمر فاشتد عليَّ بعض غرمائه في التقاضي فأتيت النَّبِيّ ﷺ فذكرت له وقلت فأحب أن تعينني عليه لعله أن ينظرني طائفة من تمره إلى هذا الصرام المقبل فَقَالَ نعم آتيك إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى قريبًا من نصف النهار فذكر الحديث في الضيافة وفيه ثم قَالَ ادع فلانًا لغريمي الذي اشتد في الطلب فجاء فَقَالَ: انظر جابرًا طائفة من دينك الذي على أبيه إلى الصرام المقبل فَقَالَ ما أنا بفاعل واعتل وَقَالَ إنما هو مال يتامى.

(**فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي تَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا، وَلَيْسَ عِنْدِي إِلا مَا يُخْرِجُ نَخْلُهُ**) من الإخراج يعني أنه لم يترك مالا إلا البستان المذكور.

(**وَلا يَبْلُغُ مَا يُخْرِجُ سِنِينَ**) أي: في مدة سنين وهي تثنية سنة ويروى بصيغة الجمع.

(**مَا عَلَيْهِ**) أي: من الدين وهو مفعول ولا يبلغ.

(**فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْ لا يُفْحِشَ**) من الإفحاش (**عَلَيَّ**) بتشديد الياء (**الغُرَمَاءُ**)

فَمَشَى حَوْلَ بَيْدَرٍ مِنْ بَيَادِرِ التَّمْرِ فَدَعَا، ثَمَّ آخَرَ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «انْزِعُوهُ» فَأَوْفَاهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ.

بالرفع فاعل يفحش.

(فَمَشَى) فيه حذف تقديره فَقَالَ نعم فانطلق فوصل الحائط فمشى وقد تبين من الروايات الأخرى التصريح بما وقع من ذلك ففي رواية مغيرة فَقَالَ اذهب فصنف تمرك أصنافًا ثم أرسل إليَّ ففعلت فجاء فجلس على أعلاه.

وَفِي رِوَايَةِ فراس في البيوع: اذهب فصنف تمرك أصنافًا العجوة على حدة وعذق زيد على حدة وقوله عذق زيد بفتح المهملة وزيد الذي ينسب إليه اسم لشخص كأنه هو الذي كان ابتدأ غراسه فنسب إليه والعجوة من أجود تمر المدينة.

(حَوْلَ بَيْدَرٍ) بفتح الموحدة وسكون التحتية وفتح الدال المهملة للتمر كالجرن للحب.

(مِنْ بَيَادِرِ التَّمْرِ فَدَعَا) وَفِي رِوَايَةِ ابن كعب بن مالك فغدا علينا فطاف في النخل ودعا في ثمره بالبركة.

وَفِي رِوَايَةِ ابن حرملة عن جابر: فجاء هو وأبو بكر وعمر فاستقرأ النخل يقوم تحت كل نخلة لا أدري ما يقول حتى مر على آخرها، الحديث أَخْرَجَهُ أَحْمَد.

(ثَمَّ آخَرَ) أي: مشى حول بيدر آخر فدعا.

وَفِي رِوَايَةِ فراس: فدخل النَّبِيّ ﷺ النخل فمشى فيها فَقَالَ أفرغوه أي: أفرغوه من البيدر.

وَفِي رِوَايَةِ مغيرة: ثم قَالَ كل للقوم فكلتهم حتى أوفيتهم.

وَفِي رِوَايَةِ فراس: ثم قَالَ لجابر فأوف الذي له فجذّه بعدما رجع النَّبِيّ ﷺ.

(ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «انْزِعُوهُ» فَأَوْفَاهُمُ الَّذِي لَهُمْ وَبَقِيَ مِثْلُ مَا أَعْطَاهُمْ) وَفِي رِوَايَةِ مغيرة وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء.

وَفِي رِوَايَةِ ابن كعب: وبقي لنا من تمرها بقية ووقع فِي رِوَايَةِ وهب بن كيسان فأوفاه ثلاثين وسقا وفضلت له سبعة عشر وسقًا ويجمع بالحمل على تعدد الغرماء فكان أصل الدين كان منه ليهودي ثلاثون وسقا من صنف واحد فأوفاه وفضل من ذلك البيدر سبعة عشر وسقًا وكان منه لغير ذلك اليهودي أشياء أخر من أصناف

أخرى فأوفاهم وفضل من المجموع قدر الذي أوفاه ويؤيده قوله فِي رِوَايَةِ نبيح العنزي عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فكلت له من العجوة فأوفاه اللّه وفضل من التمر كذا وكذا ووقع فِي رِوَايَةِ فراس عن الشَّعْبِيّ ما قد يخالف ذلك ففيه ثم دعوت رَسُول اللّه ﷺ فلما نظروا إليه كأنما أغروا بي تلك الساعة أي: أنهم شددوا عليه في المطالبة لعداوتهم للنبي ﷺ قَالَ فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قَالَ ادعهم فما زال يكيل لهم حتى أدى اللّه أمانة والدي وأنا راض أن يؤديها اللّه ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة فسلم اللّه البيادر كلها حتى إني أنظر إلى البيدر الذي عليه رَسُول اللّه ﷺ كأنه لم ينقص منه تمرة واحدة ووجه المخالفة فيه أن ظاهره أن الكيل جميعه كان بحضرة النَّبِيّ ﷺ وأن التمر لم ينقص منه شيء البتة والذي مضى ظاهره أن ذلك بعد رجوعه وأن بعض التمر نقص ويجمع بأن ابتداء الكيل كان بحضرته ﷺ وبقيته كان بعد انصرافه وكان بعض البيادر التي أوفى منها بعض أصحاب الدين حيث كان بحضرة رَسُول اللّه ﷺ لم ينقص منه شيء البتة ولما انصرف بقيت آثار بركته فلذلك أوفى من أحد البيادر ثلاثين وسقًا وفضل سبعة عشر.

وَفِي رِوَايَةِ نبيح: ما يؤيد ذلك ففي روايته قَالَ كل له فإن اللّه سوف يوفيه وفي حديثه فإذا الشمس قد دلكت فَقَالَ الصلاة يا أبا بكر فاندفعوا إلى المسجد فقلت له أي: للغريم قرب أوعيتك وفيه فجئت أسعى إلى رَسُول اللّه ﷺ كأني شرارة فوجدته قد صلى فأخبرته فَقَالَ: «**أين عمر**» فجاء يهرول فَقَالَ سل جابرًا عن تمره وغريمه فَقَالَ ما أنا بسائله قد علمت أن اللّه سيوفيه، الحديث. وقصة عمر قد وقعت فِي رِوَايَةِ ابن كعب ففيها ثم جئت رَسُول اللّه ﷺ فَقَالَ لعمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ «**اسمع يا عمر**» قَالَ ألا نكون قد علمنا أنك رَسُول اللّه واللّه إنك لرسول اللّه وَفِي رِوَايَةِ وهب فَقَالَ عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ لقد علمت حين مشى فيها رَسُول اللّه ﷺ ليباركن اللّه فيها وقوله فِي رِوَايَةِ ابن كعب ألا يكون بفتح الهمزة وتشديد اللام في الروايات كلها وأصلها أن الخفيفة ضمت إليها لا النافية أي: هذا السؤال إنما يحتاج إليه من لا يعلم أنك رَسُول اللّه فيحتاج إلى الاستدلال وأما من علم أنك رَسُول اللّه فلا يحتاج إلى ذلك.

وزعم بعض المتأخرين أن الرواية فيه بتخفيف اللام وأن الهمزة للاستفهام التقريري فأنكر عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ عدم علمه بالرسالة فأنتج إنكاره ثبوت علمه بها وهو كلام موجه إلا أن الرواية إنما هي بالتشديد وكذلك ضبطها القاضي عياض وغيره وقيل النكتة في اختصاص عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ بإعلامه بذلك أنه كان معتنيًا بقصة جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ مهتمًّا بشأنه مساعدًا له على وفاء دين أبيه.

وقيل: لأنه كان حاضرًا مع النَّبِيّ ﷺ لما مشى في النخل وتحقق أن التمر الذي فيه لا يفي ببعض الدين فأراد إعلامه بذلك لكونه شاهد أول الأمر بخلاف من لم يشاهده وقد وجد ذلك صريحًا فِي رِوَايَةِ أبي المتوكل عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند أبي نعيم فذكر الحديث وفيه فإذا رَسُول اللّه ﷺ وعمر فَقَالَ انطلق بنا حتى نطوف بنخلك هذا فذكر الحديث وَفِي رِوَايَةِ أبي نضرة عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ وآخر عنه فأبى فكاد عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ يبطش به فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**مه يا عمر هو حقه**» ثم قَالَ: «**اذهب بنا إلى نخلك**» الحديث وفيه فأتيت النَّبِيّ ﷺ فأخبرته فَقَالَ: «**ائتني بعمر**» فأتيته فَقَالَ: «**يا عمر سل جابرًا عن نخله**» فذكر القصة ووقع فِي رِوَايَةِ بن حرملة أن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا جميعًا كانا مع النَّبِيّ ﷺ.

وَقَالَ في آخره: قَالَ فانطلق فأخبر أبا بكر وعمر قَالَ فانطلقت فأخبرتهما، الحديث ونحوه فِي رِوَايَةِ وهب بن كيسان عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ وجمع البيهقي بين مختلف الروايات في ذلك بأن اليهودي المذكور كان له دين من تمر ولغيره من الغرماء ديون أخرى فلما حضر الغرماء وطالبوا بحقوقهم وكال لهم جابر التمر ففضل تمر الحائط كأنه لم ينقص منه شيء فجاء اليهودي بعدهم فطالب بدينه فجذّ له جابر ما بقي على النخلات فأوفاه حقه منه وهو ثلاثون وسقًا وفضلت منه سبعة عشر انتهى.

وهذا الحديث يقتضي أنه لم يفضل من الذي في البيادر شيء وقد صرح في الرواية المتقدمة أنها فضلت كلها كأنه لم ينقص منها شيء فما تقدم من الطريق التي جمعت به أولى وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وفي الحديث من الفوائد جواز الاستنظار في الدين الحال وجواز تأخير

3581 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ،

الغريم لمصلحة المال الذي يوفى منه وفيه مشي الإمام في حوائج رعيته وشفاعته عند بعضهم في بعض وفيه علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه.

ومطابقة الحديث للترجمة حيث حصول البركة الزائدة بمشيه ﷺ حول البيادر حتى بلغ ما أخرج نخله ما عليه وفضل مثل ذلك وهذه من معجزاته الباهرة ﷺ وقد مضى الحديث مطولًا ومختصرًا في مواضع في الاستقراض وفي الجهاد وفي الشروط وفي البيوع وفي الوصايا ومر الكلام في الجميع.

(**حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ**) التبوذكي قَالَ: (**حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ**) هو ابن سليمان، (**عَنْ أَبِيهِ**) سليمان بن طرخان التيمي وهو من صغار التابعين.

وَفِي رِوَايَةِ ابن النعمان التي مضت في كتاب الصلاة: حَدَّثَنَا معتمر بن سليمان حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ**) هو عبد الرحمن بن مل النهدي بفتح النون (**أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ**) الصديق (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ**) كانوا أناسًا فقراء سيأتي ذكرهم في كتاب الرقاق إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى والصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر.

(**كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ**) سيأتي ذكرهم في كتاب الرقاق إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، (**وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ**) أي: من أهل الصفة المذكورين ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم فليذهب بثلاثة قَال الْقَاضِي عِيَاضٌ وهو غلط والصواب رواية الْبُخَارِيّ لموافقتها لسياق باقي الحديث.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: إن حمل على ظاهره فسد المعنى لأن الذي عنده طعام اثنين إذا ذهب معه بثلاثة لزم أن يأكله في خمسة وحينئذ لا يكفيهم ولا يسد رمقهم بخلاف ما إذا ذهب بواحد فإنه حينئذ يأكله في ثلاث ويؤيده في الحديث الآخر طعام الاثنين يكفي أربعة أي: القدر الذي يشبع الاثنين يسد رمق أربعة وأجاب

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ». أَوْ كَمَا قَالَ: وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ وَثَلاثَةً،

النَّوَوِيّ بأن التقدير فليذهب بمن يتم من عنده ثلاثة أو فليذهب بتمام ثلاثة.

(**وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ أَوْ كَمَا قَالَ**) أي: فليذهب بخامس إن لم يكن عنده ما يقتضي أكثر من ذلك وإلا فليذهب بسادس مع الخامس إن كان عنده أكثر من ذلك والحكمة في كونه يزيد كل أحد واحدًا فقط أن عيشهم في ذلك الوقت لم يكن متسعًا فمن كان عنده مثلًا ثلاثة أنفس لا يضيق عليه أن يطعم الرابع من قوتهم وكذلك الأربعة وما فوقها بخلاف ما لو زيدت الأضياف بعدد العيال فإنما ذلك يحصل الإيفاء فيه عند اتساع الحال ووقع فِي رِوَايَةِ أبي النعمان وإن أربع فخامس أو سادس و أو فيه للتنويع أو للتخيير كما في الرواية الأخرى ويحتمل أن يكون معنى أو سادس وإن كان عنده طعام خامس فليذهب بسادس فيكون من عطف الجملة على الجملة وقوله وإن أربع فخامس بالجر فيهما فإن التقدير فإن كان عنده طعام أربع فليذهب بخامس أو بسادس فحذف عامل الجر وأبقى عمله كما يقال مررت برجل صالح وإن لا صالح فطالح أي: إن لا أمر بصالح فقد مررت بطالح ويجوز الرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو أوجه.

قَالَ ابن مالك: تضمن هذا الحديث حذف فعلين وعاملي جر مع بقاء عملهما بعد إن وبعد الفاء والتقدير من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن قام بأربعة فليذهب بخامس أو سادس انتهى.

وهذا قاله في الرواية التي في الصلاة وأما هذه الرواية وهي قوله بخامس بسادس فيكون حذف منها شيء آخر والتقدير أو إن قام بخمسة فليذهب بسادس.

(**وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ**) عبر عن أبي بكر بلفظ المجيء لبعد منزله من المسجد وعن النَّبِيّ ﷺ بالانطلاق لقربه وقوله بعد ذلك.

(**وَأَبُو بَكْرٍ وَثَلاثَةً**) بالنصب للأكثر أي: أخذ ثلاثة فلا يكون قوله قبل ذلك جاء بثلاثة تكرارا لأن هذا بيان لابتداء ما جاء في قصته فهو مما يقتضي سوق الكلام على ترتيب القصة ذكره والأول لبيان من أحضرهم إلى منزله وذلك أن

قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي، وَلا أَدْرِي هَلْ قَالَ: امْرَأَتِي وَخَادِمِي، بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ

أبا بكر كان عنده طعام أربعة ومع ذلك أخذ خامسًا وسادسًا وسابعًا فكأن الحكمة في أخذه واحدًا زائدًا على ما ذكر النَّبيّ ﷺ أنه أراد أن يؤثر السابع بنصيبه إذ ظهر له أنه لم يأكل أولا معهم ووقع فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ وأبو بكر بثلاثة فيكون معطوفًا عَلَى قَوْلِهِ وانطلق النَّبِيّ ﷺ أي: وانطلق أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ بثلاثة وهي رواية مسلم والأول أوجه وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي) قائل ذلك هو عبد الرحمن بن أبي بكر وقوله فهو أي: الشأن وقوله أنا مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه السياق وتقديره في الدار والمقصود منه بيان أن في منزله هؤلاء فلا بدّ أن يكون عنده طعامهم وأم عبد الرحمن هي أم رومان مشهورة بكنيتها واسمها زينب وقيل وعلة بنت عامر بن عويمر كانت تحت الحارث بن سخبرة الأزدي فمات بعد أن قدم مكة وخلف منها ابنه الطفيل فتزوجها أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فولدت له عبد الرحمن وعائشة وأسلمت أم رومان قديمًا وهاجرت وعائشة معها وأما عبد الرحمن فتأخر إسلامه وهجرته إلى هدنة الحديبية فقدم في سنة سبع أو أول سنة ثمان واسم امرأته أميمة بنت عدي بن قيس السهمية وهي والدة أكبر أولاد عبد الرحمن أبي عتيق مُحَمَّد رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ.

(وَلا أَدْرِي هَلْ قَالَ) قائل ذلك هو أَبُو عثمان الراوي عن عبد الرحمن كأنه شك في ذلك.

(امْرَأَتِي وَخَادِمِي) وَفِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ وخادم بغير إضافة قال الحافظ العسقلاني لم أعرف اسم الخادم.

(بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ) أي: خدمتنا مشتركة بين بيتنا وبيت أبي بكر وهو ظرف للخادم.

(وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ) أي: إلى منزله.

وَفِي رِوَايَةِ مسلم: قَالَ إن أبا بكر أي: قَالَ عبد الرحمن إن أبا بكر

فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ،

رَضِيَ اللّه عَنْهُ تعشى عند النَّبِيّ ﷺ ثم لبث أي: مكث النَّبِيّ ﷺ حتى صليت العشاء وفي الرواية التي في الصلاة في باب السمر مع الأهل ثم لبث حتى صليت العشاء وَفِي رِوَايَةِ حيث صليت ثم رجع والظاهر من قوله ثم رجع أي: رجع أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ إلى منزله كما تقدم الإشارة وعلى هذا ففي قوله (**فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ**) تكرار وفائدته الإشارة إلى أن تأخره عند النَّبِيّ ﷺ كان بمقدار أن تعشى معه وصلى معه العشاء وما رجع إلى منزله إلا بعد أن مضى من الليل قطعة وذلك أن النَّبِيّ ﷺ كان يحب أن يؤخر صلاة العشاء كما ثبت في الروايات الصحيحة.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: قوله فلبث معناه لبث عند النَّبِيّ ﷺ بعد أن رجع إليه حتى تعشى رَسُول اللّه ﷺ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: فإن قلت هذا يشعر بأن التعشي عند النَّبِيّ ﷺ كان بعد الرجوع إليه وما تقدم بأنه كان قبله قلت **الأول**: بيان حال أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ في عدم احتياجه إلى الطعام عند أهله **والثاني**: هو سوق القصة على الترتيب الواقع أو الأول تعشي الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ والثاني تعشي رَسُول اللّه ﷺ أو الأول من العشاء بكسر المهملة والثاني منه بفتحها انتهى.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ووقع في الرواية التي في الصلاة ثم لبث حتى صليت العشاء فشرحه الْكِرْمَانِيّ أن المراد أنه لما جاء بالثلاثة إلى منزله لبث في منزله إلى وقت صلاة العشاء ثم رجع إلى النَّبِيّ ﷺ حتى تعشى النَّبِيّ ﷺ قَالَ وهذا لا يصح لأنه يخالف صريح قوله في حديث الباب وإن أبا بكر تعشى عند النَّبِيّ ﷺ انتهى.

حيث نسب شرح الْكِرْمَانِيّ إلى حديث الباب فَقَالَ: لم أقل مثل ما نقل عنه بل قَالَ فإن قلت هذا يشعر إلى آخر ما قَالَ ثم قَالَ الْعَيْنِيّ: فلينظر المتأمل هل نسبة هذا القائل يعني العَسْقَلَانِيّ عدم الصحة إلى الْكِرْمَانِيّ صحيحة أم لا هذا ووجه غرابته لا يخفى فإن الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ لم ينسب شرح الْكِرْمَانِيّ إلى هذا الموضع بل نسبه إلى ما تقدم في الصلاة كما نقلناه آنفًا فليتأمل.

قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ أَوْ ضَيْفِكَ؟، قَالَ: أَوَعَشَّيْتِهِمْ؟

فإن حل تركيب هذا الحديث يحتاج إلى دقة نظر وكثرة تأمل ثم إن الذي وقع عند الْبُخَارِيّ بلفظ ثم رجع بالجيم ليس متفقًا عليه من الرواة فقد وقع عند الْإِسْمَاعِيلِيّ ثم ركع بالكاف أي: صلى النافلة بعد العشاء وعلى هذا فالتكرار فِي قَوْلِهِ فلبث حتى تعشى فقط وفائدته ما تقدم وقد وقع فِي رِوَايَةِ مسلم وكذا فِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ فلبث حتى نعس بالنون والعين والسين المهملتين المفتوحتين من النعاس الذي هو مقدمة النوم، وهو أوجه.

وَقَال الْقَاضِي عِيَاضٌ إنه الصواب وبه ينتفي التكرار من المواضع كلها إلا فِي قَوْلِهِ لبث فلبث أولًا حتى صلى العشاء ثم لبث حتى نعس فالحاصل أنه تأخر عند النَّبِيّ ﷺ حتى صلى العشاء ثم تأخر حتى نعس النَّبِيّ ﷺ وقام لينام فرجع أَبُو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ حينئذ إلى بيته وقد ترجم عليه الْبُخَارِيّ في أبواب الصلاة قبيل الأذان باب السمر مع الضيف والأهل وأخذه من كون أبي بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ رجع إلى أهله وضيفانه بعد أن صلى العشاء مع النَّبِيّ ﷺ فدار بينه وبينهم ما ذكر في الحديث ووقع فِي رِوَايَةِ أبي داود من رواية الجريري عن أبي عثمان أو أبي السليل عن عبد الرحمن بن أبي بكر قَالَ نزل بنا أضياف وكان أَبُو بكر يتحدث عند النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ لا أرجع إليك حتى تفرغ من ضيافة هؤلاء ونحوه يأتي في الأدب من طريق أخرى عن الجريري عن أبي عثمان بلفظ أن أبا بكر تضيف رهطًا فَقَالَ لعبد الرحمن دونك أضيافك فإني منطلق إلى النَّبِيّ ﷺ فأفرغ من قراهم قبل أن أجيء وهذا يدل على أن أبا بكر أحضرهم إلى منزله وأمر أهله أن يضيفوهم ورجع هو إلى النَّبِيّ ﷺ ويدل عليه صريح قوله في حديث الباب وإن أبا بكر جاء بثلاثة.

(**قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ**) كذا فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ وكذا هو في الصلاة وفي رواية مسلم، وَفِي رِوَايَةِ غيره من أضيافك بكلمة من بدل عن.

(**أَوْ ضَيْفِكَ**) شك من الراوي والمراد به الجنس فإنهم كانوا ثلاثة.

(**قَالَ: أَوَعَشَّيْتِهِمْ**) وَفِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ أو ما عشيتهم بزيادة ما النافية وكذا فِي رِوَايَةِ مسلم والإسماعيلي والهمزة للاستفهام والواو للعطف على مقدر بعد الهمزة ويروى أو عشيتيهم بإشباع الكسرة.

قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَغَلَبُوهُمْ، فَذَهَبْتُ فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ يَا غُنْثَرُ،

(**قَالَتْ: أَبَوْا**) أي: امتنعوا (**حَتَّى تَجِيءَ**) أي: إلى أن تجيء وذلك رفقًا به لظنهم أنه لا يجد عشيًّا فصبروا حتى يأكل معهم.

(**قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ**) بفتح العين والراء والفاعل الجزم أو الأهل أو نحو ذلك.

(**فَغَلَبُوهُمْ**) أي: فغلب الأضياف على الأهل والحاصل أن آل أبي بكر عرضوا على الأضياف العشاء فأبوا فعالجوهم فامتنعوا حتى غلبوهم وفي الرواية التي في الصلاة قد عرضوا بضم أوله وتشديد الراء أي: أطعموا من العراضة وهي الهدية قَال الْقَاضِي عِيَاضٌ وهو في الرواية بتخفيف الراء.

وحكى ابن قرقول: أن القياس بتشديد الراء وبه جزم الْجَوْهَرِيّ ووقع في الصلاة قد عرضنا عليهم فامتنعوا وحكى ابن التين أنه وقع في بعض الروايات عرصوا بصاد مهملة قَالَ ولا أعرف لها وجهًا ووجهها غيره أنها من قولهم عرص إذا نشط فكأنه يريد أنهم نشطوا في العزيمة عليهم ولا يخفى تكلفه.

وَفِي رِوَايَةِ الجريري: فانطلق عبد الرحمن فأتاهم بما عنده فَقَالَ اطعموا قالوا أين رب منزلنا قَالَ اطعموا قالوا ما نحن بآكلين حتى يجيء قالوا اقبلوا عنا قراكم فإنه إن جاء ولم تطعموا لنلقين منه أي: شرًّا فأبوا.

وَفِي رِوَايَةِ مسلم: ألا تقبلوا عنا قراكم ضبطه القاضي عياض عن الأكثر بتخفيف اللام على استفتاح الكلام.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: ويلزم عليه أن تثبت النون في تقبلون إذ لا موجب لحذفها وضبطها ابن أبي جعفر بتشديد اللام وهو الوجه وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(**فَذَهَبْتُ**) أي: قَالَ عبد الرحمن فذهبت وَفِي رِوَايَةِ مسلم قَالَ فذهبت أنا (**فَاخْتَبَأْتُ**) أي: اختفيت خوفًا منه.

وَفِي رِوَايَةِ الجريري: فعرفت أنه يجد عليَّ أي: يغضب فلما جاء تغيبت عنه فَقَالَ يا عبد الرحمن فسكت ثم قَالَ يا عبد الرحمن فسكت.

(**فَقَالَ يَا غُنْثَرُ**) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح المثلثة وآخره راء وحكي ضم المثلثة وحكى القاضي عياض عن بعض شيوخه فتح أوله مع فتح

فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا، وَقَالَ: لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا،

المثلثة وحكاه الخطابي بلفظ عنتر مثل اسم الشاعر المشهور وهو المهملة والمثناة المفتوحتين بينهما نون ساكنة وروي عن أبي عمر وثعلب أن معناه الذباب وأنه سمي بذلك لصوته فشبهه حيث أراد تحقيره وتصغيره.

وَقَالَ غيره: معنى الرواية المشهورة الثقيل الوخم، وقيل: الجاهل، وقيل: السفيه، وقيل: اللئيم وأنه مأخوذ من الغثر ونونه زائد، وقيل: هو ذباب أزرق شبهه به لتحقيره كما تقدم.

(**فَجَدَّعَ**) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة وآخره عين مهملة أي: دعا عليه بالجدع وهو قطع الأنف أو الأذن أو الشفة وقيل المراد به السبّ والأول أصح.

وَفِي رِوَايَةِ الجريري فجزع بالزاي بدل الدال أي: نسبه إلى الجزع بفتحتين وهو الخوف وقيل: المجازعة المخاصمة فالمعنى خاصم.

(**وَسَبَّ**) أي: شتم ظنًا منه أن عبد الرحمن فرط في حق الأضياف وحذف المفعول للعلم به.

(**وَقَالَ: كُلُوا**) أي: قَالَ أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ كلوا وَفِي رِوَايَةِ الصلاة كلوا لا هنيئًا وكذا فِي رِوَايَةِ مسلم وإنما قَالَ ذلك لما حصل له من الحرج والغيظ بتركهم العشاء بسببه فإنهم تحكموا على رب المنزل بالحضور معهم ولم يكتفوا بولده مع إذنه لهم وكأنهم حملهم على ذلك رغبتهم في التبرك بمؤاكلته فيستفاد منه جواز الدعاء على من لم يحصل منه الإنصاف ولا سيما عند الحرج والغيظ فافهم ويقال إنه إنما خاطب بذلك أهله لا الأضياف وقيل لم يرد الدعاء وإنما أخبر أنهم فاتهم الهناء به إذ لم يأكلوه في وقته.

(**وَقَالَ: لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا**) وَفِي رِوَايَةِ مسلم وكذا هو في الصلاة فَقَالَ واللّه لا أطعمه أبدًا وَفِي رِوَايَةِ الجريري فَقَالَ فإنما انتظرتموني واللّه لا أطعمه أبدًا فَقَالَ الآخرون واللّه لا نطعمه وَفِي رِوَايَةِ أبي داود من هذا الوجه فَقَالَ أَبُو بكر فما منعكم قالوا مكانك قَالَ واللّه لا أطعمه أبدًا ثم اتفقا فَقَالَ لم أر في الشر كالليلة ويلكم ما أنتم لا تقبلون عنا قراكم هات طعامك فوضع فَقَالَ بسم اللّه الأولى من الشيطان فأكل وأكلوا ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم ألا تقبلون وهو بالتشديد وقوله

قَالَ: وَايْمُ اللَّهِ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنَ اللُّقْمَةِ إِلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا، وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلُ، فَنَظَرَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا شَيْءٌ أَوْ أَكْثَرُ، قَالَ لامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، ....

الأولى من الشيطان أراد به يمينه قَالَ القاضي وقيل: معناه اللقمة الأولى من أجل قمع الشيطان وإرغامه ومخالفته في مراده باليمين.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: فيه إن من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا فعل ذلك وكفر عن يمينه كما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: كل ذلك من أَبي بكر على ابنه ظنًا منه أنه فرط في حق الأضياف فلما تبين له أن ذلك كان من الأضياف أدبهم بقوله كلوا لا هنيئًا وحلف أن لا يطعمه أبدًا.

(قَالَ) أي: عبد الرحمن: (وَايْمُ اللَّهِ) وهمزته همزة وصل عند الجمهور لا يجوز قطعه وقيل يجوز القطع وهو مبتدأ وخبره محذوف أي: أيم اللّه قسمي وأصله أيمن اللّه فالهمزة حينئذ همزة قطع لكنها لكثرة الاستعمال خففت فوصلت وحكي فيها لغات ايمن اللّه مثلثة النون ومن اللّه مختصرة من الأولى مثلثة النون أَيْضًا وأيم اللّه كذلك وم اللّه كذلك بكسر الهمزة أَيْضًا وأم اللّه قَالَ ابن مالك وليس الميم بدلا من الواو لأن أصلها من خلافًا لمن زعم ذلك ولا أيمن جمع يمين خلافًا للكوفيين.

(مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنَ) لُقْمَةٍ ويروى: في (اللُّقْمَةِ).

(إِلا رَبَا) أي: زاد (مِنْ أَسْفَلِهَا) أي: من الموضع الذي أخذت منه.

(أَكْثَرُ مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا، وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلُ، فَنَظَرَ أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (فَإِذَا شَيْءٌ أَوْ أَكْثَرُ) أي: فإذا هو شيء كما كان أو أكثر أي: القدر الذي كان كما كان أو أكثر وفي الصلاة فإذا هي شيء أي: الجفنة أو البقية أو الأطعمة كما هي أي: كما كانت أولًا أو أكثر وكذلك فِي رِوَايَةِ مسلم والإسماعيلي قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ وهو الصواب.

(فَقَالَ لامْرَأَتِهِ) أي: قَالَ أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ لها.

(يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ) قَالَ النَّوَوِيّ: معناه يا من هي مِن بني فراس وزاد في

قَالَتْ: لا وَقُرَّةِ عَيْنِي، لَهِيَ الآنَ أَكْثَرُ مِمَّا قَبْلُ بِثَلاثِ مَرَّاتٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ

الصلاة ما هذا وخاطب بذلك امرأته أم رومان قال القاضي: وفراس بكسر الفاء وتخفيف الراء وآخره مهملة ابن غنم بن مالك بن كنانة وقد تقدم أن أم رومان من ذرية الحارث بن غنم وهو أخو فراس بن غنم فلعل أبا بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ نسبها إلى بني فراس لكونهم أشهر من بني الحارث وقد يقع مثل هذا كثيرًا في النسب ينسبون أحياء إلى أخي جدهم فالمعنى يا أخت القوم المنتمين إلى بني فراس ولا شك أن الحارث أخو فراس فأولاد كل منهما إخوة للآخرين لكونهم في درجاتهم وحكى القاضي عياض أنه قيل في أم رومان إنها من بني فراس بن غنم لا من بني الحارث وعلى هذا فلا حاجة إلى هذا التأويل.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ولم أر في كتاب ابن سعد لها نسبًا إلا إلى بني الحارث بن غنم وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(قَالَتْ: لا وَقُرَّةِ عَيْنِي) كلمة زائدة للتأكيد ويحتمل أن تكون نافية وثمة محذوف تقديره لا شيء غير ما أقول وهو قولها وقرة عيني.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: أي: قَالَ يا واحدة منهم وهي أم رومان ما هذه الحالة فقالت لا أعلم وقوله وقرة عيني الواو فيه للقسم وقرة العين بضم القاف وتشديد الراء يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه.

وَقَالَ ذلك لأن عينه قرت أي: سكنت حركتها من التلفت لحصول غرضها فلا تستشرف لشيء آخر فكأنه مأخوذ من القرار وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البرد أي: أن عينه باردة ولهذا قيل دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل في ضده أسخن اللّه عينه وإنما حلفت أم رومان بذلك لما وقع عندها من السرور بالكرامة التي حصلت لهم ببركة الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ وزعم الدَّاوُودِيّ أنها أرادت بقرة عينها النَّبِيّ ﷺ فأقسمت به فافهم.

(لَهِيَ) أي: الجفنة أو البقية (الآنَ أَكْثَرُ مِمَّا قَبْلُ) كذا هنا وَفِي رِوَايَةِ مسلم أكثر منها قبل وهو أوجه وأكثر فِي رِوَايَةِ الأكثر بالمثلثة وَفِي رِوَايَة بالموحدة.

(بِثَلاثِ مَرَّاتٍ) ويُروى: ثلاث مرار.

(فَأَكَلَ مِنْهَا) أي: من الأطعمة (أَبُو بَكْرٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ الشَّيْطَانُ، يَعْنِي يَمِينَهُ، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَمَضَى الأَجَلُ فَتَفَرَّقْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا،

(وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ الشَّيْطَانُ، يَعْنِي يَمِينَهُ) كذا هنا وفيه حذف والتقدير وإنما كان الشيطان الحامل على ذلك يعني الحامل على يمينه التي حلفها وهي قوله والله لا أطعمه وَفِي رِوَايَةِ مسلم والإسماعيلي إنما كان ذلك من الشيطان يعني يمينه وهو أوجه.

(ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً) لقمع الشيطان وإرغامه لأنه قصد بتزيينه له اليمين إيقاع الوحشة بينه وبين أضيافه فأرغمه أَبُو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بالحنث الذي هو خير.

(ثُمَّ حَمَلَهَا) الجفنة (إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ) أي: أصبحت الأطعمة التي في الجفنة عند النَّبِيّ ﷺ على حالها وإنما لم يأكلوا منها في الليل لكون ذلك وقع بعد أن مضى من الليل مدة طويلة.

(وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ) أي: عهد مهادنة ويروى: وكانت بيننا والتأنيث باعتبار المهادنة.

(فَمَضَى الأَجَلُ) أي: مضت مدة العهد (فَتَفَرَّقْنَا) من التفريق فالراء مفتوحة والضمير المرفوع يرجع إلى النَّبِيّ ﷺ قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ وحكى الْكِرْمَانِيّ: أن في بعض الروايات فقرينا بقاف وتحتانية من القرى وهو الضيافة ولم أقف على ذلك وغيره يقول فعرفنا بالعين المهملة والراء المشددة أي: اجعلنا عرفاء نقباء على قومهم وكذا اختلف الرواة عند مسلم هل قَالَ فرقنا أو عرفنا.

وَفِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ: فعرفنا من العرافة وجها واحدا وسمي العريف عريفا لأنه يعرف الإمام أحوال العسكر وفيه دليل لجواز تعريف العرفاء على العساكر ونحوها وفي سنن أبي داود العرافة حق لما فيه من مصلحة الناس وليتيسر ضبط الجيوش على الإمام باتخاذ العرفاء، فإن قيل: في الحديث العرفاء في النار، فالجواب أنه محمول على العرفاء المقصرين في ولايتهم المرتكبين فيها ما لا يجوز وزعم الْكِرْمَانِيّ أن فيه حذفا تقديره فرجعنا إلى المدينة فعرفنا ولا يتعين ذلك لجواز أن يكون تعريفهم وإرسالهم قبل الرجوع إلى المدينة.

(اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا) وفي رواية مسلم اثني عشر بالنصب وهو ظاهر ويحمل

مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، غَيْرَ أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ، قَالَ: أَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

رواية الرفع على لغة من يجعل المثنى بالرفع في الأحوال الثلاثة ومنه قوله تَعَالَى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: 63] ويحتمل أن يكون ففرقنا بضم أوله على البناء للمفعول فارتفع اثنا عشر على أنه مبتدأ وخبره قوله (**مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، غَيْرَ أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ**) يعني أنه تحقق أنه جعل عليهم اثنا عشر عريفًا لكنه لا يدري كم كان تحت يد كل عريف منهم لأن ذلك يحتمل الكثرة والقلة غير أنه تحقق أنه بعث معهم أي: مع كل أناس عريفًا وقال العيني تبعًا للكرماني غير أن النبي ﷺ بعث معهم نصيب أصحابهم إليهم هذا فليتأمل.

(**قَالَ: أَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ**) هو شك من أبي عثمان في لفظ عبد الرحمن والمعنى أن جميع الجيش أكلوا من تلك الجفنة التي أرسل بها أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ إلى النَّبِيّ ﷺ وظهر بذلك أن تمام البركة في الطعام المذكور كان عند النَّبِيّ ﷺ لأن الذي وقع فيه في بيت أبي بكر ظهور أوائل البركة فيها وأما انتهاؤها إلى أن يكفي الجيش كلهم فما كان إلا بعد أن صار عند النَّبِيّ ﷺ على ظاهر الخبر وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وقد وقع في بعض النسخ هنا وغيرهم يقول فتفرقنا فعلى تقدير صحته يكون المعنى وغير الرواة المذكورين يقول فتفرقنا أي: بعد الأكل منها جميعًا أو المعنى وغيرهم يقول فتفرقنا بدل قوله سابق ففرقنا فتأمل هذا وقد روى أَحْمَد وَالتِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ من حديث سمرة رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ أتي النَّبِيّ ﷺ بقصعة فيها ثريد فأكل وأكل القوم فما زالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر يأكل قوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبون فَقَالَ رجل هل كانت تمد بطعام؟ قَالَ: «**أما من الأرض فلا إلا أن تكون كانت تمد من السماء**».

قال الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: قَالَ بعض شيوخنا يحتمل أن تكون هذه القصعة هي التي وقع فيها في بيت أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ما وقع وفي هذا الحديث من الفوائد التجاء الفقراء إلى المساجد عند الاحتياج إلى المواساة إذا لم يكن في ذلك إلحاح ولا إلحاف ولا تشويش على المصلين.

3582 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ، وَعَنْ يُونُسَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وفيه: استحباب مواساتهم عند اجتماع هذه الشروط وفيه التوظيف في المخمصة وفيه جواز الغيبة عن الأهل والولد والضيف إذا أعدت لهم الكفاية وفيه تصرف المرأة فيما يقدم للضيف والإطعام بغير إذن خاص من الرجل وفيه جواز سب الوالد للولد على وجه التأديب والتمرين على أعمال الخير وتعاطيه وفيه جواز الحلف على ترك المباح وفيه التبرك بطعام الأولياء والصلحاء وفيه عرض الطعام الذي يظهر فيه البركة على الكفار وقبولهم ذلك وفيه العمل بالظن الغالب لأن أبا بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ظن أن عبد الرحمن فرط في أمر الأضياف فبادر إلى سبه وقوى القرينة عنده اختباؤه منه وفيه ما يقع من لطف اللّه تَعَالَى بأوليائه وذلك أن خاطر أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ تشوش وكذلك ولده وأهله وأضيافه بسبب امتناعهم من الأكل وتكدر خاطر أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ من ذلك حتى احتاج إلى ما تقدم ذكره من الحرج بالحلف وبالحنث وبغير ذلك فتدارك اللّه تَعَالَى ذلك ورفعه عنه بالكرامة التي أبداها له فانقلب ذلك الكدر صفاء والنكد سرورا ولله الحمد والمنة.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه يجوز أن يظهر المعجزات على يد الغير ويمكن أن يقال إنه استفيد الإعجاز من آخر الحديث حيث قَالَ أكلوا منها أجمعون وقد مضى الحديث في أواخر كتاب مواقيت الصلاة في باب السمر مع الأهل والضيف.

(**حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ**) هو ابن مسرهد قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَمَّادٌ**) هو ابن زيد، (**عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ**) أي: ابن صهيب، (**عَنْ أَنَسٍ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**وَعَنْ يُونُسَ**) هو ابن عبيد البصري وهو معطوف عَلَى قَوْلِهِ عن عبد العزيز أي: حَدَّثَنَا مُسَدَّد وأخبرنا حماد عن يُونُس، (**عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) والحاصل أن حمادًا سمعه عن أنس عاليًا ونازلًا وذلك لأنه سمع من ثابت وحدث عنه هنا بواسطة وذكر البزار أن حمادًا تفرد بطريق يُونُس بن عبيد هذه وقد أخرج الْبُخَارِيّ هذا الحديث في الاستسقاء مطولًا ومختصرًا من عشر وجوه.

قَالَ: أَصَابَ أَهْلَ المَدِينَةِ قَحْطٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، إِذْ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلَكَتِ الكُرَاعُ، هَلَكَتِ الشَّاءُ، فَادْعُ اللّهَ يَسْقِينَا، «فَمَدَّ يَدَيْهِ وَدَعَا»، قَالَ أَنَسٌ: وَإِنَّ السَّمَاءَ لَمِثْلُ الزُّجَاجَةِ، فَهَاجَتْ رِيحٌ أَنْشَأَتْ سَحَابًا، ثُمَّ اجْتَمَعَ ثُمَّ أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ عَزَالِيَهَا، فَخَرَجْنَا نَخُوضُ المَاءَ حَتَّى أَتَيْنَا مَنَازِلَنَا، فَلَمْ نَزَلْ نُمْطَرُ إِلَى الجُمُعَةِ ....

(قَالَ: أَصَابَ أَهْلَ المَدِينَةِ قَحْطٌ) أي: جدب يقال قحط المطر بكسر الحاء وفتحها إذا احتبس وانقطع وأقحط الناس إذا لم يمطروا (عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ) أي: على زمنه وفي أيامه.

فَبَيْنَما ويروى: (فَبَيْنَا) بدون ميم (هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ، إِذْ قَامَ رَجُلٌ) جواب بينما وقيل هذا الرجل هو خارجة بن حصن الفزاري.

(فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هَلَكَتِ الكُرَاعُ) بضم الكاف وحكي عن رواية الأصيلي كسرها وخُطِّئ والمراد به الخيل وقد يطلق على غيرها لكن المراد به هنا الخيل لأنه عطف عليه غيره وهو قوله.

(هَلَكَتِ الشَّاءُ) جمع شاة وأصل الشاة شاهة فحذفت لامها.

وَقَالَ ابن الأثير جمع الشاة شاء وشياه وشوى.

(فَادْعُ اللّهَ يَسْقِينَا، «فَمَدَّ يَدَيْهِ وَدَعَا»، قَالَ أَنَسٌ: وَإِنَّ السَّمَاءَ لَمِثْلُ الزُّجَاجَةِ) أي: من شدة الصفاء ليس فيها شيء من السحاب ومن الكدورات.

(فَهَاجَتْ رِيحٌ أَنْشَأَتْ) أي: ثارت ريح انشأت (سَحَابًا) وفي التوضيح فيه نظر إنما يقال نشأ السحاب إذا ارتفع وأنشأه اللّه ومنه ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: 12] أي: يبديها.

(ثُمَّ اجْتَمَعَ ثُمَّ أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ عَزَالِيَهَا) جمع عزلاء قال الحافظ العسقلاني: تثنية عزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاي فم المزادة من أسفلها وفي الجمع يجوز كسر اللام وفتحها كما في الصحارى.

(فَخَرَجْنَا نَخُوضُ المَاءَ حَتَّى أَتَيْنَا مَنَازِلَنَا) ويروى: منزلنا بالإفراد.

(فَلَمْ نَزَلْ نُمْطَرُ) بنون المتكلم في الفعلين وبصيغة المجهول في الثاني وروي بالتاء فيهما وصيغة الفاعل في الثاني أي: لم تزل السماء تمطر (إِلَى الجُمُعَةِ

الأُخرَى، فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: تَهَدَّمَتِ البُيُوتُ فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسْهُ، فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا» فَنَظَرْتُ إِلَى السَّحَابِ تَصَدَّعَ حَوْلَ المَدِينَةِ كَأَنَّهُ إِكْلِيلٌ.

3583 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ وَاسْمُهُ عُمَرُ بْنُ العَلاءِ، أَخُو أَبِي عَمْرِو بْنِ العَلاءِ، ....

الأُخْرَى، فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ) وقد تقدم في الاستسقاء ما يقرب أنه خارجة بن حصن الفزاري وما يوضح أن الذي قام أولًا هو الذي قام ثانيا وأن أنسًا رَضِيَ اللَّه عَنْهُ جزم به تارة وشك فيه أخرى.

(**فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: تَهَدَّمَتِ البُيُوتُ فَادْعُ اللَّهَ يَحْبِسْهُ، فَتَبَسَّمَ**) أي: رَسُول اللَّه ﷺ كما فِي رِوَايَةِ أبي زيد.

(**ثُمَّ قَالَ: حَوَالَيْنَا**) بفتح اللام (**وَلا عَلَيْنَا فَنَظَرْتُ إِلَى السَّحَابِ تَصَدَّعَ**) وَفِي رِوَايَةِ الأصيلي: تتصدع وهو الأصل ولكن حذفت منه إحدى التاءين.

(**حَوْلَ المَدِينَةِ كَأَنَّهُ إِكْلِيلٌ**) بكسر الهمزة وسكون الكاف هي العصابة التي تحيط بالرأس وأكثر ما تستعمل إذا كانت العصابة مكللة بالجوهر وهي من سمات ملوك الفرس وقد قيل إن أصله ما أحاط بالظفر من اللحم ثم أطلق على كل ما أحاط بشيء ويطلق على التاج المرصع أَيْضًا.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث وقوع إجابة الدعاء في الحال.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ**) أي: ابن درهم (**أَبُو غَسَّانَ**) بفتح المعجمة وتشديد المهملة العنبري بسكون النون البصري مات بعد المائتين قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ**) بالمهملتين.

(**وَاسْمُهُ عُمَرُ بْنُ العَلاءِ، أَخُو أَبِي عَمْرِو بْنِ العَلاءِ**) ابن عمارة البصري المازني.

وَقَالَ صاحب الكاشف: الأصح أنه معاذ بن العلاء لا عمرو.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: لم أر تسمية أبي حفص إلا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيّ والظاهر أنه هو الذي سماه وقد أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق بندار عن يَحْيَى بن

قَالَ: سَمِعْتُ نَافِعًا، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ ....

كثير فَقَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو حفص بن العلاء فذكر الحديث ولم يسمه وذكر الحاكم أَبُو أَحْمَد في ترجمة أبي حفص في الكنى هذا الحديث فساقه من طريق عَبْدِ اللَّه بن رجاء الغداني حَدَّثَنَا أَبُو حفص بن العلاء فذكر حديث الباب ولم يقل اسمه عمر ثم ساقه من طريق عثمان بن عمر عن معاذ بن العلاء به ثم أخرج من طريق معتمر ابن سليمان عن معاذ بن العلاء أبي غسان قَالَ وكذا ذكر الْبُخَارِيّ في التاريخ أن معاذ بن العلاء يكنى أبا غسان قَالَ الحاكم: فاللَّه أعلم أهما أخوان أحدهما يسمى عمر والآخر يسمى معاذًا وحدثا معًا عن نافع بحديث الجذع أو أحد الطريقين غير محفوظ لأن المشهور من أولاد العلاء أَبُو عمرو صاحب القراءات وأبو سُفْيَان ومعاذ فأما أَبُو حفص عمر فلا أعرفه إلا في الحديث المذكور.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ أَيْضًا: وليس لمعاذ ولا لعمر في الْبُخَارِيّ ذكر إلا في هذا الموضع وأما أَبُو عمرو بن العلاء فهو أشهر الإخوة وأجلهم وهو إمام القراءات بالبصرة وشيخ العربية بها وليس له في الْبُخَارِيّ رواية ولا ذكر إلا في هذا الموضع واختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا والأظهر أن اسمه كنيته وأما أخوه أَبُو سُفْيَان بن العلاء فأخرج حديثه التِّرْمِذِيّ.

(**قَالَ: سَمِعْتُ نَافِعًا، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ**) أي: مستندًا إليه.

(**فَلَمَّا اتَّخَذَ المِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ**) وفي حديث سهل بن سعد عند أبي نعيم فقال ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة، فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم وَفِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ فأتاه فاحتضنه فسكن. وَقَالَ لو لم أفعل لما سكن وفي حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا عند الدارمي بلفظ لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عند أبي عوانة وابن خزيمة وأبي نعيم والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رَسُول اللَّه ﷺ ثم أمر به فدفن.

وفي حديث أبي سَعِيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عند الدارمي فأمر به أن يحفر له ويدفن

وَقَالَ عَبْدُ الحَمِيدِ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ العَلاَءِ، عَنْ نَافِعٍ بِهَذَا، وَرَوَاهُ أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي رَوَّادٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

فإن قيل وفي حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللّه عَنْهُ فأخذ أبي بن كعب ذلك الجزع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلي وعاد ترابًا فالجواب أنه لا ينافي ما تقدم من دفنه لأنه يحتمل أنه ظهر بعد الهدم عند التنظيف فأخذه أبي بن كعب رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**وَقَالَ عَبْدُ الحَمِيدِ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ العَلاَءِ، عَنْ نَافِعٍ بِهَذَا**) قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: لم أر من ترجم له في رجال الْبُخَارِيّ إلا أن المزي ومن تبعه جزموا بأنه عبد بن حميد الْحَافِظ المشهور وقالوا كان اسمه عبد الحميد وإنما قيل له عبد بغير إضافة تخفيفًا.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وقد راجعت الموجود من مسنده وتفسيره فلم أر هذا الحديث فيه نعم وجدته عن عَبْدِ اللّه بن عبد الرحمن الدارمي أَخْرَجَهُ في مسنده المشهور عن عثمان بن عمر بهذا الإسناد ثم قوله أَخْبَرَنَا معاذ بن العلاء وقع فِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق أبي عبيدة الحداد عن معاذ بن العلاء وهو أخو أبي عمرو بن العلاء القارئ وقوله عن نافع وقع فِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيّ وابن حبان سمعت نافعًا.

(**وَرَوَاهُ أَبُو عَاصِمٍ**) هو النبيل من كبار شيوخ الْبُخَارِيّ.

(**عَنِ ابْنِ أَبِي رَوَّادٍ**) هو عبد العزيز بن أبي رواد بفتح الراء وتشديد الواو واسمه ميمون المَرْوَزِيّ، (**عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) وهذا التعليق وصله البيهقي من طريق سَعِيد بن عمرو عن أبي عاصم مطولًا وَأَخْرَجَهُ أَبُو داود عن الحسين بن علي عن أبي عاصم مختصرًا.

فائدة:

ووقع في حديث الحسن عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول يا معشر المسلمين الخشبة تحنّ إلى رَسُول اللّه ﷺ شوقًا إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

3584 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا».

(**حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ**) الفضل بن دكين قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ**) ضد الأيسر المخزومي مولى ابن عمرو المكي.

(**قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي**) هو أيمن الحبشي من أفراد الْبُخَارِيّ.

(**عَنْ جَابِرٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، (**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ**) أي: وقت الخطبة (**إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ**) شك من الراوي وقد أَخْرَجَهُ الإسماعلي من طريق وكيع عن عبد الواحد فقَالَ إلى نخلة ولم يشك.

(**فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ**) ويروى أو رجل من الأنصار وهو شك من الراوي وقد مضى الكلام فيه في الجمعة.

وَقَالَ مالك: غلام لرجل من الأنصار وهو غلام سعد بن عبادة.

وَقَالَ غيره: غلام لامرأة من الأنصار أو للعباس وكان ذلك سنة سبع وقيل ثمان.

(**يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ**) بضم الدال على البناء للمفعول وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيْهَنِيّ بالراء كذلك.

(**إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ**) أي: الجذع وَفِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيْهَنِيّ فضمها أي: الشجرة أو النخلة.

(**إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ**) على البناء للمفعول من التسكين.

(**قَالَ**) ﷺ: (**«كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»**) ومطابقته للترجمة كالسابق.

3585 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى ابْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: «كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، ....

(**حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ**) هو ابن أبي إدريس (**قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي**) هو أبو بكر عبد الحميد، (**عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ**) القرشي التَّيْمِيّ، (**عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ**) الأَنْصَارِيّ أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي**) بالإفراد (**حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ**) الأَنْصَارِيّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، (**يَقُولُ: كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ**) أراد أن الجذوع كانت له كالأعمدة، (**فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ**) وفي رواية سقط، وقوله إذا خطب وهو المراد (**يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا**) أي: من تلك الجذوع مستندًا إليه.

(**فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ**) ويروى: فيما وضع المنبر، (**وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ**) بكسر المهملة وبالمعجمة الخفيفة جمع عشراء وهي الناقة التي أتت عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر وقد وقع فِي رِوَايَةِ عبد الواحد بن أيمن فصاحت النخلة صياح الصبي وفي حديث أبي الزبير عن جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند النَّسَائِيّ في الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج انتهى.

والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها وفي حديث أنس عند ابن خزيمة فحنت الخشبة حنين الوالدة وفي روايته الأخرى عند الدارمي خار ذلك الجذع كخوار الثور.

وفي حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللّه عَنْهُ عند أَحْمَد والدارمي وابن ماجة: فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق.

وفي حديث بريدة عند الدارمي أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ له اختر أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت يعني قبل أن تصير جذعا وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك أولياء اللّه فَقَالَ للنبي ﷺ

حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ».

3586 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنِي بِشْرُ ابْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، يُحَدِّثُ عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الفِتْنَةِ؟ ....

اختار أن تغرسني في الجنة ويروى: فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ اختار أن أغرسه في الجنة.

(حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ) قَالَ البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف وفيه دلالة على أن الجمادات قد يخلق اللّه لها إدراكًا كالحيوان بل هي كأشرف الحيوان وفيه تأييد لقول من يحمل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44] على ظاهره وقد نقل ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي قَالَ ما أعطى اللّه نبيًّا ما أعطى محمدًا ﷺ فقلت أعطى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إحياء الموتى قَالَ أعطى محمدًا ﷺ حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكثر من ذلك.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وفي إسناده رواية الأقران وهي رواية يَحْيَى ابن سَعِيد عن حفص لأنه في طبقته وفيه رواية تابعي عن تابعي عن صحابي.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ) هو محمد بن أبي عديّ بل هو مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن أبي عدي أَبُو عمر والبصري واسم أبي عدي إِبْرَاهِيم أَيْضًا.

(عَنْ شُعْبَةَ)، (ح) تحويل من سند إلى آخر.

وَ(حَدَّثَنِي) قد مرّ أن الأولى حذف الواو بعد حاء التحويل (بِشْرُ) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (ابْنُ خَالِدٍ) أَبُو مُحَمَّد العسكري الفرائضي قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ) أي: ابن مهران الأَعْمَش أنه قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ) شقيق بن سلمة (يُحَدِّثُ عَنْ حُذَيْفَةَ) أي: ابن النعمان العبسي رَضِيَ اللّه عَنْهُ صاحب سر رَسُول اللّه ﷺ.

(أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الفِتْنَةِ؟) وفي رواية يَحْيَى القطان عن الأَعْمَش في الصلاة كنا جلوسًا عند عمر

فَقَالَ حُذَيْفَةُ[1] : أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ، إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، ....

رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ فَقَالَ أيكم والمخاطب بذلك الصحابة رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ ففي رواية ربعي عن حذيفة أنه قدم من عند عمر رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ فَقَالَ سأل عمر أمس أصحاب مُحَمَّد ﷺ أيكم سمع قول رَسُول اللّٰه ﷺ في الفتنة والمراد بالفتنة ما يعرض للإنسان مع ما ذكر من البشر أو أن يأتي لأجل الناس بما لا يحل له أو يخل بما يجب عليه.

(**فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ**) ﷺ **وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيّ** في الزكاة: أنا أحفظه كما قاله (**قَالَ: هَاتِ**) تقول هات يا رجل بكسر التاء أي: أعطني وللاثنين هاتيا مثل آتيا وللجمع هاتوا وللمرأة هاتي وللمرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين قَالَ الخليل: أصل هات آت من آتى يؤتي فقلبت الألف هاء.

(**إِنَّكَ لَجَرِيءٌ**) وفي الزكاة إنك عليه لجرئ فكيف وهو من الجراءة وهو الإقدام على الشيء من غير تخوف.

(**قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ**) بالميل إليهن أو الجور عليهن في القسم والإنفاق والإيثار حتى في أولادهن ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهن.

(**وَمَالِهِ**) بالاشتغال به عن العبادة أو بحبسه عن إخراج حق اللّٰه تَعَالَى.

(**وَجَارِهِ**) بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق وإهمال التعاهد وزاده

---

(1) هو صاحب سر رسول اللّٰه ﷺ روى في الفتن روايات كثيرة، وروى عنه قال: «**كان الناس يسألون رسول اللّٰه ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني**» الحديث ذكره صاحب المشكاة برواية الشيخين، وفي الإصابة عن الصحيحين أن أبا الدرداء رضي اللّٰه عنه قال لعلقمة أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة، وروى مسلم عن حذيفة قال: لقد حدثني رسول اللّٰه ﷺ ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة، وفي المشكاة برواية الشيخين عن حذيفة قال: قام فينا رسول اللّٰه ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، الحديث. وبرواية أبي داود عنه: واللّٰه ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا واللّٰه ما ترك رسول اللّٰه ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه، واسم قبيلته، وغير ذلك من الروايات، وسيأتي في المناقب البسط في كونه صاحب السر.

تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ»، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، ....

في الصلاة والصوم وولده، والفتنة فيه بالميل الطبيعي إليه وإيثاره على كل أحد على نفسه (**تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**) وزاد في الصلاة والصوم: قال بعض المشايخ يحتمل أن يكون كل واحد من الصلاة وما معها مكفرة للمذكورات كلها لا لكل واحدة منها وإن يكون من باب اللف والنشر بأن الصلاة مثلًا مكفرة للفتنة في الأهل والصوم في الولد إلى آخره واستشكل ابن أبي جمرة وقوع التكفير بالمذكورات للوقوع في المحرم والإخلال بالواجب لأن الطاعات لا تسقط ذلك فإن حمل على الوقوع في المكروه بالمستحب لم يناسب إطلاق التكفير والجواب التزام الأول وأن الممتنع من تكفير الحرام والواجب ما كان كبيرة فهي التي فيها النزاع وأما الصغائر فلا نزاع أنها تكفر لقوله تَعَالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: 31] وقد مضى شيء من البحث في هذا في كتاب الصلاة.

ثم إن أسباب الفتنة غير منحصرة فيما ذكر من الأمثلة وكذلك التكفير لا يختص بالأربع المذكورات بل كل ما شغل صاحبه عن اللّه تَعَالَى فهو فتنة له وكذلك سائر العبادات والطاعات مكفرة قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114] وتخصيص هذه الأربع دون سائر العبادات إشارة إلى تعظيم قدرها لا أن غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التكفير وفيه أَيْضًا تنبيه على ما عداها فإن العبادات إما بدنية أو مالية أو قولية فذكر من عبادة الأفعال الصلاة والصيام ومن عبادة المال الصدقة ومن عبادة الأقوال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم إن التكفير يحتمل أن يقع بنفس فعل الحسنات المذكورة ويحتمل أن يقع بالموازنة والأول أظهر وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَقَالَ ابن أبي جمرة: خص الرجل بالذكر لأنه في الغالب صاحب الحكم في دار أهله وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم.

(**قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ**) أي: ليست الفتنة التي أريدها هذه، (**وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ**) أي: ولكن أريد الفتنة التي تموج كموج البحر صرح بذلك في

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: يُفْتَحُ الباب أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لا، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لا يُغْلَقَ، ....

الرواية التي في الصلاة ويحتمل الرفع أي: مرادي الفتنة التي تموج كموج البحر أي: تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة.

(**قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**) أي: قَالَ حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لعمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: يا أمير المؤمنين (**لا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا**) أي: من هذه الفتنة التي تموج كموج البحر وزاد فِي رِوَايَةِ ربعي تعرض الفتن على القلوب فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تصير القلوب على قلبين أبيض في صفاء الزجاج لا يضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

(**إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا**) أي: لا يخرج منها شيء في حياتك قَالَ ابن المنير آثر حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ الحرص على حفظ السر ولم يصرح لعمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بما سأل عنه وإنما كنى عنه كناية وكأنه كان مأذونًا له في ذلك.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: يحتمل أن يكون حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ علم أن عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يقتل ولكنه كره أن يخاطبه بالقتل لأن عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كان يعلم أنه الباب فأتى بعبارة يحصل بها المقصود بغير تصريح بالقتل انتهى.

إلا أن في لفظ طريق ربعي ما يعكر على ذلك كما سيجيء وفي تمثيل الفتن بالدار وحياة عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بالباب لها غلق وموته بفتح ذلك الباب إشارة إلى أنه ما دامت حياة عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ موجودة وهي الباب المغلق لا يخرج من داخل تلك الدار شيء فإذا مات فقد انفتح ذلك الباب فخرج ما في تلك الدار.

(**قَالَ**) أي: عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (**يُفْتَحُ الباب أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لا، بَلْ يُكْسَرُ**) أي: قال حذيفة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: لا يفتح بل يكسر.

(**قَالَ**) أي: عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (**ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لا يُغْلَقَ**) وفي الصيام ذاك أجدر أن لا يغلق إلى يوم القيامة قَالَ ابن بطال إنما قَالَ ذلك لأن العادة أن الغلق إنما يقع في الصحيح فأما إذا انكسر فلا يتصور غلقه حتى يجبر انتهى.

قُلْنَا: عَلِمَ البَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ،

ويحتمل أن يكون كنى عن الموت بالفتح وعن القتل بالكسر ولهذا قَالَ فِي رِوَايَةِ ربعي فَقَالَ عمر كسرا لا أبا لك وقد وقع في رواية أيضًا وحديثه أن ذلك الباب رجلٌ يقتل وقيل إنما قَالَ عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ ذلك اعتمادًا على ما عنده من النصوص الصريحة في وقوع الفتن في هذه الأمة ووقوع البأس بينهم إلى يوم القيامة وسيأتي في الاعتصام حديث جابر فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 65] وقد وافق حذيفة على معنى روايته هذه أَبُو ذر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فروى الطبراني بإسناد رجاله ثقات أنه لقي عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فأخذ بيده فغمزها فَقَالَ له أَبُو ذر أرسل يدي يا قفل الفتنة، الحديث وفيه أن أبا ذر رَضِيَ اللّه عَنْهُ قال لا يصيبكم فتنة ما دام فيكم وأشار إلى عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون عن أخيه عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه قَالَ لعمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ يا غلق الفتنة فسأله عن ذلك فَقَالَ مر ونحن جلوس مع النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ: «**هذا غلق الفتنة لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش**».

(**قُلْنَا: عَلِمَ**) أي: عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**البَابَ قَالَ: نَعَمْ**) وَفِي رِوَايَةِ جامع بن شداد فقلنا لمسروق سله أكان عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ يعلم من الباب فسأله فَقَالَ: نعم.

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَد عن وكيع عن الأَعْمَش فَقَالَ مسروق لحذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ: يا أبا عَبْدِ اللّه كان عمر يعلم.

(**كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ**) أي: أن ليلة غد أقرب إلى اليوم من غد.

(**إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ**) هو بقية كلام حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ والأغاليط جمع أغلوطة وهو ما يغالط به أي: حدثته حديثًا صدقًا محققًا من حديث النَّبِيّ ﷺ لا عن اجتهاد ولا رأي.

وَقَالَ ابن بطال: إنما علم عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه الباب لأنه كان مع النَّبِيّ ﷺ على حراء وأبو بكر وعثمان فرجف فَقَالَ اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان أو فهم ذلك من قول حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ بل يكسر انتهى.

والذي يظهر أن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ علم الباب بالنص كما تقدم عن عثمان

فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنِ الباب؟، قَالَ: عُمَرُ.

3587 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، ....

ابن مظعون وأبي ذر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فلعل حذيفة حضر ذلك وقد تقدم في بدء الخلق حديث عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه سمع خطبة النَّبِيّ ﷺ يحدث عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وسيأتي في هذا الباب حديث حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه قَالَ أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وفيه أنه سمع ذلك معه من النَّبِيّ ﷺ جماعة ماتوا قبله فإن قيل إذا كان عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ عارفًا بذلك فلم شك فيه حتى سأل عنه فالجواب أن ذلك يقع مثله عند شدة الخوف ولعله خشي أن يكون نسي فسأل من يذكره وهذا هو المعتمد.

(فَهِبْنَا) بكسر الهاء أي: خفنا لفظًا ومعنى وهذا من كلام أبي وائل أي: فخفنا (أَنْ نَسْأَلَهُ) أي: حذيفة رَضِيَ اللّه عَنْهُ ودل ذلك على حسن تأدبهم مع كبارهم.

(وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا) هو ابن الأجدع من كبار التابعين وكان من أخصاء أصحاب ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ وحذيفة وغيرهما من كبار الصحابة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ.

(فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنِ الباب؟، قَالَ: عُمَرُ) فإن قيل كيف تفسير الباب بأنه عمر بعد قوله إن بينك وبينها بابًا مغلقًا والمخاطب هو عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فالجواب أن في الأول تجوزًا والمراد بين الفتنة وبين حياة عمر أو بين نفس عمر وبين الفتنة بدنه لأن البدن غير النفس والحديث قد مر في أول كتاب مواقيت الصلاة في باب الصلاة كفارة.

ومطابقته للترجمة من حيث أن فيه إخبار النَّبِيّ ﷺ عن الأمور الآتية قبل وقوعها فوقعت على وفق ما أخبر به وهي من علامات النبوة.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ) بالزاي والنون عَبْدُ اللّه بن ذكوان، (عَنِ الأَعْرَجِ) عبد الرحمن بن هرمز، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) أنه (قَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ) قيل: المراد منهم الأكراد وقد يقال المراد بأن نعالهم

وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ.

3588 - وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الأَمْرِ ....

الشعر: طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال.

ويقال: المراد أن نعالهم من الشعر بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور، وقد تقدم التصريح بشيء من ذلك في باب قتال الترك من كتاب الجهاد.

وَفِي رِوَايَةٍ لمسلم يلبسون الشعر وزعم ابن دحية أن المراد به القندس الذي يلبسونه في الشرابيش، قَالَ: وهو جلد كلب الماء.

(**وَحَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ**) وهم جنس كثير كالأكراد، وقيل: إن الترك من ولد سام بن نوح عليه السلام.

وقيل: من ولد يافث، وبلادهم ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين وشمائل الهند إلى أقصى المعمور.

(**صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ**) وصفهم بصغر العيون كأنها مثل خرق المسلة وبحمرة الوجه كأن وجوههم مطلية بالصبغ الأحمر وبذلافة الأنوف فَقَالَ ذلف الأنوف وهو بضم الذال المعجمة جمع أذلف وروي بالمهملة أَيْضًا قيل: معناه صغر الأنف مستوى الأرنبة.

وقيل: الذلافة تشمير الأنف عن الشفة العليا وجاء فطس الأنوف والفطاسة انفراش الأنف.

(**كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ**) جمع مجن وهو الترس (**المُطْرَقَةُ**) بضم الميم وسكون الطاء وفتح الراء.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: الصواب فيه المطرقة بتشديد الراء وذكر ابن دحية عن شيخه أبي إسحاق أن الصواب بسكون الطاء وفتح الراء وهي التي أطرقت بالعقب أي: ألبست حتى غلظت فكأنها ترس على ترس ومنه طارقت النعل إذا ركبت جلدًا على جلد وخرزته عليه.

(**وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الأَمْرِ**) والمراد الإمارة والحكومة.

حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ[1].

3589 - وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ، لأنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ».

(حَتَّى يَقَعَ فِيهِ، وَالنَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلام وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ، لأنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ) حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ هذا يشتمل على أربعة أحاديث:

أحدها: قتال قوم نعالهم الشعر وقتال الترك، وقد مر هذا في كتاب الجهاد في باب قتال الترك وباب الذين ينتعلون الشعر.

ثانيها: حديث تجدون من خير الناس، وقد مر ذلك بطوله في أوائل كتاب المناقب.

ثالثها: حديث الناس معادن، وقد مر هذا أَيْضًا هنالك.

رابعها: حديث ليأتين على أحدكم والأحاديث الأربعة تدخل في علامات النبوة لإخباره فيها عما لم يقع فوقع كما أخبر ولا سيما الحديث الأخير، فإن كل أحد من الصحابة رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ بعد موته ﷺ يود لو كان رآه وفقد مثل أهله وماله بل كل أحد ممن بعدهم إلى زماننا هذا يتمنى مثل ذلك فكيف بهم مع عظيم

---

(1) قال الكاندهلوي: قال الحافظ: قوله: «حتى يقع فيه» اختلف في مفهومه، فقيل معناه إن لم يكن حريصًا على الإمرة غير راغب فيها إذا حصلت له بغير سؤال تزول عنه الكراهة فيها لما يرى من إعانة اللّٰه له عليها فيأمن على دينه، ممن كان يخاف عليه منها قبل أن يقع فيها، ومن ثم أحب من أحب استمرار الولاية من السلف الصالح حتى قاتل عليها، وصرح بعض من عزل منهم بأنه لم تسره الولاية بل ساءه العزل، وقيل المراد بقوله: «حتى يقع فيه» أي: فإذا وقع فيه لا يجوز له أن يكرهه، وقيل معناه إن العادة جرت بذلك وإن من حرص على الشيء ورغب في طلبه قل أن يحصل له، ومن أعرض عن الشيء وقلت رغبته فيه يحصل له غالبًا، واللّٰه أعلم، اهـ. وقال العيني: تبعا للكرماني: قوله: «حتى يقع فيه» يحتمل وجهين:
أحدهما: أنهم إذا وقعوا فيها عن رغبة وحرص زالت عنهم محاسن الأخيار أي: صفة الخيرية كقوله من ولى قاضيًا فقد ذبح بغير سكين.
والآخر: أن خيار الناس هم الذين يكرهون الإمارة حتى يقعوا فيها فإذا وقعوا فيها وتقلدوها زال معنى الكراهة فلم يجز لهم أن يكرهوها ولم يقوموا بالواجب من أمورها أي: إذا وقعوا فيها فعليهم أن يجتهدوا في القيام بحقها فعل الراغب فيها غير كاره لها، اهـ. قلت: وعلى هذين المعنيين اكتفى الشيخ قدس سره.

3590 - حَدَّثَنِي يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا، وَكَرْمَانَ مِنَ الأعَاجِمِ ....

منزلته عندهم ومحبتهم فيه ﷺ.

(حَدَّثَنِي يَحْيَى) ابن مُوسَى هو الذي يقال له خت وقيل يَحْيَى بن جعفر البيكندي قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ) هو ابن همام، (عَنْ مَعْمَرٍ) هو ابن راشد، (عَنْ هَمَّامٍ) هو ابن منبه، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا) بضم الخاء المعجمة وبالزاي كذا قال ابن دحية، قَالَ الْكِرْمَانِيّ: هو بلاد الأهواز وتستر.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: هم قوم من العجم.

(وَكَرْمَانَ) بفتح الكاف وكسرها وهو المستعمل عند أهلها والراء ساكنة على كل حال وهو بين خراسان وبحر الهند وبين عراق العجم وسجستان.

(مِنَ الأعَاجِمِ) يقال فيه إشكال فإنه تقدم في الرواية التي قبلها حتى تقاتلوا الترك وخوزا وكرمان كما عرفت ليسا من بلاد الترك بل من بلاد العجم كما صرح بقوله من الأعاجم وروى الجرجاني خور كرمان براء مهملة مضافًا إلى كرمان، وصوّبه الدارقطني وحكاه عن الإمام أحمد، وقال غيره: تصحيف، وقيل إذا أضيف خور فبالمهملة لا غير، وإذا عطف كرمان عليه فالبزاي لا غير والإشكال باق بحاله ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك ويجتمع الإنذار بخروج الطائفتين ولا مانع في اشتراك الصنفين في الصفات المذكورة مع اختلاف الجنس ووقع فِي رِوَايَةِ مسلم من طريق سهيل عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قومًا كأن وجوههم المجان المطرقة.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: هذان الإقليمان ليسوا على هذه الصفات ثم قَالَ إما أن بعضهم كانوا بهذه الأوصاف في ذلك الوقت أو سيصيرون كذلك فيما بعد وإما أنهم بالنسبة إلى العرب كالتوابع للترك وقيل: إن بلادهم فيها موضع يقال له كرمان وقيل: إنهم يتوجهون من هذين الموضعين.

حُمْرَ الوُجُوهِ، فُطْسَ الأنُوفِ، صِغَارَ الأعْيُنِ، وُجُوهُهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ». تَابَعَهُ غَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ.

3591 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: قَالَ إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنِي قَيْسٌ، قَالَ: أَتَيْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، فَقَالَ: صَحِبْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ ثَلاثَ سِنِينَ

وَقَالَ الطيبي: لعل المراد بهما صنفان من الترك فإن أحد أصول **أحدهما**: من خوز وأحد أصول، **الآخر**: من كرمان.

(**حُمْرَ الوُجُوهِ، فُطْسَ الأنُوفِ**) الفطس جمع الأفطس والفطوسة تطامن قصبة الأنف وانتشارها وانفراشها.

(**صِغَارَ الأعْيُنِ، وُجُوهُهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ**) قد مر ما يتعلق به (**تَابَعَهُ**) أي: تابع يَحْيَى شيخ الْبُخَارِيّ (**غَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ**) وأخرج هذه المتابعة إسحاق بن راهويه والإمام أَحْمَد في مسنديهما عن عبد الرزاق وجعله أَحْمَد حديثين فصل آخره فَقَالَ: وَقَالَ رَسُول اللّٰه ﷺ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر.

(**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) المعروف بابن المديني قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة، (**قَالَ: قَالَ إِسْمَاعِيلُ**) هو ابن أبي خالد (**أَخْبَرَنِي قَيْسٌ**) هو ابن أبي حازم، (**قَالَ: أَتَيْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، فَقَالَ**) وفي نسخة: قَالَ بدون الفاء: (**صَحِبْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ ثَلاثَ سِنِينَ**) وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَد عن سُفْيَان عن إِسْمَاعِيل عن قيس قَالَ: نزل علينا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ بالكوفة وكان بينه وبين مولانا قرابة قَالَ سُفْيَان وهم أي: آل قيس بن أبي حازم موالي الأحمس قَالَ قيس فأتيناه نسلم عليه فَقَالَ له يا أبا هُرَيْرَةَ هؤلاء أنسباؤك أتوك ليسلموا عليك وتحدثهم قَالَ مرحبًا بهم وأهلًا صحبت رَسُول اللّٰه ﷺ ثلاث سنين كذا وقع في النسخ ثلاث سنين وفيه نظر لأن أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ قدم في خيبر سنة سبع وكانت خيبر في صفر ومات النَّبِيّ ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة فيكون المدة أربع سنين وزيادة وبذلك جزم حميد بن عبد الرحمن الحميري قَالَ صحبت رجلًا صحب النَّبِيّ ﷺ أربع سنين كما صحبه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ أَخْرَجَهُ أَحْمَد وغيره فكأن أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ اعتبر المدة التي لازم فيها النَّبِيّ ﷺ الملازمة

لَمْ أَكُنْ فِي سِنِيَّ أَحْرَصَ عَلَى أَنْ أَعِيَ الحَدِيثَ مِنِّي فِيهِنَّ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ» وَهُوَ هَذَا البَارِزُ»، ....

الشديدة وذلك قدومهم من خيبر أو لم يعتبر الأوقات التي وقع فيها سفر النَّبِيّ ﷺ من غزوة وحجة وعمرة لأن ملازمته فيها لم تكن كملازمته له في المدينة وما عداها لم يكن وقع له فيها الحرص الشديد أو وقع له لكن كان حرصه فيها أشد وأقوى وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(لَمْ أَكُنْ فِي سِنِيَّ) بكسر المهملة والنون وتشديد التحتانية على الإضافة أي: في سني عمري أي: في مدة عمري.

وَفِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيّ: في شيء بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها همزة واحد الأشياء.

(أَحْرَصَ) أفعل التفضيل والمفضل عليه كلاهما هو أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ فهو مفضل باعتبار الثلاثة مفضل عليه باعتبار باقي سني عمره.

(عَلَى أَنْ أَعِيَ) أي: أحفظ (الحَدِيثَ مِنِّي فِيهِنَّ) ووقع فِي رِوَايَةٍ عن يَحْيَى القطان عن إِسْمَاعِيل بلفظ: ما كنت أعقل مني فيهن ولا أحب إليَّ أن أعي ما يقول فيها.

(سَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ) وفي نسخة: بيديه.

(بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ) أي: قبلها مثل قوله تَعَالَى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الصف: 6].

(تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ، وَهُوَ هَذَا البَارِزُ) بفتح الراء بعدها زاي هكذا قيّده الأصيلي في الموضعين ووافقه ابن السكن وغيره ومنهم من ضبطه بكسر الراء.

وَقَالَ القاضي: معناه البارزون لقتال أهل الإسلام أي: الظاهرون في براز من الأرض.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: قيل: المراد بالبارز أرض فارس.

وقيل: أهل البارز هم الأكراد والذين يسكنون في البارز أي: الصحراء ويحتمل أن يراد به الجبل لأنه بارز عن وجه الأرض.

وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: وَهُمْ أَهْلُ البَازِرِ.

3592 - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ، وَتُقَاتِلُونَ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ».

وقيل: هم الديالمة وذلك لأن كلًّا من الأكراد والديالمة يسكنون في براز من الأرض أو الجبال.

(**وَقَالَ سُفْيَانُ**) المذكور في السند.

(**مَرَّةً وَهُمْ أَهْلُ البَازِرِ**) قَالَ ابن كثير: قول سُفْيَان المشهور من الرواية تقديم الراء على الزاي وعكسه تصحيف لأنه اشتبه على الراوي من البارز بتقديم الزاي على الراء وهو السوق بلغة العجم والترك أَيْضًا والحديث أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفتن.

(**حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ**) بفتح الفوقانية وسكون المعجمة وكسر اللام وبالموحدة وقد مر في الجمعة.

(**قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ، وَتُقَاتِلُونَ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ»**) على لفظ اسم المفعول من الإطراق وقد مر معناه والحديث قد مضى في كتاب الجهاد وفي باب قتال الترك وقد مضى الكلام فيه أَيْضًا.

قَالَ صاحب التلويح: وكان أول خروج هذا الجنس متغلبًا في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وستمائة فعاثوا في البلاد وأظهروا في الأرض الفساد وخربوا أكثر البلاد حتى بغداد وربطوا خيولهم في سواري الجوامع كما في الحديث وعبروا الفرات وملكوا أرض الشام في مدة يسيرة وعزموا على خيولهم إلى مصر فخرج إليهم ملكها قطز المظفر فالتقوا بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت فانجلوا عن الشام منهزمين ورأوا ما لم يشاهدوه وراحوا خاسرين صاغرين والحمد لله رب العالمين.

ثم إنهم في سنة ثمان وتسعين وستمائة ملك عليهم رجل يسمى غازان زعم أنه من أهل الإيمان ملك جملة من بلاد الشام وعاث جيشه فيها عيث عباد

الأصنام فخرج إليهم الملك الناصر مُحَمَّد فكسرهم كسرًا ليس معه انجبار وتفلل جيش التتار وذهب معظمهم إلى النار وبئس القرار انتهى كلام صاحب التلويح.

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأن هذا الذي ذكره ليس على الأصل والوجه لأن هؤلاء الذين ذكرهم ليسوا من خوز ولا من كرمان وإنما هؤلاء من أولاد جنكزخان وكان ابتداء ملكه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ولم يزل في الترقي إلى أن صار يركب في ثمانمائة ألف مقاتل وأفسد في البلاد وكان قد استولى على سمرقند وبخارى وخوارزم الذي كرسيها توريز والري وهمدان ولم يكن هو دخل بغداد وإنما خرب بغداد وقتل الخليفة هلاون بن طلوخان بن جنكزخان المذكور وقتل الخليفة المستعصم باللَّه وقتل من أهله وقرابته خلقًا كثيرًا وشغر منصب الخلافة بعده وكان قتله في سنة ست وخمسين وستمائة ثم بعد ذلك توجه هلاون إلى حلب في سنة سبع وخمسين وستمائة ودخلها في أوائل سنة ثمان وخمسين وستمائة وبقي السيف مبذولًا ودم الإسلام ممطولًا سبعة أيام ولياليها وقتلوا من أهلها خلقا كثيرًا لا يحصون وسبوا من النساء والذراري زهاء مائة ألف ثم رحل هلاون من حلب ونزل على حمص وأرسل كثيعا بن نوين مع اثني عشر طومانًا كل طومان عشرة آلاف إلى مصر ليأخذها وكان صاحب مصر حينئذ الملك المظفر فتجهز وخرج ومعه مقدار اثني عشر ألف نفس مقاتلين في سبيل اللّه فتلاقوا على عين جالوت فنصره اللّه تَعَالَى على القتال للتتار وهزمهم بعون اللّه ونصره يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة وقتل كثيعا في المعركة وقتل غالب من معه والذين هربوا قتلهم العرب في البراري والمفاوز.

وَقَالَ صاحب التوضيح: تابعًا لصاحب التلويح إنه في سنة ثمانمائة وتسعين وستمائة ملك عليهم رجل يسمى غازان إلى آخر ما ذكر عن قريب وهذا كلام صاحب التلويح وغازان هذا بالغين والزاي المعجمتين ويسمى أَيْضًا قازان بالقاف موضع الغين واسمه محمود تولى مملكة جنكزخان في العراقين وما والاهما بعد بيدوش طرغاي بن هلاون وكان قتل لسوء سيرته في سنة ثلاث وسبعمائة والملك الناصر مُحَمَّد بن قلاون لم يجتمع بقازان ولا حصلت بينهما

3593 - حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ».

الملاقاة ولا وقع بينهما حرب نعم خرج الملك الناصر لأجل حركة قازان في سنة سبعمائة ثم عاد لأجل الغلاء والشتاء المفرط والبرد الشديد الذي قتل غالب الغلمان والأتباع ثم خرج في سنة ثنتين وسبعمائة لأجل حركة التتار وحصل القتال بينه وبين قطلوشاه من أكبر أمراء قازان فنصر اللّه تَعَالَى الناصر وانهزم التتار وعاد عسكر المسلمين منصورًا.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: كان خروج جنكزخان بعد الستمائة فاستعرت بهم الدنيا نارًا خصوصًا المشرق بأسره حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وستمائة ثم لم يزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان اللنك ومعناه الأعرج واسمه تمر بفتح المثناة وضم الميم وربما أشبعت وطرق الديار الشامية وعاث فيها وحرّق دمشق حتى صارت خاوية على عروشها ودخل الروم والهند وما بين ذلك وطالت مدته إلى أن أخذه اللّه وتفرق بنوه البلاد وظهر بجميع ذلك مصداق قوله ﷺ: «**إن بني قنطورا أول من سلب أمتي ملكهم**» وهو حديث أَخْرَجَهُ الطبراني من حديث معاوية رَضِيَ اللّه عَنْهُ والمراد ببني قنطورا الترك وكان يريد بقوله أمتي أمة النسب يعني العرب لا أمة الدعوة وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(**حَدَّثَنَا الحَكَمُ**) بفتح الحاء والكاف (**ابْنُ نَافِعٍ**) أَبُو اليَمَانِ قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ**) أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، يَقُولُ: تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي**) أي: اختبئ خلفي.

(**فَاقْتُلْهُ**) وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَد من طريق أخرى عن سالم عَنْ أَبِيهِ ينزل الدجال هذه السبخة أي: خارج المدينة ثم يسلط اللّه عليه المسلمين فيقتلون شيعته حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة والحجر، فيقول الحجر والشجرة للمسلم هذا

3594 – حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ؟، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ ....

يهودي فاقتله: وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك عند خروج الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما وقع صريحًا في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ في قصة خروج الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفيه يتبع الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى فيدركه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند باب لد فيقتله وينهزم اليهود فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق اللّٰه ذلك الشيء فَقَالَ يا عَبْدَ اللّٰه للمسلم هذا يهودي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجرهم أَخْرَجَهُ ابن ماجة مطولا وأصله عند أبي داود ونحوه في حديث سمرة عند أَحْمَد بإسناد حسن وَأَخْرَجَهُ ابن مندة في كتاب الإيمان من حديث حذيفة رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ بإسناد صحيح وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجره وحجر وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء والأول أولى.

وفيه: أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة وفي قوله ﷺ: «**تقاتلكم اليهود**» جواز مخاطبة الشخص والمراد من هو منه بسبيل لأن الخطاب كان للصحابة رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ والمراد من يأتي بعدهم بدهر طويل لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان ناسب أن يخاطبوا بذلك.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن فيه إخبارًا عن أمر سيقع وهو من علامات نبوته ﷺ.

(**حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة، (**عَنْ عَمْرٍو**) هو ابن دينار، (**عَنْ جَابِرٍ**) هو ابن عَبْدِ اللّٰه الصحابي ابن الصحابي رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا، (**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ**) سعد بن مالك الخدري (**رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ**) لَهُمْ: (**فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ**

الرَّسُولَ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ».

3595 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الحَكَمِ، أَخبرَنَا النَّضْرُ، أَخْبرَنَا إِسْرَائِيلُ، أَخبرَنَا سَعْدٌ الطَّائِيُّ، أَخْبرَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ

الرَّسُولَ) ويروى: من صحب رَسُول اللّه ﷺ **(فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ)** وقد مضى الحديث في الجهاد في باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ومضى الكلام فيه هناك.

ومطابقته للترجمة مثل مطابقة الحديث السابق.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الحَكَمِ) بالمهملة والكاف المفتوحتين أبو عَبْدِ اللّه المَرْوَزِيّ الأحولي وهو من أفراده قَالَ: **(أَخْبرَنَا النَّضْرُ)** بفتح النون وسكون الضاد والمعجمة هو ابن شميل أبو الحسن المازني، مات أول سنة أربع ومائتين وقد مر في الوضوء قَالَ: **(أَخْبرَنَا إِسْرَائِيلُ)** هو ابن يُونُس بن أبي إسحاق السبيعي قَالَ: **(أَخْبرَنَا سَعْدٌ)** أَبُو مجاهد **(الطَّائِيُّ)** قَالَ: **(أَخْبرَنَا مُحِلٌّ)** بضم الميم وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام.

(ابْنُ خَلِيفَةَ) بفتح المعجمة وكسر اللام وبالفاء الطائي، **(عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ)** الطائي رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنه **(قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ)** أي: الفقر.

(ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ) قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ لم أقف على اسم واحد منهما.

(فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟») بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الراء بلد معروف عند الكوفة وهي مدينة النعمان بن المنذر وكانت بلد ملوك العرب الذين تحت حكم آل فارس، وكان ملكهم يومئذ إياس بن قبيصة الطائي وليها من تحت يد كِسرى بعد قتل النعمان بن المنذر، ولهذا قال عديّ بن حاتم: فأين دعّار طيّئ؟

(قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا) على البناء للمفعول أي: أخبرت عنها.

(قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ) بالظاء المعجمة المرأة في

تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لا تَخَافُ أَحَدًا إِلا اللّهَ»، ـ قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلادَ ـ، «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ

الهودج وهو في الأصل اسم الهودج.

(تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ) وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَد من طريق آخر عن عدي من غير جوار أحد.

(لا تَخَافُ أَحَدًا إِلا اللَّهَ، قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ) بضم الدال المهملة وتشديد العين المهملة جمع داعر وهو الشاطر الخبيث المفسد وأصله عود داعر إذا كان كثير الدخان قَالَ الجواليقي والعامة تقوله بالذال المعجمة فكأنهم ذهبوا به إلى معنى النزع والمعروف الأول والمراد قطاع الطريق وطيئ قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتم المذكور واسم طيئ جلهمة بن أدد بن زيد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن الهلان بن سبأ وبلادهم ما بين العراق والحجاز وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جوار ولذلك تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة.

ووقع فِي رِوَايَةِ لأحمد من طريق الشعبي عن عدي بن حاتم قلت يا رَسُول اللّه فأين مقاتب طيئ ورجالها ومقاتب بالقاف جمع مقتب وهو العسكر ويطلق على الفرسان.

(الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلادَ) أي: أوقدوا نار الفتنة أي: ملؤوا الأرض شرًّا وفسادًا وهو مستعار من سعرت النار إذا أوقدت واستعار النار توقدها.

(وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ) على البناء للمفعول وبفتح اللام وتشديد النون (كُنُوزُ كِسْرَى) بكسر الكاف وفتحها علم من ملك الفرس لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز ولذلك استفهم عدي بن حاتم عنه.

وَقَالَ: (قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ) وإنما قَالَ ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك.

(وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ) على البناء للفاعل وباللام المفتوحة والنون المشددة خطاب لعديّ.

الرَّجُلَ يُخرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلا يَرَى إِلا جَهَنَّمَ». قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ ....

(الرَّجُلَ) منصوب بقوله: لترين (يُخْرِجُ) بضم الياء من الإخراج.

(مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ) أي: لعدم الفقر في ذلك الزمان.

وقد تقدم في الزكاة قول من قَالَ إن ذلك يكون عند نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز وبذلك جزم البيهقي في الدلائل فقد أخرج في الدلائل من طريق يعقوب بن سُفْيَان بسنده إلى عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قَالَ لما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرًا ألا واللّه ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله يتذاكر من يضعه فيه فلا يجده قد أغنى عمر الناس قَالَ البيهقي فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم انتهى.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: ولا شك في رجحان هذا الاحتمال على الأول لقوله في الحديث ولئن طالت بك حياة.

(وَلَيَلْقَيَنَّ) بفتح المثناة التحتية وباللام المفتوحة والنون المشددة (اللَّهَ) منصوب بقوله ليلقين (أَحَدُكُمْ) مرفوع به (يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ) ويروى: فيقولن بدون اللام: (أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟) من الإفضال أي: ولم أفضل عليك منه.

(فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلا يَرَى إِلا جَهَنَّمَ قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ) بكسر الشين المعجمة أي: نصفها وَفِي رِوَايَةِ الْمُسْتَمْلي بشقة بالتاء في الموضعين.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لا تَخَافُ إِلا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ: ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ».

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا سَعدانُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِدٍ، حَدَّثَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ، سَمِعْتُ عَدِيًّا: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

3596 - حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ شُرَحْبِيلَ، ....

(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ. قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لا تَخَافُ إِلا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ) وهذا إلى آخره من كلام عدي رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(لَتَرَوُنَّ) بضم الواو وتشديد النون خطاب للجمع.

(مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ: ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ) أي: من المال فلا يجد من يقبله وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَد والذي نفسي بيده لتكون والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رَسُول اللّه ﷺ قد قالها وقد وقع ذلك كما قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «وآمن به عدي رَضِيَ اللّه عَنْهُ» والحديث قد مضى في الزكاة في باب الصدقة قبل الرد.

ومطابقته للترجمة كمطابقة الحديث السابق.

(حَدَّثَنِي عَبْدُ اللّهِ) ابْنُ مُحَمَّدٍ المعروف بالمسندي قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ) الضحاك بن مخلد أحد مشايخ الْبُخَارِيّ روى عنه هنا بالواسطة قَالَ: (أَخْبَرَنَا سَعْدَانُ بْنُ بِشْرٍ) بكسر الموحدة وسكون المعجمة يقال اسمه سَعِيد وسعدان لقبه وهو الجهني الكوفي وليس له في الْبُخَارِيّ ولا لشيخه ولا لشيخ شيخه غير هذا الحديث وهو من أفراده قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِدٍ) هو سعد الطائي المذكور في الإسناد الذي قبله قَالَ: (حَدَّثَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ، سَمِعْتُ عَدِيًّا كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ) وهذا السند بهذا الرجال وبحديثه قد مر في الزكاة في باب الصدقة قبل الرد.

(حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ شُرَحْبِيلَ) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وكسر الموحدة وباللام الكندي مات سنة ثنتي عشرة ومائتين قَالَ:

حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

(حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ يَزِيدَ) من الزيادة هو ابن أبي حبيب (عَنْ أَبِي الخَيْرِ) ضد الشر هو مرثد بن عَبْدِ اللّه ورجال الإسناد كلهم مصريون.

(عَنْ عُقْبَةَ) هو (ابْنِ عَامِرٍ) الجهني (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ) وفي بعض النسخ عن عقبة بن عامر عن النَّبِيّ ﷺ (خَرَجَ يَوْمًا) وعلى بعض النسخ فيه حذف تقديره عن النَّبِيّ ﷺ أنه خرج يومًا وهذه اللفظة تحذف كثيرًا ولا بد من التلفظ بها وقل من نبه على ذلك وقد نبهوا على حذف قَالَ خطأ وقال ابن الصلاح لا بدّ من النطق بها وفيه بحث.

(فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاتَهُ عَلَى المَيِّتِ) وقد تقدم الكلام فيه مستوفى في الجنائز.

(ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: إِنِّي فَرَطُكُمْ) بفتح الراء هو الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الأرشاء والدلاء ونحوهما.

(وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ) مَفَاتِيحِ خَزَائِنَ الأَرْضِ.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وفي بعض النسخ: (خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الأَرْضِ) والأول أظهر.

(وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا) أصله أن تتنافسوا فحذفت إحدى التاءين من التنافس وهو الرغبة في الشيء النفيس والانفراد به وكذلك المنافسة وفي الحديث سيقع فوقع كما قَالَ ﷺ وقد فتحت عليهم الفتوح بعده وآل الأمر إلى أن تحاسدوا وتقاتلوا ويقع ما هو المشاهد المحسوس لكل أحد مما يشهد بمصداق خبره ﷺ ووقع من ذلك في هذا الحديث إخباره بأنه فرطهم أي: سابقهم وكان كذلك وأن أصحابه لا يشركون بعده فكان كذلك ووقع ما أنذر به من التنافس في الدنيا.

3597 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَى أُطُمٍ مِنَ الآطَامِ، فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي أَرَى الفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيُوتِكُمْ مَوَاقِعَ القَطْرِ».

3598 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، حَدَّثَتْهُ: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ ....

وقد تقدم في معنى ذلك حديث عمرو بن عوف مرفوعًا ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم وحديث أبي سَعِيد في معناه فوقع كما أخبر وفتحت عليهم الفتوح الكثيرة وصبت عليهم الدنيا صبًّا وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرق إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ) الفضل بن دكين قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ) هو سُفْيَان بن عيينة، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) أي: ابن شهاب، (عَنْ عُرْوَةَ) أي: ابن الزبير، (عَنْ أُسَامَةَ) هو ابن زيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أنه (قَالَ: أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ، عَلَى أُطُمٍ مِنَ الآطَامِ) الأطم بضم الهمزة والطاء المهملة وقد تسكن والجمع آطام وهو حصون لأهل المدينة.

(فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي أَرَى الفِتَنَ تَقَعُ خِلالَ بُيُوتِكُمْ مَوَاقِعَ القَطْرِ») والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم أي: إنها لكثيرة وتعم الناس لا يختص بها طائفة.

قَالَ الْكِرْمَانِيّ: وهذا إشارة إلى الحروب الحادثة فيها كوقعة الحرة وغيرها وقد مضى الحديث في أواخر الحج في باب آطام المدينة.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) أنه (قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ) ربيبة النَّبِيّ واسم أبي سلمة عَبْدِ اللَّه ابن عبد الأسد.

(حَدَّثَتْهُ: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ) زوج النَّبِيّ ﷺ واسمها رملة بنت أبي سُفْيَان.

حَدَّثَتْهَا، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ، وَمأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ، وَبِالَّتِي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ».

3599 - وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَتْنِي هِنْدُ بِنْتُ الحَارِثِ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ، ....

(حَدَّثَتْهَا، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ) بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة زوج النَّبِيّ ﷺ.

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا) أي: خائفًا مما أخبر به أنه يصيب أمته.

(يَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ) ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة ولا يترحم عليه وويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة يترحم عليه وقوله للعرب يعني للمسلمين لأن أكثر المسلمين حينئذ العرب ومواليهم.

(مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ، وَمأْجُوجَ) أي: من سدهم.

(مِثْلُ هَذَا، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ) أي: بالإبهام.

(وَبِالَّتِي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ) رضي الله عنها (فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟) أرادت أيقع الهلاك بقوم وفيهم من لا يستحق ذلك.

(قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ») أي: الزنا وقيل إذا عز الأشرار وذل الصالحون والحديث قد مضى في أحاديث الأنبياء في باب قصة يأجوج ومأجوج ومضى الكلام فيه هناك وفي إسناده ثلاث صحابيات وفي صحيح مسلم روى الحديث زينب عن حبيبة عن أمها عن زينب فاجتمعت فيه أربع صحابيات.

ومطابقته للترجمة أَيْضًا ظاهرة.

(وَعَنِ الزُّهْرِيِّ) عطف على الزُّهْرِيّ الذي في الحديث السابق متصل به في الإسناد ووهم من زعم أنه معلق فإنه أورده بتمامه في الفتن عن أبي اليمان بهذا الإسناد أنه قَالَ: (حَدَّثَتْنِي هِنْدُ بِنْتُ الحَارِثِ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ) قَالَ

وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ».

3600 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ المَاجِشُونِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ ....

الدَّاوُودِيّ: الخزائن الكنوز وقيل خزائن اللّه علم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو.

(**وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ**) أي: القتال الذي يكون بين المسلمين أورد هذا الحديث مختصرًا وتمامه يأتي في الفتن إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(**حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ**) بفتح اللام (**ابْنِ المَاجِشُونِ**) بكسر الجيم وفتحها وضمها.

قَالَ الْكِرْمَانِيّ: وفي بعض النسخ عبد العزيز بن أبي سلمة بن الماجشون بزيادة لفظة ابن بعد أبي سلمة.

والصواب عدمه وجاز فيه ضم النون لأنه صفة لعبد العزيز ويجوز كسرها لأنه صفة لأبي سلمة.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: قَالَ ابن سعد يعقوب بن أبي سلمة هو الماجشون فسمي بذلك هو وولده فيعرفان جميعًا بالماجشون وسمي بذلك لأن وجنتيه كانتا حمراوين فسمي بالفارسية ما يكون فيه خمر فشبه وجنتاه بالجمر فعربه أهل المدينة فقالوا الماجشون ويعقوب بن أبي سلمة هو عم عبد العزيز المذكور ثم إن عبد العزيز المذكور هو عبد العزيز بن عبد اللّه بن أبي سلمة.

(**عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ**) هو عبد الرحمن بن عَبْدِ اللّه بن أبي صعصعة ينسب إلى جده وروايته لهذا الحديث عَنْ أَبِيهِ لا عن أبي صعصعة كما قَالَ، (**عَنْ أَبِيهِ**) عَبْدِ اللَّه، (**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا**) بضم الراء وتخفيف العين المهملة وهو المخاط يقال شاة رعوم بها داء يسيل من أنفها الرعام أي: نحِّ الرعام منها ويروى رعاتها جمع الراعي نحو القضاة والقاضي.

(**فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ**

مَالِ المُسْلِمِ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، أَوْ سَعَفَ الجِبَالِ فِي مَوَاقِعِ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ».

3601 - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ الأُوَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا

مَالِ المُسْلِمِ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ) بالشين المعجمة.

(**أَوْ سَعَفَ الجِبَالِ**) شك من الراوي وهو جمع سعفة في رأس الجبل والشك إما في حركة العين وسكونها وإما في الشين المهملة أو المعجمة وهي غصن النخل.

وَقَالَ ابن الأثير: غصن النخل إذا يبس يسمى سعفة بالسين المهملة وإذا كان رطبًا فهي شطبة والشعف بالشين المعجمة رأس جبل من الجبال ومنه قيل لأعلى شعر الرأس شعفة.

(**فِي مَوَاقِعِ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**) والحديث قد مضى في باب خير مال المسلم غنم ولكن وقع التفات في المتن بالزيادة النقصان.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ الأُوَيْسِيُّ**) بضم الهمزة وفتح الواو وسكون التحتية وآخره سين مهملة نسبة إلى أويس أحد أجداده وعبد العزيز هذا هو عبد العزيز بن عَبْدِ اللَّه بن يَحْيَى أَبُو القاسم القرشي الأويسي وهو من أفراده قَالَ:

(**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ**) ابن سعد أي: ابن إِبْرَاهِيم بن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللّه عَنْهُ، (**عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**) الزُّهْرِيّ، (**عَنِ ابْنِ المُسَيَّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَتَكُونُ فِتَنٌ**) بكسر الفاء جمع فتنة (**القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا**) بضم الياء من الإشراف وهو الانتصاب للشيء والتطلع إليه والنهوض إليه والتعرض له ويروى من تشرف بصيغة الماضي من التفعل وكذا فِي رِوَايَةِ مسلم.

تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

3602 - وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُطِيعِ بْنِ الأَسْوَدِ، عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ،

(تَسْتَشْرِفْهُ) أي: تغلبه وتصرعه وقيل: هو من الإشراف على الهلاك أي: تستهلكه. وقيل: من طلع لها بشخصه طالعته بشرفها.

(وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً) أي: موضعًا يلتجئ إليه.

(أَوْ مَعَاذًا) شك من الراوي وهو في معنى ملجأ.

(فَلْيَعُذْ بِهِ) أمر للغائب من عاذ به وفي الحديث الحث على تجنب الفتن والهرب منها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا.

ومطابقته للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا عن فتن ستقع وهذا من علامات النبوة.

(وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ) عطف عَلَى قَوْلِهِ عن ابن شهاب السابق وهو متصل لا معلق كما توهم وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بالإسنادين معًا من طريق صالح بن كيسان عن الزُّهْرِيّ.

قَالَ أي: أنه قَالَ: (حَدَّثَنِي) بالإفراد (أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَارِثِ) أي: ابن هشام بن المغيرة بن عَبْدِ اللّه بن عمر بن مخزوم المخزومي المدني الضرير ويقال له راهب قريش لكثرة صلاته ويقال اسمه أَبُو بكر وكنيته.

(عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُطِيعِ بْنِ الأَسْوَدِ) أي: ابن حارثة يكنى أبا عَبْدِ اللّه وعبد الرحمن هذا تابعي على الصحيح وذكره ابن حبان وابن منده في الصحابة وأخوه عَبْدُ اللّه بن مطيع الذي ولي الكوفة مذكور في الصحابة وعبد الرحمن هذا ليس له في الْبُخَارِيّ إلا هذا الحديث.

(عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ) أي: ابن عُرْوَة الكناني الديلي صحابي قليل الحديث من مسلمة الفتح عاش إلى خلافة يزيد بن معاوية ويقال إنه جاوز المائة.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: مات بالمدينة سنة بضع وستين وليس له في الْبُخَارِيّ غير هذا الحديث وهو خال عبد الرحمن بن مطيع الراوي عنه قَالَ الزبير بن بكار: اسم أمه أم كلثوم.

مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، هَذَا إِلا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَزِيدُ: «مِنَ الصَّلاةِ صَلاةٌ مَنْ فَاتَتْهُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ».

3603 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ».

(**مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، هَذَا إِلا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَزِيدُ «مِنَ الصَّلاةِ صَلاةٌ**) والمراد بها صلاة العصر كذلك أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ مفسرًا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن عراك بن مالك عن نوفل بن معاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول: «**من الصلاة صلاة**» فذكر مثل لفظ أبي بكر بن عبد الرحمن وزاد قَالَ فَقَالَ ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا. سمعت رَسُول اللَّه ﷺ: «**يقول هي صلاة العصر**» وقد تقدم في الصلاة في المواقيت حديث بريدة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ في ذلك مشروحًا وهو شاهد لصحة قول ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا.

(**مَنْ فَاتَتْهُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ**) على البناء للمفعول.

(**أَهْلَهُ وَمَالَهُ**) بالنصب فيهما من وتره حقه أي: نقصه ثم إن أبا بكر بن عبد الرحمن يحتمل أن يكون زاد هذا مرسلًا ويحتمل أن يكون زاده بالإسناد المذكور عن عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود عن نوفل بن معاوية ثم إن البخاري رحمه اللَّه ذكر هذه الزيادة استطرادًا لوقوعها في الحديث الذي أراد إيراده في هذا الباب وإن لم يكن لها تعلق بهذا الباب.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ**) هو الثَّوْرِيّ، (**عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: سَتَكُونُ أَثَرَةٌ**) بفتح الهمزة وفتح الثاء المثلثة ويجوز بضم الهمزة وسكون المثلثة أي: استبداد واختصاص بالأموال فيما حقه الاشتراك.

(**وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ**) قيل المراد بالحق السمع والطاعة للأئمة ولا يخرج عليهم، (**وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ**) ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا عن الأمور التي ستقع وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الفتن أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في المغازي.

3604 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيم، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ» ....

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيم) هو الملقب بصاعقة وقد مر في الوضوء قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) الهذلي الهَرَوِيّ البغدادي مات سنة ست وثلاثين ومائتين وهو أحد مشايخ الْبُخَارِيّ ومسلم وروى الْبُخَارِيّ عنه ههنا بواسطة وهو صاعقة وليس له في الْبُخَارِيّ سوى هذا الحديث. قَالَ: (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ) هو حماد بن أسامة قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ) بفتح المثناة الفوقية وتشديد التحتية واسمه يزيد بن حميد الضبعي مات سنة ثمان وعشرين ومائة وأبو التياح لقبه وكنيته أَبُو حماد.

(عَنْ أَبِي زُرْعَةَ) بضم الزاي وسكون الراء واسمه هرم بن عمرو بن جرير بن عَبْدِ اللَّه البجلي، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أنه (قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُهْلِكُ) بضم الياء من الإهلاك.

(النَّاسَ) بالنصب مفعوله.

(هَذَا الحَيُّ) بالرفع فاعله.

(مِنْ قُرَيْشٍ) يعني بسبب وقوع الفتن والحروب بينهم يتخبط أحوال الناس.

(قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ) جزاؤه محذوف تقديره لكان خيرًا ونحو ذلك ويحتمل أن يكون لو للتمني فلا تحتاج إلى جواب.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا عن المغيبات.

تنبيه:

قد نزل البخاري في إسناد هذا الحديث درجة بالنسبة إلى أبي أسامة لأنه سمع من الجمع الكثير من أصحاب أبي أسامة حتى من شيخ شيخه في هذا الحديث وهو أبو معمر، وقد أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، والإسماعيلي من رواية أبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة عن أبي أسامة وهما ممن أكثر عنه البخاري، وكأنه فاته عنهما، ونزل فيه أيضًا بالنسبة إلى شعبة درجتين

قَالَ: مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ، سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ.

3605 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ المَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الأَمَوِيُّ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ فَسَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ، يَقُولُ «هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، فَقَالَ مَرْوَانُ: غِلْمَةٌ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِي فُلانٍ، وَبَنِي فُلانٍ.

لأنه سمع من جماعة من أصحابه.

وَ(**قَالَ مَحْمُودٌ**) هو ابن غيلان أحد مشايخ الْبُخَارِيّ المشهورين.

(**حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ**) سليمان الطيالسي ولم يخرج له الْبُخَارِيّ إلا استشهادًا قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ**) أنه قَالَ: (**سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ**) أراد بذلك تصريح أبي التياح بسماعه من أبي زرعة.

(**حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ المَكِّيُّ**) هو أَحْمَد بن مُحَمَّد بن الوليد أَبُو مُحَمَّد الأزرقي ويقال الزرقي المكي قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ**) أي: ابن عمرو بن العاص (**الأَمَوِيُّ**) أَبُو أمية القرشي، (**عَنْ جَدِّهِ**) سَعِيد بن عمرو أبي عثمان القرشي الكوفي وروى له مسلم أَيْضًا إلا أن ابن ابنه عمرو من أفراد الْبُخَارِيّ وكذلك أَحْمَد بن مُحَمَّد من أفراده.

(**قَالَ**) أي: أنه قَالَ: (**كُنْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ فَسَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**يَقُولُ: سَمِعْتُ الصَّادِقَ**) أي: في نفسه (**المَصْدُوقَ**) أي: من عند اللَّه والمصدق من عند الناس.

(**يَقُولُ هَلاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ**) بكسر الغين جمع غلام جمع قلة والغلام الطارّ الشارب.

(**مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ مَرْوَانُ: غِلْمَةٌ؟**) قَالَ ذلك تعجبًا من وقوع ذلك من غلمة.

(**قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنْ شِئْتَ**) خطاب لمروان ويروى إن شئتم خطابًا له ولمن كان معه أو يكون له للتعظيم.

(**أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِي فُلانٍ، وَبَنِي فُلانٍ**) قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: قَالَ الْكِرْمَانِيّ تعجب مروان من وقوع ذلك من غلمة فأجابه أَبُو هُرَيْرَةَ إن شئت صرحت بأسمائهم، انتهى.

3606 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الحَضْرَمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

وكأنه غفل عن الطريق المذكورة في الفتن فإنها ظاهرة في أن مروان لم يوردها مورد التعجب فإن لفظه هناك فَقَالَ مروان لعنة اللّه عليهم غلمة فظهر أن في هذه الطريق اختصارًا انتهى كلام الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ.

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأنه لا مانع من تعجبه من ذلك مع لعنه عليهم فلا وجه لنسبته إلى الغفلة هذا والمراد بالهلاك تلبسهم بالأمور التي وقعت بعد قتل عثمان رَضِيَ اللّه عَنْهُ من بني أمية وغيرهم.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الفتن أَيْضًا.

(**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى**) أي: ابن عبد ربه السختياني البلخي الذي يقال له خت بفتح الخاء المعجمة وتشديد المثناة الفوقية قَالَ: (**حَدَّثَنَا الوَلِيدُ**) هو ابن مسلم القرشي الأموي أَبو العباس الدمشقي (**قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**ابْنُ جَابِرٍ**) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وقد مر في الصوم.

(**قَالَ: حَدَّثَنِي بُسْرُ**) بضم الموحدة وسكون السين المهملة (**ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ**) بصيغة التصغير (**الحَضْرَمِيُّ**) بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وقد مر في الجزية (**قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ**) هو عائذ اللّه بالعين المهملة وبالذال المعجمة من العوذ ابن عَبْدِ اللّه (**الخَوْلاَنِيُّ**) بفتح المعجمة وسكون الواو وبالنون وقد مر في الإيمان وهؤلاء الأربعة شاميون.

(**أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (**يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**) نصب على التعليل وكلمة أن مصدرية.

(**فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ**) ﷺ: (**«نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟**

قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا،

قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ») بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة وهو الدخان والمعنى ليس هو خالصًا ولكن يكون معه شوب وكدورة بمنزلة الدخان في النار.

وقيل: الدخن الأمور المكروهة قاله ابن فارس.

وَقَالَ صاحب العين: الدخن الحقد.

وَقَالَ أَبُو عبيد: تفسيره في الحديث آخر وهو قوله لا يرجع قلوب قوم على ما كانت عليه وفي الجامع هو فساد في القلب وهو مثل الدغل.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: المراد من الدخن أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفاء.

(**قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي**) بفتح الهاء وهو الهيئة والسيرة والطريقة ويروى بغير بالإضافة إلى ياء المتكلم وقد يروى بغير هدى بضم الهاء وتنوين الدال.

(**تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**) يريد الأمراء بعده أي: منهم من يدعو إلى الخير والرشاد ومنهم من يدعو إلى البدعة والضلال كالخوارج ونحوهم.

(**قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ**) بضم الدال جمع داع (**إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا**) قَالَ الْكِرْمَانِيّ: أي: من العرب.

وَقَالَ الخطابي: أي: من أنفسنا وقومنا والجلدة غشاء البدن واللون إنما يظهر فيه.

وَقَالَ الدَّاوُودِيّ: من بني آدم.

وَقَالَ الشَّيْخ أَبُو الحسن: أراد أنهم في الظاهر مثلنا معنا وفي الباطن مخالفون لنا وجلدة الشيء ظاهره.

وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

3607 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنِي قَيْسٌ، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَعَلَّمَ أَصْحَابِي الخَيْرَ، وَتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ».

(**وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ**) أي: ولو كان الاعتزال بأن تعض (**بِأَصْلِ شَجَرَةٍ**) العض أخذ الشيء بأطراف الأسنان وهو من باب علم يعلم مثل مس يمس وأصله عضض يعضض فأدغم ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: 27].

(**حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**) الواو فيه للحال وفيه لزوم جماعة المسلمين ومطاوعة إمامهم وإن كان فاسقًا في غير المعاصي.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الفتن أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في كتاب الإمارة والجماعة وابن ماجة في الفتن.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ**) القطان، (**عَنْ إِسْمَاعِيلَ**) هو ابن أبي خالد البجلي الكوفي أنه قَالَ: (**حَدَّثَنِي قَيْسٌ**) هو ابن أبي حازم، (**عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: تَعَلَّمَ**) على وزن تفعل ماضٍ من التعلم (**أَصْحَابِي الخَيْرَ وَتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ**) والمعنى أصحابي كانوا يسألون رَسُول اللَّه ﷺ عن أبواب الخير ويتعلمون الخير وأنا كنت أخاف على نفسي من إدراك الشر وتعلمت من ذلك ما يجلب الخير ويدفع الشر وهذا الحديث طرف من الحديث السابق وهو بمعناه وقد أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ من هذا الوجه باللفظ الأول إلا أنه قَالَ كان أصحاب رَسُول اللَّه ﷺ بدل قوله كان الناس.

3608 - حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ».

(حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ) هو ابن أبي حمزة، (عَنِ الزُّهْرِيِّ) أنه (قَالَ أخبرني أَبُو سَلَمَةَ) ابن عبد الرحمن (أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ) تَعَالَى (عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ) بكسر الفاء بعدها همزة مفتوحة تثنية فئة بمعنى الجماعة ووصفهما في الرواية الأخرى بالعظم أي: الكثرة والمراد بهما من كان مع علي ومعاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا لما تحاربا بصفين.

(دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ) أي: دينهما واحد لأن كلًّا منهما كان يتسمى بالإسلام أو المراد أن كلًّا منهما كان يدعي أنه المحق وذلك أن عليًّا رضي اللَّه تَعَالَى عنه كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان رضي اللَّه تَعَالَى عنه وتخلف عن بيعته أهل الشام ثم خرج طلحة والزبير ومعهما عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا إلى العراق فدعوا الناس إلى طلب قتلة عثمان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لأن الكثير منهم انضموا إلى عسكر علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فراسلوه في ذلك فأبى أن يدفعهم إليهم إلا بعد قيام دعوى من ولي الدم وثبوت ذلك على من باشره بنفسه وكان بينهم ما سيأتي بسطه في كتاب الفتن إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ورحل علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بالعساكر طالبًا أهل الشام داعيا لهم إلى الدخول في طاعته مجيبًا لهم عن شبههم في قتلة عثمان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بما تقدم فرحل معاوية بأهل الشام فالتقوا بصفين بين الشام والعراق وكانت بينهم مقتلة عظيمة كما أخبر به ﷺ وآل الأمر إلى معاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ومن معه عند ظهور علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عليهم إلى طلب التحكيم ثم رجع علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُ إلى العراق فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك وخرج ابنه الحسن بن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا بالعساكر لقتال أهل الشام وخرج إليه معاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فوقع بينهم الصلح كما أخبر به ﷺ في حديث أبي بكرة الآتي في الفتن إن اللَّه يصلح به بين فئتين من المسلمين وسيأتي بسط جميع ذلك هناك إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى.

3609 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ ....

وقال الْكِرْمَانِيّ: قوله دعواهما واحدة أي: يدعي كل منهما أنه على الحق وخصمه مبطل ولا بد أن يكون أحدهما مصيبًا والآخر مخطئًا كما كان بين علي ومعاوية رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وكان علي رضي اللّه تَعَالَى عنه هو المصيب ومخالفه مخطئ معذور في الخطأ لأنه بالاجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه.

وَقَالَ ﷺ: «**إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر**»، انتهى.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ**) المعروف بالمسندي قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**) المقتلة بفتح الميم مصدر ميمي أي: قتل عظيم فإن كان المراد من الفئتين فئة علي وفئة معاوية رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا كما زعموا فقد قتل بينهما حكى ابن الجوزي في المنتظم عن أبي الحسن البراء قَالَ قتل بصفين سبعون ألفا خمسة وعشرون ألفًا من أهل العراق وخمسة وأربعون ألفًا من أهل الشام فمن أصحاب أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ خمسة وعشرون بدريًّا وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام وكانت فيه تسعون وقعة وحكي عن ابن سيف أنه قَالَ أقاموا بصفين تسعة أو سبعة أشهر وكان القتال بينهم سبعين زحفًا.

وَقَالَ الزُّهْرِيّ: بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون رجلًا.

(**وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ**) على البناء للمفعول أي: حتى يخرج ويظهر وليس المراد بالبعث الإرسال المقارن للنبوة بل هو قوله تَعَالَى: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [مريم: 83].

(**دَجَّالُونَ**) جمع دجال واشتقاقه من الدجل وهو التخليط والتمويه والتغطية يقال دجل الرجل أي: غطاه بالباطل وقد يطلق على الكذب فعلى هذا قوله:

كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ».

(كَذَّابُونَ) تأكيد (قَرِيبًا) نصب على الحال من النكرة الموصوفة ووقع فِي رِوَايَةِ أَحْمَد قريب بالرفع على أنه صفة بعد صفة.

(مِنْ ثَلاثِينَ) أي: نفسًا (كُلُّهُمْ) أي: كل واحد منهم (يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ) وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي اللّه عنه الجزم المذكور بلفظ إن بين الساعة ثلاثين كذابًا دجلًا كلهم يزعم أنه نبي وعد منهم عَبْدُ اللّه بن الزبير ثلاثة وهم مسيلمة والأسود العنسي والمختار رواه أَبُو يعلى بإسناد حسن عنه بلفظ لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا منهم مسيلمة والعنسي والمختار.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النَّبِيّ ﷺ فخرج مسيلمة باليمامة والأسود العنسي باليمن ثم خرج في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ طلحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة وسجاح التميمية في بني تميم وفيها يقول سلس بن ربعي:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وقتل الأسود قبل أن يموت النَّبِيّ ﷺ وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر الصديق رضي اللّه تَعَالَى عنه وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر رضي اللّه تَعَالَى عنه ونقل أن سجاح أَيْضًا ثابت وأخبار هؤلاء مشهورة عند الإخباريين ثم كان أول من خرج منهم المختار بن عُبَيْد اللّه الثقفي غلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير فأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين رَضِيَ اللّه عَنْهُ فتتبعهم فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك أو أعان عليه فأحبه الناس ثم إنه زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه فروى أَبُو داود الطيالسي بإسناد صحيح عن رفاعة بن شداد قَالَ كنت أبطن شيء بالمختار فدخلت عليه يوما فَقَالَ دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي.

وروى يعقوب بن سُفْيَان بإسناد حسن عن الشَّعْبِيّ أن الأحنف بن قيس أتاه كتاب المختار إليه يذكر أنه نبي وروى أَبُو داود في السنن من طريق إِبْرَاهِيم النخعي قَالَ قلت لعبيدة بن عمرو أترى المختار منهم قَالَ أما إنه من الرؤوس

3610 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخبرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، ....

وقتل المختار سنة بضع وستين ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل وخرج في خلافة بني العباس جماعة وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مُطْلَقًا فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصف وقد أهلك اللّه تَعَالَى من وقع له ذلك منهم وبقي منهم وقطع آثارهم وكذلك يفعل من بقي منهم والدجال الأعظم خارج عن هذا العداد إذ هو يدعي الألوهية نعوذ باللَّه من فتنة المسيح الدجال خذله اللّه تَعَالَى ثم إن هذا طريق آخر في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ وفيه زيادة وهي قوله يكون بينهما مقتلة عظيمة وقوله ولا تقوم الساعة حتى يبعث إلى آخره.

(حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ) الحكم بن نافع قَالَ: (أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ) أنه (قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا) الكلام فيه قد مر غير مرة.

(نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا) جملة حالية.

(أَتَاهُ) جواب بينما (ذُو الخُوَيْصِرَةِ) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وسكون المثناة التحتية وكسر الصاد المهملة وبالراء التميمي أصل الخوارج وقد مر وصفه في باب قوله تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65] إنه غائر العينين محلوق كث اللحية.

وفي تفسير الثعلبي بينا رَسُول اللّه ﷺ يقسم غنائم هوازن جاءه ذو الخويصرة التميمي أصل الخوارج فَقَالَ اعدل وقيل هذا غير ذي الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد.

وَقَالَ ابن الأثير: في كتاب الأذواء ذو الخويصرة رجل صحابي من بني تميم وهو الذي قَالَ للنبي ﷺ في قسم قسمة اعدل، انتهى.

وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، ....

ولما ذكره السهيلي عقبه بقوله ويذكر عن الواقدي أنه حرقوص بن زهير الكعبي من سعد تميم وكان لحرقوص هذا مشاهد كثيرة مشهورة محمودة في حرب العراق مع الفرس أيام عمر رضي اللّه تَعَالَى عنه ثم صار خارجيًّا قَالَ وليس ذو الخويصرة هذا هو ذو الثدية الذي قتله علي رضي اللّه تَعَالَى عنه بالنهروان ذاك اسمه نافع ذكره أَبُو داود وقيل المعروف أن ذا الثدية اسمه حرقوص وهو الذي حمل على علي رضي اللّه تَعَالَى ليقتله فقتله علي رضي اللّه تَعَالَى عنه.

(**وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ**) روي بلفظ المتكلم وبالخطاب أي: خبت أنت لكونك تابعًا ومقتديًا لمن لا يعدل والفتح أشهر وأوجه.

(**إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟**) وقد تقدم في قصة عاد من أحاديث الأنبياء فَقَالَ خالد بن الوليد ائذن لي في قتله ولا مانع أن يكون كل منهما استأذن في ذلك على أنه لم يقطع بل قَالَ احسبه.

(**فَقَالَ: دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا**) فإن قيل كيف يستقيم التعليل بذلك إذا استحق القتل فالجواب أنه ليس للتعليل بل لتعقيب الأخبار أي: قَالَ دعه ثم عقب مقالته بقصتهم وغاية ما في الباب أن حكمه حكم المنافق وكان رَسُول اللّه ﷺ لا يقتلهم لئلا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه.

(**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**) التراقي جمع ترقوة وهي عظم واصل ما بين ثغرة النحر والعاتق وَفِي رِوَايَةِ لا يجاوز حناجرهم وفيه تأويلان؛ **أحدهما**: أنه لا يفقه قلوبهم ويحملونه على غير المراد ولا ينتفعون بما يتلونه منه، **والثاني**: أنه لا يصعد تلاوتهم في جملة الكلم الطيب إلى اللّه تَعَالَى ولا ترتفع إلى معرض القبول.

يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، ـ وَهُوَ قِدْحُهُ ـ، فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ،

(**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ**) من المروق وهو الخروج فإن كان المراد بالدين الإسلام فهو حجة لمن يكفر الخوارج وإن كان المراد الطاعة فلا يكون فيه حجة وإليه مال الخطابي.

(**كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**) على وزن فعيلة بمعنى مفعولة وهو الصيد المرمي شبه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد شيء كما قَالَ: (**يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ**) وهو حديدة السهم.

(**فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ**) بكسر الراء وبالصاد المهملة وبالفاء وهو العصب الذي يلوي فوق مدخل النصل والرصاف جمع رصفة بالحركات.

(**فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ**) بفتح النون وحكي ضمها وبكسر الضاد المعجمة وبتشديد الياء وقد فسره بقوله: (**وَهُوَ قِدْحُهُ**) بكسر القاف وسكون الدال وهو عود السهم قبل أن يراش وينصل وقيل هو ما بين الريش والنصل قاله الخطابي.

وَقَالَ ابن فارس: سمي بذلك لأنه بري حتى عاد نضوا أي: هزيلًا وحكى الْجَوْهَرِيّ عن بعض أهل اللغة أن النضي النصل والأول أولى.

(**فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ**) بضم القاف وبذالين معجمتين الأولى مفتوحة جمع قذة وهي واحدة الريش الذي على السهم يقال لكل واحد من الريش ويقال أشبه به من القذة بالقذة لأنها تحذى على مثال واحد.

(**فَلا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ**) أي: قد سبق السهم بحيث لم يتعلق به شيء من الفرث والدم ولم يظهر أثرهما فيه والفرث السرجين ما دام في الكرش ويقال الفرث ما يجتمع في الكروش مما تأكله ذوات الكروش.

وَقَالَ القاضي: يعني نفذ السهم الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق شيء منه به.

آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

(**آيَتُهُمْ**) أي: علامتهم (**رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ**) بفتح الموحدة أي: مثل قطعة اللحم (**تَدَرْدَرُ**) بدالين وراءين مهملات أي: تضطرب تجيء وتذهب وهو فعل مضارع من الدردرة وهو صوت إذا اندفع سمع له اختلاط.

(**وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ**) بضم الفاء أي: على زمان فرقة أي: افتراق (**مِنَ النَّاسِ**) وفي رواية الكُشْمِيْهَنِيّ: على خير فرقة بخاء معجمة وراء وبكسر الفاء وهي رواية الْإِسْمَاعِيلِيّ أَيْضًا أي: على أفضل طائفة ويؤيده حديث مسلم من وجه آخر عن أبي سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ يمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق أَخْرَجَهُ هكذا مختصرًا.

وَقَالَ القاضي: هم علي رَضِيَ اللّه عَنْهُ وأصحابه أو خير القرون وهو الصدر الأول.

(**قَالَ أَبُو سَعِيدٍ**) رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (**فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ**) على البناء للمفعول.

(**فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ**) أي: على وصفه الذي وصفه والفرق بين الصفة والنعت هو أن النعت ما كان لشيء خاص كالعوج والعمى والعور لأن ذلك يخص موضعًا من الجسد والصفة ما لم يكن لشيء خاص كالعظيم والكريم فلذلك قَالَ أَبُو سَعِيد رَضِيَ اللّه عَنْهُ هنا على نعت النَّبِيّ ﷺ. وقيل: النعت يكون بالحلية نحو الطويل والقصير والصفة بالأفعال نحو ضارب وخارج فلذلك لا يقال اللّه منعوت بل يقال موصوف.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الأدب وفي استتابة المرتدين وفي فضائل القرآن

3611 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ،

أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الزكاة وَالنَّسَائِيّ في فضائل القرآن وفي التفسير وابن ماجة في السنة.

(**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ**) قَالَ: (**أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة، (**عَنِ الأَعْمَشِ**) سليمان بن مهران، (**عَنْ خَيْثَمَةَ**) بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية وفتح الثاء المثلثة هو ابن عبد الرحمن الجعفي الكوفي ورث مائتي ألف وأنفقها على أهل العلم.

(**عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ**) بضم السين المهملة وفتح الواو على صيغة التصغير وغفلة بفتح الغين المعجمة والفاء وقد مر في أول كتاب اللقطة.

(**قَالَ**) أي: أنه (**قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ**) ابن أبي طالب (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلأَنْ أَخِرَّ**) من الخرور وهو الوقوع والسقوط واللام لام الابتداء وكلمة أن مصدرية.

(**مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ**) بفتح الخاء وضمها وكسرها والظاهر إباحة حقيقة الكذب في الحرب لكن الاقتصار على التعريض أفضل وقد تقدم ضبطه وشرحه في الجهاد أَيْضًا.

(**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ**) أي: الصغار وقد يعبر عن السن بالعمر والحدثاء جمع حديث السن وكذلك يقال غلمان حدثان بالضم.

(**سُفَهَاءُ الأَحْلامِ**) أي: ضعفاء العقول والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل.

(**يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ البَرِيَّةِ**) أي: من السنة وهو قول مُحَمَّد ﷺ.

يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ».

3612 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ، عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ ....

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: ويروى من خير قول البرية أي: من القرآن ويحتمل أن تكون الإضافة من باب ما يكون المضاف داخلا في المضاف إليه وحينئذ يراد بدل القرآن وهو كما قَالَ الخوارج لا حكم إلا لله في قضية التحكيم وكانت كلمة حق ولكن أرادوا بها باطلًا.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ قوله يقولون من خير قول البرية أي: القرآن كما في حديث أبي سَعِيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ الذي قبله يقرؤن القرآن وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم لا حكم إلا لله وانتزعوها من القرآن يعني من قوله تَعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 40] وحملوها على غير محلها.

(يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ) جمع حنجرة وهي رأس الغلصمة حيث تراه ناتيًا من خارج الحلق.

(فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ) وَفِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيّ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم (يَوْمَ القِيَامَةِ) وإنما كان الأجر في قتلهم لأنهم يشغلون عن الجهاد ويسعون بالفساد لافتراق كلمة المسلمين وفي الحديث إيجاب قتال الخوارج على الأئمة.

ومطابقته للترجمة ظاهرة، وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في فضائل القرآن وفي استتابة المرتدين أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الزكاة وأبو داود في السنة وَالنَّسَائِيّ في المحاربة ولم يذكر صدر الحديث.

(حدثني مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى) قَالَ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى) ابن سَعِيد القطان، (عَنْ إِسْمَاعِيلَ) هو ابن أبي خالد أنه قَالَ: (حَدَّثَنَا قَيْسٌ) أي: ابن أبي حازم العجلي، (عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ) بفتح الهمزة والراء وتشديد المثناة الفوقية كان سادس ستة في الإسلام ومات بالكوفة رضي اللَّه تَعَالَى عنه.

(قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ) وهي نوع من الثياب

فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ،

معروف وكذلك البرد (**فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا**) أي: لا تطلب النصرة من اللّه لنا على الكفار، وهذا بيان لقولهم شكونا، وكلمة ألا في الموضعين للحث والتحريض (**أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ**) بكسر الميم وسكون النون وهو آلة نشر الخشب ويقال لها أَيْضًا المئشار بالهمزة وتبدل موضع النون من نشرت الخشبة إذا قطعتها.

(**فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ**) أي: تحت لحمه أو عند لحمه.

(**مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ**) بفتح اللام وبالنون الثقيلة من التمام (**هَذَا الأَمْرَ**) أي: أمر الإسلام (**حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ**) قَالَ الْكِرْمَانِيّ: صنعاء بفتح المهملة وسكون النون وبالمد قاعدة اليمن ومدينته العظمى وحضرموت بفتح المهملة وسكون المعجمة وفتح الراء والميم بلدة أَيْضًا باليمن وجاز في مثله بناء الاسمين وبناء الأول وإعراب الثاني فإن قلت لا مبالغة فيه لأنهما بلدان متقاربان قلت الغرض بيان انتفاء الخوف من الكفار عن المسلمين ويحتمل أن يراد بها صنعاء الروم أو صنعاء دمشق قرية في جانبها الغربي في ناحية الربوة قَالَ الْجَوْهَرِيّ حضرموت اسم قبيلة أَيْضًا انتهى.

وتعقبه الْعَيْنِيّ: بأن قوله لأنهما بلدان متقاربان وليس كذلك لأن بين عدن وصنعاء ثلاث مراحل وبين حضرموت والبحر أربعة أيام وبينه وبين عدن مسافة بعيدة فعلى هذا يكون بين صنعاء وحضرموت أكثر من أربعة أيام انتهى وفيه أنه نفي المبالغة وهي تقتضي كمال التباعد فإن التقارب والتباعد من الأمور النسبية.

لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

3613 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، قَالَ: أَنْبَأَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ،

هذا وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ يحتمل أن يريد صنعاء اليمن وبينها وبين حضرموت من اليمن مسافة بعيدة ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير انتهى.

وَقَالَ ياقوت في المشترك: صنعاء اليمن أعظم مدنها وأجلها تشبه دمشق في كثرة البساتين والمياه وصنعاء قرية على باب دمشق من ناحية باب الفراديس واتصلت حيطانها بالعقبية وهي محلة في ظاهر دمشق هذا وأقول إن الظاهر أنه إنما يتحقق المبالغة إذا أريد بصنعاء صنعاء دمشق فإن المبالغة تقتضي كمال التباعد في ذلك كما لا يخفى وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ) عطف على اسم الجلالة ويحتمل أن يعطف على المستثنى منه المقدر والمعنيان متعاكسان.

(وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) وحاصل المعنى لا تستعجلوا وإن من كان قبلكم قاسوا ما ذكرنا فصبروا وأخبرهم الشارع بذلك ليقوى صبرهم على الأذى.

ومطابقة الحديث للترجمة أظهر من أن يخفى.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الإكراه وفي مبعث النَّبِيّ ﷺ أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ أَبُو داود في الجهاد وَالنَّسَائِيّ في العلم وفي الزينة.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: (حَدَّثَنَا أَزْهَرُ) بفتح الهمزة وسكون الزاي (ابْنُ سَعْدٍ) الباهلي السمان البصري مات سنة ثلاث ومائتين قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ) هو عَبْدُ اللّه بن عون بن أرطبان أَبُو عون المزني البصري (قَالَ: أَنْبَأَنِي) بالإفراد (مُوسَى بْنُ أَنَسٍ) أي: ابن مالك قاضي البصرة كذا رواه من طريق أزهر عن ابن عون وَأَخْرَجَهُ أَبُو عَوَانَةَ عن يَحْيَى بن أبي طالب عن أزهر وكذا أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ من رواية يَحْيَى بن أبي طالب ورواه عَبْدُ اللّه بن أَحْمَد بن حنبل عن يَحْيَى بن معين عن أزهر فَقَالَ عن ابن عون عن ثمامة بن عَبْدِ اللّه بن أنس بدل مُوسَى بن أنس أَخْرَجَهُ أَبُو نعيم عن الطبراني عنه وَقَالَ لا أدري ممن الوهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، ....

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: لم أره في مسند أَحْمَد وقد أَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيّ من طريق ابن المبارك عن ابن عون عن مُوسَى بن أنس قَالَ لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: 2] قعد ثابت بن قيس في بيته الحديث وهذا صورته مرسل إلا أنه يقوي أن الحديث لابن عون عن مُوسَى لا عن ثمامة.

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ) تَعَالَى (عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ) أي: ابن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك وهو الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وكان خطيب الأنصار كما وقع فِي رِوَايَةِ مسلم من وجه آخر عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

وَقَالَ كان ثابت بن شماس خطيب الأنصار ويقال إنه كان خطيب النَّبِيّ ﷺ.

(فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ) قيل ذلك الرجل هو سعد ابن معاذ رَضِيَ اللّه عَنْهُ لما روى مسلم من طريق حماد عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ فسأل النَّبِيّ ﷺ سعد بن معاذ فَقَالَ يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى فَقَالَ سعد إنه لجاري وما علمت له بشكوى واستشكل ذلك بعض الحفاظ بأن نزول الآية المذكورة كان في سنة الوفود بسبب الأقرع بن حابس وغيره وكان ذلك في سنة تسع كما سيأتي في التفسير إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى وسعد ابن معاذ رَضِيَ اللّه عَنْهُ مات قبل ذلك في بني قريظة وذلك سنة خمس ويمكن الجمع بأن الذي نزل في قصة الأقرع أول السورة وهو قوله تَعَالَى: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: 1] والذي نزل في قصة ثابت هو آية رفع الصوت وقيل الرجل المذكور هو سعد بن عبادة رَضِيَ اللّه عَنْهُ لما روى ابن المنذر في تفسيره من طريق سَعِيد بن بشر عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ في هذه القصة فَقَالَ سعد بن عبادة يا رَسُول اللّه هو جاري الحديث.

قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وهذا أشبه بالصواب لأن سعد بن عبادة من قبيلة ثابت بن قيس فهو أشبه أن يكون جاره من سعد بن معاذ لأنه من قبيلة أخرى.

وقد روى الطبراني وابن مردويه من طريق زيد بن الحباب: حدثني أَبُو ثابت

فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: ....

ابن قيس عن ثابت بن قيس قَالَ لما نزلت هذه الآية قعد ثابت يبكي فمر به عاصم ابن عدي فَقَالَ ما يبكيك؟ قَالَ الخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ فَقَالَ له رَسُول اللَّه ﷺ أما ترضى أن تعيش حميدًا، الحديث. وهذا لا يغاير أن يكون الرسول إليه من النَّبيّ ﷺ سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ثم قوله أنا أعلم لك علم هكذا فِي رِوَايَةِ الأكثرين.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: ألا للتنبيه أو الهمزة للاستفهام وفي بعضها أنا أعلم انتهى. وكأن النسخ التي عنده ألا اعلم بدل أنا أعلم فلذلك قَالَ كلمة ألا للتنبيه أو تكون الهمزة في ألا للاستفهام ثم أشار إلى رواية الأكثرين وهي أنا أعلم بقوله وفي بعضها أنا أعلم وقوله لك أي: لأجلك وقوله علمه أي: خبره.

(**فَأَتَاهُ**) أي: فأتى الرجل المذكور ثابت بن قيس.

(**فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ**) قوله: جالسًا ومنكسًا حالان مترادفان أو متداخلان ورأسه منصوب بقوله منكسًا، (**فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟**) أي: ما حالك.

(**فَقَالَ: شَرٌّ**) أي: فَقَالَ ثابت حالي شر.

(**كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ**) فيه التفات ومقتضى الظاهر أن يقول: كنت أرفع صوتي ولكنه التفت من التكلم إلى الغيبة.

(**فَقَدْ حَبِطَ**) أي: بطل (**عَمَلُهُ**) فيه التفات أَيْضًا وكذا قوله: (**وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا**) أي: فأتى الرجل المذكور النَّبيّ ﷺ فأخبره مثل ما قَالَ ثابت أنه لما نزلت: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: 2] جلس في بيته فَقَالَ هو من أهل النار وَفِي رِوَايَةِ لمسلم فَقَالَ ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا.

(**فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ**) هو متصل بالإسناد والمذكور إلى مُوسَى لكن ظاهره أن باقي الحديث مرسل وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ متصلًا بلفظ فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فَقَالَ بل هو من أهل الجنة.

فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(1).

(**فَرَجَعَ**) من الرجوع المتعدي أو الرجوع اللازم، فعلى الأول يرجع ضمير الفاعل إلى النبي ﷺ، وعلى الثاني يرجع إلى الرجل المذكور فافهم.

(**المَرَّةَ الآخِرَةَ**) ويروى الآخرة (**بِبِشَارَةٍ**) بكسر الباء وحكي بضمها والكسر أشهر وهي الخبر السار سمي بذلك لأنه يظهر طلاقة الإنسان وفرحه في بشرته.

(**عَظِيمَةٍ، فَقَالَ**) أي: النَّبِيّ ﷺ للرجل المذكور (**اذْهَبْ إِلَيْهِ**) أي: إلى ثابت (**فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**) قال الْإِسْمَاعِيلِيّ إنما يتم الغرض بهذا الحديث أي: من إيراده في باب علامات النبوة بالحديث الآخر أي: الذي مضى في كتاب الجهاد في باب التحنط عند القتال فإن فيه أنه قتل باليمامة شهيدًا يعني وظهر بذلك مصداق قوله ﷺ: «**أنه من أهل الجنة لكونه استشهد**».

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ولعل الْبُخَارِيّ أشار إلى ذلك إشارة لأن مخرج الحديثين واحد ويحتمل أن يكون الْبُخَارِيّ أشار إلى ما في بعض طرق حديث نزول الآية المذكورة وذلك فيما رواه ابن شهاب عن إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد بن ثابت قَالَ قال ثابت بن شماس يا رَسُول اللَّه إني أخشى أن أكون قد هلكت قَالَ فما ذاك قَالَ نهانا اللَّه أن نرفع صوتًا فوق صوتك وأنا جهير الحديث وفيه فَقَالَ له ﷺ: «**أما ترضى أن تعيش سعيدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة**» وهذا مرسل قوي

(1) قال الحافظ: قال الإسماعيلي إنما يتم الغرض بهذا الحديث، أي: من إيراده في باب علامة النبوة بالحديث الآخر، أي: الذي مضى في كتاب الجهاد في باب التحنط عند القتال فإن فيه أنه قتل باليمامة شهيدًا يعني وظهر بذلك مصداق قوله ﷺ: «**إنه من أهل الجنة**» لكونه استشهد، قلت ولعل البخاري أشار إلى ذلك إشارة لأن مخرج الحديثين واحد والله أعلم. ثم ظهر لي أن البخاري أشار إلى ما في بعض طرق حديث نزول الآية المذكورة وذلك فيما رواه ابن شهاب عن إسماعيل بن محمد بن ثابت قال: قال ثابت بن قيس بن شماس يا رسول الله إني أخشى أن أكون قد هلكت، فقال وما ذاك؟ قال نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا جهير، الحديث، وفيه فقال له عليه الصلاة والسلام: «**أما ترضى أن تعيش سعيدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟**» وهذا مرسل قوي الإسناد أخرجه ابن سعد: ثم بسط في تخريجه، ثم قال: وأخرجه ابن جرير عن الزهري معضلًا وقال في آخره فعاش حميدًا وقتل شهيدًا يوم مسلمة إلى آخر ما بسط.

الإسناد أَخْرَجَهُ ابن سعد عن معن بن عيسى عن مالك عنه وَأَخْرَجَهُ الدارقطني في الغرائب من طريق إِسْمَاعِيل بن أبي أويس عن مالك كذلك ومن طريق سَعِيد بن كثير عن مالك فَقَالَ فيه عن إِسْمَاعِيل عن ثابت بن قيس وهو مع ذلك مرسل لأن إِسْمَاعِيل لم يلحق ثابتًا وَأَخْرَجَهُ ابن مردويه من طريق صالح بن أبي الأخضر عن الزُّهْرِيّ فَقَالَ عن مُحَمَّد بن ثابت بن قيس أن ثابتًا فذكر نحوه وَأَخْرَجَهُ ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزُّهْرِيّ معضلًا ولم يذكر فوقه أحدًا.

وَقَالَ في آخره: فعاش حميدا وقتل شهيدًا يوم مسيلمة وأصرح من ذلك ما رواه ابن سعد بإسناد صحيح أَيْضًا من مرسل عكرمة قَالَ لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2] قال ثابت بن قيس كنت أرفع صوتي فأنا من أهل النار فقعد في بيته فذكر الحديث نحو حديث أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ وفي آخره بل هو من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون فَقَالَ ثابت أف لهؤلاء ولما يصنعون قَالَ ورجل قائم على ثلمة فقتله وقتل.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ في قصة ثابت بن قيس فَقَالَ في آخرها قَالَ أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ وكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن أعلم أنه من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة كان في بعضنا بعض انكشاف فأقبل وقد تكفن وتحنط فقاتل حتى قتل.

وروى ابن المنذر في تفسيره من طريق عطاء الخراساني قَالَ حدثتني بنت ثابت بن قيس قَالَ لما أنزل اللّه هذه الآية دخل ثابت بيته فأغلق بابه فذكر القصة مطولة وفيها قول النَّبِيّ ﷺ: «**يعيش حميدًا ويموت شهيدًا**» وفيه فلما كان يوم اليمامة ثبت حتى قتل فإن قيل فيه زيادة العدد على المبشرين بالجنة.

فالجواب أن التخصيص بالعدد لا ينافي الزائد أو المراد بالعشرة الذين بشروا بها دفعة واحدة أو بلفظ البشارة وكيف لا والحسن والحسين رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وأزواج النَّبِيّ ﷺ ورضي عنهن من أهل الجنة قطعًا اللّٰهم اجعلنا من أهل الجنة وارزقني الدفن في جوار رسولك الكريم اللّٰهم صل وسلم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

3614 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَرَأَ رَجُلٌ الكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَسَلَّمَ، فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «اقْرَأْ فُلانُ، فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ».

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله: «**لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة**» لأن هذا أمر لا يطلع عليه إلا النَّبِيّ ﷺ.

وقد أخبر أنه يعيش حميدًا ويموت شهيدًا وكان كذلك وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ**) هو مُحَمَّد بن جعفر قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ**) عمرو بن عبد اللّه السبيعي أنه قَالَ: (**سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (**قَرَأَ رَجُلٌ**) هو أسيد بن حضير (**الكَهْفَ**) أي: سورة الكهف.

(**وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ**) بكسر الفاء من النفرة.

(**فَسَلَّمَ**) أي: دعا بالسلامة كما يقال اللّهم سلم أو فوض الأمر إلى اللّه تَعَالَى ورضي بحكمه أو قَالَ سلام عليك.

(**فَإِذَا ضَبَابَةٌ**) هي السحابة تغشى الأرض كالدخان.

وَقَالَ ابن فارس: الضبابة كل شيء كالغبار.

وَقَالَ الدَّاوُودِيّ: قريب من السحاب وهي الغمام الذي يكون فيه مطرز.

(**أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ**) أي: أحاطت به، (**فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: اقْرَأْ فُلانُ**) أي: يا فلان ومعناه كان ينبغي أن تستمر على القرآن وتغتنم ما حصل لك من نزول الرحمة وتستكثر من القراءة.

(**فَإِنَّهَا**) أي: فإن الضبابة المذكورة (**السَّكِينَةُ**) واختلفوا في معناها، فقيل: هي ريح هفافة ولها وجه، وقيل: هي الملائكة وعليهم السكينة والمختار أنها شيء من مخلوقات اللّه تَعَالَى، فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة يستمعون القرآن.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا عن نزول السكينة عند قراءة القرآن وقد أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الصلاة والتِّرْمِذِيّ في فضائل القرآن.

3615 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَبُو الحَسَنِ الحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، يَقُولُ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا، فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) أبو أَحْمَد الْبُخَارِيّ البيكندي سكن بغداد وهو من أفراده وصغار شيوخه وشيخه الآخر مُحَمَّد بن يُوسُف الفريابي أكبر من هذا وأقدم سماعًا وقد أكثر الْبُخَارِيّ عنه.

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ) من الزيادة أي: (ابْنِ إِبْرَاهِيمَ أَبُو الحَسَنِ الحَرَّانِيُّ) بفتح المهملة وتشديد الراء وبالنون يعرف بالورتنيسي بفتح الواو وسكون الراء وفتح المثناة الفوقية وتشديد النون المكسورة بعدها مثناة تحتية ثم سين مهملة والورتنيسي أحد أجداده وهو إِبْرَاهِيم.

وَقَالَ أبو أَحْمَد: الحاكم اسم الورتنيسي إِبْرَاهِيم.

(حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ) هو أَبُو خيثمة الجعفي، (حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ) عمرو ابن عَبْدِ اللَّه السبيعي، قَالَ: (سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (يَقُولُ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ) أي: الصديق (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى أَبِي) هو عازب بن الحارث بن عدي الأوسي من قدماء الأنصار.

(فِي مَنْزِلِهِ)، فَاشْتَرَى رَحْلًا مِنْهُ وفي نسخة: (فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا) والرحل بفتح الراء وسكون المهملة هو للناقة كالسرج للفرس وقيل: الرحل أصغر من القتب واشتراه بثلاثة عشر درهمًا.

(فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ) أي: الرحل (مَعِي، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ) أي: يستوفيه.

(فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا) وَفِي رِوَايَةِ إسرائيل الآتية في فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن عازبًا امتنع من إرسال ابنه مع أبي بكر حتى يحدثه أَبُو بكر بالحديث وهي زيادة ثقة مقبولة لا تنافي هذه الرواية بل يحتمل قوله فَقَالَ له أبي أي: من قبل أن أحمله معه أو أعاد عازب سؤال أبي بكر

حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الغَدِ، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلا الطَّرِيقُ لا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ،

رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عن التحديث بعد أن شرطه عليه أولًا وأجابه إليه.

(حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟، قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا) سرى وأسرى لغتان بمعنى السير في الليل قَالَ اللَّه سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1].

وَقَالَ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر: 4] يستعمل كل منها بمعنى الآخر.

(لَيْلَتَنَا) وذلك حين خرجا من الغار كما سيأتي بيانه في حديث عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا في الهجرة إلى المدينة وفيه أنهما لبثا في الغار ثلاث ليال ثم خرجا.

(وَمِنَ الغَدِ) أي: بعض الغد فيه تجوز لأن السرى إنما يكون بالليل فهو كالعطف فِي قَوْلِهِ علفتها تبنًا وماء باردًا.

(حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ) أي: نصف النهار وهو استواء حالة الشمس وسمي قائمًا لأن الظل لا يظهر حينئذ فكأنه قائم واقف وَفِي رِوَايَةِ إسرائيل أسرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا أي: دخلنا في وقت الظهر.

(وَخَلا الطَّرِيقُ) هذا يدل على أنه كان في زمن الحر.

(لا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ) بيان لمعنى خلو الطريق.

(فَرُفِعَتْ لَنَا) على البناء للمفعول أي: ظهرت لأبصارنا (صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ)، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهَا أي: على يالصخرة، وَفِي رِوَايَةِ الكُشْمِيْهَنِيِّ: (لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ) أي: على الظل (الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً) وهي الجلد الذي يلبس، وقيل: المراد بها قطعة حشيش يابس مجتمعة ويقوى الأول ما فِي رِوَايَةِ يُوسُف بن إسحاق ففرشت له فروة معي وَفِي رِوَايَةِ خديج: فروة كانت معي.

(وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ) يعني من الغبار ونحو ذلك حتى لا يثيره عليه الريح وقيل: معنى النفض هنا الحراسة يقال نفضت المكان إذا

فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ ....

نظرت جميع ما فيه ويؤيده قوله فِي رِوَايَةِ إسرائيل ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا والنفضة قوم يبعثون في الأرض ينظرون هل بها عدو أو خوف والمعنى وأنا أحرسك وأدفع عنك وأطوف هل أرى أحدًا أو شَيْئًا يحترز عنه.

(**فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ**) لَهُ: (**لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ؟، فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ**) شك من الراوي أي: اللفظين قَالَ وكان الشك من أَحْمَد بن يزيد فإن مسلمًا أَخْرَجَهُ من طريق الحسن بن مُحَمَّد بن أعين عن زهير فَقَالَ فيه لرجل من أهل المدينة ولم يشك ووقع فِي رِوَايَةِ خديج فسمى رجلًا من أهل مكة ولم يشك. فإن قيل: كيف ذلك فالجواب المراد بالمدينة فِي رِوَايَةِ مسلم هو مكة ولم يرد المدينة النبوية، لأنها حينئذ لم تكن تسمى المدينة وإنما كان يقال لها يثرب وَأَيْضًا لم تجر العادة للرعاة أن يبعدوا في المراعي هذه المسافة البعيدة. ووقع فِي رِوَايَةِ إسرائيل فَقَالَ لرجل من قريش سماه فعرفته وهذا يؤيد هذا الوجه لأن قريشًا لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية إذ ذاك.

(**قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟**) بفتح اللام والموحدة وحكى القاضي عياض فِي رِوَايَةِ لبن بضم اللام وتشديد الموحدة جمع لابن أي: ذوات لبن.

(**قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ: نَعَمْ**) أي: احلب وأراد بهذا الاستفهام أمعك إذن من صاحب الغنم في الحلب لمن يمر بك على سبيل الضيافة؟ وبهذا يندفع الإشكال من يقول كيف استجاز أَبُو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أخذ اللبن من الراعي بغير إذن مالك الغنم؟ ويحتمل أن يكون أَبُو بكر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لما عرفه عرف رضاه بذلك لصداقته له أو إذنه العام لذلك إذ من عادة العرب أنهم يأذنون للرعاة إذ مر بهم ضيفٌ أن يسقوه.

وقيل: كان الغنم لحربي لا أمان له، وقيل: كانوا مضطرين، فليتأمل.

(**فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ**) أي: ثدي الشاة (**مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ**

وَالقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يرْتَوِي مِنْهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ المَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ،

وَالقَذَى) بفتح القاف والذال المعجمة مقصورًا هو الذي يقع في العين يقال قذت عينه إذا وقع فيها القذى كأنه شبه ما يصير في الضرع من الأوساخ بالقذى في العين. وَفِي رِوَايَةِ إسرائيل الآتية وأمرته فاعتقل شاة أي: وضع رجلها بين فخذيه أو ساقيه ليمنعها من الحركة.

(**قَالَ: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ**) هو القدح من الخشب.

(**كُثْبَةً**) بضم الكاف وسكون المثلثة وفتح الموحدة أي: قطعة من لبن قدر ملء القدح، وقيل: قدر حلبة خفيفة.

وَقَالَ الهَرَوِيّ والقزاز: كل ما جمعته من طعام أو لبن أو غيرهما فهي كثبة قَالَ الهَرَوِيّ بعد أن يكون قليلًا وفي نسخة كثيبة على التصغير.

(**مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ**) بكسر الهمزة وهي شيء يعمل من جلد يستصحبه المسافر.

(**حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يرْتَوِي**) أي: يستقي (**مِنْهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ**) بيان للارتواء.

(**فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ**) أي: وافق إتياني وقت استيقاظه ويروى حتى تأنيت به حتى استيقظ.

(**فَصَبَبْتُ مِنَ المَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ**) بفتح الراء وقال الجوهري بضمها.

(**أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ**) أي: طابت نفسي لكثرة ما شرب.

(**ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟»**) أي: قَالَ النَّبِيّ ﷺ لأبي بكر رضي اللّه تعالى عنه: «**ألم يأن وقت الارتحال**»، (**قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ**) بفتح العين فاعل وسراقة فاعله وهو سراقة بن

فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا ـ أُرَى ـ فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، ـ شَكَّ زُهَيْرٌ ـ فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا، فَجَعَلَ لا يَلْقَى أَحَدًا إِلا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، ....

مالك بن جعشم المدلجي أسلم بالجعرانة حين انصرف رسول اللّه ﷺ من حنين والطائف، وقال له: كيف بك إذا ألبست سواري كسرى، ولما أُتي عمر رضي اللّه عنه بسواريه ألبسه وقال: ارفع يديك وألبسهما سراقة.

(**فَقُلْتُ: أُتِينَا**) بضم الهمزة على البناء للمفعول.

(**يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ**) بالطاء المهملة أي: غاصت قوائم فرسه في تلك الأرض الصلبة يقال ارتطم في الوحل أي: دخل فيه واحتبس ورطمت الشيء أدخلته فارتطم.

(**أُرَى**) بضم الهمزة أي: أظن وهو لفظ زهير الراوي.

(**فِي جَلَدٍ**) بفتح الجيم واللام وهو الصلب من الأرض المستوي.

(**مِنَ الأَرْضِ، شَكَّ زُهَيْرٌ**) يعني قَالَ هل هذه اللفظة أم لا وَفِي رِوَايَةِ مسلم الشك من زهير وَفِي رِوَايَةِ خديج بن معاوية وهو أخو زهير ونحن في أرض شديدة كأنها مجصصة فإذا توقع من خلفي فالتفت فإذا سراقة فبكى أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ فَقَالَ أُتينا يا رَسُول اللّه قَالَ: «**كلا ثم دعا بدعوات**» الحديث.

(**فَقَالَ**) أي: سراقة للنبي ﷺ ولأبي بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ: (**إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ**) وفي رواية مسلم قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ.

(**فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا**) مبتدأ وخبر أي: فاللّه ناصر لكما.

(**أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ**) أي: ادعوا لأن أردّ عنكما الطلب، فهو علة للدعاء أو على أن أردّ عنكما الطلب. ويروى بنصب لفظة الجلالة أي: فاشهد اللّه لأجلكما على أن أرد عنكما الطلب ويروى بالجر أَيْضًا بنزع الخافض أي: فباللّه أي: فأقسم باللّه لكما على الرد، وفي شرح السنة أقسم باللّه لكما على الرد، والطلب جمع طالب (**فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا**) أي: من الارتطام، (**فَجَعَلَ**) أي: سراقة (**لا يَلْقَى أَحَدًا إِلا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ**) ويروى: كفيتم (**مَا هُنَا**) يعين ما هنا

فَلا يَلْقَى أَحَدًا إِلا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا.

3616 - حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُخْتَارٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ،

الذي تطلبونه، وَفِي رِوَايَةٍ: ما ههنا، (فَلا يَلْقَى أَحَدًا إِلا رَدَّهُ) بيان لقوله: ما ههنا.

(قَالَ: وَوَفَى لَنَا) أي: وفى سراقة بما وعده من رد الطلب وفي هذا الحديث معجزة لرسول اللّه ﷺ وفضيلة لأبي بكر رضي اللّه تَعَالَى عنه وفيه خدمة التابع للمتبوع واستصحاب الركوة في السفر وفضل التوكل على اللّه تَعَالَى وأن الرجل الجليل إذا نام يدافع عنه.

وَقَالَ الخطابي: استدل به بعض شيوخ السوء من المحدثين على الأخذ على الحديث لأن عازبًا لم يحمل الرحل حتى يحدثه أَبُو بكر بالقصة وليس هذا الاستدلال صحيحًا لأن هؤلاء اتخذوا الحديث بضاعة يبيعونها ويأخذون عليها أجرًا، وأما ما التمسه أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ من تحميل الرحل فهو من باب المعروف والعادة المقررة أن عادة التجار يحملون الأثقال إلى بيت المشتري ولو لم يكن ذلك لكان لا يمنعه أَبُو بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ من إفادة القصة والقدوة فيه قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾ [يس: 21].

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه معجزة لرسول اللّه ﷺ.

تتمة:

قَالَ البزار: لم يرو هذا الحديث تامًّا عن أبي إسحاق إلا زهير وأخوه خديج وإسرائيل، وروى شُعْبَة منه قصة اللبن خاصة انتهى. وقد رواه عن أبي إسحاق مطولًا أَيْضًا حفيده يُوسُف بن إسحاق بن أبي إسحاق وهو في الهجرة إلى المدينة لكنه لم يذكر منه قصة سراقة، وزاد فيه قصة غيرها كما سيأتي إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى.

(حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ المُخْتَارٍ) بالخاء المعجمة الأَنْصَارِيّ الدباغ وقد مر في الصلاة قَالَ: (حَدَّثَنَا خَالِدٌ) هو ابن مهران الحذاء، (عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ) قَالَ الزمخشري في ربيع الأبرار: اسم هذا الأعرابي قيس فَقَالَ في باب

قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالَ لَهُ: «لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذًا».

الأمراض والعلل دخل النَّبِيّ ﷺ على قيس بن أبي حازم يعوده فذكر القصة.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ولم أر تسميته لغيره، فهذا إن كان محفوظًا فهو غير قيس بن أبي حازم أحد المخضرمين، لأن صاحب القصة مات في زمن النَّبِيّ ﷺ ولكن أسلم في حياته ولأبيه صحبة، وعاش بعده دهرًا طويلًا.

(**قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**) وقوله: «**إِنْ شَاءَ اللّهُ**» بمعنى الدعاء وقوله يعوده في الموضعين جملة حالية.

(**قَالَ**) أي: الأعرابي: (**قُلْتُ**) خطاب للنبي ﷺ: (**طَهُورٌ؟ كَلَّا**) أي: ليس بطهور فأبى وسخط فلا جرم أماته اللَّه.

(**بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ**) شك الراوي هل هو بالفاء أو بالمثلثة وكلاهما بمعنى.

(**عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ**) بضم المثناة الفوقية من إزاره إذا حمل على الزيارة.

(**فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَنَعَمْ إِذًا**) أي: نعم إزارة القبور حينئذ ويجوز أن يكون الشارع قد علم أنه سيموت في مرضه فقوله: «**طهور وإن شاء اللّه**» دعاء له بتكفير ذنوبه ويجوز أن يكون أخبر بذلك قبل موته بعد قوله.

وَقَالَ صاحب التوضيح: فِي قَوْلِهِ: «**لا بأس طهور**» فيه دلالة على أن الطهور هو المطهر خلاف لأبي حنيفة فِي قَوْلِهِ: «الطهور» هو الطاهر.

وتعقبه الْعَيْنِيّ حيث قَالَ: ليت شعري من نقل هذا عن أَبِي حَنِيفَةَ وكيف يقول ذلك والطهور صيغة مبالغة. فإذا كان بمعنى طاهر يفوت المقصود.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن الأعرابي لما رد على النَّبِيّ ﷺ قوله: «**لا بأس طهور إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» مات على وفق ما قاله ﷺ وهذا من علامات نبوته ﷺ.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: ووجه دخوله في هذا الباب أن في بعض طرقه

3617 - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلا مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ ....

زيادة تقتضي إيراده في علامات النبوة أَخْرَجَهُ الطبراني وغيره من رواية شرحبيل والد عبد الرحمن فذكر نحو حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وفي آخره فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**أما إذا أبيت فهي كما تقول وقضاء اللّه كائن فما أمسى من الغد إلا ميتًا**» وبهذه الزيادة يظهر دخول هذا الحديث في هذا الباب، قَالَ وعجبت لإسماعيل كيف نبه على مثل ذلك في قصة ثابت بن قيس وأغفله هنا انتهى.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: أن الذي ذكره هو حاصل قوله فنعم إذا توجيه المطابقة من نفس الحديث أوجه من توجيهها من حديث آخر هل الْبُخَارِيّ وقف عليه أم لا وهل هو على شرطه أم لا هذا والحديث قد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الطب والتوحيد أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ في الطب وفي اليوم والليلة.

(**حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ**) بفتح الميمين عَبْدُ اللّه بن عمرو بن أبي الحاج المنقري المقعد البصري قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ**) هو ابن صهيب أَبُو حمزة البصري، (**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا**) نصب على أنه خبر كان. ويروى نصراني بالرفع على أن كان تامة قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ، ولم يدر اسمه لكن فِي رِوَايَةِ مسلم من طريق ثابت عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ كان منا رجل من بني النجار.

(**فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا**) وفي رواية ثابت، فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكاب فرفعوه.

(**فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلا مَا كَتَبْتُ لَهُ**) وروى ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، ما أرى يحسن مُحَمَّد إلا ما كنت أكتب له.

(**فَأَمَاتَهُ اللّهُ**) وفي رواية ثابت، فما لبث أن قصم اللّه عنقه فيهم.

(**فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ**) أي: طرحته ورمته من القبر إلى الخارج، وحكى فتح الفاء وكسرها قَالَ القزاز في جامعة كل ما طرحته من يدك فقد لفظته، ولا يقال بكسر الفاء وإنما يقال بالفتح.

الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: «هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ»[1].

(**الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ**) وَفِي رِوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ: لما لم يرض دينه.

(**نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ**) وَأَعْمَقُوا ويروى: (**وَأَعْمَقُوا لَهُ**) بزيادة له.

(**فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ**) وَ(**قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ**) وفي رواية ثابت فتركوه منبوذًا.

---

(1) قالت الشراح في اسم هذا النصراني: إنه لا يعرف، قال الحافظ وتبعه غيره لكن في رواية مسلم من طريق ثابت عن أنس رضي الله عنه كان منا رجل من بني النجار، اهـ.
وقال الرازي في تفسيره: روى الكلبي عن ابن عباس أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب هذه الآيات لرسول الله ﷺ فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عجب من ذلك فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**اكتب فهكذا نزلت**» فشك عبد الله، وقال إن كان محمد صادقًا فيما يقول فإنه يوحى إليّ كما يوحى إليه وإن كان كاذبًا فلا خير في دينه فهرب إلى مكة، فقيل: إنه مات على الكفر، وقيل: إنه أسلم يوم الفتح وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وكان عمر يقول: «**وافقني ربي في أربع**» الحديث: وفيه الرابع قلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فقال: هكذا نزلت، قال العارفون: هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر وسبب الشقاوة لعبد الله كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ اهـ. مختصرًا.
قلت: موافقة عمر رضي الله تعالى عنه في هذه الآية ذكرها السيوطي بعدة طرق، وأما تفسير هذا النصراني بعبد الله بن سعيد بن أبي سرح مشكل، فإن إسلامه في فتح مكة معروف أخرجه أبو داود في سننه، وبسط ترجمته الحافظ في القسم الأول من الإصابة، وقال: كان صاحب الميمنة في الحرب مع عمرو بن العاص في فتح مصر وله مواقف محمودة في الفتوح إلى آخر ما بسطه من مآثره، وقد أخرج صاحب المشكاة برواية الشيخين عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا كان يكتب للنبي ﷺ فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين فقال النبي ﷺ: «**إن الأرض لا تقبله**» فأخبرني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات بها فوجده منبوذًا فقال ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه مرارًا فلم تقبله الأرض، قال القاري في ذكر هذا الرجل: قيل لم يعرف اسمه، =

3618 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ المُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى، فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه ظهرت معجزة النَّبِيّ ﷺ في لفظ الأرض إياه مرات، لأنه لما ارتد عاقبه اللّه تَعَالَى بذلك ليقوم الحجة على من يراه، ويدل على صدق النَّبِيّ ﷺ والحديث من أفراد الْبُخَارِيّ.

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) قَالَ: (حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) أي: ابن سعد، (عَنْ يُونُسَ) هو ابن يزيد الأيلي، (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ) الزهري أنه (قَالَ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ المُسَيَّبِ) وفي نسخة: سَعِيد بن المسيب، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ (أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا هَلَكَ كِسْرَى) بكسر الكاف ويجوز الفتح وهو لقب كل من ولي مملكة الفرس. قَالَ ابن الأعرابي الكسر أفصح في كسرى، وكان أَبُو حاتم يختاره وأنكر الزجاج الكسر على ثعلب، واحتج بأن النسبة إليه كسروي بالفتح ورد عليه ابن فارس بأن النسبة قد يفتح فيها ما هو في الأصل مكسور أو مضموم كما قالوا في بني تغلب بكسر اللام تغلبي بفتحها وفي سلمة كذلك فليس فيه حجة على تخطئة الكسر.

(فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ) وهو لقب لكل من ولي مملكة الروم.

(فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) والمعنى لا يبقى كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام، وهذا منقول عن الشافعي

= وقيل: هو عبد اللّه بن أبي السرح، وقيل: إنه غلط فإنه مات مسلمًا بل هو رجل كان نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، اهـ.

وهذا الحديث ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى فقال: أخرج الشيخان وأحمد والبيهقي وأبو نعيم عن أنس: أن رجلًا كان يكتب الوحي لرسول اللّه ﷺ فكان يملي عليه عليًا حكيمًا فيقول: اكتب سميعًا بصيرًا فيقول: أكتب كيف شئت ويملي عليه سميعًا بصيرًا فيكتب عليمًا حكيمًا، فارتد ذلك الرجل ولحق بالمشركين، وقال: أنا أعلم بمحمد إن كنت لأكتب ما شئت فمات ذلك الرجل فقال رسول اللّه ﷺ: «**إن الأرض لا تقبله فدفن فلم تقبله الأرض**»، قال أبو طلحة: فقدمت الأرض التي مات فيها فوجدته منبوذًا فقلت: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه فلم تقبله الأرض، اهـ.

ولما فتحت العراق والشام في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنفقت كنوزهما في سبيل اللّه مثل ما أخبر به النَّبِيّ ﷺ، فكان من علامات نبوته هذا وسبب ورود الحديث أن قريشًا كانوا يأتون الشام والعراق تجارًا فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**ذلك لهم تطييبًا لقلوبهم وتبشيرًا لهم بأن ملكهما سيزول عن الإقليمين المذكورين**» وقيل: الحكمة في أن قيصر بقي ملكه وإنما ارتفع من الشام وما والاها وكسرى ذهب ملكه أصلًا ورأسًا، أن قيصر لما جاءه كتاب النَّبِيّ ﷺ قبله وكاد أن يسلم كما مضى بسط ذلك في أول الكتاب وكسرى لما أتاه كتاب النَّبِيّ ﷺ مزقه فدعا النَّبِيّ ﷺ أن يمزق ملكه كل ممزق فكان كذلك.

قَالَ الخطابي: معناه فلا قيصر بعده يملك مثل ما ملك وذلك أنه كان بالشام وبها بيت المقدس، الذي لا يتم للنصارى نسك إلا به ولا يملك على الروم أحد إلا كان قد دخله إما سرًّا وإما جهرًا، فانجلى عنها قيصر واستفتحت خزائنه، ولم يخلفه أحد من القياصرة في تلك البلاد بعد ووقع في الرواية التي في باب الحرب خدعة من كتاب الجهاد هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده، وليهلكن قيصر والحكمة فيه أنه إنما قَالَ ذلك لما هلك كسرى بن هرمز كما سيأتي في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللّه عَنْهُ في كتاب الأحكام، قَالَ بلغ النَّبِيّ ﷺ أن أهل فارس ملكوا عليهم امرأة الحديث، وكان ذلك لما مات شيرويه بن كسرى فآثروا عليهم بنته بوران وأما قيصر فعاش إلى زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللّه عَنْهُ سنة عشرين على الصحيح، وقيل: مات في زمن النَّبِيّ ﷺ والذي حارب المسلمين ولده وكان يلقب أَيْضًا قيصر وعلى كل تقدير فالمراد من الحديث وقع لا محالة لأنهما لم تبق مملكتهما على الوجه الذي كان في زمن النَّبِيّ ﷺ كما مرّ، فوجه مطابقة الحديث للترجمة أظهر من أن يخفى.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: في الكلام على الرواية التي لفظها إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وعلى الرواية التي لفظها هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده بين اللفظين بون، ويمكن الجمع بأن يكون أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ سمع أحد

3619 - حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، رَفَعَهُ، قَالَ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ»، وَذَكَرَ وَقَالَ: «لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

3620 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، ....

اللفظين قبل أن يموت كسرى والآخر بعد ذلك قَالَ ويحتمل أن يقع التغاير بالموت والهلاك فقوله إذا هلك كسرى أي: هلك ملكه وارتفع وأما قوله مات كسرى ثم لا يكون كسرى بعده فالمراد به كسرى حقيقة انتهى.

ويحتمل أن يكون المراد بقوله هلك كسرى تحقق وقوع ذلك حتى عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان لم يقع بعد للمبالغة في ذلك كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: 1] وهذا الجمع أولى لأن مخرج الروايتين متحد فحمله على التعدد خلاف الأصل فلا يصار إليه مع إمكان هذا الجمع وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. والحديث قد مضى في الخمس من وجه آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ في باب قول النَّبِيّ ﷺ: «**أحلت لكم الغنائم**».

(**حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ**) هو ابن عقبة قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو الثَّوْرِيّ، (**عَن**) عَبْدِ (**المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ**) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ (**رَفَعَهُ**) ويروى يرفعه أي: الحديث إلى رَسُول اللَّه ﷺ (**قَالَ: إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ**) هذا المقدار هو فِي رِوَايَةِ الأكثرين وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ووقع في رواية النسفي وذكره وهو متجه كأنه يقول وذكر الحديث أي: مثل الذي قبله، وأما على رواية الباقين ففيه حذف تقديره وذكر كلامًا أو حديثًا، ولم تقع هذه الزيادة في رواية الإسماعيلي.

(**وَذَكَرَ**) أي: بعد قوله إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده.

(**وَقَالَ: لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) أي: في أبواب البر والطاعات والحديث قد مضى في الخمس عن إسحاق بن إِبْرَاهِيم عن جرير عن عبد الملك عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(**حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ**) الحكم بن نافع قَالَ: (**أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ**) هو ابن أبي جمرة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ....

الحمصي، (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ) هو عَبْدُ اللّه بن عبد الرحمن بن أبي الحسين النوفلي وقد مر في البيع.

قَالَ: (حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ) أي: ابن مطعم وقد مر في الوضوء.

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أنه (قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي: على زمنه وكان قدومه في سنة تسع من الهجرة وهي سنة الوفود قَالَ ابن إسحاق قدم على رَسُول اللّه ﷺ وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب.

وَقَالَ ابن هشام: هو مسيلمة بن ثمامة ويكنى أبا ثمامة.

وَقَالَ السهيلي: هو مسيلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن همام بن ذهل بن الدول بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة.

وقيل: أبا هارون وكان قد يسمى بالرحمان وكان يقال له رحمان اليمامة وكان يعرف أبواب النيرنجات فكان يدخل البيضة في القارورة وهو أول من فعل ذلك وبذلك اغترّ قومه وكان يقص جناح الطير ثم يصله ويدعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها قَالَ الواقدي وكان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلًا عليهم سلمى بن حنظلة وفيهم طلق بن علي وعلي بن سنان ومسيلمة بن حبيب الكذاب فنزلوا في دار رعلة بنت الحارث وأجريت عليهم الضيافة فكانوا يؤتون بغداء وعشاء مرة خبزًا ولحمًا ومرة خبزًا ولبنًا ومرة خبزًا وسمنًا ومرة تمرًا، فنزلوا فلما قدموا المسجد أسلموا وقد خلفوا مسيلمة في رحالهم، ولما أرادوا الانصراف أعطاهم جوائزهم خمس أواق من فضة وأمر لمسيلمة مثل ما أعطاهم لما ذكروا أنه في رحالهم فَقَالَ أما إنه ليس بشركم مكانًا فلما رجعوا إليه أخبروه بما قَالَ عنه قَالَ إنما قَالَ ذلك لأنه عرف أن الأمر لي بعده، وبهذه الكلمة تشبث قبحه اللّه حتى ادعى النبوة.

وَقَالَ ابن إسحاق: ثم انصرفوا عن رَسُول اللّه ﷺ ولما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو اللّه وتنبّى وتكذب لهم.

فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ».

وَقَالَ اشتركت معه في الأمر ثم جعل يسجع لهم السجعات مضاهيًا للقرآن فأصفقت على ذلك بنو حنيفة وقتل في أيام أَبُو بكر الصديق رَضِيَ اللَّه عَنْهُ في وقعة اليمامة قتله وحشي قاتل حمزة وكان عمره حين مات مائة وخمسين سنة.

(**فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**) تألیفًا له ولقومه رجاء إسلامهم وليبلغ ما أنزل إليه.

وَقَال الْقَاضِي عِيَاضٌ: يحتمل أن سبب مجيئه أن مسيلمة قصده من بلده للقائه فجاءه مكافأة قَالَ وكان مسيلمة حينئذ يظهر الإسلام وإنما ظهر كفره بعد ذلك.

(**وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ**) بفتح المعجمة وتشديد الميم وبالمهملة خطيب رَسُول اللَّه ﷺ وكان يجاوب الوفود عن خطبهم.

(**وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ**) الجملة حالية.

(**حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ**) أي: خيبتك فيما أملته من النبوة وهلاكك دون ذلك وفيما سبق من قضاء اللَّه وقدره في شقاوتك ويروى لن تعد بحذف الواو للجزم بلن لغة حكاها الكسائي.

(**وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ**) أي: عن طاعتي (**لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ**) أي: ليقتلنك ويهلكك وأصله من عقر الإبل وهو أن يضرب قوائمها بالسيف ويجرحها وكان كذلك قتله اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يوم اليمامة.

(**وَإِنِّي لأَرَاكَ**) بضم الهمزة أي: أظنك (**الَّذِي**) أي: الشخص الذي (**أُرِيتُ**) على البناء للمفعول (**فِيكَ مَا رَأَيْتُ**) أي: أريت في المنام في حقك ما رأيته.

3621 - فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ: أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ، يَخْرُجَانِ بَعْدِي» فَكَانَ أَحَدُهُمَا العَنْسِيَّ، ....

(**فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ**) أي: قَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أخبرني أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَفِي رِوَايَةِ مسلم وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف عنه فَقَالَ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فسألت عن قول رَسُول اللَّه ﷺ: «**وإني لأراك**» الخ فأخبرني أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أن النَّبِيّ ﷺ، الحديث.

(**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ**) وهذا يعد من مسند أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ دون ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فلذلك ذكره الْحَافِظ المزي في مسند أَبِي هُرَيْرَةَ.

(**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ**) بكسر السين وضمها.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: قَالَ أهل اللغة أسوار بضم الهمزة أَيْضًا وفيه ثلاث لغات.

(**مِنْ ذَهَبٍ**) وفي التوضيح قوله من ذهب للتأكيد لأن السوار لا يكون إلا من ذهب فإن كان من فضة فهو قلب.

(**فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا**) أي: أحزنني أمرهما.

(**فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ: أَنِ انْفُخْهُمَا**) أي: انفخ السوارين وهو أمر من النفخ.

(**فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا**) وتأويل نفخهما أنهما قتلا بريحه والذهب زخرف يدل على زخرفهما ودلَّا بلفظهما على ملكين لأن الأساورة هم الملوك وفي النفخ دليل على اضمحلال أمرهما وكان كذلك.

(**فَأَوَّلْتُهُمَا**) أي: السوارين (**كَذَّابَيْنِ، يَخْرُجَانِ بَعْدِي**) قال النووي: أي: يظهر شوكتهما ومحاربتهما ودعواهما النبوة وإلا فقد كانا في زمنه انتهى.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: المراد بعد دعواي النبوة أو بعد ثبوت نبوتي.

(**فَكَانَ أَحَدُهُمَا العَنْسِيَّ**) أي: كان أحد السوارين في التأويل العنسي بفتح العين المهملة وسكون النون وبالسين المهملة وهو نسبة الأسود الصنعاني الذي ادعى النبوة وقيل اسمه عبهلة بفتح العين المهملة وسكون الموحدة ابن كعب وكان يقال له ذو الحمار لأنه زعم أن الذي يأتيه هو الحمار قتله فيروز الصحابي

وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ، صَاحِبَ اليَمَامَةِ.

3622 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ العَلاءِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى ـ أُرَاهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي ....

الديلمي بصنعاء دخل عليه فحطم عنقه وهذا كان في حياة رَسُول اللَّه ﷺ وفي مرضه الذي توفي فيه على الأصح والمشهور وبشر رَسُول اللَّه ﷺ الصحابة بذلك ثم بعده حمل رأسه إليه وقيل كان ذلك في زمن الصديق رَضِيَ اللَّه عَنْهُ والعنسي نسبة إلى عنس قَالَ الرشاطي اسمه زيد بن مالك بن ادد ومالك هو جماع مذحج.

وَقَالَ ابن دريد العنسي الناقة الصلبة.

(وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ) أي: والسوار الآخر في التأويل مسيلمة (صَاحِبَ اليَمَامَةِ) بفتح المثناة التحتية وتخفيف الميمين وهي مدينة باليمن على أربع مراحل من مكة شرفها اللَّه تَعَالَى ومرحلتين من الطائف قيل سميت باسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب في مسيرة ثلاثة أيام يقال هو أبصر من زرقاء اليمامة فسميت اليمامة لكثرة ما أضيف إليها والنسبة إليها يمامي.

ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله فأوّلتهما كذابين إلى آخره لأن فيه إخبارًا عنه ﷺ بأمر قد وقع بعضه في أيامه وبعضه بعده فإن العنسي قتل في أيامه ومسيلمة قتل بعده في وقعة اليمامة قتله وحشي قاتل حمزة رضي اللَّه عنه كما مر آنفًا.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في المغازي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الرؤيا وكذا التِّرْمِذِيّ فيه بقصة الرؤيا دون قصة مسيلمة وَالنَّسَائِيّ فيه أَيْضًا.

(حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ العَلاءِ) قَالَ: (حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ) بضم الموحدة مصغرًا (ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ) بالموحدة المضمومة واسمه الحارث وقيل عامر وقيل اسمه كنيته.

(عَنْ) أبيه (أَبِي مُوسَى) عَبْدِ اللَّه بن قيس الأشعري رَضِيَ اللَّه عَنْهُ.

(أُرَاهُ) بضم الهمزة أي: أظنه (عن النَّبِيّ ﷺ) أنه (قَالَ: رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي) بفتح الهاء يعني وهمي

إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ، أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الفَتْحِ، وَاجْتِمَاعِ المُؤْمِنِينَ وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ ....

واعتقادي ويجوز فيه إسكان الهاء مثل نهر ونهر يقال وهلت إلى الشيء إذا ذهب وهمك إليه يقال وهل يهل وهلا وعن أبي زيد وهلت في الشيء وعند أهل وهلا إذا نسيت وغلطت فيه وضبطه بكسر الهاء.

(**إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ**) بفتح الجيم وهي مدينة معروفة باليمن وهي قاعدة البحرين ويقال بدون الألف واللام غير منصرف بينها وبين البحرين عشر مراحل.

(**فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ**) كلمة إذا للمفاجأة وهي راجع إلى أرض بها نخل وهو مبتدأ والمدينة بالرفع خبره.

(**يَثْرِبُ**) بالرفع أَيْضًا عطف بيان بفتح المثناة التحتية وسكون الثاء المثلثة وكسر الراء ثم بالموحدة والنهي الذي ورد عن تسمية المدينة بيثرب إنما كان للتنزيه وإنما جمع بين الاسمين هنا لأجل خطاب من لا يعرفها وفي التوضيح وقد نهى عن التسمية بيثرب حتى قيل من قالها وهو عالم كتبت عليه خطيئة وسببه ما فيه من معنى التثريب والشارع من شأنه تغيير الأسماء القبيحة إلى الحسنة ويجوز أن يكون هذا قبل النهي كما أنه سمى في القرآن إخبارًا به عن تسمية الكفار لها قبل أن ينزل تسميتها.

(**وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الفَتْحِ**) أراد بالفتح فتح مكة أو هو مجاز عن اجتماع المؤمنين وإصلاح حالهم وفيه نظر لقوله: (**وَاجْتِمَاعِ المُؤْمِنِينَ وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا**) قال النَّوَوِيّ قد جاء في بعض الروايات هكذا رأيت بقرا تنحر وبهذه الزيادة يتم تأويل الرؤيا إذ نحر البقر هو قتل الصحابة بأحد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(**وَاللَّهُ خَيْرٌ**) قَالَ القاضي ضبطنا والله خير برفع الهاء والراء على المبتدأ والخبر قيل معناه ثواب الله خير أي: صنع الله بالمقتولين خير لهم من مقامهم

فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ مِنَ الخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ»[1].

3623 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ فِرَاسٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا ....

في الدنيا قَالَ والأولى قول من قَالَ إنه من جملة الرؤيا فإنها كلمة سمعها في الرؤيا عند رؤياه البقر بدليل تأويله لها بقوله وإذا الخير ما جاء اللّه به الخ.

(فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ) بِهِ (مِنَ الخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ، الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ) بضم الدال يريد به بعد أحد ولا يريد ما كان قبل أحد (يَوْمِ بَدْرٍ) قَالَ القاضي بضم دال بعد ونصب يوم قَالَ وروي بنصب الدال ومعناه ما جاء اللّه به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين لأن الناس جمعوا لهم وخوفوهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] وتفرق العدو عنهم هيبة لهم، ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا عن رؤياه الصدق ووقوعها مثل ما عبرها.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ مقطعًا في غير موضع من المغازي وعلامات النبوة والتعبير وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الرؤيا وكذا النَّسَائِيّ وابن ماجة فيه.

(حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ) الفضل بن دكين، (حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا) هو ابن أبي زائدة، (عَنْ فِرَاسٍ) بكسر الفاء وتخفيف الراء وبعد الألف سين مهملة ابن يَحْيَى المكتب وقد مرّ في الزكاة.

(عَنْ عَامِرٍ) هو الشَّعْبِيّ وفي بعض النسخ لفظ الشَّعْبِيّ مذكور.

(عَنْ مَسْرُوقٍ) هو ابن الأجدع، (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ) تَعَالَى (عَنْهَا) أنها (قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ) رَضِيَ اللّه عَنْهَا (تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا) بكسر الميم لأن فعلة بالكسر للحالة وبالفتح للمرة.

---

(1) قال الحافظ: قوله فانقطع صدره عند ابن إسحاق: ورأيت في ذباب سيفي ثلما، وعند أبي الأسود في المغازي عن عروة: رأيت سيفي ذا الفقار فد انقصم من عند ضبته، وفي رواية عروة كان الذي رأى بسيفه ما أصاب وجهه المكرم، وعند ابن هشام حدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قال: «**وأما الثلم في السيف فهو رجل من أهل بيتي يقتل**»، اهـ.

مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ: فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَأَلْتُهَا.

3624 - فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلا أُرَاهُ إِلا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي». فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ(1).

(مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ) بالرفع لأنه خبر كان بالتشديد وكان ﷺ إذا مشى كان ينحدر من صبب أي: من موضع منحدر.

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ) شك من الراوي.

(ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ) أي: كان الفرح عقيب الحزن.

(فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ: فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ) من الإفشاء وهو الإظهار.

(سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ) متعلق بمقدور أي: لم تقل حتى قبض، (فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: إِنَّ جِبْرِيلَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ (كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ) من المعارضة وهي المقابلة ومنه عارضت الكتاب بالكتاب أي: قابلته به.

(كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلا أُرَاهُ) بضم الهمزة أي: لا أظنه (إِلا حَضَرَ أَجَلِي) أي: إلا أن موتي قرب.

(وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي) بفتح اللام، (فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ) شك من الراوي.

(فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ) وفيه أن بكاؤها في هذه الرواية كان من أجل قوله ﷺ ما

---

(1) قال القسطلاني: اختلف هل كانت العرضة الأخيرة بجميع الأحرف السبعة أو بحرف واحد =

أراه إلا حضر أجلي وضحكها كان لأجل إخباره لها أنها سيدة نساء أهل الجنة أو سيدة نساء المؤمنين وأما في الرواية الآتية فبكاؤها كان لأجل قوله إنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه وضحكها كان لأجل ما أخبرها بأنها أول أهل بيته اتبعه وسيأتي الكلام فيه إن شاء اللّه تعالى وماتت فاطمة بعد أبيها بستة أشهر قالت عَائِشَة رَضِيَ اللّه عَنْهَا وذلك في شهر رمضان عن خمس وعشرين سنة وقيل ماتت بعده بثلاثة أشهر وفي الحديث أن المرء لا يحب البقاء بعد محبوبه .

= منها، وعلى الثاني فهل الحرف الذي جمع عليه عثمان الناس أو غيره فعند الأخيرة أحمد وغيره من طريق عبيدة السلماني أن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة ونحوه عند الحاكم من حديث سمرة وإسناده حسن، وقد صححه هو وأخرج أبو عبيدة من طريق داود بن أبي هند، قلت للشعبي، قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أما كان ينزل عليه في سائر السنة؟ قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض مع النبي ﷺ في رمضان ما أنزل عليه فيحكم اللّه ما يشاء وينسخ ما يشاء فكان السر في عرضه مرتين في سنة الوفاة استقراره على ما كتب في المصحف العثماني، والاقتصار عليه وترك ما عداه ويحتمل أن يكون لأن رمضان في السنة الأولى من نزول القرآن لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان، ثم فتر الوحي فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة في رمضان مرتين، ليستوي عدد السنين والعرض، اهـ.

قلت: وفيه أن زمان الفترة كان ثلاث سنين، اللّهم إلا أن يقال: إن المراد بالسنين أعوام النزول خاصة فتأمل، قلت: وهذا الكلام لخصه القسطلاني من كلام الحافظ في الفتح، وزاد الحافظ فقال: ولفظ حديث سمرة رضي اللّه عنه (أي المذكور) عرض القرآن على رسول اللّه ﷺ عرضات، ويقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة، ومن طريق مجاهد عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: أي القراءتين ترون كان آخر القراءة؟ قالوا: قراءة زيد بن ثابت فقال: لا إن رسول اللّه ﷺ كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل، فلما كان في السنة التي قبض فيها عرضه عليه مرتين، وكانت قراءة ابن مسعود رضي اللّه عنه آخرهما، وهذا يغاير حديث سمرة ومن وافقه، وعند مسنده من طريق إبراهيم النخعي أن ابن عباس رضي اللّه عنهما سمع رجلًا يقول: الحرف الأول؟ فقال: ما الحرف الأول قال: إن عمر رضي اللّه عنه بعث ابن مسعود إلى الكوفة معلمًا فأخذوا بقراءته، فغير عثمان القَرأة فهم يدعون قراءة ابن مسعود الحرف الأول فقال ابن عباس: إنه لآخر حرف عرض به النبي ﷺ على جبريل، وأخرج النسائي من طريق أبي ظبيان قال: قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى، قراءة ابن أم عبد: يعني عبد اللّه بن مسعود، قال: بل هي الأخيرة، إن رسول اللّه ﷺ كان يعرض على جبريل، الحديث وفي آخره: فحضر ذلك ابن مسعود فعلم ما نسخ من ذلك وما يدل، وإسناده صحيح، ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون العرضتان الأخيرتان وقعتا بالحرفين المذكورين، فيصح إطلاق الآخرية على كل منهما، اهـ.

3625 - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ.

3626 - فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ».

قَالَ ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا في عاصم:

فليت المنايا كن خلفن عاصما فعشنا جميعا أو ذهبن بنا معاو

فيه أَيْضًا أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

قَالَ الْكِرْمَانِيّ: فإن قيل: فهي أفضل من خديجة وعائشة رضي اللّه تَعالَى عنهن قلت المسألة مختلف فيها ولكن اللازم من الحديث ذلك إلا أن يقال إن الرواية بالشك والمتبادر إلى الذهن من لفظ المؤمنين غير النَّبِيّ ﷺ عرفا ودخول المتكلم في عموم كلامه مختلف فيه عند الأصوليين.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا عن حضور أجله وأن فاطمة رَضِيَ اللّه عَنهَا أول أهل بيته لحاقًا به فكان الأمر كما أخبر وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الاستئذان وفضائل القرآن أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل وَالنَّسَائِيّ في الوفاة والمناقب.

(**حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ**) بفتح القاف والزاي والعين المهملة المفتوحات وهو من أفراده قال (**حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ**) سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي اللّه عنه (**عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي اللَّهُ**) تَعالَى (**عَنْهَا**) أنها (**قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ**) رَضِيَ اللّه عَنهَا (**فِي شَكْوَاهُ**) أي: في مرضه (**الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ»**) فإن قيل جعل الأولية في اللحوق في الرواية الأولى علة للبكاء ومستعقبًا له، وههنا علة للضحك ومستعقبًا له فالجواب أن البكاء مترتب على المركب من حضور الأجل وأولية اللحوق أو على الجزء الأول منه فإن قيل

3627 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: 1]، فَقَالَ: «أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ» ....

الضحك هنا مترتب على كونها أول اللاحقات وثمة على كونها سيدة النساء فالجواب أنه قد يترتب الضحك على الأمرين جميعًا وعلى كل واحد منهما وفيه إيثارهم الآخرة وسرورهم بالانتقال إليها والخلاص من الدنيا.

ومطابقته للترجمة على ما تقدم.

قد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في المغازي أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل فاطمة رَضِيَ اللّه عَنْهَا وَالنَّسَائِيّ في المناقب.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ) بفتح المهملتين وسكون الراء الأولى قَالَ: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ) بكسر الموحدة واسمه جعفر بن أبي وحشية إياس اليشكري البصري، (عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنه (قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ) تَعَالَى (عَنْهُ، يُدْنِي) من الإدناء أي: يقرّب (ابْنَ عَبَّاسٍ) وفيه التفات.

(فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ) أي: في العمر وغرضه أننا شيوخ وهو شاب فلم تقدمه علينا وتقربه من نفسك.

(فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ) أي: من أجل أنك تعلم أنه عالم، وكان ذلك ببركة دعائه ﷺ بقوله: «**اللّهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل**»، والمعنى أقربه وأقدمه من جهة علمه والعلم يرفع كل من لم يرفع.

(فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فَقَالَ: أَجَلُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ) أي: مجيء النصر والفتح ودخول الناس في الدين علامة وفاة رَسُول اللّه ﷺ.

(أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ) أي: أخبر اللّه تَعَالَى رسوله بذلك ويقال أي: أعلم النبي ﷺ ابن عباس رضي اللّه عنهما أن هذه السورة في أجل رسول اللّه ﷺ، فافهم.

قَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَعْلَمُ.

3628 - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ الغَسِيلِ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَّبَ بِعِصَابَةٍ دَسْمَاءَ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ المِلْحِ فِي الطَّعَامِ،

(**قَالَ**) أي: عمر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: (**مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلا مَا تَعْلَمُ**) ومطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله أعلمه إياه وهذا الإخبار من اللَّه تَعَالَى لرسوله وقد وقع الأمر كذلك وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في المغازي والتفسير أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ في التفسير. وَقَالَ حسن صحيح.

(**حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَنْظَلَةَ**) بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الظاء المعجمة وباللام ابن أبي عامر الراهب قد مرّ في الجمعة.

(**ابْنِ الغَسِيلِ**) ويروى حنظلة الغسيل بدون لفظ ابن، وكلاهما صحيح ولكن بشرط أن يرفع الابن على أنه صفة لعبد الرحمن وهو مشهور بابن الغسيل وحنظلة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ من سادات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو معروف بغسيل الملائكة قالوا لما استشهد بأحد قَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**مات حنظلة وأنه غسلته الملائكة**» فسألوا امرأته فقالت سمع الهيعة وهو جنب فلم يتأخر للاغتسال وكان يوم أحد فقاتل حتى قتل قتله أَبُو سُفْيَان بن حرب.

وَقَالَ حنظلة بحنظلة يريد ابنه حنظلة المقتول ببدر فلما قتل شهيدًا أخبر رَسُول اللَّه ﷺ بأن الملائكة غسلته فسمي حنظلة الغسيل.

(**حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُمَا**) أنه (**قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَّبَ بِعِصَابَةٍ دَسْمَاءَ**) قَالَ الخطابي أي: بعصابة سوداء.

(**حَتَّى جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَيَقِلُّ الأَنْصَارُ، حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ المِلْحِ فِي الطَّعَامِ**)

فَمَنْ وَلِيَ مِنكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ» فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ[1].

3629 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الجُعْفِيُّ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ....

وجه التشبيه الإصلاح بالقليل دون الإفساد بالكثير كما في قولهم النحو في الكلام كالملح في الطعام أو كونه قليلًا بالنسبة إلى سائر أجزاء الطعام.

(**فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**) قال ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا.

(**فَكَانَ**) أي: فكان ذلك المجلس (**آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ**) ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه ﷺ أخبر بكثرة الناس وقلة الأنصار بعده وأن منهم من يتولى أمور الناس وأنه وصى إليهم بما وصى وقد أَخْرَجَهُ في الجمعة وقد مر الكلام فيه هناك.

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ**) المعروف بالمسندي قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ**) ابن سليمان الكوفي صاحب الثَّوْرِيّ قَالَ: (**حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الجُعْفِيُّ**) هو حسين بن علي بن الوليد الجعفي بضم الجيم وسكون العين المهملة وبالفاء نسبة إلى جعفي ابن سعد العشيرة من مدحج قَالَ الْجَوْهَرِيّ أَبُو قبيلة من اليمن والنسبة إليه كذلك.

(**عَنْ أَبِي مُوسَى**) هو إسرائيل بن مُوسَى البصري نزل الهند.

(**عَنِ الحَسَنِ**) أي: البصري، (**عَنْ أَبِي بَكْرَةَ**) نفيع بن الحارث الثقفي

---

(1) قال القسطلاني تبعًا للعيني، هو من الإخبار بالمغيبات، فإن الناس كثروا وقل الأنصار كما قال عليه الصلاة والسلام، اهـ.
وقال القاري: قال التوربشتي لأن الأنصار هم الذين آووا رسول اللّه ﷺ ونصروه في حال الضعف والعسرة، وهذا أمر قد انقضى زمانه لا يلحقهم اللاحق، فكلما معنى واحد منهم مضى من غير بدل فيكثر غيرهم ويقلون، وقوله: حتى يكونوا في الناس يؤيد ما قال الطيبي، وهذا المعنى أي: التقليل قائم في حق المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، ولعل الحمل على الحقيقة أظهر لأن المهاجرين وأولادهم كثروا وتبسطوا في البلاد وانتشروا فيها وملكوها بخلاف الأنصار، اهـ. وهذا أمر مشاهد في، الأشراف، والعلويين، والعباسية: وبني خالد وأمثالهم، اهـ. ما في المرقاة.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الحَسَنَ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ».

3630 - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ ابْنِ هِلالٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: نَعَى جَعْفَرًا، وَزَيْدًا قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ خَبَرُهُمْ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ».

(**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**) أنه قَالَ: (**أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ**) أي: قطعة من الزمان ذات يوم.

(**الحَسَنَ**) أي: ابن علي رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا (**فَصَعِدَ بِهِ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: ابْنِي هَذَا**) دليل على أن ابن البنت يطلق عليه الابن ولا اعتبار بقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد

(**سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ**) أي: طائفتين (**مِنَ المُسْلِمِينَ**) ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إن فيه إخبارًا بأن الحسن رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يصلح اللَّه به بين فئتين من المسلمين وقد وقع مثل ما أخبر فإنه ترك الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وارتفع النزاع بين الطائفتين.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الصلح أَيْضًا وقد مضى الكلام فيه هناك.

(**حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ**) الواشحي قَالَ: (**حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ**) هو السختياني، (**عَنْ حُمَيْدٍ**) بضم الحاء.

(**ابْنِ هِلالٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: نَعَى جَعْفَرًا، وَزَيْدًا**) أي: أخبر بموتهم (**قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ خَبَرُهُمْ**) ويروى خبرهما أي: خبر جعفر وزيد والضمير في الرواية الأولى يرجع إليهما وإلى من قتل معهما.

(**وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**) الواو فيه للحال وتذرفان بالذال المعجمة والراء المكسورة بمعنى تسيلان دمعًا.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه ﷺ أخبر بقتل جعفر بن أبي طالب الملقب بذي الجناحين وزيد بن حارثة حبّ رَسُول اللَّه ﷺ ومولاه ومضى الحديث في الجنائز.

3631 - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ المُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ؟» قُلْتُ: وَأَنَّى يَكُونُ لَنَا الأَنْمَاطُ؟ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ» فَأَنَا أَقُولُ لَهَا - يَعْنِي امْرَأَتَهُ - أَخِّرِي عَنِّي أَنْمَاطَكِ، فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ؟» فَأَدَعُهَا.

3632 - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، ....

(حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ) بالمهملة وتشديد الموحدة أبو عثمان البصري، من أفراده، وقد مر في استقبال القبلة قَالَ: (حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان الأزدي البصري، (حَدَّثَنَا سُفْيَان) أي: الثَّوْرِيّ، (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ) تَعَالَى (عَنْهُ) أنه (قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ؟») جمع نمط وهو ضرب من البسط له خمل رقيق.

(قُلْتُ: وَأَنَّى) أي: من أين (يَكُونُ لَنَا الأَنْمَاطُ؟) ويروى من أنماط بزيادة من.

(قَالَ: أَمَا) بفتح الهمزة وتخفيف الميم وهي من مقدمات اليمين وطلائعه كقول الشاعر: أما والذي لا يعلم الغيب غيره. ولما ذكر ابن هشام ألا بفتح الهمزة والتخفيف، وذكر أنواعها قال: وأختها أما من مقدمات اليمين وطلائعه.

(إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ فَأَنَا أَقُولُ لَهَا، يَعْنِي امْرَأَتَهُ) أي: قَالَ جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ أنا أقول لامرأتي (أَخِّرِي عَنِّي أَنْمَاطَكِ، فَتَقُولُ) أي: امرأته (أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ؟» فَأَدَعُهَا) أتركها بحالها مفروشة وفي الحديث اتخاذ الأنماط فإنه ﷺ أخبرها بأنها ستكون لكم وفيه شيء وهو أن الإخبار بأن الشيء سيكون لا يقتضي إباحته إلا إن يقال أخبر الشارع ﷺ بأنه سيكون ولم ينه عنه فكأنه أقره وقد وقع قريب من هذا في حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللّه عَنْهُ الماضي في هذا الباب في خروج الظعينة من الحيرة إلى مكة فاستدل به بعض الناس على جواز سفر المرأة بغير محرم وفيه من البحث ما فيه.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه ﷺ أخبر بأنه سيكون لهم أنماط وقد كان ذلك والحديث أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيّ في الاستئذان.

(حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ) أي: ابن الحصين بن جابر أَبُو إسحاق السلمي

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا، قَالَ: فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَبِي صَفْوَانَ، وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّأْمِ، فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ،

السرماري وسرمار قرية من قرى بخارى قَالَ: (**حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ**) بالتصغير (**ابْنُ مُوسَى**) ابن باذام أَبُو مُحَمَّد العبسي الكوفي وهو أحد مشايخ الْبُخَارِيّ قَالَ: (**حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ**) أي: ابن يُونُس بن أبي إسحاق السبيعي.

(**عَنْ**) جده (**أَبِي إِسْحَاقَ**) عمرو بن عَبْدِ اللَّه السبيعي، (**عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ**) الأزدي الكوفي أدرك الجاهلية.

(**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**) أي: ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت وهو عمرو بن مالك الأوس الأَنْصَارِيّ الأشهلي يكنى أبا عمرو وأسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يدي مصعب بن عمير وشهد بدرًا وأحدًا والخندق فرمي يوم الخندق بسهم فعاش شهرًا ثم انتفض جرحه فمات منه.

(**مُعْتَمِرًا**) نصب على الحال وكانوا يعتمرون من المدينة قبل أن يعتمر رَسُول اللَّه ﷺ.

(**قَالَ: فَنَزَلَ**) أي: سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ حين دخوله مكة لأجل العمرة.

(**عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَبِي صَفْوَانَ**) وهو أمية بضم الهمزة وفتح الميم المخففة وتشديد المثناة التحتية بن خلف بالمعجمة واللام المفتوحتين بن وهب الجمحي بضم الجيم وفتح الميم وبالمهملة ويكنى بأبي صفوان من كبار المشركين.

(**وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّأْمِ**) يعني لأجل التجارة، (**فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ**) لكونها على طريقه (**نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ**) وكان مواخيًا معه، (**فَقَالَ أُمَيَّةُ، لِسَعْدٍ: انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ**) بالخطاب فيهما وذلك لأنه وقت غفلة وقائلة.

فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَتَلاحَيَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الحَكَمِ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بِالشَّأْمِ،

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيّ في أول المغازي: فلما قدم رَسُول اللَّه ﷺ انطلق سعد معتمرًا فنزل على أمية بمكة فَقَالَ لأمية انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت فخرج به قريبًا من نصف النهار.

(**فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ**) يعني قد حضر ويروى إذ رآه أَبُو جهل.

وَفِي رِوَايَةِ المغازي: فإذا به أي: فخرج أَبُو أمية بسعد قريبًا من نصف النهار فلقيهما أَبُو جهل فَقَالَ يا أبا صفوان من هذا معك فَقَالَ هذا سعد فَقَالَ أَبُو جهل يعني لسعد ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما واللَّه لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا قوله الصباة بضم الصاد المهملة وتخفيف الموحدة جمع صابئ مثل قضاة جمع قاض وكانوا يسمون النَّبِيّ ﷺ وأصحابه الذين هاجروا إلى المدينة صباة من صبأ إذا حال من دينه أي: تحول عنه وتركه.

(**فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالكَعْبَةِ؟ فَقَالَ**) أي: أمية.

(**سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ**) أي: هو سعد، (**فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالكَعْبَةِ آمِنًا، وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَتَلاحَيَا بَيْنَهُمَا**) أي: تخاصما وتنازعا وقيل تسابا يعني سعد بن معاذ وأبو جهل.

(**فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الحَكَمِ**) بفتحتين هو عدو اللَّه أَبُو جهل واسمه عمرو بن هشام المخزومي وكناه رَسُول اللَّه ﷺ بأبي جهل.

(**فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الوَادِي**) أي: فإن أبا جهل سيد أهل الوادي أراد به أهل مكة.

(**ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ**) أي: لأبي جهل: (**وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بِالشَّأْمِ**) أي: تجارتك وَفِي رِوَايَةِ المغازي أما واللَّه لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك وكان قادرًا على ذلك لأنه كان سيد قبيلة الأوس ومن أعاظم الأنصار.

قَالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ «فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ»، قَالَ: إِيَّايَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي اليَثْرِبِيُّ، قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الصَّرِيخُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لا يَخْرُجَ، ....

(**قَالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ، وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ**) أي: اترك محاماتك لأبي جهل.

(«**فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ**») وفي رواية: إنهم قاتلوك قَالَ بمكة قَالَ لا أدري.

(**قَالَ: إِيَّايَ؟**) أي: قَالَ أمية إياي.

(**قَالَ: نَعَمْ**) أي: قَالَ سعد نعم إياك.

(**قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ**) أي: فرجع أمية إلى امرأته، (**فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي اليَثْرِبِيُّ**) أراد به سعدًا فنسبه إلى يثرب مدينة الرسول ﷺ وإنما قَالَ له أخي يريد في المصاحبة والمودة والصداقة لا في النسب ولا في الدين وَفِي رِوَايَةِ المغازي ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا فلما رجع إلى أهله قَالَ يا أم صفوان ألم تري ما قَالَ لي سعد؟

(**قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ**) ويروى: ما يكذب مُحَمَّد.

(**قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ**) أي: فلما خرج أهل مكة إلى بدر.

(**وَجَاءَ الصَّرِيخُ**) فعيل من الصراخ وهو المستصرخ أي: المستغيث قَالَ في التوضيح فيه تقديم وتأخير وهو أن الصريخ جاءهم فخرجوا إلى بدر أخبرهم أنه ﷺ وأصحابه خرجوا إلى عير أبي سُفْيَان فخرجت قريش أشرين بطرين موقنين عند أنفسهم أنهم غالبون فكانوا ينحرون يومًا عشرة من الإبل ويومًا تسعة.

(**قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ اليَثْرِبِيُّ؟، قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لا يَخْرُجَ**) أي: أراد أمية أن لا يخرج من مكة مع قريش إلى بدر.

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الوَادِي فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ.

3633 - حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ المُغِيرَةِ، ....

وفي المغازي: فَقَالَ أمية واللّه لا أخرج من مكة.

(**فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الوَادِي فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ، فَسَارَ مَعَهُمْ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ**) وفي المغازي فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس فَقَالَ أدركوا عيركم فكره أمية أن يخرج فأتاه أَبُو جهل فَقَالَ يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أَبُو جهل حتى قَالَ أما إذا غلبتني فواللَّه لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قَالَ أمية يا أم صفوان جهزيني فقالت له يا أبا صفوان وقد نسيت ما قَالَ لك أخوك اليثربي قَالَ لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا. فلما خرج أمية جعل لا ينزل منزلًا إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله اللّه عَزَّ وَجَلَّ ببدر وإنما سيق ما في المغازي لأنه كالشرح لما هنا، وقد أعرب الْكِرْمَانِيّ حيث شرح على أن المراد بقول سعد بن معاذ لأمية بن خلف إنه قاتلك أي: أَبُو جهل قاتلك ثم اشتكل ذلك بكون أبي جهل على دين أمية فكيف هو قاتله ثم أجاب بأنه كان السبب في خروجه وقتله فنسب قتله إليه إذ القتل كما يكون مباشرة قد يكون تسببًا وهو فهم عجيب فإنما أراد سعد أن النَّبِيّ ﷺ يقتل أمية وسيأتي التصريح بذلك في موضعه إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ومطابقة الحديث للترجمة من حيث إنه ﷺ أخبر بقتل أمية بن خلف فقتل في وقعة بدر قتله رجل من الأنصار من بني مازن.

وَقَالَ هشام: قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن أساف اشتركوا فيه.

وقد أخرج الْبُخَارِيّ هذا الحديث في أول المغازي في باب ذكر النَّبِيّ ﷺ من يقتل ببدر.

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْبَةَ**) هو عبد الرحمن بن عبد الملك بن مُحَمَّد بن شيبة أَبُو بكر الخوارزمي القرشي مولاهم المدني وهو من أفراده.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ المُغِيرَةِ**) بضم الميم وكسر الغين المعجمة بن عبد الرحمن بن عَبْدِ اللّه بن خالد بن حزام بن خويلد أَبُو القاسم الحزامي المدني،

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِي صَعِيدٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي بَعْضِ نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ بِيَدِهِ غَرْبًا،

(عَنْ أَبِيهِ) المغيرة، (عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ) أي: ابن أبي عياش الأسدي المديني الإمام، (عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ) أبيه (عَبْدِ اللَّهِ) ابن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا (أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ فِي صَعِيدٍ) هو في اللغة وجه الأرض.

(فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا) بفتح الذال المعجمة وهو الدلو الممتلئ ماء.

وَقَالَ ابن فارس: هو الدلو العظيم.

(أَوْ ذَنُوبَيْنِ) شك من الراوي.

(وَفِي بَعْضِ نَزْعِهِ) أي: في استقائه (ضَعْفٌ) بفتح الضاد المعجمة وضمها لغتان وليس فيه حط من فضيلة أبي بكر الصديق رضي اللّه تَعَالَى عنه وإنما هو إخبار عن حال ولايته فإنه اشتغل بقتال أهل الردة فلم يتفرغ لفتح الأمصار وجباية الأموال ولقصر مدته فإنها سنتان وثلاثة أشهر وعشرون يومًا وكذلك قوله.

(وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ) ليس فيه تنقيص له ولا إشارة إلى ذنب وإنما هي كلمة يدعمون بها كلامهم ونعمت الدعامة.

(ثُمَّ أَخَذَهَا) أي: الذنوب.

وَقَالَ الدَّاوُودِيّ: أي: أخذ الخلافة وفيه أن لفظ الخلافة غير مذكور وإنما المذكور هو الذنوب التي هي كناية عن الخلافة.

(عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ بِيَدِهِ غَرْبًا) أي: تحولت من الصغر إلى الكبر والغرب بفتح الغين المعجمة وسكون الراء الدلو العظيم يسقى به البعير فهي أكبر من الذنوب وهذه الحالة إنما حصلت له لطول أيامه وما فتح اللّه له من البلاد والأموال والغنائم في عهده وقد مصر الأمصار ودون الدواوين.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النَّبِيّ ﷺ إذ هو صاحب الأمر فقام به أكمل قيام وقرر القواعد ثم خلفه أَبُو بكر رضي اللّه تَعَالَى عنه سنتين فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر رضي اللّه تَعَالَى عنه فاتسع الإسلام في زمنه فقد

فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا فِي النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»، وَقَالَ هَمَّامٌ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَنَزَعَ أَبُو بَكْرٍ ذَنُوبَيْنِ».

شبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذي به حياتهم وصلاحهم وسقيهما قيامهما بمصالحهم.

(فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة وفتح القاف وكسر الراء وتشديد الياء وهو الحاذق في عمله هذا عبقري قومه أي: سيدهم وقيل أصل هذا من عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلًا لكل منسوب إلى شيء غريب في جودة صنعته وكمال رفعته وقيل عبقر قرية يعمل فيها الثياب الحسنة فينسب إليها كل شيء جيد.

وَقَالَ الخطابي: العبقري كل شيء يبلغ النهاية في الخير والشر.

(فِي النَّاسِ يَفْرِي) بكسر الراء (فَرِيَّهُ) بفتح الفاء وسكون الراء وتخفيف المثناة التحتية ويروى بفتح الفاء وكسر الراء وتشديد الياء أي: يعمل عملًا مصلحا ويقطع قطعه مجيدًا يقال فلان يفري فريه إذا كان يأتي بالعجب في عمله.

وَقَالَ الخليل: يقال في الشجاع ما يفري أحد فريه مخففة الياء ومن شدد أخطأ يقال معناه كل أحد يفري على عمله.

(حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ) العطن مبرك الإبل حول موردها لتشرب عللًا بعد نهل وتستريح منه.

وَقَالَ القاضي: لفظ حتى ضرب الناس أنه عائد إلى خلافة عمر رضي اللّه تَعَالَى عنه وقيل يعود إلى خلافتهما لأن بتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تمم هذا الأمر لأن أبا بكر رَضِيَ اللّه عَنْهُ جمع شملهم وابتدأ الفتوح وتكامل في زمن عمر رضي اللّه تَعَالَى عنه.

(وَقَالَ هَمَّامٌ) هو ابن منبه: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ وفي نسخة: وَقَالَ همام (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رَضِيَ اللّه عَنْهُ (عَنِ النَّبِيِّ ﷺ».

(فَنَزَعَ أَبُو بَكْرٍ ذَنُوبَيْنِ) يعني من غير شك وهو أشد مطابقة لمدة السنتين التي هي زمن خلافة الصديق رضي اللّه عنه.

وهذا تعليق وصله الْبُخَارِيّ في التعبير من هذا الوجه من غيره.

3634 - حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ الوَلِيدِ النَّرْسِيُّ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ، قَالَ: أُنبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، ....

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أنه ﷺ أخبر عما رآه في المنام في أمر خلافة الشيخين رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وقد وقع مثل ما أخبر ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حق بلا خلاف، وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التعبير أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الفضائل والتِّرْمِذِيّ في الرؤيا وكذا النَّسَائِيّ فيه.

(حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ الوَلِيدِ) بتشديد الموحدة هو أَبُو الوليد الرقام البصري.

(النَّرْسِيُّ) بفتح النون وسكون الراء وبالسين المهملة قَالَ الكلاباذي نرس لقب أحد أجداد عباس المذكور وكان اسمه نضر فَقَالَ له بعض النبط نرس بدل نضر فبقي لقبا عليه.

(حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ) هو ابن سليمان التَّيْمِيّ كان رأسًا في العلم والعبادة، مات سنة سبع وثمانين ومائة، (قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي) هو سليمان بن طرخان التيمي من السادة تابعي مات سنة ثلاث وأربعين ومائة.

(حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ) هو عبد الرحمن بن مل النهدي بفتح النون.

(قَالَ: أُنْبِئْتُ) على البناء للمفعول أي: أخبرت وهذا مرسل لكن صار مسندًا متصلًا حيث قَالَ في آخر الحديث سمعته من أسامة بن زيد.

(أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ) رضي اللّه عنها وهي جملة حالية واسم أم سلمة هند بنت أبي أمية إحدى زوجات النَّبِيّ ﷺ، (فَجَعَلَ) أي: جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ (يُحَدِّثُ) أي: النَّبِيّ ﷺ.

(ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ) أي: النَّبِيّ ﷺ.

(قَالَ) أي: أَبُو عثمان: (قَالَتْ) أي: أم سلمة رَضِيَ اللّه عَنْهَا.

(هَذَا دِحْيَةُ) بكسر الدال المهملة وفتحها هو ابن خليفة (الكلبي) الصحابي وكان من أجمل الناس وكان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي رَسُول اللّه ﷺ على صورته وربما لم يره إلا رَسُول اللّه ﷺ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: ايْمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: فَقُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

26 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146][1]

(قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ) رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: (ايْمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ) بخبر: بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة وبالراء ويروى يخبر جبريل على لفظ المضارع ويروى أَيْضًا خبر جبريل بدون باء الجر.

(أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ) أي: سليمان بن طرخان والد معتمر المذكور.

(فَقُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ) عبد الرحمن المذكور: (مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟) أي: هذا الحديث، (قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) أي: سمعته من أسامة بن زيد بن حارثة وأمه أم أيمن حاضنة النَّبِيّ ﷺ وكان يسمى حب النَّبِيّ ﷺ واستعمله النَّبِيّ وهو ابن ثماني عشرة سنة وتوفي في آخر أيام معاوية رَضِيَ اللَّه عَنْهُ سنة ثمان أو تسع وخمسين بالمدينة رضي اللَّه تَعَالَى عنه. ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه ذكر جبريل عَلَيْهِ السَّلامُ وهو الذي كان يخبر النَّبِيّ ﷺ بالمغيبات فكان علمًا من أعلام نبوته والحديث يأتي في فضائل القرآن أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في فضائل أم سلمة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

26 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146]

(باب قَوْلِ اللَّهِ) عَزَّ وَجَلَّ: (﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾) وهذه الآية في

---

(1) قال العيني تبعًا للحافظ: فإن قلت: ما وجه دخول هذا الباب المترجم في أبواب علامات ـ

سورة البقرة وأولها ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: يعرفون رَسُول اللّه ﷺ معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم ولا يتمارى في معرفة ابنه إذا رآه من بين أبناء الناس كلهم، وقيل أخبر اللّه تَعَالَى أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به رَسُول اللّه ﷺ كما يعرف أحدهم ولده والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا قَالَ الْقُرْطُبِيّ: يروى أن عمر رضي اللّه تَعَالَى عنه سأل عَبْدُ اللّه بن سلام عن رَسُول اللّه ﷺ فَقَالَ أتعرف محمدًا كما تعرف ابنك قَالَ نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء بنعته فعرفته وإنني لا أدري ما كان من أمه ويروى أنه قَالَ أنا أعلم به مني من ابني قَالَ ولم قَالَ لأني لست أشك في أنه نبي فأما ولدي فلعل أمه خانت فقبل عمر رأسه وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علمًا معلومًا بغير إعلام وإنما اختص الأبناء بالذكر لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق (﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) [البقرة: 146] ثم أخبر اللّه تَعَالَى أنهم مع هذا التحقق والإيقان العلمي ليكتمون الحق أي: ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النَّبِيّ ﷺ وهم يعلمون أي: والحال أنهم يعلمون الحق وإنما قَالَ فريقًا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قَالَ فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: 78] ووجه دخول هذا الباب في أبواب علامات النبوة أنه أشار في الحديث إلى حكم التوراة والنبي ﷺ سألهم عما في التوراة في حكم من زنى والحال أنه لم يقرأ التوراة ولا وقف عليها قبل ذلك فظهر الأمر كما أشار إليه وهو أَيْضًا من أعظم علامات النبوة.

= النبوة المذكورة؟ قلت: من جهة أنه أشار في الحديث إلى حكم التوراة، والنبي ﷺ سألهم عما في التوراة في حكم من زنى، والحال أنه لم يقرأ التوراة ولا وقف عليها قبل ذلك، فظهر الأمر كما أشار إليه، وهو أيضًا من أعظم علامات النبوة، اهـ. وعلم من ذلك أن هذا الباب داخل في أبواب علامات النبوة وأما ذكر البسملة قبله فلعله لما تقدم من دأبه أنه يذكرها بعد الفترة، كما أفاده الشيخ قدس سره على البسملة قبل باب فضل استقبال القبلة.

3635 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟». فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ) الإمام، (عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ) تَعَالَى (عَنْهُمَا، أَنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ) أي: للنبي ﷺ (أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ) أي: من اليهود (وَامْرَأَةً زَنَيَا) وفي رواية مسلم عَنِ ابْن عُمَر أن رَسُول اللّه ﷺ: رجم في الزنا يهوديين رجل وامرأة زنيا فأتت اليهود إلى رَسُول اللّه ﷺ بهما الحديث.

(فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ) أي: في أمره وحكمه هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الجواب منهم وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله ﷺ قد أوحي إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء أو أنه أخبره بذلك من أسلم منهم ولذلك لم يخف ذلك عليه حين كتموه.

(فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ) أي: نكشف مساويهم والاسم الفضيحة من فضح فلان إذا كشف مساويه وبيّنها للناس.

وَفِي رِوَايَةِ مسلم: نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما قوله ونحملهما بالحاء واللام في أكثر الروايات وفي بعضها نجملهما بالجيم المفتوحة وفي بعضها نحممهما بميمين وكله متقارب فمعنى نحملهما يعني على الجمل ومعنى الثاني نجعلهما جميعًا على الجمل ومعنى الثالث نسود وجوههما بالحمم بضم الحاء وفتح الميم وهو الفحم.

(وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ) بتخفيف اللام ابن الحارث وهو إسرائيلي من بني قينقاع وهو من ولد يُوسُفَ الصديق عليه الصلاة والسلام وكان اسمه في الجاهلية الحصين فغيروه وكان حليف الأنصار مات سنة ثلاث وأربعين في ولاية معاوية رَضِيَ اللّه عَنْهُ بالمدينة شهد له الشارع ﷺ بالجنة.

(كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا) أي: في التوراة (الرَّجْمَ) أي: على الزاني، (فَأَتَوْا

بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى المَرْأَةِ يَقِيهَا الحِجَارَةَ».

بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ) أي: أحد اليهود وهو عَبْدُ اللَّه بن صوريا الأعور.

وَقَالَ المنذري: إنه ابن صوري وقيده بعضهم بكسر الصاد.

(يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ) أي: ابن عمر رضي اللَّه عنهما **(فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى المَرْأَةِ)** بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وفتح النون وبالهمزة في آخره.

وَقَالَ الخطابي: من حنيت الشيء أحنيه إذا عطفته والمحفوظ بالجيم والهمزة من جنأ الرجل على الشيء يجنأ إذا أكبّ عليه قيل فيه سبع روايات كلها راجعة إلى الوقاية فيكون قوله: **(يَقِيهَا الحِجَارَةَ)** كالتفسير لما قبله أي: يحفظها من وصول الحجارة إليها.

وقد احتج الشافعي وأحمد بهذا الحديث أن الإسلام ليس بشرط في الإحصان وبه قَالَ أَبُو يُوسُف وعند أَبِي حَنِيفَةَ ومحمد من شروط الإحصان الإسلام لقوله ﷺ: «**من أشرك باللَّه فليس بمحصن**». والجواب عن الحديث أن ذلك كان بحكم التوراة قبل نزول آية الجلد في أول ما دخل ﷺ المدينة، فصار منسوخًا بها وفي الحديث وجوب حد الزنا على الكافر، وفيه أن الكفار مخاطبون بفروع الشرع وفيه خلاف، فقيل: لا يخاطبون بها وقيل: هم مخاطبون بالنهي دون الأمر، وفيه أن الكفار إذا تحاكموا إلينا حكم القاضي بينهم بحكم شرعنا قاله النَّوَوِيّ.

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: اختلف العلماء في الحكم بينهم إذا ارتفعوا إلينا أواجب علينا أم نحن فيه مخيرون، فقالت جماعة من فقهاء الحجاز والعراق إن الإمام

أو الحاكم مخير إن شاء حكم بينهم إذا تحاكموا إليه بحكم الإسلام وإن شاء أعرض عنهم، وممن قَالَ ذلك مالك والشافعي في أحد قوليه وهو قول عطاء والشعبي والنخعي وروي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾ [المائدة: 42] قَالَ نزلت في بني قريظة، وهي محكمة قَالَ عامر والنخعي إن شاء حكم وإن شاء لم يحكم.

وَقَالَ ابن القاسم: إن تحاكم أهل الذمة إلى حاكم المسلمين ورضي الخصمان به جميعًا، فلا يحكم بينهما إلا برضى أساقفهما فإن كره ذلك أساقفهم فلا يحكم بينهم، وكذلك إن رضي الأساقفة ولم يرض الخصمان أو أحدهما لم يحكم بينهما.

وَقَالَ الزُّهْرِيّ مضت السنة أن يرد أهل الذمة في حقوقهم ومعاملاتهم ومواريثهم إلى أهل دينهم، إلا أن يأتوا راغبين في حكمنا فنحكم بينهم بكتاب اللّه تَعَالَى.

وَقَالَ آخرون: واجب على الحاكم أن يحكم بينهم إذا تحاكموا إليه بحكم اللّه تَعَالَى وزعموا أن قوله تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 49] ناسخ للتخيير في الحكم بينهم في الآية التي قبل هذه روي ذلك عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا من حديث سُفْيَان بن حسين والحكم عن مجاهد عنه ومنهم من يرويه عن سُفْيَان والحكم عن مجاهد قوله وهو صحيح عن مجاهد وعكرمة وبه قَالَ الزهري وعمر بن عبد العزيز والسدي وإليه ذهب أَبُو حَنِيفَةَ وأصحابه وهو أحد قولي الشافعي إلا أن أبا حنيفة قَالَ إذا جاءت المرأة والزوج فعليه أن يحكم بينهما بالعدل وإن جاءت المرأة وحدها ولم يرض الزوج لم يحكم.

وَقَالَ صاحباه يحكم وكذا اختلف أصحاب مالك ووجه المطابقة قد مر آنفًا والحديث.

قد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في المحاربين أَيْضًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الحدود وكذا أَبُو داود والتِّرْمِذِيّ فيه، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ في الرجم.

27 ـ باب سُؤَال المُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً، فَأَرَاهُم انْشِقَاقَ القَمَرِ

3636 - **حَدَّثَنَا** صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا».

---

27 ـ باب سُؤَال المُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً، فَأَرَاهُم انْشِقَاقَ القَمَرِ

(**باب سُؤَال المُشْرِكِينَ**) أي: من أهل مكة (**أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً**) أي: معجزة خارقة للعادة (**فَأَرَاهُم النَّبِيّ ﷺ انْشِقَاقَ القَمَرِ**) وهي معجزة عظيمة محسوسة خارجة عن عادة المعجزات.

وَقَالَ الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يعادلها شيء من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنه ظهر في ملكوت السماء والخطب فيه أعظم والبرهان به أظهر لأنه خارج عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من العناصر.

(**حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ**) أَبُو الفضل المَرْوَزِيّ، (**أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ**) هو سُفْيَان بن عيينة، (**عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ**) هو عَبْدُ اللّه بن أبي نجيح بفتح النون وكسر الجيم المكي صاحب التفسير عن مجاهد واسم أبي نجيح يسار، (**عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ**) بفتح الميمين هو عَبْدُ اللّه بن سخبرة بفتح المهملة والموحدة وسكون المعجمة بينهما وبالراء وقد مر في الصلاة.

(**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: انْشَقَّ القَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ**) وفي نسخة على عهد النَّبِيّ (ﷺ) أي: على زمنه وفي أيامه (**شِقَّتَيْنِ**) بكسر الشين وفتحها ويروى: شقين.

(**فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا»**) من الشهادة إنما قَالَ ذلك لكونه معجزة عظيمة محسوسة خارجة عن عادة المعجزات ولا يلتفت إلى اعتراض من خذله اللّه بأنه لو كان له حقيقة لم يخف أمره على عوام الناس ولتواترت به الأخبار لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء وللنفوس دواع على نقل الأمر العجيب والخبر العزيز ولو كان لذكر في الكتب ودون في الصحف ولكان أهل التنجيم

والسير والتواريخ عارفين به إذا لا يجوز إطباقهم على إغفاله مع جلالة شأنه وجلاء أمره وذلك الاعتراض باطل لأنه شيء طلبه قوم خاص من أهل مكة وكان ذلك ليلًا وأكثر الناس فيه نيام ومستكنون بالحجب والأبنية والأيقاظ البارزون في الصحارى لهم مشاغل عن ذلك وكيف ولم يكونوا رصدوه تلك الليلة رافعين رؤوسهم إلى السماء مترصدين مركز القمر من السماء لا يغفلون عنه حتى إذا حدث بجرم القمر ما حديث من الانشقاق أبصروه على أنه وقع في رواية أنس رضي اللّه عنه أن أهل مكة سألوا رسول اللّه ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر، فقال القوم هذا سحر ابن أبي كبشة، فسلوا السفار يقدمون عليكم، فإن كان مثل ما رأيتم فقد صدق، وإلا فهو سحر، فقدم السفار فسألوهم فقالوا: رأيناه قد انشقّ، وفي روايةٍ فقال رجل منهم: إن محمدًا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر أهل الأرض كلهم فسلوا من يأتيكم من بلدٍ آخر، فسألوا فأخبروا كلهم بأنهم رأوه عيانًا منشقًّا نصفين والحاصل أنه لم ينقل إلينا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق فلو نقل إلينا عمن لا يجوز نقله لشدتهم في الكذب لما كانت علينا حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضدها هو من مقابلهم من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال وكثيرًا ما يقع له الكسوف ولا يشعر به الناس حتى يخبرهم الآحاد منهم مع طول زمانه وهذا إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر وقد يقع الكسوف في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها كليًّا وفي بعضها جزئيًّا لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم ولو أراد اللّه تَعَالَى أن يكون معجزات نبيه واقعة بحسب الحس حيث يشترك فيه الكل لفعل ذلك واللّه سبحانه وتعالى جرت عادته باستئصال الأمة التي أتاها نبيها بالآية العامة التي تدرك بالحس ولم يؤمنوا بها وخص هذه الأمة بالرحمة فجعل آية نبيهم عقلية وذلك لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام ولئلا يكون سبيلهم سبيل من هلك من الأمم المسخوط عليهم المقطوع دابرهم ولم يبق خبر ولا أثر والحمد لله على لطفه بنا وحسن نظره إلينا وصلى اللّه على نبينا المصطفى وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة.

وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التفسير في موضعين وفي انشقاق القمر أَيْضًا.

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في التوبة والتِّرْمِذِيّ في التفسير، وكذا النَّسَائِيّ فيه وروى التِّرْمِذِيّ أَيْضًا من حديث عَبْدِ اللّه بن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ، قَالَ بينما نحن مع رَسُول اللّه ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه فَقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**اشهدوا اقتربت الساعة وانشق القمر**».

وَقَالَ هذا حديث حسن صحيح وعن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وعن ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ رأيت حراء بين فلقي القمر.

وَقَالَ أكثر أهل التفسير فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: 1] المراد به انشقاقه على عهد رَسُول اللّه ﷺ وعن بعضهم أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: 2] يرده وكفى به رادًا وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي: اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قَالَ ألا إن الساعة قد اقتربت وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم.
ونقل البيهقي في أوائل كتاب البعث عن الحليمي أن من الناس من قَالَ المراد بقوله انشق سينشق قَالَ فإن كان كذلك فقد وقع في عصرنا فشاهدت الهلال ببخارى في الليلة الأليلة منشقًا نصفين عرض كل منهما عرض القمر ليلة أربع أو خمس ثم اتصلا فصار في شكل أترجة إلى أن غاب قَالَ وأخبرني من أثق به أنه شاهد ذلك في ليلة أخرى.

تنبيه:

قَالَ الزين العراقي في الدرر السنية:

وإذ بغت منه قريش أن يرى   آيًا أراهم انشقاق القمر
فصار فرقتين فرقة علت   وفرقة للطود منه نزلت

أي: فرقة منه علت فوق جبل أبي قبيس وفرقة صارت دون الطود أي:

الجبل أي: أنزل منه قَالَ عبد الرؤوف المناوي وما ذكره من أن إحدى فرقتين صارت أنزل من الأخرى لم أر التصريح به في المشهور من الروايات والذي في جامع التِّرْمِذِيّ عن جُبَيْر بن مطعم رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا انشق القمر على عهد رَسُول اللّه ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وفي الدلائل لأبي نعيم عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة. وقيل كان يرى نصفه على أبي قبيس ونصفه على قينقاع وفي الدلائل لأبي نعيم أَيْضًا عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أن ذلك كان لأربعة عشر فانشق نصفين نصفًا على الصفا ونصفًا على المروة.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: والذي يقتضيه غالب الروايات أن الانشقاق كان قبل غروبه. ويؤيده إسنادهم الرؤية إلى جهة الجبل ويحتمل أن يكون وقع أول طلوعه قيل والتعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لأن الغرض ثبوت رؤيته منشقًّا إحدى الشقتين على جبل والأخرى على جبل آخر ويغاير ذلك قول الراوي الآخر رأيت الجبل بينهما أي: بين الفرقتين لأنه ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره فصدق أنه بينهما. وما رواه التِّرْمِذِيّ وَقَالَ حسن صحيح عن أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ سأل أهل مكة المصطفى ﷺ أن يريهم آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾ [القمر: 1] فقد قَالَ الْحَافِظ ابن حجر العَسْقَلَانِيّ لا يعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ ولم يتعرض لذلك أحد من شرح الصحيح لكن أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ من حديث سَعِيد عن قتادة بلفظ فأراهم انشقاق القمر مرتين وكذا أَخْرَجَهُ أَحْمَد عن عبد الرزاق وأكثر الروايات فرقتين أو فلقتين بالراء واللام وقد أول ابن القيم رواية مرتين بأن المرة يراد بها الإفعال تارة والأعيان أخرى والأول أكثر قَالَ ومن الثاني انشق القمر مرتين وقد خفي على البعض فادعى أن انشقاقه وقع مرتين وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فلم يقع إلا مرة واحدة انتهى.

مطلب:

وَقَالَ ابن كثير: فِي رِوَايَةِ مرتين لعل قائلها أراد فرقتين وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ثم

3637 - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ».

3638 - حَدَّثَنِي خَلَفُ بْنُ خَالِدٍ القُرَشِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ القَمَرَ انْشَقَّ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ».

إن ما يقال إنه دخل القمر في كم النَّبِيّ ﷺ وخرج من الكم الآخر فباطل لا أصل له كذا قَالَ النَّوَوِيّ في الفتاوى.

(**حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ**) أي: ابن أبي الأسود البصري المعروف بالمسندي قَالَ: (**حَدَّثَنَا يُونُسُ**) هو ابن مُحَمَّد المؤدب البغدادي قَالَ: (**حَدَّثَنَا شَيْبَانُ**) هو ابن عبد الرحمن النحوي، (**عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ح) تحويل من سند إلى آخر.

(**وقَالَ لِي خَلِيفَةُ**) هو ابن خياط (**حَدَّثَنَا يَزِيدُ**) من الزيادة (**ابْنُ زُرَيْعٍ**) بضم الزاي وفتح الراء البصري قَالَ: (**حَدَّثَنَا سَعِيدٌ**) أي: ابن أبي عروبة، (**عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ**) تعَالَى (**عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ**) أراد بهم الكفار من قريش.

(**سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ»**) وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ أَيْضًا في التفسير وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في التوبة.

(**حَدَّثَنِي خَلَفُ بْنُ خَالِدٍ القُرَشِيُّ**) المصري قَالَ: (**حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ**) أي: ابن مُحَمَّد القرشي المصري، (**عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ**) أي: ابن شرحبيل بن حسنة القرشي المصري، (**عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ**) الغفاري ثم الكناني المدني، (**عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ**) هو عُبَيْد اللَّه بن عَبْد اللَّه بن عتبة بن مَسْعُود أحد الفقهاء السبعة، (**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ**) تعَالَى (**عَنْهُمَا، «أَنَّ القَمَرَ انْشَقَّ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ»**) ولقد أخرج الْبُخَارِيّ حديث انشقاق القمر عن

ثلاثة من الصحابة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ، **أحدهم**: عَبْدُ اللّه بن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

وقد أخرج حديثه الْبُخَارِيّ مختصرًا وليس فيه التصريح بحضور ذلك وأورده في التفسير من طريق إِبْرَاهِيم عن أبي معمر بتمامه وفيه فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «**اشهدوا**» وبين فِي رِوَايَةِ معلقة تأتي قبل هجرة الحبشة أن ذلك كان بمكة.

ووقع فِي رِوَايَةِ لأبي نعيم في الدلائل من طريق عتبة بن عَبْدِ اللّه بن عتبة عن عم أبيه بن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة.

والثاني: أنس بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ ولم يحضر ذلك لأنه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وكان أنس رَضِيَ اللّه عَنْهُ إذ ذاك ابن أربع أو خمس سنين بالمدينة.

والثالث: عَبْدِ اللّه بْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا وهو أَيْضًا لم يحضر ذلك لأنه إذ ذاك لم يكن ولد وفي الباب عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ منهم: عَبْد اللّه بن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أخرج حديثه التِّرْمِذِيّ من حديث مجاهد عنه قَالَ انفلق القمر على عهد رَسُول اللّه ﷺ، وَقَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «**اشهدوا**»، وَقَالَ: حديث حسن صحيح.

ومنهم: جُبَيْر بن مطعم رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا أخرج حديثه التِّرْمِذِيّ أَيْضًا من حديث مُحَمَّد بن جُبَيْر بن مطعم عَنْ أَبِيهِ قَالَ انشق القمر على عهد رَسُول اللّه ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا سحرنا مُحَمَّد فَقَالَ بعضهم لبعض لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم وعند القاضي عياض وذلك بمنى فرأيت الجبل بين فرجتي القمر.

ومنهم: علي بن أبي طالب رضي اللّه تَعَالَى عنه قَالَ انشق القمر ونحن مع النَّبِيّ ﷺ.

ومنهم: حذيفة بن اليمان روي عنه أَيْضًا كذلك.

28 ـ باب

3639 - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ».

3640 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ، سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ....

---

28 ـ باب

(باب) كذا وقع في الأصول من غير ترجمة وهو كالفصل لما قبله.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: وكان من حقه أن يكون قبل البابين اللذين قبله لأنه ملتحق بعلامات النبوة لكن لما كان كل من البابين راجعًا إلى علامات النبوة سهل الأمر في ذلك.

(**حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى**) قَالَ: (**حَدَّثَنَا مُعَاذٌ**) ابن هشام (**قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي**) هشام بن أبي عُبَيْد اللَّه الدستوائي واسم أبي عُبَيْد اللَّه سُفْيَان.

(**عَنْ قَتَادَةَ**) أنه قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ**) تعَالَى (**عَنْهُ، أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ**) وهما أسيد بن حضير وعباد بن بشر (**خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ**) كرامة أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وممن بعدهم من معجزات النَّبِيّ ﷺ ويلتحق بها وقد مر الحديث بعينه سندًا ومتنًا في باب مجرد بين أبواب المساجد ومثل هذا هو المكرر حقيقة وهو قليل وقد مر الكلام فيه هناك.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الأَسْوَدِ**) حميد بن الأسود البصري قَالَ: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى**) هو ابن سَعِيد القطان، (**عَنْ إِسْمَاعِيلَ**) ابن أبي خالد البجلي الكوفي أنه قَالَ: (**حَدَّثَنَا قَيْسٌ**) هو ابن أبي حازم قَالَ: (**سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: لا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ**) من ظهرت أي: علوت أي:

حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

3641 - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا الوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» ....

غالبين (**حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ**) قال النَّوَوِيّ هو الريح الذي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، ويروى حتى تقوم الساعة أي: تقرب الساعة وهو خروج الريح ويروى لا تزال طائفة من أمتي وهي رواية مسلم.

(**وَهُمْ ظَاهِرُونَ**) قَالَ الْبُخَارِيّ، وأما هذه الطائفة فهم أهل العلم.

وَقَالَ أَحْمَد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قَالَ القاضي: إنما أراد أَحْمَد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحق.

وَقَالَ النَّوَوِيّ: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة من أنواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم: فقهاء ومنهم محدثون، ومنهم: زهّاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم: أنواع أخرى من أهل الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض قَالَ وفيه دليل لكون الإجماع حجة وهو أصح ما يستدل به من الحديث وأما حديث لا تجتمع أمتي على ضلالة فضعيف.

(**حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ**) بضم الحاء عُبَيْد اللّه بن الزبير بن عيسى نسبة إلى حميد أحد أجداده.

(**حَدَّثَنَا الوَلِيدُ**) هو ابن مسلم القرشي الأموي الدمشقي (**قَالَ: حَدَّثَنِي**) بالإفراد (**ابْنُ جَابِرٍ**) هو عبد الرحمن بن يزيد من الزيادة ابن جابر الأزدي الشامي (**قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ**) بالتصغير (**ابْنُ هَانِئٍ**) بالنون بعد الألف وبالهمز في آخره الشامي وقد مر في التهجد.

(**أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ**) هو ابن أبي سُفْيَان الأموي رَضِيَ اللّه عَنْهُ.

(**يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»**

قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ: قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

3642 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا شَبِيبُ بْنُ غَرْقَدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَيَّ يُحَدِّثُونَ، عَنْ عُرْوَةَ: ....

قَالَ عُمَيْرٌ) هو ابن هانئ الراوي.

(فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ) بضم المثناة التحتية وبالخاء المعجمة الخفيفة وبعد الألف ميم مكسورة وآخره راء ويقال أيضًا أخامر بقلب الياء همزة ولا أخيمر مصغرًا الشامي من كبار التابعين وقيل إن له صحبة وليس بصحيح وما له في الْبُخَارِيّ إلا هذا الحديث.

(قَالَ مُعَاذٌ) هو ابن جبل رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: **(وَهُمْ بِالشَّأْمِ)** أي: الأمة القائمة بأمر اللَّه مستقرون بالشام.

(فَقَالَ مُعَاوِيَةُ) أي: ابن أبي سفيان **(هَذَا مَالِكٌ)** هو ابن يخامر المذكور.

(يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ) وحديث مالك هذا غير مرفوع.

ومطابقته للترجمة كمطابقة الحديث السابق وقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في التوحيد أَيْضًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في الجهاد.

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المعروف بابن المديني قَالَ: **(أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ)** ابن عيينة قَالَ: **(حَدَّثَنَا شَبِيبُ)** بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة وسكون المثناة التحتية وآخره باء موحدة.

(ابْنُ غَرْقَدَةَ) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح القاف وإهمال الدال السلمي الكوفي من صغار التابعين الثقات وما له في الْبُخَارِيّ غير هذا الحديث.

(قَالَ: سَمِعْتُ الحَيَّ) يعني قبيلة وهم منسوبون إلى بارق بالموحدة وكسر الراء جبل باليمن نزل به بنو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقاء فنسبوا إليه وهذا يقتضي أن يكون سمعه من جماعة أقلهم ثلاثة.

(يُحَدِّثُونَ، عَنْ عُرْوَةَ) هو ابن الجعد أو ابن أبي الجعد البارقي وقد تقدم بيان الصواب من ذلك في ذكر الخيل من كتاب الجهاد قَالَ الشَّعْبِيّ أول من قضى على

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «أَعْطَاهُ دِينَارًا يَشْتَرِي بِهِ شَاةً، فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ، وَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ»، قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ الحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ ....

الكوفة عُرْوَة بن الجعد البارقي ويقال إن عمر رَضِيَ اللّه عَنْهُ استعمله على الكوفة قبل أن يستقضي شريحًا.

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهُ دِينَارًا) أي: أعطى النَّبِيّ ﷺ عُرْوَة دينارًا.

(يَشْتَرِي) لَهُ (بِهِ شَاةً) وفي رواية أبي لبيد عند أَحْمَد وغيره عن عُرْوَة بن أبي الجعد قَالَ عرض للنبي ﷺ جلب فأعطاني دينارًا فَقَالَ أي: لعروة ائتِ الجلب فاشتر لنا شاة قَالَ أتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار.

(فَاشْتَرَى لَهُ بِهِ شَاتَيْنِ، فَبَاعَ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ) أي: وبقي معه دينار وَفِي رِوَايَةِ لبيد فلقيني رجل فساومني فبعته شاة بدينار وجئت بالدينار الآخر.

(وَجَاءَهُ بِدِينَارٍ وَشَاةٍ، فَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي بَيْعِهِ) وفي رواية أبي لبيد عن عُرْوَة فَقَالَ اللَّهم بارك له في صفقة يمينه.

(وَكَانَ لَوِ اشْتَرَى التُّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ) وفي رواية أبي لبيد قَالَ فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة. فأربح أربعين ألفًا قبل أن أصل إلى أهلي قَالَ وكان يشتري الجواري ويبيع.

(قَالَ سُفْيَانُ) أي: ابن عيينة هو موصول بالإسناد المذكور.

(كَانَ الحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ) بضم العين المهملة وتخفيف الميم ابن المضرب البجلي الكوفي الفقيه كان على قضاء بغداد في خلافة أبي جعفر المنصور مات سنة ثلاث أو اثنتين وخمسين ومائة.

وَقَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ: الحسن بن عمارة أحد الفقهاء المتفق على ضعف حديثهم.

وَقَالَ ابن المبارك: جرحه عندي شُعْبَة وسفيان.

وَقَالَ ابن حبان: كان يدلس عن الثقات ما سمعه عن الضعفاء، فالتصقت به تلك الموضوعات.

جَاءَنَا بِهَذَا الحَدِيثِ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعَهُ شَبِيبٌ مِنْ عُرْوَةَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ شَبِيبٌ: إِنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ عُرْوَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَيَّ يُخْبِرُونَهُ عَنْهُ.

3643 - وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «الخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الخَيْلِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» قَالَ: وَقَدْ رَأَيْتُ فِي دَارِهِ سَبْعِينَ فَرَسًا

وَقَالَ الْعَيْنِيّ: سُفْيَان الثَّوْرِيّ من أقرانه وروى عنه أَيْضًا سُفْيَان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وأبو يُوسُف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني ويحيى بن سَعِيد القطان وآخرون من أكابر المحدثين وفي التهذيب قَالَ عيسى بن يُونُس الرملي الفاخوري سمعت أيوب بن سويد يقول كنت عند سُفْيَان الثَّوْرِيّ فذكر الحسن بن عمارة فغمزه فقلت له يا أبا عَبْدِ اللَّه هو عندي خير منك قَالَ وكيف ذاك؟ قلت جلست معه غير مرة فيجري ذكرك فما يذكرك إلا بخير قَالَ أيوب سُفْيَان ما ذكر الحسن بن عمارة بعد ذلك إلا بخير حتى فارقته.

وَقَالَ الطحاوي: حَدَّثَنَا أَحْمَد بن عبد المؤمن المَرْوَزِيّ، قَالَ سمعت علي ابن يُونُس المَرْوَزِيّ يقول سمعت جرير بن عبد الحميد يقول ما ظننت أني أعيش إلى دهر يحدث فيه عن مُحَمَّد بن إسحاق، ويسكت فيه عن الحسن بن عمارة هذا وما له في الْبُخَارِيّ إلا هذا الموضع.

(**جَاءَنَا بِهَذَا الحَدِيثِ عَنْهُ**) أي: عن شبيب بن غرقدة.

(**قَالَ**) أي: الحسن بن عمارة: (**سَمِعَهُ شَبِيبٌ مِنْ عُرْوَةَ فَأَتَيْتُهُ**) أي: قَالَ سُفْيَان فأتيت شبيبًا، (**فَقَالَ شَبِيبٌ إِنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ عُرْوَةَ، قَالَ**) أي: شبيب (**سَمِعْتُ الحَيَّ يُخْبِرُونَهُ عَنْهُ**) أي: يخبرون الحديث عن عُرْوَة.

(**وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «الخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الخَيْلِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» قَالَ: وَقَدْ رَأَيْتُ فِي دَارِهِ سَبْعِينَ فَرَسًا**) وهو أَيْضًا موصول بالإسناد الأول أي: قَالَ سُفْيَان بن عيينة قَالَ شبيب وقد رأيت في دار عُرْوَة سبعين فرسًا قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ وأراد الْبُخَارِيّ بذلك ضعف رواية الحسن ابن عمارة وأن شبيبًا لم يسمع الخبر من عُرْوَة وإنما سمعه من الحي ولم يسمعه عن عروة فالحديث بهذا ضعيف للجهل بحالهم لكن وجد له متابع عند أَحْمَد وأبي داود والتِّرْمِذِيّ وابن ماجة من طريق سَعِيد بن زيد عن الزبير بن الحريث عن

قَالَ سُفْيَانُ: يَشْتَرِي لَهُ شَاةً كَأَنَّهَا أُضْحِيَّةٌ.

أبي لبيد قَالَ حدثني عُرْوَة البارقي، قَالَ دفع إليّ رَسُول اللّه ﷺ دينارًا لأشتري له شاة فاشتريت له شاتين، فبعت إحداهما بدينار وجئت بالشاة والدينار إلى النَّبِيّ ﷺ فذكر له ما كان من أمره فَقَالَ له: «**بارك اللّه لك في صفقة يمينك**»، الحديث، وله شاهد من حديث حليم بن حزام وقد أَخْرَجَهُ ابن ماجة عن أبي بكر ابن شبيب عن عُرْوَة ولم يذكر بينهما أحدًا ورواية علي بن عَبْدِ اللّه وهو ابن المديني شيخ الْبُخَارِيّ تدل على أنها وقعت في هذه الرواية شبهة وقد وافق عليًّا على إدخال الواسطة بين شبيب وعروة أَحْمَد والحميدي في مسنده وكذا مُسَدَّد عند أبي داود وابن أبي عمرة والعباس بن الوليد عند الْإِسْمَاعِيلِيّ وهذا هو المعتمد كذا قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ وتعقبه الْعَيْنِيّ بأنه لم تجر عادة الْبُخَارِيّ أن يذكر في صحيحه حديثًا ضعيفًا ثم يشير إليه بالضعف ولو ثبت عنه ضعفه لاكتفى بحديث الخيل كما اكتفى مسلم في صحيحه والكلام في سماع شبيب من الحي سيجيء عن قريب فإن قيل سَعِيد بن زيد ضعيف ضعفه يَحْيَى القطان وأبو لبيد ليس بمعروف العدالة فالجواب أن سَعِيد بن زيد من رجال مسلم واستشهد به الْبُخَارِيّ ووثقه جماعة وأبو لبيد اسمه لمازة بضم اللام ابن زبار بفتح الزاي وتشديد الموحدة وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية. وَقَالَ سمع من علي وكان ثقة.

وَقَالَ أَحْمَد صالح الحديث وأثنى عليه ثناء حسنًا وأما قول الْكِرْمَانِيّ فإن قلت الحسن بن عمارة كاذب مكذب فكيف جاز النقل عنه قلت ما أثبت شيء بقوله من هذا الحديث مع احتمال أنه قَالَ ذلك بناء على ظنه، فقد أبشع في العبارة فلم يكن من دأب العلم أن يذكر شخصا عالمًا باتفاقهم فقيهًا متقدمًا في زمانه علما ورئاسة بهذه العبارة الفاحشة ولكن الداعي في ذلك له ولأمثاله أريحية التعصب بالباطل، وقد مر آنفًا ما قاله جرير بن عبد الحميد من الثناء عليه.

(**قَالَ سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة بالإسناد المذكور.

(**يَشْتَرِي لَهُ**) أي: لرسول اللّه ﷺ (**شَاةً كَأَنَّهَا أُضْحِيَّةٌ**) الظاهر أن هذه اللفظة مدرجة من سُفْيَان قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ، ولم أر شيء من طرقه أنه أراد أضحية وفي الحديث أنه ﷺ أمضى له ذلك وارتضاه واستدل به أَبُو حَنِيفَةَ وإسحاق

ومالك في المشهور عنه على جواز بيع الفضولي لأن عُرْوَة لم يكن وكيلًا إلا في الشراء وتوقف فيه فتارة قَالَ لا يصح لأن هذا الحديث غير ثابت وهذه رواية المزني عنه وتارة قَالَ إن صح الحديث قلت به وهذه رواية البويطي وقد أجاب من لم يأخذ به كالكرماني وغيره بأنها واقعة عين، فيحتمل أن يكون عُرْوَة كان وكيلًا في البيع والشراء. قال الخطابي: أمر الوكالة مبني على النظر للموكل فيما وكّل فيه، وأما بيعه إحدى الشاتين فيحتمل أن يكون ﷺ وكّله به وإن لم يكن ذلك مذكورًا في الحديث.

وَقَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ: وهذا بحث قوي معقب به الاستدلال بهذا الحديث على جواز تصرف الفضولي وتعقبه الْعَيْنِيّ بأنه عجيب فإنه ترك الظاهر والعمل بالاحتمال وفي التوضيح اختلف قول المالكية فيما أمر بشراء سلعة بكذا فوجد سلعتين في صفة ما أمر به وثمنهما ما أمر به أن يشتري به واحدًا وقدر على شراء واحد به فَقَالَ ابن القاسم الآمر مخير إن شاء أخذ واحدة بحصتها من الثمن ويرجع ببقية الثمن على المأمور وإن شاء أخذهما جميعًا.

وَقَالَ أصبغ: عند ابن حبيب يلزمان الآمر جميعًا.

وَقَالَ عبد الملك في مبسوطه: إن شاء الآمر أخذهما جميعًا أو تركهما جميعًا وزعم ابن القطان أن الْبُخَارِيّ لم يرد بسياق هذا الحديث إلا حديث الخيل، ولم يرد حديث الشاة وبالغ في الرد على من زعم أن الْبُخَارِيّ أخرج حديث الشاة محتجًّا به لأنه ليس على شرطه لإبهام الواسطة فيه بين شبيب وعروة قَالَ الْحَافِظ الْعَسْقَلَانِيّ وهو كما قَالَ لكن ليس في ذلك ما يمنع تخريجه ولا ما يحطه عن شرطه لأن الحي يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب وقد انضاف إلى ذلك ورود الحديث من الطريق التي هي الشاهدة لصحة الحديث ولأن المقصود منه الذي يدخل في علامات النبوة دعاء النَّبِيّ ﷺ لعروة فاستجيب له حتى كان لو اشترى التراب لربح فيه وأما مسألة بيع الفضولي فلم يردها إذ لو أرادها لأوردها في البيوع كذا قرره المنذري وفيه نظر لأنه لم يطرد له في ذلك عمل وقد يكون الحديث على شرطه ويعارضه عنده ما هو أولى بالعمل به من

حديث آخر فلا يخرج ذلك الحديث في بابه ويخرجه في باب آخر أخفى لينبه بذلك على أنه صحيح، إلا أن ما دل ظاهره عليه غير معمول به عنده.

وَقَالَ الخطابي والبيهقي وغيرهما: أن الحديث غير متصل، لأن الحي لم يسم أحد منهم وفي التوضيح وفيه جهالة الحي كما ترى فهو غير متصل، قَالَ الْحَافِظ العَسْقَلَانِيّ فهو على طريقة بعض أهل الحديث يسمون ما في إسناده مبهم مرسلًا أو منقطعًا والتحقيق إنه إذا وقع التصريح بالسماع أنه متصل في إسناده مبهم إذ لا فرق فيما يتعلق بالاتصال والانقطاع بين رواية المجهول والمعروف، فالمبهم نظير المجهول في ذلك ومع ذلك فلا يقال في إسناد صرح كل فيه بالسماع من شيخه إنه منقطع وإن كانوا أو بعضهم غير معروف..

وَقَالَ البيهقي: ضعفه الشافعي لأن شبيب بن غرقدة رواه عن الحي وهم غير معروفين وفي موضع آخر إنما ضعفه الشافعي لما في إسناده من الإرسال وهو أن شبيب بن غرقدة لم يسمعه من عُرْوَة البارقي إنما سمعه من الحي يخبرونه عنه.

وَقَالَ في موضع آخر الحي الذي أخبر شبيب بن غرقدة عن عُرْوَة لا نعرفهم وليس هذا من شرط أصحاب الحديث في قبول الأخبار.

وَقَالَ المنذري في اختصاره: للسنن تخرج الْبُخَارِيّ هذا الحديث في صدر حديث الخير معقود بنواصي الخيل يحتمل أن يكون سمعه من علي ابن المديني على التمام فحدث به كما سمعه وذكر فيه إنكار شبيب سماعه من عُرْوَة حديث الشاة وإنما سمعه من الحي عن عُرْوَة وإنما سمع من عُرْوَة قوله ﷺ: «**الخير معقود بنواصي الخيل**» ويشبه أن الحديث لو كان على شرطه لأخرجه في البيوع والوكالة كما جرت عادته في الحديث الذي يشتمل على أحكام أن يذكره في الأبواب التي تصلح له ولم يخرجه إلا هنا وذكر بعده حديث الخيل من رواية ابْن عُمَر وأنس وأبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فدل ذلك على أن مراده حديث الخيل فقط، إذ هو على شرطه وقد أخرج مسلم حديث شبيب بن غرقدة عن عُرْوَة مقتصرًا على ذكر الخيل ولم يذكر حديث الشاة انتهى. قَالَ الْعَيْنِيّ قوله فدل ذلك أن مراده حديث الخيل فقط إذ على شرطه فيه نظر، لأنه لو كان الأمر كما ذكره

3644 - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «الخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

3645 - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الحَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ

يعكر عليه ذكره بين أبواب علامات النبوة لعدم المناسبة من كل وجه.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ فإن قلت فالحديث من رواية المجاهيل إذ الحي مجهول قلت إذا علم أن شبيبًا لا يروي إلا عن عدل فلا بأس به أو لما كان ذلك ثابتًا بالطريق المعين المعلوم اعتمد على ذلك فلم يبال بهذا الإبهام أو أراد نقله بوجه آكد إذ فيه إشعار بأنه لم يسمع من رجل واحد فقط بل من جماعة متعددة ربما يفيد خبرهم القطع به انتهى. قَالَ الْعَيْنِيّ كلامه يدل على أن الحديث المذكور متصل عنده وأن الجهالة بهذا الوجه غير مانعة من القول بالاتصال وأن الراوي إذا كان معروفًا عندهم بأنه لا يروى إلا عن عدل فإذا روى عن مجهول لا يضره ذلك وأن الرواية عن جماعة مجهولين ليست كالرواية عن مجهول واحد وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ومطابقة الحديث للترجمة من حيث أن فيه علامات النبوة أن النَّبِيّ ﷺ دعا لعروة بالبركة في بيعه فكان لو اشترى التراب لربح منه.

وقد أَخْرَجَهُ أبو داود في البيوع وكذا التِّرْمِذِيّ فيه وَأَخْرَجَهُ ابن ماجة في الأحكام وأما حديث الخيل فقد أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ في الجهاد وفي الخمس وقد مر ما يتعلق به هناك.

(**حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ**) قال: (**حَدَّثَنَا يَحْيَى**) هو ابن سَعِيد القطان، (**عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ**) هو ابْن عُمَر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنه (**قَالَ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: الخَيْلُ**) مَعْقُودٌ (**فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**) وقد مر الحديث في الجهاد في باب الخيل معقود في نواصيها الخير.

ومطابقته للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا عن أمر مستمر إلى يوم القيامة.

(**حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ**) أبو مُحَمَّد الدارمي البصري وهو من أفراده قَالَ: (**حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الحَارِثِ**) أَبُو عثمان الهجيمي البصري قَالَ: (**حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ**

أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ».

3646 - **حَدَّثَنَا** عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الخَيْلُ لِثَلاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، وَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ،

أَبِي التَّيَّاحِ) بفتح المثناة الفوقية وتشديد التحتية وبعد الألف حاء مهملة واسمه يزيد بن حميد أنه (**قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا**) ابْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، (**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**) أنه (**قَالَ: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ»**) وقد مر الحديث في الجهاد أَيْضًا فإنه أَخْرَجَهُ هناك عن مُسَدَّد عن يحيى عن شُعْبَة عن أبي التياح عن أنس بن مالك رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ قال رَسُول اللّه ﷺ: «**البركة في نواصي الخيل**».

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

(**حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ**) القعنبي، (**عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الخَيْلُ لِثَلاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ لَهَا**) أي: ربطها في طيلها (**فِي مَرْجٍ**) بالجيم الموضع الذي يرعى فيه الدواب(1).

(**أَوْ رَوْضَةٍ، وَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا**) بكسر الطاء المهملة وفتح المثناة التحتية الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه.

(**مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ**) الشرف الشوط وأصله المكان العالي قال الشاعر:

آتي النديّ فلا يهرّب فكرتي وأقود للشرف الرفيع حماري

---

(1) المرج موضع الكلأ وأكثر ما يطلق على الموضع المطمئن، والروضة أكثر ما يطلق على الموضع المرتفع، وقيل المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب أي: تسرح كيف تشاء.

كَانَتْ أَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا، كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَسِتْرًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَظُهُورِهَا فَهِيَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لأَهْلِ الإِسْلامِ فَهِيَ وِزْرٌ».

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الحُمُرِ فَقَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: 7، 8]».

يقول إني خرفت فلا ينتفع برأي، وكبرتُ فلا أستطيع أن أركب من الأرض حماري إلا من مكانٍ عالٍ.

(**كَانَتْ أَرْوَاثُهَا**) وفي كتاب الشرب آثارها وفي الجهاد جمع بينهما.

(**حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا، كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا**) أي: استغناءً عن الناس والمعنى أنه يطلب بنتاجها، أو بما يحصل من أجرتها ممن يركبها أو نحو ذلك الغنى عن الناس والتعفف عن مسألتهم (**وَسِتْرًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ**[1] **فِي رِقَابِهَا وَظُهُورِهَا فَهِيَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً**) بكسر النون والمد المناوأة وهي العداوة (**لأَهْلِ الإِسْلامِ فَهِيَ وِزْرٌ. وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الحُمُرِ**) بضم الحاء المهملة جمع الحمار قَالَ الْكِرْمَانِيّ: وكثير يصحفون بالخمر بالمعجمة أي: في صدقة الخمر.

(**فَقَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ:**[2] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾».

وقد مضى هذا الحديث بعين هذا الإسناد وبعين هذا المتن في الجهاد في باب الخيل لثلاثة وقد مضى الكلام فيه مستوفى.

ومطابقته للترجمة من حيث أن فيه إخبارًا بما لم يقع فوقع كما أخبر.

---

(1) قوله: (ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها) يراد به الزكاة كما هو مذهب الإمام أو تعهّد شبعها وريّها كما هو مذهب الشافعي وغيره فإنهم لم يوجبوا الزكاة في الخيل.

(2) قوله: (الفاذة) أي: المنفردة في معناها يعني في عموم الخير والشر، وشمولها لجميع الطاعات والمعاصي، والمراد أن الآية دلت على أن من أراد في اقتناء الحمير طاعة رأى ووجد ثواب ذلك، ومن عمل معصية رأى عقاب ذلك.

3647 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: صَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ بُكْرَةً، وَقَدْ خَرَجُوا بِالْمَسَاحِي، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ، وَأَحَالُوا إِلَى الحِصْنِ يَسْعَوْنَ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ».

3648 - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الفُدَيْكِ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ،

(**حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ**) أي: ابن المديني قَالَ: (**حَدَّثَنَا سُفْيَانُ**) هو ابن عيينة قَالَ: (**حَدَّثَنَا أَيُّوبُ**) هو السختياني، (**عَنْ مُحَمَّدٍ**) هو ابن سيرين أنه قَالَ: (**سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُ، يَقُولُ: صَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ بُكْرَةً، وَقَدْ خَرَجُوا بِالْمَسَاحِي، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ**) أي: الجيش سمي به لأنه خمسة أقسام الميمنة والميسرة والمقدمة والساقة والقلب.

(**وَأَحَالُوا**) بالحاء المهملة أي: أقبلوا.

وقيل: تحولوا قَالَ أَبُو عبيد: يقال أحال الرجل إلى مكان كذا تحول إليه.

وَقَالَ الخطابي: حلت عن المكان تحولت عنه ورواه بعضهم عن أَبِي ذَرٍّ بالجيم قَالَ في التوضيح: وليس بشيء.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيّ: وأحالوا بالحاء المهملة أقبلوا وبالجيم من الجولان.

(**إِلَى الحِصْنِ يَسْعَوْنَ**) حال.

(**فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ»**) قَالَ الْبُخَارِيّ لفظ فرفع النَّبِيّ ﷺ يديه غريب أخشى أنْ يكون محفوظًا وقد مضى الحديث في الجهاد في باب التكبير عند الحرب.

ومطابقته للترجمة من حيث أنه أخبر عن خراب خيبر فوقع كما أخبر.

(**حدثني إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ**) أبو إسحاق الخزامي المديني قَالَ: (**حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الفُدَيْكِ**) بضم الفاء هو مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل واسم أبي فديك دينار الديلمي المدني، (**عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ**) بكسر الذال المعجمة وسكون المثناة التحتية ويقال بالهمز أَيْضًا هو مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب

عَنِ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ، قَالَ: «ابْسُطْ رِدَاءَكَ» فَبَسَطْتُ، فَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «ضُمَّهُ» فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ.

واسمه هشام المدني، (**عَنِ المَقْبُرِيِّ**) بفتح الميم وسكون القاف وضم الموحدة هو سَعِيد بن أبي سَعِيد واسم أبيه كيسان المديني وهؤلاء كلهم مدنيون.

(**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ**) تَعَالَى (**عَنْهُ**) أنه (**قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ مِنْكَ**) حَدِيثًا (**كَثِيرًا فَأَنْسَاهُ، قَالَ: «ابْسُطْ رِدَاءَكَ» فَبَسَطْتُ، فَغَرَفَ بِيَدِهِ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «ضُمَّهُ» فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدُ**) والحديث قد مضى في كتاب العلم في باب حفظ العلم.

ومطابقته للترجمة ظاهرة.

خاتمة:

اشتملت المناقب النبوية إلى هنا من الأحاديث المرفوعة وما لها حكم المرفوع على مائة وسبعة وتسعين حديثًا.

المعلق منها سبعة عشر طريقًا والبقية موصولة.

المكرر منها فيه وفيما مضى ثمانية وسبعون والخالص مائة حديث وافق مسلم على تخريجها سوى ثمانية وعشرين حديثًا وهي:

حديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا في الشعوب وحديث زينب بنت أبي سلمة من مضر.

وحديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا في تفسير المودة في القربى.

وحديث معاوية رَضِيَ اللّه عَنْهُ أن هذا الأمر في قريش.

وحديث عَائِشَة والمسور رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا في الدرر.

وحديث واثلة من أعظم الفرى.

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ أسلم وغفار خير من أسد وتميم.

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ في عمرو بن لحي.

وحديث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا إن سرك أن تعلم جهل العرب.

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ ألا تعجبون كيف يصرف اللّه عني شتم قريش.

وحديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللّه عَنْهُ فِي قَوْلِهِ بأبي شبية بالنبي.

وحديث البراء رَضِيَ اللّه عَنْهُ كان وجه رَسُول اللّه ﷺ مثل القمر.

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّه عَنْهُ بعثت من خير قرون بني آدم.

وحديث جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ كان النَّبِيّ ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه أورده معلقًا.

وحديث ابن مَسْعُود رَضِيَ اللّه عَنْهُ كنا نعد الآيات بركة.

وحديث البراء رَضِيَ اللّه عَنْهُ كنا بالحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها الحديث.

وحديث جابر رَضِيَ اللّه عَنْهُ في حنين الجذع.

وحديث ابْن عُمَر رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا فيه وحديث عمرو بن تغلب في قتال الترك.

وحديث خباب ألا تستنصر لنا وحديث ابْن عَبَّاس في الذي قَالَ شيخ كبير وبه حمى تفور.

وحديث ابْن عَبَّاس في تفسير: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: 1] وحديثه في الوصية بالأنصار.

وحديث سعد بن معاذ رَضِيَ اللّه عَنْهُ في قتل أمية بن خلف.

وحديث معاذ رَضِيَ اللّه عَنْهُ في الذين لا يزالون ظاهرين بالشام وفيه من الآثار عن الصحابة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ فمن بعدهم سبعة آثار وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

فهرس المحتويات

60 ـ كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ 3

1 ـ باب خَلْق آدَمَ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ 5

1م ـ باب قول اللّه تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ 9

2 ـ باب: الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ 36

3 ـ باب قَوْل اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ 39

3م ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ 46

4 ـ باب 60

5 ـ باب ذِكْر إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلامُ 64

6 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ 69

6م ـ باب قَوْل اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شَدِيدَةٍ ﴿عَاتِيَةٍ﴾ 73

7 ـ باب قِصَّة يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ 85

8 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ 110

9 ـ بَاب ﴿يَزِفُّونَ﴾ النَّسَلَانُ في المَشْيِ 142

10 ـ باب 175

11 ـ باب 184

12 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ 196

13 ـ باب قِصَّة إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ 197

14 ـ باب ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ... 198

15 ـ باب ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ (٥٨)﴾ 201

16 ـ باب: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢)﴾ 204

17 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ 210

18 ـ باب: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ 221

19 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ (٧)﴾ 223

20 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٨٣)﴾ 236

21 ـ باب ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا (٥٢)﴾ كَلَّمَهُ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا (٥٣)﴾ 243

22 ـ باب ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ 246

23 ـ باب قَوْل اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٩) إِذْ رَءَا نَارًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ 247

24 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٩)﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ .. 265

25 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعالَى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ 270

26 ـ باب طُوفَان مِنَ السَّيْلِ 277

27 ـ باب حَدِيث الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ 280

28 ـ باب 297

29 ـ باب ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ﴾، ﴿مُتَبَّرٌ﴾: خُسْرَانٌ، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يُدَمِّرُوا، ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: مَا غَلَبُوا 304

30 ـ باب ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ﴾ الآيَةَ 309

31 ـ باب وَفَاة مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ 315

32 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ 329

33 ـ باب ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ الآيَةَ 335

34 ـ باب ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ﴾ 344

35 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ 349

36 ـ باب 360

37 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعالَى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ 365

38 ـ باب: أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللَّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا 375

39 ـ باب ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ 379

40 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ الرَّاجِعُ المُنِيبُ 387

41 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ 416

42 ـ باب ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ الآيَةَ 426

43 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ 433

44 ـ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ 443

45 ـ باب ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ 451

46 ـ باب قَوْله تَعَالَى ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ 455

47 ـ باب قَوْله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن
يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ 462

48 ـ باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ 467

49 ـ باب نُزُول عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ 509

50 ـ باب مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ 521

51 ـ باب: حَدِيثُ أَبْرَصَ، وَأَعْمَى، وَأَقْرَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ 542

52 ـ باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ 548

53 ـ باب حَدِيث الغَارِ 569

54 ـ باب 580

61 ـ كِتَابُ المَنَاقِبِ 625

1 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ
لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ 625

1م ـ باب 643

2 ـ باب مَنَاقِب قُرَيْشٍ 652

3 ـ باب نَزَل القُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ 667

4 ـ باب نِسْبَة اليَمَنِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ 669

5 ـ باب 671

6 ـ باب ذِكْر أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ 676

7 ـ باب ذِكْر قَحْطَانَ 683
8 ـ باب مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ 684
9 ـ باب قِصَّة خُزَاعَةَ 688
10 ـ باب قِصَّة إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ الغِفَاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ 697
11 ـ باب قِصَّة زَمْزَمَ 697
12 ـ باب قِصَّة زَمْزَمَ وَجَهْلِ الْعَرَبِ 704
13 ـ باب مَنِ انْتَسَبَ إِلَى آبَائِهِ فِي الإِسْلامِ وَالجَاهِلِيَّةِ 705
14 ـ باب: ابْن أُخْتِ القَوْمِ وَمَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ 709
15 ـ باب قِصَّة الحَبَشِ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يَا بَنِي أَرْفِدَةَ 711
16 ـ باب مَنْ أَحَبَّ أَنْ لا يُسَبَّ نَسَبُهُ 713
17 ـ باب مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ 715
18 ـ باب خَاتِم النَّبِيِّينَ ﷺ 730
19 ـ باب وَفَاة النَّبِيِّ ﷺ 733
20 ـ باب كُنْيَة النَّبِيِّ ﷺ 735
21 ـ باب 737
22 ـ باب خَاتِم النُّبُوَّةِ 739
23 ـ باب صِفَة النَّبِيِّ ﷺ 742
24 ـ باب: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ 780

25 ـ باب عَلامَات النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلامِ 783

26 ـ باب قَوْل اللّهِ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ 911

27 ـ باب سُؤَال الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ آيَةً، فَأَرَاهُم انْشِقَاقَ القَمَرِ 916

28 ـ باب 922

فهرس المحتويات 937